

رَفَعُ

عبد الرحمن النخعي
أسكنه الله الفردوس

فِي حُلْ جَمْعِ الْجَوَامِعِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مَشْرُوعٌ فِي تَرْغِيصِ النَّسَبِ

لِلْأَهْلِ وَالْأَهْلِ وَالْأَهْلِ

مُؤَسَّسَةُ الرِّسَالَةِ لِلنَّشْرِ

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

البدر الطالع
في حل جمع الجوامع

الجزء الأول

رَفَعُ

عبد الرحمن النخدي
أسكنه الله الفردوس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

انتشار بالواد الطيف

مؤسسة الرسالة ناشرون

جميع الحقوق محفوظة للناسخ

الطبعة الأولى

١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م

ISBN 9953 - 32128 - 0

هاتف: ٥٤٦٧٢٠ - ٥٤٦٧٢٠

فاكس: ٥٤٦٧٢٢ (٩٦١١)

ص ب: ١١٧٤٦٠

بيروت - لبنان

Resalah
Publishers

Tel: 546720 - 546721

Fax: (9611) 546722

P.O.Box: 117460

Beirut - Lebanon

Email:

resalah@resalah.com

Web site:

Http://www.resalah.com

حقوق الطبع محفوظة © ٢٠٠٥ م. لا يُسمح بإعادة نشر هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من الأشكال أو حفظه ونسخه في أي نظام ميكانيكي أو إلكتروني يمكن من استرجاع الكتاب أو أي جزء منه. ولا يُسمح باقتباس أي جزء من الكتاب أو ترجمته إلى أي لغة أخرى دون الحصول على إذن خطي مسبق من الناشر.

رَفَعُ
عبد الرحمن النخعي
أسكنه الله الفردوس

البَيْدُ الطَّالِعُ فِي حُلِّ جُمُعِ الْجَوَامِعِ

لجلال الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد المصنف الشافعي

شرح وتحقيق عبد الفتاح
أبي الفداء رضى الله عنه بحمد ربه المحمدي المصنف الشافعي

الجزء الأول

مؤسسة الرسالة ناشرون



ج

رَفَعُ

عبد الرحمن النخعي
أسكنه الله الفردوس

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

قِسْمُ الدِّرَاسَةِ

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا ومولانا ونبينا ورسولنا محمد وعلى آله وصحبه ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد ، فإن تحقيق التراث العلمي عمل عظيم ، ومنافعه كثيرة منها : ربط خلف الأمة بسلفها ، وتقوية الأمة بمختلف العلوم والمعارف ، فمن الضروري إحياء تراثنا العلمي ، ونفض غبار النسيان عنه ، ونشر ما كان حبيساً في المكتبات العامة والخاصة ، وتيسير أمره للناس ، وفاء بالمؤلف الذي قدم لنا هذا الجهد العلمي ، فلا نضيعه ، بل نحياه وننشره رجاء أن يحشرنا الله تعالى في زمرة من يوم القيامة .

ومن الواجب هنا الالتفات إلى أهمية أصول الفقه :

إن أصول الفقه هو القانون الذي يضعه المجتهد نُصِبَ عَيْنُهُ لِيُنِيَّ عَلَيْهِ صرْحَ مذهبهِ حتى يعتصم من الخطأ والزلل في الاستنباط ، ولذلك هو ضروري أيضاً لغير المجتهد أيضاً ليعلم الأصول التي وضعها إمامه في بناء مذهبهِ واستخراج الفروع الفقهية حتى يمشي عليها إذا طرأ أمر حادث ليس لسلفنا الصالح فيه كلام .

وكتب الأصول كثيرة ، ولكن شرح جلال الدين المحلي الشافعي على جَمْعِ الجوامع لتاج الدين السبكي الشافعي كتاب نفيس في غاية الدقة والتحقيق والتحرير ، فلذا انكب العلماء والطلاب على دراسته شرحاً وتعليقاً وتحشياً ، وكثرت عليه الحواشي والتعليقات ، فأحييت أن أتبرك بخدمة هذا السفر القيم ، والله تعالى أسأل أن ينفع به المسلمين ، ويجعله لي زخراً يوم القيامة .

وتتضمن هذه المقدمة سبب اختيار البحث ، والنسب العلمي للكتاب ، ووصف النسخ التي اعتمدت عليها في التحقيق ، ومنهجي في التحقيق ، وباباً في ترجمة صاحب المتن التاج السبكي ، والشارح الجلال المحلي :

سبب اختيار البحث :

والذي جعلني أخدم هذا الكتاب هو أمران :

أحدهما : كون متن هذا الشرح من أحسن وأدق المتون في علم أصول الفقه وذلك أن التاج السبكي رحمه الله تعالى شَرَحَ أولاً « منهاج الوصول في علم الأصول » للمقاضي البيضاوي^(١) الذي هو أحسن مختصرات « المحصول في علم الأصول » للإمام الرازي^(٢)، ثم شَرَحَ « مختصر المُتَهَيِّ » لابن الحاجب المالكي^(٣) الذي هو أحسن مختصرات « الإحكام في أصول الأحكام » لسيف الدين الأمدي^(٤)، ثم اختصرهما مع زيادات كثيرة في مختصر جامع سَمَّاهُ « جَمْعُ الجوامع » ليكون مطابقاً لمضمونه ، فيقول رحمه الله تعالى في مقدمته :

« ونضرع إليك [يا الله] في منع الموانع عن إكمال جمع الجوامع الآتي من فن الأصول بالقواعد القواطع ، البالغ من الإحاطة بالأصلين مبلغ ذوي الجد والتشمير ، الوارد من زهاء مئة مصنف منها ، يروي ويُمِرُّ المَحِيطُ بزيادة ما في شرحي على المختصر والمنهاج »^(٥).

(١) والبيضاوي : هو عبد الله بن عمر بن محمد ، أبو الخير ، ناصر الدين البيضاوي الشافعي ، كان إماماً في الفقه والتفسير ، والأصلين ، والعربية ، والمنطقي ، له مصنفات كثيرة منها : المنهاج في الأصول ، وشرحه ، ومختصر الكشاف في التفسير ، وشرح الكافية لابن الحاجب في اللغة ، توفي رحمه الله سنة ٦٨٥ هـ . (طبقات الشافعية للسبكي : ١٥٧/٨).

(٢) والرازي : هو محمد بن عمر بن الحسين الطبرستاني الرازي ، أبو عبد الله فخر الدين الشافعي ، الفقيه الأصولي ، المتكلم النظار ، المفسر الأديب ، الشاعر الحكيم ، الفيلسوف الفلكي ، صاحب المكان المرموق بين العلماء والأمرء ، كان شديد الوطأة على الخوارج وغيرهم من المبتدعة ، له مؤلفات قيمة منها : التفسير الكبير ، المحصول في علم الأصول ، وهو المراد عند إطلاق « الإمام » في كتب الأصوليين المتأخرين من الشافعية ، توفي رحمه الله سنة ٦٠٦ هـ بَهْرَاءَ . (الفتح المبين : ٤٨/٢).

(٣) وابن الحاجب : هو عثمان بن عمر بن أبي بكر ، جمال الدين المالكي ، الشهير بابن الحاجب ، كان إماماً في الفقه ، والأصول ، والعربية ، متواضعاً ، عفيفاً ، محباً للعلم وأهله ، وناشراً له ، صبوراً على البلوى ، متحملاً للآذى ، معتكفاً على التدريس والتأليف ، فتخرج به العلماء ، توفي رحمه الله تعالى سنة ٦٤٦ هـ بالإسكندرية . (الفتح المبين : ٦٧/٢).

(٤) والأمدي : هو علي بن أبي علي بن محمد ، أبو الحسن سيف الدين الشافعي ، الفقيه الأصولي ، المتكلم النظار ، لم يكن في زمانه من يُجَارِيهِ في الأصلين وعلم الكلام ، صاحب المؤلفات النافعة منها : الإحكام في أصول الأحكام ، وأبكار الأفكار ، توفي رحمه الله سنة ٦٣٠ هـ . (طبقات الشافعية للسبكي : ٣٠٦/٨).

(٥) جمع الجوامع للتاج السبكي : ٢٧/١ (مع التنصيف) .

ويقول رحمه الله في خاتمته : « وقد تَمَّ جَمْعُ الجوامعِ عِلْماً ، المُسَمِّعُ كَلامُهُ آذَاناً صُماً ،
الآتِي من أحاسنِ المُحاسنِ بِما ينظره الأعمى مَجْموعاً جَموعاً ، وموضوعاً لا مقطوعاً فضله ولا
مَمْنوعاً ، ومرفوعاً عن همم الزمان مدفوعاً ، فعليك بحفظ عبارته لا سيما ما خالفت فيها غيره ،
وإياك أن تبادر بإنكار شيءٍ قبل التأمل والفكرة ، أو أن تظن إمكان اختصاره ، ففي كل ذَرَّةٍ منه دُرَّةٌ
... بحيث إننا جازمون بأن اختصارَ هذا الكتاب متعذر ، ورؤْمُ النقصان منه متعسرٌ ، اللهم إلا أن
يأتي رجل مبذّرٌ مُبْتَرٌّ ، فدونك مختصراً بأنواع المحامد حقيقاً ، وأصناف المحاسن خليقاً »^(١) .

ثانيهما : أن شرح جلال الدين المحلي رحمه الله تعالى أدقَّ شرح لجمع الجوامع مع
كثرة شروحه ، يقول حاجي خليفة رحمه الله : « له [أي لجمع الجوامع] شروح كثيرة أحسنها
شرح المحقق جلال الدين محمد بن أحمد المحلي الشافعي »^(٢) .

ويقول شيخ الإسلام رحمه الله تعالى في خطبة كتابه « غاية الوصول » : « وبعد ، فهذا
شرح لمختصري المسمى بـ « لبّ الأصول »^(٣) ، يُوضِّح دقائقَهُ ويُذللُ من اللفظ صِعباته ،
ويُكشِفُ عن وجه المعاني نِقابَهُ ، سالكاً فيه غالباً عبارة شيخنا العلامة المحقق الجلال المحلي
[أي في شرحه على جمع الجوامع] ، لسلاستها وحسن تأليفها »^(٤) .

ولذا كَثُرَتِ الحواشي على « شرح جَمْعِ الجوامع » للجلال المحلي ، فمنها ما هي طويلة
مُملَّةٌ كحاشية الشيخ إبراهيم الباجوري^(٥) الشافعي ، وهي مخطوطةٌ ، حيث يبلغ عددُ أوراق
مباحث مقدماتها إلى ثلاثمئة ورقة تقريباً .

ومنها ما تهتَمَ بمعارك علم الكلام ، والمنطق ، والفلسفة ، والاعتراضات المنطقية التي
أوردت على الشارح ، والجواب عنها أكثر من اهتمامها بتحقيق المسائل الأصولية كحاشية

(١) جمع الجوامع للتاج السبكي : ٦٧٢/٢ (مع البناي) .

(٢) كشف الظنون لحاجي خليفة ٥٩٥/١ .

(٣) لقد أكرمني الله تعالى بخدمته تعليقاً وشرحاً ، وسميته « تيسير الوصول بشرح لبّ الأصول » .

(٤) غاية الوصول لزكريا الأنصاري (ص : ٢) .

(٥) والباجوري : هو إبراهيم بن محمد بن أحمد الباجوري (نسبةً إلى الباجور ، قرية من قرى المَؤنوية
بمِصرَ) ، الشافعي ، الفقيه الأصولي ، شيخ الأزهر ، وُلد بالباجور سنة ١١٩٨ هـ ، ونشأ بها ، لحق
بالأزهر ، جَدَّ واجتَهَدَ ، ولازَمَ الأكابرَ ، ففاقَ الأقرانَ وصار شيخاً لأزهر سنة ١٢٦٣ هـ ، واستمرَّ إلى
أن توفي ، وألف تصانيف مفيدة غالبها الحواشي ، منها : تحفة المريد على جوهره التوحيد ، حاشية
شرح جمع الجوامع للمحلي ، الموهب اللدنية ، فتح الخير اللطيف ، توفي رحمه الله سنة ١٢٧٧ هـ
بالقاهرة . (هدية العارفين : ٤١/١ ، الأعلام للزركلي : ٧١/١) .

العلامة البناني^(١) المغربي المالكي المتوفى سنة (١١٩٨ هـ) ، وتقريرات شيخ الإسلام عبد الرحمن الشربيني^(٢) الشافعي المتوفى سنة (١٣٢٦ هـ) .

ومنها مختصرة مفيدة كحاشية شيخ الإسلام زكريا الأنصاري الشافعي تلميذ الشارح جلال الدين المحلي المسماة بـ « النجوم اللوامع في إبراز دقائق شرح جمع الجوامع للمحلي »^(٣) ، ولكنه قاصر عن كثير يحتاج إليه طالب هذا الفن ، مع أني نزلت زبدتها في تعليقاتي الآتية .

ولهذين السببين وغيرهما أحببت أن أضع عليه حاشية (وهي ما يُسمى الآن تحقيقاً) جامعة لزبدة الحواشي السابقة ، ودُرر أمهات كتب الأصول المعتمدة ، والله تعالى أسأل القبول بفضله وكرمه .

فتمتاز هذه الحاشية (أي تعليقاتي) على غيرها بأمور منها :

أحدها : أنها تجمع خلاصة الحواشي الأخرى .

ثانيها : أنها تشتمل على زبدة أمهات كتب الأصول كالبرهان لإمام الحرمين ، والمستصفى لحجة الإسلام الغزالي ، والمحصول للإمام الرازي ، والإحكام لسيف الدين الأمدى ، ومختصر المنتهى لابن الحاجب ، وشرح المختصر للقاضي عضد الدين ، ورفع

(١) البناني : هو عبد الرحمن بن جاد الله ، البناني (نسبة على قرية «بنان» ، ويقال : «بنانة» أيضاً ، من قرى المنستير بأفريقية) المالكي ، الإمام العلامة ، الفقيه الأصولي ، العمدة في مذهب مالك ، المؤلف المحقق ، قديم مصر ولحق بالأزهر ، وأخذ من أعلام عصره كالصعيدي وأحمد الصباغ ويوسف الخفي ، حتى مَهر في المعقول والمنقول ، تصدر للتدريس برؤايق المغاربة ، وتتنحرج به جمع كثير ، وألف كتباً مفيدة منها حاشية على شرح جمع الجوامع للمحلي ، فما زال يُحررها ويُدققها إلى أن توفي سنة ١١٩٨ هـ . (الفتح المبين في طبقات الأصوليين : ١٣٤/٣) .

(٢) الشربيني : هو عبد الرحمن الشربيني (نسبة إلى شربين) ، الشافعي ، الفقيه الأصولي ، شيخ الإسلام ، العالم الورع لحق بالأزهر ، جدّ واجتهد ، حتى صار شيخ الأزهر ، كان عالماً جليلاً ، زاهداً ورعاً ، أمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر ، مهيباً يُجله الشيوخ والتلاميذ ، محققاً مدققاً ، ترك مشيخة الأزهر زهداً بها ، ألف كتباً مفيدة منها : فيض الفتح على حواشي شرح تلخيص المفتاح ، تقريرات على شرح جمع الجوامع للمحلي ، حاشية البهجة في الفقه الشافعي ، توفي رحمه الله سنة ١٣٢٦ هـ بالقاهرة . (الفتح المبين في طبقات الأصوليين : ١٦١/٣) .

(٣) لقد أكرمني الله تعالى لخدمتها تحقيقاً وتعليقاً بمشاركة الأخ الفاضل الشيخ عبد الحفيظ الجزائري ، حقّق هو من بداية الكتاب إلى آخر الكتاب الأول (القرآن ومباحث الأقوال) ، وحقّق أنا من بداية الكتاب الثاني (السنة) إلى آخر الكتاب ، فالله تعالى أسأل أن يتقبله منا بمئو وكرمه .

الحاجب للتاج السبكي ، وشرح التنقيح للقرافي ، والمنهاج للبيضاوي ، ونهاية السؤل للإسنوي ، الإبهاج للتاج السبكي ، ومنع الموانع أيضاً له ، وغاية الوصول لشيخ الإسلام زكريا الأنصاري ، إذ هم فرسان هذا الميدان .

ثالثها : أنها تهتم بتعيين أصحاب المذاهب ، وخاصة المذاهب الأربعة : الحنفي ، المالكي ، الشافعي ، الحنبلي .

رابعها : أنها تهتم بتخريج المسائل الفقهية على المذاهب الأربعة .

خامسها : أنها تهتم بتعيين نقطة الوفاق والخلاف في المسائل الأصولية والفقهية .

سادسها : أنها تخلو عن المعارك الكلامية الكثيرة التي ليست لها دور في تخريج الفروع على الأصول ، ولا في توطين القواعد الأصولية التي لها صلة بالفروع .

وفي الختام أسأل الله تعالى أن يتقبل مني الصالح ، ويعفو عن الخطأ والزلل ، وأن يُجزّي كلّ أخ قارئٍ قدّم إليّ ملاحظته قاصداً تصحيح الخطأ والزلل خير الجزاء ، فإنني لا أدعي الكمال ، ولا العصمة ، كيف وقد قال إمام الأئمة الشافعي بعد أن صحّح كتابه «الرسالة» أكثر من ثمانين مرة : «أبى الله أن يكون كتابٌ صحيحاً غير كتابه» ، ورحم الله امرأً أهدي إليّ عيوبي .

وصلّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم تسليماً ، ومن تبعهم بالإحسان إلى يوم الدين ، آمين أجمعين .

مرتضى علي المحمدي الداغستاني



النسب العلمي للكتاب :

لقد كان الصحابة رضي الله عنهم ومن بعدهم إلى الإمام المجل محمد بن إدريس الشافعي رحمه الله يبحثون عن الأحكام واستنباطها مما فيه نصّ أو مما ليس فيه نصّ ، ويعتمدون في ذلك على قواعد أصولية إلا أنهم كانوا تارة يصرحون بالقواعد التي اعتمدوا عليها وتارة لا يصرحون بها ، ولكنها تُفهم من ثانيا كلامهم ومناقشاتهم.

قال الإمام الرازي ، رحمه الله تعالى : « واعلم أن نسبة الشافعي إلى علم الأصول كنسبة أرسطوطاليس ^(١) إلى علم المنطق ، وكنسبة الخليل بن أحمد ^(٢) إلى علم العروض ، وذلك أن الناس كانوا قبل أرسطوطاليس يستدلون ويعترضون بمجرد طباعهم السليمة ، لكن ما كان عندهم قانون مخلص في كيفية ترتيب الحدود و البراهين ، فلا جرم كانت كلماتهم مشوشة ، فإن مجرد الطبع إذا لم يستعن بالقانون الكلي قلما أفلح ، فلما رأى أرسطوطاليس ذلك اعتزل عن الناس مدة مديدة واستخرج لهم علم المنطق ، ووضع للناس بسببه قانوناً كلياً يرجع إليه في معرفة الحدود والبراهين.

وكذلك الشعراء كانوا قبل الخليل بن أحمد ينظمون أشعاراً ، وكان اعتمادهم على مجرد الطبع ، فاستخرج الخليل علم العروض ، فكان ذلك قانوناً كلياً في معرفة مصالح الشعر ومفاسده .
 فكذاك هنا ، الناس كانوا قبل الإمام الشافعي رحمه الله يتكلمون في أصول الفقه ، ويستدلون

(١) هو أرسطوطاليس بن نيقوماخوس الفيتغوري فيلسوف الروم وعالمها وجهيزها وطبيبها ، وكان أبوه نيقوماخوس أيضاً طبيباً ، وهو تلميذ أفلطون ، ولازمه عشرين سنة ، وكان يؤثره على سائر تلاميذه ، ويسميه العقل ، إليه تنتهي فلسفة اليونانيين ، وهو خاتمة حكمائهم وسيد علمائهم ، وهو أول من خلص صناعة البرهان من سائر الصناعات المنطقية ، وصورها بالأشكال الثلاثة ، وجعلها آلة للعلوم النظرية حتى لُقّب بصاحب المنطق ، وله في جميع العلوم الفلسفية كتب شريفة ، وكان كثير التلاميذ من أبناء الملوك وغيرهم ، وكان خليفة أفلطون في دار التعلم ، توفي وهو ابن ثمان وستين .
 (طبقات الأطباء : ٨٦-٩٢) .

(٢) والفراهمدي : هو الخليل بن أحمد الأزدي الفراهيدي البصري ، أبو عبد الرحمن ، كان ذكياً لطيفاً فطناً ، واتفق العلماء على جلالته وفضله وتقدمه في علوم العربية من النحو واللغة والتصريف والعروض ، وهو السابق إلى ذلك ، المرجوع فيه إليه ، وهو شيخ سيبويه ، وإمام أهل العربية ، كان ورعاً زاهداً ، توفي رحمه الله بالبصرة سنة (١٧٠ هـ) وهو ابن أربع وسبعين .
 (التهذيب للنووي : ١/١٧٦) .

ويعترضون ، ولكن ما كان لهم قانون كلي يرجعون إليه في معرفة دلائل الشريعة ، وفي كيفية معارضاتها ، فاستنبط الشافعي علم أصول الفقه ، ووضع للخلق قانوناً كلياً يرجع إليه في معرفة أدلة مراتب الشرع^(١) .

وفي ذلك يقول أستاذنا الدكتور مصطفى الخن حفظه الله تعالى : « إن الترتيب المنطقي للأمور ليقضي بأن القواعد الأصولية بشكلها العام سابقة في الوجود الفقه كما يسبق أساس البناء في الوجود على البناء نفسه ، فلا نتعل وجود فقه من مجتهد إلا ونتعل أن لديه قبل ذلك أصولاً وقواعد قد بنى عليها أحكامه ، كما لا نتعل وجود بناء قوي إلا بتعل جذور وأساس سابق في الوجود على البناء .

وهذا المنطق العلمي هو الذي وقع فعلاً ، فإننا إذا رجعنا إلى الواقع وجدنا أن الفقه مسبق بقواعد أصولية ، كان يبني عليها الفقهاء من الصحابة فمن بعدهم ، يبنون عليها أحكامهم ويلاحظونها عند قيامهم بالاستنباط ، وقد تظهر على ألسنتهم في بعض الحالات وإن لم تكن تلك القواعد مدونة في بطون كتبهم ويطلق عليها علم أصول الفقه^(٢) . ثم ذكر أمثلة كثيرة لهذه الحقيقة^(٣) .

وهكذا كانت القواعد الأصولية ومسائلها متناثرة إلى أن جاء الإمام الشافعي رحمه الله فقام بتدوين هذا العلم والتأليف فيه على شكل مرتب ومنظم في كتابه « الرسالة » وإن زعم زاعم أن السبق كان لغيره .

يقول الإمام الرازي رحمه الله تعالى : « اتفق الناس على أن أول من صنف في هذا العلم [أي علم أصول الفقه] الشافعي ، وهو الذي رتب أبوابه وميز بعض أقسامه من بعض وشرح مراتبها في القوة والضعف^(٤) .

ويقول ابن خلدون^(٥) ، رحمه الله تعالى : « وكان أول من كتب فيه [أي في أصول الفقه]

(١) مناقب الإمام الشافعي لفخر الدين الرازي : (ص: ٥٧).

(٢) أبحاث حول أصول الفقه الإسلامي لأستاذنا الدكتور مصطفى الخن : (ص: ٨٠).

(٣) انظر : أبحاث حول أصول الفقه الإسلامي لأستاذنا الدكتور مصطفى الخن : (ص: ٨٠-٨٦).

(٤) مناقب الإمام الشافعي للرازي : (ص: ٥٦).

ومثله في : البحر المحيط لبدر الدين الزركشي : ١٨/١.

(٥) وابن خلدون : هو عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن خلدون ، أبو زيد ، ولي الدين ، الحضرمي الإشبيلي من ولد وائل بن حجر ، الفيلسوف المؤرخ ، العالم الاجتماعي ، البهائي ، ولد بتونس سنة ٧٣٢هـ ونشأ بها ، راحل ، وجمع العلوم ، ولي قضاء المالكية بمصر للظاهر برفوق ، كان فصيحاً ، =

الشافعي رحمه الله ، أُملى فيه رسالته المشهورة ، تكَلَّم فيها في الأوامر والنواهي ، والبيان والخبر ، والنسخ ، وحكم العلة المنصوصة في القياس ^(١) .

ويقول جمال الدين الإسنوي رحمه الله تعالى : «وكان إمامنا الشافعي رحمه الله هو المبتكر لهذا العلم بلا نزاع ، وأوّل من صَنَّف فيه بالإجماع ، وتصنيفه المذكور فيه موجود بحمد الله تعالى ، وهو الكتاب الجليل المشهور المسموع عليه ، المتصل إلى زماننا إسناده الصحيح ، المعروف بـ«الرسالة»^(٢) الذي أرسل الإمام عبد الرحمن بن مهدي^(٣) من خراسان إلى الشافعي بمصر

= عاقلاً ، جميل الصورة صادق اللهجة ، طامعاً للمراتب العالية ، ألف كتاباً قيمة منها : كتاب التاريخ ، والمقدمة في أصول علم الاجتماع ، شرح البردة ، توفي فجأة بالقاهرة سنة ٨٠٨ هـ .
(الضوء اللامع للسَّخَاوي : ٤ / ١٤٥) .

(١) مقدمة ابن خلدون (ص : ٤٢٠) .

ومثله في : تاريخ الأدب العربي لكارل بروكلمان : ٢٩٣ / ٣ .

(٢) طُبِعَت «الرسالة» للإمام الشافعي أولاً بتحقيق الشيخ أحمد شاكر رحمه الله ، ثانياً بتحقيق رفعت فوزي عبد المطلب ، وجعلها جزءاً من كتاب «الأم» للإمام الشافعي ، فقال في مقدمة التحقيق (١/ ٢٤) : «ومن بعض المخطوطات التي أعدتها لتحقيق الكتاب [أي كتاب «الأم»] تبَيَّن لي أن «الرسالة» جزء من «الأم» ، وليست كتاباً منفصلاً ، ومخطوطة أحمد الثالث بتركيا ، ومخطوطة المحمودية بالمدينة المنورة تؤكدان ذلك .

فهما يبتدئان بكتاب «الرسالة» ، ثم بما يلي ذلك من كتاب الطهارة دون فاصل كما سَنُبَيِّن في صورة المخطوطات التي اعتمدنا عليها .

وإذا كانت الطبعة البولاقية لا يبتدئ كتاب «الأم» فيها بمقدمة ، فإنَّ كتاب «الرسالة» يبتدئ بمقدمة هي مقدمة الكتاب كله .

وفي هذا ردٌّ على مَنْ زَعَمُوا [وهو زكي مبارك] : أنَّ كتاب «الأم» ليست له مقدمة .

ويبدو أنَّ بعض نُسخ أصحاب البلاقية كانت فيها «الرسالة» متصلة بالطهارة ، فطبعوها مع الكتاب ، ولكنهم فصلوها على نحو يوحى بأنَّ «الرسالة» ليست من «الأم» .

على أننا نلاحظ أمراً هاماً : أنَّ «الأم» من غير «الرسالة» ليس فيها إسنادٌ قبل الربيع بن سليمان . وقال القائمون على الطبعة : «اتفقت جميعُ النُسخ التي بيَدنا على البداء بهذه الجملة : «أخبرنا الربيع بن سليمان» ولعلَّ راوي «الأم» عن الربيع هو راوي «الرسالة» عنه ، وهو أبو الحسن علي بن حبيب بن عبد الملك ، ويُمكن أن يكون غيره» .

ولو أنهم تَنَبَّهوا - أو تَنَبَّهتهم النُسخ التي بأيديهم - أنَّ «الرسالة» جزء من «الأم» يبتدئ بها الكتاب لَمَّا احتاجوا إلى هذا التنبيه ، ولَمَّا وقعوا في «لعلَّ» ، فقيناً هو علي بن الحبيب راوي «الأم» ابتداءً من «الرسالة» .

(٣) هو عبد الرحمن بن مهدي بن حسان ، أبو سعيد البصري اللؤلؤي ، الحافظ ، الإمام العليم كان رحمه الله =

فصَّنه له ، وتنافسَ في تحصيله علماء عصره»^(١).

ويقول أستاذنا الدكتور مصطفى الخن، حفظه الله تعالى : « وفي رأيي أنّ عزوَ البداءة في التصنيف في هذا العلم إلى غير الشافعي إنّ هو إلّا خرقٌ للإجماع أو قريب من ذلك من غير برهانٍ ، ولا دليل مقنع»^(٢).

فبعد أن توفي الإمام الشافعي رحمته الله أخذ العلماء يؤلفون في أصول الفقه سواء كانوا شراحاً لرسالة الشافعي أم مستقلين ، فبدأت تظهر عليهم نزعات تحولت بعد ذلك إلى اتجاهات ومدارس ، كان بعضهم يسلك في تأليفه مسلكاً نظرياً من غير أن يلتفت إلى الفروع التي تنبثق عن هذه القواعد ، وكان بعضهم يسلك مسلكاً متأثراً بالفروع التي نقلت عن أئمتهم ، ولقد عُرف الفريق الأول بالمتكلمين^(٣) ، وهم الذين كانوا يهتمون بتحرير القواعد والمسائل الأصولية

= إماماً ثقة ثباتاً ، كثيرَ العبادة ، ورعاً ، جامعاً بين الفقه والحديث ، ولا يحدث إلّا عن الثقات ، توفي رحمه الله تعالى سنة (٢٩٨هـ). (التهذيب للحافظ ابن حجر : ٣/ ٤٢٥).
(١) التمهيد للإسنوي : (ص : ٤١) .

(٢) أبحاث حول أصول الفقه الإسلامي لأستاذنا الدكتور مصطفى الخن : (ص : ٩٠) .

(٣) وسبب تسميتهم بذلك أنّ جلّ أصحاب هذه الطريقة في العصور المتأخرة التي ساد فيها علمُ الكلام والمنطق كانوا أئمةً في علم الكلام والمنطق ، فتوسّعوا في المسائل الكلامية الكثيرة التي لا صلة لها باستنباط الفروع في الغالب ، أولها صلة خفية كما هو الغالب ، أو صلتها بعلم الأصول غير مباشر ، فلا يتفطن لها إلّا الحنفي ، فُسِّيت بـ «طريقة المتكلمين» .

أما الفريق الثاني الذين عُرفوا فيما بعد بالفقهاء الذين ساروا باتجاه التأثير بالفروع وإثبات سلامة الاجتهاد فيها ، فهم يقرّرون القواعد الأصولية على مقتضى ما نقل من الفروع عن أئمتهم ، مدعين أنها هي القواعد التي لاحظها أولئك الأئمة عندما فرّعوا الفروع ، فهي في واقعها أصول تأخّر وجودها واستخراجها عن استنباط الفروع . (أبحاث حول أصول الفقه الإسلامي لأستاذنا الدكتور مصطفى الخن ، ص : ٣٠٤ ، والوجيز للدكتور هيتو ، ص : ١٥-١٦) .

فالناظر لأول وهلة يظنّ أنّ هذه الطريقة (أي طريقة الفقهاء ، أي فقهاء الحنفية) سائمة من معارك علم الكلام والمنطق ، وأنّ قواعدها الأصولية أكثر انسجاماً مع الأحاديث الشريفة ، والفروع الفقهية ، ولكن الواقع لا يساعده ، فإنّ كتب أصول الحنفية كسائر الكتب الأصولية التي ألّفت على طريقة المتكلمين تكثر بالقواعد الكلامية والمنطقية ، وإنما تمتاز على غيرها بالإكثار بالأمثلة من الفروع الفقهية ، وانسجامها مع الفروع وظواهر الأحاديث أقل بكثير من الفريق الأول ، خاصة في باب السنة من كتب الأصول ، فعلى سبيل مثال راجع كتاب « أثر الاختلاف » لشيخنا العلامة الأصولي الفقيه اللغوي الأستاذ مصطفى الخن ، والله تعالى أعلم .

مستندين في ذلك إلى فهم اللغة العربية وعلومها، إذ بها نزل القرآن، ونطق النبي ﷺ^(١)، ومستقرتين دلالة الكتاب والسنة المطهرة، ومذاهب الصحابة رضوان الله تعالى عليهم في فهمهما مع الاستدلال العقلي، فلذا كانت قواعدهم الأصولية أكثر ارتباطاً مع الأحاديث الشريفة الواردة في بيان الأحكام، وانسجاماً مع ظواهرها، فإذا ما خالفت الفرع مع ظاهر الخبر فوجدناه أيضاً يُخالف القاعدة الأصولية.

ونكتفي هنا بذكر مثال واحد، وهو نقض الوضوء بأكل لحم الإبل، فالراجح لدى الشافعية^(٢) عدم نقض الوضوء به كما قال ابن حجر الهيثمي في تحفة المحتاج (١/٢١٢)، واستدلوا بحديث جابر رضي الله عنه: «كان آخر الأمرين من رسول الله ﷺ ترك الوضوء ممّا غيرت النار»^(٣) وهو حديث صحيح، رواه أبو داود والنسائي وغيرهما بأسانيد صحيحة كما قال النووي في المجموع (٤٨/٢).

وذهب جمع من الشافعية^(٤) وغيرهم إلى نقض الوضوء بأكل لحم الإبل مخصصين عموم حديث جابر السابق بحديث جابر بن سمرة رضي الله عنه: «أن رجلاً سأل النبي ﷺ أنتوضأ من لحوم الغنم؟ قال: إن شئت فتوضأ، وإن شئت فلا توضأ. قال: أنتوضأ من لحوم الإبل؟ قال: نعم، فتوضأ من لحوم الإبل» رواه مسلم في الطهارة، باب الوضوء من لحوم الإبل (٨٠٠).

(١) لأن شطر القواعد الأصولية مأخوذة من كيفية فهم الرجل العربي (الذي كلامه حجة في النحو والصرف) للكلام العربي، ولذا قال الشهاب القرافي رحمه الله تعالى في الفروق (١/٢): «إن الشريعة المحمدية اشتملت على أصول وفروع، وأصولها قسمان: أحدهما: المسمى بـ «أصول الفقه»، وهي في غالب أمره ليس فيه إلا قواعد الأحكام الناشئة عن الألفاظ العربية خاصة، وما يعرض لتلك الألفاظ من النسخ، والترجيح، ونحو الأمر للوجوب، والنهي للتحريم، والصيغة الخاصة للعموم، ونحو ذلك، وما خرج عن هذا النمط إلا كون القياس حجة، وخبر الواحد، وصفات المجتهدين.

القسم الثاني: قواعد كلية فقهية، جليّة، كثيرة العدد، عظيمة المدد، مشتملة على أسرار الشرع وحكمه، لكل قاعدة من الفروع في الشريعة ما لم يخص، ولم يذكر منها شيء في أصول الفقه وإن اتفقت الإشارة إليه هناك على سبيل الإجمال».

(٢) وكذا عند الحنفية والمالكية. (عمدة القاري للعيني: ٣/١٠٤، عارضة الأحوذ لابن العربي: ١/١١٠).

(٣) رواه أبو داود في الطهارة، باب في ترك الوضوء، مما مست النار (١٩٢).

(٤) وبه قال الحنابلة، قال ابن قدامة رحمه الله في المغني (١/٢٤٦): «أكل لحم الإبل ينقض الوضوء على كل حال: نيئاً، ومطبوخاً، عالماً كان أو جاهلاً».

وبهذا قال جابر بن سمرة، ومحمد بن إسحاق، وإسحاق، وأبو خيثمة، ويحيى بن يحيى، وابن المنذر، وهو أحد قولي الشافعي. قال الخطابي: ذهب إلى هذا عامة أصحاب الحديث.

يقول الإمام النووي رحمه الله في شرح مسلم (٢٧٢/٤): «وهذا المذهب أقوى دليلاً وإن كان الجمهور على خلافه، وقد أجاب الجمهور عن هذا الحديث بحديث جابر «كان آخر الأمرين من رسول الله ﷺ ترك الوضوء ممّا مسّت النار»، ولكن هذا الحديث عامٌ وحديث الوضوء من لحوم الإبل خاصٌّ، والخاصُّ مقدّم على العام»^(١).

لقد أُلّف على هذه الطريقة كتبٌ كثيرةٌ يخطئها العدوّ، ولكن ينتهي مجموع هذه الكتب إلى ثلاثة كتبٍ عليها المعول، وإليها المرجع والمآل، وهي:

١- المعتمد في أصول الفقه لأبي الحسين البصري المعتزلي^(٢) المتوفى سنة (٤٣٦هـ).

٢- البرهان في أصول الفقه لإمام الحرمين^(٣) المتوفى سنة (٤٧٨هـ).

٣- المستصفى من علم الأصول للإمام الغزالي^(٤) المتوفى سنة (٥٠٥هـ).

يقول أستاذنا الدكتور مصطفى الخن حفظه الله تعالى في كتابه القيم «أبحاث حول الأصول الفقه» بعد أن ذكر عديداً من الكتب التي أُلّف على طريقة المتكلمين: «هذه هي أمهات كتب

(١) وقال في المجموع (٦٦/٢): «وهو قول أحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه، ويحيى بن يحيى، وحكاها الماوردي عن جماعة من الصحابة: زيد بن ثابت، وابن عمر، وأبي موسى، وأبي طلحة، وأبي هريرة، وعائشة. وحكاها ابن المنذر عن جابر بن سمرة الصحابي، ومحمد بن إسحاق، وأبي ثور، وأبي خيثمة. واختاره من أصحابنا أبو بكر ابن خزيمة، وابن المنذر. وأشار إليه البيهقي».

(٢) وأبو الحسين: هو محمد بن علي بن الطيب البصري، أبو الحسين، إمام المعتزلة بزمانه، وكان ممن يُشار إليه في علمي الأصول والكلام، وكان قوي المعارضة والمجادلة، والدفاع عن آراء المعتزلة، له مؤلفات انتفع بها الناس لغزير مادتها وبلغ عبارتها منها: المعتمد في الأصول، توفي رحمه الله تعالى سنة ٤٣٦هـ. (الفتح المبين: ٢٤٩/١).

(٣) وإمام الحرمين: هو عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني الشافعي، الفقيه الأصولي، الأديب، وهو المراد بإطلاق «الإمام» في كتب الفقه وكذا في كتب الأصول المتقدمة لدى الشافعية، كان أعلم أهل زمانه بالكلام والفقه والأصول، وأكثرهم تحقيقاً وأقواهم حجةً، وضرب المثل بذكائه ونجايبته، كان يجلس للوعظ والمناظرة ويحضر دروسه الأئمة، وبقي على ذلك ثلاثين سنة، وله مؤلفات كثيرة منها: النهاية في الفقه، والبرهان والشامل في الأصول، توفي رحمه الله سنة ٤٧٨هـ. (الفتح المبين: ٢٧٣/١).

(٤) والغزالي: هو محمد بن محمد بن أحمد الغزالي حجة الإسلام، أبو حامد الشافعي، الفقيه الأصولي، المتصوف، الأديب، الشاعر، مربّي السالكين، جامع أشتات العلوم في المعقول والمنقول، كان شديد الذكاء، شديد النظر، سليم الفطرة، عجيب الإدراك، قوي الحافظة، غواصاً على المعاني الدقيقة، معنياً بالإشارات الرقيقة، جامعاً بين علم الظاهر والحقيقة، وله مؤلفات نفيسة منها: الإحياء، والمستصفى، والوسيط، وغيرها الكثير، توفي رحمه الله سنة ٥٠٥هـ. (الفتح المبين: ٨/٢).

الأصول المتداولة بين العلماء وطلاب العلم ، ومهما ذكرنا من كُتب للمتقدمين فقد تمخضت هذه المؤلفات عن ثلاثة كتب كانت هي العمدة والمرجع لدارسي علم أصول الفقه :

أولها : كتاب المعتمد لأبي الحسين البصري المعتزلي .

ثانيها : كتاب البرهان لإمام الحرمين الشافعي .

ثالثها : كتاب المستصفى لحجة الإسلام الغزالي .

هذه الكتب الثلاثة هي التي كانت عليها المعول وإليها المآل ، وكان كل ما بعدها يدور حولها إما جمعاً وإما تلخيصاً وإما اختصاراً .

فمن قام بجمعها وتلخيصها الإمامان الجليلان : فخر الدين الرازي المتوفى سنة (٦٠٦هـ) في كتابه «المحصول» ، وسيف الدين الأمدي المتوفى سنة (٦٣١هـ) في كتابه المسمى بـ «الإحكام في أصول الأحكام»^(١) .

وقال ابنُ خلدون رحمه الله : «وكان من أحسن ما كتب فيه المتكلمون كتاب «البرهان» لإمام الحرمين ، و «المستصفى» للغزالي ، وهما من الأشاعرة ، وكتاب «العُمد»^(٢) لعبد الجبار وشرحه

(١) أبحاث حول أصول الفقه لأستاذنا الدكتور مصطفى الخن : (ص : ٢٩٦) .

وقال الدكتور محمد حسن هيتو حفظه الله تعالى في كتابه الوجيز (ص : ٢٢-٢٣) : « وقد انتهى مجموع هذه الكتب إلى أربعة كتب عليها المعول ، وإليها المرجع والمآل ، وكان كل ما بعدها مقتبساً منها ، ومعتمداً عليها ، وهي :

١ - العمد للقاضي عبد الجبار المعتزلي (المتوفى سنة ٤١٥هـ) .

٢ - المعتمد لأبي الحسين البصري المعتزلي (المتوفى سنة ٤٣٦هـ) .

٣ - البرهان لإمام الحرمين (المتوفى سنة ٤٧٨هـ) .

٤ - المستصفى للإمام الغزالي (المتوفى سنة ٥٠٥هـ) .

فقد قام بجمعها وتلخيصها الإمام فخر الدين الرازي المتوفى سنة (٦٠٦هـ) في كتابه «المحصول» ، والإمام سيف الدين الأمدي المتوفى (سنة ٦٣١هـ) في كتابه المسمى بـ «الإحكام في أصول الأحكام» ، ومن ثم توالى الشروح والاختصارات لهذين الكتابين .

ولا خلاف بين ما ذكره الدكتور هيتو وبين ما ذكره أستاذنا الدكتور حفظهما الله تعالى ، لأن أبا الحسين البصري وضع آراء شيخه القاضي عبد الجبار في كتابه «المعتمد» وزاد عليه ، ومن ثم أصبح «المعتمد» مرجعاً لآراء أبي الحسين وشيخه القاضي عبد الجبار ، فاكتفى بذكره أستاذنا الدكتور ، وأما الدكتور هيتو فصل ، ولكل وجهة هو موليها ، والله تعالى أعلم .

(٢) لقد تصحف اسم الكتاب في نسخة مقدمة ابن خلدون (ص : ٤٢١) ، طبعة دار الكتاب العربي ، تحقيق الدكتور محمد الإسكندراني إلى «العهد» .

«المعتمد» لأبي الحسين البصري، وهما من المعتزلة، وكانت الأربعة قواعد هذا الفن وأركانها. ثم لخص هذه الكتب الأربعة فحلائ من المتكلمين المتأخرين وهما: الإمام فخر الدين بن الخطيب في كتاب «المحصول»، وسيف الدين الأمدي في كتاب «الإحكام». واختلف طرائقهما في الفن بين التحقيق والحجاج، فابن الخطيب أميل إلى الاستدكار من الأدلة والاحتجاج، والأمدي مولع بتحقيق المذاهب وتفريع المسائل^(١). ومن ثم توالى الشروح والاختصارات لهذين الكتابين العظيمين اللذين هما خلاصة مباحث أصول الفقه، والحبل الجامع لمسائله الكثيرة التي يخلو عن كثيرها كتب قبلهما. أما «المحصول في علم أصول الفقه» للفخر الرازي: فقد كثرت مختصراته^(٢) فمن أحسنها «الحاصل من المحصول في أصول الفقه» للإمام تاج الدين أبي عبد الله محمد بن الحسن الأرموي^(٣) المتوفى سنة (٦٥٣هـ).

واختصر «الحاصل» القاضي عبد الله بن عمر البيضاوي الشافعي المتوفى سنة (٦٨٥هـ)، وسماه «منهاج الوصول إلى علم الأصول».

قال جمال الدين الإسنوي^(٤)، رحمه الله تعالى: «واعلم أن المصنف [أي القاضي البيضاوي] رحمه الله تعالى أخذ كتابه من «الحاصل» للفاضل تاج الدين الأرموي،

(١) مقدمة ابن خلدون، ص: ٤٢١.

(٢) قال ابن خلدون في المقدمة (ص: ٤٢١): «وأما كتاب «المحصول» فاختصره تلميذ الإمام سراج الدين الأرموي في كتاب «التحصيل»، وتاج الدين الأرموي في كتاب «الحاصل». واقتطف شهاب الدين القرافي منهما مقدمات وقواعد في كتاب صغير سماه «التنقيحات» واسمه كما في مقمة التنقيح للقرافي (ص: ٢): «تنقيح الفصول في اختصار المحصول»، وكذلك فعل البيضاوي في كتاب «المنهاج»، وغني المبتدئون بهذه الكتابين وشرحهما كثير من الناس».

(٣) والأرموي: هو محمد بن الحسين بن عبد الله الأرموي الشافعي، أبو الفضائل، كان من أكبر تلاميذ الفخر الرازي، وبارعاً في العقلية، وكانت له حشمة وثورة ووجاهة، وفيه تواضع، استوطن بغداد، ودرّس بالمدرسة الشريفة، توفي رحمه سنة ٦٥٣هـ. (طبقات الشافعية للإسنوي: ٢١٦/١).

(٤) والإسنوي: هو عبد الرحيم بن الحسن بن علي القرشي الأموي الإسنوي المصري الشافعي، جمال الدين أبو محمد، الفقيه الأصولي، النحوي، النظار، المتكلم، برع في الفقه، والأصول، والعربية، انتهت إليه رئاسة الشافعية، وكان ناصحاً في التعليم مع البر والدين، والتواضع والتؤدة، يُقرب المساكين، وله مؤلفات مفيدة منها: نهاية السؤل، والمهمات، والتمهيد، توفي رحمه الله سنة ٧٧٢هـ. (الفتح المبين: ١٩٣/٢).

و«الحاصل» أخذه مصنفه من «المحصول» للإمام فخر الدين ، و «المحصول» استمداده من كتابين لا يكاد يخُرج عنهما غالباً :

أحدهما : المستصفى لحجة الإسلام الغزالي .

والثاني : المعتمد لأبي الحسين البصري .

حتى رأيتُه ينقل منهما الصفحة أو قريباً منها بلفظهما ، وسببه - على ما قيل - أنه كان يحفظهما ^(١).

لقد رُزق «المنهاج» القبول لدى العلماء والطلبة وكثرت عليه شروح ^(٢) ، منها شرح تاج الدين السبكي المسمى بـ «الإبهاج في شرح المنهاج» الذي بدأ به والده تقي الدين السبكي إلى قول البيضاوي : «الواجب أن تناول كل واحدٍ فهو فرض عين» ثم أتمه ابنه تاج الدين السبكي ، رحمهما الله تعالى .

وأما «الإحكام في أصول الأحكام» لسيف الدين الآمدي ^(٣) :

فمن اختصره الإمام أبو عمرو عثمان بن عمرو الشهير بـ «ابن الحاجب» ، المتوفى سنة (٦٤٦هـ) وسماه بـ «منتهى السؤل ولأمل في علمي الأصول والجدل» ، ثم اختصر أيضاً مختصره هذا في كتاب سماه «مختصر المنتهى» الذي أكتب طلاب العلم عليه دراسة وحفظاً ، وغني به العلماء شرحاً وتحقيقاً وتعليقاً .

يقول ابن الحاجب ، رحمه الله تعالى في مختصر المنتهى : «...أما بعد ، فإني لما رأيت قصور الهمم عن الإكثار ، وميلها إلى الإيجاز والاختصار ، صَنَفْتُ مختصراً في أصول الفقه ، ثم اختصرته على وجهٍ بديع ، وسبيلٍ منيع ، لا يَصُدُّ اللبیب عن تعلّمه صاّدٌ ، ولا يردُّ الأريب عن تفهّمه راّدٌ» ^(٤).

(١) نهاية السؤل في شرح منهاج الوصول إلى علم الأصول للإسنوي : ٦٥/١ .

(٢) ومن أحسن هذه الشروح : شرح جمال الدين الإسنوي المسمى بـ «نهاية السؤل في شرح منهاج الوصول إلى علم الأصول» ، وشرح التاج السبكي المسمى بـ «الإبهاج في شرح المنهاج» .

(٣) قال ابن خلدون في المقدمة (ص: ٤٢١) : «وأما كتاب «الإحكام» للآمدي ، وهو أكثر تحقيقاً في المسائل ، فلخصه أبو عمر ابن الحاجب في كتابه المعروف بالمختصر الكبير [اسمه : منتهى السؤل في علمي الأصول والجدل] .

ثم اختصره في كتاب آخر [وهو مختصر المنتهى الشهير بمختصر ابن الحاجب] تداوله طلبة العلم ، وغني أهل المشرق والمغرب به وبمطالعة وشرحه ، وحصلت زبدة طريقة المتكلمين في هذا الفن في هذه المختصرات .

(٤) مختصر ابن الحاجب : ٥/١ ، (مع شرح العضد) .

ويقول السيد الشريف الجرجاني ، رحمه الله تعالى في حاشيته على شرح العضد على مختصر ابن الحاجب : « قوله [أي عضد الدين في شرح المختصر] : (ينحصر المختصر) يعني أن ضمير «ينحصر» إما أن يرجع إلى المختصر المدلول عليه بقوله [أي بقول ابن الحاجب السابق] : «اختصرتُ» ، لا إلى المختصر المذكور لفظاً ، فإنه كتابه المسمى بـ «المنتهى» الذي اختصره من «الإحكام» ، ثم اختصر هذا الكتاب منه»^(١).

لقد كثرت الشروح على « مختصر » ابن الحاجب^(٢) كما كثرت على «منهاج» البيضاوي، فمنها شرح تاج الدين السبكي المسمى بـ «رفع الحاجب عن مختصر ابن الحاجب» ، وهو شرح في غاية النفاسة والتحقيق كما قال الدكتور هيتو حفظه الله تعالى في خطبة كتابه «الوجيز في أصول الفقه»^(٣).

وبعد أن شرح تاج الدين السبكي رحمه الله تعالى كلاً من «منهاج» البيضاوي و«مختصر» ابن الحاجب^(٤)، اختصرهما مع زيادات كثيرة نفيسة في كتابه «جمع الجوامع».

يقول رحمه الله تعالى في خطبة «جمع الجوامع» : « وَنُضْرَعُ إِلَيْكَ [يا الله] في منع الموانع عن إكمال «جمع الجوامع» الآتي من فن الأصول بالقواعد القواطع ، البالغ من الإحاطة بالأصلين مبلغ ذوي الجِدِّ والتشمير ، الوارد من زهاء مئة مصنّف منها لا يُروى ويَمِير ، المحيط بزيادة ما في شرحي على المختصر والمنهاج»^(٥).

أكتب على «جمع الجوامع» طلاب العلم دراسةً وحفظاً ، وغني به العلماء شرحاً^(٦)

(١) حاشية الجرجاني على شرح العضد : ٥ / ١ .

تنبيه : لقد عزي بعضُ المعاصرين قولَ السيد الجرجاني هذا إلى الهروي المحشّي على «شرح العضد»، وهو غلط ، سببه سبق نظير ، إذ هما مطبوعتان مع بعضهما بعض مع حاشية السعد التفتازاني ، والله تعالى أعلم .

(٢) قال المراغي في الفتح المبين (٢/ ٦٧) : «وهو مختصرٌ غريبٌ في صنّعه ، بديعٌ في فنّه ، غايةٌ في الإيجاز ، يحكي بحسن إيرادهِ الإعجازَ ، اعتنى بشأنه العلماءُ الأعلامُ في سائرِ الأقطار ، وهو كتابُ الناسِ شرقاً وغرباً ، وكان الشيخُ كمالُ الدين ابن الزمكاني يقول : ليس للشافعية مختصرٌ مثلُ مختصر ابن الحاجب للمالكية».

(٣) الوجيز في أصول الفقه للدكتور هيتو (ص : ٢٤) .

(٤) قال الجلال المحلي في البدر الطالع (١ / ٤٦) : «وناهيك بكثرة فوائدهما».

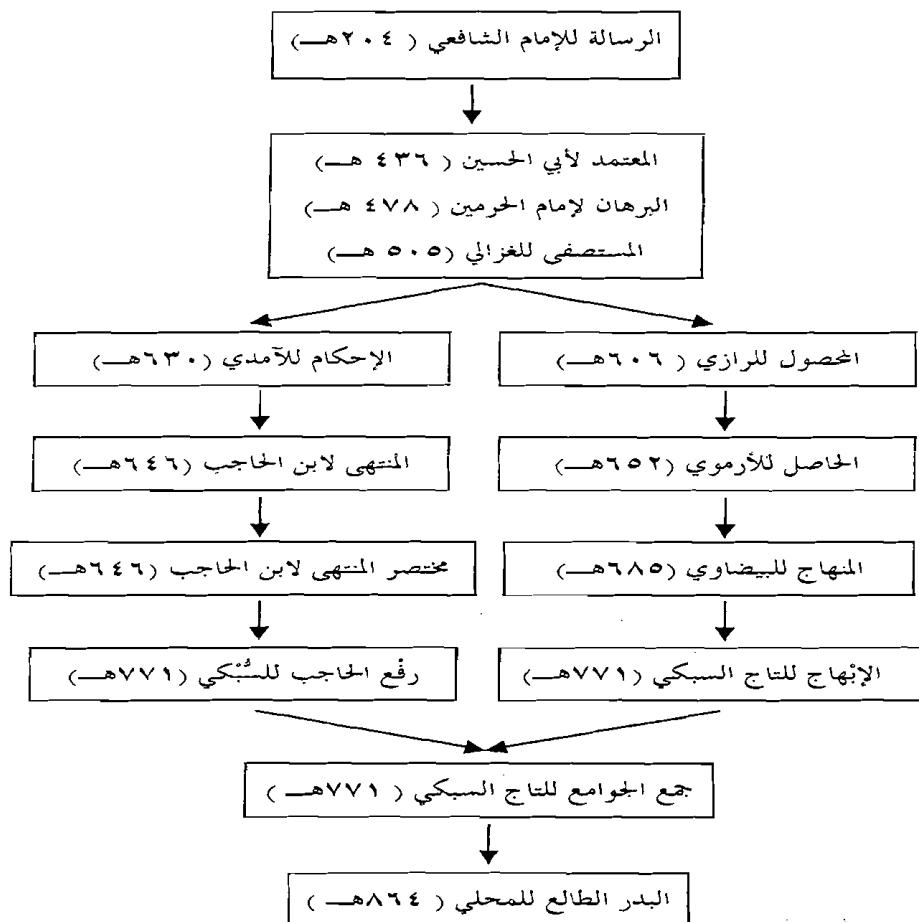
(٥) جمع الجوامع للسبكي : ١ / ٢٧ . (مع تشنيف المسامع للزركشي) .

(٦) ومن أوسع شروحه شرح بدر الدين الزركشي المتوفى سنة ٧٩٤ هـ ، المسمى بـ «تشنيف المسامع» =

وتحقيقاً وتعليقاً واختصاراً^(١) ونظماً^(٢) ، وكثرت الشروح عليه ، ومن أحسنها شرح جلال الدين المحلي المسمى بـ « البدر الطالع في حل جمع الجوامع » .

يقول حاجي خليفة رحمه الله تعالى : « له [أي لجمع الجوامع] شروح كثيرة أحسنها شرح جلال الدين محمد بن أحمد المحلي الشافعي المتوفى سنة ٨٦٤ هـ »^(٣) .
وفيما يأتي مخطط يبين النسب العلمي للكتب السابقة :

-
- = بشرح جمع الجوامع ، طبع بعدة طبعات ، وهذبه تلميذ ولي الدين العراقي المتوفى سنة ٨٢٦ هـ ، وسماه « الغيث الهامع شرح جمع الجوامع » وهو مما تُشَدُّ إليه الرحال .
- (١) وممن اختصره شيخ الإسلام زكريا الأنصاري المتوفى سنة ٩٢٦ هـ ، وسماه « لب الأصول » ، ثم شرحه ، وسماه « غاية الوصول شرح لب الأصول » .
- (٢) وممن نظمه جلال الدين السيوطي المتوفى سنة ٩١١ هـ ، وسماه « الكوكب الساطع في نظم جمع الجوامع » ، ثم شرحه ، وهو مطبوع بتحقيق محمد الحبيب بن محمد في مكتبة نزار مصطفى الباز بمكة المكرمة ، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م .
- (٣) كشف الظنون : ١ / ٥٩٥ .



وصف النسخ التي اعتمدت في التحقيق

لقد اعتمدت في تحقيق الكتاب على ثلاث نسخ،

النسخة الأولى: وهي موجودة في مكتبة الأسد الوطنية بدمشق، تحت رقم (٣٨٣٩)، أصول الفقه.

بدايتها: والحمد لله على إفضاله... هذا ما اشتدت إليه حاجة المتفهمين لجمع الجوامع من شرح يحل ألفاظه، ويبين مراده، ويحقق مسائله، ...

نهايتها: ... في الجنة التي تختلف المراتب فيها على قدر الأعمال، ...

نسخها تلميذ الشارح جلال الدين السيوطي، وعدد أوراقها (١٦٩ ورقة) بقياس (١٨ × ١٤ سم)، (٢٣ سطر)، وهي نسخة مصححة، عليها مشاهدة الشارح بخطه سنة (٨٣٧هـ)، وخطها نسخي، ووُضعت خطوط فوق عبارات المتن بالحرمة.

النسخة الثانية: وهي موجودة في مكتبة الأسد الوطنية بدمشق تحت رقم (١٧٤٧٥)، أصول الفقه.

بدايتها ونهايتها مثل الأولى، نسخها أحمد بن إبراهيم بن أبي بكر، وعدد أوراقها (١٦٥ ورقة) بقياس (٣٠ × ١٧ سم)، (١٩ سطر) وهي نسخة مصححة، عليها حواش.

النسخة الثالثة: وهي موجودة في مكتبة الأسد الوطنية بدمشق تحت رقم (٢٨٤١)، أصول الفقه.

نسخها محمد بن علي بن نجم الدين، عدد أوراقها (١٩٣ ورقة) بقياس (١٨ × ١٣ سم)، (١٧ سطر) وهي نسخة مصححة.

بدايتها: الإباحة، إذ بارتفاع الوجوب ينبغي ارتفاع الطلب، فيثبت التخيير، وقيل: هو الاستحباب، إذا المحقق بارتفاع الوجوب انتفاء الطلب الجازم، فيثبت الطلب غير الجازم.

نهايتها: ... في الجنة التي تختلف المراتب فيها على قدر الأعمال، ...

تاريخ النسخ: ٨٩٠ هـ.

وكذا قابلته بنسخة مطبوعة بالمطبعة الإسلامية في بلدة تيميرخان شورا من بلاد داغستان، وتسمى تيميرخان شورا اليوم بـ «يُنْكُسْ»، وهي نسخة قيمة مقروءة على العلماء الكبار، وعلى هامشها حواش وتعليقات مفيدة، ووضعت على هامش الكتاب أرقام النسخة الداغستانية.

وكذا راجعت في بيان الأرجح عند اختلاف النسخ إلى كتاب «غاية الوصول»، لشيخ

الإسلام زكريا الأنصاري (٩٢٦هـ) تمليز الشارح، لأنه سَلَكَ عبارة المحلي في هذا الكتاب، فقال في مقدمة غاية الوصول (ص: ٢): «... وبعد، فهذا شرحٌ لِمُخْتَصَرِي الْمَسْمُى بِ «لُبِّ الْأُصُولِ»، الذي اختصرْتُ فيه «جَمْعُ الْجَوَامِعِ»، يُبَيِّنُ حَقَائِقَهُ، وَيُوضِّحُ دَقَائِقَهُ، وَيَذِلُّ مِنَ اللَّفْظِ صَعَابَهُ، وَيَكْشِفُ عَنْ وَجْهِ الْمَعَانِي نِقَابَهُ، سَالِكاً فِيهِ غَالِباً عِبَارَةَ شَيْخِنَا الْعَلَامَةِ الْمُحَقِّقِ الْفَهَامَةِ الْجَلَالِ الْمُحَلِّي، لِسَلَاسَتِهَا، وَحَسَنِي تَأْلِيفِهَا، وَرَوْماً لِحَصُولِ بَرَكَةِ مُؤَلِّفِهَا، وَسَمَّيْتُهُ «غَايَةَ الْوُصُولِ إِلَى شَرْحِ لُبِّ الْأُصُولِ»، وَاللَّهُ أَسْأَلُ أَنْ يَنْفَعَهُ بِهِ، وَهُوَ حَسْبِي، وَنَعَمَ الْوَكِيلُ» .

وحيثُ أَطْلَقْتُ «شَيْخَ الْإِسْلَام» فِي تَعْلِيقَاتِي مُرَادِي بِهِ شَيْخَ الْإِسْلَامِ زَكْرِيَا الْأَنْصَارِي هَذَا، فَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَسْأَلُ أَنْ يَجْمَعَنِي وَإِيَّاهُ وَسَائِرَ أَحِبَّائِي فِي الْفِرْدَوْسِ الْأَعْلَى مَعَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ بِمَنْنِهِ وَكَرَمِهِ، آمِينَ .



منهجي في تحقيق هذا الكتاب

يتمثل منهجي في تحقيق هذا الكتاب في الأمور الآتية :

الأول : كتابة نص المخطوطة حسب الرسم الإملائي ، ووضعُ علامات الترقيم الحديثة .

الثاني : المحافظة على التشكيل إذا كان موجوداً ، وذلك حسب الأهمية .

الثالث : تشكيل ما يلزم تشكيله لإيضاح النص .

الرابع : تشكيل الآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية الشريفة ، وأقوال العلماء ، ومتن جمع الجوامع ، والأعلام الأعجمية ، وغير ذلك مما يحتاج إلى التشكيل .

الخامس : إبراز متن «جمع الجوامع» مع وضعه بين القوسين ، ويكون ذلك بحرف ثخين هكذا : (مسألة : الخبر) بالنظر إلى أمور خارجة عنه (إما مقطوع بكذبه كالمعلوم خلافه ضرورة) مثل قول القائل : النقيضان يجتمعان ...) .

السادس : إخراج نص الكتاب كما أراده المصنف .

السابع : وضعُ متن « جمع الجوامع » للتاج السبكي في أعلى الصفحة ، فلأول مرة يخرج متن « جَمْعُ الجوامع » إلى عالم الكتب مطبوعاً مع شرحه فيما أعلم ، بحيث يستطيع القارئ أن يقرأه مع مراجعة الشرح ، أو يحفظه ، إذ هو جدير بالحفظ ، بل للحفظ كتبه المصنف .

الثامن : قمتُ بمُقارنة نُسخ المخطوطة مع المطبوع ، ثم أثبتُ ما ترجَّح لديّ أنه أقرب إلى مقصود الشارح ، ولا أشير إلى اختلاف النسخ في الحاشية ، إذ الخلاف بينها يسير .

التاسع : التخريج ، ويتمثل فيما يلي :

١ - إرجاع كل نص نقله المصنفُ التاج السبكي ، رحمه الله تعالى ، إلى مصدره حسب المستطاع ، فإن كان المصدر الذي نقل عنه مطبوعاً حاولتُ الحصولَ عليه وعزّو النص إليه مع تثبيت رقم الجزء - إن وجد - ورقم الصحيفة .

أما بالنسبة إلى المعاجم اللغوية فأضيف إلى ما ذكرتُ المادة أيضاً .

٢ - إرجاع كل نص نقله جلال الدين المَحلي ، رحمه الله تعالى ، إلى مصدره حسب المستطاع مع ذكر رقم الجزء - إن وجد - ورقم الصحيفة .

٣ - عزّو المذاهب إلى أربابها ، إذ المصنف وكذا الشارحُ يذكُران ما هو الراجح لديهما ، ثم باقي المذاهب بصيغة التمرّض من غير عزوٍ إلى قائله ، فأعزو كل المذهب بما فيه الراجح

إلى صاحبه بقدر المستطاع ، فإذا لم أستطع أن أعرف قائله ، وهو قليل ، أذكر من ذكره من الأصوليين .

٤ - عَزَّوَالآيَاتُ الْقُرْآنِيَّةُ الْوَارِدَةُ فِي الْمَتْنِ وَالشَّرْحِ ، وَمَا عُلِّقَتْ عَلَى الشَّرْحِ مَعَ ذِكْرِ اسْمِ السُّورَةِ وَرَقْمِ الْآيَةِ ، هَكَذَا : (سورة البقرة ، الآية : ٩) ، مثلاً ، ويكون تخريج الآيات الواردة في المتن والشرح في الهامش ، وتخرُّجُ الآيات الواردة فيما عُلِّقَتْ عَلَى الشَّرْحِ أَوْ الْمَتْنِ فِي دَاخِلِ النَّصِّ الَّذِي نَقَلْتُهُ وَأَضَعُهُ بَيْنَ مَعْقُوفَتَيْنِ هَكَذَا : [سورة البقرة ، الآية : ٩٩] .

٥ - تَخْرِيجُ الْأَحَادِيثِ النَّبَوِيَّةِ الْوَارِدَةِ فِي الشَّرْحِ ، وَكَذَا فِي الْكَلَامِ الَّذِي نَقَلْتُهُ تَعْلِيْقًا عَلَى الشَّرْحِ ، تَخْرِيجًا تَفْصِيلِيًّا مَعَ ذِكْرِ الْكِتَابِ ، وَالْبَابِ ، وَرَقْمِ الْحَدِيثِ ، وَلَا أَذْكَرُ رَقْمَ الصَّحِيفَةِ لِأَنَّ الْكُتُبَ السِّتَةَ (صحيح البخاري ، وصحيح مسلم ، وسنن أبي داود ، وجامع الترمذي ، وسنن النسائي ، وسنن ابن ماجه) فِي مَكْتَبَتِي الْخَاصَّةِ كُلِّهَا مَعَ الشُّرُوحِ ، هَكَذَا : رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي الصَّلَاةِ ، بَابِ الصَّلَاةِ فِي الْخُفَافِ (٣٨٧) .

وَإِذَا كَانَ الْحَدِيثُ فِي الْكُتُبِ السِّتَةِ (صحيح البخاري ، وصحيح مسلم ، وسنن أبي داود ، وجامع الترمذي ، وسنن النسائي ، وسنن ابن ماجه) أَخْرَجَهُ مِنْهَا جَمِيعًا لِفَائِدَةٍ ؛ وَهِيَ أَنَّ هَذِهِ الْكُتُبَ كُلِّهَا اعْتَنَى بِهَا الْعُلَمَاءُ بِالشَّرْحِ وَالِاسْتِنْبَاطِ وَالتَّعْلِيْقِ ، فَيُمْكِنُ الْقَارِئُ أَنْ يَسْتَفِيدَ مِنْ هَذِهِ الشُّرُوحِ بِالرُّجُوعِ إِلَيْهَا لَزِيَادَةِ الْفَائِدَةِ .

وَلَا أَتَكَلَّمُ عَلَى سِنْدِ الْحَدِيثِ لِأَنَّ حَدِيثَ الصَّحِيحِينَ أَوْ أَحَدَهُمَا قَطْعِي الشُّبُوتِ كَمَا قَالَ ابْنُ الصَّلَاحِ وَغَيْرُهُ ، وَسَيَأْتِي بَيَانُ ذَلِكَ فِي كِتَابِ «السَّيِّئَةِ» مِنْ هَذَا الشَّرْحِ .

وَإِذَا لَمْ يَكُنِ الْحَدِيثُ فِي الصَّحِيحِينَ أَوْ أَحَدَهُمَا قَمْتُ بِدِرَاسَةِ سِنْدِ الْحَدِيثِ لِإِثْبَاتِ الْحُكْمِ عَلَيْهِ ، وَأَوْيَدُ كَلَامِي بِكَلَامِ النِّقَادِ الْحِفَازِ ، وَشَرَّاحِ الْكُتُبِ السِّتَةِ ، وَشَرَّاحِ أَحَادِيثِ الْأَحْكَامِ ، وَغَيْرِهِمْ .

وَإِذَا لَمْ أَجِدْ لِحَدِيثٍ فِي الْكُتُبِ السَّابِقَةِ فَأَرْجِعُ إِلَى الْمَصْنُفَاتِ كَالْمَصْنَفِ لِابْنِ أَبِي شَيْبَةَ وَغَيْرِهِ ، وَالْمَسَانِيدِ كَمُسْنَدِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ وَغَيْرِهِ ، وَالسَّنَنِ الْأُخْرَى كَسَنَنِ الْحَافِظَيْنِ : الْبُخَارِيِّ وَالْبَيْهَقِيِّ ، حَسَبَ مَا تَوَفَّرَ لَدَيَّ مِنْ كُتُبِ الْحَدِيثِ .

وَإِذَا كَانَ الْحَدِيثُ فِي الشَّرْحِ خَرَجْتُهُ فِي الْهَامِشِ ، وَإِذَا كَانَ الْحَدِيثُ فِيمَا عُلِّقَتْ عَلَى الشَّرْحِ فَأَخْرَجْتُهُ فِي دَاخِلِ النَّصِّ الَّذِي نَقَلْتُهُ ، وَأَضَعُهُ بَيْنَ مَعْقُوفَتَيْنِ هَكَذَا : [رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي الصَّلَاةِ ، بَابِ صِفَةِ الْأَذَانِ ، ٨٤٠] مَثَلًا .

٦ - تَخْرِيجُ الْمَسَائِلِ الْفَقْهِيَّةِ ، أَخْرَجْتُهَا عَلَى الْمَذَاهِبِ الْأَرْبَعَةِ بِالرُّجُوعِ إِلَى الْكُتُبِ الْأَصْلِيَّةِ لَدَى كُلِّ مَذْهَبٍ غَالِبًا ، وَلَا أَذْكَرُ أَدْلَةَ الْمَذَاهِبِ ، لِأَنَّ مَبْحَثَهَا فِي الْفَقْهِ الْمَقَارَنَ ، وَالْمَطْلُوبُ هُنَا

معرفة اختلاف الفقهاء بسبب اختلافهم في الأصول ، أو معرفة قوة ما ذهب إليه السادة الشافعية بموافقة المذاهب الأخرى لهم ، إذ أدلة جمهور العلماء تكون أقوى غالباً .

العاشر : التعريفات بأنواعها : الأعلام ، الكتب ، الأماكن .

١ - التعريف بالأعلام الواردة في المتن ، والشرح ، وذلك بذكر اسم العلم ، وتاريخ ولادته ووفاته إن وجداً أو وجد أحدهما ، وأذكر موطنه ، ومذهبه الفقهي ، وأهم المناصب التي تولّاها ، وأهم كتاب أو كتابين من مؤلفاته ، وأجدّ شيوخه وتلاميذه ، وكل ذلك غالباً .

فإن كان المترجم له من رجال الحديث أذكر رأي علماء الجرح والتعديل فيه .

٢ - التعريف بالأماكن ، وذلك من كتب معاجم البلدان .

٣ - التعريف بالكتاب ، وذلك بذكر اسم الكتاب كاملاً ، أو بما اشتهر به مع ذكر اسم صاحبه .

الحادي عشر : التصحيح ، ويتمثل فيما يلي :

١ - تصحيح التحريف والتصحيح ، وهو التغير في شكل الحروف أو رسمها ، أو نطقها ، ولا أفترق بينهما ، بل أجعلهما مترادفين ، فأثبت الذي أراه صواباً في الأصل ولا أذكر التصحيح أو التحريف في الهامش ، حتى لا تنقل الحواشي .

٢ - إضافة الساقط من النسخة المعتمدة عليها إذا وجد في الأخرى ولا أشير إليه في الهامش أيضاً اختصاراً .

الثاني عشر : ترجيح الروايات : إذا اختلفت النسخ في نص ما من كلام الشارح مع صحة الكلام في كل منهما فإنني أثبت في الأصل ما أراه أولى ، ولا أشير في الهامش إلى أخرى .

الثالث عشر : التفسير والشرح لما في المخطوطة ، وذلك حسب ما يتطلبه المقام .

الرابع عشر : إيضاح المشكل من النصوص ، وذلك حسب ما يتطلبه المقام .

الخامس عشر : بيان محلّ النزاع في المسائل المختلفة ، سواء كانت المسألة فقهية أو أصولية ، ثم ذكر مذاهب العلماء فيها .

ملاحظة : سلكْتُ طريقاً في شرح هذا الكتاب ، وهو أنني لا أذكر نصّ إمام (أو أئمة) فيما أعلقه إلا نادراً لحاجة تمسُّ به ، بل أذكر خلاصة كلام إمام (أو أئمة) ، ثم أضع بين القوسين المرجع (أو المراجع) ، وأحياناً يكون أصلُ كلامي في هذا المرجع فأذكره مشروحاً مزيداً ، فيعلم أن أصلَ الفكرة أو الفائدة لذاك الإمام ، وأنا الناقل منه .

رَفَعُ
عبد الرحمن النجدي
أُسَلِّمُ النَّبِيَّ الْفَرُوسَ

بَابُ

فِي

ترجمة صاحب المتن التاج السبكي والشارح
الجلال المحلي

ويحتوي على فصلين :

الفصل الأول : في ترجمة صاحب المتن التاج السبكي

الفصل الثاني : في ترجمة الشارح الجلال المحلي

رَفْعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

الفصل الأول

في

ترجمة صاحب المتن التاج النبوي

ويحتوي على أربعة مباحث :

المبحث الأول : في اسمه، ونسبه، وكنيته، ولقبه ؛

المبحث الثاني : في ولادته، ونشأته، ووفاته ؛

المبحث الثالث : في شيوخه وتلاميذه ؛

المبحث الرابع : في مؤلفاته .

المبحث الأول

اسم السبكي ، ونسبه ، ولقبه ، وكنيته

هو عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام بن يوسف بن موسى بن تمام^(١) بن حامد بن يحيى بن عمر بن عثمان بن علي بن سيّار بن سوار بن سُلَيْم السبكي ، الأنصاري ، الخزرجي ، أبو نصر تاج الدين ، الشافعي .

هكذا أثبت المصنف رحمه الله تعالى نسبه في ترجمة والده من طبقاته^(٢) ، وقال في ترجمة جده عبد الكافي^(٣) في نسبته إلى الأنصار: «نقلْتُ من خط الجَد، رحمه الله تعالى، نسبتنا معاشِرَ السبكية إلى الأنصار ﷺ، وقد رأيت الحافظَ النسابةَ شرف الدين الدميّاطي^(٤)، رحمه الله تعالى، يكتب بخطه للشيخ الإمام الوالد ، رحمه الله تعالى :

«الأنصاري الخزرجي ، ...» .

ولم يكتب الشيخ الإمام ، رحمه الله تعالى ، بخطه لنفسه (الأنصاري) قط وإن كان شيخه الدميّاطي يكتبها له ، وإنما كان يترك الشيخ الإمام كتابة ذلك لوفور عقله ومزيد ورعه ، فلا يرى أن يطرق نحوه طعنٌ من المنكرين ، ولا يكتبها مع احتمال عدم الصحة خشية أن يكون قد دعا نفسه إلى قوم وليس منهم .

(١) انظر: الدرر الكامنة لابن حجر (٢/ ٢٥٨)، حسن المحاضرة للسيوطي (١/ ٢٨٢)، تاريخ ابن قاضي شهبة (٢/ ٣٧٢) ، طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة (٢/ ٢٥٦) ، شذرات الذهب لابن العماد (٨/ ٣٨٩) ، البدر الطالع للشوكاني (ص ٤١٥) ، الدارس في تاريخ المدارس لعبد القادر النعمي (١/ ٢٨) ، التجوم الزاهرة (١١/ ٨٦) ، الأعلام للزركلي (٤/ ١٨٤) .

(٢) طبقات الشافعية الكبرى لتاج الدين السبكي : ١٠ / ١٣٩ .

(٣) وعبد الكافي: هو عبد الكافي بن علي بن تمام السبكي ، أفضى القضاة ، زين الدين ، أبو أحمد ، حدّث بالقاهرة ، وغلب عليه الزهد ومدح النبي ﷺ ، وكثرة الذكر ، وله نظم كثير ، ولي قضاء الشرقية وأعمالها والغربية وأعمالها من الديار المصرية ، توفي رحمه الله تعالى سنة (٧٣٥هـ) .
(طبقات الشافعية الكبرى للسبكي : ١٠ / ٨٩-٩٠) .

(٤) الدميّاطي: هو عبد المؤمن بن خلف بن أبي الحسن بن شرف الدميّاطي ، أبو محمد ، حافظ المشرق والمغرب ، تشاغل أولاً بالفقه ثم طلب الحديث ، كان جميل الصورة جداً بساماً ، صحيح الكتب ، جيد العبارة ، مفيداً جداً ، وكتب في اللغة والحديث ، منها : قبائل الخزرج ، السيرة النبوية ، وغيرهما ، توفي رحمه الله تعالى سنة ٧٠٥هـ . (الدرر الكامنة : ٢/ ٢٥٣) .

وقد كان الشعراء يمدحونه ، ولا يخلون قصائدهم من ذكر نسبته إلى الأنصار ، وهو لا ينكر ذلك عليهم ، وكان رحمه الله تعالى أورع وأتقى لله من أن يسكت على ما يعرفه باطلاً ، وقد قرأ عليه شاعر العصر ابن بُبَاة^(١) غالبَ قصائده التي امتدحه بها وفيها ذكرُ نسبته إلى الأنصار ، والشيخ الإمام يقرّه ، وسمع له قصيدته التي يقول فيها :

مِنْ بَيْتِ فَضْلِ صَاحِبِ الْوَزْنِ قَدْ رَجَحَتْ بِهِ مَفَاخِرُ آبَاءٍ وَأَبْنَاءٍ
قَامَتْ لِنُصْرَةِ خَيْرِ الْأَنْبِيَاءِ طَبَا أَنْصَارِهِ وَاسْتَعَاضُوا خَيْرَ أَنْبَاءٍ
وكتب عليه طبقة السماع بخطه ، ...

ولو أنه رأى ذلك حقاً ما كتبه بخطه لما أعلم من ورعه وشدته في ذلك»^(٢) .

هذا في نسبته الشريفة إلى سادة الدنيا والآخرة أنصار رسول الله ﷺ :

وأما نسبته إلى (سُبُك) قال جمال الدين الإسنوي في طبقاته : «شيخنا تقي الدين علي بن عبد الكافي بن علي السبكي ، ... وُلِدَ بِسُبُكٍ مِنْ أَعْمَالِ الْمَنُوفِيَّةِ ، ثُمَّ رَحَلَ فِي صَبَاهُ إِلَى الْقَاهِرَةِ»^(٣) . وقال مجد الدين الفيروزآبادي رحمه الله تعالى : «سُبُكُ الضحاك بالضم قرية بمصر ، وسبك العبيد : أخرى بها ، منها شيخنا علي بن عبد الكافي»^(٤) .

وقال مرتضى الزبيدي رحمه الله تعالى : «والسبكي : نسبة إلى سُبُك ، قرية من أعمال المنوفية بمصر ، وتُعرف الآن بـ «سُبُك الأحد» ، منها شيخنا تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي»^(٥) .

(١) وابن بُبَاة: هو محمد بن محمد بن محمد بن الحسن بن علي بن نبأة المصري أديب ، وشاعر مشهور ، صاحب المصنفات الكثيرة ، منها : شرح العيون ، شعار اللبيب ، الزاهر المنثور ، وغير ذلك ، توفي رحمه الله سنة ٧٦٨ هـ .

(الدرر الكامنة : ٤ / ١٣٩ ، شذرات الذهب : ٣ / ٢١٢) .

(٢) طبقات الشافعية لتاج الدين السبكي : ١٠ / ٩٤-٩١ .

(٣) طبقات الشافعية للإسنوي : ١ / ٣٥٠ .

(٤) القاموس المحيط للفيروزآبادي : ٣ / ٤١٦ (س ، ب ، ك) .

(٥) تاج العروس للزبيدي : ٧ / ١٤٠ (س ، ب ، ك) .

المبحث الثاني

مولد السبكي ، ونشأته ، ووفاته

مولده : اختلف العلماء في تحديد مولد تاج الدين السبكي ، رحمه الله تعالى ، على ثلاثة أقوال :

أحدها : أن مولده كان سنة سبع وعشرين وسبعمئة (٧٢٧هـ - ١٣٢٦م) ، وهو الصحيح الذي قطع به جمهور من ترجم له ، منهم : الحافظ ابن حجر العسقلاني^(١) ، وابن العماد^(٢) ، والشوكاني^(٣) ، وابن قاضي شعبة في طبقاته^(٤) ، وحاجي خليفة^(٥) ، وكحالة^(٦) ، وإسماعيل باشا^(٧) ، والزركلي^(٨) ، وابن تغري^(٩) .

ثانيها : أن مولده كان سنة ثمان وعشرين وسبعمئة (٧٢٨هـ - ١٣٢٧م) ، ذكره بصيغة التمرّض ابن قاضي شعبة في تاريخه^(١٠) وطبقاته^(١١) ، والنعمي^(١٢) .

ثالثها : أن مولده كان سنة تسع وعشرين وسبعمئة (٧٢٩هـ - ١٣٢٨م) ، وبه قال الحافظان : الذهبي^(١٣) والسيوطي^(١٤) ، ومرتضى الزبيدي^(١٥) ، وابن قاضي شعبة في تاريخه^(١٦) .

- (١) الدرر الكامنة لابن حجر : ٢ / ٢٥٨ .
- (٢) شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي : ٨ / ٣٧٩ .
- (٣) البدر الطالع للشوكاني (ص : ٤١٥) .
- (٤) طبقات الشافعية لابن قاضي شعبة : ٢ / ٣٦٢ .
- (٥) كشف الظنون لحاجي خليفة : ١ / ١٠٠ .
- (٦) معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة : ٢ / ٣٤٣ .
- (٧) هدية العارفين لإسماعيل باشا : ١ / ٦٣٩ .
- (٨) الأعلام لخير الدين الزركلي : ٤ / ١٨٢ .
- (٩) النجوم الزاهرة لابن تغري : ١١ / ١٠٧ .
- (١٠) تاريخ ابن قاضي شعبة : ٢ / ٣٧٢ .
- (١١) طبقات الشافعية لابن قاضي شعبة : ٢ / ٣٦٤ .
- (١٢) الدارس في تاريخ المدارس للنعمي : ١ / ٣٧ .
- (١٣) المعجم الصغير للذهبي ، ص : ٣٥١ .
- (١٤) حسن المحاضرة للسيوطي : ١ / ٢٨٢ .
- (١٥) تاج العروس للزبيدي : ٧ / ١٤٠ .
- (١٦) تاريخ ابن قاضي شعبة : ٢ / ٣٧٢ .

نشأته ، وحياته :

نشأ تاج الدين السبكي في بيت علم وعفاف، وديانة وتقوى ، وفضل ونباهة، فأبوه قاضي القضاة تقي الدين السبكي هو الذي قام بتربيته وإرشاده في طلب العلم، والأخذ عن المشايخ الكبار ، وعَرَسَ فيه حبَّ الجدِّ والاجتهاد، والمحافظة على الوقت ، والتعوّد على السهر في مذاكرة العلم ، وفي ذلك يقول تاج الدين :

«وكان [يعني الشيخ الإمام الوالد] ينهانا عن نوم النصف الثاني من الليل، ويقول لي : يا بنيّ ، تعوّد السهر ولو أنك تلعب ، والويل كل الويل لمن يراه نائماً ، وقد انتصف الليل .

واجتمعنا ليلة أنا والحافظ تقي الدين أبو الفتح ، وأخي جمال الدين الحسين ، والشيخ فخر الدين الأقفسي ، وغيرهم ، فقال لي بعض الحاضرين : نشتهي أن نسمع مناظرته، فقلت له : الجماعة يريدون سماع مناظرتك على طريق الجدال؟

فقال : أبصروا مسألة فيها أقوال بقدر عددكم، وينصّر كل منكم مقالة يختارها من تلك الأقوال .
فقلت : مسألة الحرام؟

فقال : فليطالع كل منكم ويحرّر ما ينصره .

فقمنا وأعمل كل واحد جهده، ثم عدنا وقد كاد الليل ينتصف ، فصار كل منا يستدل على مقالته وهو يمتنع ويُبَيِّنُ فسادَ كلامه حتى انقطع الجميع ، ثم اختار مذهب كلُّ منا ونصره حتى نصر الجميع إلى أن قال له بعضنا : أين الباطل؟

فقال : الآن حصحص الحق ، المختار مذهب الشافعي، وطريق الردّ على المذهب الفلاني كذا، والمذهب الفلاني كذا، ...»^(١).

كما كان قاضي القضاة تقي الدين يحثّه على الجدِّ والمناظرة والدأب في طلب العلم كذلك كان يحثّه على الأخذ عن أئمة المشايخ ، ويختارهم له بنفسه ، وفي ذلك يقول تاج الدين رحمه الله تعالى :

«وكنْتُ كثيرَ الملازمة للحافظ الذهبي، أمضي إليه في كل يوم مرتين: بكرة والعصر، وأما الحافظ المزيّ فما كنت أمضي إليه غير مرتين في الأسبوع ، وكان سبب ذلك أن الذهبي كان كثير الملاطفة لي والمحبة فيّ ، وأما المزي فكان رجلاً عبوساً مهيباً ، وكان الوالد يحبّ لو كان أمري على العكس لعظمة المزي عنده .

(١) طبقات الشافعية للتاج السبكي : ١٠ / ٢٠٣ - ٢٠٤ .

وكنْتُ إذا جئت من عند شيخ يقول : هات ما استفدت ، ما قرأت ، ما سمعت ، فأحكي له مجلسي معه ، فكنت إذا جئت من عند الذهبي يقول لي : جئت من عند شيخك ؟ ... وإذا جئت من عند المزي فيقول : جئت من عند الشيخ ، ويرفع بها صوته ، وأنا جازم بأنه إنما كان يفعل ذلك ليثبت في قلبي عظمته ، ويحثني على ملازمته»^(١).

ويقول رحمه الله تعالى : « وشَغَرَ مرة مكان في دار لحديث الأشرفية فنزلني فيه ، فعجبت من ذلك فإنه كان لا يرى تنزيراً أولاده في المدارس ، فسألته ، فقال : ليقال : إنك كنت فقيهاً عند المزي »^(٢).

ويقول رحمه الله تعالى : « ولما توجهنا من دمشق إلى القاهرة في سنة اثنين وأربعين وسبعمئة ، ثم أمرنا السلطان بالعود إلى الشام لانقضاء ما كنا توجهنا لأجله ، استهمله الوالد أياماً لأجلي ، فمكث حتى أكملت على أبي حيان ما كنت أقرأه عليه ، وقال لي : يا بني ، هو غنيمة ، ولعلك لا تجده من سفرة أخرى ، وكان كذلك »^(٣).

ولا عجب في كون من نشأ بهذه العناية أعجبة العصر وفريد الدهر ، يقول ابن العماد الحنبلي رحمه الله تعالى في وصفه : « سمع بمصر من جماعة ، ثم قدم دمشق مع والده سنة (٧٣٩هـ) ، وسمع بها من جماعة ، واشتغل على والده وغيره ، ولازم الذهبي وتخرج به ، وطلب بنفسه ودأب ، وأجاز له شمس الدين ابن النقيب بالإفتاء والتدريس ، ولما مات ابن النقيب كان عمره ثمانية عشر سنة ، وأفتى ودرّس ، وصنّف ، واشتغل ، وناب عن والده بعد وفاة أخيه القاضي الحسين ، ودرّس بمدارس الشام : العزيزية ، والعادلية الكبرى ، والغزالية ، والعذراوية ، والشامية الجوانية ، والشمالية الكبرى ، ومشيخة دار الحديث ، وغير ذلك »^(٤).

(١) طبقات الشافعية للتاج السبكي : ١٠ / ٣٩٨ - ٣٩٩.

(٢) طبقات الشافعية للتاج السبكي : ١٠ / ٣٩٩.

(٣) طبقات الشافعية للتاج السبكي : ٩ / ٢٧٨.

(٤) شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي : ٨ / ٣٧٩ - ٣٨٠.

المدرسة العزيزية في شرقي التربة الصلاحية ، وغربي التربة الأشرفية ، وشمال الفاضلية بالكلاسة لصيق الجامع الأموي ، لما مات السلطان صلاح الدين بن أيوب بنى ولده الملك العزيز عثمان مدرسة إلى جانب الكلاسة بالجامع ، ونقل إليها والده ، وهي من مدارس الشافعية بالشام ، وممن درس فيها : جمال الدين عبد الصمد بن محمد الأنصاري العبادي الشافعي ، وشيخ المتكلمين سيف الدين الأمدي الشافعي . (الدارس : ١ / ٢٩٠ - ٣٠٢).

العادلية الكبرى : هي داخل دمشق ، شمال الجامع الأموي بغرب ، وشرقي الخانقاه الشهابية ، وتجاه =

ويقول الحافظ ابن حجر العسقلاني رحمه الله تعالى : « أَمَعَنَ فِي طَلَبِ الْحَدِيثِ ، وَكَتَبَ الأجزاء والطباق مع ملازمة الاشتغال بالفقه والأصول والعربية حتى مَهَرَ وهو شاب ، وأجاد في الخط والنظم والنثر ، وكان ذا بلاغة وطلاوة اللسان ، عارفاً بالأمور ، وانتشرت تصانيفه في حياته ، ورُزِقَ فيها السعد^(١) ، وولي خطابة الجامع ، وانتهت إليه رئاسة القضاء والمناصب بالشام ، وكان جواداً مهيباً ، وقد صنف تصانيف كثيرة جداً على صغر سنه ، قرئت عليه ، وانتشرت في حياته وبعد وفاته .

= باب الظاهرية يفصل بينهما الطريق ، وأول من أنشأها نور الدين محمود بن زنكي سنة (٦٥٨هـ) ، وتوفي ولم يتم ، فاستمرت كذلك ، ثم بنى بعضها الملك العادل سيف الدين سنة (٦١٢هـ) ، ثم توفي ولم يتمها أيضاً ، فتمسها ولده الملك المعظم سنة (٦٢٠هـ) وأوقف عليها أوقافاً كثيرة ، وهي مدرسة للشافعية ، وممن دُرِّسَ فيها : تقي الدين السبكي وولده : قاضي القضاة بهاء الدين أبو حامد أحمد ، وقاضي القضاة تاج الدين عبد الوهاب . (الدارس : ١ / ٢٧١-٢٧٨).

الغزالية : هي زاوية الشمالية الغربية شمالي مشهد النائب من الجامع الأموي ، تنسب إلى الغزالي لكون الإمام الغزالي جلس فيها لما دخل دمشق ، وتُنسب أيضاً إلى الشيخ ناصر الدين المقدسي لكونه أول من دُرِّسَ بها ، وممن دُرِّسَ بها : الشيخ عز الدين ابن عبد السلام ، وتقي الدين السبكي ، وولده : بهاء الدين وتاج الدين . (الدارس : ١ / ٣١٣-٣٢١).

المدرسة العذراوية : بحارة الغرباء داخل باب النصر ، وهي وقف على الشافعية والحنفية ، أنشأتها الست عذراء بنت شاهنشاه أخي صلاح الدين الأيوبي سنة ٥٨٠هـ ، أول من دُرِّسَ بها من الشافعية : الإمام فخر الدين ابن عساكر سنة (٥٩٣هـ) ، وممن درس بها : التاج السبكي . (الدارس : ١ / ٢٨٣-٣٩٠).

الشامية الجوانية : أنشأتها ست الشام بنت نجم الدين أيوب بن شادي ، وكانت هذه المدرسة داراً فجعلتها مدرسة ، وفيها توفيت ، فنقلت إلى تربتها ، وممن دُرِّسَ بها تقي الدين ابن الصلاح الشافعي ، وبهاء الدين السبكي . (الدارس : ١ / ٢٢٧-٢٣٦).

الشامية الكبرى : أنشأها ست الشام أخت الصلاح الدين الأيوبي ، وهي من أكبر مدارس ، وأعظمها ، وأكثرها فقهاء وأوقافاً ، وأول من درس بها القاضي شرف الدين عبد الله بن عبد الرحمن بن يحيى القرشي المتوفى سنة (٦١هـ) . (الدارس : ١ / ٢٠٨-٢٢٩).

دار الحديث الأشرفية : بناها الملك الأشرف مظفر الدين موسى بن العادل جوار القلعة الشرقية ، وجعل شيخها ابن الصلاح ، ووقف عليها الأوقاف ، وممن ولي مشيختها : الإمام النووي ، والحافظ ابن كثير ، والتاج السبكي . (الدارس : ١ / ١٥-٣٦) .

(١) كما رُزِقَ شيخنا وشيخُ شيوخنا ، أستاذنا وأستاذُ أساتذتنا العلامة الفقيه الأصولي ، اللغوي الأديب ، الأستاذ الدكتور مصطفى سعيد العَنَ حفظه الله تعالى في كتابه النفيس «أثر الاختلاف في القواعد الأصولية في اختلاف الفقهاء» ، وهو السابق في الفن (أي فن ذكر القواعد الأصولية المختلف فيها ، ثم بيان أثر ذلك في الفروع الفقهية) ، وكل من كتب فيه عالة على كتابه هذا ، وكتابه هذا يمتاز =

وجرى عليه مَحَنٌ وشِدَائِدٌ ما لم يَجِرْ على قاضٍ قبله ، وحصل له من المناصب والرياسة ما لم يحصل لأحد قبله ، وأبان في أيام محنته عن شجاعة وقوة على المناظرة حتى أفحم خصومه مع كثرتهم ، ثم عفا وصفح عَمَّنْ قام عليه ، وكان كريماً مهيباً^(١).

وبالجملة بدا سطوعُ نجمه في حياة والده ، وبرز على أقرانه ، ومهر في الفقه ، والأصول ، والحديث ، والتاريخ ، والأدب ، والعربية ، وهو في ريعان شبابه ، فكان شبيهاً بأبيه في العلم والنجابة ، ولو مدَّ الله تعالى في عمره لبلغ مبلغ أبيه وزاد عليه في شتى فنون العلم ، ولكن مع قصر عمره صار مرموقاً يشار إليه بالبنان ، وانتشرت تصانيفه في حياته وبعد مماته^(٢) ، جمَعنا الله تعالى معه في مستقرِّ رحمته إنه كريم رحيم .

وفاته :

لم يطل العمر بقاضي القضاة تاج الدين السبكي ، إذ وافته المنية في ريعان شبابه ، فاتفق العلماء على أنه رحمه الله تعالى مات شهيداً بالطاعون في ذي الحجة ، خطب يوم الجمعة ، وطُعن ليلة السبت ، ومات في عصر يوم الثلاثاء سابع ذي الحجة سنة إحدى وسبعين وسبع مئة (٧٧١هـ - ١٣٧٠م) ، عن أربع وأربعين سنة ، ودُفِن في تربتهم بسفح قاسيون^(٣) .

٢

= عن كُتُبٍ أخرى في الفقه والأصول بروح أدبي رفيع ، وهو كما قال حفظه نفسه عنه : «سهلٌ مُمتنعٌ» ، يعرفه كل منصفٍ ، وهو كتابُ الناسِ شرقاً وغرباً ، والله تعالى أسأل أن يبارك في حياة شيخنا المجاهد ، وأن يجعل أولاده (وهم بررة) وتلاميذه قرة عينٍ له ، آمين .

(١) الدرر الكامنة لابن حجر : ٢ / ٢٥٩ - ٢٦٠ .

(٢) انظر : حسن المحاضرة للسيوطي (١ / ٢٨٢) ، تاريخ ابن قاضي شهاب (٢ / ٣٧٣) ، الدارس في تاريخ المدارس (١ / ٢٨) ، طبقات الشافعية لابن قاضي شهاب (٢ / ٢٥٦) ، النجوم الزاهرة (١١ / ٨٦-٨٧) ، قضاة دمشق (ص : ١٠٥-١٠٦) ، معجم المؤلفين لكحالة (٢ / ٣٤٣) ، الوفيات لابن رافع (٢ / ٣٦٣) ، الأعلام للزركلي (٤ / ١٨٤) .

(٣) انظر : الدرر الكامنة (٢ / ٢٦٠) ، حسن المحاضرة (١ / ٢٨٣) ، طبقات ابن قاضي شهاب (٢ / ٢٥٨) ، تاليف ابن قاضي شهاب (٢ / ٣٧٥) ، قضاة دمشق (ص : ١٠٦) .

المبحث الثالث

شيخ التاج السبكي ، وتلاميذه

شيخ تاج الدين السبكي :

حُظي قاضي القضاة تاج الدين السبكي ، رحمه الله تعالى ، في حياته الدراسية بأكابر علماء عصره الذين بلغوا درجة الاجتهاد ممن كان لهم دور كبير في حياته العلمية آنذاك ، فتأثر بأخلاقهم واقتدى بهم في العلم والعمل ، وكان أكثرهم تعليماً له وتأثيراً في شخصيته والده قاضي القضاة تقي الدين الذي كان يشار إليه بالبنان في ذلك العصر ، فقد تربى في حجره ولازمه إلى أن قضى نحبه ، رحمه الله تعالى .

قال ابن العماد رحمه الله تعالى : « اشتغل على والده ، وقرأ على الحافظ المزي ، ولازم الحافظ الذهبي وبه تخرج ، وأجاز له شمس الدين ابن نقيب بالإفتاء والتدريس »^(١).

وفيما يلي أذكر ، إن شاء الله تعالى ، ترجمة مختصرة لثلاثة من أبرز شيوخه الذين صنعوه ، وهم : والده قاضي القضاة ، حافظ الدنيا أبو الحجاج المزي ، وإمام نحة زمانه أبو حيان الأندلسي ، إشارة إلى ما حباه الله تعالى من التلقي على شمس الدين وكواكب الآخرة الذين لم يأت بعدهم لهم نظير .

١- قاضي القضاة تقي الدين السبكي (٦٨٣ - ٧٥٦ هـ = ١٢٨٤ - ١٣٥٥ م) :

هو علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام السبكي الأنصاري الخزرجي ، الشيخ الإمام ، الفقيه المحدث ، الحافظ المفسر المقرئ ، الأصولي المتكلم ، النحوي اللغوي ، الأديب الحكيم ، شيخ الإسلام ، قاضي القضاة ، شيخ المسلمين في زمانه ، وأحد المجتهدين ، جامع أشئات العلوم ، شافعي الزمان ، الصادق بالحق ، لا يخاف في الله لومة لائم ، إمام التحقيق ، تقي الدين ، أبو الحسن ، لا ينفك يتلو القرآن قائماً وقاعداً ركباً ومشياً ، يقطع الليل تسيحاً وقرآناً .

تفقه في صغره على والده ، وكان من الاشتغال على جانب عظيم ، ثم دخل مع والده القاهرة وعرض محافظ حفظها : التنبيه وغيره على ابن بنت الأعز وغيره ، ثم تفقه على شافعي الزمان الفقيه نجم الدين ابن الرفعة ، وقرأ الأصولين وسائر المعقولات على الإمام النظار علاء

(١) شذرات الذهب لابن العماد : ٨ / ٣٧٩.

الدين الباجي، والمنطق والخلاف على سيف الدين البغدادي، والتفسير على الشيخ علم الدين العراقي، والقراءات على الشيخ تقي الدين ابن الصائغ، والفرائض على الشيخ عبد الله الغماري المالكي، وأخذ الحديث على الحافظ شرف الدين الدمياطي، ولازمه كثيراً، ثم لازم بعده إمام الفن الحافظ سعد الدين الحارثي، وأخذ النحو عن الشيخ أبي حيان، وصحب في التصوف الشيخ تاج الدين ابن عطاء الله، وغيرهم.

وقرأ الكثير بنفسه، وحصل الأجزاء والأصول والفروع، وسمع الكتب والمساند وخرّج وانتقى على كثير من شيوخه، وحدث بالقاهرة ودمشق، وسمع منه الحفاظ: المزي، والذهبي، والبرزالي، وغيرهم.

وولي بالقاهرة تدريس المنصورية، وجامع الحاكم، والكهارية، وغيرها، وكان الأكابر من أركان الدولة يعظمونه، وولي القضاء بعد موت جلال الدين القزويني، وباشره بعفة ونزاهة، وأضيفت إليه الخطابة، وولي التدريس بدار الحديث الأشرفية.

وكان لا يقع له مسألة مستغربة أو مشكلة إلا ألف فيها تصنيفاً، ولذا كثرت كتبه.

مرض رحمه الله بالشام وعاد إلى مصر، ومات هناك، ودفن بمقابر الصوفية^(١).

٢- حافظ الدنيا أبو الحجاج المزي (٦٥٤-٧٤٢هـ=١٢٥٦-١٣٤١م) :

هو يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف بن علي بن عبد الملك القضاعي الدمشقي المزي، أبو الحجاج، جمال الدين، حافظ الزمان، حامل راية السنة والجماعة، القائم بأعباء هذه الصناعة، إمام الحفاظ، كلمة لا يجحدونها، وشهادة على أنفسهم يؤدونها، واحد عصره بالإجماع، وشيخ زمانه، والذي ما جاء بعد ابن عساكر مثله.

ولد في ربيع الأخير سنة (٦٥٤هـ-١٢٥٦م) بظاهر حلب، وسمع الكتب الطوال كالسنة، والمسند، والمعجم الكبير، وتاريخ الخطيب،... والحلية، ومن الأجزاء ألوفاً، ومشيخته نحو ألف شيخ، وأخذ عن محيي الدين النووي، وغيره، وسمع بالشام والحرمين، ومصر، وحلب، وغيرها.

وأقن اللغة والتصريف، وكان كثير الحياء والاحتمال والقناعة والتواضع، قليل الكلام جداً حتى يُسأل، ويجيد، ولا يغتاب أحداً.

(١) انظر: طبقات الشافعية السبكي (١٠ / ١٣٩)، الدرر الكامنة (٣ / ٣٨)، طبقات الشافعية للإسنوي

(١ / ٣٥٠)، البدر الطالع (ص: ٤٦٩)، معجم المؤلفين (٢ / ٤٦١)، الأعلام (٤ / ٣٠٢).

وصنّف « تهذيب الكمال » فاشتهر في زمانه ، وحدث به خمس مرار ، وحدث بكثير من مسموعاته .

وقال الذهبي : كان خاتمة الحفاظ ، وناقد الأسانيد والألفاظ ، وهو صاحب معضلاتنا ، وموضح مشكلاتنا ، حفظ القرآن في صباه ، وتفقه للشافعي مدة ، وعني باللغة فبرع فيه ، وأتقن النحو والصرف .

وقال تاج الدين السبكي : سمعت شيخنا الذهبي يقول : ما رأيت أحفظ منه ، وأنه بلغني عنه أنه قال : ما رأيت أحفظ من أربعة : ابن دقيق العيد ، والدمياطي ، وابن تيمية ، والمزي ، وترتيبهم حسب ما قدمناه .

وأنا لم أر من هؤلاء الأربعة غير المزي ، ولكن أقول : ما رأيت أحفظ من ثلاثة : المزي ، والذهبي ، والوالد ، وبالجمله كان شيخنا المزي أعجوبة زمانه .

صنف « تهذيب الكمال » وحدث به في حياته ، وكتاب « الأطراف » وهو مفيد جداً ، وقد أخذ عنه الأكابر وترجموا له وعظموه جداً .

مرض أياماً يسيرة بالطاعون فمات بين الظهر والعصر من يوم السبت الثاني عشر صفر سنة (٧٤٢ هـ - ١٣٤١ م) ، وهو يقرأ آية الكرسي ، وصلي عليه من الغد بالجامع ثم خارج باب النصر ، ثم دُفن بمقابر الصوفية بالقرب من الحافظ ابن تيمية^(١) .

٣- الشيخ أبو حيان الأندلسي (٦٥٤ - ٧٤٥ هـ = ١٢٥٦ - ١٣٤٤ م) :

هو محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان النفزي الأندلسي الغرناطي المولد والمنشأ ، المصري الدار ، أبو حيان ، شيخ النحاة ، العَلَمُ الفرد ، والبحر الذي لم يعرف الجزر بل المدّ ، سيويه الزمان ، والمبرّد إذا حمي الوطيس بتشاجر الأقران ، إمام النحو الذي لقاصده ما يشاء ، ولسان العرب الذي لكل سمع لديه الإصغاء ، كعبة علم تُحجّج ولا تُحجّج ، ويُقصد من كل فجّ ، تُضرب إليه الإبل آباطها ، وتغد إليه كل طائفة .

ولد في أواخر شوال سنة (٦٥٤ هـ - ١٢٥٦ م) ، قرأ القرآن على الخطيب عبد الحق بن علي ، ثم على الخطيب أبي جعفر ابن الصباغ ، وسمع الكثير ببلاد الأندلس وأفريقية ، ثم قديم الإسكندرية ، فقرأ القراءات على عبد النصير بن علي المربوطي ، وبمصر على أبي طاهر

(١) انظر : طبقات الشافعية للتاج السبكي (١٠ / ٣٩٥ ، وما بعدها) ، الدرر الكامنة لابن حجر (٤ / ٣٨٣ - ٣٨٥) ، طبقات الشافعية للإسنوي (٢ / ٢٥٧ - ٢٥٨) ، البدر الطالع للشوكانى (ص : ٥٩٠ - ٥٩١) ، الأعلام (٨ / ٢٣٦) ، معجم المؤلفين (٤ / ١٦٦) .

إسماعيل بن عبد الله المليجي خاتمة أصحاب أبي الجود، ولازم بها الشيخ بهاء الدين ابن النحاس ، فسمع عليه الكثير من كتب الأدب .

وكان ثباتاً فيما يتقله ، عارفاً باللغة ، وأما النحو والصرف فهو الإمام المطلق فيهما ، خدم هذا الفن أكثر عمره حتى صار لا يُذكر أحد في أقطار الأرض فيهما غيره ، وله اليد الطولى في التفسير والحديث ، وتراجم الناس ومعرفة طبقاتهم خصوصاً المغاربة .

وكان ظاهرياً ، وانتمى إلى الشافعية ، واختصر «المنهاج» ، وكان أبو البقاء يقول : إنه لم يزل ظاهرياً ، وكان يقول : محال أن يرجع عن مذهب الظاهري من علق بذهنه .

وكان عريئاً من الفلسفة ، بريئاً من الاعتزال والتجسيم ، متمسكاً بطريق السلف ، وكان يعظم ابن تيمية ومدحه بقصيدة ، ثم انحرف عنه وذكره في تفسيره الصغير بكل سوء ونسبه إلى التجسيم ، فسبب ذلك أنه بحث مع ابن تيمية فأساء ابن تيمية على سيويه فأساء ذلك أبا حيان ، فانحرف عنه .

وصنف مؤلفات كثيرة تزيد على الخمسين منها : البحر المحيط ، شرح التسهيل ، غاية المطلوب ، منهج السالك ، نهاية الإعراب ، وغيرها .

وكان فيه خشوع ، وبكي إذا سمع القرآن ، وكان يفتخر بالبخل كما يفتخر الناس بالكرم . مات رحمه الله تعالى في صفر سنة (٧٤٥ هـ - ١٣٤٤ م)^(١) .

تلاميذ تاج الدين السبكي :

لقد تخرج بقاضي القضاة تاج الدين السبكي العلماء واستفادوا منه وصحبوه حتى أقرانه كالشيخ صلاح الدين الصفدي كما ذكر ذلك تاج الدين السبكي في طبقاته الكبرى ، وكيف لا ، وقد درس في كبار مدارس الشام ، وأكتفي هنا بذكر ترجمة مختصرة لخمسة منهم على حسب وفياتهم إشارة إلى باقيهم ، وهم : ابن أبي العشائر ، الحافظ اللخمي ، القاضي شرف الدين السلمي ، أمين الدين الحنفي ، القاضي شرفي الدين الغزي .

١- ناصر الدين السلمي (٧٤٢ - ٧٨٩ هـ = ١٣٤٢ - ١٣٨٨ م) :

هو محمد بن علي بن محمد السلمي أبو المعالي المعروف بابن أبي الحشائر ، ناصر الدين ، الإمام ، ولد سنة (٧٤٢ هـ - ١٣٤٢ م) ، حفظ القرآن ، وقرأ الفقه على الشيخ زين الدين

(١) انظر : طبقات الشافعية للتاج السبكي (٩ / ٢٧٦ ، وما بعدها) ، طبقات الشافعية للإسنوي (١ /

٢١٨) ، الدرر الكامنة لابن حجر (٤ / ١٨٥ - ١٨٩) ، البدر الطالع للشركاني (ص : ٨٠٦ - ٨٠٩) ،

معجم المؤلفين (٣ / ٧٨٤) ، الأعلام (٧ / ١٥٢) .

الباريني وغيره ، والنحو على الشيخين: أبي عبد الله وأبي جعفر القرشي ، والأصول على تاج الدين السبكي وابن قاضي الجبل ، وقرأ على القاضي تاج الدين كتابه « جمع الجوامع » ، وسمع الحديث ببلاده من صلاح الدين الصفدي ، وغيره ، ثم ارتحل إلى القاهرة وقرأ على مشايخها ، وسمع بها وحصل ثم عاد إلى حلب .

وكان فاضلاً عالماً ، حسنَ الخطِّ جداً ، جيد الضبط والشعر والتذكير ، مشاركاً في العلوم ، وله تعاليق وتواريخ ومجاميع مفيدة ، وخطب بجامع حلب بعد أبيه ، وكان بليغاً مفوهاً سريع الحفظ جداً .

توفي رحمه الله تعالى بالقاهرة سنة (٧٨٩هـ - ١٣٨٨م) في شهر ربيع الأخير ، ودُفِنَ بحوش الصوفية خارج باب النصر^(١) .

٢- الحافظ شمس الدين اللخمي (٧٢٩ - ٧٩٢هـ = ١٣٢٩ - ١٣٩٠م) :

هو محمد بن موسى بن سند الشيخ العالم الحافظ ، شمس الدين أبو العباس ، اللخمي المصري الأصل ، الدمشقي ، الشافعي ، طلب الحديث في حدود سنة سبع وأربعين ، فسمع من السلاوي ، ومن جماعة من أصحاب ابن عبد الدائم .

رحل إلى مصر فسمع من جماعة من أصحاب النجيب وغيرهم ، وقرأ بنفسه وكتب بخطه ، وقرأ في الفقه يسيراً على الشيخ شرف الدين قاسم خطيب جامع جراح ، وأخذ النحو عن الشيخ تاج الدين المراكشي ، وأجازه بإقراء الألفية والحاجية سنة خمسين ، وقرأ الأصول بمصر على الشيخ جمال الدين الإسنوي ، وصحب القاضي تاج الدين السبكي ولازمه ، وكان يقرأ تصانيفه في الدروس ، وقرأ عليه السيرة النبوية بالجامع ، وولاه مشيخة دار الحديث النفيسية ، ومشيخة الخانقة المجاهدية ، وبأشر مشيخة دار الحديث النورية .

وأدرك الحافظ الذهبي وقرأ عليه ، وأجازه بالفتيا الحافظ ابن كثير والقاضي تاج الدين السبكي .

توفي رحمه الله تعالى في صفر سنة (٧٩٢هـ - ١٣٩٠م) ، ودُفِنَ بمقبرة الصوفية ، وله من العمر ثلاث وستون سنة إلا شهرين^(٢) .

(١) انظر : تاريخ ابن قاضي شعبة (٣ / ٢٣٣ - ٢٣٤) ، الدرر الكامنة (٤ / ٥٤) .

(٢) انظر : تاريخ ابن قاضي شعبة (٣ / ٣٦٤ - ٣٦٥) ، الدرر الكامنة لابن حجر (٤ / ١٦٧) ، معجم المؤلفين (٣ / ٧٤٤) ، الأعلام (٧ / ١١٨) .

٣- القاضي شرف الدين السلمي (٧٢٩-٧٩٥هـ = ١٣٢٩-١٣٩٤م) :

هو محمود بن محمد بن أحمد ، أبو الشناء ، شرف الدين الشافعي ، الشيخ الإمام ، العلامة الورع ، بقية السلف الصالح ، مفتي المسلمين ، أقضى القضاة شيخ الشافعية ، ولد بحمص حين كان والده قاضياً بها ، أخذ العلم عن والده الشيخ العلامة أقضى القضاة جمال الدين ، وعن شمس الدين ابن قاضي شعبة ، وأضرابهما ، وقرأ الأصول ، والنحو ، والمعاني ، والبيان ، وشارك في ذلك كله مشاركة قوية ، ولازم القاضي تاج الدين السبكي ، وحضر حلقاته واستنابه في الحكم قبل الموت بيسير ، ونشأ في عبادة وتقشف ، وسكونٍ وأدبٍ وانجماعٍ عن الناس .

ولازم التدريس والاشتغال والإفتاء إلى حين وفاته واشتهر بذلك ، وصار هو المقصود بالفتوى من سائر الجهات ، وتخرج به خلق كثير من الفقهاء وغيرهم ، وكتب بخطه أشياء كثيرة ، وانتهت إليه رئاسة الشافعية ، لا يزال يضيف الطلبة ويحسن إليهم .

توفي رحمه الله تعالى في صفر من سنة (٧٩٥ هـ - ١٣٩٤ م) ، ودُفن بترتبه بالصالحية بالقرب من جامع الأقرم ، ورثت له منامات صالحة^(١) .

٤- أمين الدين الحنفي (٧٣٨-٧٩٥هـ = ١٣٣٨-١٣٩٤م) :

هو محمد بن محمد بن علي أمين الدين الحنفي ، الشهير بابن الأدمي ، الصدر العالم البار ، ولد سنة (٧٣٨ هـ - ١٣٣٨ م) ، سمع ابن الخباز وابن تَيْع وغيرهما ، واشتغل على الشيخ فخر الدين ابن الفضيح الكوفي ، وكان زوج أمه ، وقرأ في العربية وغيرها ، وأخذ عن صلاح الدين الصفدي علم الأدب ، وقرأ عليه كثيراً من تصانيفه ، وصحب القاضي تاج الدين السبكي وجعله أحد أوصيائه ، وصحب بعده جماعة ، وكان من أخصاء قاضي القضاة برهان الدين ابن جماعة .

توفي رحمه الله تعالى فجأة في جمادى الأولى سنة (٧٩٥ هـ - ١٣٩٤ م) ، ودفن بباب الصغير^(٢) .

٥- أقضى القضاة شرف الدين الغزّي (٧٩٩-...هـ = ...-١٣٩٧م) :

هو عيسى بن عثمان بن عيسى ، الشيخ الإمام ، العالم العلامة ، الفقيه ، أقضى القضاة ،

(١) انظر : تاريخ ابن قاضي شعبة (٤٩٦ - ٤٩٨) ، الدرر الكامنة لابن حجر (٤ / ٢٠٤) ، طبقات الشافعية لابن قاضي شعبة (٣ / ٣٣٣) ، شذرات الذهب لابن العماد (٨ / ٥٨٤) ، معجم المؤلفين (٣ / ٦٢٤) .

(٢) انظر : تاريخ ابن قاضي شعبة (٢ / ٤٩٥) ، شذرات الذهب لابن العماد (٨ / ٥٨٣) .

شرف الدين الغزي الدمشقي الشافعي ، مفتي المسلمين ، قدم دمشق للاشتغال سنة (٧٥٩هـ) ، وله نحو عشرين سنة ، واشتغل في الفقه ، وأخذ عن ابن قاضي شعبة (الجد) والعماد الحسباني ، وشمس الدين الغزي ، وعلاء الدين ابن ججي ، ولازم تاج الدين السبكي ، وواظب على الاشتغال والمطالعة ، وتصدّر بالجامع الأموي ، وشرح « المنهاج » الفرعي بثلاثة شروح ، واختصر « الروضة » وزاد عليها زيادات كثيرة ، واختصر « المهمات » ، وعمل كتاب « آداب القضاء » ، واشتهر بمعرفة الفقه وحفظ الغرائب .

توفي رحمه الله تعالى في شهر رمضان من سنة (٧٩٩ هـ - ١٣٩٧ م) ، ودُفن بمقبرة باب الصغير ، وكانت جنازته حافلة مشهورة^(١) .

وهناك عدد هائل لتلاميذه رحمه الله تعالى كما هو واضح في الكتب التي ترجمت لطبقة تاج الدين السبكي ومن بعدهم كطبقات الشافعية لابن قاضي شعبة وتاريخه ، لكن الذين ترجموا للتاج السبكي لم يذكروا له تلاميذ في ترجمته ، وإنما ذكروا شيوخه الذين أخذ منهم ، فظنّ بعض المعاصرين أنه لا يوجد له تلاميذ ، بل جزم به الشيخ علي محمد معوض ، والشيخ عادل أحمد عبد الموجود ، فقالا في مقدمتهما لـ « رفع الحاجب عن مختصر ابن الحاجب » للتاج السبكي : « وقد خلت الكتب أو تكاد تخلو من ذكر تلاميذ له [أي للتاج السبكي] ، ولعل السبب في ذلك أن التاج السبكي كان في كنف والده فطغت شهرة أبيه عليه .
ثم لسبب آخر وهو نظام التعليم في ذلك العصر الذي كان قائماً على المدارس والمساجد وبيوت المشايخ .

ولعل الشيخ التاج لم يسعه وقته حيث كان قاضي القضاة بالشام ليستقل في داره .
ولعل هناك سبباً آخر وهو موته صغيراً ، حيث توفي وله من العمر أربعة وأربعون عاماً »^(٢) .
هذا الذي ذكرناه أسباب لقلة تلاميذه بالنسبة إلى مكانته العلمية المرموقة بين أقرانه ولكن ليس سبباً لعدم وجود تلاميذه ، إذ هم موجودون ، والواقع أقوى دليل ، والله تعالى أعلم .

(١) انظر : تاريخ ابن قاضي شعبة (٣ / ٦٣٤ - ٦٣٨) ، الدرر الكامنة (٣ / ١٢٢) .

(٢) رفع الحاجب للتاج السبكي : ١ / ٧٥ - ٧٦ .

المبحث الرابع

مؤلفات تاج الدين السبكي

لقد بارك الله تعالى في وقته فأنتج في عمره القصير علماً وافراً ، فكانت حياته على قصرها مملوءة بالإنتاج العلمي الذي جعله من الأئمة باعتراف معاصريه ومن جاء بعده ، فقد كان همُّه البالغ أن يترك بعده علماً ينتفع به .

ويقول رحمه الله في ذلك : « فإن العالم وإن امتدّ باعه واشتدّ ميادين الجدل دفاعه ، واشتدّ ساعده حتى خرق به كلّ باب سدّ بابيه وأحكم امتناعه فنفعه قاصر على مدّة حياته ما لم يصنّف كتاباً يخلد بعده أو يورث علماً ينقله عنه تلميذه إذا وجد الناس فقده ، أو تهتدي به فئة مات عنه وقد ألّسها به الرشاد برده .

ولعمري إن التصنيف لأرفعها مكاناً لأنه أطولها زماناً وأدومها إذا مات أحياناً ولذلك لا يخلو لنا وقتٌ يمرّ بنا خالياً عن التصنيف ، ولا يخلو لنا زمنٌ إلا وقد تقلّد عقده جواهر التأليف ، ولا يخلو علينا الدهر ساعة فراغٍ إلا ويعمل فيها القلم بالترتيب والترصيف »^(١) .

لقد كانت مؤلفات التاج السبكي رحمه الله تعالى مع كثرتها نفيسة عذبة العبارة ، جامعة لجواهر العلوم ، ولذا انتشرت في العالم الإسلامي في حياته وبعد مماته ، ورزقت القبول من قِبَل الخاص والعام ، وذلك فضل الله تعالى يأتيه لمن يشاء .

وفي ذلك يقول الحافظ ابن حجر العسقلاني رحمه الله تعالى : « لقد صنّف تصانيف كثيرة جداً على صغر سنّه ، قرئت عليه ، وانتشرت في حياته وبعد موته »^(٢) .

ويقول الشوكاني رحمه الله : « ورزق السعادة في تصانيفه فانتشرت في حياته »^(٣) .

فكانت مؤلفاته ، رحمه الله ، بعد موته أكثر انتشاراً وأكثر نفعاً مما يدل بوضوح على صدق نيّته وحسن سريرته ، وغزارة علمه وإرادته وجه الله تعالى بها ، وفيما يلي أذكر ما وقفْتُ عليه من مؤلفاته مرتبة على حروف المعجم إن شاء الله تعالى .

١- الإبهاج في شرح منهاج الوصول إلى علم الأصول ، وهو شرح لكتاب « منهاج الوصول إلى علم الأصول » للقاظمي عبد الله بن عمر البيضاوي الشافعي المتوفى سنة (٦٨٥

(١) منع الموانع للتاج السبكي (ص : ٨٢ - ٨٣) .

(٢) الدرر لكامة لابن حجر العسقلاني : ٣ / ٤٠ .

(٣) البدر الطالع الشوكاني (ص : ٤١٥ - ٤١٦) .

هـ)، بدأ به والده تقي الدين السبكي ، فوصل إلى قول البيضاوي: « الواجب إن تناول كل واحد فهو فرض عين »، ثم أتمه ابنه تاج الدين ، رحمهما الله تعالى ، وهو مطبوع بعدة طبعات منها : دار الكتب العلمية ، لبنان - بيروت ، سنة (١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م) .

٢- أحاديث رفع اليدين ، مخطوط ، توجد نسخة له في آصفية (٢ / ٦٠٤ / ٣٠٨) ، قاله كارل بروكلمان^(١) .

٣- أرجوزة في خصائص النبي ﷺ ، ذكره المصنف في طبقاته (٩ / ٢٠٥) ، وقال : « ولي أرجوزة في خصائص النبي ﷺ ومعجزاته منها :

وهو إذا احتاج إلى مال البشر أحق من ماله بلا نظير
لأنه أولى بلذي الإيمان من نفسه بالنص في القرآن » .

٤- أرجوزة في الفقه ، ذكره الحافظ السيوطي ، رحمه الله تعالى ، في كتابه « الرد على من أخلد إلى الأرض » ، ونقل منها الآيات التالية :

ولا تجوز جمعتان في البلد وإن تناهى الخلق في العسر الأشد
وضاق بالجم الغفير المسجد نص عليه الشافعي الأوحذ
واختاره الشيخ الإمام وقضى بأنه الدين القويم المرتضى^(٢)

٥- الإشارات إلى أماكن الزيارات ، مخطوط ، توجد له نسختان في مكتبة الأسد الوطنية بدمشق ، تحت الرقم (٨٣٠٦ ، ٤٦٢٤) .

٦- الأشباه والنظائر ، في فروع الشافعية ، مطبوع بتحقيق الشيخ علي محمد معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود ، دار الكتب العلمية ، لبنان - بيروت ، سنة ١٩٩١ م .

٧- الألغاز ، وهي قصيدة نظمها التاج السبكي في المعايده ، وذكر قسماً كبيراً من هذه القصيدة في طبقاته (٩ / ١٣٣ - ١٣٨) في ترجمة الشيخ عماد الدين محمد بن إسحاق البليسي المتوفى سنة (٧٤٩ هـ) .

وقد شرح هذه القصيدة الحافظ السيوطي في رسالة سماها « الأجوبة الزكية عن الألغاز السبكية » ، وتقع هذه الرسالة ضمن مجموعة خطية باسم « رسائل السيوطي » بمكتبة رواق الأتراك بالمكتبة الأزهرية برقم (٣٦٩٨)^(٣) .

(١) تاريخ الأدب العربي : ٣٥٩/٦ .

(٢) الرد على من أخلد إلى الأرض للسيوطي (ص : ٢٢) .

(٣) انظر : تعليق عبد الفتاح محمد الحلو ومحمود محمد الطناحي على الطبقات للسبكي (٩ / ١٣٢) .

- ٨- أوضح المسالك في المناسك، ذكره كارل بروكلمان في تاريخ الأدب العربي، وقال: «دمشق، عمومية: ٤٧ / ٢٧٥ / ٨١»^(١).
- ٩- تبين الأحكام في تحليل الحائض، ذكره كارل بروكلمان وقال: «آصفية: ٢ / ١٧١٤ / ٨١٧»^(٢).
- ١٠- تخريج أحاديث إحياء علوم الدين، ذكره المصنف في طبقاته (٦ / ٢٨٧-٣٩٢) في ترجمة الإمام الغزالي، وهو مطبوع.
- ١١- ترشيح التوشيح في اختيار الوالد الفقه الشافعي، ذكره الحافظ ابن حجر^(٣) وابن العماد، وقال: «وفيه فوائد غريبة، وأسلوب فريد»^(٤)، وهو مخطوط، توجد له نسخة في مكتبة الأسد الوطنية بدمشق، تحت الرقم (٥٦٨٢).
- ١٢- تشحيد الأذهان على قدر الإمكان في الرد على البيضاوي، ذكره حاجي خليفة^(٥) وإسماعيل باشا البغدادي^(٦).
- ١٣- توشيح التصحيح للإمام النووي، الفقه الشافعي، مخطوط، توجد له نسخة في مكتبة الأسد الوطنية بدمشق، تحت الرقم (٢٣١٦).
- ١٤- توشيح التصحيح في أصول الفقه، ذكره خير الدين الزركلي^(٧)، وكارل بروكلمان^(٨).
- ١٥- توشيح التنبيه للشيخ أبي إسحاق الشيرازي، الفقه الشافعي، ذكره الحافظ ابن حجر^(٩)، وابن العماد^(١٠)، وكحالة^(١١).
-
- (١) تاريخ الأدب العربي لكارل بروكلمان: ٦ / ٣٦٠.
- (٢) تاريخ الأدب العربي لكارل بروكلمان: ٦ / ٣٦٠.
- (٣) الدرر الكامنة: ٣ / ٤٠.
- (٤) شذرات الذهب: ٨ / ٣٨٠.
- (٥) كشف الظنون: ١ / ٤٠٨.
- (٦) إيضاح المكنون: ١ / ٢٨١.
- (٧) الأعلام: ٤ / ١٨٤.
- (٨) تاريخ الأدب العربي: ٦ / ٦٣٠.
- (٩) الدرر الكامنة: ٣ / ٤٠.
- (١٠) شذرات الذهب لابن العماد: ٨ / ٣٨٠.
- (١١) معجم المؤلفين لكحالة: ٢ / ٣٤٣.

- ١٦- جزء على الحديث : « المتبايعين بالخيار » ، الحديث ، ذكره المصنف في طبقاته الكبرى (٩ / ١٨١ ، ١٠ / ١٩١) .
- ١٧ - جزء في الطاعون ، ذكره حاجي خليفة في كشف الظنون (١ / ٤٠٨) .
- ١٨ - جمع الجوامع ، أصول الفقه ، مطبوع بعدة طبعات ، منها مع تشنيف المسامع للزرکشي ، دار الكتب العلمية ، لبنان - بيروت ، سنة (١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م) .
- ١٩ - الدلالة على عموم الرسالة ، ذكره كارل بروكلمان ، وقال : « ألفه جواباً عن أسئلة أهل طرابلس ، عمومية ، ٢٨٨٨ »^(١) .
- ٢٠ - رُفُعُ الحاجب عن مختصر ابن الحاجب ، أصول الفقه ، شرح فيه المصنف كتاب « مختصر منتهى الوصول في علمي الأصول والجدل » للإمام ابن الحاجب المالكي المتوفى سنة (٦٤٦ هـ) ، وهو مطبوع بتحقيق الشيخ علي محمد معوّض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود ، دار عالم الكتب ، لبنان - بيروت ، سنة (١٤١٩ هـ) .
- ٢١ - رُفُعُ الحَوْبَةِ بوضع التوبة ، ذكره المصنف في طبقاته (٢ / ٣٢٧) .
- ٢٢ - السيف المشهور في شرح عقيدة أبي منصور الماتريدي ، ذكره المصنف في طبقاته (٣ / ٣٨٤) ، ومنع الموانع (ص : ٢٥٦) .
- ٢٣ - طبقات الشافعية الصغرى ، مخطوط ، توجد له نسخة في مكتبة الأسد الوطنية بدمشق تحت الرقم (٣٥٥٤) .
- ٢٤ - طبقات الشافعية الكبرى ، مطبوع بتحقيق عبد الفتاح محمد الحلو ومحمود محمد الطناحي ، دار إحياء الكتب العربية ، مصر - القاهرة .
- ٢٥ - طبقات الشافعية الوسطى ، مخطوط ، توجد له نسخة في مكتبة الأسد الوطنية بدمشق تحت الرقم (١٥٠٣٨) .
- ٢٦ - الفتاوى ، ذكره كحالة^(٢) وكارل بروكلمان وقال : « يوجد في دمشق ، عمومية : ٥١ / ٣٨٥ ، ٧ ، القاهرة : ١٣٥٦ / ١٩٣٧ ، في مجلدين »^(٣) .
- ٢٧ - القاعدة في الجرح والتعديل ، مطبوع بتحقيق الشيخ العلامة عبد الفتاح أبو غدة رحمه الله ، سورية - حلب ، مكتبة المطبوعات الإسلامية ، سنة : ١٩٩٥ م .

(١) تاريخ الأدب العربي لبروكلمان : ٦ / ٣٦٠ .

(٢) معجم المؤلفين لكحالة : ٢ / ٣٤٣ .

(٣) تاريخ الأدب العربي لبروكلمان : ٦ / ٣٥٩ .

- ٢٨ - القاعدة في المؤرخين ، مطبوع بتحقيق الشيخ العلامة عبد الفتاح أبو غدة رحمه الله تعالى ، سورية - حلب ، مكتبة المطبوعات الإسلامية ، سنة : ١٩٩٥ م .
- ٢٩ - القصيدة عن الألفاظ الأعجمية في القرآن ، مخطوط ، ذكره كارل بروكلمان وقال : « توجد في برلين : ٧٢٥ ، وقارن : ٧٢٤ »^(١) .
- ٣٠ - القصيدة المنفرجة ، مخطوط ، ذكره كارل بروكلمان وقال : « توجد في كمبردج ثالث : ٩٩٠ »^(٢) .
- ٣١ - القصيدة النونية ، العقائد ، ذكره المصنف في طبقاته (٣ / ٣٧٨) فقال : « جمع المسائل التي بيننا وبين الحنفية خلاف فيها [أي في العقائد] ثلاث عشرة مسألة ، منها معنوي ست مسائل ، والباقي لفظي ، ... ولي قصيدة نونية جمعت فيها هذه المسائل ، وضممت إليها مسائل اختلفت الأشاعرة فيها » . ثم ساق القصيدة كاملة .
- ٣٢ - مُعِيد النِّعَمِ ومُبِيد النِّقَمِ ، مطبوع بعدة طبعات منها بتحقيق الدكتور عبد الستار أبو غدة في دار الأقصى في القاهرة سنة (١٩٩٣ م) .
- ٣٣ - مناقب الشيخ أبي بكر بن قوام ، مخطوط ، ذكره كارل بروكلمان وقال : « مخطوط في برلين : ١٠٠٩٩ ، جاريت : ٦٨٨ »^(٣) .
- ٣٤ - منع الموانع عن جمع الجوامع ، أصول الفقه ، مطبوع ، حققه سعيد علي محمد الحميري لنيل درجة دكتوراه بجامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، سنة (١٩٩٠ م) ، وطُبع ببيروت في دار البشائر الإسلامية سنة (١٩٩٩ م) .

(١) تاريخ الأدب العربي لبروكلمان : ٦ / ٣٦٠ .

(٢) تاريخ الأدب العربي لبروكلمان : ٦ / ٣٦٠ .

(٣) تاريخ الأدب العربي لبروكلمان : ٦ / ٣٥٩ .

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

الفصل الثاني

في

ترجمة الشارح الجليل المحلي

ويحتوي على أربعة مباحث :

المبحث الأول : في اسمه ونسبه وكنيته ولقبه؛

المبحث الثاني : في ولادته ونشأته ووفاته؛

المبحث الثالث : في شيوخه وتلاميذه؛

المبحث الرابع : في مؤلفاته.

المبحث الأول

اسم الشارح ، ونسبه ، ولقبه ، وكنيته

هو الشيخ الإمام المحقق ، الفقيه الأصولي ، المفسر ، المنطقي المتكلم ، العلامة محمد ابن أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أحمد بن هاشم بن الشهاب أبي العباس بن الكمال ، الأنصاري ، المصري ، القاهري ، المحلي ، جلال الدين ، أبو عبد الله ، الشافعي^(١) .

هو رحمه الله تعالى المحلي الأصل نسبة إلى المحلة الكبرى ، قال الحافظ السخاوي ، رحمه الله تعالى : « المحلي الأصل نسبة للمحلة الكبرى من الغربية القاهري »^(٢) .

وقال الشوكاني رحمه الله تعالى : « أبو عبد الله المحلي الأصل نسبة إلى المحلة الكبرى - بفتح الحاء المهملة - من القاهرة ، الشافعي »^(٣) .

نسبة الجلال المحلي إلى مذهب الشافعي رضي الله تعالى ، أصلي وقد كان أبوه وجدّه شافعيّين ، قال الحافظ السخاوي رحمه الله تعالى : « أبو عبد الله المحلي القاهري ، الشافعي الماضي أبوه وجدّه ، ويُعرف بالجلال المحلي »^(٤) .

المبحث الثاني

مولد الشارح المحلي ، ونشأته ، ووفاته

مولد جلال الدين المحلي : ولد جلال الدين المحلي ، رحمه الله تعالى ، في مستهلّ شوال سنة إحدى وتسعين وسبعمئة (٧٩١ هـ) للهجرة المباركة ، الموافقة سنة تسع وثمانين وثلاثمئة وألف (١٣٨٩ م) للميلاد^(٥) بالمحلة الغربية بالقاهرة .

(١) انظر : الضوء اللامع (٣٩ / ٧) ، البدر الطالع (ص : ٦٣١) ، بدائع الزهور لابن إياس (٣٥٥ / ٢) ، شذرات الذهب (٩ / ٤٤٧) ، الفتح المبين في طبقات الأصوليين للمراغي (٣ / ٤٠) ، النجوم الزاهرة لآتابكي (١٦ / ١٨٠) ، إيضاح المكنون (٣ / ١٤٧) ، هدية العارفين (٦ / ٢٠٢) ، معجم المؤلفين لكحالة (٣ / ٩٣) ، الأعلام للزركلي (٥ / ٣٢٣) .

(٢) الضوء اللامع للسخاوي : ٣٩ / ٧ .

(٣) البدر الطالع للشوكاني (ص : ٦٣١) .

(٤) الضوء اللامع للسخاوي : ٣٩ / ٧ .

(٥) انظر : الفتح المبين للمراغي (٣ / ٤٠) ، معجم المؤلفين لكحالة (٣ / ٩٣) ، الأعلام (٣ / ٣٢٣) .

قال الحافظ السخاوي رحمه الله تعالى: «وُلِدَ [أي الجلال المحلي] كما رأيته بخطه في مستهلّ شوال سنة (٧٩١ هـ) بالقاهرة»^(١). وبه قال أيضاً الشوكاني^(٢).

اتفقت كلمة الذين ترجموا لجلال الدين المحلي، رحمه الله تعالى، على أن ولادته كانت سنة (٧٩١ هـ)^(٣) إلا إسماعيل باشا البغدادى فقال: «وُلِدَ سنة تسعين وسبعمئة للهجرة»^(٤).

نشأة جلال الدين المحلي وحياته :

نشأ جلال الدين المحلي، رحمه الله تعالى، بالقاهرة، فقرأ القرآن وكتباً، واشتغل بالعلم فبرع في الفنون فقهاً، وأصولاً، وكلاماً، ونحواً، ومنطقاً، وغيرها، ومهر وتقدّم على الأقران، وتفنّن في العلوم العقلية والنقلية^(٥).

وكان أولاً يتولى بيع البرّ في بعض الحوانيت، ثم أقام شخصاً عوضه فيه مع مشاركته له أحياناً، وتصدّى هو للتدريس والإقراء^(٦).

وكان إماماً علامةً، محققاً نظاراً، مفرط الذكاء، صحيح الذهن، بحيث كان يقول بعض المعتبرين من أهل عصره: إن ذهنه يثقب الماس، وكان هو يقول عن نفسه: إن فهمي لا يقبل الخطأ - ومع ذلك كان لا يقدر على الحفظ، وحفظ كراسة من بعض الكتب فامتلاً بدنه حرارة - حادّ القريحة، قويّ المباحثة^(٧).

وكان غرّة هذا العصر في سلوك طريق السلف على قدم من الصلاح والورع، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، يواجه بذلك أكابر الظلمة والحكام، ويأتون إليه فلا يلتفت إليهم، ولا يأذن لهم في الدخول عليه، وكان عظيم الحدة جداً، لا يراعي أحداً في القول،

(١) الضوء اللامع للسخاوي: ٣٩ / ٧.

(٢) البدر الطالع للشوكاني (ص: ٦٣١).

(٣) انظر: الضوء اللامع (٣٩ / ٧)، حسن المحاضرة (٢ / ٢٠٠)، شذرات الذهب (٩ / ٤٤٧)، البدر الطالع (ص: ٦٣١)، النجوم الزاهرة للأتابكي (١٦ / ١٨٠)، بدائع الزهور لابن عباس (٢ / ٣٥٦)، الفتح المبين للمراغي (٣ / ٤٠)، معجم المؤلفين (٣ / ٩٣)، الأعلام (٥ / ٣٢٣).

(٤) هدية العارفين لإسماعيل باشا: ٢٠٢ / ٦.

(٥) حسن المحاضرة (٢ / ٢٠٠)، شذرات الذهب (٩ / ٤٤٧)، الضوء اللامع (٧ / ٣٩).

(٦) الضوء اللامع للسخاوي: ٣٩ / ٧.

(٧) انظر: حسن المحاضرة للسيوطي (٢ / ٢٠١)، الضوء اللامع للسخاوي (٧ / ٣٩)، شذرات الذهب لابن العماد (٩ / ٢٤٧).

معظماً بين الخاصة والعامة، مُهاباً وقوراً، عليه سيمًا الخير^(١).

اشتهر ذكره وبعد صيته، وقُصِدَ بالفتوى من الأماكن النائية، وهرع إليه غير واحد من الأعيان بقصد الزيارة والترك، وخضع له قضاة القضاة، وهابوه ورجعوا إليه، وظهرت له الكرامات، وانتفعت به الطلبة، وخضعت له الناس^(٢).

عُرِضَ عليه قضاء الديار المصرية غير مرة فامتنع، وكان يقول لأصحابه: إنه لا طاقة له على النار^(٣).

وقد تولى تدريس الفقه بالبروقية^(٤) عَوَّضَ الشهاب الكراني^(٥) سنة (٨٤٤ هـ)، حتَّى كان ذلك سبباً لتعقُّبه عليه في شرحه على «جمع الجوامع» بما يَنَازَعُ في أكثره^(٦)، وكذا وليّ تدريس الفقه الشافعي بالمؤيدة، وقرأ عليه جماعة، وكان قليل الإقراء يغلب عليه الملل والسَّامة، وألف كتباً جليلة في علوم الفقه وغير ذلك^(٧).

(١) حسن المحاضرة للسيوطي (٢/ ٢٠١)، الضوء اللامع للسخاوي (٧/ ٤٠)، شذرات الذهب لابن العماد (٩/ ٢٤٧).

(٢) الضوء اللامع للسخاوي (٧/ ٤٠)، النجوم الزاهرة لآتاكى (١٦/ ١٨٠)، بدائع الزهور لابن إياس (٢/ ٣٥٦)، الأعلام للزركلي (٥/ ٣٣٣).

(٣) حسن المحاضرة للسيوطي (٢/ ٢٠١)، الضوء اللامع للسخاوي (٧/ ٤٠)، شذرات الذهب لابن العماد (٩/ ٢٤٧).

(٤) المدرسة البروقية بخطّ بين القصرين في شارع النحاسين عند جامع المارستان المنصوري، بين مدرستي الناصرية والكاملية، أنشأها السلطان الظاهري بَرَقُوق، وابتدئ في عمارتها سنة ٧٨٣ هـ، وفرغ منها سنة ٧٨٨ هـ، وهي من أحسن مدارس مصر، وهي الآن عامرة بمقامة الشعائر الإسلامية من جمعة وجماعة، وليس فيها شيء من دروس العلم. (الخطط التوفيقية: ٦/ ٧).

(٥) والكراني: هو أحمد بن إسماعيل بن عثمان الكراني شهاب الدين، الشافعي ثم الحنفي، عالم بلاد الروم، ولد سنة (٨١٣ هـ)، تميّز في الأصلين، والمنطق، وغيرها، ومهر في النحو والمعاني وغير ذلك من العقلیات، وشارك في الفقه، ولازم العلاء البخاري، ألف كتباً قيمة منها: الدرر اللوامع في شرح جمع الجوامع، وشرح الكافية لابن الحاجب، وغيرهما، توفي سنة (٨٩٣ هـ). (الضوء اللامع: ١/ ٢٤١، البدر الطالع، ص: ٥٢، الأعلام: ١/ ٩٧).

(٦) لقد ذكر هذه الاعتراضات العلامة أحمد بن القاسم العبّادي الشافعي (٩٩٤ هـ) في حاشيته على شرح جمع الجوامع للمحلي المسماة بـ «الآيات اليناث» وردّها فليراجع هناك.

(٧) حسن المحاضرة (٢/ ٢٠١)، الضوء اللامع (٧/ ٤٠)، النجوم الزاهرة (١٦/ ١٨٠).

وكان متقشفاً في مركوبه وملبوسه ، يتكسب بالتجارة^(١) ، رحمه الله تعالى ونفعنا الله به والمسلمين .

وفاة جلال الدين المحلي :

اتفق المترجمون لحياة جلال الدين المحلي ، رحمه الله تعالى ، على أن وفاته كانت سنة أربع وستين وثمانمئة (٨٦٤ هـ) للهجرة المباركة^(٢) الموافقة سنة تسع وخمسين وأربعمئة وألف (١٤٥٩ م) للميلاد^(٣) بمصر .

قال الحافظ السخاوي رحمه الله تعالى : « مات بعد أن تعلل بالإسهال من نصف رمضان في صبيحة يوم السبت مستهل سنة (٨٦٤ هـ) ، وصلي عليه بمصلى باب النصر في مشهد حافل جداً ، ثم دُفن عند آبائه بتربيته التي أنشأها تجاه جوش ، وتأسف الناس عليه كثيراً ، وأنثوا عليه جميلاً ، ولم يخلف بعده في مجموعته مثله ، رثاه بعض الطلبة ، بل مدحه في حياته جماعة من الأعيان »^(٤) .

وكانت وفاته في المحرم ، قال ابن إياس : « في السنة (٨٦٤ هـ) في المحرم في أول يوم منه كانت وفاة العلامة العالم الفاضل الشيخ الصالح جلال الدين المحلي »^(٥) ، وبمثله قال المراغي^(٦) ، ولكن اختلف العلماء في تعيين يوم وفاته ، فقال السخاوي^(٧) والشوكاني^(٨) : « يوم السبت » ، وقال الأتابكي : « يوم الأحد »^(٩) .

ولعل الأول أصح لأن الحافظ السخاوي تلميذ المحلي ، وهو أدري بذلك ، والله تعالى أعلم .

(١) حسن المحاضرة (٢ / ٢٠١) ، شذرات الذهب (٩ / ٢٤٧) .

(٢) الضوء اللامع (٧ / ٤١) ، حسن المحاضرة (٢ / ٢٠١) ، شذرات الذهب (٩ / ٢٤٧) ، الفتح المبين (٣ / ٤٠) ، النجوم الزاهرة (١٦ / ١٨٠) ، البدر الطالع للشوكاني (ص : ٦٣٢) ، كشف الظنون (٢ / ١٨٧٣) .

(٣) معجم المؤلفين (٣ / ٩٣) ، الأعلام (٥ / ٣٣٣) ، الفتح المبين (٣ / ٤٠) .

(٤) الضوء اللامع للسخاوي : ٧ / ٤١ .

(٥) بدائع الزهور : ٢ / ٣٥٥ .

(٦) الفتح المبين : ٣ / ٤٠ .

(٧) الضوء اللامع للسخاوي : ٧ / ٤١ .

(٨) البدر الطالع (ص : ٦٣٢) .

(٩) النجوم الزاهرة : ١٦ / ١٨٠ .

المبحث الثالث

شيوخ جلال الدين المحلي ، وتلاميذه

شيوخ جلال الدين المحلي :

لقد أخذ جلال الدين المحلي كلَّ فنٍّ من العلوم الشرعية من أكابر علماء عصره وفي ذلك يقول الحافظ السخاوي: « أخذ جلال الدين الفقه والأصول والعربية عن الشمس البرماوي ، وكان مقيماً معه بالبيبرسية فكثرت انتفاعه به لذلك ، والفقه أيضاً عن البيجوري ، والجلال البلقيني ، والولي العراقي ، والأصول أيضاً عن العزّاب جماعة ، ولازم البساطي في التفسير وأصول الدين وغيرها ، وانتفع به كثيراً ، ... »

وأخذ علوم الحديث عن الولي العراقي وشيخنا [يعني الحافظ ابن حجر العسقلاني] ، وبه انتفع ، فإنه قرأ عليه جميع شرح ألفية العراقي ، وأذن له في إقرائه ، وكان أحد الطلبة المؤيدة عنده ، بل كان كلما يشكل عليه في الحديث وغيره يراجع فيه «^(١)» .

وأذكر هنا ترجمة ثلاثة من شيوخ جلال الدين المحلي على حسب وفياتهم إشارة إلى باقيهم ، وهم : الحافظ ولي الدين العراقي ، وشمس الدين البرماوي ، والحافظ ابن حجر العسقلاني ، رحمهم الله تعالى :

١- الحافظ ولي الدين العراقي (٧٦٢-٨٢٦هـ = ١٣٦١-١٤٢٣ م):

هو أحمد بن عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحيم العراقي ، ولي الدين ، أبو زُرْعَة ، الإمام بن الإمام ، الحافظ بن الحافظ ، شيخ الإسلام بن شيخ الإسلام ، الشافعي .

ولد سنة (٧٦٢هـ - ١٣٦١م) ، ويكرّمه أبوه فأحضره عند المسند أبي الحرم القلانسي في الأولى والثانية ، واستجاز له من أبي الحسن العرضي ، ثم طلب بنفسه ، وطاف على الشيوخ وكتب الطباق ، وفهم الفن ، واشتغل في الفقه ، والعربية ، والمعاني ، والبيان ، وأحضر على جمال الدين الإسنوي ، وشهاب الدين ابن النقيب .

أقبل على التصنيف فصنّف النكت على المختصرات الثلاثة جمع فيها بين التوشيح للقاضي تاج الدين السبكي ، وبين تصحيح الحاوي لابن الملقن ، وزاد عليهما فوائد من حاشية الروضة للبلقيني ، ومن المهمات للإسنوي ، وتلقى الطلبة هذا الكتاب بالقبول ونسخوه

(١) الضوء اللامع للسخاوي : ٣٩ / ٧ .

وَقَرَّوْهُ عَلَيْهِ ، وَهَذَبَ شَرَحَ جَمْعَ الْجَوَامِعَ لِبَدْرِ الدِّينِ الزَّرْكَشِيِّ ، وَسَمَّاهُ « الْغَيْثُ الْهَامِعُ فِي شَرَحِ جَمْعِ الْجَوَامِعِ » ، وَهُمَا مَطْبُوعَانِ .

وَلَمَّا مَاتَ أَبُوهُ تَقَرَّرَ فِي وَظَائِفِهِ فَدَرَّسَ بِالْجَامِعِ الطُّوْلَانِيِّ وَغَيْرِهِ ، ثُمَّ وَلِيَ الْقَضَاءَ الْأَكْبَرَ ، وَصُرِفَ عَنْهُ .

وَكَانَ مِنْ خَيْرِ أَهْلِ الْعَصْرِ بِشَاشَةِ وَصَلَابَةِ فِي الْحُكْمِ ، وَقِيَاماً بِالْحَقِّ ، وَطَلَاقَةً وَجْهِ ، وَحَسَنَ خَلْقٍ ، وَطِيبَ عَشْرَةٍ .

تَوَفَّى رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى يَوْمَ الْخَمِيسِ التَّاسِعِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ سَنَةِ (٨٦٢ هـ = ١٤٢٣ م) ، وَدُفِنَ عِنْدَ وَالِدِهِ شَيْخِ الْإِسْلَامِ ، رَحِمَهُمَا اللَّهُ تَعَالَى ^(١) .

٢ - شمس الدين البرماوي (٧٦٣ - ٨٣١ هـ = ١٣٦٢ - ١٤٢٨ م) :

هُوَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الدَّائِمِ بْنِ عَيْسَى بْنِ فَارَسٍ الْمَصْرِيِّ الْبَرْمَاوِيِّ ^(٢) ، الشَّافِعِيُّ ، شَمْسُ الدِّينِ .

وُلِدَ سَنَةَ (٧٦٣ هـ = ١٣٦٢ م) ، وَتَفَقَّهَ وَهُوَ شَابٌ ، وَسَمِعَ مِنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ إِسْحَاقَ الْأَمْدِيِّ ، وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنِ عَلِيٍّ الْقَارِي ، وَغَيْرِهِمَا .

كَانَ أَحَدَ الْأَثَمَةِ الْأَعْلَامِ ، وَالْبَحْرَ الَّذِي لَا تَكْذُرُهُ الدِّلَاءُ ، فَرِيدَ دَهْرِهِ ، وَوَحِيدَ عَصْرِهِ ، أَقْعَدَ النَّاسَ لِفَنُونِ الْعِلْمِ مَعَ مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنَ التَّوَاضُعِ وَالْخَيْرِ ، وَصَنَّفَ التَّصَانِيفَ الْمُفِيدَةَ ، مِنْهَا : شَرَحَ الْبُخَارِي ، وَهُوَ شَرَحٌ حَسَنٌ ، وَلَخَصَ الْمَهْمَاتِ وَالتَّوَشِيحَ ، وَنَظَّمَ أَلْفِيَةً فِي أَصُولِ الْفَقْهِ لَمْ يَسْبِقْ إِلَى مِثْلِهَا ، وَشَرَحَهَا شَرْحاً حَسَناً حَافِلاً نَحْوَ مَجْلَدَيْنِ ، وَكَانَ يَقُولُ : أَكْثَرَ هَذَا الْكِتَابِ هُوَ جُمْلَةٌ مَا حَصَلْتُ فِي عَمْرِي ، وَشَرَحَ لَامِيَّةَ ابْنِ مَالِكٍ شَرْحاً فِي غَايَةِ الْجُودَةِ ، وَاخْتَصَرَ السِّيْرَةَ ، وَكَتَبَ الْكَثِيرَ ، وَحَسَى الْحَوَاشِي الْمُفِيدَةَ ، وَعَلَّقَ التَّعَالِيقَ النَّفِيسَةَ وَالْفَتَاوَى الْعَجِيبَةَ ، وَكَانَ مِنْ عَجَائِبِ دَهْرِهِ .

تَوَفَّى رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِالْقُدْسِ يَوْمَ الْخَمِيسِ ثَامِنِ عَشْرِي أَحَدِ الْجُمَادَيْنِ سَنَةِ (٨٣١ هـ = ١٤٢٨ م) ، وَدُفِنَ بِتَرْتَبَةٍ مَامِلًا بِجَوَارِ الشَّيْخِ عَبْدِ اللَّهِ الْقُرْشِيِّ ، رَحِمَهُمَا اللَّهُ تَعَالَى ^(٣) .

(١) انظر: طبقات الشافعية لابن قاضي شعبة (١٠٣/٤) ، الضوء اللامع (١/ ٣٠٢) ، شذرات الذهب لابن العماد (٩/ ٢٥١-٢٥٢) ، الأعلام (١/ ١٤٨) ، معجم المؤلفين (١/ ١٦٨) .

(٢) قال ياقوت الحموي في معجم البلدان (١/ ٤٠٣) : « بِرْمَةٌ : بِالْكَسْرِ بَلِيدَةٌ ذَاتُ أَسْوَاقٍ فِي كُورَانِ الْغُرَبَاءِ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ فِي طَرِيقِ الْأَسْكَندَرِيَّةِ » .

(٣) انظر : الضوء اللامع للسخاوي (٨/ ٢٨٠) ، شذرات الذهب لابن العماد (٩/ ٢٨٦) ، الأعلام (٦/ ١٨٨) ، معجم المؤلفين (٣/ ٣٨٨) .

٣ - الحافظ ابن حجر (٧٧٣ - ٨٥٢ هـ = ١٣٧٢ - ١٤٤٩ م) :

هو أحمد بن علي بن محمد بن محمد ، الشهير بابن حجر ، شيخ الإسلام ، علمُ الأعلام ، أمير المؤمنين في الحديث ، حافظ العصر ، شهاب الدين ، أبو الفضل ، الكنانى العسقلاني في الأصل ، المصري المولد والمنشأ والدار والوفاة ، الشافعي .

ولد سنة (٧٧٣ هـ = ١٣٧٢ م) ، حفظ القرآن العظيم ، وتولّع بالنظم ، وقال الشعر الكثير المليخ إلى الغاية ، ثم حبّب الله تعالى إليه الحديث فأقبل عليه ، وسمع الكثير بمصر وغيرها ، ورحل ، وانتقى ، وحصل ، وسمع من الحفاظ : ابن الملّقن ، والعراقي ، والسراج البلقيني ، والبرهان الأبناسي ، ونور الدين الهيثمي ، وغيرهم .

وأخذ الفقه من السراج البلقيني ، وابن الملّقن ، وزين الدين العراقي ، وغيرهم . وانتهى إليه معرفة الرجال واستحضارهم ، معرفةً العالي والنازل ، وعلل الأحاديث ، وصار هو المعوّل عليه في هذا الشأن في سائر الأقطار ، وقدوة الأمة ، وعلامة العلماء ، وحجة الأعلام ، ومحبي السنة ، وانتفعت به الطلبة ، وحضر دروسه وقرأ عليه غالب علماء مصر ، ورحل الناس إليه من الأقطار .

وصنّف كتباً نفيسة منها : شرح البخاري المسمّى بـ « فتح الباري » ، وتغليق التعليق ، وتهذيب تهذيب الكمال لحافظ الدنيا المزي ، وتقريب التهذيب ، وتعجيل المنفعة بزوائد رجال الأئمة الستة ، والإصابة في تمييز الصحابة ، ولسان الميزان ، وغيرها الكثير .

وكان صبيح الوجه ، فصيح اللسان ، شجي الصوت ، جيد الذكاء ، عظيم الحدق ، راويةً للشعر وأيام من تقدّمه وعاصرّه ، مع كثرة الصوم ولزوم العبادة ، واقتداء بالسلف الصالح ، وأوقاته مقسمة للطلبة مع كثرة المطالعة والتأليف والتصدي للإفتاء والتصنيف .

توفي رحمه الله تعالى ليلة السبت ثامن عشري ذي الحجة سنة (٨٥٢ هـ - ١٤٤٩ م) ، وكانت جنازته حافلة مشهورة^(١) .

تلاميذ جلال الدين المحلي :

لقد تتلمذ على جلال الدين المحلي ، رحمه الله تعالى ، عدد لا يحصى ، وتخرّج به جماعة من الأفاضل ، وارتحل إليه الفضلاء وإن كان رحمه الله تعالى في آخر حياته لا يُقرئ إلا قليلاً ، وفي ذلك يقول تلميذه الحافظ السخاوي :

(١) انظر : الضوء اللامع للسخاوي (٢ / ٣٦ - ٤٠) ، شذرات الذهب (٩ / ٣٩٥ - ٣٩٩) ، الأعلام

(١ / ١٧٨) ، معجم لمؤلفين (١ / ٢١٠) .

« قرأ على جلال الدين المحلي مَنْ لا يحصى كثرة ، وارتحل الفضلاء للأخذ عنه ، وتخرَّج به جماعة درَّسوا في حياته ، لكنَّه صار في آخر حياته يستروح في إقرائه لغلبة الملل والسَّامة عليه وكثرة المخاطبين ، ولا يصغي إلَّا لِمَنْ عَلِمَ تحريره وتحرَّزه خصوصاً وهو حاد المزاج لا سيَّما في الحرِّ ، وإذا ظهر له الصواب على لسان من كان رجع إليه مع شدَّة التحرز ، وحَدَّث باليسير ، وسمع منه الفضلاء ، أخذتْ عنه ، وقرض لي غير تصنيف ، وبالع في التنويه بي »^(١) .

وأذكر هنا ترجمة موجزة لأربع من كبار تلاميذه حسب وفياتهم ، وهم : قُطْلُوْبُغا الكُرْكُري ، الحافظ السخاوي ، الحافظ السيوطي ، ابن أبي شريف المقدسي :

١ - قُطْلُوْبُغا الكُرْكُري الحنفي (٨٢٨ - ٨٩٩ هـ = ١٤٢٢ - ١٤٩٣ م) :

هو يوسف بن شاهين الجمال بن الأمير أبي أحمد العلاني قُطْلُوْبُغا الكركري ، القاهري ، أبو المحاسن ، الشافعي ثم الحنفي ، سبط الحافظ ابن حجر .

ولد سنة (٨٢٨ هـ = ١٤٢٢ م) ، سمع على جده الحافظ ابن حجر كثيراً ، وعلى البرهان ابن حصر ، والبدر ابن القطان ، وجماعة آخرين ، وقرأ في الفنون على أبي الجود والجلال المحلي ، والرشيدي ، وأمعن في الطب ، ودار على الشيوخ ، وكتب الأجزاء والطباق .

وصنَّف مصنَّفات مفيدة ، منها : رونق الألفاظ المعجم لمعجم الحفاظ ، والمنتخب شرح المنتخب في علوم الحديث لعلاء الدين التركماني ، ورؤيُ الظمَّان من الصافي الزُّلالة بتخريج أحاديث الرسالة ، والنفع العام بخطب العام ، ومنحة الكرام بشرح بلوغ المرام ، والمعجم النفيس لمعجم أتباع ابن إدريس ، وغير ذلك .

وطار ذكره في الآفاق ، وتناقلت مؤلفاته الرفاق .

مات رحمه الله تعالى سنة (٨٩٩ هـ = ١٤٩٣ م) من عمر إحدى وسبعين سنة^(٢) .

٢ - الحافظ السخاوي (٨٣١ - ٩٠٢ هـ = ١٤٢٧ - ١٤٩٧ م) :

هو محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر السخاوي^(٣) الأصل ، القاهري المولد ، شمس الدين ، أبو الخير ، نزيل الحرمين ، الحافظ المسند ، الشافعي .

(١) الضوء اللامع للسخاوي : ٤٠ / ٧ .

(٢) البدر الطالع للشوكاني (ص : ٨٧٢) .

(٣) سَخَا : كورة غربية بمصر ، فتحها خاتمة بن حذافة بولاية عمرو بن العاص أيام عمر رضي الله عنه .

(معجم البلدان لياقوت الحموي : ٣ / ١٩٦) .

ولد سنة (٨٣١ هـ - ١٤٢٧ م) ، وحفظ القرآن وهو صغير ، وصلى به في شهر رمضان ، وحفظ عمدة الأحكام ، والتنبيه ، والمنهاج ، وألفية ابن مالك ، وألفية العراقي ، وغالب الشاطبية ، والنخبة لابن حجر ، وغير ذلك ، وكلما حفظ كتاباً عرضه على مشايخه .

قرأ على جمال الدين ابن هشام الحنبلي ، وصالح البلقيني ، وشرف الدين المناوي ، وابن الهمام ، وابن حجر ، و جلال الدين المحلي ، وغيرهم .

سمع الكثير على الحافظ ابن حجر ، ولازمه أشد الملازمة وحمل عنه ما لم يشاركه فيه غيره ، وأخذ عنه أكثر تصانيفه ، وأذن له ، وتخرج به في الحديث ، وأقبل على هذا الشأن بكلية وتدرّب فيه ، وأخذ عن مشايخ عصره حتى كان يروي صحيح البخاري عن أزيد من مئة وعشرين نفساً ، ورحل إلى الآفاق وطاف البلاد ، وحجّ مرات وجاور مجاورات ، وأخذ من علماء الحرمين ، وانتهى إليه علم الجرح والتعديل حتى قيل : لم يكن بعد الذهبي أحد سلك مسلكه ، وأملى الحديث على ما كان عليه أكابر مشايخه ومشايخهم .

ألّف كتباً إليها النهاية لمزيد علوه وفصاحته منها : فتح المغيث بشرح ألفية الحديث ، لا يُعلم أجمع منه ولا أكثر تحقيقاً لمن تدبره ، كما قال ابن العماد الحنبلي^(١) ، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، لو لم يكن له غيره لكان أعظم دليل على إمامته كما قال الشوكاني^(٢) ، والمقاصد الحسنة في الأحاديث الجارية على الألسنة ، والقول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع ، والأصل الأصيل في تحريم النقل عن التوراة والإنجيل ، وغير ذلك الكثير .

توفي رحمه الله تعالى بالمدينة المنورة على ساكنها الصلاة والسلام يوم الأحد الثامن والعشرين من شعبان سنة (٩٠٢ هـ - ١٤٩٧ م) ، ووُفِّق بنعشه تجاه الحجرة الشريفة ، ودُفِن بالبقيع بجوار الإمام مالك ، رحمهما الله تعالى ، ولم يخلف بعده مثله^(٣) .

٣- الحافظ السيوطي (٨٤٩ - ٩١١ هـ = ١٤٤٥ - ١٥٠٧ م) :

هو عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن سابق الدين أبي بكر ، جلال الدين ، أبو الفضل ، السيوطي ، الشافعي ، الحافظ المسند ، المحقق المدقق ، صاحب المؤلفات الفائقة النافعة .

(١) شذرات الذهب لابن العماد : ٢٤ / ١٠ .

(٢) البدر الطالع للشوكاني (ص : ٧٠٣) .

(٣) انظر : شذرات الذهب لابن العماد (٢٣ - ٢٥) ، البدر الطالع للشوكاني (ص : ٧٠١) ، الأعلام

(٦ / ١٩٤) ، معجم المؤلفين (٣ / ٣٩٩) .

ولد سنة (٨٤٩ هـ - ١٤٤٥ م) ، حفظ القرآن العظيم وله من العمر دون ثمان سنين ، وحفظ العمدة ، والمنهاج الفرعي ، وبعض الأصولي ، وألفية النحو ، وعرض ذلك على علماء عصره ، وأجازوه .

أخذ عن جلال الدين المحلي ، وزين الدين العقبى ، وشمس الدين محمد بن موسى الحنفي النحو ، وعلم الدين البلقيني ، وشرف الدين المناوي ، وفنونا كثيرة عن جماعة كثيرة ، وأجاز له أكابر علماء عصره من سائر الأمصار ، وبرز في جميع الفنون ، وفاق الأقران ، واشتهر ذكره وبُعد صيته .

وصنف التصانيف المفيدة الحافلة الكثيرة ، الكاملة الجامعة ، المحررة المعتمدة ، وقد اشتهر أكثرها في حياته في أقطار الأرض شرقاً وغرباً ، منها : الجامع الصغير والكبير في الحديث ، والدر المنثور في التفسير ، والإتقان في علوم القرآن ، وغيرها الكثير .

وكان أعلم أهل زمانه بالحديث وفنونه رجالاً ، وغريباً ومتناً وسنداً ، واستنباطاً للأحكام منه ، وأخبر عن نفسه أنه يحفظ مئتي ألف حديث ، وقال : لو وجدت أكثر لحفظت ولعله لا يوجد على وجه الأرض الآن أكثر من ذلك .

ولما بلغ أربعين أخذ في التجرد للعبادة والانقطاع إلى الله تعالى والاشتغال به صرفاً والإعراض عن الدنيا وأهلها كأنه لم يعرف أحداً منهم ، وشرع في تحرير مؤلفاته ، وكان الأمراء والأغنياء يزورونه ويعرضون عليه الأموال النفيسة فيردّها ، وظهر له كرمات ، ورثي النبي ﷺ ، في المنام والشيخ السيوطي يسأله عن بض الأحاديث والنبي ﷺ يقول : هات يا شيخ الحديث ، وبالجملّة مناقبه لا تحصر كثرة ، ولو لم يكن له من الكرامات إلا كثرة المؤلفات وتحريرها وتدقيقها لكفى ذلك شاهداً لمن يؤمن بالقدرة .

توفي رحمه الله تعالى في سحر ليلة الجمعة تاسع عشر جمادى الأولى سنة (٩١١ هـ = ١٥٠٧ م) ، في منزله بعد تمرّض سبعة أيّام عن إحدى وستين سنة ، ودُفن في حوش قوصون خارج باب القرافة^(١) .

٤ - ابن أبي شريف المقدسي (٨٣٣ - ٩٢٣ هـ = ١٤٢٧ - ١٥١٧ م) :

هو إبراهيم بن الأمير ناصر الدين محمد بن أبي بكر بن علي ، برهان الدين ، أبو إسحاق ، المعروف بابن أبي شريف المقدسي ، المصري الشافعي ، الشيخ الإمام ، والحبر الهمام ،

(١) انظر : شذرات الذهب (١٠ / ٧٤ - ٧٩) ، البدر الطالع للشوكاني (ص ٣٣٧ - ٣٤٣) ، الأعلام (٣ / ٣٠١ - ٣٠٢) ، معجم المؤلفين (٢ / ٨٢) .

العلامة المحقق والفهامة المدقق ، شيخ مشايخ الإسلام ومرجع الخاص والعام .

ولد بالقاهرة سنة (٨٣٣ هـ = ١٤٢٧ م) ، وحفظ القرآن وهو ابن سبع سنين ، واشتغل بفنون العلم على أخيه كمال الدين ابن أبي شريف ، وأخذ الفقه عن علم الدين البلقيني ، وشمس الدين القاياني ، والأصول عن جلال الدين المحلي وقرأ عليه شرحه لجمع الجوامع ، وشرح العقائد ، وأخذ الحديث عن شيخ الإسلام ابن حجر العسقلاني وغيره ، وقرأ على جماعة كثيرة في فنون متعددة ، وتزوج بابنة قاضي القضاة شرف الدين المناوي ، وناب عنه في القضاء ، ودرس وأفتى ، ونظم ونثر ، وصنف ، واشتهر أمره وبعد صيته ، وصار المعول عليه في الفتوى بالديار المصرية ، وبرع في الفنون ، وأذن له غير واحد بالإقراء والإفتاء .

وكان عظيم الشأن ، كثير التواضع ، حسن اللقاء ، فصيح العبارة ، ذا ذكاء مفطر ، حسن نظم ونثر ، فقيه نفس ، وكتابه على الفتوى في نهاية الحسن ، من المقبلين على الله عز وجل ليلاً ونهاراً ، لا يكاد يسمع منه كلمة يكتبها عليه كاتب الشمال ، وكان لا يتردد لأحد من الولاة أبداً ، ويتقوت من مصبته له بالقدس ، ولا يأكل من معاليم مشيخة الإسلام شيئاً ، وكان قوَّالاً بالحق ، أمراً بالمعروف ، لا يخاف في الله لومة لائم .

وصنف تصانيف عظيمة منها : شرح المنهاج ، وشرح الحاوي ، وشرح قواعد الإعراب ، وشرح العقائد لابن دقيق العيد ، ونظم النخبة ، ومختصرات كثيرة كتهذيب المنطق للتفتراني ، والورقات لإمام الحرمين ، وشذرات الذهب ، وعقائد النسفي ، وغير ذلك . ودرس في عدة فنون ، وأخذ عنه الطلبة ، وولي قضاء الشافعية بالقاهرة .

توفي رحمه الله تعالى في فجر يوم الجمعة ليومين بقياً من المحرم سنة (٩٢٣ هـ = ١٥١٧ م) ، ودفن بالقرب من ضريح الإمام الشافعي ، رضي الله تعالى عنهما^(١) .

(١) انظر : شذرات الذهب (١٠ / ١٦٦ - ١٦٨) ، البدر الطالع (ص : ٣٣٧ - ٣٤٣) ، الأعلام

(١ / ٦٦) ، معجم المؤلفين (١ / ٥٩) .

المبحث الرابع

مؤلفات جلال الدين المحلي

لقد ألف جلال الدين المحلي ، رحمه الله تعالى ، كتباً كثيرة نفيسة في غاية الحسن والدقة والتحقيق^(١) التي شُدت إليها الرحال بعد موته كما كانت تُشدُّ إليها في حياته .

قال ابن العماد الحنبلي رحمه الله : « ألف كتباً تُشدُّ إليها الرحال في غاية الاختصار ، والتحرير ، والتنقيح ، وسلامة العبارة ، وحسن المزج ، والحلّ ، وقد أقبل عليها الناس وتلقوها بالقبول وتداولوها »^(٢) .

وفيما يلي أذكر مؤلفاته التي وقفتُ عليها مرتبة على حروف المعجم ، وهي :

١ - الأنوار المضيئة في مدح خير البرية ﷺ ، شرح فيه الجلال المحلي قصيدة البردة المسماة بـ « الكواكب الدرية في مدح خير البرية » الشهيرة « بالبردة الميمية » للشيخ شرف الدين أبي عبد الله محمد بن سعيد البوصيري المتوفى (٦٩٤ هـ) ، قال الحافظ السخاوي : « أتقنها ما شاء مع الاختصار والاعتناء بالذّب عنها »^(٣) ، وهو مخطوط ، توجد له في مكتبة الأسد الوطنية بدمشق ثماني نسخ ، أرقامها : (١٥٢٣ ، ٧١٥٩ ، ٦٤٦٠ ، ٨٠٩٣ ، ٣٨٨٤ ، ٥٩٤٤ / ت ٢ ، ١٤٨٧ / ت ٣ ، ٨١٥٢ / ت ٣) .

٢ - البدر الطالع في حلّ جمع الجوامع ، أصول الفقه ، وهو مطبوع مع حاشية العلامة عبد الرحمن بن جار الله البناني المغربي المالكي المتوفى (١١٩٨ هـ) ، وعليهما تقريرات شيخ الإسلام عبد الرحمن بن محمد الشربيني الشافعي المتوفى (١٣٢٦ هـ) ، دار الكتب العلمية ، لبنان - بيروت ، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م .

وكذا مع حاشية العطار ، وحاشية ابن قاسم العبادي ، وهو موضوع بحثي أيضاً .

وأما تسمية الكتاب بهذا الاسم فقد ثبتت على نسخة حسن بن محمد بن محمد المتوفى (٨٩٢ هـ) ، وهي موجودة في مكتبة الأسد الوطنية بدمشق تحت رقم (١٧٠٢) ، وذكره بهذا الاسم الزركلي في الأعلام (٥ / ٣٣٣) ، وكارل بروكلمان في تاريخ الأدب العربي ، وقال : « أتمّه عام ٨٢٧ هـ - ١٤٢٤ م »^(٤) .

(١) انظر : حسن المحاضرة للسيوطي : ١ / ٢٠١ .

(٢) شذرات الذهب لابن العماد : ٩ / ٢٤٧ .

(٣) الضوء اللامع للسخاوي : ٧ / ٤٠ .

(٤) تاريخ الأدب العربي : ٦ / ٣٥٥ .

٣- تفسير القرآن، وهو المشهور بين الناس بـ « تفسير الجلالين »، قال حاجي خليفة: «تفسير الجلالين من أول سورة الإسراء إلى آخره للعلامة جلال الدين المحلي، ولما مات أكمله الشيخ المتبحر جلال الدين السيوطي المتوفى (٩١١هـ) كَتَبَ تَمَمَةً عَلَى نَمَطِهِ بِتَعْيِيرٍ وَجِيزٍ، وَهُوَ مَعَ كَوْنِهِ صَغِيرَ الْحَجْمِ كَبِيرَ الْمَعْنَى لِأَنَّهُ لِبُ لِبَابِ التَّفْسِيرِ».

وهو مطبوع بطبعات كثيرة جداً منها : بتحقيق شيخنا الأستاذ الدكتور مصطفى البغا، حفظه الله تعالى ، دار العلوم الإنسانية ، سورية - دمشق ، ١٩٩٩ م .

٤ - الجهر بالبسملة، الفقه الشافعي ، ذكره حاجي خليفة في كشف الظنون (١ / ٦٢٣) ، والبغداد في هدية العارفين (٢ / ٢٠٢) .

٥ - الحاشية على شرح جامع المختصرات، الفقه الشافعي ، ذكره الحافظ السيوطي في حسن المحاضرة (١ / ٢٠١) ، وابن العماد في شذرات الذهب (٩ / ٢٤٧) ، وقال حاجي خليفة في كشف الظنون (١ / ٦١٣) : « جامع المختصرات في فروع الشافعية للشيخ كمال الدين أحمد بن عمر بن أحمد النشائي المدلجي المصري المتوفى (٧٥٧هـ) ، وله شرحه أيضاً ، وعليه حاشية للعلامة جلال الدين المحلي ».

٦ - الحاشية على جواهر البحرين للإسنوي، الفقه الشافعي ، ذكره حاجي خليفة في كشف الظنون (١ / ٦١٣) ، وابن العماد في شذرات الذهب (٩ / ٢٤٧) ، والسيوطي في حسن المحاضرة (١ / ٢٠١) ، وقال : « لم يكمله ».

٧ - شرح الإعراب عن قواعد الإعراب، النحو ، و «الإعراب عن قواعد الإعراب» للشيخ أبي محمد عبد الله بن يوسف المعروف بابن هشام النحوي المتوفى سنة (٧٦٢هـ) ، شرحه جلال الدين المحلي ولم يكمله^(١).

٨ - شرح تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد في النحو، و «تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد في النحو» للشيخ جمال الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الله المعروف بابن مالك، شرحه جلال الدين المحلي ولم يكمله^(٢).

٩ - شرح الشمسية، المنطق، والشمسية متن مختصر في المنطق لنجم الدين عمر بن علي القزويني المتوفى سنة (٦٩٣هـ) ، شرحها جلال الدين المحلي ولم يكمله^(٣).

(١) كشف الظنون (١ / ١٢٣) ، حسن المحاضرة (١ / ٢٠١) ، معجم المؤلفين (٣ / ٩٣).

(٢) كشف الظنون (١ / ٤٠٧) ، شذرات الذهب (٩ / ٢٤٧) ، معجم المؤلفين (٣ / ٩٣).

(٣) كشف الظنون (٢ / ١٠٦٤) ، شذرات الذهب (٩ / ٢٤٧) ، معجم المؤلفين (٣ / ٩٣).

- ١٠- شرح عروض أندلس، العروض ، عروض أندلس لأبي محمد عبد الله بن محمد الأنصاري الأندلسي المعروف بأبي الجيش الأنصاري المغربي المتوفى سنة (٥٤٩ هـ) ، شرحه جلال الدين المحلي ولم يكمله ، قاله حاجي خليفة في كشف الظنون (٢ / ١٢٣٥) .
- ١١- شرح الفرائض ، مخطوط ، توجد له نسخة في مكتبة الأسد الوطنية بدمشق تحت الرقم (٣٠٧٤) ، وذكره البغدادي في هدية العارفين (٢ / ٢٠٢) .
- ١٢- شرح المقصورة لابن حازم ، ذكره حاجي خليفة في كشف الظنون (٢ / ١٨٠٧) ، وقال : « لم يكمله » .
- ١٣- شرح الورقات في أصول الفقه لإمام الحرمين عبد الملك بن عبد الله الجويني المتوفى سنة (٤٧٨ هـ) ، وهو شرح مختصر ممزوج ، مطبوع بعدة طبعات ، منها بتحقيق عبد الله محمد درويش ، مكتبة الفارابي ، سورية - دمشق ، ١٩٩٩ م .
- ١٤- الطب النبوي ، ذكره خير الدين الزركلي في الأعلام (٥ / ٢٤٧) .
- ١٥- كتاب الجهاد ، ذكره السيوطي في حسن المحاضرة (١ / ٢٠١) ، وابن العماد في شذرات الذهب (٩ / ٢٤٧) .
- ١٦- كنز الذخائر ، ذكره إسماعيل باشا البغدادي في هدية العارفين (٦ / ٢٠٢) .
- ١٧- كنز الراغبين في شرح منهاج الطالبين للإمام النووي ، الفقه الشافعي ، مطبوع مع حاشيتي شهاب الدين أحمد البرلسي الملقب بعميرة المتوفى (٩٥٧ هـ) ، وشهاب الدين أحمد بن أحمد القليوبي المتوفى (١٠٦٩) مدة طبعات منها لبنان - بيروت ، دار الفكر ، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م .
- ١٨- مُحَاكِمَات حَوَاشٍ عَلَى الشَّرْحِ وَالرُّوضَةِ وَالْمَهْمَاتِ ، الفقه الشافعي ، مخطوط ، توجد له نسخة في مكتبة الأسد الوطنية بدمشق تحت الرقم (٦٩٤٨) .
- ١٩- مختصر التنبيه للشيخ أبي إسحاق الشيرازي الشافعي المتوفى (٤٧٦ هـ) ، الفقه الشافعي ، ذكره حاجي خليفة في كشف الظنون (١ / ٤٩٢) .
- ٢٠- المناسك ، الفقه الشافعي ، ذكره السخاوي في الضوء اللامع (٧ / ٤٠) ، والسيوطي في حسن المحاضرة (١ / ٢٠١) ، وابن العماد في شذرات الذهب (٩ / ٢٤٧) ، وهو مخطوط ، توجد له في مكتبة الأسد الوطنية تحت الرقم (٦٠٩٤ / ت ٢) .

رَفَعُ

عبد الرحمن البخاري
أسكنه الله الفردوس

قِسْمُ التَّحْقِيقِ

بسم الله الرحمن الرحيم

نَحْمَدُكَ اللَّهُمَّ.....

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على إفضاله ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله .

٦

هذا ما اشتدَّت إليه حاجة المتفهمين لـ «جمع الجوامع»، من شرح يحلُّ ألفاظه، ويبيِّن مراده، ويحقِّق مسائله، ويحرِّر دلائله، على وجه سهلٍ للمبتدئين، حسنٍ للنَّاظرين، نفع الله به آمين .

قال المصنف رحمه الله تعالى: (بسم الله الرحمن الرحيم، نَحْمَدُكَ اللَّهُمَّ): أي نصفُك بِجميع صفاتِكَ يا الله، إذ الحمدُ - كما قال الزمخشري^(١) في «الفائق»^(٢) - الوصفُ بالجميل، وكلُّ من صفاته تعالى جميل، ورعاية جميعها أبلغ في التعظيم المراد بما ذكر، إذ المرادُ به إيجادُ الحمد، لا الإخبارُ بأنه سيُوجدتان .

وكذا قوله: «وَنُصَلِّي...» وَنُصْرَعُ... المرادُ به إيجادُ الصَّلَاةِ والصَّرَاعَةِ، لا الإخبارُ بأنهما سيُوجدتان .

وأتى بـ «نون» العظمة^(٣) لإظهار ملزومها الذي هو نعمةٌ من تعظيم الله تعالى له بتأهيله للعلم، امثالاً لقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾^(٤) .

وقال ما تقدَّم^(٥) دون «نحمد الله» الأخصر منه، للتلذُّذ بِخطاب الله تعالى وندائه .

(١) والزمخشري: هو محمود بن عمر محمد الخوارزمي الزمخشري، أبو القاسم، اللغوي، النحوي، المفسر، المحدث، الحنفي فروعاً المعتزلي أصولاً، له مؤلفات شهيرة منها: الكشف في التفسير، والفائق في غريب الحديث، كان داعيةً إلى الاعتزال، وُلِدَ بِزَمَخْشَر سنة ٤٦٧هـ، ومات سنة بِجَرَجَانة سنة ٥٣٧هـ. (شذرات الذهب: ١١٨/٢، البداية والنهاية: ٢١٩/١٢).

(٢) الفائق في غريب الحديث: ٣١٤/١ .

قال الزركشي في التشنيف (١٥/١): «هو أحسنُ حدوده».

(٣) حيث قال: «نَحْمَدُكَ اللَّهُمَّ»، ولم يَقُل: «أَحْمَدُكَ اللَّهُمَّ» مع كونه واحداً.

(٤) سورة الضحى، الآية: ١١.

(٥) أي قال المصنف: «نَحْمَدُكَ اللَّهُمَّ»، دون «نَحْمَدُ الله»، وغايته في هذا الكتاب الاختصار، تلذُّذاً بمناجاة الله تعالى .

على نِعَم

وَعَدَلَ عَنْ «الْحَمْدُ لِلَّهِ» الصَّيغَةَ الشَّائِعَةَ لِلْحَمْدِ^(١) - إِذِ الْقَصْدُ بِهَا الثَّنَاءُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى ، بَأَنَّهُ مَالِكٌ لِجَمِيعِ الْحَمْدِ مِنَ الْخَلْقِ ، لَا الْإِعْلَامُ بِذَلِكَ الَّذِي هُوَ مِنْ جُمْلَةِ الْأَصْلِ فِي الْقَصْدِ بِالْخَيْرِ ٣ مِنَ الْإِعْلَامِ بِمُضْمُونِهِ - إِلَى مَا قَالَهُ^(٢) لِأَنَّهُ ثَنَاءٌ بِجَمِيعِ الصِّفَاتِ بِرِعايَةِ الْأَبْلَغِيَّةِ كَمَا تَقَدَّمَ^(٣) ، وَهَذَا بِوَاحِدَةٍ مِنْهَا ، وَإِنْ لَمْ تُرَاعَ الْأَبْلَغِيَّةُ هُنَاكَ بِأَنْ يُرَادَ الثَّنَاءُ بِبَعْضِ الصِّفَاتِ ، فَذَلِكَ الْبَعْضُ أَعَمُّ مِنْ هَذِهِ الْوَاحِدَةِ لِصَدَقَهُ بِهَا وَبِغَيْرِهَا الْكَثِيرِ ، فَالثَّنَاءُ بِهِ أَبْلَغُ مِنَ الثَّنَاءِ بِهَا فِي الْجُمْلَةِ أَيْضًا .

نَعَمُ الثَّنَاءُ بِهَا مِنْ حَيْثُ تَفْصِيلُهَا أَوْقَعَ فِي النَّفْسِ مِنَ الثَّنَاءِ بِهِ .

(على نِعَم) : جَمْعُ «نِعْمَةٍ» بِمَعْنَى «إِنْعَامٍ»^(٤) ، وَالتَّنْكِيرُ لِلتَّكْثِيرِ وَالتَّعْظِيمِ ، أَيِ إِنْعَامَاتٍ كَثِيرَةٍ عَظِيمَةٍ مِنْهَا الْإِلَهَامُ لِتَأْلِيفِ هَذَا الْكِتَابِ وَالْإِقْدَارُ عَلَيْهِ .

و «على» صَلَوةٌ «نَحْمَدُ» .

(١) قَالَ الْمَصْنِفُ فِي مُنْعِ الْمَوَانِعِ (ص: ٣٧٢): «الْجُمْلَةُ الْفَعْلِيَّةُ دَالَّةٌ عَلَى التَّجَدُّدِ لِإِدْلَالِ الْفِعْلِ عَلَى الْحَدَثِ ، بِخِلَافِ الْأَسْمِيَّةِ ، فَإِنَّهَا مَسْلُوبَةُ الدَّلَالَةِ عَلَى الْحَدَثِ وَضَعًا . وَلَمَّا كَانَ هَذَا الْكِتَابُ مِنَ النِّعَمِ الْمُتَجَدِّدَةِ نَاسِبٌ أَنْ يُؤْتَى بِمَا يَدُلُّ عَلَى التَّجَدُّدِ . هَذَا بِخِلَافِ كِتَابِ اللَّهِ الْعَزِيزِ فَإِنَّهُ قَدِيمٌ لَمْ يَتَجَدَّدْ فَالْأَسْمِيَّةُ أَنْسَبُ بِهِ . وَهَذَا مَعْنَى لَطِيفٍ وَسَرٍّ غَرِيبٍ اسْتَنْبَطْتُهُ ، وَبِهِ يَعْتَصِدُ مَنْ افْتَتَحَ كِتَابَهُ بِالْجُمْلَةِ الْفَعْلِيَّةِ كَالرَّافِعِيِّ فِي شَرْحِهِ [أَيِ شَرْحِ الْوَجِيزِ] وَالْغَزَالِيِّ قَبْلَهُ فِي كَثِيرٍ مِنْ كُتُبِهِ .

وَلَسْتُ أَدْعِي أَنْ الْإِفْتِتَاحَ بِالْفَعْلِيَّةِ فِي كَلَامِ الْبَشَرِ أَوَّلَى مُطْلَقًا ، وَكَيْفَ وَقَدْ افْتَتَحَ إِمَامُنَا الشَّافِعِيُّ رحمته الله رِسَالَتَهُ [ص: ٧] بِالْأَسْمِيَّةِ حَيْثُ يَقُولُ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ» ، وَإِنَّمَا أَدْعِي أَنَّهُ إِذَا لَوَحَّظَ مَعْنَى نِعْمَةٍ تَجَدَّدَتْ مَعَ قَطْعِ النَّظَرِ عَنِ النِّعَمِ الْمُسْتَقَرَّةِ فَالْأَحْسَنُ لَفْظُ يَدُلُّ عَلَى التَّجَدُّدِ ، بِخِلَافِ مَا إِذَا لَوَحَّظَ مَعْنَى النِّعْمَةِ ، وَتَعَلَّقَهَا بِالْحَامِدِ مِنْ حَيْثُ هِيَ .

بَقِيَ هُنَا بَحْثٌ ، وَهُوَ أَنَّهُ هَلِ الْأَوَّلَى مِلَاحَظَةُ النِّعْمَةِ الْمُتَجَدِّدَةِ أَوْ النِّعْمَةِ مِنْ حَيْثُ هِيَ؟ الَّذِي يَظْهَرُ: أَنَّ هَذَا يَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ الْمَقَامَاتِ ، وَأَنَّ النِّعْمَةَ إِذَا فَاجَأَتْ الْعَبْدَ فَمِلَاحَظَتُهَا أَوَّلَى بِخُصُوصِهَا وَقَتْ فُجَائَتِهَا وَأَنْسَبُ ، وَلِذَلِكَ شُرِعَ سُجُودُ الشُّكْرِ عِنْدَهَا ، وَلَوْ أَخَّرَهُ لَفَاتَ وَقْتَهُ ، فَدَلَّ أَنَّ الشَّارِعَ يَطْلُبُ مِلَاحَظَتَهَا بِخُصُوصِهَا ، وَالْقِيَامَ بِشُكْرِهَا عِنْدَ تَجَدُّدِهَا ، وَمِنْ ذَلِكَ مَصْنَفُ الْكِتَابِ ، فَيَحْسَنُ أَنْ يِلَاحِظَ نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْهِ بِتَأَهُلِهِ لِذَلِكَ» .

(٢) أَيِ إِلَى قَوْلِهِ: «نَحْمَدُكَ اللَّهُمَّ» .

(٣) عِنْدَ شَرْحِ قَوْلِ الْمَصْنِفِ: «نَحْمَدُكَ اللَّهُمَّ» .

(٤) قَالَ ابْنُ مَنظُورٍ فِي لِسَانِ الْعَرَبِ (١٣/٢٠٤): «النِّعْمَةُ بَفَتْحِ النُّونِ: التَّنْعَمُ ، وَبِكَسْرِ النُّونِ: إِنْْعَامُ اللَّهِ عَلَى الْعَبْدِ» .

يُؤْذَنُ الْحَمْدُ بِازْدِيَادِهَا وَنُصَلِّيَ عَلَى نَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ

وإنما حميد على النعم، أي في مقابليتها، لا مطلقاً، لأن الأول واجب، والثاني مندوب.
ووصف «النعم» بما هو شأنها بقوله: (يؤذن الحمد) عليها (بازديادها) أي يعلم
بزيادتها، لأنه متوقف على الإلهام له، والإقدار عليه، وهما من جملة النعم، فيقتضيان الحمد،
وهو مؤذن بالزيادة المقتضية للحمد أيضاً وهلم جرا.

فلا غاية للنعم حتى يُوقَفَ بالحمد عليها ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا﴾^(١).

و «ازداد» و «زاد» اللّازم مُطَاوِعاً^(٢) «زاد» المتعدي، تقول: زاد الله النعم عليّ، فازدادت
وزادت^(٣).

(وَنُصَلِّيَ^(٤) عَلَى نَبِيِّكَ^(٥) مُحَمَّدٍ) من الصلاة المأمور بها، وهي الدعاء بالصلاة أي
الرّحمة عليه، أخذاً من حديث: «أمرنا الله أن نُصَلِّيَ عَلَيْكَ، فَكَيْفَ نُصَلِّيَ عَلَيْكَ؟ قَالَ: قُولُوا:
اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ، إِلَى آخِرِهِ»، رواه الشيخان إلا صدره، فمسلّم^(٦).

(١) سورة إبراهيم، الآية: ٣٤.

(٢) الفعل المتعدي (إلى مفعول واحد) قَدْ يُنشَأُ عَنْهُ فِعْلٌ لَازِمٌ، كما يُنشَأُ عَنْ فِعْلِ مُتَعَدٍّ إِلَى مَفْعُولَيْنِ فِعْلٌ
متعدٍ إلى فعلٍ واحدٍ، ويُسمَّى الفِعْلُ الثَّانِي مُطَاوِعاً بِالْكَسْرِ، وَيُسَمَّى الْأَوَّلُ مُطَاوِعاً بِالْفَتْحِ، فـ «زاد»
اللازم هاهنا و «ازداد» يكونان مُطَاوِعَيْنِ مِنْ «زاد» المتعدي. (انظر: كتاب سيبويه بشرح عبد السلام
هارون: ٦٥/٤).

(٣) اتفق العلماء على أنّ «زاد» يأتي لازماً ومتعدياً إلى مفعولين، تقول: زاد الشيء زيادةً، وزاده الله خيراً،
ولكنهم اختلفوا في «ازداد»، ظاهرُ صنيعِ الشارح أنه لا يكون إلا لازماً فلذا لم يُقَيِّدهُ بـ «اللازم» كما
قَيَّدَ «زاد»، والجمهور على أنه يكون لازماً ومتعدياً، ومن الثاني قوله تعالى في سورة المدثر
(الآية: ٣١) ﴿وَزَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا﴾، وقوله تعالى في سورة الكهف (الآية: ٢٥) ﴿وَإِزْدَادًا سَعَاءً﴾.

(لسان العرب: ١٩٨/٣، مختار الصحاح: ١١٨/١، تفسير النسفي: ١١/٣).

(٤) قال الزركشي في التشنيف (٢٤/١) وشيخ الإسلام في النجوم اللوامع (١٥٦/١): «حقه أن يقول بعده:

«ونسلم» خروجاً من كراهة أفراد أحدهما عن الآخر؟

ويجاب عنه: أنه أتى به نطقاً جرياً على طريقة المتقدمين.

(البناني: ٢٥/١، تقارير الشرييني: ٢٥/١).

(٥) وإنما قال «نبيك» بدل «رسولك» اقتداءً بالكتاب في قوله ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾ [سورة
الأحزاب، الآية: ٥٦]، وإشارة إلى أنه ﷺ يستحق الصلاة والسلام بالنبوة التي هي أعم من الرسالة،
فيستحق بالرسالة من باب أولى. (تحفة المريد، ص: ١٣).

(٦) عن أبي مسعود الأنصاري ﷺ قال: «أتانا رسول الله ﷺ ونحن في مجلس سعد بن عباد، فقال بشر=

والنبي: إنسان أوجي إليه بشرع وإن لم يؤمر بتبليغه. فإن أمر بذلك فرسول أيضاً^(١)؛ أو ٤ وأمر بتبليغه وإن لم يكن له كتاب، أو نسخ لبعض شرع من قبله كيوشع^(٢) فإن كان له ذلك فرسول أيضاً: قولان. فالنبي أعظم من الرسول عليهما.

وفي الثالث: أنهما بمعنى، وهو معنى الرسول على الأول المشهور.

وقال: «نبيك» دون «رسولك» لأن النبي أكثر استعمالاً^(٣).

ولفظه بالهمز من «النبأ» أي الخبر، لأن النبي ﷺ مُخْبِرٌ عن الله تعالى، وبلا همز- وهو الأكثر- قيل: «إنه مُحَقَّقُ المهموز بقلب همزته ياء»، وقيل: «إنه الأَصْلُ من «النَّبْوة» بفتح النون وسكون الباء، أي الرفعة، لأن النبي مرفوع الرتبة على غيره من الخلق^(٤).

و«مُحَمَّدٌ»: عَلَمٌ منقول من اسم مفعول المضاعف، سُمِّيَ بِهِ نَبِيُّنَا ﷺ بِأَلْهَامٍ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى

= ابن سعيد: أَمَرَنَا اللَّهُ تَعَالَى أَنْ نُصَلِّيَ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَكَيْفَ نُصَلِّيَ عَلَيْكَ؟ فَسَكَتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى تَمَنَّيْنَا أَنَّهُ لَمْ يَسْأَلْهُ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: قُولُوا: «اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ فِي الْعَالَمِينَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، وَالسَّلَامُ كَمَا عَلِمْتُمْ». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي الدَّعَوَاتِ، بَابُ الصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ (٦٣٥٧)، وَمُسْلِمٌ فِي الصَّلَاةِ، بَابُ الصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ (٩٠٦)، وَأَبُو دَاوُدَ فِي الصَّلَاةِ، بَابُ الصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فِي الشَّهَادَةِ (٩٨٠)، وَالتِّرْمِذِيُّ فِي التَّفْسِيرِ، بَابُ وَمِنْ سُورَةِ الْأَحْزَابِ (٣٢٢٠)، وَالنَّسَائِيُّ فِي السُّهُو، بَابُ الْأَمْرِ بِالصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ (١٢٨٤).

قال العبد الفقير غفر الله له ولوالديه: المراد من قوله: «لَا صَدْرَهُ» قولُ بشرٍ: «أَمَرَنَا اللَّهُ تَعَالَى أَنْ نُصَلِّيَ عَلَيْكَ، فَكَيْفَ الصَّلَاةُ عَلَيْكَ؟» فقط.

(١) قاله الجماهير من الحنفية، والمالكية، والشافعية، والحنابلة وغيرهم.

(تيسير التحرير: ٥/١، إتجاف المريد، ص: ١٤، التحفة: ٤٣/١، تحفة المريد، ص: ١٣).

(٢) وَيُوشَعَ: هُوَ يُوشَعَ بْنُ نُونٍ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ يُوسُفَ، فَتَاهُ مُوسَى الَّذِي كَانَ مَعَهُ صَاحِبُ أَمْرِهِ، نَبَاهُ اللَّهُ فِي حَيَاةِ مُوسَى، اسْتَخْلَفَهُ مُوسَى فِي قَوْمِهِ وَكَانَ نَبِيًّا بَعْدَهُ، وَفَتَحَ عَلَى يَدَيْهِ أَرِيحَا، وَاسْتَوْقَفَتْ لَهُ الشَّمْسُ، وَقَتَلَ الْجَبَابِرَةَ. (تفسير القرطبي: ٩٩/١٥).

(٣) وليس لكون النبوة أفضل من الرسالة كما قال عز الدين بن عبد السلام، بل الرسالة أفضل منها كما عليه الأكثر، ولكن «النبي» أكثر استعمالاً من «الرسول»، فأثره. (الغيث الهامع للولي العراقي: ٥/١).

(٤) نَبَأٌ وَنَبَأٌ وَأَنْبَأٌ: أَخْبَرَ، وَمِنْهُ: النَّبِيُّ لِأَنَّهُ أَنْبَأَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، وَهُوَ «فَعِيلٌ» بِمَعْنَى فَاعِلٍ، تَرَكُوا الهمزة كالذرية، والبرية، والخاوية، إلّا أهل مكة فيهمزون الأربعة.

هَادِي الْأُمَّةِ لِرَشَادِهَا، وَعَلَى آلِهِ

تفاوتاً بأنه يكثرُ حمدُ الخلق له، لكثرةِ خصاله الجميلة، كما رُوي في السير: «أنه قيل لجدّه عبد المطلب، وقد سمّاه في سابع ولادته لِموتِ أبيه قبلها: لِمَ سَمَّيتَ ابْنَكَ محمداً، وليس من أسماء آبائك ولا قومك؟ قال: رجوتُ أن يُحمّد في السماء والأرض»^(١).

وقد حقّق الله تعالى رجاءه كما سبق في علمه تعالى.

(هَادِي الْأُمَّةِ) أي دَالِّهَا بِلُطْفٍ (لِرَشَادِهَا) يعني لدين الإسلام، الذي هو لتمكُّنه في الوصول به إلى الرشاد - وهو ضِدُّ «الغَيِّ» - كأنه نفسه.

وهذا مأخوذ من قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾^(٢) أي دين الإسلام.

(وعلى آله) هم^(٣) كما قال الشافعي رحمته الله: أقاربه المؤمنون من بني هاشم والمطلب ابني عبد مناف، لأنه عليه السلام قَسَمَ سَهْمَ ذَوِي الْقُرْبَى - وهو خُمُسُ الخُمس - بينهم، تاركاً منه غيرهم من بني عَمَيْهِمْ: نَوَقْلَ وعبد شمسٍ مع سؤالهم له. رواه البخاري^(٤).

٥

= والتَّبَوُّة والتَّبَاوَةُ: ما ارتفع من الأرض، فَإِنْ جُعِلَ «النبي» مأخوذاً منه فأصله غير مهموز، وهو «فعل» بمعنى مفعول، لكن قال الزمخشري: «زعمُ اشتقاق «النبي» منه غير متقبَّل عند محقِّقة أصحابنا، ولا مُعَرَّجٌ عليه». (الفائق: ٤٠٣/٣، لسان العرب/ ٣٠٢/١٥، النهاية: ٣/٥).

(١) سيرة ابن هشام: ١٨١/١، البداية والنهاية: ٢٦٣/٢، دلائل النبوة للأصبهاني: ٧٠/١، الطبقات الكبرى لابن سعد: ١٠٣/١، السيرة الحلبية: ١٢٨/١.

(٢) سورة الشورى، الآية: ٥٢.

(٣) اتفق العلماء على أَنَّ الزكاة محرَّمة على النبي عليه السلام وآله، وَأَنَّ خُمُسَ الخُمسِ مُختصةٌ بِهِمْ، ولكنهم اختلفوا في تعيين الآل على ثلاثة مذاهب:

الأول: هم مؤمنو بني هاشم وبني المطلب، قاله الشافعية والحنابلة.

الثاني: هم مؤمنو بني هاشم فقط، قاله المالكية.

الثالث: بالنسبة إلى الغنيمة والفيء مؤمنو بني هاشم وبني المطلب، وبالنسبة إلى الزكاة مؤمنو بني هاشم فقط، قاله الحنفية.

(الهداية: ٤٢٠/٢، ٦٤٠/٣، مواهب الجليل: ٣٤٥/٢، شرح مسلم: ١٧٥/٧، كشف القناع: ٨٥/٣).

(٤) عن جُبَيْر بن مُطْعِم رضي الله عنه قال: «لَمَّا كَانَ يَوْمُ خَيْبَرٍ وَضَعَ رَسُولُ اللَّهِ عليه السلام سَهْمَ ذَوِي الْقُرْبَى فِي بَنِي هَاشِمَ وَبَنِي الْمَطْلَبِ، وَتَرَكَ بَنِي نَوَقْلَ وَبَنِي عَبْدِ شَمْسٍ، فَاَنْطَلَقْتُ أَنَا وَعِثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ حَتَّى أَتَيْنَا النَّبِيَّ عليه السلام، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَؤُلَاءِ بَنُو هَاشِمٍ لَا تُنْكِرُ فَضْلَهُمْ لِلْمَوْضِعِ الَّذِي وَضَعَكَ اللَّهُ بِهِ مِنْهُمْ، فَمَا بَالُ إِخْوَانِنَا بَنِي الْمَطْلَبِ، أُعْطِيَتْهُمْ وَتَرَكْنَا، وَقَرَابَتُنَا وَاحِدَةٌ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ عليه السلام: «إِنَّا وَبَنُو الْمَطْلَبِ لَا نَفْتَرِقُ فِي جَاهِلِيَّةٍ وَلَا إِسْلَامٍ، وَإِنَّمَا نَحْنُ وَهُمْ شَيْءٌ وَاحِدٌ»، وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ».

وَصَحْبِهِ

وقال ﷺ: «إِنَّ هَذِهِ الصَّدَقَاتِ إِنَّمَا هِيَ أَوْسَاخُ النَّاسِ، وَإِنَّهَا لَا تَحِلُّ لِمُحَمَّدٍ، وَلَا لَأَلِ مُحَمَّدٍ» رواه مسلم^(١).

وقال ﷺ: «لَا أَجُلُ لَكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ مِنَ الصَّدَقَاتِ شَيْئاً، وَلَا عَسَاةَ الْأَيْدِي، إِنَّ لَكُمْ فِي خُمْسِ الْخُمْسِ مَا يَكْفِيكُمْ أَوْ يُغْنِيكُمْ» أي بل يغنيكم. رواه الطبراني في معجمه الكبير^(٢).
والصحيح جواز إضافته^(٣) إلى الضمير كما استعمله المصنف.

(وَصَحْبِهِ) هو اسمُ جَمْعٍ لـ «صاحب»، بمعنى الصحابي، وهو كما سيأتي^(٤): مَنْ اجتمع

رواه البخاري في فرضِ الخُمسِ، باب ومن الدليل على أن الخُمس للإمام... (٣١٤٠)، وأبو داود في الخراج والإمارة والفيء، باب في بيان مواضع قسم الخُمس وسهم ذوي القربى (٢٩٨٠)، والنسائي في قسم الفيء، باب: ١ (٤١٤٧)، وابن ماجه في الجهاد، باب قسمة الخمس (٢٨٨١).
(١) رواه مسلم في الزكاة، باب ترك استعمال آل النبي ﷺ على الصدقة (٢٤٧٩)، وأبو داود في الخراج والإمارة والفيء، باب في بيان مواضع قسم الخُمس... (٢٩٨٥)، والنسائي في الزكاة باب استعمال النبي ﷺ على الصدقة (٢٦٠٨).

(٢) رواه الطبراني في الكبير (١١٥٤٣)، قال الهيثمي عقبه في المجمع (٩١/٣): «فيه حسين بن قيس الملقَّب بِخَشْنٍ، وفيه كلامٌ كثير، وقد وثَّقه أبو محسن».

وقال في مواضع منه (١٧٢/١)، ٢٠٠/٤، ٢١١/٥، ٣٧٢/٧، ٣٩٣/١٠: «إنه متروك»، وفي آخر (١٣٦/١٠): «متروك، وقد وثَّقه حصين بن ثُمير»، وفي آخر (١٧٠/١): «ضعفه أحمد والبخاري وجماعة، وزعم رجلٌ يقال له أبو محسن: أنه رجلٌ صدق. قلت: ومن أبو محسن مع هؤلاء؟»
قال العبد الفقير غفر الله له ولوالديه: والصحيح أنه متروك، كما قال الأئمة: أحمد، والبخاري، وأبو حاتم الرازي، والنسائي، والذهبي، وابن حجر، والمنذري، والمناوي، وغيرهم.

(التاريخ الكبير: ٣٩٣/٢، الجرح والتعديل: ٥٧/٣، الضعفاء للنسائي، ص: ٣٣، المغني للذهبي: ١/٢٥٦، فيض القدير: ١٦٦/٥، التقريب: ٢٩١/١).

(٣) أي اتَّفَق العلماء على جواز إضافة «الآل» إلى اسم ظاهر كـ «آل عمران»، ولكنهم اختلفوا في جواز إضافة «الآل» إلى الضمير على مذهبتين:

الأول: الجواز، وهو الصحيح.

الثاني: عدم الجواز، قاله بعض العلماء.

قال القيومي رحمه الله في المصباح (ص: ٢٩): «قال البَطْلِيُّوسِي في كتاب «الاعتضاب»: ذَهَبَ الكسائي إلى منع إضافة «آل» إلى المضمَر، فلا يقال: آله، بل أهله، وهو أوَّل مَنْ قال بذلك، وتَبِعَهُ النَّعَّاسُ والزبيدي، وليس بصحيح، إذ لا قياسَ يَغْعُضُهُ، ولا سماعَ يُوَيِّدُهُ».

(٤) أي في آخر كتاب «السنة»: ١١٠/٢.

ما قامت الطُروسُ والسُطورُ لِعُيُونِ الْأَلْفَاظِ مَقَامَ بَيَاضِهَا وَسَوَادِهَا.....

مُؤْمِنًا بِسَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ .

وَعَطَفَ «الصَّحْبَ» عَلَى «الْأَلِ»^(١) الشَّامِلِ لِبَعْضِهِمْ لِتَشْمَلَ الصَّلَاةُ بِاقِيهِمْ .

(ما) مصدرية ظرفية (قَامَتِ الطُّرُوسُ) أي الصحفُ جمع «طُرْس» بكسر «طاء»، (والسُّطُورُ) من عَطَفَ الجزء على الكلِّ، صرَّح به لدلالته على اللفظ الدالِّ على المعنى، (لِعُيُونِ الْأَلْفَاظِ) أي للمعاني التي يُدَلُّ عليها بالألفاظ ويُهْتَدَى بها، كما يهتدى بالعيون الباصرة، وهي العلمُ المبعوثُ به النبيُّ الكريمُ، (مَقَامَ بَيَاضِهَا) أي الطُّرُوسُ، (وسَوَادِهَا) أي سُطُورِ الطُّرُوسِ .

المعنى: نُصَلِّي مَدَّةَ قِيَامِ كُتُبِ الْعِلْمِ الْمَذْكُورِ قِيَامَ بَيَاضِهَا وَسَوَادِهَا اللَّازِمِينَ لَهَا . وقِيَامُهَا بَقِيَامِ أَهْلِ الْعِلْمِ لِأَخْذِهِمْ إِيَّاهُ مِنْهَا كَمَا عُهِدَ .

وقِيَامُهُمْ إِلَى السَّاعَةِ لِحَدِيثِ الصَّحِيحِينَ: « لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ »^(٢) أي الساعة، كما صرَّح بها في بعض الطرق^(٣).

قال البخاري: «وَهُمْ أَهْلُ الْعِلْمِ»^(٤)، أي لا ابتداء الحديث في بعض الطرق بقوله: «مَنْ

(١) وَقَدَّمَ «الْأَلِ» عَلَى «الْأَصْحَابِ» لِلأَمْرِ بِالصَّلَاةِ عَلَى «الْأَلِ»، وَلِهَذَا رُجِّبَتِ الصَّلَاةُ عَلَيْهِمْ فِي الشَّهَادَةِ الثَّانِيَةِ كَمَا قَالَ الشَّافِعِيُّ وَأَصْحَابُهُ، وَهُمْ أَشْرَفُ نَسَبًا مِنَ الْأَصْحَابِ وَإِنْ كَانَ فِيهِمْ مَنْ هُوَ أَفْضَلُ مِنَ الْأَلِ كَأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ جَمِيعًا . (الغَيْثُ الْهَامِعُ لِلَوْلِيِّ الْعِرَاقِيِّ: ٦/١) .

(٢) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي الْإِعْتَصَامِ، بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ» (٧٣١١)، وَمُسْلِمٌ فِي الْإِيمَانِ، بَابُ نَزُولِ عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ (٣٩٣)، وَأَبُو دَاوُدَ فِي الْجِهَادِ، بَابُ فِي دَوَامِ الْجِهَادِ (٢١٢٥)، وَالتِّرْمِذِيُّ فِي الْفِتَنِ، بَابُ مَا جَاءَ فِي الْأَثْمَةِ الضَّالِّينَ (٢١٥٥)، وَابْنُ مَاجَةَ فِي السَّنَةِ، بَابُ اتِّبَاعِ سَنَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ (٦) .

(٣) أَيِ عِنْدَ مُسْلِمٍ فِي الْإِيمَانِ، بَابُ نَزُولِ عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ (٣٩٣)، وَالتِّرْمِذِيُّ فِي الْفِتَنِ، بَابُ مَا جَاءَ فِي الْأَثْمَةِ الضَّالِّينَ (٢١٥٥)، وَابْنُ مَاجَةَ فِي السَّنَةِ، بَابُ اتِّبَاعِ سَنَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ (٦) .

(٤) صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ (كِتَابُ الْإِعْتَصَامِ): ٦/٢٦٦٧ .

قَالَ الْإِمَامُ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي شَرْحِ مُسْلِمٍ (٦٧/١٣): «وَيَحْتَمِلُ أَنَّ هَذِهِ الطَّائِفَةَ مَتَفَرِّقَةٌ بَيْنَ أَنْوَاعِ الْمُؤْمِنِينَ: مِنْهُمْ شُجْعَانٌ مُقَاتِلُونَ، وَمِنْهُمْ فَقَهَاءٌ، وَمِنْهُمْ مُحَدِّثُونَ، وَمِنْهُمْ زُهَادٌ، وَأَمْرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَمِنْهُمْ أَهْلُ أَنْوَاعٍ أُخَرُ مِنَ الْخَيْرِ، وَلَا يَلِزَمُ أَنْ يَكُونُوا مُجْتَمِعِينَ، بَلْ قَدْ يَكُونُونَ مَتَفَرِّقِينَ فِي أَقْطَارِ الْأَرْضِ .

وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ: مُعْجَزَةٌ ظَاهِرَةٌ، فَإِنَّ هَذَا الْوَصْفَ مَا زَالَ بِحَمْدِ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ زَمَانِ النَّبِيِّ ﷺ إِلَى الْآنَ، وَلَا يَزَالُ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ الْمَذْكُورُ فِي الْحَدِيثِ .

وَفِيهِ: دَلِيلٌ لَكُونِ الْإِجْمَاعِ حُجَّةً، وَهُوَ أَصَحُّ مَا اسْتَدُلَّ بِهِ لَهُ مِنَ الْحَدِيثِ .

وَنَضْرَعُ إِلَيْكَ فِي مَنَعِ الْمَوَانِعِ عَنْ إِكْمَالِ «جَمْعِ الْجَوَامِعِ» الْآتِي مِنْ فَنِّ الْأَصُولِ.....

يُرد الله به خيراً يُفَقِّهه في الدين^(١).

وأبَدَ الصلاةَ بقيامِ كُتُبِ العلمِ المذكور لأن كتابه هذا المبدوء بما هي منه من كُتُبٍ ما يُفَهِّمُ به ذلك العلم، المبعوثُ به النبي ﷺ .

(وَنَضْرَعُ) بسكون «الضاد»^(٢) بضبط المصنف، أي نَخَضَعُ ونَذِلُّ (إِلَيْكَ) يا الله (في مَنَعِ الْمَوَانِعِ) أي نسألك غاية السؤال من الخضوع والدُّلَّةُ أَنْ تَمْنَعَ الْمَوَانِعَ، أي الأشياء التي تَمْنَعُ أي تُعَوِّقُ (عن إكمالِ) هذا الكتاب (جَمْعِ الْجَوَامِعِ) تحريراً بقرينة السياق^(٣) الذي إكمالُه^(٤) لكثرة الانتفاع به فيما أمله خُيُورٌ^(٥) كثيرة، وعلى كلِّ خيرٍ مانعٌ .

وأشارَ بتسميته بذلك إلى جَمْعِهِ كُلِّ مُصَنَّفٍ جامع فيما هو فيه، فضلاً عن كلِّ مختصرٍ، يعني مقاصد ذلك من المسائل والخلاف فيها، دون الدلائل وأسماء أصحاب الأقوال إلا يسيراً منهما، فذكره لِنَكَيْتِ ذِكْرَها في آخر الكتاب^(٦) .

(الْآتِي مِنْ فَنِّ الْأَصُولِ) بإفراد «فَنِّ»، وفي نسخة بتثنيته، وهي أوضح، أي فَنِّ أَصُولٍ

(١) رواه البخاري في العلم، باب مَنْ يُرد الله به خيراً يُفَقِّهه في الدين (٧١)، ومسلم في الإمارة، باب قوله ﷺ «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق» (٣٥٤٩).

(٢) قال الفيومي رحمه الله في المصباح (ص: ٣٦١): «ضَرَعٌ لَهُ يَضْرَعُ - يَفْتَحَتَيْنِ - ضَرَاعَةٌ: ذَلٌّ وَخَضَعٌ، فَهُوَ ضَارِعٌ .

وَضَرَعٌ ضَرَعًا، فَهُوَ ضَرَعٌ مِنْ بَابِ «تَعَبَ» لَغَةً .

(٣) السياق: ما يدلُّ على خصوص المقصود من ساق الكلام المسبوق أو لاحتِ كما هنا، فإن قوله «الآتِي»، و «الوارد»، و «البالغ» قرينة دالة على أنه قد تَمَّ تَأْلِيْفًا وإن احتمل أنه وصَفَ بذلك ما تَحَيَّلَه في ذهنه، لكنه خلاف الظاهر.

وأما السياق بالياء الموحدة: فهو ما يتبادر إلى الفهم من العبارة وإن لم يكن مراداً. (البناني: ٣٦/١).

(٤) قوله «الذي إكمالُه...» صفةٌ لـ «جمع الجوامع»، و«خُيُورٌ» جمعٌ خيرٍ، ويقال: خيارٌ، مثل: بَحْرٌ يُحَوِّرُ ويَحَارُّ، وهو خيرٌ «إكمالُه»، وإنما جاز الإخبار بالجمع عن المفرد لأنه هنا مصدرٌ وهو يُطْلَقُ على الكثير والقليل، ولأنه مفردٌ مضافٌ إلى معرفةٍ فَيَعُمُّ. (النجوم اللوامع: ١٦٢/١).

(٥) الخَيْرُ بِالْكَسْرِ: الْكَرَمُ وَالْجُودُ، وَالنِّسْبَةُ إِلَيْهِ «خَيْرِيٌّ» .

وَالْخَيْرُ بِالْفَتْحِ: خِلَافُ الشَّرِّ، وَجَمْعُهُ: خُيُورٌ، وَخِيَارٌ، مثل: بَحْرٌ وَيُحَوِّرُ وَيَحَارُّ .

(المصباح المنير، ص: ١٨٥، خ، ي، ر) .

(٦) انظر: «منهج السُّبُكِيِّ فِي جَمْعِ الْجَوَامِعِ» ٤٤٤٤/٢ .

بِالْقَوَاعِدِ الْقَوَاطِعِ، الْبَالِغِ مِنَ الْإِحَاطَةِ بِالْأَصْلَيْنِ مَبْلَغُ ذَوِي الْجِدِّ وَالتَّشْمِيرِ،

الفقه، وفن أصول الدين، الْمُخْتَمَمُ بِمَا يُنَاسِبُهُ مِنَ التَّصَوُّفِ .

وَالْفَنُّ: النَّوعُ^(١)، وَفَنُّ كَذَا مِنْ إِضَافَةِ الْمَسْمُوعِ إِلَى الْأَسْمِ، كَشَهْرِ رَمَضَانَ وَيَوْمِ الْخَمِيسِ .
و«مِنْ» وَمَا بَعْدَهَا بَيَانُ لِقَوْلِهِ: (بِالْقَوَاعِدِ الْقَوَاطِعِ) قُدِّمَ عَلَيْهِ رِيعَانٌ لِلْسَّجْعِ.

وَالْقَاعِدَةُ: قَضِيَّةٌ كَلِمَةٌ يَتَعَرَفُ مِنْهَا أَحْكَامُ جُزْئِيَّاتِهَا نَحْوُ «الْأَمْرُ لِلْوَجُوبِ حَقِيقَةٌ» وَ«الْعِلْمُ ثَابِتٌ لِلَّهِ تَعَالَى».

وَالْقَاطِعَةُ: بِمَعْنَى الْمَقْطُوعِ بِهَا كَـ ﴿عِشَّةٌ رَازِيَةٌ﴾^(٢) مِنْ إِسْنَادٍ مَا لِلْفَاعِلِ إِلَى الْمَفْعُولِ بِهِ لِمَلَابَسَةِ الْفَعْلِ لِهَمَا .

وَالْقَطْعُ بِالْقَوَاعِدِ بَقِطْعِيَّةٍ أَدْلَتُهَا الْمَبِينَةُ فِي مَحَالِّهَا كَالْعَقْلِ الْمُثْبِتِ لِلْعِلْمِ وَالْقُدْرَةِ لِلَّهِ تَعَالَى،
وَالنُّصُوصِ^(٣) وَالْإِجْمَاعِ الْمُثْبِتِ لِلْبَعْثِ وَالْحِسَابِ .

وَكُلُّ إِجْمَاعٍ الصَّحَابَةِ الْمُثْبِتِ لِحُجِّيَّةِ الْقِيَاسِ وَخَيْرِ^(٤) الْوَاحِدِ، حَيْثُ عَمِلَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ بِهِمَا مُتَكَرِّرًا شَائِعًا مَعَ سَكُوتِ الْبَاقِينَ الَّذِي هُوَ فِي مِثْلِ ذَلِكَ مِنَ الْأَصُولِ الْعَامَّةِ وَفَاقَ عَادَةً.

وَفِيمَا ذَكَرَهُ مِنْ أَنَّ الْأَصُولَ «قَوَاعِدُ قَوَاطِعِ» تَغْلِيْبُ، فَإِنَّ مِنْ أَصُولِ الْفَقْهِ مَا لَيْسَ بِقَطْعِيٍّ كَحُجِّيَّةِ الْأَسْتِصْحَابِ، وَمَفْهُومِ الْمَخَالَفَةِ، وَمِنْ أَصُولِ الدِّينِ مَا لَيْسَ بِقَاعِدَةٍ كَعَقِيدَةِ أَنَّ اللَّهَ مُوْجُودٌ، وَأَنَّهُ لَيْسَ بِكَذَا مِمَّا سَيَأْتِي^(٥).

(الْبَالِغُ مِنَ الْإِحَاطَةِ بِالْأَصْلَيْنِ)، لَمْ يَقُلْ «الْأَصُولَيْنِ» الَّذِي هُوَ الْأَصْلُ إِثَارًا لِلتَّخْفِيفِ مِنْ غَيْرِ الْبَاسِ (مَبْلَغُ ذَوِي الْجِدِّ) بِكَسْرِ الْجِيمِ أَيْ بَلُوغِ أَصْحَابِ الْاجْتِهَادِ، (وَالْتَّشْمِيرِ) مِنْ تِلْكَ الْإِحَاطَةِ.

(١) قَالَ الْقِيُومِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي الْمَصْبَاحِ (ص: ٤٨٢): «الْفَنُّ مِنَ الشَّيْءِ: النَّوعُ مِنْهُ، وَالْجَمْعُ: فُنُونٌ، مِثْلُ: فَلْسٌ وَفُلُوسٌ .

وَالْفَنُّ: الْغَضَنُ، وَالْجَمْعُ: أَفْنَانٌ، مِثْلُ: سَبَبٌ وَأَسْبَابٌ» .

(٢) سُورَةُ الْقَارِعَةِ، آيَةُ: ٧.

(٣) قَوْلُهُ: «وَالنُّصُوصُ وَالْإِجْمَاعُ» بِالْجَرِّ عَطْفًا عَلَى قَوْلِهِ: «كَالْعَقْلِ» .

(٤) وَقَوْلُهُ: «وَخَيْرُ الْوَاحِدِ» بِالْجَرِّ عَطْفًا عَلَى قَوْلِهِ: «وَكُلُّ إِجْمَاعٍ الصَّحَابَةِ»، لَا عَلَى قَوْلِهِ: «الْقِيَاسُ» كَمَا يَتَبَادَرُ .

(٥) فِي مَبْحَثِ «الْعَقِيدَةِ»: ٣٧٩/٢، وَمَا بَعْدَهَا .

الوارد من زهاء مئة مُصَنَّفٍ مَنَهَلًا يُروِي وَيَمِيرُ، المحيط بِزُبْدَةٍ ما في شَرْحِيَّ على
«المختصر» و «المنهاج»

(الوارد) أي الجائي، (من زهاء^(١) مئة مُصَنَّفٍ) بضم الزاي والمَد، أي قَدَرِها تقريباً من
«زَهْوَتُهُ بِكَذَا» أي حَزَرَتُهُ، حكاها الصغاني^(٢)، قُلِبَتِ الواوُ همزةً لتطرفها إثر ألفٍ زائدة كما في
«كساء».

(مَنَهَلًا) حالٌ من ضمير «الوارد» (يُروِي) بضم أوله، أي كلَّ عطشان^(٣) إلى ما هو فيه،
(وَيَمِيرُ) بفتح أوله يعني يُشَبِّعُ كلَّ جائعٍ إلى ما هو فيه، من «مَارَ أَهْلَهُ: أَتَاهُمْ بِالْمِيرَةِ»^(٤) أي
الطعام الذي من صفاته أَنَّهُ يُشَبِّعُ.

فحَذَفَ مَفْعُولِي الفَعْلَيْنِ للتعميم مع الاختصار بقرينة السياق .

وَالْمَنَهَلُ: عَيْنُ ماءٍ تُورَدُ^(٥)، ووصفه بالإرواء والإشباع كماء زَمْزَمَ، فإنه يُروِي العطشانَ
وَيُشَبِّعُ الجوعانَ .

ومن استعمال الجوع والعطش في غير معناهما المعروف كما هنا قولُ العرب: «جُعْتُ إلى
لِقَائِكَ» أي اشْتَقْتُ، و«عَطَشْتُ إلى لِقَائِكَ» أي اشْتَقْتُ، حكاها الصغاني.

(الْمُحِيطُ) أيضاً (بِزُبْدَةٍ)^(٦) أي خلاصة (ما في شَرْحِيَّ على «المختصر») لابن الحاجب
«والمنهاج» لليضاوي، وناهيك بكثرة فوائدهما.

(١) زُهاء في العدد: وزانٌ «غُراب»، يقال: هُم زُهاءُ ألفٍ: أي قدرُ ألفٍ، ويقال: كم زهاؤكم: أي كم
قدرُكم، هو بضمُّ الزاي، وقيل: بالكسر أيضاً. (المصباح، ص: ٢٥٦).

(٢) والصَّغَانِي: هو حسن بن محمد بن حسن الصَّغَانِي نسبةً لـ «صَغَان» من بلاد ما وراء النهر، رضي
الدين، وهو من نسلِ عمر رضي الله عنه محدث، لغوي، فقيه، صاحب مصنفات مفيدة كـ «مشارك الأنوار»، شرح
البخاري، توفي ببغداد سنة ٦٥٠ هـ. (أبجد العلوم: ٣/٢١٦).

(٣) انظر: المصباح للفيومي (ص: ٢٤٦، ر، و، ي) .

(٤) انظر: المصباح للفيومي (ص: ٥٨٧، م، ي، ر) .

(٥) نَهَلَ البَعِيرُ نَهَلًا (من باب «تَعَبَ»): شَرِبَ الشَّرْبَ الأوَّلَ حتى رَوِي، فهو ناهِلٌ، والجمعُ: نِهَالٌ، وكلُّ
ما ارْتَوَى من المواشي فهو ناهل . ويتعدَّى بالألف، فيقال: أَنهَلْتُهُ، إذا سَقَيْتَهُ حتى رَوِي .

وَالْمَنَهْلُ بفتح الميم والهاء: المَوْرِدُ، وهو عَيْنُ ماءٍ تَرِدُهُ الإِبِلُ .

(المصباح للفيومي، ص: ٦٢٨، ن، هـ، ل) .

(٦) قال الفيومي رحمه الله في المصباح (ص: ٢٥٠، ز، ب، د): «و (الرُّيْدُ) وزانٌ «قُلٌّ»: ما يستخرج
بالمخض من لَبَنِ البَقَرِ والغنم .

مع مزيد كثير. وَيَنْحَصِرُ في مُقَدِّمَاتٍ، وسبعة كُتِبَ .

(مع مزيد) بالتونين بضبط المصنف (كثير) على تلك الزُبْدَةِ أيضاً .

(وَيَنْحَصِرُ) جَمْعُ الْجَوَامِعِ، يعني المعنى المقصود منه (في مُقَدِّمَاتٍ) بكسر الدال كمقدمة الجيش للجماعة المتقدمة منه، من «قَدِمَ» اللّازِمِ بِمعنى «تَقَدَّمَ»^(١)، ومنه ﴿لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾^(٢).

وبفتحها على قلّة: كمقدمة الرّحْلِ في لغة من «قَدِمَ» المتعدي: أي في أمور مُتَقَدِّمَةٍ أو مُقَدِّمَةٍ على المقصود بالذات للانتفاع بها فيه مع تَوَقُّفِهِ على بعضها كتعريف «الحُكْمِ» وأقسامه، إذ يُثْبِتُهَا الْأَصُولِيُّ تارةً، وَيَنْفِيهَا أُخْرَى كما سيأتي^(٣).

(وسبعة كُتِبَ) في المقصود بالذات خمسة في مباحث أدلة الفقه الخمسة: الكتاب، والسُنَّةُ، والإجماع، والقياس، والاستدلال، والسادس في التعادل والتراجع بين هذه الأدلة عند تعارضها، والسابع في الاجتهاد الرابط لها بمدلولها، وما يتبعه من التّقليد، وأحكام المقلّدين، وآداب الفتيا، وما ضُمَّ إليه من علم الكلام المفتتح بِمسألة التقليد في أصول الدّين، المختصّ بما يُنَاسِبُهُ من خاتمة التصوف .

٩

= وأما لَبَنُ الْإِبِلِ فلا يُسَمَّى ما يُسْتَخْرَجُ مِنْهُ زُبْدًا، بل يقال: جُبَابٌ .

و (الزُّبْدَةُ): أَخْصَصُ مِنَ (الزُّبْدِ) .

و (زُبِدْتُ الرَّجُلَ زُبْدًا) من باب «فَعَّلَ»: أَطْعَمْتُهُ الزُّبْدَ؛ ومن باب «ضَرَبَ»: أَعْطَيْتُهُ وَمَنْحْتُهُ .

(١) انظر: المصباح المنير للفيومي، ص: ٤٩٣ (ق، د، م) .

(٢) سورة الحجرات، الآية: ١ .

(٣) انظر: «أقسام الحكم»: ٩٤/١، وما بعدها .

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

المَقَدِّمَاتُ

الكلام في المُقدمات

[تعريف أصول الفقه]

أصول الفقه: دلائل الفقه الإجمالية؛

(الكلام في المُقدمات)

افتتحها بتعريف «أصول الفقه» ليتصور طالبه بما يضبط مسائله الكثيرة، ليكون على بصيرة في تطلبها، إذ لو تطلبها قبل ضبطها لم يأمن فوات ما يُرجيه^(١)، وضياح الوقت فيما لا يعنيه، فقال:

[تعريف أصول الفقه]

(أصول الفقه) أي الفن المسمى بهذا اللقب، المُشعر بمدحه، بابتناء الفقه عليه، إذ الأصل ما يبتني عليه غيره: (دلائل^(٢) الفقه الإجمالية)^(٣) أي غير المعينة كمطلق الأمر، والنهي، وفعل النبي ﷺ، والإجماع، والقياس، والاستصحاب؛ المبحوث عن أولها بأنه للوجوب حقيقة، والثاني أنه للحرمة كذلك، والباقي بأنها حُجج.

(١) قال الفيومي رحمه الله في المصباح (ص: ٢٢١): «رَجَوْتُهُ أَرْجُوهُ رُجُوءًا، على فُعُولٍ: أَمَلْتُهُ، أو أَرَدْتُهُ، قال تعالى: ﴿لَا يَرْجُونَ يَكْلَامًا﴾ أي لا يُريدونه. والاسم: الرجاء بالمد. (وَرَجَيْتُهُ أَرْجِيهِ) من باب «رَمَى» لغة، ويُستعمل بمعنى الخوف، لأنّ الراجي يخاف أنه لا يدرك ما يترجّاه.

وقال الجوهري في الصحاح (١٧١٢/٢، ر، ج، ي): «وَتَرَجَيْتُهُ، وَارْتَجَيْتُهُ، وَرَجَيْتُهُ، وَكَلَّا بمعنى رَجَوْتُهُ».

(٢) قال الإسنوي في نهاية السؤل (١/١٥): «إنّ البيضاوي والمصنف والشارح تابعان له هنا [جمع «دليلاً» على «دلائل»، وإنما صوابه «أدلة»، قال ابن مالك في شرح الكفاية الشافية: لم يأت «فعائل» جمعاً لاسم جنس على وزن «فَعِيل» فيما أعلمه، لكنه بمقتضى القياس جائز في العلم المؤنث كـ «سعائد» جمع «سعيد» اسم امرأة، وقد ذكر النحاة لفظين وَرَدَا من ذلك، ونصّوا على أنّهما في غاية القِلّة، وأنه لا يُقاسُ عليهما».

ولهذا بدّلَهُ شيخ الإسلام في لبّ الأصول (ص: ٨٤) إلى «أدلة»، ولكنه في كلام الشافعي كثير.

(٣) قال البدر الزركشي في التشنيف (١/٣١): «هذا هو المختار في تعريفه، وهو الذي ذكره الحذافى كالقاضي أبي بكر، وإمام الحرمين، والرازي، والأمدي، وغيرهم، واختاره الشيخ تقي الدين ابن دقيق العيد». (المحصول: ٨٠/١، الإحكام: ٨/١).

وقيل : «مَعْرِفَتُهَا» .

وغير ذلك مما يأتي مع ما يتعلق به في الكتب الخمسة .
فخرج الدلائل التفصيلية نحو ﴿أَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾^(١) ؛ ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَى﴾^(٢) ؛ وصلاته ﷺ في الكعبة كما أخرجه الشيخان^(٣) ؛ والإجماع على أن لبنت الابن السدس مع بنت الصلبي حيث لا عاصب لهما ؛
وقياس الأرز على البر في امتناع بيع بعضه ببعض إلا مثلاً بمثلاً يداً يداً كما رواه مسلم^(٤) ؛
واستصحاب الطهارة لمن شك في بقائها ، فليست أصول الفقه ، وإنما يُذكر بعضها في كتبه للتمثيل .

(وقيل) : «أصول الفقه (معرفة) أي معرفة دلائل الفقه الإجمالية»^(٥) .

(١) سورة البقرة، الآية : ٤٣ .

(٢) سورة الإسراء، الآية : ٣٢ .

(٣) عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : «قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ الْفَتْحِ، فَتَزَلَّ بِفَنَاءِ الْكَعْبَةِ، وَأُرْسِلَ إِلَى عَثْمَانَ بْنِ طَلْحَةَ، فَجَاءَ بِالْمِفْتَاحِ، فَفُتِحَ الْبَابُ، ثُمَّ دَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ وَبِلَالٌ وَأَسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ وَعَثْمَانُ بْنُ طَلْحَةَ، وَأَمَرَ بِالْبَابِ فَأُغْلِقَ، فَلَبِثُوا فِيهِ مَلِيًّا، ثُمَّ فُتِحَ الْبَابُ، فَبَادَرَتْ النَّاسَ، فَتَلَقَّيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَامِجًا، وَبِلَالٌ عَلَى إِثْرِهِ، فَقُلْتُ لِبِلَالٍ: هَلْ صَلَّى فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؟ قَالَ: نَعَمْ، رَكَعَتَيْنِ بَيْنَ السَّارَتَيْنِ اللَّتَيْنِ عَلَى يَسَارِهِ إِذَا دَخَلْتَ، ثُمَّ خَرَجَ فَصَلَّى فِي وَجْهِ الْكَعْبَةِ رَكَعَتَيْنِ» .

رواه البخاري في الصلاة، باب الأبواب، والغلق للعبة والمساجد (٤٦٨)، ومسلم في الحج، باب استحباب دخول الكعبة للحاج وغيره، والصلاة فيها... (٣٢١٧)، وأبو داود في المناسك، باب الصلاة في الكعبة (٢٠٢٣)، والترمذي في الحج، باب ما جاء في الصلاة في الكعبة (٨٠٠)، والنسائي في المساجد، باب الصلاة في الكعبة (٦٩١)، وابن ماجه في المناسك، باب دخول الكعبة (٣٠٦٣) .

قال العبد الفقير غفر الله له ولوالديه : ظاهر المتن أن قوله : « رَكَعَتَيْنِ ... » من كلام بلال، وليس كذلك، وإنما هو من كلام ابن عمر، لأن بلالاً أشار بإصبعيه : السبابة والوسطى، أي صلى رَكَعَتَيْنِ، وابن عمر عن الإشارة بالألفاظ كما بين ذلك الحافظ ابن حجر مفصلاً في شرح البخاري (٥٩٦/١) .

(٤) عن عبادة بن الصّامت رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «الذَّهَبُ بِالذَّهَبِ، وَالْفِضَّةُ بِالْفِضَّةِ، وَالْبُرُّ بِالْبُرِّ، وَالشَّعِيرُ بِالشَّعِيرِ، وَالتَّمْرُ بِالتَّمْرِ، وَالْمِلْحُ بِالْمِلْحِ مِثْلًا بِمِثْلٍ، سَوَاءٌ بِسَوَاءٍ، يَدٌ بِيَدٍ، فَإِذَا اخْتَلَفَتْ هَذِهِ الْأَجْنَاسُ فَيُعَوَّضُ كَيْفَ شِئْتُمْ إِذَا كَانَ يَدًا بِيَدٍ» رواه مسلم في المساقاة، باب الصرف وبيع الذهب بالورق نقدًا (٢٩٧٠)، والترمذي في البيوع، باب ما جاء أن الحنطة بالحنطة مثلاً بمثل... (١١٦١)، والنسائي في البيوع، باب بيع البر بالبر (٤٤٨٤) .

(٥) اختاره التاج الأرموي في الحاصل (٢٣٠/١)، والبيضاوي في المنهاج (٧/١)، وابن الحاجب في =

[تعريف الأصولي]

والأصولي: العارف بها، وبطرق استفادتها، ومستفيدها.

ورجح المصنف الأول بأنه الأقرب إلى المدلول لغة، إذ الأصول لغة: الأدلة كما في تعريف جميعهم، الفقه بـ «العلم بالأحكام» لا نفسها، إذ الفقه لغة: الفهم^(١).

[تعريف الأصولي]

(والأصولي) أي المرء المنسوب إلى الأصول أي المتلبس به: (العارف بها) أي بدلائل الفقه الإجمالية، (وبطرق استفادتها) يعني المرجحات المذكور معظمها في الكتاب السادس، (و) بطرق (مستفيدها) يعني صفات المجتهد المذكورة في الكتاب السابع، ويعبر عنها بـ «شروط الاجتهاد»، وبـ «المرجحات».

أي بمعرفتها تستفاد دلائل الفقه، أي ما يدل عليه من جملة دلائله التفصيلية عند تعارضها؛ وبصفات المجتهد، أي بقيامها بالمرء يكون مستفيداً لتلك الدلائل، أي أهلاً لاستفادتها بالمرجحات، فيستفيد الأحكام منها.

ولتوقف استفادة الأحكام منها - التي هي الفقه - على المرجحات، وصفات المجتهد على الوجه السابق ذكروها في تعريف «الأصول» الموضوع لبيان ما يتوقف عليه الفقه من أدلته، لكن الإجمالية كما تقدم^(٢)، دون التفصيلية لكثرتها جداً، ومن المرجحات وصفات المجتهد.

وأسقطها المصنف كما علمت لما قاله من «أنها ليست من الأصول، وإنما تذكر في كتبه لتوقف معرفته على معرفتها لأنها طريق إليه»^(٣).

= المختصر (١/١٨) إلا أنه بدل «المعرفة» بـ «العلم»؛ ورد بأنه شيء ثابت سواء وجد العارف به أم لا، ولو كان أصول الفقه معرفة الأدلة لكان يلزم من فقدان العارف بالأصول فقدان الأصول وليس كذلك؛ وبأن الله تعالى يعلم الأصول، ولكنه تعالى لا يوصف بالمعرفة، وإنما يوصف بالعلم. ويجمع بينهما: بأن العلم قد يطلق على مسائله التي هي قواعده الكلية، وقد يطلق على إدراك تلك القواعد، فالأول نظر إلى الأول، والثاني نظر إلى الثاني. (نهاية السؤل: ١/٧، البناني: ١/٥٨).

(١) قال الجوهر في الصحاح (٢/١٦٣٧، فقه): «الفقه: الفهم، قال أعرابي لعيسى بن عمر: شهدت عليك بالفقه. تقول منه: فقه الرجل بالكسر، وفلان لا يفقه، ولا يفقه، وأفقهت الشيء، ثم خصص به علم الشريعة، والعالم به فقيه، وقد فقه بالضم فقاها، وفقهه الله».

(٢) أي في شرح التعريف، ص: ٧٠.

(٣) منع الموانع للتاج السبكي، ص: ٨٩.

قال: «وذكرها حينئذ في تعريف «الأصولي» كذكرهم في تعريف «الفقيه» ما يتوقف عليه (١١) الفقه من شروط الاجتهاد، حيث قالوا: «الفقيه المجتهد: وهو ذو الدرجة الوسطى عربية وأصولاً، إلى آخر صفات المجتهد»، وما قالوا: الفقيه العالم بالأحكام^(١)»^(٢).

هذا كلامه الموافق لظاهر المتن في أن المرجحات، وصفات المجتهد طريقاً للدلائل الإجمالية، التي بنى عليه ما لم يسبق إليه - كما قال^(٣) - من إسقاطها من تعريفي «الأصول».

وأنت خبير مما تقدم^(٤) بأنها طريق للدلائل التفصيلية، وكأن ذلك سرى إليه من كون «التفصيلية» جزئيات «الإجمالية».

وهو مندفع بأن توقف التفصيلية على ما ذكر^(٥) من حيث تفصيلها المفيد للأحكام، على أن

(١) منع الموانع للتاج السبكي، ص: ٨٩.

(٢) بعد أن اتفق الجمهور على أن الأصول أدلة الفقه الإجمالية دون معرفتها، اختلفوا في أن «طرق استفادتها وحال مستفيدها» من «الأصول» أم لا؟ على مذهبين:

أحدهما: لا، قاله المصنف، واستدل عليه بأربعة أمور: الأول: أن الاستفادة من المرجحات وصفات المجتهد الدلائل الإجمالية، وإليه أشار الشارح بقوله: «وبطرق استفادتها ومستفيدها». الثاني: أن المرجحات وصفات المجتهد ليست من مسمى «الأصول»، ولذا أسقطها من تعريفه، وإليه أشار الشارح بقوله: «إنها ليست...».

الثالث: إنما ذكر الأصوليون المرجحات وصفات المجتهد في كتب الأصول لتوقف معرفته على معرفتها، وإليه أشار بقوله: «وإنما تذكر...». الرابع: كما ذكر الفقهاء في تعريف «الفقه» ما يتوقف هو عليه ذكر المصنف في «الأصول» ما يتوقف هو عليه، وإليه أشار الشارح بقوله: «وذكرها حينئذ...» (منع الموانع، ص: ٨٩، حاشية البناي: ٦٨/١).

ثانيهما: نعم، قاله الجمهور، واختاره الرازي في المحصول (٨٠/١)، والآمدني في الإحكام (١/٨)، والشارح، وشيخ الإسلام في لب الأصول وشرحه (ص: ٤)، والبيضاوي في المنهاج (٧/١).

(٣) أي المصنف في منع الموانع، ص: ٨٩.

(٤) أي من قول الشارح «بالمرجحات أي معرفتها...». (البناي: ٦٨/١).

(٥) أي من المرجحات وصفات المجتهد، أي أن توقف التفصيلية على المرجحات وصفات المجتهد ليس هو من حيث كونها جزئيات الإجمالية المقتضي توقف الإجمالية أيضاً على ما ذكر، بل من حيث تفصيلها أي خصوص موادها المفيدة للأحكام لأنه مناط الدلالة لظهور أن وجوب الصلاة إنما استفيد من خصوص مادة «أَقِمُوا الصَّلَاةَ»، وهو متعلق بهذا الأمر الخاص، وهو إقامة الصلاة، لا من حيث =

توقفها^(١) على صفات المجتهد من ذلك من حيث حصولها للمرء، لا معرفتها، والمعتبر^(٢) في مسمى «الأصولي» معرفتها، لا حصولها كما تقدّم كل ذلك.

وبالجملة فظاهر أن معرفة الدلائل الإجمالية المذكورة في الكتب الخمسة لا تتوقف على معرفة شيء من المرجحات، وصفات المجتهد المعقود لها الكتابان الباقيان، لكونها من الأصول، فالصواب ما صنعوا من ذكرها في تعريفه كأن يقال:

أصول الفقه دلائل الفقه الإجمالية، وطرق استفادتها ومستفيد جزئياتها.

وقيل: «معرفة ذلك».

ولا حاجة إلى تعريف «الأصولي» للعلم به من ذلك.

وأما قولهم المتقدم «الفقيه: المجتهد...»^(٣) وكذا عكسه الآتي في كتاب «الاجتهاد»^(٤)، فالمراد به بيان الماصّدق أي ما يصدّق عليه «الفقيه»، وهو ما يصدّق عليه «المجتهد»، والعكس^(٥)، لا بيان المفهوم وإن كان هو الأصل في التعريف، لأن مفهوماً مختلفاً، ولا حاجة إلى ذكره^(٦) للعلم به من تعريف «الفقه» و «الاجتهاد».

فما تقدّم من أنهم ما قالوا «الفقيه: العالم بالأحكام أي إلى آخره»، لذلك، على أن بعضهم^(٧) قاله تصريحاً بما علم التزاماً.

= كونها أمراً، والتفصيلية من هذه الحثية مغايرة للإجمالية.

وهذا ردّ على دليل المصنّف الأول. (البناني: ٦٨/١).

(١) هذا ردّ على دليل المصنّف الثالث. (البناني: ٦٩/١).

(٢) هذا ردّ على دليل المصنّف الرابع.

وأما الردّ على دليله الثاني ذكره الشارح بقوله السابق: «ولتوقف استفادة الأحكام...».

(البناني: ٦٥/١، ٦٩).

(٣) هذا ردّ ثانٍ لدليل المصنّف الرابع. (البناني: ٧٠/١).

(٤) انظر: «تعريف المجتهد» ٣٥٠/٢.

(٥) مبتدأ وخبره محذوف أي والعكس ثابت. (البناني: ٧٠/١).

(٦) أي ذكر مفهوم «الفقيه» و «المجتهد» لذلك أي للعلم به مما ذكر. (النجوم اللوامع: ١٧٦/١).

(٧) أي كالشيخ أبي إسحاق الشيرازي في كتابه «الحدود».

(البحر: ٢٣/١، النجوم اللوامع: ١٧٦/١).

[تعريف الفقه]

والفقه: العلم بالأحكام الشرعية العملية المكتسب، مِنْ أدلتها التفصيلية.

[تعريف الفقه]

(والفقه: العلم بالأحكام) أي بجميع النسب التامة^(١) (الشرعية) أي المأخوذة من الشرع، المبعوث به النبي الكريم ﷺ، (العملية) أي المتعلقة بكيفية عمل: قلبي أو غيره كالعلم بأن النية في الوضوء واجبة^(٢)، وأن الوتر مندوب^(٣)، (المكتسب) ذلك العلم (من أدلتها التفصيلية) أي من الأدلة التفصيلية للأحكام.

فخرج بقيد «الأحكام» العلم بغيرها من الذوات والصفات كتصور الإنسان والبياض؛ ويقيد «الشرعية» العلم بالأحكام العقلية والحسية كالعلم بأن الواحد نصف الاثنين، وأن النار محرقة. ويقيد «العملية» العلم بالأحكام الشرعية العلمية أي الاعتقادية كالعلم بأن الله تعالى واحد، وأنه يرى في الآخرة. ويقيد «المكتسب» علم الله تعالى^(٤) وجبريل والنبي ﷺ بما

(١) النسبة التامة: هي إسناد أمر لآخر إيجاباً أو سلباً، فالحكم هنا بمعنى النسبة التامة بين الأمرين التي العلم بها من حيث إنها واقعة أو لا تصديق، وبغيرها تصور، لا بمعنى ما اصطلاح عليه الأصوليون من «أنه خطاب الله المتعلق بفعل المكلف من حيث إنه مكلف» الآتي بيانه، وإلا كان ذكر «الشرعية» تكراراً، ولا بمعنى ما اصطلاح عليه المنطقيون من «أنه إدراك أن النسبة واقعة أو ليست بواقعة» المسمى تصديقاً لأنه علم، والفقه ليس بعلم.

فالعلم بالأحكام المذكورة التصديق بتعلقها، لا تصورها لأنه من مبادئ أصول الفقه، ولا التصديق بثبوتها لأنه من علم الكلام. (النجوم اللوامع: ١/١٧٧).

(٢) اختلف العلماء في اشتراط النية في الوضوء على مذهبين: أحدهما: تشترط، فلا يصح وضوء بدون نية، قاله المالكية، والشافعية، والحنابلة. ثانيها: لا تشترط، بل تسن، قاله الحنفية.

(فتح باب العناية: ٥٥/١، جامع الأمهات، ص: ٢٤، المغني: ١/١٢٩).

(٣) اختلف العلماء في وجوب الوتر على مذهبين: أحدهما: يجب، قاله الحنفية.

ثانيهما: لا يجب، بل يستحب، قاله المالكية والشافعية والحنابلة.

(فتح باب العناية: ٣١٨/١، جامع الأمهات، ص: ١٣٣، متهى الإرادات: ٥٥/١).

(٤) لأن علمه تعالى لا يوصف بالكسب لاستلزامه سبق الجهل، ولا بالضرورة لإشعاره بالحاجة، لأن الضروري يطلق على ما قارنه الاحتياج إليه؛ ولأن علم جبريل بما يلقى إليه من الله ضروري، وكذا علم النبي ﷺ بما يوحى إليه من الأحكام. هذا بناء على أنه ﷺ لا يجتهد، أمّا على أنه يجتهد وهو الأصح كما سيأتي بيانه في كتاب «الاجتهاد» ففيه قولان: أظهرهما: أنه فقه، لأنه حاصل من النظر =

١٣

دُكر. وبقيد «التفصيلية» العلم بذلك المكتسب للخلافي^(١) من المقتضي والنافي، المثبت بهما ما يأخذه من الفقيه، ليحفظه عن إبطال خصمه، فعلمه مثلاً بوجود النية في الوضوء لوجود المقتضي، أو بعدم وجوب الوتر لوجود النافي ليس من الفقه.

وعبروا عن «الفقه» هنا بـ «العلم» وإن كان لظنية أدلته ظناً، كما سيأتي التعبير به عنه في كتاب «الاجتهاد»^(٢)، لأنه ظن المجتهد الذي هو لقوته قريب من العلم.

وكون المراد بالأحكام جميعها لا يتنافيه قول مالك من أكابر الفقهاء في ست وثلاثين مسألة^(٣) من أربعين سئل عنها: «لا أدري»، لأنه متهم للعلم بأحكامها بمعاودة النظر.

وإطلاق العلم على مثل هذا التهيؤ شائع عرفاً، يقال: «فلان يعلم النحو»، ولا يُراد أن جميع مسأله حاضرة عنده على التفصيل، بل إنه متهم لذلك.

وما قيل: «من أن الأحكام الشرعية» قيد واحد جمع «الحكم الشرعي» المعروف بـ «خطاب الله»^(٤) الآتي^(٥) فخلافاً للظاهر وإن آل إلى ما تقدم في شرح كونهما قديين كما لا يخفى^(٦).

= في الأدلة. والثاني: ليس بفقيه، لأن الله يخلق له علماً ضرورياً يدرك به ما اجتهد فيه.

(النجوم اللوامع: ١/١٧٨، حاشية الباجوري: ١/٥٣، نهاية السؤل: ١/١٩، الباني: ١/٧٥).

(١) هو الذي نصب نفسه للخلاف والجدل ليدب عن مذهب إمامه، والمراد هنا: من يأخذ الأحكام من

المجتهد بدليل إجمالي كأن يقول الشافعي للمزني مثلاً: الوتر ليس بواجب لوجود النافي. وهذا بناء على

أن الخلاف يكتسب علماً، لكنه لا يسمى فقهاً لعدم اكتسابه من الأدلة التفصيلية، بل من الإجمالية.

والحق أنه لا يكتسب علماً من المقتضي والنافي حتى يتعين له كل منهما، وعليه الخلاف إن كان عنده

التهيؤ للعلم بجميع الأحكام من الأمور المعينة كان فقيهاً مستقلاً، وإلا فالصواب أن قيد «التفصيلية»

ليبين الواقع، أي لإخراج علم المقلد بذلك، فإنه إنما يستفده من المجتهد بواسطة دليل إجمالي.

(حاشية الباجوري: ١/٥٣، النجوم اللوامع: ١/١٧٩، البحر: ١/٢٢، الغيث الهامع: ١/١٦).

(٢) في تعريف «المجتهد»: ٢/٣٥٠.

(٣) هكذا اشتهر في كتب الأصول، والذي في مقدمة «التمهيد» لابن عبد البر (١/٧٣) عن الهيثم بن جميل

عن مالك «أنه سئل عن ثمان وأربعين مسألة؟ فقال في اثنين وثلاثين منها: لا أدري».

(٤) انظر: «الحكم الشرعي»: ١/٨٥.

(٥) وهو اختصار البدر الزركشي في التشنيف (١/٤٠).

(٦) قاله الإمام الرازي في المحصول (١/٧٩)، والقاضي البضاوي في المنهاج (١/١٧)، والإسنوي في

نهاية السؤل (١/١٧)، والولي العراقي في الغيث الهامع (١/١٤).

[الحكم الشرعي]

والحكم: خطاب الله المتعلق بفعل المكلف من حيث إنه مكلف.

[الحكم الشرعي]

(والحكم) المتعارف بين الأصوليين بالإثبات تارة والنفي أخرى: (خطاب الله) أي كلامه النفسي الأزلي، المسمى في الأزل خطاباً حقيقة على الأصح، كما سيأتي^(١).

(المتعلق بفعل المكلف) أي البالغ العاقل^(٢) تعلقاً معنوياً قبل وجوده كما سيأتي^(٣)، وتنجزياً بعد وجوده بعد البعث، إذ لا حكم قبلها كما سيأتي^(٤).

(من حيث إنه مكلف)^(٥) أي ملزم ما فيه كلفة، كما يُعلم ممّا سيأتي^(٦).

فتناول الفعل القلبي: الاعتقاد وغيره^(٧)، والقولي، وغيره، والكف، والمكلف الواحد

كالنبي ﷺ في خصائصه، والأكثر من الواحد، والمتعلق بأوجه التعلق الثلاثة من الاقتضاء ١٤ الجازم، وغير الجازم، والتخيير الآتية لتناول حيثية التكليف للأخيرين^(٨) منها كالأول

(١) في «الكلام الأزلي خطاب متنوع»: ١٠٦/١.

(٢) اقتصر الشارح على اعتبار البلوغ والعقل، ولا بُد من اعتبار بلوغ الدعوة وسلامة الحواس الظاهرة. حاشية الباجوري: ٥٨/١.

(٣) في «تعلق الأمر بالمعدوم»: ٨٣/١.

(٤) في «انتفاء الحكم قبل الشرع»: ٨٠/١.

(٥) يجوز في اللام «مكلف» الكسر، وهو الأكثر المشهور، والفتح وهو قليل حتى عُذَّ لحناً وإن كان مشهوراً بين الفقهاء. ولم يذكر المصنف «به» بعد «مكلف» إشارة أن المكلف مخاطبٌ بغير ما كُلف به كالمندوب والمكروه والمباح، كما يُخاطب بما كُلف به كالواجب والحرام. (النجوم اللوامع: ١٨٣/١).

(٦) أي قريباً في مسألة «جائز الترك ليس بواجب».

(٧) أي فتناول الخطاب الفعل القلبي كاعتقاد أن الله واحد، وأن النية في الوضوء واجبة، والفعل القولي كتكبيرة الإحرام، والفعل غير القلبي والقولي كأداء الزكاة، وتناول الكف (وإن كان هو أيضاً من الفعل) كالكف عن المحرمات، وتناول فعل الواحد كالوصال للنبي ﷺ، وفعل الأكثر كصيام رمضان مثلاً. (النجوم اللوامع: ١٨٣/١).

(٨) أي ويتناول الخطاب المقتضي اقتضاء جازماً كالوجوب، والحرمة، واقتضاء غير جازم كالكرهية والندب، الخطاب المخير كالإباحة، فتناول الخطاب للأوليين ظاهر لوجود الإلزام فيهما، وهو معنى التكليف، بخلاف الثالث لعدم وجود الإلزام فيه. (النجوم اللوامع: ١٨٣/١).

الظاهر، فإنه لو لا وجود التكليف لم يوجَدَا، ألا ترى إلى انتفائهما قبل البعثة كانتفاء التكليف.
ثُمَّ الخطاب المذكور يُدُلُّ عليه الكتابُ والسنةُ وغيرهما .

وخرج به «فعل المكلف» خطابُ الله المتعلِّقُ بذاته وصفاته، وذوات المكلفين،
والجمادات، كمدلول ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾^(١)، ﴿خَلَقْتُ كُلَّ شَيْءٍ﴾^(٢)، ﴿وَلَقَدْ خَلَقْتَكُمْ﴾^(٣)، ﴿وَيَوْمَ نُسِرُّ الْجِبَالَ﴾^(٤).

وب«ما بعده» مدلولُ «وما تعملون» من قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾^(٥)، فإنه
متعلِّقُ بفعل المكلف من حيث إنه مخلوقٌ لله تعالى.

ولا خطابٌ يتعلَّقُ بفعل غير البالغ العاقل، ووليُّ الصبيِّ والمجنونِ مخاطَّبٌ بأداء ما وجب
في ما لهما منه كالزكاةِ وضمانِ المتلفِ^(٦) كما يُخاطَّبُ صاحبُ البهيمة^(٧)، بضمان ما أتلفته
حيث فرط في حفظها لِيَتَنَزَّلَ فعلها في هذه الحالة منزلة فعله.

وصحةُ عبادة الصبي كصلاته وصومه الثَّابِتُ عليها لَيْسَتْ لأنه مأْمُورٌ بها كالبالغ، بل
ليعتادها فلا يتركها بعد بلوغه إن شاء الله تعالى ذلك.

ولا يتعلَّقُ الخطابُ بفعل كلِّ بالغٍ عاقلٍ كما يُعَلِّمُ ممَّا سيأتي من «امتناع تكليف الغافل
والمَلْجَأِ والمَكْرُوه»^(٨).

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٥٥.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٠٢.

(٣) سورة الكهف، الآية: ٤٧.

(٤) سورة الصافات، الآية: ٩٦.

(٥) اتفق العلماء على أنه يجبُ على وليِّ الصبيِّ والمجنونِ منهُما من إِتْلَافِ مالِ الغير، وأنه تجبُ غرامتهُ
في مالهما، وأنه تجبُ زكاةُ الفطرِ في مالهما، وأنه يجبُ العشورُ في زرعهما وثمرهما، ولكنهم اختلفوا
في وجوبِ زكاةٍ غيرهما عليهما على مذهبين:

أحدهما: تجبُ في مالهما، ويُخرجُ عنهما وليُّهما، قاله المالكية والشافعية والحنابلة.

ثانيهما: لا تجبُ الزكاةُ في مالهما، قاله الحنفية. (المجموع: ٤/٢٩٤، ٣٧٨، المغني: ٢/٢٥٦).

(٦) ما أفسدته البهيمة بالليل على مالك البهيمة، وما أفسدته نهاراً على صاحب المال إن لم تكن يدُ أحدٍ
عليها، قاله المالكية والشافعية والحنابلة. وقال الحنفية: يضمنُ صاحبُ البهيمة ما أتلفته مطلقاً.

(٧) انظر: «تكليف الغافل، والملجأ، والمكروه»: ٩٢/١.

[لا حُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ]

وَمِنْ ثَمَّ لَا حُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ.

[الحُسْنُ وَالْقُبْحُ]

وَالْحُسْنُ وَالْقُبْحُ بِمَعْنَى مُلَاءَمَةِ الطَّبْعِ وَمُنَافَرَتِهِ، وَبِمَعْنَى صِفَةِ الْكَمَالِ وَالنَّقْصِ عَقْلِيٍّ، وَبِمَعْنَى تَرْتُّبِ الدَّمِّ عَاجِلًا وَالْعِقَابِ آجَلًا.....

ويرجع ذلك في التحقيق إلى انتفاء تكليف البالغ العاقل في بعض أحواله.

وأما خطابُ الوضع الآتي^(١) فليس من الحكم المتعارف كما مشى عليه المصنف^(٢). ١٥ وَمَنْ جَعَلَهُ مِنْهُ - كَمَا اخْتَارَهُ ابْنُ الْحَاجِبِ^(٣) - زَادَ فِي التَّعْرِيفِ السَّابِقِ مَا يُدْخِلُهُ، فَقَالَ: «خَطَابُ اللَّهِ الْمُتَعَلِّقُ بِفَعْلِ الْمَكْلُوفِ بِالْاِقْتِضَاءِ أَوْ التَّخْيِيرِ أَوْ الْوَضْعِ»، لَكِنَّهُ لَا يَشْمَلُ مِنَ الْوَضْعِ مَا مُتَعَلِّقُهُ غَيْرُ فَعْلِ الْمَكْلُوفِ كَالزَّوَالِ سَبَبًا لَوْجُوبِ الظَّهْرِ.

[لا حُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ]

وَاسْتَعْمَلَ الْمَصْنُفُ كَغَيْرِهِ «ثُمَّ» لِلْمَكَانِ الْمَجَازِيِّ كَثِيرًا، وَبَيَّنَّ فِي كُلِّ مَحَلٍّ بِمَا يَنَاسِبُهُ كَمَا سَيَأْتِي. فَقَوْلُهُ هُنَا:

(وَمِنْ ثَمَّ) أَيِ مِنْ هُنَا، وَهُوَ أَنَّ الْحُكْمَ خُطَابُ اللَّهِ، أَيِ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ نَقُولُ: (لَا حُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ)، فَلَا حُكْمَ لِلْعَقْلِ بِشَيْءٍ مِمَّا سَيَأْتِي عَنْ الْمَعْتَزَلَةِ الْمَعْبَرِ عَنْ بَعْضِهِ بِ «الْحُسْنِ وَالْقُبْحِ».

[الحُسْنُ وَالْقُبْحُ]

وَلَمَّا شَارَكَهُ فِي التَّعْبِيرِ بِهِمَا عَنْهُ مَا يَحْكُمُ بِهِ الْعَقْلُ وَفَاقًا بَدَأَ بِهِ تَحْرِيرًا لِمَحَلِّ التَّزَاوُعِ فَقَالَ: (وَالْحُسْنُ وَالْقُبْحُ) لِلشَّيْءِ (بِمَعْنَى مُلَاءَمَةِ الطَّبْعِ وَمُنَافَرَتِهِ) كَحَسَنِ الْخُلُوِّ وَقُبْحِ الْمُرِّ، (و) بِمَعْنَى صِفَةِ الْكَمَالِ وَالنَّقْصِ كَحُسَنِ الْعِلْمِ وَقُبْحِ الْجَهْلِ (عَقْلِيٍّ) أَيِ يَحْكُمُ بِهِ الْعَقْلُ اتِّفَاقًا. (وَبِمَعْنَى تَرْتُّبِ) الْمَدْحِ وَ (الدَّمِّ عَاجِلًا)، وَالثَّوَابِ (وَالْعِقَابِ آجَلًا) كَحَسَنِ الطَّاعَةِ وَقُبْحِ

(١) انظر: «الحكم الوضعي»: ٩٧/١.

(٢) وبه قال الجماهير من الحنفية والشافعية والحنابلة.

(فواتح الرحموت: ٧٨/١، المحصول: ٨٩/١، الإحكام: ٨٥/١، شرح الكوكب: ١/٣٣٤).

(٣) قاله المالكية. (شرح التنقيح، ص: ٧٠، مختصر ابن الحاجب: ١/٢٢٢).

شرعي، خلافاً للمعتزلة.

[شُكْرُ الْمُنْعِمِ]

وشُكْرُ الْمُنْعِمِ واجبٌ بالشرع، لا بالعقل.

المعصية (شرعي) أي لا يحكم به إلا الشرع المبعوث به الرسل، أي لا يؤخذ إلا من ذلك، ولا يدرك إلا به.

(خلافاً للمعتزلة)^(١) في قولهم: «إنه عقلي، أي يحكم به العقل لما في الفعل من مصلحة أو مفسدة يتبعها حسنه أو فبُحه عند الله تعالى، أي يدرك العقل ذلك بالضرورة كحسن الصدق النافع، وقبح الكذب الضار؛

أو بالنظر كحسن الكذب النافع، وقبح الصدق الضار - وقيل: «العكس» - ويحيى الشرع مؤكداً لذلك؛

أو باستعانة الشرع فيما خفي على العقل كحسن صوم آخر يوم من رمضان، وقبح صوم أول يوم من شوال»^(٢).

وقوله كغيره^(٣): «عقلي وشرعي» خبر مبتدأ محذوف، أي كل منهما أو كلاهما.

وتركه كغيره «المدح والثواب» للعلم بهما من ذكر مقابلهما الأنسب - كما قال - بأصول المعتزلة، فإن العقاب عندهم لا يتخلف، ولا يقبل الزيادة، والثواب يقبلها وإن لم يتخلف أيضاً.

[شُكْرُ الْمُنْعِمِ]

(وشُكْرُ الْمُنْعِمِ) أي وهو الثناء على الله تعالى لإنعامه بالخلق، والرّزق، والصحة، وغيرها

(١) الجميع متفق على أن الله تعالى هو المشرع للأحكام وحده، وأنه ليس لغيره شرع حكم كائنًا كان، ولكنهم اختلفوا هل العقل يدرك حكم الله تعالى في الأشياء أو لا؟ قال أهل السنة: العقل لا يدرك الأحكام، وإنما يعرف حكم الله تعالى من طريق رسوله. وقال المعتزلة: إن العقل يدرك حكم الله تعالى في الأفعال بحسب ما يظهر له من مصلحة أو مفسدة، فالحكم الشرعي تابع لهما، والعقل طريق لمعرفة الحكم. (المحصول: ١/١٢٤، الإحكام: ١/٧٢، التننيف: ١/٤٥).

(٢) قال التاج السبكي رحمه الله في رفع الحاجب (١/٤٥٤): «وتبع المعتزلة من احنفية جماعة، ومن أصحابنا الصيرفي، والقفال الكبير، وأبو بكر الفارسي، والقاضي أبو حامد، وأبو عبد الله الحلبي».

(٣) كالقرافي في شرح التنقيح، ص: ٨٨.

[انتفاء الحكم قبل الشرع]

ولا حكم قبل الشرع، بل الأمر موقوف إلى وروده .

بالقلب بأن يعتقد أنه تعالى وليها، أو اللسان بأن يتحدث بها، أو غيره كأن يخضع له تعالى (واجب بالشرع، لا بالعقل)^(١)، فمن لم يبلغه دعوة نبي لا يأتكم بتركه، خلافاً للمعتزلة^(٢).

[انتفاء الحكم قبل الشرع]

(ولا حكم) موجود (قبل الشرع) أي البعثة لأحد من الرسل لانتفاء لازمه حينئذ من ترتب الثواب والعقاب بقوله تعالى ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾^(٣) أي ولا مُبَيِّنِينَ. فاستغنى عن ذكر الثواب بذكر مقابله من العذاب الذي هو أظهر في تحقق معنى التكليف .

وانتفاء الحكم الذي هو الخطاب السابق بانتفاء قيد منه وهو التعلق التجيزي .

١٧

(بل الأمر) أي الشأن في وجود الحكم (موقوف إلى وروده) أي الشرع .

(١) قال البدر الزركشي رحمه الله في سلاسل الذهب (ص: ١٠٦): «اعلم أنه نُقِلَ عن جماعة من أكابر أصحابنا موافقة المعتزلة في قولهم: «يُجِبُّ شُكْرُ الْمُنْعَمِ عَقْلًا»، و «يُجِبُّ الْعَمَلُ بِخَيْرِ الْوَاحِدِ عَقْلًا»، و «بِالْقِيَاسِ عَقْلًا»، منهم ابن سريج، وتلميذه الإمام الكبير القفال الشاشي أعلم الشافعيين فيما وراء النهر بالأصول.

وقد ذكر الحافظ ابن عساكر أن القفال كان في أول أمره مائلاً عن الاعتدال، قائلاً بالاعتزال، ثم رجع إلى مذهب الأشعري.

وقال القاضي أبو بكر في «التقريب والإرشاد» والأستاذ أبو إسحاق في «تعليقه في أصول الفقه» وقد حكى هذه المذاهب: اعلم أن هذه الطائفة من أصحابنا ابن سريج وغيره كانوا برعوا في الفقه، ولم يكن لهم قدم راسخ في الكلام، وطالعوا على الكبر كُتِبَ المعتزلة، فاستحسنوا عباراتهم، وقولهم في شكر المنعم عقلاً، فذهبوا إلى ذلك غير عالمين بما تؤدي إليه هذه المقالة من قبح القول. انتهى . وهذا الوجهان في الاعتذار عن هؤلاء الأئمة من وصمة الاعتزال. وفيه برهان ساطع أن كل علم يُؤخذ من أربابه، الفقه من فقيه، الحديث من محدث، الأصول من أصولي، إلى آخره.

(٢) هذا والذي بعده مبنيان على تحسين العقل وتقييده، فمن حكم العقل كالمعتزلة أوجب شكر المنعم تعالى قبل البعثة، وأوجب أحكاماً قبل ورود الشرع، ومن وكل التحسين والتقييد إلى الشرع كأهل السنة لم يوجب قبل البعثة حكماً ولو شكر الله تعالى ولا غيره.

(تسنيف المسامع بشرح جمع الجوامع للزركشي: ٤٧/١).

(٣) سورة الإسراء، الآية: ١٥.

وَحَكَمْتُ الْمُعْتَزَلَةَ الْعَقْلَ، فَإِنْ لَمْ يَقْضَ.....

أشارَ بهذا - كما قال^(١) - إلى أنه مرادٌ مَنْ عَبَّرَ مَنْأً في الأفعال قبل البعثة بالوقف^(٢)، فليس مُخَالَفًا لِمَنْ نَفَى مَنْأَ الْحَكَمِ فِيهَا.

و «بل» هنا للانتقال من غرضٍ إلى آخر وإن اشتمل على الأول، إذ تَوَقَّفُ الْحَكَمُ عَلَى الشَّرْعِ مُشْتَمِلٌ عَلَى انْتِقَائِهِ قَبْلَهُ، وَوُجُودِهِ بَعْدَهُ.

(وَحَكَمْتُ الْمُعْتَزَلَةَ الْعَقْلَ) في الأفعال قبل البعثة، فما قضى به في أي شيء منها: ضروريٌّ كالتنفس في الهواء؛ أو اختياريٌّ لخصوصه بأن أدرك فيه مصلحةً أو مفسدةً، أو انتفاءًهما. فأمرُ قضائه فيه ظاهرٌ.

وهو أن الضروريَّ مقطوعٌ بإباحته، والاختياريُّ لخصوصه ينقسم إلى الأقسام الخمسة: الحرام وغيره، لأنه إن اشتمل على مفسدة فعله فحرامٌ كالظلم، أو تركه فواجبٌ كالعدل؛ أو على مصلحة فعله فمندوبٌ كالإحسان، أو تركه فمكروهٌ؛ وإن لم يشتمل على مصلحة أو مفسدة، فمباحٌ.

(فَإِنْ لَمْ يَقْضَ)^(٣) العقلُ في بعضٍ منها لخصوصه بأن لم يدرك فيه شيئاً مما تقدم كأكلِ الفاكهة فاختلف في قضائه فيه لعموم دليله على أقوالٍ ذكرها بقوله:

(١) أي المصنف في منع الموانع (ص: ٩٥ - ٩٨).

(٢) قال الزركشي في سلاسل الذهب (ص: ١٠١): «واختلف أصحابنا وغيرهم في حكم الأشياء قبل ورود الشرع على ثلاثة مذاهب:

أحدها: أنها على الإباحة حتى يرد الشرع بحظرها، وهو قول أبي إسحاق المروزي، وأبي العباس ابن سريج، وأكثر الحنفية، والبصريين من المعتزلة والظاهرية.

الثاني: أنها على الحظر حتى يرد الشرع بإباحتها، وهو قول أبي علي ابن أبي هريرة، وبعض الحنفية، والبغداديين من المعتزلة.

الثالث: أنها على الوقف، وهو قول أكثر أصحابنا، منهم: القاضي أبو الطيب الطبري، وأبو علي الطبري، وأبو الحسن الأشعري».

(٣) اختلف المعتزلة في الأفعال الاختيارية التي لا يقضي العقل فيها بحسن ولا قبح على ثلاثة مذاهب:

الأول: أنها محرمة، قاله معتزلة بغداد، وابن أبي هريرة من الشافعية. الثاني: أنها مباحة، قاله معتزلة البصرة منهم أبو علي الجبائي وابنه، وطائفة من فقهاء الحنفية والشافعية.

الثالث: الوقف، ونُقل عن أبي الحسن الأشعري، وأبي بكر الصيرفي.

(المحصول: ١/١٥٨، الإحكام: ١/٨٢، نهاية السؤل: ١/١٣٢).

فثالِثُهَا لَهُمْ : «الوقوف عن الحَظَرِ، والإِباحَةِ».

(فثالِثُهَا لَهُمْ : «الوقوف عن الحَظَرِ والإِباحَةِ») أي لا تَذَرِي أَنَّهُ مَحْظُورٌ أَوْ مَبَاحٌ، مع أَنَّهُ لَا يَخْلُو عَنْ وَاحِدٍ مِنْهُمَا، لَأَنَّهُ إِمَّا مَمْنُوعٌ مِنْهُ فَمَحْظُورٌ، أَوْ لَا فَمَبَاحٌ. وهما القولان المطويان .

دليل الحظر : أَنَّ الفعل تَصَرَّفَ فِي مِلْكِ اللَّهِ تَعَالَى بِغَيْرِ إِذْنِهِ، إِذِ الْعَالَمُ : أَعْيَانُهُ وَمَنَافِعُهُ مِلْكٌ لَهُ تَعَالَى . ودليل الإِباحَةِ : أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ الْعَبْدَ، وَمَا يَنْتَفِعُ بِهِ، فَلَوْ لَمْ يُجِبْ لَهُ كَانَ خَلَقَهُمَا عَبَثًا، أَيْ خَالِيًا عَنِ الْحِكْمَةِ . وَوَجْهُ الْوَقْفِ عَنْهُمَا : تَعَارُضُ دَلِيلَيْهِمَا.

وأشار بقوله «لَهُمْ» أي للمعتزلة إلى ما نقله عن القاضي أبي بكر الباقلاني^(١) من «أَنَّ قَوْلَ بَعْضِ فُقَهَائِنَا أَيْ كَابِنِ أَبِي هُرَيْرَةَ^(٢) بِ «الْحَظَرِ»، وَبَعْضِهِمْ بِ «الإِباحَةِ» فِي الْأَفْعَالِ قَبْلَ الشَّرْعِ» إِنَّمَا هُوَ لَغْوٌ لَتَهُمْ عَنْ تَشَعُّبِ ذَلِكَ عَنْ أَصُولِ الْمَعْتَزِلَةِ، لِلْعِلْمِ بِأَنَّهُمْ مَا اتَّبَعُوا مَقَاصِدَهُمْ^(٣)؛ وَأَنَّ قَوْلَ بَعْضِ أَثْمَتِنَا أَيْ كَالْأَشْعَرِيِّ^(٤) فِيهَا بِ «الْوَقْفِ» مُرَادُهُ بِهِ تَفْيُ الْحُكْمِ

(١) والباقلاني : هو محمد بن الطَّيِّب بن محمد الباقلاني، البصري، المالكي، أبو بكر، فقيه بارع، محدث حجة، متكلم على مذهب أهل السنة، وطريقة الأشعري، انتهت إليه رئاسة المالكية بالعراق، وكان أعرف الناس بعلم الكلام، قاهرًا للمعتزلة، والجهمية، والخوارج، وغيرهم من المبتدعة، كان عفيفًا، كريماً، زاهداً، ذكياً، له مؤلفات كثيرة، منها : شرح الإبانة، كشف الأسرار، الإرشاد، وغيرها، توفي رحمه الله سنة ٤٠٣هـ ببغداد. (الفتح المبين : ١/ ٢٣٣).

(٢) وابن أبي هريرة : هو الحسن بن الحسين ، أبو علي ، الشافعي ، المشهور بابن أبي هريرة ، أحد عظماء أصحاب الشافعي ، انتهت إليه رئاسة الشافعية ببغداد، وكان ذا هيئة ووقار، له مكانة عظيمة عند الحكام والرعية، وله آراء خاصة في الأصول والفروع، ومن مؤلفاته : شرحان على مختصر المزني، وغيره، توفي رحمه الله سنة ٣٤٥هـ ببغداد. (الفتح المبين : ١/ ٢٠٤).

(٣) الفرق بين المعتزلة وبين من قال به من الفقهاء من ثلاثة أوجه : أحدها : أَنَّ الْمَعْتَزِلَةَ خَصُّوا هَذِهِ الْأَقْوَالِ فِي الْأَفْعَالِ الَّتِي لَا يَقْضِي الْعَقْلُ فِيهَا بِحَسَنِ وَلَا قُبْحٍ، وَالْفُقَهَاءُ عَمُّوا فِي جَمِيعِ الْأَفْعَالِ.

ثانيها : أَنَّ مَعْتَزِلَهُمْ دَلِيلُ الْعَقْلِ ، وَمَعْتَمِدُ الْفُقَهَاءِ دَلِيلُ النُّقْلِ .

ثالثها : أَنَّهُمْ أَرَادُوا بِالْوَقْفِ وَقَفَّ حَيْرَةً، وَالْفُقَهَاءُ أَرَادُوا بِهِ وَقَفَّ انْتِفَاءَ الْحُكْمِ. (التشنيف : ١/ ٤٩).

(٤) والأشعري : هو علي بن إسماعيل بن إسحاق، أبو الحسن الأشعري، من سلالة أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، برع في علم الكلام والجدل على طريقة المعتزلة، ثم تحول إلى أهل السنة، كان قوي الحجة، واضح البرهان، حرباً على المعتزلة وغيرهم من المبتدعة، ناصراً للسنّة، ورعاً مجتهداً في العبادة، ألّف كتباً كثيرة مفيدة منها : الإبانة، إيضاح لبرهان، مقالات الإسلاميين، وغيرها، توفي رحمه الله تعالى سنة ٣٢٤هـ على الراجح ببغداد، ودُفِنَ بِهَا. (الفتح المبين : ١/ ١٨٥).

[تَكْلِيفُ الْغَافِلِ، وَالْمُلْجَأِ، وَالْمُكْرَهِ]

الصَّوَابُ امْتِنَاعُ تَكْلِيفِ الْغَافِلِ، وَالْمُلْجَأِ،
 فيها^(١) أي كما تقدم^(٢).

[تَكْلِيفُ الْغَافِلِ، وَالْمُلْجَأِ، وَالْمُكْرَهِ]

(وَالصَّوَابُ امْتِنَاعُ تَكْلِيفِ الْغَافِلِ^(٣) وَالْمُلْجَأِ): أما الأول: وهو مَنْ لَا يَدْرِي كَالنَّائِمِ وَالسَّاهِي، فَلَا نَ مَقْتَضَى التَّكْلِيفِ بِالشَّيْءِ الْإِتْيَانُ بِهِ امْتِنَاعًا، وَذَلِكَ يَتَوَقَّفُ عَلَى الْعِلْمِ بِالتَّكْلِيفِ بِهِ، وَالْغَافِلُ لَا يَعْلَمُ ذَلِكَ، فَيَمْتَنَعُ تَكْلِيفُهُ وَإِنْ وَجِبَ عَلَيْهِ بَعْدَ يَقْظِهِ ضَمَانٌ مَا أُلْفَهُ مِنَ الْمَالِ، وَقَضَاءُ مَا فَاتَهُ مِنَ الصَّلَاةِ فِي زَمَانٍ غَفَلَتْهُ لَوْجُودِ سَبِيحَتِهِمَا.

وَأما الثاني: وهو مَنْ يَدْرِي، وَلَا مَنَدُوحَةً لَهُ عَمَّا أُلْحِجَّ إِلَيْهِ كَالْمَلْقَى مِنْ شَاهِقٍ عَلَى شَخْصٍ يَقْتُلُهُ، لَا مَنَدُوحَةً لَهُ عَنِ الْوُقُوعِ عَلَيْهِ الْقَاتِلُ لَهُ، فَامْتِنَاعُ تَكْلِيفِهِ بِالْمُلْجَأِ إِلَيْهِ أَوْ بِنَقِيضِهِ لِعَدَمِ قُدْرَتِهِ عَلَى ذَلِكَ، لِأَنَّ الْمُلْجَأَ إِلَيْهِ وَاجِبُ الْوُقُوعِ، وَنَقِيضُهُ مُمْتَنَعُ الْوُقُوعِ، وَلَا قُدْرَةَ عَلَى وَاحِدٍ مِنَ الْوَاجِبِ وَالْمَمْتَنَعِ. قِيلَ: «بِجَوَازِ تَكْلِيفِ الْغَافِلِ وَالْمُلْجَأِ بِنَاءً عَلَى جَوَازِ التَّكْلِيفِ بِمَا لَا يُطَاقُ كَحِمْلِ الْوَاحِدِ الصَّخْرَةَ الْعَظِيمَةَ»^(٤). وَرَدَّ بِأَنَّ الْفَائِدَةَ فِي التَّكْلِيفِ بِمَا لَا يُطَاقُ مِنَ الْإِخْتِبَارِ هَلْ يَأْخُذُ فِي الْمَقْدِمَاتِ أَوْ لَا؟ مُتَنَفِّةٌ فِي تَكْلِيفِ الْغَافِلِ وَالْمُلْجَأِ. وَإِلَى حِكَايَةِ هَذَا وَرَدَّهُ أَشَارَ الْمُصَنِّفُ بِتَبْعِيْرِهِ بـ «الصَّوَابُ»^(٥).

(١) اختلف أصحاب أبي الحسن في تفسير الوقف الذي ذهب إليه على قولين:

أحدهما: أَنَّ الْحُكْمَ مَوْجُودٌ لِأَنَّهُ قَدِيمٌ، وَلَكِنَّا لَا نَعْلَمُهُ، اخْتَارَهُ الرَّازِي وَالْبِيضَاوِي.

وثانيهما: أَنَّ لَا حُكْمَ، وَهُوَ الصَّوَابُ الَّذِي عَلَيْهِ أَهْلُ الْحَقِّ. (المحصول: ١/١٦٥، الإحكام: ١/٨٤، المنهاج: ١/١٣١، التننيف: ١/٤٨، الغيث الهامع: ١/٢١).

(٢) أي في شرح قول المصنف: «بل الأمر موقوف إلى وُروِده».

(٣) قال الولي العراقي رحمه الله في الغيث الهامع (١/٢٤): «قد يتوهم أَنَّ الشافعي رضي الله عنه يَرَى تَكْلِيفَ الْغَافِلِ لِنُطْقِهِ عَلَى تَكْلِيفِ السَّكَرَانِ. وَلَيْسَ كَذَلِكَ، فَإِنَّهُ قَالَ بِتَكْلِيفِ السَّكَرَانِ عُقُوبَةً لَهُ، لِيَتَسَبَّهَ إِلَى ذَلِكَ بِمُحَرَّمٍ بِاخْتِيَارِهِ».

(٤) قاله الشيخ أبو الحسن الأشعري، وَمَنَعَ وَقُوعَهُ سَمْعًا.

(الإحكام للآمدي: ١/١٣٢، الغيث الهامع: ١/٢٤).

(٥) اتفق العلماء على عدم وقوع تَكْلِيفِ الْمُلْجَأِ سَمْعًا وَإِنْ أَجَازَ بَعْضُهُمْ تَكْلِيفَهُ عَقْلًا بِنَاءً عَلَى جَوَازِ التَّكْلِيفِ بِ«مَا لَا يُطَاقُ». (الإحكام: ١/١٣٢، نهاية السؤل: ١/١٥١).

وكذا المُكْرَهُ على الصَّحِيح وَلَوْ على القَتْلِ، وإِثْمُ القَاتِلِ لإِثَارِهِ نَفْسَهُ.

(وكذا المَكْرَهُ) وهو من لا مندوحة له عَمَّا أَكْرَهَ عليه إِلَّا بالصبر على ما أَكْرَهَ به، يَمْتَنَعُ تكليفُهُ بالمَكْرَهُ عليه أو بنقيضه (على الصحيح)^(١)، لعدم قدرته على امتثال ذلك، فإن الفعل للإكراه لا يَحْصُلُ به الامتثال، ولا يُمَكِّنُ الإتيانَ معه بنقيضه (وَلَوْ) كان مَكْرَهًا (على القتل) لِمُكَافَأَتِهِ، فإنه يَمْتَنَعُ تكليفُهُ حالَ القتلِ للإكراه بتركه لعدم قدرته عليه. (وإِثْمُ القَاتِلِ) الذي هو مُجْمَعٌ عليه (لإِثَارِهِ نَفْسَهُ) بالبقاء على مكافئه الذي خيَّره بينهما المُكْرَهُ بقوله «أَقْتُلْ هذا وَإِلَّا قَتَلْتُكَ»، فَيَأْتُمُّ بالقتل من جهة الإِثَارِ، دون الإكراه.

وقيل: «يجوز تكليف المَكْرَهُ بِمَا أَكْرَهَ عليه أو بنقيضه لقدرته على امتثال ذلك، بأن يأتي بالمَكْرَهُ عليه لداعي الشرع كَمَنْ أَكْرَهَ على أداء الزكاة فَنَوَّاهَا عند أخذها منه، أو بنقيضه صابراً على ما أَكْرَهَ به وإن لم يُكَلِّفْهُ الشارِعُ الصبرَ عليه، كَمَنْ أَكْرَهَ على شُرْبِ الخمر، فامتنع منه صابراً على العقوبة».

والقول الأول للمعتزلة، والثاني للأشاعرة، ورجع إليه المصنف آخرًا، ومن توجيههما يعلم أنه لا خلاف بين الفريقين^(٢)، وأن التحقيق مع الأول^(٣)، فليتأمل.

(١) اختلف العلماء في تكليف المَكْرَهُ على مذهبين:

أحدهما: أنه مكلف، قاله الجماهير من الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة، واختاره المصنف آخرًا في الأشياء والنظائر (٩/١). ثانيهما: أنه غير مكلف، قاله المعتزلة، والطوفي من الحنابلة، واختاره المصنف هنا وفي منع الموانع (ص: ١٠٦).

(فواتح الرحموت: ٢٢٠/١، المحصول: ٢٦٨/١، الإحكام: ١٣٣/١، شرح الكوكب: ٥٠٨/١).

(٢) أي فإن توجيه الأول بقوله: «فإن الفعل للإكراه لا يحصل به الامتثال...» يدل على فرض كلامه في حال المباشرة.

وتوجيه الثاني بقوله «لقدرته على امتثال ذلك...» يدل على فرض كلامه قبل المباشرة، فلم يتوارد القولان على محل واحد، فكان الخلف لفظياً، لأن المانع (المعتزلة) ناظر إلى أن التكليف يتحقق حال المباشرة، والمُجَيِّز (الأشاعرة) ناظر إلى تحققه قبل المباشرة.

والأصح أن الخلاف حقيقي لأن التكليف عند المعتزلة مُمتنع حال المباشرة وقبلها، وعند الأشاعرة قبل المباشرة ومستمر معها. (النجوم اللوامع: ١٩٢/١، البناني: ١٢٦/١).

(٣) كأنه نظر إلى رفع الحرج عن المَكْرَهُ لكن هذا إنما يُنَاسِبُ وقوع التكليف بذلك، لا جوازَه الذي الكلام فيه، فكان التحقيق مع الثاني حيث أجازَ التكليف بذلك عقلاً، ومنعه شرعاً لحديث ابن ماجه (٢٠٤٣) الحسن لغيره «إن الله تجاوزَ عن أُمِّي الخُطَا، والنَّسِيانَ، وما استكبرَ هوا عليه».

(النجوم اللوامع: ١٩٢/١).

[تَعَلُّقُ الْأَمْرِ بِالْمَعْدُومِ]

وَيَتَعَلَّقُ الْأَمْرُ بِالْمَعْدُومِ تَعَلُّقًا مَعْنَوِيًّا، خِلَافًا لِلْمُعْتَرِزَةِ.

[أَقْسَامُ الْحُكْمِ التَّكْلِيفِيِّ]

فَإِنْ اقْتَضَى الْخَطَابُ الْفِعْلَ اقْتِضَاءً جَازِمًا فَلْيَجَابْ، أَوْ غَيْرَ جَازِمٍ فَتَنْدُبْ، أَوْ التَّرْكَ

[تَعَلُّقُ الْأَمْرِ بِالْمَعْدُومِ]

(وَيَتَعَلَّقُ الْأَمْرُ بِالْمَعْدُومِ تَعَلُّقًا مَعْنَوِيًّا) ^(١) بِمَعْنَى أَنَّهُ إِذَا وُجِدَ شُرُوطُ التَّكْلِيفِ يَكُونُ مَأْمُورًا بِذَلِكَ الْأَمْرِ النَّفْسِيِّ الْأَزَلِيِّ، لَا تَعَلُّقًا تَنْجِيزِيًّا، بَأَن يَكُونَ حَالَهُ عَدَمِهِ مَأْمُورًا.

(خِلَافًا لِلْمُعْتَرِزَةِ) ^(٢) فِي نَفْيِهِمُ التَّعَلُّقَ الْمَعْنَوِيَّ أَيْضًا، لِنَفْيِهِمُ الْكَلَامَ النَّفْسِيَّ. وَالنَّهْيُ وَغَيْرُهُ كَالْأَمْرِ.

وَسَيَأْتِي تَنْوُغُ الْكَلَامِ فِي الْأَزْلِ عَلَى الْأَصَحِّ إِلَى الْأَمْرِ وَغَيْرِهِ ^(٣).

[أَقْسَامُ الْحُكْمِ التَّكْلِيفِيِّ]

(فَإِنْ اقْتَضَى الْخَطَابُ) أَي طَلَبَ كَلَامُ اللَّهِ النَّفْسِي (الْفِعْلَ) مِنَ الْمَكْلُوفِ لَشَيْءٍ (اقْتِضَاءً جَازِمًا) بَأَن لَمْ يُجَوِّزْ تَرْكَهُ (فَلْيَجَابْ) أَي فَهَذَا الْخَطَابُ يُسَمَّى إِيْجَابًا، (أَوْ) اقْتِضَاءً (غَيْرَ جَازِمٍ) بَأَن جَوِّزَ تَرْكَهُ (فَتَنْدُبْ؛ أَوْ) اقْتَضَى (التَّرْكَ) لَشَيْءٍ اقْتِضَاءً (جَازِمًا) بَأَن لَمْ يُجَوِّزْ فَعَلَهُ (فَتَحْرِيمٌ، أَوْ) اقْتِضَاءً (غَيْرَ جَازِمٍ بِنَهْيٍ مُخْصِصٍ) بِالشَّيْءِ، كَالنَّهْيِ فِي حَدِيثِ الصَّحِيحِينَ ^(٤)

(١) اختلف العلماء في تعلُّق خطاب الشارع بالمعدوم على مذهبين: أحدهما: يتعلَّق الخطاب بالمعدوم قبل الوجود بصفات التكليف تعلُّقًا معنويًّا، وإذا وُجد المعدوم بصفات التكليف تعلَّق به تنجيزيًّا لقوله تعالى في سورة الأنعام (الآية: ١٩) ﴿وَأَوْحَى إِلَهُكَ الْقُرْآنَ لَأُبَيِّنَنَّ لَكَ بِمَا كُنْتَ تَفْعَلُ وَمَنْ يَلْعَلُ﴾، قال سلف الأمة: وَمَنْ بَلَّغَهُ الْقُرْآنَ أَنْذِرْ بِإِنْذَارِ النَّبِيِّ ﷺ، قاله أهل السنة. ثانيهما: لا يتعلَّق، قاله المعتزلة. (المحصول: ١١/٢٥٥، الإحكام: ١٣١/١، فواتح الرحموت: ١٩٧/١، شرح الكوكب: ٥١٣/١).

(٢) انظر: البحر المحيط: ٣٧٧/١ - ٣٨٢.

(٣) انظر: «الكلام الأزلي خطاب متنوع»: ١٢١/١.

(٤) رواه البخاري في التهجد، باب ما جاء في التطوع مثنى مثنى (١١٦٧)، ومسلم في الصلاة، باب

استحباب تحية المسجد بركعتين... (١٦٥٢)، وأبو داود في الصلاة، باب ما جاء في الصلاة عند

دخول المسجد (٤٦٧)، والترمذي في الصلاة، باب ما جاء إذا دخل أحدكم المسجد فليركع =

جازماً فتحريراً، أو غيرَ جازمٍ ينهي مَخصوصِ فِكرَاهةً، أو بغيرِ مَخصوصِ فِخلافٍ

«إِذَا دَخَلَ أَحَدُكُمُ الْمَسْجِدَ فَلَا يَجْلِسَ حَتَّى يُصَلِّيَ رَكَعَتَيْنِ»، وفي حديث ابن ماجه وغيره «لَا تُصَلُّوا فِي أَعْطَانِ الْإِبِلِ، فَإِنَّهَا خُلِقَتْ مِنَ الشَّيَاطِينِ»^(١) (فكرَاهةً) أي فالخطابُ المدلول عليه بالمخصوص يسمى كراهةً.

ولا يخرج عن المخصوص دليلُ المكروه إجماعاً أو قياساً^(٢)، لأنه في الحقيقة مستندُ الإجماع، أو دليلُ المقيس عليه، وذلك من المخصوص.

(أو بغيرِ مَخصوصٍ) بالشيء، وهو النهي عن ترك المندوباتِ المستفادُ من أوامرها، فإن الأمر بالشيء يُفيد النهي عن تركه، (فخلاف الأولى) أي فالخطابُ المدلولُ عليه بغير المخصوص يُسمَّى خلاف الأولى كما يسمى متعلِّقُهُ بذلك فعلاً كان كفطر مسافرٍ لا يتضرَّرُ بالصوم كما سيأتي^(٣)، أو تركاً كترك صلاة الضحى.

والفرقُ بين قسَمَي المخصوص وغيره: أن الطلبَ في المطلوب بالمخصوص أشدُّ منه في المطلوب بغير المخصوص، فالاختلافُ في شيء أمكروه هو أم خلاف الأولى؟ اختلافٌ في وجود المخصوص فيه كصوم يوم عرفة بعرفة للحاج خلاف الأولى^(٤).

= رَكَعَتَيْنِ (٣١٦)، والنسائي في المساجد، باب الأمر بالصلاة قبل الجلوس فيه (٧٢٩)، وابن ماجه في إقامة الصلاة والسنة فيها، باب من دخل المسجد فلا يجلس حتى يركع (١٠١٣).

(١) رواه ابنُ ماجه في المساجد والجماعات، باب الصلاة في أعطان الإبل ومراح الغنم (٧٦٨)، قال البوصيري في زوائد (٤٢٤/١): «إِسْنَادٌ صَحِيحٌ». ورواه الترمذي إلّا قوله «فإنَّهَا خُلِقَتْ...» كلاهما عن أبي هريرة رضي الله عنه، وقال: «وفي الباب عن جابر بن سمرة، والبراء، وسيرة بن معبد الجُهَنِي، وعبد الله بن مغفل، وابن عمر، وأنس، وحديث أبي هريرة حسن صحيح».

مسألة: اختلف العلماء في الصلاة في أعطان الإبل على مذهبين: أحدهما: تحريم، قاله المالكية والحنابلة، والظاهرية؛ ثانيهما: تكراه، قاله الحنفية والشافعية. (تحفة الأحوذى: ٢٨٩/٢).

(٢) قوله «إجماعاً أو قياساً» تمييزٌ لـ «دليل المكروه» العائد عليه الضميرُ «لأنه»، أو حالٌ من «دليل»، أي كما يكون دليلُ المكروه من الكتاب والسنة يكونُ من سائر الأدلة التشريعية كالإجماع والقياس. (البناني: ١٣٤/١).

(٣) انظر: «الرخصة والعزيمة»: ١١٣/١.

(٤) اتفق الجماهير على استحبابِ الفطر للحاج بعرفة، وأنه مكروهٌ للذي يضعف، واختلفوا في صوم الحاج الذي لا يضعف على قولين لاختلافهم في تصحيح الحديث الوارد بالنهي:

أحدهما: يكره، قاله جماعةٌ من أصحابنا، واختاره ابنُ حجر الهيتمي.

=

الأولى،

وقيل: مكروه لحديث أبي داود وغيره: «أنه ﷺ نهى عن صوم يوم عرفة بعرفة»^(١).

وأجيب بضعفه عند أهل الحديث.

وقسّم خلاف الأولى زاده المصنف^(٢) على الأصوليين أخذاً من متأخري الفقهاء، حيث قابلوا المكروه بخلاف الأولى في مسائل عديدة، وفرّقوا بينهما، ومنهم إمام الحرمين^(٣) في «النهاية»^(٤) بالنهي المقصود، وغير المقصود، وهو المستفاد من الأمر^(٥).

= ثانيهما: خلاف الأولى، قاله جماعة من أصحابنا، واختاره النووي والشارح. (المجموع: ٤٠٢/٦، التحفة: ٤/٦٣٤).

(١) رواه أبو داود في الصوم، باب صوم يوم عرفة بعرفة (٢٤٤٠)، والنسائي في الكبرى في الصوم، باب النهي عن صوم يوم عرفة بعرفة (٢٨٣٠)، وابن ماجه في الصيام، باب صيام يوم عرفة (١٧٣٢)، والحاكم في المستدرک (٦٠٠/١)، وقال: «صحيح على شرط البخاري»، ووافقه الذهبي. ومدارّه على مهدي الهجري، وهو مختلف فيه، وثقه الحاكم، وابن حبان، والسيوطي، وضعفه الأكثرون، قال النووي في المجموع (٤٠٢/٦): «مجهول»، والذهبي في الميزان (٥٣٠/٦): «قال أبو حاتم: مجهول»، وقال المنذري: «قال ابن معين: لا أعرفه». وقال في التتريب (٤٢٣/٣): «مقبول».

(٢) أول من ذكر «خلاف الأولى» هو إمام الحرمين، فالمكروه لا بدّ فيه من نهى مقصود عنه، ولا يُكتفى فيه بـ«نهي» لأن الأمر بالشيء نهى عن ضده، فكلّ أمور به تركه منهى عنه، لكن النهي المستفاد من الأمر بطريق الالتزام، لا بطريق القصد، فلذلك احتزّر وقال: «نهى مقصود»، فكلّ ما ورد فيه نهى مقصود مكروه، وما لم يرد فيه نهى مقصود خلاف الأولى، وما لم يرد فيه نهى أصلاً أبعد من الكراهة. (التشنيف: ٥٨/١، البرهان لإمام الحرمين: ٢١٦/١).

(٣) وإمام الحرمين: هو عبد الملك بن عبد الله بن يوسف، أبو المعالي، ضياء الدين الشافعي، إمام الحرمين الجويني، أعلم أهل زمانه بالكلام، والأصول، والفقه، وأكثرهم تحقيقاً، وأقواهم حجة، كان يجلس للوعظ والمناظر، ويحضر دروسه الأكابر من الأئمة، بقي على تلك الحال ثلاثين سنة، وله كتب كثيرة نفيسة في الفقه وأصوله، منها: البرهان في أصول الفقه، والتلخيص في الأصول، والإرشاد في أصول الدين، نهاية المطلب في دراية المذهب في الفقه وغيرها، توفي رحمه الله سنة ٤٧٨ هـ (الفتح المبين: ٢٧٣/١).

(٤) هو «نهاية المطلب في دراية المذهب»، جمّعها إمام الحرمين بمكة المكرمة، وحرّرها بنيسابور، ورثته وأملأه، وعقد مجلساً عند فراغه، فحضر الأئمة الكبار، وهو كبير الحجم، ثم اختصره إمام الحرمين بنفسه، وقال عنه: إنه يقع في الحجم من «النهاية» أقل من النصف، وفي المعنى أكثر من الضعف. (الطبقات الكبرى للسبكي: ١٧١/٥، الطبقات للإسنوي: ١٩٧/١، كشف الظنون: ١٩٩٠/٢).

(٥) انظر: البرهان لإمام الحرمين: ٢١٦/١.

أو التَّخْيِيرَ فإِبَاحَةً.

[الْحُكْمُ الْوَضْعِيُّ]

وَإِنْ وَرَدَ سَبَبًا، وَشَرْطًا، وَمَانِعًا، وَصَحِيحًا، وَفَاسِدًا.....

وعُدل المصنّف إلى «المخصوص، وغير المخصوص» أي العام، نظرًا إلى جميع الأوامر الندية.

وأما المتقدمون فيطلقون «المكروه» على ذي النهي المخصوص، وغير المخصوص، وقد يقولون في الأول «مكروه كراهة شديدة» كما يقال في قسم المندوب: «سنة مؤكدة».

وعلى هذا الذي هو مبنى الأصوليين يقال: «أو غير جازم فكراهة».

(أو) اقتضى الخطاب (التخيير) بين فعل الشيء وتركه (فإِبَاحَةً).

ذَكَرُ «التخيير» سَهْوً، إذ لا اقتضاء في الإِبَاحَةِ، والصواب «أو خَيْر» كما في «المنهاج»^(١) عطفًا على «اقتضى».

وقابل «الفعل» بـ «الترك» نظرًا للعرف، وإلا فالترك المقتضي في الحقيقة فعل هو «الكف»^(٢) كما سيأتي «أنه لا تكليف إلا بفعل، وأنه في النهي الكف»^(٣).

[الْحُكْمُ الْوَضْعِيُّ]

(وَإِنْ وَرَدَ) الخطاب النفسي بكون الشيء (سببًا، وشَرْطًا، ومانِعًا، وصَحِيحًا، وفَاسِدًا) - «الواو» للتقسيم، وهي فيه أجود من «أو» كما قاله ابن مالك^(٣).

وحذفت ما قدرته كما عبر به في «المختصر»^(٤) أي «كون الشيء» للعلم به معنى مع رعاية الاختصار.

(١) منهاج الوصول إلى علم الأصول للبيضاوي: ٤٣/١.

(٢) انظر: مسألة: «لا تكليف إلا بالفعل»: ١٦١/١.

(٣) وابن مالك: هو محمد بن عبد الله بن مالك، الطائي الأندلسي، أبو عبد الله جمال الدين الشافعي، نزيل دمشق، إمام وقته في اللغة والنحو والقراءات، حفظ أشعار العرب، وكان مشاركاً في الحديث والفقه، ديناً صالحاً، كامل العقل والوقار والتؤدة، تولى مشيخة العادلية، صنف تصانيف شهيرة نافعة، توفي رحمه سنة ٦٧٢ هـ بدمشق. (طبقات الشافعية للإسنوي: ٢/٢٥٠).

(٤) مختصر المنتهى لابن الحاجب: ٧/٢.

فَوْضِعَ . وقد عُرِفَتْ حُدُودُهَا .

ووصف النفسى بـ «الورود» مجازاً كوصف اللفظى به الشائع .

و «الشيء» يتناول فعلَ المكلف، وغير فعله كالزنا سبباً لوجوب الحدِّ، والزوال سبباً لوجوب الظهر، وإتلاف الصبي مثلاً سبباً لوجوب الضمان في ماله وأداء الولي منه .

(فَوْضِعَ) أي فهذا الخطاب يسمّى وضعاً، ويسمّى «خطاب وضع» أيضاً، لأن متعلّقه بوضع الله تعالى، أي بجعله كما يسمى «الخطاب المُقتضى أو المُخَيَّر» الذي هو الحكم المتعارف كما تقدّم^(١) - «خطاب تكليف» لما تقدّم .

(وقد عُرِفَتْ حُدُودُهَا) أي حدود المذكورات من أقسام خطاب التكليف، ومن خطاب الوضع، فحدّ الإيجاب: الخطاب المُقتضى للفعل اقتضاءً جازماً. وعلى هذا القياس .

وسياتي حدود «السبب» وغيره من أقسام متعلّق خطاب الوضع^(٢)، وكذا حدّ الحدّ بـ «الجامع المانع»^(٣) الدافع للاعتراض بـ «أنّ ما عُرِفَ رسوم لا حدود، لأن المميّز فيها خارج عن الماهية»^(٤) .

نعم يُختصّر فيقال: «الإيجاب: اقتضاء الفعل الجازم»، وعلى هذا القياس .

وسياتي حدّ الأمر بـ «اقتضاء الفعل»^(٥)، والنهي بـ «اقتضاء الكفّ»^(٦) كما يُحدّان بـ «القول المُقتضى للفعل وللکفّ»، فالمعبر عنه هنا بـ «ما عدا الإباحة»^(٧) هو المعبر عنه فيما سياتي بـ «الأمر، والنهي» نظراً^(٨) هنا إلى أنه «حكم»، وهناك إلى أنه «كلام» .

٢٣

(١) انظر: «الحكم الشرعي»: ٨٥/١ .

(٢) انظر: «أقسام الحكم الوضعي»: ١٠٢/١ .

(٣) انظر: «الحدّ»: ١١٩/١ .

(٤) اعترض على قول المصنف «وقد عرفت حدودها» أنّ التي عرفت رسوم، ليس بحدود، لأنّ التعريف إنّ كان بالماهيّات فهو حدّ، أو بالأوصاف الخارجيّة رسم، أو بالمرادف لفظي، والتي عرفت من الثاني لا الأول؟ فيجاب بأنّ الحدّ عند الأصوليين مُعرّفٌ سواء كان التعريف بالحدّ، أو بالرسم، أو باللفظ، فنبت عليه المصنف بقوله «وقد عرفت حدودها»، وعرف «الحدّ» فيما يأتي بـ «الجامع المانع»، والتقسيم السابق للمناطق. (النجوم اللوامع: ١/١٩٨).

(٥) انظر: «تعريف الأمر»: ٣٠٤/١ .

(٦) انظر: «تعريف النهي»: ٣٢٥/١ .

(٧) أمّا المعبر عنه بالإباحة هنا فلم يُعبّر عنه في مبحث الأمر والنهي بشيء. (النجوم: ١/١٩٩).

(٨) أي أنّ خطاب الله تعالى يُعبّر عنه في مبحث الحكم بـ «الإيجاب» وما معه نظراً إلى أنّ البحث عن =

[الفَرْضُ والوَاجِبُ مُتَرَادِفَانِ]

والفَرْضُ والوَاجِبُ مُتَرَادِفَانِ، خلافاً لأبي حنيفة. وهو لفظي.

[الفَرْضُ والوَاجِبُ مُتَرَادِفَانِ]

(والفَرْضُ والوَاجِبُ مُتَرَادِفَانِ) أي اسمَانِ لِمَعْنَى واحدٍ، وهو كما عَلِمَ من حَدِّ «الإيجاب»: الفعلُ المطلوبُ طلباً جازماً^(١).

(خلافاً لأبي حنيفة) في نفيه ترادفهما حيث قال: «هذا الفعلُ إن ثبت بدليل قطعي كالقرآن فهو الفَرْضُ، كقراءة القرآن في الصلاة الثابتة بقوله تعالى: ﴿فَأَقْرَأُوا مَا يَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ﴾»^(٢)؛

أو بدليل ظني كخبر الواحد فهو الواجبُ، كقراءة الفاتحة في الصلاة الثابتة بحديث الصحيحين: «لَا صَلَاةَ لِمَنْ لَمْ يَقْرَأْ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ»^(٣) فيأثم بتركها، ولا تفسد به الصلاة بخلاف ترك القراءة^(٤).

(وهو) أي الخلاف (لفظي)^(٥) أي عائدٌ إلى اللفظ والتسمية، إذ حاصله: أنَّ ما ثَبَتَ

= الحكم ، ويعبر عنه في مبحث «الأمر والنهي» بـ «الأمر، والنهي» نظراً إلى أنَّ البحث في الكلام. (البناني: ١٤٤/١).

(١) قاله المالكية والشافعية والحنابلة، خلافاً للحنفية. (الهداية: ١/٤٤٠، فواتح الرحموت: ١/٨٣، المستصفى: ١/١٥٨، الإحكام: ١/٨٨، مختصر ابن الحاجب: ١/٢٣٢، شرح الكوكب: ١/٣٥١).

(٢) سورة المزمل، الآية: ٢٠.

(٣) رواه البخاري في الأذان، باب وجوب القراءة... (٧٥٦)، ومسلم في الصلاة، باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة (٨٧٦)، وأبو داود في الصلاة، باب من ترك القراءة في صلاته بفاتحة الكتاب (٨٢٢)، والترمذي في الصلاة، باب ما جاء أنه لا صلاة إلا بفاتحة الكتاب (٢٤٧)، والنسائي في الافتتاح، باب إيجاب قراءة الفاتحة (٩١٠)، وابن ماجه في إقامة الصلاة والسنة فيها، باب القراءة خلف الإمام (٨٣٧).

(٤) قال الإمام النووي في شرح مسلم (٣٢٢/٤): «في الحديث وجوبُ قراءة الفاتحة، وأنها متعينة، لا يُجزئ غيرها إلا لعاجز عنها، وهذا مذهب مالك والشافعي وجمهور العلماء من الصحابة والتابعين فمن بعدهم. وقال أبو حنيفة رحمته الله وطائفة قليلة: لا تجبُ الفاتحة، بل الواجبُ آية من القرآن».

(٥) مثله في المستصفى (١/١٥٨)، الإحكام (١/٨٨)، روضة الناظر (ص: ١٦)، مختصر ابن الحاجب (١/٢٣٢، شرح العضد (١/٢٣٢)، مختصر الطوفي (ص: ١٩)، شرح الكوكب (١/٣٥٣)، والحاصل (١/٢٣٨)، نهاية السؤل (١/٤٩)، فواتح الرحموت (١/٨٣).

[أَسْمَاءُ النَّدْبِ]

والمندوب، والمستحب، والتطوع، والسنة مترادفة، خلافاً لبعض أصحابنا.

بقطعي كما يسمّى فرضاً هل يسمّى واجباً؟ وما ثبت بطني كما يسمّى واجباً هل يسمّى فرضاً؟ فعنده: لا، أخذاً للفرض من «فرض الشيء» بمعنى «حرّه»^(١) أي قطع بعضه، وللواجب من «وجب الشيء وجبة»: أي سقط^(٢)، وما ثبت بطني ساقط من قسم المعلوم.

وعندنا: نعم، أخذاً من «فرض الشيء: قدره»^(٣)، و«وجب الشيء وجوباً: ثبت»^(٤). وكل من المقدّر والثابت أعظم من أن يثبت بقطعي أو ظني. ومأخذنا أكثر استعمالاً.

وما تقدّم من أن ترك الفاتحة من الصلاة لا يفسدها عنده أي دوننا لا يضر في أن الخلاف لفظي، لأنه أمر فقهي لا مدخل له في التسمية التي الكلام فيها.

٢٤

[أَسْمَاءُ النَّدْبِ]

(والمندوب والمستحب والتطوع والسنة مترادفة)^(٥) أي أسماء لمعنى واحد، وهو كما عليم من حدّ الندب: «الفعل المطلوب طلباً غير جازم».

(خلافاً لبعض أصحابنا) أي القاضي الحسين^(٦) وغيره^(٧) في نفيهم ترادفها حيث قالوا: «هذا الفعل إن واطب عليه النبي ﷺ فهو السنة، أولم يواظب عليه كأن فعله مرة أو مرتين فهو المستحب، أولم يفعله وهو ما ينشئه الإنسان باختياره من الأوراد فهو التطوع».

ولم يتعرّضوا للمندوب لعمومه للأقسام الثلاثة بلا شك.

(١) المصباح المنير: ٤٦٨/٢.

(٢) المصباح المنير: ٦٤٨/٢.

(٣) المصباح المنير: ٤٦٩/٢.

(٤) المصباح المنير: ٦٤٨/٢.

(٥) وبه قال أيضاً الحنابلة. (شرح الكوكب: ٤٠٣/١).

(٦) والقاضي الحسين: هو الحسين بن محمد بن أحمد أبو علي المروزي الشافعي، الإمام المحقق المدقق، أحد أصحاب الوجوه، أجل أصحاب القفال، كان غوّاصاً في المعاني الدقيقة والفروع الأنيفة، لقّب بحبر هذه الأمة، له التعليق الكبير، وما أجزل فوائده، وله فروع غريبة، توفي رحمه الله تعالى سنة ٤٦٢ هـ. (تهذيب الأسماء للنووي: ١/١٦٧).

(٧) كالشيخ أبي إسحاق الشيرازي، والقاضي أبي يعلى الجرجاني. (شرح الكوكب المنير: ٤٠٣/١).

وهو لَفْظِيٌّ.

[لا يَجِبُ النَّدْبُ بِالشُّرُوعِ]

ولا يَجِبُ بِالشُّرُوعِ، خِلَافاً لِأَبِي حَنِيفَةَ

(وهو) أي الخلاف (لفظي) أي عائد إلى اللفظ والتسمية، إذ حاصله: أن كلاً من الأقسام الثلاثة كما يُسمى باسم من الأسماء الثلاثة كما ذكر هل يُسمى بغيره منها؟ فقال البعض: «لا، إذ السنة: الطريقة والعادة، والمستحب: المحبوب، والتطوع: الزيادة». والأكثر^(١): «نعم، ويصدق على كُلٍّ من الأقسام الثلاثة: أنه طريقة، وعادة في الدين، ومحبوب للشارع بطبيعته، وزائد على الواجب».

[لا يَجِبُ النَّدْبُ بِالشُّرُوعِ]

(ولا يَجِبُ) المندوب (بالشروع)^(٢) فيه، أي لا يَجِبُ إتمامه لأن المندوب يَجُوز تركه، وترك إتمامه المُبطل لما فُعل منه ترك له.

(خِلَافاً لِأَبِي حَنِيفَةَ)^(٣) في قوله بـ «وُجوب» إتمامه لقوله تعالى ﴿وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾^(٤) حتى يَجِبُ بترك إتمام الصلاة والصوم، منه قضاؤهما. وعُورض في الصوم بحديث «الصَّائِمُ الْمُتَطَوُّعُ أَمِيرٌ نَفْسِهِ، إِنْ شَاءَ صَامَ، وَإِنْ شَاءَ أَفْطَرَ»^(٥) رواه الترمذي وغيره، وقال الحاكم: «صحيح الإسناد». ويقاس على الصوم الصلاة، فلا تتناولهما «الأعمال» في الآية جمعاً بين الأدلة.

(١) أي من أصحابنا وغيرهم، حتى قال ابنُ حمدان من الحنابلة في «المقنع»: «يُسمى إجماعاً». (شرح الكوكب: ٤٠٣/١).

(٢) أي عند الشافعية والحنابلة. (المحصول: ٢/٢١٠، شرح الكوكب: ٤٠٧/١).

(٣) وخِلَافاً لِلْمَالِكِيَةِ أيضاً. (فواتح الرحموت: ١/١٦٢، شرح الكوكب: ٤٠٩/١).

(٤) سورة محمد، الآية: ٣٣.

(٥) رواه الترمذي في الصوم، باب ما جاء في إفطار الصائم المتطوع (٧٣١)، والنسائي في الكبرى، (٣٢٨٩)، والدارقطني في سننه (٢٢٠٣)، والحاكم في الصوم (١٦٠٠)، وقال: «صحيح الإسناد»، ووافقه الذهبي، وصححه السيوطي في الجامع الصغير (٥١٢٢).

وفيه سماك بن حرب قال الحافظ ابن حجر في التريب (٨٠/٢): «صدوق، وروايته عن عكرمة خاصة مضطربة» عن أبي صالح وهو ضعيف يُربل كما قال الحافظ في التريب (١/١٦٥)، وللحديث أسانيد أخرى لا تخلو عن مقال، وبالجملية فهو حسنٌ لغيره.

ووجوب إتمام الحج لأن نفلَه كَفَرَضِه: نيَّة، وكَفَّارَة، وغيرَهُما.

[أَقْسَامُ الْحُكْمِ الْوَضْعِيِّ]

وَالسَّبَبُ: مَا يُضَافُ الْحُكْمُ إِلَيْهِ لِلتَّعَلُّقِ بِهِ مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ مُعَرَّفٌ، أَوْ غَيْرُهُ.

(ووجوب إتمام الحج) ^(١) المندوب (لأن نفلَه) أي الحج (كفرضه: نيَّة) فإنَّها في كلِّ منهما قصدُ الدخول في الحج أي التلبُّس به، (وكفارة) فإنَّها تَجِبُ في كلِّ منهما بالجماع المُفْسِدَ له، (وغيرُهُما) أي غير النية والكفارة كانتفاء الخُروج بالفساد، فإن كُلاًّ منهما لا يَحْصُلُ الخُروجُ منه بفساده، بل يَجِبُ المضي فيه بعد فساده. والعمرة كالحجِّ فيما ذُكِرَ.

وغيرُهُما ليس نفلَه وفرضه سواء فيما ذُكِرَ: فالنية في نفلِ الصلاة، والصوم غيرُها في فرضيهما، والكفارة في فرض الصوم بشرطه دون نفلِه، ودون الصلاة مطلقاً، وفساد الصلاة والصوم يَحْصُلُ بـخُروجٍ منهما مطلقاً. ففارقَ الحجَّ والعمرة غيرُهُما من باقي المندوبات في وجوب إتمامهما لِمَا يَنْهِيهِمَا لفرضيهما فيما تَقَدَّمَ.

[أَقْسَامُ الْحُكْمِ الْوَضْعِيِّ]

(وَالسَّبَبُ: مَا يُضَافُ الْحُكْمُ إِلَيْهِ) كذا في «المستصفي» ^(٢)، زاد المصنف لبيان جهة الإضافة قوله: (لِلتَّعَلُّقِ) أي لتعلُّقِ الْحُكْمِ (به من حيث إِنَّهُ مُعَرَّفٌ) لِلْحُكْمِ (أَوْ غَيْرِهِ) أي غير مُعَرَّفٍ له، أي مُؤَثِّرٌ فِيهِ بِذَاتِهِ ^(٣)، أَوْ بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى ^(٤)، أَوْ بَاعْثٌ عَلَيْهِ ^(٥)، الْأَقْوَالُ الْآتِيَةُ فِي مَعْنَى «الْعَلَّةِ» أي حَيْثُمَا أُطْلِقَتْ عَلَى شَيْءٍ، مَعْزُومًا أَوَّلُهَا لِأَهْلِ الْحَقِّ ^(٦). تَعَرَّضَ لَهَا هُنَا تَنْبِيْهُاً عَلَى أَنَّ الْمَعْبَرَّ عَنْهُ هُنَا بِـ «السَّبَبِ» هُوَ الْمَعْبَرُّ عَنْهُ فِي الْقِيَاسِ بِـ «الْعَلَّةِ» كَالزَّنا لَوْجُوبِ الْجُلْدِ، وَالزَّوَالِ لَوْجُوبِ الظَّهْرِ، وَالْإِسْكَارُ لِحُرْمَةِ الْخَمْرِ؛ وَ«إِضَافَةُ الْأَحْكَامِ إِلَيْهَا» كَمَا يُقَالُ: «يَجِبُ الْجُلْدُ بِالزَّنا، وَالظَّهْرُ بِالزَّوَالِ، وَتَحْرُمُ الْخَمْرُ لِلْإِسْكَارِ».

(١) هذا تنبيهٌ على أَنَّ محلَّ الخلاف في وجوب إتمام النافلة بالشروع في نافلة غير الحج والعمرة. (شرح الكوكب: ١/٤١٠).

(٢) المستصفي للإمام الغزالي: ١/٢٥٦.

(٣) قاله المعتزلة، أبطله الإمام في المحصول (١٢٧/٥) من أربعة أوجه.

(٤) قاله الغزالي في المستصفي: ٢/٣٨٠.

(٥) قاله سيف الدين الآمدي في الإحكام: ٣/١٧٣، وابن الحاجب في المختصر: ٢/٢٣٢.

(٦) انظر: «الركن الرابع: العلة»: ١٨١/٢.

والشرط : يأتي .

[المانع]

وَالْمَانِعُ : الوصف الوجودي ، الظاهر ، الْمُنْضِطُّ الْمَعْرُفُ نَقِيضُ الْحُكْمِ ،

ومن قال^(١) : « لا يسمى الزوال ، ونحوه من السبب الوقفي علة » نظر إلى اشتراط المناسبة في العلة . وسيأتي أنها لا تُشترط فيها بناءً على أنها بمعنى «المعروف» الذي هو الحق^(٢) .

وما عرّف المصنّف به «السبب» هنا مُبَيَّنٌ لخاصيته^(٣) ، وما عرّفه به في «شرح المختصر»^(٤) كالأمدي^(٥) من «الوصف الظاهر المنضبط المعروف للحكم» مُبَيَّنٌ لمفهومه .

والقيد الأخير للاحتراز عن «المانع» . ولم يُقيد الوصف بـ «الوجودي» كما في «المانع» ، لأن «العلة» قد تكون عدمية كما سيأتي^(٦) .

(والشرط يأتي) في مبحث «المختص» أخره إلى هناك ، لأن اللغوي من أقسامه مُخَصَّصٌ كما في « أكرم ربعة إن جاؤا » ، أي الجائين منهم ، ومسائله الآتية من الاتصال وغيره لا محلّ لذكرها إلا هناك .

ثم الشرعي المناسب هنا كالطهارة للصلاة ، والإحصان لوجوب الرجم .

[المانع]

(والمانع)^(٧) المراد عند الإطلاق ، وهو مانع الحكم : (الوصف الوجودي الظاهر المنضبط المعروف نقيض الحكم) أي حكم السبب .

(١) أي كالأمدي في الإحكام : ١٢٧ / ١ .

(٢) أي في آخر المسلك الثالث «الإيماء» من مسالك العلة : ٢٣٠ / ٢ .

(٣) أي تعريف المصنّف هنا مُبَيَّنٌ لصفة السبب الخاصة به ، وهي إضافة الحكم إليه كما يُعرف الإنسان بصفته الخاصة به كقولنا «الإنسان حيوان ضاحك» ، وفي «شرح المختصر» مُبَيَّنٌ لذاتية السبب .
(تقريرات الشرييني : ١٥٧ / ١) .

(٤) رفع الحاجب عن مختصر ابن الحاجب للمصنّف : ١٢ / ٢ .

(٥) الأحكام للأمدي : ١٢٧ / ١ .

(٦) في «شروط العلة» : ١٩٩ / ٢ .

(٧) المانع قسمان : مانع الحكم ، وهو المراد هنا ؛ ومانع السبب ، سيذكر في قواعد العلة : ٢٩٥ / ٢ .

كالأبوة في القصاص .

[الصحة]

والصحة: موافقة ذي الوجهين الشرع.....

(كالأبوة في) باب (القصاص) وهي كون القاتل أباً القاتل، فإنها مانعة من وجوب القصاص، المسبب عن القتل لحكمة، وهي أن الأب كان سبباً في وجود ابنه، فلا يكون الابن سبباً في عديمه^(١).

وإطلاق «الوجودي» على «الأبوة» التي هي أمر إضافي عند الفقهاء وغيرهم نظراً إلى أنها ليست عدم شيء وإن قال المتكلمون: «الإضافات أمور اعتبارية، لا وجودية» كما سيأتي تصحيحه في أواخر الكتاب^(٢).

أما مانع السبب والعلة، ولا يُذكر إلا مقيداً بأحدهما، فسيأتي في مبحث «العلة»^(٣).

[الصحة]

(والصحة) من حيث هي الشاملة لصحة العبادات وصحة العقد: (موافقة) الفعل (ذي الوجهين) وقوعاً (الشرع)^(٤).

والوجهان: موافقة الشرع، ومخالفته، أي الفعل الذي يقع تارة موافقاً للشرع لاستجماعه ما يُعتبر فيه شرعاً، وتارة مخالفاً له لانتفاء ذلك عبادةً كان كالصلاة، أو عقداً كالبيع، صحته موافقته الشرع.

بخلاف ما لا يقع إلا موافقاً للشرع كمعرفة الله تعالى، إذ لو وقعت مخالفة له أيضاً كان الواقع جهلاً لا معرفة، فإن موافقته الشرع ليست من مُسمى الصحة، فلا يسمّى هو صحيحاً^(٥).

(١) اخلف الأئمة في قتل الأب بالابن على مذهبين: أحدهما: لا يقتل، قاله الحنفية والشافعية والحنابلة. ثانيهما: إن قتل بما لا يُشكّ أنه عمد كان ذبحه قُتل وإلا فلا، قاله المالكية. (البحر الرائق: ٦ / ٢٣٣، مواهب الجليل: ٦ / ٢٣٣، مغني المحتاج: ٤ / ٢٤، المغني: ٨ / ٢٢٧).

(٢) انظر: «النسب والإضافات»: ٤٥٩ / ٢.

(٣) انظر: «القادح الحادي عشر: المنع» ٢٩٥ / ٢.

(٤) قاله المالكية والشافعية والحنابلة. واشتهر بـ «تعريف المتكلمين».

(شرح التنقيح، ص: ٧٦، الإحكام: ١ / ١١٢، شرح الكوكب: ١ / ٤٦٥).

(٥) قال القرافي رحمه الله تعالى في شرح التنقيح (ص: ٧٥): «العرب لا تصف الشيء بصفة إلا إذا كان»

وقيل : « في العبادة إسقاط القضاء » .

[الجزاء]

وبصحة العقد ترتب أثره ،

فصحة العبادة أخذاً مما ذكر : موافقة العبادة ذات الوجهين وقوعاً الشرع ، وإن لم تسقط القضاء .

(وقيل) : « الصحة (في العبادة : إسقاط القضاء) أي إغناؤها عنه ، بمعنى : أن لا يحتاج إلى فعلها ثانياً »^(١) .

فما وافق من عبادة ذات وجهين الشرع ، ولم يسقط القضاء كصلاة من ظن أنه متطهر ، ثم تبين له حدثه يسمى صحيحاً على الأول ، دون الثاني^(٢) .

[الجزاء]

(وبصحة العقد) التي هي أخذاً مما تقدم موافقة الشرع (ترتب أثره) أي أثر العقد . وهو ما شرع العقد له كحل الانتفاع في البيع ، والاستمتاع في النكاح . فالصحة منشأ الترتب ، لا نفسه كما قيل .

قال المصنف : « بمعنى أنه حيثما وجد ، فهو ناشئ عنها ، لا بمعنى أنها حيثما وجدت نشأ عنها ، حتى يرد البيع قبل انقضاء الخيار ، فإنه صحيح ، ولم يترتب عليه أثره .

= قابلاً لضدّها ، فلا يقولون للحائط : « إنه أعمى » وإن كان لا يبصر لأنه لا يقبل البصر عادة ، وكذلك لا يقولون له : « أصم » لأنه لا يقبل السمع ، ولذا قال الإمام فخر الدين في « المحصول » : إن العبادة لا توصف بالجزاء إلا إذا أمكن وقوعها على وجهين : الإجزاء وعدمه ، أما على وجه واحد فلا كمعرفة الله تعالى .

(١) قاله الحنفية . واشتهر بـ « تعريف الفقهاء » . (تيسير التحرير : ٢٣٥/١) .

(٢) قال العبد الفقير غفر الله له ولوالديه : فيه إشارة إلى أن الخلاف لفظي ، قال القرافي في « شرح التنقيح » (ص : ٧٦) : « اتفق الفريقان على جميع الأحكام ، وإنما الخلاف في التسمية ، فاتفقوا على أنه موافق لأمر الله ، وأنه مثبت ، وأنه لا يجب عليه القضاء إذا لم يطع على الحدث ، وأنه يجب عليه القضاء إذا أطلع ، وإنما اختلفوا في وضع لفظ « الصحة » : هل يضعونه لما وافق الأمر سواء وجب القضاء أم لم يجب ، أو لما لا يمكن أن يتبعه قضاء ؟ ومذهب الفقهاء أنسب للغة .

ومثله : في تيسير التحرير : ٢٣٥/٢ ، المستصفي : ٢٦٢/١ ، الإحكام : ١١٣/١ ، شرح الكوكب : ٤٦٥/١ .

قلت : مذهب الفقهاء أنسب ومذهب المتكلمين أدق ، والله تعالى أعلم .

والعبادة أجزاؤها أي كفايتها في سقوط التعبد. وقيل: «إسقاط القضاء».

[الإجزاء خاص بالمطلوب]

ويختص الإجزاء بالمطلوب. وقيل: «بالواجب».

وتوقف الترتب على انقضاء الخيار المانع منه لا يقدح في كون الصحة منشأ الترتب، كما لا يقدح في سببية ملك النصاب لوجوب الزكاة توقفه على حوّلان الحول^(١).

وقدّم الخبر على المبتدأ ليتأتى له الاختصار فيما يليهما، والأصل: «ترتب أثر العقد بصحته»، وعند التقديم غير «الضمير» بـ «الظاهر» وبالعكس^(٢)، ليتقدّم مرجع الضمير عليه. (و) بصحة (العبادة) على القول الراجح في معناها (إجزاؤها)^(٣) أي كفايتها في سقوط التعبد أي الطلب وإن لم تسقط القضاء.

(وقيل): «إجزاؤها (إسقاط القضاء)» كصحتها على القول المرجوح. فالصحة منشأ الإجزاء على القول الراجح فيهما، ومرادفة له على المرجوح فيهما.

[الإجزاء خاص بالمطلوب]

(ويختص الإجزاء بالمطلوب) من واجب ومنسوب أي بالعبادة لا يتجاوزها إلى العقد المشارك لها في الصحة^(٤).

(وقيل): «يختص (بالواجب) لا يتجاوزها إلى المنسوب كالعقد». والمعنى: أن الإجزاء لا يتصف به العقد، وتتصف به العبادة الواجبة والمندوبة، وقيل: «الواجبة فقط».

(١) منع الموانع للمصنف (ص: ٣١٧).

(٢) أي غير الضمير في «بصحته» باللفظ الظاهر «العقد» في «بصحة العقد»، وغير اللفظ الظاهر «العقد» في «أثر العقد» بالضمير في «أثره».

(٣) قال العبد الفقير غفر الله له ولوالديه: بين الصحة والإجزاء فرق من وجهين: أحدهما: أن الصحة تكون وصفاً للعبادات والمعاملات. وأما الإجزاء فلا يكون إلا وصفاً للعبادات. (نهاية السؤل: ١/ ٦٣). ثانيهما: بينهما خصوص وعموم، وذلك أن العبادة قد تكون صحيحة غير مجزئة كصلاة المتيمم في الحضر لفقد الماء مثلاً، ولا تكون مجزئة غير صحيحة.

(٤) بعد أن اتفق العلماء على اختصاص الإجزاء بالعبادات اختلفوا في اتصافه بالمطلوب واجباً كان أو مندوباً، أو بالواجب دون المنسوب، قال المالكية والشافعية والحنابلة بالأول، والحنفية بالثاني. (تيسير التحرير: ٢/ ٢٣٥، شرح الكوكب: ١/ ٤٦٨، منع الموانع، ص: ٣٢٣).

[البطلان، والفساد]

ويُقَابِلُهَا البطلانُ، وهو الفسادُ، خِلَافاً لِأَبِي حَنِيفَةَ.

وَمِنْشَأُ الْخِلَافِ حَدِيثُ ابْنِ مَاجَةَ وَغَيْرِهِ^(١)، مِثْلًا، «أَزْبَعَ لَا تُجْزِئُ فِي الْأَصَاحِي...»^(٢٩) فَاسْتَعْمَلَ «الْإِجْزَاءَ» وَهِيَ مَدْرُوبَةٌ عِنْدَنَا^(٢)، وَاجِبَةٌ عِنْدَ غَيْرِنَا كَأَبِي حَنِيفَةَ^(٣).

وَمِنْ اسْتِعْمَالِهِ فِي الْوَاجِبِ اتِّفَاقًا حَدِيثُ الدَّارِقُطِيِّ وَغَيْرِهِ «لَا تُجْزِئُ صَلَاةٌ لَا يَقْرَأَ الرَّجُلُ فِيهَا بِأَمِّ الْقُرْآنِ»^(٤).

[البطلان، والفساد]

(وَيُقَابِلُهَا) أَيِ الصَّحَّةِ (البطلانُ) فَهُوَ مُخَالَفَةُ الْفِعْلِ ذِي الْوَجْهَيْنِ وَقَوْعًا الشَّرْعَ.

وَقِيلَ: «فِي الْعِبَادَةِ عَدَمُ إِسْقَاطِهَا الْقَضَاءَ».

(وَهُوَ) أَيِ الْبُطْلَانِ الَّذِي عُلِمَ أَنَّهُ مُخَالَفَةُ ذِي الْوَجْهَيْنِ الشَّرْعَ (الفسادُ) أَيْضًا، فَكُلُّهُمَا مُخَالَفَةٌ مَا ذَكَرَ لِلشَّرْعِ^(٥).

(خِلَافًا لِأَبِي حَنِيفَةَ)^(٦) فِي قَوْلِهِ: «مُخَالَفَةٌ مَا ذَكَرَ لِلشَّرْعِ بِأَنْ كَانَ مِنْهَا عَنْهُ إِنْ كَانَتْ لَكُنْ النَّهْيُ عَنْهُ لِأَصْلِهِ فَهِيَ الْبُطْلَانُ كَمَا فِي الصَّلَاةِ بِدُونِ بَعْضِ الشُّرُوطِ أَوْ الْأَرْكَانِ، وَكَمَا فِي بَيْعِ

(١) رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ فِي الْأَصَاحِي، بَابُ مَا يُكْرَهُ مِنَ الضَّحَايَا (٢٨٠٢)، وَالتِّرْمِذِيُّ فِي الْإِصْحَاحِي، بَابُ مَا لَا يَجُوزُ فِي الْأَصَاحِي (١٤٩٧)، وَقَالَ: «حَسَنٌ صَحِيحٌ»، وَابْنُ مَاجَةَ فِي الْأَصَاحِي، بَابُ مَا يُكْرَهُ أَنْ يُضْحَى بِهِ (٣١٤٤).

(٢) وَكَذَا عِنْدَ الْمَالِكِيَّةِ وَالْحَنَابِلَةِ. (شرح مسلم: ١١٢/١٣).

(٣) الْهَدَايَةُ لِلْمَرْغِينَانِي: ٧٠/٤.

(٤) رَوَاهُ ابْنُ خُزَيْمَةَ فِي الصَّلَاةِ، بَابُ ذِكْرِ الدَّلِيلِ عَلَى أَنَّ الْخِدَاجَ... (٤٩٠)، وَابْنُ حِبَّانَ فِي الصَّلَاةِ، بَابُ صِفَةِ الصَّلَاةِ (١٧٨٩، ١٧٩٤)، وَالدَّارِقُطِيُّ فِي الصَّلَاةِ، بَابُ وَجوبِ قِرَاءَةِ أَمِّ الْقُرْآنِ فِي الصَّلَاةِ وَخَلْفِ الْإِمَامِ (١٢١٢)، وَقَالَ «هَذَا إِسْنَادٌ صَحِيحٌ». وَصَحَّحَهُ ابْنُ حَجَرٍ فِي التَّلْخِصِ (٥٦٤/١).

(٥) ظَاهِرُ صَنِيعِ الْمَصْنُفِ وَالشَّارِحِ أَنَّ هَذَا فِي جَمِيعِ الْأَبْوَابِ الْفَقْهِيَّةِ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ، بَلْ هُوَ غَالِيٌّ، وَلِذَا قَالَ الْإِسْنَوِيُّ فِي نِهَايَةِ السُّوْلِ (٦٠/١) وَالزُّرْكَشِيُّ فِي التَّنْشِيفِ (٧٣/١): «وَفَرَّقَ أَصْحَابُنَا بَيْنَ الْبَاطِلِ وَالْفَاسِدِ فِي الْحَجِّ، وَالْعَارِيَّةِ، وَالْخُلْعِ، وَالْكِتَابَةِ، وَغَيْرِهَا مِنَ الْأَبْوَابِ».

(٦) ظَاهِرُ صَنِيعِ الْمَصْنُفِ وَالشَّارِحِ أَنَّ أَبَا حَنِيفَةَ فَرَّقَ بَيْنَهُمَا فِي الْعِبَادَاتِ وَالْمَعَامَلَاتِ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ، إِنَّمَا فَرَّقَ بَيْنَهُمَا فِي الْمَعَامَلَاتِ فَقَطْ كَمَا قَالَ ابْنُ الْهَمَامِ فِي الْحَرِيرِ (٢٣٦/٢)، تَيْسِيرَ التَّحْرِيرِ.

[الأداء، والمؤدّي، والوقت]

والأداء: فعلٌ بعضٌ - وقيل: «كُلٌّ» - ما دَخَلَ وقته قبلَ خروجه.

الملاقيح^(١)، وهي ما في البطون من الأجنة، لانعدام ركنٍ من البيع، أي المبيع؛ أو لوصفه فهي الفساد كما في صوم يوم النحر^(٢)، للإعراض بصومه عن ضيافة الله تعالى للناس بلحوم الأضاحي التي شرعها فيه، وكما في بيع الدرهم بالدرهمين^(٣) لاشتماله على الزيادة، فيأثم به، ويُفيد بالقبض الملك الخبيث.

ولو نذر صوم يوم النحر صحَّ نذره، لأن المعصية في فعله دون نذره، ويؤمر بفطره وقضائه ليتخلص عن المعصية، ويُفي بالنذر. ولو صامه خرج عن عهده نذره، لأنه أدى الصوم كما التزمه، فقد اعتدَّ بانفاسد. أمَّا الباطل فلا يُعتدُّ به^(٤).

وفات المصنّف أن يقول: «والخلاف لفظي» كما قال في «الفرض والواجب»، إذ حاصله: أن مخالفة ذي الوجهين للشرع بالنهي عنه لأصله كما تُسمّى بطلائاً، هل تُسمّى فساداً؟ أو لوصفه كما تُسمّى فساداً، هل تُسمّى بطلائاً؟ فعنده: «لا»، وعندنا: «نعم».

٣٠

[الأداء، والمؤدّي، والوقت]

(والأداء: فعلٌ بعضٌ^(٥) - وقيل: «كُلٌّ» - ما دَخَلَ وقته قبلَ خروجه) واجباً كان أو مندوباً. وقوله: «فعلٌ بعضٌ» يعني مع فعل البعض الآخر في الوقت أيضاً صلاةً كان أو صوماً، أو بعده في الصلاة لكن بشرط أن يكون المفعول فيه منها ركعة كما هو معلوم في محلّه بحديث

(١) قال ابنُ قدامة في المغني (١٤٦/٤): «لا خلاف في فساده».

(٢) قال الإمام النووي رحمته الله في شرح مسلم (٢٥٧/٨): «أجمع العلماء على تحريم صوم يوم الفطر والأضحى بكلِّ حالٍ سواء صامهما عن نذر، أو تطوُّع، أو كفارة، أو غير ذلك. وكوه نذر صومهما متعمداً لعينهما قال الشافعي والجمهور: لا ينعقد نذره ولا يلزمه قضاؤهما. وقال أبو حنيفة: ينعقد ويلزمه قضاؤهما. قال: فإن صامهما أجزاءً. وخالف الناس كلهم في ذلك». (الهداية: ١/١٣١).

(٣) بيع الدرهم بالدرهمين لا ينعقد عند الجميع، وأجازه أبو حنيفة بين مسلم وحربي في دار الحرب إذا كانت الزيادة لمسلم. (البحر الرائق: ٩٧/٦، شرح الزرقاني: ٣/٣٥٧، الأم: ٢٦/٦، المغني: ٢٦/٤).

(٤) تيسير التحرير: ٢/٢٣٦.

(٥) هذا تعريف الفقهاء، وبه قال الحنفية، واختاره المصنف، والثاني تعريف المتكلمين، وبه قال الجمهور. (تيسير التحرير: ٢/١٩٢، المحصول: ١/١١٦، شرح التنقيح، ص: ٧٢، شرح الكوكب: ١/٣٥٦).

والمؤدّي: ما فعل. والوقت: الزمان المُقدّر له شرعاً مُطلقاً.

[القضاء، والمقضي]

والقضاء: فعل كُـلٌّ - وقيل: «بعض» - ما خرج وقت أدائه.....

الصحيحين «مَنْ أَدْرَكَ رَكْعَةً مِنَ الصَّلَاةِ فَقَدْ أَدْرَكَ الصَّلَاةَ»^(١).

وقوله: «بعض» بلا تنوين، لإضافته إلى مثل ما أضيف المعطوف، حذف اختصاراً، كقولهم: «نصف وربّع درهم». وكذا قوله: «كُلٌّ» في تعريف «القضاء».

(والمؤدّي: ما فعل) من كلّ العبادة في وقتها على القولين، أو فيه وبعده على الأول.
(والوقت) لـ «مَا فِعْلٌ كُلُّهُ فِيهِ، أَوْ فِيهِ وَبَعْدَهُ أَدَاءٌ» أي للمؤدّي: (الزمان المُقدّر له شرعاً مُطلقاً) أي موسّعاً كزمان الصلوات الخمس وسنيتها، والضحي، والعيد؛ أو مضيقاً كزمان صوم رمضان، وأيام البيض.

فما لم يقدّر له زمان في الشرع كالنفل والنذر المطلقين، وغيرهما وإن كان فورياً كالإيمان لا يُسمّى فعله أداء ولا قضاء^(٢) وإن كان الزمان ضرورياً لفعله.

[القضاء، والمقضي]

(وَالْقَضَاءُ: فِعْلٌ كُـلٌّ - وَقِيلَ: «بَعْضٌ» - مَا خَرَجَ وَقْتُ أَدَائِهِ) بعد وقت من الزمان المذكور ٣١ مع فعل بعضه الآخر بعد خروج الوقت أيضاً صلاة كان أو صوماً، أو قبله في الصلاة وإن كان المفعول منها في الوقت ركعة فأكثر.

والحديث المتقدم فيها فيمن زال عذره كالمجنون، وقد بقي من الوقت ما يسع ركعة فتجب

(١) رواه البخاري في مواقيت الصلاة، باب من أدرك من الصلاة ركعة (٥٨٠)، ومسلم في المساجد ومواضع الصلاة، باب من أدرك ركعة من الصلاة فقد أدرك تلك الصلاة (١٣٧٠)، وأبو داود في الصلاة، باب من أدرك من الجمعة ركعة (١١٢١)، والنسائي في المواقيت، باب من أدرك ركعة من الصلاة (٥٥٢).

(٢) أي ولا إعادة، كالنوافل المطلقة. وَأَمَّا إِنْ عُيِّنَ وَقْتُهَا وَلَمْ يُحَدَّ كَحَجٍّ وَكَفَارَةِ تَوْصَفُ بِالْأَدَاءِ دُونَ الْقَضَاءِ، وَإِطْلَاقُ الْقَضَاءِ فِي حَجٍّ فَاسِدٍ لَشَبْهِهِ بِالْمَقْضِيِّ. وَإِنْ حُدَّ وَقْتُهَا مِنَ الطَّرَفَيْنِ كَصَلَاةِ الظُّهْرِ، وَصُفَّتْ بِأَدَاءٍ وَقَضَاءٍ وَإِعَادَةٍ، سَوَى الْجُمُعَةِ فَإِنَّهَا تَوْصَفُ بِالْأَدَاءِ وَالْإِعَادَةِ دُونَ الْقَضَاءِ. (شرح الكوكب: ١ / ٣٦٣).

استدراكاً لما سبق له مُقْتَضٍ لِلْفِعْلِ مطلقاً. وَالْمَقْضِي : الْمَفْعُولُ

عليه الصلاة. ولو قال «وقته» كما قال في «الأداء» كفى .

(استدراكاً) بذلك الفعل (لِما) أي لشيء (سَبَقَ له مُقْتَضٍ لِلْفِعْلِ) أي لأنَّ يَفْعَلَ وجوباً أو ندباً، فإنَّ الصلاةَ المندوبة تُقْضَى في الأظهر، ويقاس عليها الصومُ المندوب .

فقوله : «مُقْتَضٍ» أحسن من قول ابن الحاجب ^(١) وغيره ^(٢) «وجوب» ^(٣)، لكن لو قال : «لِما سَبَقَ لِفَعْلِهِ مُقْتَضٍ» كان أوضح وأخصر .

(مطلقاً) أي من المُسْتَدْرَكِ كما في قضاء الصلاة المتركّة بلا عذر، أو من غيره كما في قضاء النائم الصلاة ^(٤)، والحائض الصوم ^(٥)، فإنه سَبَقَ مُقْتَضٍ لِفَعْلِ الصلاة والصوم من غير النائم والحائض، لا منهما وإنَّ انعقدَ سببُ الوجوبِ أو الندبِ في حقِّهما لوجوب القضاء عليهما أو ندبه لهما .

وخرج بقيد «الاستدراك» إعادة الصلاة المؤدّاة في الوقت بعده في جماعة مثلاً.

ولَمَّا أَطْلَقَ «البعض» في تعريف «الأداء» لِلْعِلْمِ ببقيدِهِ الْمُتَقَدِّمِ اقْتَصَرَ عَلَى «الكلِّ» فِي الْقَضَاءِ فَيُضَمُّ إِلَيْهِ مَا خَرَجَ بِالْقَيْدِ مِنْ «أَنْ فِعْلٌ أَقَلُّ مِنَ الرُّكْعَةِ فِي الْوَقْتِ وَالْبَاقِي بَعْدَهُ قَضَاءٌ».

والفرق بين هذا وبين «ذي الركعة» أَنَّهَا تَشْتَمِلُ عَلَى مُعْظَمِ أَعْمَالِ الصَّلَاةِ، إِذْ مُعْظَمُ الْبَاقِي كَالتَّكْرِيرِ لَهَا، فَجَعَلَ مَا بَعْدَ الْوَقْتِ تَابِعاً لَهَا، بِخِلَافِ مَا دَوَّنَهَا.

٣٢

(وَالْمَقْضِي الْمَفْعُولُ) مِنْ كُلِّ الْعِبَادَةِ بَعْدَ خُرُوجِ وَقْتِهَا عَلَى الْقَوْلَيْنِ، أَوْ قَبْلَهُ وَبَعْدَهُ عَلَى الثَّانِي.

(١) عبارته رحمه الله تعالى في المختصر (١ / ٢٣٣) : « والقضاء : ما فُعل بعد وقتِ الأداء استدراكاً لما سَبَقَ له وَجُوبٌ مطلقاً » .

(٢) كالبيضاوي في منهاجه (١ / ٦٨) .

(٣) بل هو مردودٌ مِنْ وَجْهَيْنِ : أَحَدُهُمَا : أَنَّهُ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ النَوَافِلَ لَا تُوصَفُ بِالْقَضَاءِ، وَالْأَصَحُّ أَنَّهَا تُقْضَى كَالْفَرَائِضِ ؛ ثَانِيَهُمَا : الْقَضَاءُ يَتَوَقَّفُ عَلَى تَقَدُّمِ السَّبَبِ وَلَا يَتَوَقَّفُ عَلَى تَقَدُّمِ الْوَجُوبِ .

(٤) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « إِذَا رَقَدَ أَحَدُكُمْ عَنِ الصَّلَاةِ، أَوْ غَفَلَ عَنْهَا فَلْيُصَلِّهَا إِذَا ذَكَرَهَا، فَإِنَّ اللَّهَ يَقُولُ : أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي الْمَسَاجِدِ، بَابُ قَضَاءِ الصَّلَاةِ الْفَاتِيَّةِ (١٥٦٧) .

(٥) قَالَ النَّوَوِيُّ رحمه الله فِي شَرْحِ مُسْلِمٍ (٤ / ٢٥٠) : « أَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى أَنَّ الْحَائِضَ وَالنَّفْسَاءَ لَا تَجِبُ عَلَيْهِمَا الصَّلَاةُ، وَلَا الصَّوْمُ فِي الْحَالِ؛ وَأَجْمَعُوا عَلَى أَنَّهُ لَا يَجِبُ عَلَيْهِمَا قَضَاءُ الصَّلَاةِ؛ وَأَجْمَعُوا عَلَى أَنَّهُ يَجِبُ عَلَيْهِمَا قَضَاءُ الصَّوْمِ » .

وإنما عَرَّفَ المصدرَ والمفعول^(١) المستغنى بأحدهما قائلاً في «المؤدَّى»: «ما فُعل» الذي صَدَّرَ به ابنُ الحاجب تعريفَ «الأداء»، «والقضاء»، «والإعادة»^(٢)، قال: «إشارةً إلى الاعتراض عليه في ذلك أي المَحْجُوج لتصحيحه إلى تأويل المضدِّر بالمفعول وإن كان إطلاقه عليه شائعاً»^(٣).

وعَدَلَ في «المَقْضِي» عن «ما فُعل» إلى «المفعول» قال^(٤): «لأنه أخصرُ منه» أي بكلمة، إذ لَمْ التعريف كالجزء من مدخولها، فلا تُعَدُّ فيه كلمة.

وزاد مسألة «البعض» على الأصوليين في تعريف «الأداء، والقضاء» جرياً على ظاهر كلام الفقهاء الواصفين لذات الركعة في الوقت بهما^(٥) وإن كان وصفها بهما في التحقيق الملحوظ للأصوليين بتبعية ما بعد الوقت لما فيه، والعكس.

وبعضُ الفقهاء حَقَّقَ فوصف ما في الوقت منها بـ «الأداء» وما بعده بـ «القضاء»، ولم يبال بتبعض العبادة في الوصف بذلك الذي قرَّ منه غيره. وعلى هذا والقضاء يَأْتُمُّ المصلي بالتأخير^(٦)، وكذا على «الأداء» نظراً للتحقيق. وقيل: «لا، نظراً للظاهر المستند إلى الحديث».

(١) أي إنما ذكر المصنّف تعريفَ المصدر (الأداء، والقضاء) وتعريفَ المفعول (المؤدَّى والمقضي) مع أن تعريفَ الثاني يُعرَفُ بذكر تعريفِ الأول تنبيهاً على خطأ ابن الحاجب في تعريفه الأداء والقضاء والإعادة بتعريفِ المؤدَّى والمقضي والمعادة.

(٢) عبارته رحمه الله في المختصر (٤٩٦/١): «الأداء: ما فُعل في وقته المُقَدَّر له شرعاً أولاً.

والقضاء: ما فُعل بعد وقتِ الأداء استدراكاً لما سَبَقَ له وجوبٌ مطلقاً.

والإعادة: ما فُعل في وقتِ الأداء ثانياً لِخَلَلٍ».

(٣) منع الموانع للمصنف (ص: ١٢٥).

(٤) منع الموانع للمصنف (ص: ١٢٥).

(٥) أي بالقضاء والأداء، أي وصفه البعض بالأداء، ووصفه البعض بالقضاء، أي اختلف أصحابنا في وصف الصلاة التي وقعت ركعتها في الوقت والباقي خارجه على ثلاثة أوجه: الأول الصحيح: أن الجميع أداء. الثاني: أن الجميع قضاء، قاله الخراسانيون من أصحابنا. الثالث: ما في الوقت أداء، وما بعده قضاء، قاله أبو إسحاق المروزي من أصحابنا. (المجموع: ٤٦/٣، شرح مسلم: ١٠٨/٥).

(٦) قال الإمام النووي رحمته الله في المجموع (٤٧/٣): «ولو أراد إنسان تأخير الشروع في الصلاة إلى حدٍّ يخرج بعضها عن الوقت: فإن قلنا: «كلها أو بعضها قضاء» لم يجز بلا خلاف، وإن قلنا: «كلها أداء» لم يجز أيضاً على المذهب، ... وجرّم البندنجي بالجواز، وليس بشيء. أمّا إذا شرع في الصلاة وقد =

[الإعادة]

والإعادة: فعله ثانياً في وقت الأداء: قيل: «لِخْلَلٍ»، وقيل: «لِعُذْرٍ». فالصلاة المكررة مُعَادَةٌ.

[الإعادة]

(والإعادة: فعله) أي المعاد أي فعل الشيء (ثانياً في وقت الأداء) له: (قيل: «لِخْلَلٍ» في فعله أولاً من فوات شرط أو ركن كالصلاة مع النجاسة، أو بدون الفاتحة سهواً)^(١).

(وقيل: «لِعُذْرٍ» من خللٍ في فعله أولاً، أو حصول فضيلة لم تكن في فعله أولاً)^(٢).

(فالصلاة المكررة) وهي في الأصل المفعولة في وقت الأداء في جماعة بعد الانفراد من غير خلل (مُعَادَةٌ) على الثاني لحصول فضيلة الجماعة، دون الأول لانتفاء الخلل. والأول هو المشهور الذي جزم به الإمام الرازي^(٣) وغيره^(٤) ورجحه ابن الحاجب^(٥).

وإنما عبّر المصنف فيه بـ «قيل» نظراً لاستعمال الفقهاء الأوفى له الثاني. ولم يرجح الثاني لترده في شموله لأحد قسمي ما أطلقوا عليه «الإعادة» من فعل الصلاة في وقت الأداء في جماعة بعد أخرى الذي هو مستحب على الصحيح استوت الجماعتان أم زادت الثانية بفضيلة من كون الإمام أعلم أو أروع، أو الجمع أكثر، أو المكان أشرف.

فقسم استوائهما بحسب الظاهر المحتمل لاشتمال الثانية فيه على فضيلة هي حكمة الاستحباب وإن لم يُطْلَع عليها. قد يقال: «يُعتَبَر احتمالُه» فيتناوله التعريف، وقد يقال: «لا» فلا، ويكون التعريف الشامل حيثئذ:

فعل العبادة في وقت أدائها ثانياً لعذر أو غيره.

ثم ظاهر كلام المصنف أن «الإعادة» قسم من «الأداء»، وهو - كما قال^(٦) - مصطلح

= بقي من الوقت ما يسع جميعها، فمدّها بتطويل القراءة حتى خرج الوقت قبل فراغها فثلاثة أوجه، أصحها: لا يحرم ولا يكره، ولكنه خلاف الأولى.

(١) وبه قال الحنفية والمالكية. (تيسير التحرير: ١٩٩/٢، شرح التنقيح، ص: ٧٦).

(٢) وبه قال الشافعية والحنابلة. (غاية الوصول، ص: ١٧، شرح الكوكب: ٣٦٨/١).

(٣) المحصول للرازي: ١١٦/١.

(٤) كالبيضاوي في المنهاج (٦٨/١)، والإسنوي في نهاية السؤل (٦٨/١).

(٥) مختصر المتبهي لابن الحاجب: ٢٣٣/١.

(٦) أي كما قال المصنف في رفع الحاجب: ٤٩٨/١.

[الرخصة والعزيمة]

والحكم الشرعي إن تَغَيَّرَ إلى سهولةٍ يُعْذَرُ مع قيام السبب للحكم الأصلي فرخصة
كأكل الميتة، والقصر، والسلم، وفطر مسافر.....

الأكثرين. ^(١) وقيل: «إنها قسِيمٌ له» ^(٢) كما قال في «المنهاج»: «العبادة إن رقت في وقبها
المعني، ولم تُسبق بأداءٍ مُختلٍ فأداء، وإلا فإعادة» ^(٣).

[الرخصة والعزيمة]

(والحكم الشرعي) أي المأخوذ من الشرع (إن تَغَيَّرَ) من حيث تعلُّقه من صعوبة له على ٣٤
المكلف (إلى سهولة) كأن تَغَيَّرَ من الحرمة للفعل - أو الترك - إلى الجل له (لُعْذَرُ مع قيام
السبب للحكم الأصلي) المتخلف عنه للعذر (فرخصة) أي فالحكم المتغير إليه السهل المذكور
يُسَمَّى رخصة - وهي لغة السهولة - (كأكل الميتة) للمضطر ^(٤)، (والقصر) الذي هو ترك الإتمام
للمسافر ^(٥)، (والسلم) الذي هو بيع موصوف في الذمة، (وفطر المسافر) في رمضان (لا

(١) أي من الفقهاء والأصوليين، واختاره العضد، وصوّبه السبكي.

(شرح العضد: ٢٣٣/١، النجوم للوامع: ٢١٧/١).

(٢) قال الولي العراقي في الغيث الهامع (٤٥/١): «وما ذكرناه من أن «الإعادة» قسمٌ من «الأداء» هو
ما صرَّح به الآمدي وغيره. وقال السبكي: إنه مقتضى إطلاق الفقهاء، ومقتضى كلام الأصوليين:
القاضي أبو بكر في «التقريب والإرشاد»، والغزالي في «المستصفى» والإمام في «المحصول».
ولكن لما أطلق الإمام ذلك، ثم قال: «إنه إن فُعلَ ثانياً بعد خَلَلٍ سُمِّيَ إعادة» ظَنَّ صاحبنا «الحاصل»
و «التحصيل» أن هذا تخصيصٌ للإطلاق المتقدم فقيداً، وتبعهم البيضاوي، فجعلوا «الإعادة»
قسمةً لـ «الأداء». وليس لهم مساعدةٌ من إطلاق الفقهاء، ولا من كلام الأصوليين، فالصواب: أن
«الأداء» اسمٌ لما وَقَعَ في الوقت مطلقاً مسبقاً كان، أو سابقاً، أو مُتَفَرِّداً».

(٣) واختاره أيضاً التاج الأموي والسراج الأموي، والإسنوي.

(المنهاج: ٦٧/١، النجوم للوامع: ٢١٧/١، نهاية السؤل: ٦٧/١).

(٤) قال الله تعالى في سورة البقرة (الآية: ١٧٢، ١٧٣): ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمَا مَا رَزَقْنَاهُ
وَأَشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ عَلَيْهِ تَقْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ الْخَنِزِيرَ وَمَا أُهْلَ بِهِ لِغَيْرِ
اللَّهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنْ أَلَّهَ غَوْرًا رَجِيمًا﴾.

(٥) قال الله تعالى: في سورة النساء (الآية: ١٠١): ﴿وَلَا تَزِرُكُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنْ
الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُبِينًا﴾.

لا يَجْهَدُ الصومُ واجباً، ومندوباً، ومباحاً، وخلاف الأولى،

يَجْمَعُهُ الصومُ) بفتح الياء وضمها، أي لا يَشُقُّ عليه مشقة قوية^(١): ١- (واجباً) أي أكل الميتة. وقيل: «هو مباح». ٢- (ومندوباً) أي القصر لكن في سفر يبلغ ثلاثة أيام فصاعداً، كما هو معلوم من محلّه، فإن لم يبلغها فالإتمام أولى خروجاً من قول أبي حنيفة بوجوبه^(٢).

ومن قال: «القصر مكروه» كالماوردي^(٣) أراد مكروه كراهة غير شديدة، وهو بمعنى «خلاف الأولى». ٣- (ومباحاً) أي السكّم.

٤- (وخلاف الأولى)^(٤) أي فطر المسافر لا يَجْهَدُ الصومُ، فإن جَهِدَ فالفطر أولى^(٥).

(١) قال الفيومي رحمه الله في المصباح (ص: ١١٢): «(الجُهدُ) بالضم في الحجاز. وبالفتح في غيرهم: الوُسع والطاقة. وقيل: المضموم الطاقة، والمفتوح المشقة. و (الجُهدُ) بالفتح لا غير: النهاية والغاية، وهو مصدر من (جَهِدَ في الأمر جُهداً) من باب «نَفَعَ»: إذا طَلَبَ حتى بَلَغَ غايته في الطَلَب. و (جَهِدَ الأمرُ والمرَضُ جُهداً) أيضاً: إذا بَلَغَ منه المشقة. ويقال: (جَهِدْتُ فلاناً جُهداً): إذا بَلَغْتَ مشقته؛ و (جَهِدْتُ الدابة، وأجهدته): حَمَلْتُ عليها في السير فوق طاقتها.

(٢) قال أستاذنا العلامة محدث الديار الشامية الأستاذ الدكتور نور الدين عتر في كتابه الفريد «إعلام الأنام شرح بلوغ المرام» (٩٣/٢): «المذهبان وإن اختلفا في تقدير الزمان: ثلاثة أيام عند الحنفية، ويومان عند الثلاثة المالكية والشافعية والحنابلة)، لكن يتقربان كثيراً في التقدير بالمسافة، فتبلغ عند الحنفية ٨١ كم، وعند غيرهم ٧٥.٨٨ كم، ومن ثم اخترنا هذه المسافة الثانية لأنها موضع اتفاق».

(٣) والماوردي: هو علي بن محمد بن حبيب أبو الحسن الماوردي البصري، الشافعي، أفضى القضاة، تفقه على الشيخ أبي حامد الأسفراييني، درس بالبصرة وبغداد سنين كثيرة، وله مصنفات كثيرة في الفقه والأصول، والتفسير والأدب منها: الحاوي الكبير، والأحكام السلطانية، كان حافظاً للمذهب، توفي رحمه الله سنة ٤٥٠ هـ. (الطبقات للإسنوي: ٢/٢٠٦). وانظر الحاوي الكبير: ٢/٣٦٦.

(٤) ظاهره مینع المصنف والشارح: أن الرخصة لا تكون محرمة ولا مكروهة، ويؤيده الحديث الصحيح الذي رواه أحمد (١٠٢/٢) وغيره عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً: «إنَّ الله يُحِبُّ أنْ تُؤْترا رُخصه كما يُحِبُّ أنْ تُؤتى عَزَائِمُهُ»، لكن في كلام بعض الأصحاب ما يوهم مجيئهما مع الرخصة: أما التحريم، فقال بعضهم كالزركشي: يجزئ الاستنتاج بذهب أو فضة مع حرمة؟ ويجاب: أن المنقول في المذهب: جوازُه على الصحيح. وأما الكراهة، فقال بعضهم كالماوردي: يُكرهُ القصرُ في السفر؟ ويجاب: أنه محمول على «خلاف الأولى»، لأن المتقدمين كثيراً ما يطلقون الكراهة، ويريدون بها خلاف الأولى. (الغيث الهامع: ٤٩/١).

(٥) وزاد السيوطي في الأشباه والنظائر (ص: ١٧١) قسماً خامساً، وهو: ما يُكره فعله كالقصر في أقل من ثلاثة مراحل.

والأَفْعَزِيْمَةُ .

وأتى بهذه الأحوال اللازمة لبيان أقسام الرخصة، يعني الرخصة كحل المذكورات من وجوب، وندب، وإباحة وخلاف الأولى .
وحكمها الأصلي : الحرمة .

وأسبابها^(١) : الخبث في الميتة، ودخول وقتي الصلاة، والصوم في القصر والفطر لأنه سبب لوجوب الصلاة تامة والصوم، والغرر في السلم، وهي قائمة حال الجل .

وأعذاره^(٢) : الاضطرار، ومشقة السفر، والحاجة إلى ثمن الغلات قبل إدراكها، وسهولة^{٣٥} الوجوب في أكل الميتة، لموافقته لغرض النفس في بقائها .
وقيل : «إنه عزيمة لصعوبته من حيث إنه وجوب» .

ومن الرخصة : إباحة ترك الجماعة في الصلاة لمرض أو نحوه، وحكمه الأصلي الكراهة الصعبة بالنسبة إلى الإباحة، وسببها قائم حال الإباحة، وهو الانفراد فيما يطلب فيه الاجتماع من شعائر الإسلام .

(ولأ) أي وإن لم يتغير الحكم كما ذكر، بأن لم يتغير أصلاً كوجوب الصلوات الخمس؛ أو تغير إلى صعوبة كحرمة الاصطياد بالإحرام بعد إباحته قبله :
أو إلى سهولة، لا لعذر كجل ترك الوضوء لصلاة ثانية مثلاً لمن لم يحدث بعد حرمة، بمعنى أنه خلاف الأولى :

أو لعذر، لا مع قيام السبب للحكم الأصلي، كإباحة ترك ثبات الواحد مثلاً من المسلمين للعشرة من الكفار في القتال بعد حرمة^(٣)، وسببها : قلّة المسلمين، ولم تبق حال الإباحة لكثرتهم حينئذ، وعذرهما : مشقة الثبات المذكور لما كثروا (فعزيمة)^(٤) أي فالحكم غير

(١) أي أسباب الحرمة. (النجوم اللوامع: ١/ ٢٢٠).

(٢) أي أعذار الجل. (النجوم اللوامع: ١/ ٢٢٠).

(٣) ذلك في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الَّذِينَ يَخْلَفُونَ أَثَرِيكُمْ أَيُنَاقِلُونَ إِلَيْكُمْ مَغْنَمًا مِمَّا كَسَبُوا وَلَا يَكُنْ فِيكُمْ مَن يَقُولُ إِنَّا كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّ هَؤُلَاءِ لَخُلُوفُ الثَّيْلِ الْأَخْلَافِ وَلَئِنْ جَاءَتْهُمْ كَرْهًا قَالُوا لَا يَنْفَعُنَا آلَافُ اللَّهِ إِنْ لَمْ يَأْتِ الْيَوْمَ الْغَنَاءُ وَيَكْفُرُوا بِاللَّهِ عَصَاةً أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ لَمَّا جَاءُوكَ قَالُوا إِنَّ آلَ اللَّهِ لَنَحْنُ الْغَنَاءُ وَمَا يُبْدِيَنَّ لَكَ أَعْيُنُ النَّاسِ مَا تُثْنِي بِهِ عَلَيْهِمْ أَفَإِنَّكَ لَتَتَّبِعُهُمُ بَكْرَةً إِنَّكَ تَفْتَرُ عَلَى اللَّهِ مُدْهَنًا ﴿١٠١﴾﴾ [سورة الأنفال، الآية: ٦٥، ٦٦].

(٤) ومثله في تيسير التحرير (٢/ ٢٢٩)، المحصول (١/ ١٢٠)، الإحكام (١/ ١١٣)، شرح التنقيح (ص: ٨٧)، شرح الكوكب (١/ ٤٧٦).

[الدليل]

والدليل: ما يُمكن التَّوَصُّلُ بِصَحِيحِ النَّظَرِ فِيهِ إِلَى مَطْلُوبٍ خَبَرِيٍّ .

الْمُتَغَيِّرُ، أَوِ الْمُتَغَيِّرُ إِلَيْهِ الصَّعْبُ، أَوِ السَّهْلُ الْمَذْكُورُ يَسْمَى عَزِيمَةً .

وهي لغة: القصدُ المصممُ لأنه عَزِمَ أمرُه: أي قُطِعَ وَحِتِمَ، صُعِبَ عَلَى الْمُكَلِّفِ أَوْ سَهِّلَ^(١).

وأورد^(٢) على التعريفين وجوبُ تركِ الصلاة والصوم على الحائض فإنه عزيمة، ويصدق عليه تعريفُ الرخصة؟

ويُجاب: يمنع الصدق فإن الحيض الذي هو عذرٌ في الترك مانعٌ من الفعل، ومن مانعيته نشأ وجوبُ الترك .

٣٦

وتقسيمُ المصنّف كالبيضاوي^(٣) وغيره^(٤) «الحكم» إلى «الرخصة والعزيمة» أقربُ إلى اللغة من تقسيم الإمام الرازي^(٥) وغيره^(٦) «الفعل» الذي هو متعلّق الحكم إليهما.

[الدليل]

(والدليل: ما) أي شيء (يُمكن التوصلُ) أي الوصولُ بِكُلْفَةٍ (بصحيح النظر فيه إلى مطلوبٍ خبريٍّ)^(٧)، بأن يكون النظرُ فيه من الجهة التي مِنْ شَأْنِهَا أَنْ يَنْتَقِلَ الذَّهْنُ بِهَا إِلَى ذَلِكَ الْمَطْلُوبِ الْمَسْمُوعِ وَجَهَ الدَّلَالَةِ .

والخبريُّ ما يُخْبَرُ بِهِ، ومعنى الوصولُ إليه بِمَا ذُكِرَ: علمُه أو ظَنُّه .

(١) المصباح المنير للفيومي (ص: ٤٠٨).

(٢) هذا الإيرادُ للبدر الزركشي في تشنيف المسامع: ٨٢/١.

(٣) منهاج الوصول للبيضاوي: ٧٣/١.

(٤) كابن الهمام في التحرير، وأمير باد شاه في شرحه (٢/٢٢٨)، والإسنوي في شرح المنهاج (١/٧٣)، وشيخ الإسلام في لبِّ الأصول (ص: ٨٨)، وابن النجار في شرح الكوكب (١/٤٧٦).

(٥) حيث قال في المحصول (١/١٢٠): «الفعل الذي يجوزُ للمكلف الإتيانُ بِهِ إمَّا أَنْ يَكُونَ عَزِيمَةً أَوْ رُخْصَةً، وَذَلِكَ لِأَنَّهُ مَا جَازَ فَعْلُهُ إمَّا أَنْ يَجُوزَ مَعَ قِيَامِ الْمُقْتَضِي لِلْمَنْعِ، أَوْ لَا يَكُونُ كَذَلِكَ، فَالْأَوَّلُ الرُّخْصَةُ وَالثَّانِي الْعَزِيمَةُ» .

(٦) كالقرافي في شرح التنقيح (ص: ٨٥).

(٧) الدليلُ يُطْلَقُ فِي اللُّغَةِ بِمَعْنَى «الدال»، وهو الناصِبُ للدليل، وقد يُطْلَقُ عَلَى مَا فِيهِ دَلَالَةٌ وَإِرْشَادٌ سِوَاهُ كَانَ مُوَصِّلاً إِلَى عِلْمٍ أَوْ ظَنٍّ، وَهُوَ عَرَفَ الْفُقَهَاءُ. وَأَمَّا الْأَصُولِيُونَ بِخُصُوصٍ «الدليل» بِمَا أَوْصَلَ إِلَى

فالنظر هنا: الفكر، لا بـ «قيد المؤدّي إلى علم أو ظنّ»، كما سيأتي^(١) حذراً من التكرار.

والفكر: حركة النفس في المعقولات.

وشمل التعريف الدليل القطعيّ كالعالم لوجود الصانع، والظنيّ كالنار لوجود الدخان، و﴿أَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾^(٢) لوجوبها.

فبالنظر الصحيح في هذه الأدلة - أي بحركة النفس فيما تعقّله منها ممّا من شأنه أن ينتقل به إلى تلك المطلوبات كالحديث في الأول، والإحراق في الثاني، والأمر بالصلاة في الثالث - تصلّ إلى تلك المطلوبات، بأن تُرتّب هكذا: العالم حادث، وكلُّ حادث له صانع، فالعالم له صانع؛ النار شيء مُحرق، وكلُّ مُحرق له دخان، فالنار لها دخان؛

﴿أَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ أمر بالصلاة، وكلُّ أمر بشيء لوجوبه حقيقة، فالأمر بالصلاة لوجوبها.

وقال: «يُمْكِنُ التَّوَصُّلُ» دون «يَتَوَصَّلُ» لأن الشيء يكون دليلاً وإن لم ينتظر فيه النظر ٣٧ المتوصل به.

وقيد النظر بـ «الصحيح»، لأنّ الفاسد لا يُمكن التوصل به إلى المطلوب، لانتفاء وجه الدلالة عنه وإن أدّى إليه بواسطة اعتقاد أو ظنّ، كما إذا نُظِرَ في العالم من حيث البساطة، وفي النار من حيث التسخين، فإن البساطة والتسخين ليس من شأنهما أن ينتقل بهما إلى وجود الصانع والدخان، ولكن يؤدي إلى وجودهما.

هذان النظران يَمُنَّ اعتقاد أنّ العالم بسيط، وكل بسيط له صانع، وممّن ظنّ أن كلّ مُسخّن له دخان.

أما المطلوب غير الخبري - وهو تصوّري - فيُتَوَصَّلُ إليه - أي يُتَصَوَّرُ - بما يُسمّى حَدّاً، بأن يُتَصَوَّرَ كـ «الحيوان الناطق» حدّاً للإنسان.

= العلم، و«الأمانة» بما أوصل إلى الظنّ. والدليل ثلاثة:

١- عقليّ مَحْضٌ كدلالة العالم على الخالق.

٢- وسَمْعِيّ مَحْضٌ كالنصوص من الكتاب والسنة.

٣- مُركَّب من الأمرين كقولنا في الدلالة على تحريم النبيذ: النبيذ مسكر، وكلّ مسكر حرام للحديث

«كلّ مسكر حرام» فيلزم عنه النبيذ حرام. (الإحكام: ١٠/١).

(١) انظر: «النظر والإدراك»: ١٢٢/١.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٤٣.

[العلم عقب الدليل مُكْتَسَبٌ]

وَ اِخْتَلَفَ أَيْمُنُنَا : هَلْ الْعِلْمُ عَقِيْبُهُ مُكْتَسَبٌ ؟

وسياتي حدُّ «الحدِّ»^(١) الشاملُ لذلك ولغيره.

[العلم عقب الدليل مكتسبٌ]

(واختلف أئمتنا هل العلمُ بالمطلوب الحاصلُ عندهم (عقبيّه) أي عقب صحيح النظر^(٢) عادةً عند بعضهم كالأشعري، فلا يتخلف إلا خرقاً للعادة، كتخلف الإحراق عند مُماسّة النار؛ أو لزوماً عند بعضهم كالإمام الرازي^(٣)، فلا يَنفَكُ أصلاً كوجود الجوهر لوجود العرض (مُكْتَسَبٌ) للنّاظر؟ فقال الجمهور: «نعم، لأن حصوله عن نظره المكتسب له». وقيل: «لا، لأن حصوله اضطراري، لا قدرة على دفعه ولا انفكاك عنه»^(٤).

فلا خلاف إلا في التسمية^(٥)، وهي بالمكتسب أنسب.

والظنُّ كالعلم في قولي «الاكْتِسَابِ» و«عدمه»، دون قولي «اللزوم» و«العادة» لأنه لا ارتباط بين الظنِّ وبين أمرٍ ما، بحيث يمتنع تخلفه عنه عقلاً أو عادةً، فإنه مع بقاء سببه قد يزول لمعارض، كما إذا أخبر عدلٌ بحكمٍ وآخر بنقيضه، أو لظهور خلاف المظنون، كما إذا ظنَّ أن زيداً في الدار لكون مركبه وخدمه ببابها، ثم شوهد خارجها.

وأما غير أئمتنا فالمعتزلة قالوا: «النظر يؤلّد العلم كتوليد حركة اليد لحركة المفتاح عندهم»^(٦).

وعلى وزانه يقال: «الظنُّ الحاصل متولّد عن النظر عندهم وإن لم يجب عنه».

(١) انظر: «الحدِّ»: ١١٩/١.

(٢) اتفق العلماء على ثبوت التلازم بين النظر الصحيح والعلم، ولكنهم اختلفوا هل هو عقليّ أو عاديّ؟ على مذهبين: الأول: عقليّ، قال الجمهور من أصحابنا وغيرهم.

الثاني: عاديّ، قاله أبو الحسن الأشعري. ورده الزركشي. (التشنيف: ٨٧/١).

(٣) المحصول للرازي: ٨٥/١.

(٤) قاله الأستاذ أبو إسحاق الأُسُقْرَائِينِي، وإلكيا الهُرَّاسِي. (التشنيف: ٨٦/١، الغيث الهامع: ٥١/١).

(٥) أي حاصله: أن العلوم الحادثة عقب الدليل هل تنقسم إلى ضرورية وكسبية أو لا؟ قال الجمهور: نعم، والأستاذ ومن معه: لا، لكنها تنقسم عنده إلى همجية وفكرية، فبان أن الخلاف في التسمية، ولا مُشاحّة في الأسماء. (التشنيف: ٨٦/١).

(٦) تشنيف المسامع: ٨٧/١.

[الحَدُّ]

وَالْحَدُّ : الْجَامِعُ الْمَانِعُ .

وقوله : «عقبيه» بالياء لغة قليلة جرت على الألسنة^(١) ، والكثير ترك «الياء»^(٢) كما ذكره النووي^(٣) في «تحريره»^(٤) .

[الحَدُّ]

(والحد عند الأصوليين : ما يُمَيِّزُ الشَّيْءَ عَمَّا عَدَاهُ كَالْمَعْرِفِ عِنْدَ الْمُنَاطِقَةِ)^(٥) .

ولا يُمَيِّزُ كَذَلِكَ إِلَّا مَا لَا يَخْرُجُ عَنْهُ شَيْءٌ مِنْ أَفْرَادِ الْمَحْدُودِ ، وَلَا يَدْخُلُ فِيهِ شَيْءٌ مِنْ غَيْرِهَا ، وَالْأَوَّلُ مُبَيَّنٌ لِمَفْهُومِ الْحَدِّ ، وَالثَّانِي لِخَاصَّتِهِ^(٦) . وهو بمعنى قول المصنف كالقاضي أبي بكر الباقلاني : الحدُّ : (الجامع) أي لأفراد المَحْدُودِ ، (المانع) أي من دخول غيرها فيه .

(١) قال الفيومي في المصباح (ص: ٥٥٣) : «اللِّسَانُ : الْمُضَوُّ ، يُذَكَّرُ وَيُؤنَّثُ ، فَمَنْ ذَكَرَ جَمَعَهُ عَلَى «أَلْسِنَةٍ» ، وَمَنْ أَنْثَى جَمَعَهُ عَلَى «أَلْسُنٍ» ، قَالَ أَبُو حَاتِمٍ : التَّذْكِيرُ أَكْثَرُ ، وَهُوَ فِي الْقُرْآنِ كُلُّهُ مُذَكَّرٌ .

وَاللِّسَانُ : اللَّغَةُ ، مُؤنَّثٌ ، وَقَدْ يُذَكَّرُ بِاعْتِبَارِ أَنَّهُ لَفْظٌ ، وَجَمَعَهُ عَلَى التَّذْكِيرِ وَالتَّأْنِيثِ كَمَا تَقَدَّمَ .

(٢) قال الفيومي في المصباح (ص: ٤١٩) : «عَقِيبٌ : مِثَالُ كَرِيمٍ اسْمُ فَاعِلٍ مِنْ قَوْلِهِمْ : عَاقِبَهُ مُعَاقِبَةً ،

وَعَقِبَهُ تَعْقِيبًا ، فَهُوَ مُعَاقِبٌ وَمُعَقَّبٌ وَعَقِيبٌ ؛ إِذَا جَاءَهُ بَعْدَهُ . فَقَوْلُ الْفُقَهَاءِ : «يَفْعَلُ ذَلِكَ عَقِيبَ وَقْتِ

الصَّلَاةِ» ، وَنَحْوَهُ بِالْيَاءِ ، لَا وَجْهَ لَهُ إِلَّا عَلَى تَقْدِيرِ مُحْذُوفٍ ، وَالْمَعْنَى : فِي وَقْتِ عَقِيبِ وَقْتِ الصَّلَاةِ ،

فَيَكُونُ «عَقِيبٌ» صَفَةً «وَقْتِ» ، ثُمَّ حُذِفَ مِنَ الْكَلَامِ حَتَّى صَارَ : عَقِيبَ الصَّلَاةِ .

(٣) وَالتَّوْوِي : هُوَ يَحْيَى بْنُ شَرَفٍ أَبُو زَكْرِيَا النَّوَوِي ، شَيْخُ الْإِسْلَامِ وَأَسَاتِذُ الْمُتَأَخِّرِينَ ، الْفَقِيهَ ، الْحَافِظَ ،

الزَّاهِدَ الْوَرَعَ ، السَّيِّدَ الْحَصُورَ ، اللَّغْوِي ، الصُّوفِي ، الْقَائِمُ بِالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ ،

صَحَابَةُ الْكُتُبِ النَّفِيسَةِ الْفَرِيدَةِ مِنْهَا : الْمَجْمُوعُ ، وَالرُّوضَةُ ، وَالْمَنْهَاجُ ، وَشَرْحُ مُسْلِمَ ، وَغَيْرُهَا الْكَثِيرُ

الْقِيمِ ، تَوَفَّى رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى سَنَةَ ٦٧٦ هـ بَنَوَى ، وَدُفِنَ بِهَا . (طَبَقَاتُ الشَّافِعِيَةِ لِلْسَّبْكِ : ٨ / ٣٩٥) .

(٤) تَحْرِيرُ أَلْفَاظِ التَّنْبِيهِ لِلْإِمَامِ النَّوَوِيِّ (ص: ١٤٠) .

(٥) أَمَّا عِنْدَ الْمُنَاطِقَةِ فَالْحَدُّ : مَا تُرَكَّبُ مِنْ ذَاتِيَّاتِ الشَّيْءِ أَيْ جَنْبِهِ وَفَصْلِهِ كـ «الْحَيَوَانُ النَّاطِقُ» حَدًّا

لِلْإِنْسَانِ . وَأَمَّا الْمُرَكَّبُ مِنَ الذَّاتِيَّاتِ وَالْعَرَضِيِّ كَتَعْرِيفِ الْإِنْسَانِ بِـ «الْحَيَوَانِ الْكَاتِبِ بِالْفِعْلِ» ، أَوْ

بِالْعَرَضِيِّ فَقَطْ كَتَعْرِيفِ الْإِنْسَانِ بِـ «الْكَاتِبِ بِالْفِعْلِ» فَيَسْمَى رَسْمًا ، لَا حَدًّا .

فَالْحَدُّ عِنْدَ الْأَصُولِيِّينَ مُرَادِفٌ لِلتَّعْرِيفِ عِنْدَ الْمُنَاطِقَةِ .

(الْبَنَانِيُّ : ٢١٦ / ١) .

(٦) أَيْ أَنَّ الْأَوَّلَ وَهُوَ قَوْلُهُ : «مَا يُمَيِّزُ الشَّيْءَ عَمَّا عَدَاهُ» مُبَيَّنٌ لِمَفْهُومِ الْحَدِّ أَيْ حَقِيقَتِهِ سِوَاءِ مَيِّزٍ بِالذَّاتِيَّاتِ

أَمْ بِالْعَرَضِيَّاتِ ، وَهُوَ حَدٌّ حَقِيقِيٌّ عِنْدَ الْأَصُولِيِّينَ ؛

ويقال: «المُطَرَّدُ الْمُنْعَكِسُ».

(ويقال) أيضاً: «الحدُّ: (المطَرَّد)»^(١) أي الذي كُلِّمًا وُجِدَ وُجِدَ المَحْدودُ، فلا يَدْخُلُ فيه شيءٌ من غير أفراد المَحْدود، فيكون مانعاً، (المنعكس) أي الذي كُلِّمًا وُجِدَ المَحْدودُ وُجِدَ هو، فلا يَخْرُجُ عنه شيءٌ من أفراد المَحْدود، فيكون جامعاً.

فمؤدَّى العبارتين واحدٌ، والأولى أوضح. فتصدَّقانِ على «الحيوان الناطق» حدًّا للإنسان، بخلاف حدِّه بـ «الحيوان الكاتب بالفعل» فإنه غير جامع، وغير منعكس، وبـ «الحيوان الماشي» فإنه غير مانع، وغير مطَرَّد.

وتفسير^(٢) «المنعكس» المراد به عكسُ المراد بـ «المطَرَّد» بما ذكر المأخوذ من العضد^(٣)، الموافق في إطلاق «العكس» عليه للعرف، حيث يقال: «كلُّ إنسانٍ ناطقٌ وبالعكس، وكلُّ إنسانٍ حيوانٌ ولا عكس» أظهرُ في المراد - أي معنى الجامع - من تفسير ابن الحاجب^(٤) وغيره بـ «أنَّه كُلِّمًا انتَقَى الحدَّ انتَقَى المَحْدودُ» اللازمُ لذلك التفسير نظراً إلى أنَّ الانعكاسَ التلازمُ في الانتقاء كالاطراد التلازمُ في الثبوت.

= والثاني وهو قوله: «ما لا يَخْرُجُ عنه» مبيِّنٌ لصفاتِ الخاصَّة للحدِّ، وهو حدُّ رُسُيٍّ عند الأصوليين، وإليه يرجع الضميرُ «وهو بمعنى».

(النجوم اللوامع: ٢٢٦/١، البناني: ٢١٨/١).

(١) قال الزركشي في التشنيف (٨٩/١): «استعمالُ «المطرَد» مردودٌ في العربية، وكذا قولهم: «اطَرَد» وقد نصَّ سيبويه على منعه».

وقال الفيومي في المصباح (ص: ٣٧): «ولا يقال: «اطَرَد»، ولا «انطرَد» إلَّا في لغةٍ رديئة».

(٢) قوله: «تفسيرٌ مبتدأ، وخبره «أظهرُ في المراد» الآتي.

(٣) والعضد: هو عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الغفار الإيجي، عضد الدين، الشافعي، الأصولي، المنطقي، المتكلم، الأديب، كان كثيرَ المالِ والإنفاقِ على الطلبة، جريئاً في الحقِّ، قوياً في الحجَّة، تخرَّجَ به الأئمة، كالسعد التفتازاني والشمس الكرماني، صنَّفَ كتباً كثيرةً مفيدةً، منها: شرح المختصر، توفي رحمه الله في محنة أمير كيرمان محبوساً في قلعة دَرِيَّان سنة ٧٥٦هـ. (الفتح المبين: ١٤٨/٢).

(٤) مختصر المنتهى لابن الحاجب: ٦٧/١.

[الكلام الأزلّي خطابٌ متنوّعٌ]

والكلامُ في الأزلّ: قيل: «لا يُسمّى خطاباً»، وقيل: «لا يتنوّع».

[الكلامُ الأزلّي خطابٌ متنوّعٌ]

(والكلامُ) النفسي (في الأزلّ: قيل: «لا يُسمّى خطاباً حقيقةً لعدم مَنْ يُخاطَب به إذ ذاك، وإنّما يُسمّاه حقيقةً فيما لا يزال عند وجود مَنْ يفهم وإسماعه إيّاه باللفظ كالقرآن، أو بلا لفظ كما وقّع لموسى عليه الصلاة والسلام كما اختاره الغزالي خرقاً للعادة. وقيل: «سمعه بلفظ من جميع الجهات على خلاف ما هو العادة». وعلى كلّ اختصّ بأنه كليّم الله»^(١).

والأصحّ أنه يُسمّاه حقيقةً بتزليل المعدوم الذي سيوجد منزلة الموجود^(٢).

(و) الكلامُ النفسي في الأزلّ (قيل: «لا يتنوّع») إلى أمرٍ، ونهيٍّ، وخبرٍ، وغيرها لعدم مَنْ تتعلّق به هذه الأشياء إذ ذاك، وإنّما يتنوّع إليها فيما لا يزال عند وجود مَنْ تتعلّق به، فتكون الأنواعُ حادثةً مع قَدَمِ المشترك بينها^(٣).

والأصحّ تنوّعه في الأزلّ إليها بتزليل المعدوم الذي سيوجد منزلة الموجود.

وما ذُكر من حدوث الأنواع مع قَدَمِ المشترك بينها يلزمه مُحالٌ من وجود الجنس مجرداً عن أنواعه، إلا أن يُراد أنّها أنواعٌ اعتبارية، أي عوارضٌ له يجوز خلؤه عنها، تحدّث بحسب التعلّقات؛

كما أنّ تنوّعه إليها على الثاني بحسب التعلّقات أيضاً، لكونه صفةً واحدةً كالعلم وغيره من الصفات، فمن حيث تعلّقه في الأزلّ، أو فيما لا يزال بشيءٍ على وجه الاقتضاء لفعله يُسمّى أمراً، أو لتركه يُسمّى نهياً، وعلى هذا القياس^(٤).

وقدّم هاتين المسألتين المتعلّقتين بالمدلول في الجملة على «النظر» المتعلّق به «الدليل»

(١) قاله الغزالي في المستصفى (١/٦٨)، والآمدي في الإحكام (١/١٣٢).

(٢) وهو مذهب الجمهور، واختاره، وإمام الحرمين في البرهان (١/١٩١)، الإمام في المحصول (١/٢٥٥) والمصنف في الإنباه (١/٤٣).

(٣) قاله عبدُ بن سعيد القطان أحد أئمة السنة (البرهان: ١/١٩١).

(٤) وهو مذهب الجمهور، واختاره إمام الحرمين في البرهان (١/١٩١)، والإمام في المحصول (١/٢٥٥) والآمدي في الإحكام (١/١٣٢)، والمصنف في الإنباه (١/١٥١)، والباجوري في التحفة (ص: ٩١).

[النَّظَرُ، والإِدْرَاكُ، والتَّصَوُّرُ، والتصديق]

والتَّظَرُّ: الْفِكْرُ الْمُؤَدِّي إِلَى عِلْمٍ، أَوْ ظَنٍّْ. وَالْإِدْرَاكُ بِلَا حُكْمٍ تَصَوُّرٌ وَبِحُكْمٍ تَصْدِيقٌ.

الذي الكلام فيه لاستتباعه ما يطول^(١).

[النَّظَرُ، والإِدْرَاكُ، والتَّصَوُّرُ، والتصديق]

(والتَّظَرُّ: الْفِكْرُ) أي حركة النفس في المعقولات، بخلاف حركتها في المحسوسات فتسمى تَخَيُّلاً، (الْمُؤَدِّي إِلَى عِلْمٍ أَوْ ظَنٍّْ) بِمَطْلُوبٍ خَبْرِيٍّ فِيهِمَا، أَوْ تَصَوُّرِيٍّ فِي الْعِلْمِ^(٢).

فخرج الفكر غير المؤدِّي إلى ما ذكر كأكثر حديث النفس فلا يسمى نظراً.

وشمل التعريف النظر الصحيح القطعي والظني والفاقد فإنه يؤدي إلى ما ذكر بواسطة اعتقادٍ أَوْ ظَنٍّْ كما تقدّم بيانه في تعريف «الدليل»^(٣) وإن كان منهم من لا يستعمل التأدية إلا فيما يؤدي بنفسه.

(وَالْإِدْرَاكُ) أي وصول النفس إلى المعنى بتمامه من نسبة أو غيرها (بلا حكم) معه من إيقاع النسبة أو انتزاعها (تصوُّرٌ)، ويسمى علماً أيضاً كما علم ممّا تقدم.

أما وصول النفس إلى المعنى لا بتمامه فيسمى شُغُوراً.

٤١

(وَبِحُكْمٍ) يعني والإدراك للنسبة و طرفيها مع الحكم المسبوق بالإدراك لذلك (تصديق) كإدراك «الإنسان» و«الكاتب»، وكون «الكاتب» ثابتاً للإنسان، وإيقاع أن «الكاتب» ثابت للإنسان، أو انتزاع ذلك أي نفيه في التصديق بأن الإنسان كاتبٌ، أو أنه ليس بكاتبٍ، الصادقين في الجملة^(٤).

(١) أي لاستتباع «النظر» ما يطول من تقسيم «الإدراك» إلى تصوُّرٍ وتصديقٍ بأنواعه الآتية، ومن الكلام

على تعاريف العلم والجهل والسهو. (النجوم اللوامع: ٢٢٩/١).

(٢) نَبّه به على أن الظن لا يكون إلا في التصديق. (النجوم اللوامع: ٢٣٠/١).

(٣) انظر: «الدليل»: ١١٦/١.

(٤) اتفق العلماء على أن إدراك الماهية من غير اعتبار حكم يُسمى تصوُّراً، وأن إدراكه مع الحكم يُسمى تصديقا، ولكنهم اختلفوا هل التصديق مجموع الأمرين، أو الحكم وحده على مذهبين:

أحدهما: أنه مجموع الأمرين، واختاره الرازي، والمصنف، والزرکشي، والشارح، وشيخ الإسلام.

ثانيهما: أنه الحكم وحده، قاله قدماء المناطق. (التشنيف: ٩٥/١، النجوم اللوامع: ٢٣٢/١).

[الْعِلْمُ، وَالْاِعْتِقَادُ، وَالظَّنُّ، وَالْوَهْمُ، وَالشَّكُّ]

وجازمته الذي لا يقبل التغير عِلْمٌ ، والقابلُ اعتقادٌ صحيحٌ إن طابقَ، فاسدٌ إن لم

وقيل: «الحكم إدراك أن النسبة واقعة أو ليست بواقعة» .

قال بعضهم^(١): «وهو التحقيق، والإيقاع والانتزاع ونحوهما كالإيجاب والسلب عبارات».

[الْعِلْمُ، وَالْاِعْتِقَادُ، وَالظَّنُّ، وَالْوَهْمُ، وَالشَّكُّ]

ثم كثيراً ما يطلق «التصديق» على «الحكم» وخذّه، كما قيل: «إن مُسمّاه ذلك» على القولين في معنى الحكم^(٢)، ومن هذا الإطلاق قول المصنف كغيره:

(وجازمه) أي جازم «التصديق» بمعنى «الحكم»، إذ هو المنقسم إلى جازم وغيره، أي الحكم الجازم (الذي لا يقبل التغير) بأن كان لِموجب^(٣) من حس أو عقل أو عادة، فيكون مطابقاً للواقع (علم) كالتصديق أي الحكم بـ «أن زيدا متحرك» مِن شاهد متحركاً، أو «أن العالم حادث» أو «أن الجبل حجر».

(و) التصديق أي الحكم الجازم (القابل) للتغير بأن لم يكن لِموجب طابق الواقع أولاً، إذ يتغير الأول بالتشكيك، والثاني به أو بالإطلاع على ما في نفس الأمر (اعتقاد).

وهو اعتقاد (صحيح إن طابق) الواقع كاعتقاد المقلد أن الضحى مندوب.

(فاسد إن لم يطابق) أي الواقع كاعتقاد الفلاسفة أن العالم قديم^(٤).

(١) أي القطب الرازي في شرح المطالع له (ص: ١٥)، واختاره العضد، والتفتازاني، والجرجاني .

(شرح العضد مع حاشيتي التفتازاني والجرجاني: ٦٣/١).

(٢) في معنى الحكم قولان: أحدهما: أنه الإيقاع والانتزاع؛ ثانيهما: أنه إدراك أن النسبة واقعة أو ليست واقعة .

فيأتي القولان في معنى التصديق بناءً أن مُسمى التصديق هو الحكم. (النجوم اللوامع: ٢٣٣/١).

(٣) أي لأمر يقتضيه، بمعنى أن الله تعالى يخلق العلم عنده للعبد، لا بمعنى التأثير، أو التوليد .

(النجوم اللوامع: ٢٣٣/١).

(٤) هذه إحدى مسائل الثلاثة التي تُفّر بها الفلاسفة . والثانية: ادعاؤهم أن الله سبحانه تعالى لا يعلم

الجزئيات؛ الثالثة: إنكارهم بعث الأجساد، وأن الحشر للروح فقط .

(النظم الفريد لشيخ شيوخنا محي الدين عبد الحميد، ص: ٩٦).

يُطابق ؛ وغيرُ الجازمِ ظَنٌّ، ووَهْمٌ، وشَكٌّ، لأنه إمَّا راجحٌ، أو مرجوحٌ، أو مُساوٍ.

(و) التصديقُ أي الحكمُ (غيرُ الجازمِ) بأن كان معه احتمالُ نقيضِ المحكوم به من وقوعِ النسبة أولاً ووقوعِها (ظَنٌّ، ووَهْمٌ^(١)، وشَكٌّ؛

لأنه) أي غيرُ الجازمِ (إمَّا راجحٌ) لرجحانِ المحكوم به على نقيضه فالظنُّ؛
(أو مرجوحٌ) لمرجوحيةِ المحكوم به لنقيضه فالوهمُّ؛

(أو مساوٍ) لمساواةِ المُحكوم به من كلِّ من النقيضين على البديل^(٢) للآخر فالشكُّ^(٣).

فهو بخلاف ما قبله حكمان، كما قال إمامُ الحرمين^(٤) والغزالي^(٥) وغيرهما^(٦): «الشكُّ اعتقادانِ يتقاوم سببهما».

وقيل: «ليس الوهم والشكُّ من التصديق، إذ الوهم ملاحظةُ الطرفِ المرجوحِ، والشكُّ الترددُ في الوقوعِ واللاوقوعِ»^(٧).

قال بعضهم^(٨): «وهو التحقيق».

فما أريدَ ممَّا تقدم من «أنَّ العقلَ يحكُم بالمرجوح، أو المساوي عنده» مَمْنوعٌ على هذا.

(١) قال الفيومي رحمه الله في المصباح (ص: ٦٧٤، و، هـ، م): «وَهَمْتُ إِلَى الشَّيْءِ وَهَمًا مِنْ بَابِ «وَعَدَ»: سَبَقَ الْقَلْبُ إِلَيْهِ مَعَ إِرَادَةِ غَيْرِهِ، وَوَهَمْتُ وَهَمًا: وَقَعَ فِي خَلْدِي، وَالْجَمْعُ أَوْهَامٌ. وَوَهْمٌ فِي الْحِسَابِ يَوْهَمُ وَهَمًا: مِثْلُ غَلَطَ يَغْلُطُ غَلَطًا وَزَنًا وَمَعْنَى».

(٢) متعلِّقٌ بـ «المحكوم به»، إذ لا يُمكنُ للنفسِ أن تحكُم حكمين معاً قصداً على أنه حكمٌ متناقضين فلا يُمكن اجتماعهما. (تقارير الشرييني: ٢٤٩/١).

(٣) هذا عند الأصوليين، أما عند الفقهاء الظنُّ والشكُّ متساويان. (التشنيف: ٥٩/١).

(٤) البرهان لإمام الحرمين: ١٠١/١.

(٥) المستصفى للغزالي: ٢١/١.

(٦) كالزركشي في التشنيف: ٢٤٩/١.

(٧) قاله السيد الجرجاني في حاشيته على شرح العضد: ٦١/١.

(٨) هو السعد التفتازاني، قاله في حاشيته على شرح العضد: ٦٠/١.

[هَلْ يُحَدُّ الْعِلْمُ ؟]

وَالْعِلْمُ قَالَ الْإِمَامُ: «ضروريٌّ»، ثُمَّ قَالَ: «هُوَ حُكْمُ الذَّهْنِ الْجَازِمُ الْمُطَابِقُ لِمَوْجِبٍ». وَقِيلَ: «ضروريٌّ فَلَا يُحَدُّ»؛

[هَلْ يُحَدُّ الْعِلْمُ ؟]

(والعلم) ^(١) أي القسم المسمّى بـ «العلم» من حيث تصوّره بحقيقته بقرينة السياق ^(٢)، (قال الإمام) الرازي في «المحصول»: «(ضروريٌّ) أي يحصل بمجرد الثبوت النفس إليه من غير نظر واكتساب، لأن علم كلِّ أحدٍ حتى من لا يتأتى منه النظر كالأبله والصبيان بأنه عالمٌ بأنه موجودٌ أو مُلتدٍّ أو متألّمٌ ضروريٌّ بجميع أجزائه، ومنها تصوّر العلم بأنه موجودٌ أو مُلتدٍّ أو متألّمٌ بالحقيقة، وهو علمٌ تصديقي خاصٌّ، فيكون تصور مطلق العلم التصديقي بالحقيقة ضرورياً، وهو المدعى» ^(٣).

وأجيب: بأننا لا نسلّم أنه يتعيّن أن يكون من أجزاء ذلك تصوّر «العلم» المذكور بالحقيقة، بل يكفي تصوّره بوجه، فيكون الضروريّ تصوّر مطلق العلم التصديقي بالوجه، لا بالحقيقة الذي هو محلّ النزاع.

(ثُمَّ قَالَ) في «المحصول» ^(٤) أيضاً: «(هو) أي العلم: (حكمُ الذهنِ الجازمُ المُطابقُ لِمَوْجِبٍ)» وقد تقدّم شرح ذلك .

فحدّه مع قوله: «إنّه ضروريٌّ»، لكن بعد حدّه، فـ «ثُمَّ» هنا للترتيب الذكري، لا المعنوي. (وقيل): «هو (ضروري، فلا يُحدُّ)، إذ لا فائدة في حدّ الضروريّ لحصوله من غير حدّ» ^(٥).

(١) اختلف العلماء في «العلم» هل يحدُّ بالحدّ الحقيقي المكوّن من الجنس والفصل أو لا على مذهبيّن: أحدهما: يُحدُّ، قاله الجمهور من الشافعية والحنابلة وغيرهم، واختاره الآمدي، وشيخ الإسلام. ثانيهما: لا يُحدُّ، قاله جماعة من الأصوليين. ثُمَّ اختلف هؤلاء في علة عدم تحديده على مذهبيّن: الأول: لأنه ضروريٌّ، قاله الإمام الرازي؛ الثاني: لأنه عسيرٌ، قاله إمام الحرمين، والغزالي. (البرهان: ١/١٠١، المستصفى: ١/٦٧، المحصول: ١/٨٥، الإحكام: ١/١٢، غاية الوصول، ص: ٢٢، شرح الكوكب: ١/٦١، التلخيص: ١/٩٧).

(٢) هي ذكره الخلاف في أنه ضروريٌّ يُحدُّ أو لا يُحدُّ أو أنه نظريٌّ عسيرٌ، وذكره له عقب التقسيم المميّز لكلٍّ من العلم والاعتقاد والظن وغيرها. (النجوم اللوامع: ١/٢٣٥).

(٣) المحصول للرازي: ١/١٧٧ (مع الكاشف).

(٤) المحصول للرازي: ١/١٥٩ (مع الكاشف).

(٥) وهو وجهٌ ضعيفٌ أيضاً عند الحنابلة. (شرح الكوكب: ١/٦٠).

وقال إمام الحرمين: «عسر، فالرأي الإمساك عن تعريفه».

[الْعِلْمُ لَا يَتَفَاوَتْ]

ثُمَّ قَالَ الْمُحَقِّقُونَ: « لَا يَتَفَاوَتْ ، وَإِنَّمَا التَّفَاوَتْ بِكَثْرَةِ الْمُتَعَلِّقَاتِ » .

وصنيع الإمام لا يُخالف هذا وإن كان سياق المصنف بخلافه، لأنه حذَّه أولاً بناءً على قول غيره من الجمهور «إنه نظري» مع سلامة حذَّه عمّا وَرَدَ على حُدودهم الكثيرة.

ثُمَّ قَالَ: «إنه ضروري» اختياراً، دَلَّ على ذلك قوله في «المحصل»: «اختلفوا في حد العلم، وعندني أن تصوّره بديهي» أي ضروري. نعم قد يُحدُّ الضروري لإفادة العبارة عنه .

(وقال إمام الحرمين)^(١): « هو نظري (عسر) أي لا يحصل إلا بنظرٍ دقيقٍ لخفائه، (فالرأي) بسبب عُسره من حيث تصوّره بحقيقته (الإمساك عن تعريفه) المسبوق بذلك التصور العسر صوناً للنفس عن مشقة الخوض في العسر » .

قال كما أفصح به الغزالي^(٢) تابعاً له: « ويُميّز عن غيره الملتبس به من أقسام الاعتقاد بأنه اعتقاد جازم مطابق ثابت » .

فليس هذا حقيقته عندهما، وظاهر ما تقدّم من صنيع الإمام الرازي أنه حقيقة عنده.

[الْعِلْمُ لَا يَتَفَاوَتْ]

(ثُمَّ قَالَ الْمُحَقِّقُونَ: « لَا يَتَفَاوَتْ »)^(٣) العلم في جزئياته، فليس بعضها وإن كان ضرورياً أقوى في الجزم من بعض وإن كان نظرياً .

(وإنما التفاوت) فيها (بكثرة المتعلقات) في بعضها دون بعض، كما في العلم بثلاثة أشياء، والعلم بشيئين بناءً على اتحاد العلم مع تعدّد المعلوم، كما هو قول بعض الأشاعرة، قياساً على علم الله تعالى . والأشعري وكثير من المعتزلة على تعدّد العلم بتعدّد المعلوم، فالعلم بهذا الشيء غير العلم بذلك الشيء .

(١) البرهان لإمام الحرمين: ١٠١/١ .

(٢) المستصفى للغزالي: ٦٧/١ .

(٣) اتفق العلماء على أن علم الله تعالى صفة واحدة، لا تعدّد فيها، ولا تفاوت بحسب متعلقاتها، ولكنهم اختلفوا في تفاوت علم الناس وتعدّده على مذهبين: أحدهما: يتفاوت، قاله الجمهور من أئمتنا =

[الجَهْلُ، والسَّهْوُ، والنسيان]

والجهل: انتفاء العلم بالمقصود. وقيل: «تَصَوُّرُ الْمَعْلُومِ عَلَى خِلَافِ هَيْئَتِهِ».

وأجيب عن القياس: بأنه خالٍ عن الجامع، وعلى هذا يقال: لَا يَتَفَاوَتْ الْعِلْمُ بِمَا ذَكَرَهُ.
وقال الأكثرون: «يتفاوت العلم في جزئياته، إذ العلم مثلاً بـ«أن الواحد نصف الاثنين»
أقوى في الجزم من العلم بـ«أن العالم حادث».
وأجيب: بأن التفاوت في ذلك ونحوه ليس من حيث الجزم، بل من حيث غيره كإلْفِ^(١)
النفْسِ بِأَحَدِ الْمَعْلُومِينَ دُونَ الْآخَرِ^(٢).

[الجَهْلُ، والسَّهْوُ، والنسيان]

(والجهل: انتفاء العلم بالمقصود) أي ما من شأنه أن يُقَصَّدَ لِيُعْلَمَ بأن لم يُدْرِكْ أصلاً،
ويسمى الجهل البسيط؛

أو أدرك على خلاف هَيْئَتِهِ فِي الْوَاقِعِ، ويسمى الجهل المركَّب، لأنه جهل المدرك بما في
الواقع مع الجهل بأنه جاهل به كاعتقاد الفلاسفة «أن العالم قديم». (وقيل): «الجهل (تصوُّرُ
المعلوم) أي إدراك ما من شأنه أن يُعْلَمَ (على خلاف هَيْئَتِهِ) فِي الْوَاقِعِ».

فالجهل البسيط على الأول ليس جهلاً على هذا. والقولان مأخوذان من قصيدة ابنِ ٤٥
مَكِّي^(٣) فِي «الْعَقَائِدِ»^(٤).

= والمعتزلة. ثانيهما: لا يتفاوت. ثم اختلف هؤلاء في تعدُّده على مذهبيْن: الأول: لا يتعدَّد بل هو
صفة واحدة كما أنَّ عِلْمَ اللَّهِ لَا يَتَعَدَّدُ، قاله الحنابلة وبعض الأشاعرة. الثاني: يتعدَّد بكثرة
المعلومات، قاله المعتزلة وأبو الحسن الأشعري، واختاره المصنف وشيخ الإسلام.
(شرح الكوكب: ٦١/١، التننيف: ٩٨/١، غاية الوصول، ص: ٢٢).

(١) قال الفيومي في المصباح (ص: ١٨): «أَلْفَتْهُ إِنْفَاءً» مِنْ بَابِ «عَلِمَ»: أُنِسْتُ بِهِ، وَأَحْبَبْتُهُ.
(٢) ومن فوائد الخلاف في هذه المسألة: أَنَّ الْإِيمَانَ هَلْ يَقْبَلُ الزِّيَادَةَ وَالنَّقْصَ؟ بِنَاءً عَلَى أَنَّ الْإِيمَانَ مِنْ
قِبَلِ الْعُلُومِ، لَا الْأَعْمَالِ خِلَافاً لِلْمَعْتَزِلَةِ. (التننيف: ٩٨/١).

(٣) وابن مَكِّي: هو محمد بن مكي بن الحسن الفايي الباشاني الشافعي، أبو بكر، الفقيه المتكلم، تخرَّج
بأبي إسحاق الشيرازي، توفي رحمه الله تعالى سنة ٥٠٧ هـ. (الوافي بالوفيات ٥٩/٥).

(٤) أي في القصيدة المسماة بالصلاحية لأمر السلطان صلاح الدين الأيوبي بتلقيها للصبيان في المكاتب،
وهي من أحسن تصانيف الأشاعرة في العقيدة، وعبارته فيها كما في التننيف (٩٨/١):

= وَإِنْ أَرَدْتَ أَنْ تُحَدَّ الْجَهْلُ سَهْلاً مِنْ بَعْدِ حَدِّ الْعِلْمِ كَانَ سَهْلاً

والسَّهُوُ : الذُّهُوْلُ عَنِ الْمَعْلُومِ .

مَسْأَلَةٌ [فِي الْحَسَنِ ، وَالْقَبِيحِ]

الْحَسَنُ : الْمَأْذُونُ وَاجِبًا ، وَمَنْدُوبًا ، وَمُبَاحًا ، قِيلَ : « وَفَعَلُ غَيْرِ الْمُكَلَّفِ » .

واستغنى بقوله : « انتفاء العلم » عن التقييد في قول غيره : « عدم العلم » عن « ما من شأنه العلم » ، لإخراج الجماد والبهيمة عن الاتصاف بالجهل ، لأن « انتفاء العلم » إنما يقال فيما من شأنه العلم ، بخلاف « عدم العلم » .

وخرج بقوله : « المقصود » ما لا يُقصد كاسفل الأرض وما فيه ، فلا يُسمى انتفاء العلم به جهلاً .

واستعمله « التَّصَوُّر » بمعنى مطلق « الإدراك » خلاف ما سبق^(١) صحيح وإن كان قليلاً .
ويقسم حينئذ إلى تصورٍ ساذجٍ أي لا حكمَ معه ، وإلى تصورٍ معه حكمٌ ، وهو التصديق .
(والسَّهُوُ : الذُّهُوْلُ) أي الغفلة (عن المعلوم) الحاصل ، فيتنبه له بأدنى تنبيه ؛
بخلاف النسيان : فهو زوال المعلوم فيستأنف تحصيله .

(مَسْأَلَةٌ [فِي الْحَسَنِ وَالْقَبِيحِ])

الحسنُ : فعلُ المكلفِ (المأذونُ) فيه : (واجبًا ، ومندوبًا ، ومباحًا) . الواوُ للتقسيم ، والمنصوباتُ أحوالٌ لازمةٌ للمأذون . أتى بها لبيان أقسام الحسن .
(قيل : « وفعلُ غير المكلف ») أيضاً كالصبي ، والساهي ، والنائم ، والبهيمة نظراً إلى أن الحسن ما لم يُنه عنه^(٢) .

= وَهُوَ انْتِفَاءُ الْعِلْمِ بِالْمَقْصُودِ فَاخْتَفَظَ فَهَذَا أَوْجَزُ الْحُدُودِ
وَقِيلَ : بَلْ فِي تَحْدِيدِ مَا أَذْكَرُ مِنْ بَعْدِ هَذَا ، وَالْحُدُودُ تَكْثُرُ
تَصَوُّرُ الْعِلْمِ ، وَهَذَا جَزْؤُهُ وَجَزْؤُهُ الْآخَرُ يَأْتِي وَضْعُهُ
مُسْتَوْعِبًا عَلَى خِلَافِ هَيْئَتِهِ فَافْهَمْ فَهَذَا الْقَيْدُ مِنْ تَتَمُّهِ .

(١) انظر : « النظر ، والإدراك ، والتصور ، والتصديق » : ١ / ١٢٢ .

(٢) قاله الإمام في المحصول (١ / ١٠٨) ، والبيضاوي في المنهاج (١ / ٥٤) ، واختاره الولي العراقي في الغيث الهامع (١ / ٥٩) .

والقبيح: المنهي ولو بالعموم، فدخل خلاف الأولى. وقال إمام الحرمين: «ليس المكروه قبيحاً، ولا حسناً».

(والقبيح): فعل المكلف (المنهي) عنه (ولو) كان منهياً عنه (بالعموم) أي بعموم النهي المستفاد من أوامر الندب كما تقدّم^(١).

(فدخل) في القبيح (خلاف الأولى)^(٢) كما دخل فيه الحرام والمكروه^(٣).

(وقال إمام الحرمين: «ليس المكروه» أي بالمعنى الشامل لخلاف الأولى (قبيحاً) لأنه لا يُدّم عليه، (ولا حسناً) لأنه لا يُسوّغ الثناء عليه، بخلاف المباح، فإنه يُسوّغ الثناء عليه وإن لم يؤمر به^(٤)).

على أن بعضهم^(٥) جعله واسطة أيضاً نظراً إلى أن الحسن ما أمر بالثناء عليه كما تقدّم في «أن الحسن والقبيح بمعنى ترتب المدح والذم شرعي».

(١) في بيان «أقسام الحكم التكليفي»: ٩٥/١.

(٢) قال الولي العراقي في الغيث الهامع (٦٠/١). تبعاً للزركشي في التشنيف (١٠٠/١): «وفي إطلاق «القبيح» على «خلاف الأولى» نظر، ولم أره لغير المصنّف [يعني التاج السبكي هنا]، وغايته: أنه أخذ من إطلاقهم: «القبيح: المنهي عنه»، والأقرب أنهم أرادوا «النهي المخصوص». ولا يساعده قول ابن الحاجب تبعاً للغزالي وغيره: «إن المكروه يطلق على خلاف الأولى» لأنه لبيان إطلاق حمله الشرع، والكلام في حقبة «القبيح»!

والظاهر: أن المصنّف أخذ هذا من كلام الهندي، فإنه قال: القبيح عندنا ما نهى عنه. ونعني بما يكون تركه أولى، وهو القدر المشترك بين المحرم والمكروه. فإن جعل النهي حقيقة فيه فلا كلام، وإلا فاستعمله فيه بطريق التجوّز، فيدخل تحته المحرم والمكروه. انتهى.

(٣) اختلف العلماء في دخول المكروه في القبيح على مذهبين، أحدهما: نعم، قاله المصنّف، والشارح. ثانيهما: لا، قاله إمام الحرمين، والآمدي وشيخ الإسلام. (الإحكام: ٧٣/١، غاية الوصول: ٢١).

(٤) البرهان لإمام الحرمين: ٢١٥/١.

(٥) اختاره شيخ الإسلام في لبّ الأصول وشرحه (ص: ٢٣) تبعاً للمصنّف في رفع الحاجب (٤٥٢/١).

مَسْأَلَةٌ [جَائِزُ التَّرْكِ لَيْسَ بِوَاجِبٍ]

جَائِزُ التَّرْكِ لَيْسَ بِوَاجِبٍ . وقال أكثر الفقهاء: «يَجِبُ الصَّوْمُ عَلَى الْحَائِضِ، والمريض، والمسافر»، وقيل: «الْمُسَافِرِ دُونَهُمَا»،

مَسْأَلَةٌ [جَائِزُ التَّرْكِ لَيْسَ بِوَاجِبٍ]

جَائِزُ التَّرْكِ سواء كان جائز الفعل أيضاً أم مُمْتَنَعَهُ (لَيْسَ بِوَاجِبٍ)^(١) وإلاّ لكان مُمْتَنَعُ التَّرْكِ، وقد فُرِضَ جائِزُهُ^(٢).

(وقال أكثر الفقهاء^(٣): «يَجِبُ الصَّوْمُ عَلَى الْحَائِضِ وَالْمَرِيضِ وَالْمَسَافِرِ» لقوله تعالى ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾^(٤) وهؤلاء شاهدوه، وجوازُ التَّرْكِ لهم لعذرهم أي الحِيضُ الْمُنَاعِ مِنَ الْفَعْلِ أيضاً، والمرضى والسفر اللذين لا يَمْنَعَانِ مِنْهُ، ولأنّه يَجِبُ عَلَيْهِمُ الْقَضَاءُ بِقَدَرِ مَا فَاتَهُمْ، فكان المأتي به بدلاً عن الفائت).

وأجيب: بأنّ شهود الشهر موجب عند انتفاء العذر، لا مطلقاً، وبأن وجوب القضاء إنّما يتوقّف على سبب الوجوب، وهو هنا شهود الشهر، وقد تحقّق، لا على وجوب الأداء، وإلاّ لما وجب قضاء الظهر مثلاً على من نام جميع وقتها لعدم تحقّق وجوب الأداء في حقّه لغفلاته.

(وقيل): «يَجِبُ الصَّوْمُ عَلَى (الْمَسَافِرِ دُونَهُمَا) أي دون الحائض والمريض لقدرته المسافر عليه، وعجز الحائض عنه شرعاً والمريض حساً في الجملة»^(٥).

(١) قال الولي العراقي في الغيث الهامع (١/٦١) تبعاً للزركشي في التشنيف (١/١٠٠): «وكان ينبغي أن يزيد مُطْلَقاً» ليخرج الموسّع والمخير، فإنه يجوز تركهما في حالة، لا مطلقاً، ومع ذلك فهما واجبان. ويجاب عنه: أنّ «الواجب» عند الإطلاق يُصَرَّفُ إِلَى غَيْرِ «الموسّع» و«المخير»، فلا يُذَكَّرَانِ - أو أحدهما - إلاّ مقيّداً بما يَدُلُّ عليهما، فلا يَرَدَانِ عَلَى إِطْلَاقِ الْمُصَنِّفِ. والله تعالى أعلم.

(٢) غاية الوصول، ص: ٢٤، التشنيف: ١/١٠١.

(٣) تبع المصنف في عزوه لأكثر الفقهاء ابن بَرّهان كما نقل عنه الزركشي في البحر (١/٢٤٠) وإن قال شيخ الإسلام في النجوم اللوامع (١/٢٤٣): «لا سلف للمصنف في تعبيره بأكثر الفقهاء»، ولكن يؤيّدُه قول النووي في شرح مسلم (٤/٢٥٠): «أجمع المسلمون على أنّ الحائض والنفساء لا تجب عليهما الصلاة والصوم في الحال».

(٤) سورة البقرة، الآية: ١٨٥.

(٥) نقله السمعاني في القواطع عن أصحاب أبي حنيفة. (البحر: ١/٢٣٩).

وقال الإمام: « عليه أحد الشهرين ». والخُلْفُ لَفْظِيٌّ.

[المندوبُ مأمورٌ غيرُ مكلفٍ]

وفي كَوْنِ المندوبِ مأموراً به خلافَ . والأصحُّ ليسَ مكلفاً به، وكذا المُباحُ.

(وقال الإمام الرازي): «يجب (عليه) أي على المسافر دونهما (أحد الشهرين) الحاضر» ٤٧ أو آخر بعده، فأيُّهُما أتى به فقد أتى بالواجب كما في خصال كفارة اليمين»^(١).

(والخُلْفُ لفظي) أي راجعٌ إلى اللفظ دون المعنى، لأن ترك الصوم حالة العذر جائز اتفاقاً، والقضاء بعد زواله واجب اتفاقاً^(٢).

[المندوبُ مأمورٌ غيرُ مكلفٍ]

(وفي كون المندوبِ مأموراً به) أي مسمًى بذلك حقيقةً (خلاف)^(٣) مَبْنِيٌّ على أن «أ، م، ر» حقيقةً في الإيجاب كصيغة «افعل» فلا يُسمًى، ورجحه الإمام الرازي^(٤)، أو في «القدر المشترك بين الإيجاب والندب» أي طلب الفعل فيُسمًى، ورجحه الآمدي^(٥).

أما كونه مأموراً به بمعنى أنه متعلّق الأمر أي صيغة «افعل» فلا نزاع فيه سواء قلنا: «إنها

(١) المحصول للرازي: ٢٠٨/١.

(٢) قاله المصنف تبعاً للشيخ أبي إسحاق الشيرازي، واختاره شيخ الإسلام في غاية الوصول (ص: ٢٤).

ولكن قال الزركشي في التشنيف (١٠٢/١) تعقيباً للمصنف: «ولكن هل وجب القضاء بأمر جديد أو بالأمر الأول؟ هذا فائدته، ونقل ابن الرفعة: ظهور فائدته في وجوب التعرض للأداء والقضاء في النية».

وزاد عليه الولي العراقي في النيث الهامع (٦٢/١): «وقد تظهر فائدته فيما إذا حاضت المرأة بعد الطواف وقبل أن تصلي ركعتيه، هل تقضيها؟ وقد نقل النووي في «شرح المهذب» عن ابن القاص والجرجاني: أنها تقضيها. وأن الشيخ أبا علي أنكّره، وقال: «هو الصواب»، ولكنه جزم في «شرح مسلم» بمقالة ابن القاص والجرجاني، ونقلها عن الأصحاب».

(٣) اختلف العلماء في كون المندوبِ مأموراً به حقيقةً وعدمه على مذهبين: أحدهما: نعم، قاله الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة. ثانيهما: لا، قاله الكرخي وأبو بكر الرازي من الحنفية، وأبو الخطاب من الحنابلة، والشيخ أبو حامد من الشافعية. (فواتح الرحموت: ١٥٨/١، الإحكام للباقي: ٧٨/١، رفع الحاجب: ٥٥٧/١ تيسير الوصول، ص: ٩٠، شرح الكوكب: ٤٠٦/١).

(٤) المحصول للرازي: ٢٠٩/١.

(٥) الإحكام للآمدي: ١٠٤/١.

[التكليف]

ومن ثمَّ كان التكليف إلزاماً ما فيه كُلفُهُ، لا طلبُهُ خلافاً للقاضي.

مَجَازٌ في النذب»، أم «حقيقةً فيه كالإيجاب» خلافاً يأتي^(١).

(والأصح ليس) المندوب (مُكَلَّفٌ به^(٢))، وكذا المباح (أي الأصح ليس مُكَلَّفٌ به^(٣)).

[التكليف]

(ومن ثمَّ) أي من هنا، وهو أن المندوب ليس مُكَلَّفٌ به، أي من أجل ذلك (كان التكليف إلزاماً ما فيه كلفةً) من فعلٍ أو تركٍ، (لا طلبه) أي طلب ما فيه كلفةً على وجه الإلزام أولاً.

(خلافاً للقاضي) أبي بكر الباقلاني في قوله بالثاني، فعنده المندوب، والمكروه بالمعنى الشامل لخلاف الأولى مُكَلَّفٌ بهما كالواجب والحرام.

وزاد الأستاذ أبو إسحاق^(٤) الأسفراييني على ذلك «المباح»، فقال: «إنه مُكَلَّفٌ به من حيث وجوب اعتقاد إباحته» تنميماً للأقسام، وإلا فغيره مثله في وجوب الاعتقاد^(٥).

(١) الصحيح أنه حقيقة في الوجوب. انظر: «الأمر حقيقة في الوجوب» ٢٧٣/١.

(٢) اختلف العلماء في كون المندوب مُكَلَّفٌ به على مذهبين:

أحدهما: لا، قاله الحنفية والشافعية وغيرهم.

ثانيهما: نعم، قاله الحنابلة وبعض أصحابنا كالأستاذ أبي إسحاق.

(الفواتح: ١٥٩/١، والإحكام: ١٠٥/١، تيسير الوصول، ص: ٩٠، شرح الكوكب: ٤٠٥/١).

(٣) وبه قال الجماهير، خلافاً للأستاذ أبي إسحاق في قوله: أنه مُكَلَّفٌ به. (الإحكام: ١٠٩/١).

(٤) والأسفراييني: هو إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الأسفراييني الخراساني الشافعي، أبو إسحاق، الفقيه الأصولي المحدث، من مجتهدي المذهب، كان جامعاً لشروط الاجتهاد، ومجتهداً في العبادة، مبالغاً في الورع، تخرَّج به عامة أهل نيسابور، ألَّف كتباً نفيسة منها: الجامع في أصول الدين، توفي رحمه الله تعالى سنة ٤١٨ هـ بنيسابور، ثم نُقل إلى إسفراين، ودُفن بها.

(الفتح المبين: ٢٤٠/١)

(٥) أي أن الخلاف لفظي، لأن النافي يقول: التكليف إنما يكون بطلب ما فيه كلفةً، ولا كلفةً في المباح لكونه مخيراً بين الفعل والترك، والمثبت إنما يقول بوجوب اعتقاد كونه مباحاً، لا بالنسبة إلى أصل الفعل، والوجوب من خطاب التكليف فما التقيا على محل واحد. (الإحكام: ١٠٩/١).

[المباح ليس بجنسٍ للواجب]

وَالْأَصَحُّ أَنَّ الْمُبَاحَ لَيْسَ بِجِنْسٍ لِلوَاجِبِ .

[المباح غيرُ مأمورٍ به]

وَأَنَّهُ غَيْرُ مَأْمُورٍ بِهِ مِنْ حَيْثُ هُوَ ؛ وَالْخُلْفُ لَفْظِيٌّ .

[المباح ليس جنساً للواجب]

٤٨

(والأصح أن المباح ليس بجنسٍ للواجب)^(١) .

وقيل : «إنه جنسٌ له لأنهما مأذونٌ في فعلهما ، واختصَّ الواجبُ بفصل المنع من الترك»^(٢) .

قلنا : واختصَّ المباحُ أيضاً بفصل الإذن في الترك على السواء .

فلا خلاف في المعنى ، إذ المباح بالمعنى الأول أي المأذون فيه جنسٌ للواجب اتفاقاً ، وبالمعنى الثاني أي المخير فيه وهو المشهور غير جنسٍ له اتفاقاً .

[المباح غيرُ مأمورٍ به]

(و) الأصحُّ (أنه) أي المباح (غير مأمورٍ به من حيث هو) فليس بواجبٍ ، ولا مندوبٍ^(٣) .

وقال الكعبي^(٤) : «إنه مأمورٌ به ، أي واجبٌ ، إذ ما من مباحٍ إلا ويتحقق به تركٌ حرامٍ ما ، فيتحقق بالسكوت تركُ القذف ، وبالسكون تركُ القتل ، وما يتحقق بالشئ لا يتم إلا به ، وتركُ الحرام واجبٌ ، وما لا يتم الواجبُ إلا به فهو واجبٌ كما سيأتي»^(٥) ، فالمباح واجبٌ ، ويأتي ذلك في غيره كالمكروه» .

(١) قاله الجماهير من الأئمة الأربعة وغيرهم . (تيسير التحرير : ٢/٢٢٧ ، الإحكام : ١/١٠٨ ، شرح الكوكب : ١/٤٢٢ ، رفع الحاجب : ٢/١٠ ، البحر : ١/٢٧٩) .

(٢) قاله بعض الأصوليين . (الإحكام : ١/١٠٨ ، فوائح الرحموت : ١/١٦٠ ، التشنيف : ١/١٠٤) .

(٣) قال السيف الأمدي في الإحكام (١/١٠٧) : «اتفق الفقهاء والأصوليون قاطبةً على أن المباح غيرُ مأمورٍ به ، خلافاً للكعبي وأتباعه من المعتزلة في قولهم : إنه لا مباح في الشرع» .

(٤) والكعبي : هو عبد الله بن أحمد بن محمود أبو القاسم الكعبي البلخي ، المعتزلي ، رأسُ المعتزلة الكعبية ، له آراءٌ في الأصول خالف فيها جميعُ الفقهاء والأصوليين ، توفي سنة ٣١٩ هـ .

(الفتح المبين : ١/١٨١) .

(٥) انظر : مسألة : ما لا يتم الواجبُ إلا به واجبٌ : ١/١٤٧ .

[الإباحة حكم شرعي]

وَأَنَّ الْإِبَاحَةَ حُكْمٌ شَرْعِيٌّ.

[إِذَا نُسِخَ الْوُجُوبُ بَقِيَ الْجَوَازُ]

وَأَنَّ الْوُجُوبَ إِذَا نُسِخَ بَقِيَ الْجَوَازُ أَيَّ عَدَمِ الْحَرَجِ؛

(والخلف لفظي) أي راجع إلى اللفظ دون المعنى، فإنَّ الكعبي قد صرَّحَ بما يؤخذ من دليله من أنه غير مأمور به من حيث ذاته، فلم يُخالف غيره، ومن أنه مأمور به من حيث ما عَرَضَ له مِنْ تَحَقُّقِ تَرْكِ الحرام به، وغيره لا يُخالفه في ذلك، كما أشار إليه المصنف بقوله: «من حيث هو».

[الإباحة حكم شرعي]

(و) الأصح (أن الإباحة حكم شرعي)^(١)، إذ هي التخيير بين الفعل والترك، المتوقف وجوده كغيره من الحكم على الشرع كما تقدَّم^(٢).

وقال بعض المعتزلة: «لا، إذ هي انتفاء الحرج عن الفعل والترك، وهو ثابت قبل ورود الشرع، مستمِرٌّ بعده»^(٣).

[إِذَا نُسِخَ الْوُجُوبُ بَقِيَ الْجَوَازُ]

(و) الأصح (أن الوجوب) لشيء (إذا نُسِخ) كأن قال الشارع: «نسخت وجوبه» (بقي الجواز) له، الذي كان في ضِمْنِ وجوبه من الإذن في الفعل بما يَقُومُ من الإذن في الترك الذي حَلَفَ المنع منه، إذ لا قوَامَ للجنس بدون فصل، ولإرادة ذلك قال: (أي عَدَمُ الحرج)^(٤) يعني

(١) قال السيف الأمدى رحمه الله في الإحكام (١/١٠٥): «اتفق المسلمون على أن الإباحة من الأحكام الشرعية، خلافاً لبعض المعتزلة في قوله: إنه ليس منه».

(٢) انظر: «أقسام الحكم التكليفي»: ٨٦/١.

(٣) والخلف لفظي أي يلتفت إلى تفسير المباح هل هو نفْيُ الحرج كما قال المعتزلة، وهو ثابت قبل الشرع، ومستمِرٌّ بعده، أو هو الإعلامُ بنفي الحرج كما قال أهل السنة، وهو ثابت بالشرع مُتَتَّبِعٌ قبله، فلهذا اُخْرَ شيخ الإسلام في لبِّ الأصول (ص: ٩٠) قوله «والخلف لفظي» عن هذا ليعود للصور الثلاث.

(التشنيف: ١/١٠٥، شرح الكوكب المنير: ١/٤٣٠، غاية الوصول، ص: ٢٤).

(٤) قاله الشافعية والحنابلة. (المحصول: ٢/٢٠٣، نهاية السؤل: ١/١١٥، شرح الكوكب: ١/٤٣٠).

وقيل : «الإباحة» ؛ وقيل : «الاستحباب».

مسألة : [الواجب المخير]

الأمرُ بِوَاحِدٍ مِنْ أَشْيَاءٍ يُوجِبُ وَاحِدًا لَا يَعْينُهُ ؛ وقيل : «الكل» ،

في الفعلِ والتركِ مِنَ الإباحةِ ، أو الندبِ ، أو الكراهةِ بالمعنى الشاملِ لِخلافِ الأولى ، إذ لا دليلَ على تعيين أحدهما .

(وقيل) : « الجوازُ الباقي بمقومه (الإباحة) ، إذ بارتفاعِ الوجوبِ ينتفي الطلبُ فيثبت التخييرُ »^(١) .

(وقيل) : «هو (الاستحباب) ، إذ المتحققُ بارتفاعِ الوجوبِ انتفاءُ الطلبِ الجازمِ ، فيثبت غيرُ الجازمِ »^(٢) .

وقال الغزالي^(٣) : «لا يَبْقَى الجوازُ لأنَّ نسَخَ الوجوبِ يجعلُهُ كأنَّ لم يَكُنْ ، وَيَرْجِعُ الأمرُ إلى ما كان قبلَهُ من تحريمٍ أو إباحةٍ» .

أي لِكُونِ الفعلِ مضرَّةً أو منفعةً كما سيأتي في «الكتاب الخامس»^(٤) .

مسألة : [الواجب المخير]

الأمرُ بِوَاحِدٍ مُبْهِمٍ (من أَشْيَاءٍ مُعَيَّنَةٍ كما في كفارة اليمين ، فإنَّ في آيتها^(٥) الأمرَ بذلكَ تقديرًا (يُوجِبُ واحدًا) منها (لا بَعْينَهُ) ، وهو القدرُ المشتركُ بينها في ضَمَنِ أيُّ مُعَيَّنٍ منها ، لأنه المأمورُ بِهِ^(٦) .

(وقيل) : «يُوجِبُ» (الكلُّ) ، فيثابُ بفعلها ثوابُ فعلٍ واجباتٍ ، ويُعاقبُ بتركها عقابُ تركِ

(١) قاله ابنُ بدران الدمشقي . (المدخل إلى مذهب الإمام أحمد ، ص : ٦٥) .

(٢) قاله بعضُ الحنابلة كابن حمدان ، وابن عقيل ، وأبي الخطاب . (شرح الكوكب : ١/٤٣١) .

(٣) وبه قال الحنفية ومتقدمو أصحابنا . (فواتح الرحموت : ١/١٤٧ ، المستصفى : ١/١٨٩) .

(٤) انظر : «مسألة : أصل المنافع والمضار» ٣٠١/٢ .

(٥) وهو قوله تعالى في سورة المائدة (الآية : ٨٩) ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِالْفِئَةِ إِيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَرْتُمْ بِهِ إِطْعَامَ عَشْرَةِ مَسْكِينٍ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كَسْوَتَهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ إِيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ﴾ .

(٦) قاله الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة . (فواتح الرحموت : ١/٩٤ ، شرح التنقيح ، ص : ١٥٢ ، شرح الكوكب : ١/٣٨٠ ، التننيف : ١/١٠٧ ، الإحكام : ١/٨٨) .

وَيَسْقُطُ بِوَاحِدٍ؛ وَقِيلَ: «الوَاجِبُ مُعَيَّنٌ، فَإِنْ فَعَلَ غَيْرَهُ سَقَطَ»؛ وَقِيلَ: «هُوَ مَا يَخْتَارُهُ الْمُكَلَّفُ».

واجبات. (ويسقط) الكلُّ الواجبُ (بواحد) منها، حيث اقتصرَ عليه، لأنَّ الأمرَ تعلقَ بكلِّ منها بخصوصه على وجه الاكتفاء بواحدٍ منها^(١).

قلنا: إن سُلِمَ ذلك لا يلزم منه وجوبُ الكلِّ المرتبِ عليه ما ذكر.

(وقيل: «الواجبُ» في ذلك واحدٌ منها (مُعَيَّنٌ) عند الله تعالى، إذ يجب أن يَعْلَمَ الأمرُ المأمورَ به، لأنَّ طالبه ويستحيلُ طلبُ المجهولِ. (فإنَّ فَعَلَ) المكلفُ المعَيَّنَ فذلك، وإنَّ فَعَلَ (غيره) منها (سَقَطَ) الواجبُ بفعلِ ذلك الغير، لأنَّ الأمرَ في الظاهرِ بغيرِ مُعَيَّنٍ^(٢).

قلنا: لا يلزم من وجوبِ علمِ الأمرِ المأمورَ به، أن يكونَ مُعَيَّنًا عنده، بل يكفي في علمه به أن يكونَ متميِّزاً عنده عن غيره، وذلك حاصلٌ على قولنا لتميِّزِ أحدِ المعيناتِ المبهمِ عن غيره من حيث تَعَيُّنُها.

(وقيل: «هو») أي الواجب في ذلك (ما يَخْتَارُهُ المكلفُ) للفعلِ مِنْ أيِّ واحدٍ منها، بأنَّ يَفْعَلَهُ دُونَ غَيْرِهِ وإن اختلف باختلافِ اختيارِ المكلفين، للاتفاقِ على الخروجِ عن عهدةِ الواجبِ بأيِّ منها يَفْعَلُ^(٣).

قلنا: الخروجُ به عن عهدةِ الواجبِ لكونه أحدها، لا لخصوصه للقطع باستواءِ المكلفين في الواجبِ عليهم.

والأقوال غير الأول للمعتزلة، وهي متَّفِقَةٌ على نفي إيجابِ واحدٍ لا بعينه، كنفيتهم تحريمَ واحدٍ لا بعينه كما سيأتي^(٤)، لِمَا قالوا من «أنَّ تحريمَ الشيء أو إيجابه لِمَا في فعله أو تركه من المفسدة، التي يُدْرِكُهَا العقلُ، وإنَّما يُدْرِكُهَا في المُعَيَّنِ».

وتُعرَفُ المسألةُ على جَمِيعِ الأقوال بـ «الواجبِ المُخَيَّرِ»^(٥) لتخييرِ المُكَلَّفِ في الخروجِ عن

(١) قاله أبو هاشم وابنه من المعتزلة. (الإحكام: ٨٨/١).

(٢) هذا القول يُسمَّى بـ «قَوْلِ التراجُم» لأنَّ الأشاعرةَ ترويه عن المعتزلة، والمعتزلة عن الأشاعرة، واتفق الفريقان على فساده، لذا قال والدُّ المصنف: لم يُقَلَّ به أحدٌ. (التشنيف: ١٠٧/١، الغيث الهامع: ٦٩/١).

(٣) قاله أبو الحسين البصري من المعتزلة. (المعتمد: ٨٤/١).

(٤) انظر: «المحرَّمُ المُخَيَّرُ»: ١٣٨/١.

(٥) موضع «الواجبِ المُخَيَّرِ» إذا كان ثابتاً بالنصِّ في أصلي المشروعية، وأما ما شرع من غير تنصيصٍ على التخييرِ كتخييرِ المستنحي بين الماء والحجر، وتخييرِ الحاج بين الأفراد والقرانِ والتمتُّع، ونحوها فلا يدخلُ في «الواجبِ المُخَيَّرِ». (التشنيف: ١٠٨/١).

فَإِنْ فَعَلَ الْكُلَّ فَقِيلَ: «الْوَجِبُ أَعْلَاهَا»؛ وَإِنْ تَرَكَهَا فَقِيلَ: «يُعَاقَبُ عَلَى أَذْنَاهَا».

عهدة «الواجب» بأي من الأشياء يفعلها وإن لم يكن من حيث خصوصه واجباً عندنا^(١).

(فإن فعل) المكلف على قولنا (الكل) وفيها أعلى ثواباً وعقاباً وأدنى كذلك،^(٥١) (ف قيل: «الواجب») أي المثار عليه ثواب الواجب الذي هو كثواب سبعين مندوباً أخذاً من حديث^(٢) رواه ابن خزيمة والبيهقي في «شعب الإيمان» (أعلاها) ثواباً، لأنه لو اقتصر عليه لأثيب عليه ثواب الواجب، فضم غيره إليه معاً أو مرتباً لا ينقصه عن ذلك^(٣).
(وإن تركها) بأن لم يأت بواحد منها (ف قيل: «يُعاقب على أذناها») عقاباً إن عوقب لأنه لو فعله فقط لم يُعاقب^(٤).

فإن تساوت فتوابع الواجب والعقاب على واحد منها فُعلت معاً أو مرتباً.
وقيل: «في المرتب الواجب ثواباً وأولها تفاوتت أو تساوت لتأدي الواجب به قبل غيره، ويثاب ثواب المندوب على كل من غير ما ذكر لثواب الواجب».
وهذا كله مبني - كما ترى - على أن محل ثواب الواجب والعقاب أحدها من حيث خصوصه الذي يقع نظراً لتأدي الواجب به.
والتحقيق المأخوذ مما تقدم أنه أحدها من حيث إنه أحدها، لا من حيث ذلك

(١) فيه إشارة إلى أن الخلاف لفظي وبه قال المحققون كإمام الحرمين، والرازي لأن الفريقين متفقان على عدم وجوب الإتيان بالكل، بل عليه أن يأتي بأي واحد منها. (التشنيف: ١/١٠٨).

(٢) عن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال: «خطبنا رسول الله ﷺ في آخر يوم من شعبان، فقال: يا أيها الناس، قد أظلكم شهر عظيم،... من تقرب فيه بخصلة من خصال الخير كان كمن أدى فريضة فيما سواه، ومن أدى فيه فريضة كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه،...». رواه ابن خزيمة في الصوم، باب فضائل شهر رمضان إن صح الخبر (١٨٨٧). قال الحافظ في التلخيص (٣/٢٥٦): «حديث ضعيف».

(٣) اتفق العلماء على أن المكلف إن فعل أفراد الواجب المخير مرتباً أن الواجب أولها، واختلفوا في الواجب منها إن فعلها معاً:

فقال المالكية والشافعية والحنابلة: الواجب أعلاها؛ وقال جمهور من الشافعية: الواجب واحد غير معين، وجزم به الشيرازي. (الإحكام للباجي: ١/١٠١، القواطع: ١/٩٧، التشنيف: ١/١٠٩، شرح الكوكب: ١/٣٨٣، اللمع، ص: ١٧، تيسير الوصول، ص: ٩١).

(٤) قاله المالكية والشافعية والحنابلة. (الإحكام للباجي: ١/١٠١، تيسير الوصول، ص: ٩١، شرح الكوكب: ١/٣٨٤).

[المحرّم المخير]

وَيَجُوزُ تَحْرِيمُ وَاحِدٍ لَا بِعَيْنِهِ، خِلَافًا لِلْمُعْتَزِلَةِ. وَهِيَ كـ «المخير»

الخصوص، وإلا لكان من تلك الحيثية واجباً حتى إن الواجب ثواباً في المرتب أولها من حيث أحدها، لا من حيث خصوصه .

وكذا يقال في كل من الزائد على ما يتأدى به الواجب منها: «إنه يُثَابُّ عليه ثواب المندوب من حيث إنه أحدها، لا من حيث خصوصه».

[المحرّم المخير]

(وَيَجُوزُ تَحْرِيمُ وَاحِدٍ لَا بِعَيْنِهِ)^(١) من أشياء معينة، وهو القدر المشترك بينها في ضمن أي معين منها، فعلى المكلف تركه في أي معين منها، وله فعله في غيره، إذا لا مانع من ذلك .

٥٢

(خِلَافًا لِلْمُعْتَزِلَةِ) في منوعهم ذلك كمنعهم إيجاب واحد لا بعينه لما تقدّم عنهما .

(وهي كـ «المخير») أي والمسألة كمسألة «الواجب المخير» فيما تقدّم، فيقال على

قياسه:

«النهي عن واحدٍ مُبْهِمٍ من أشياء معينة نحو» لا تتناول السمك، أو اللبن، أو البيض «يُحْرَمُ واحداً منها لا بعينه بالمعنى السابق».

وقيل: «يُحْرَمُ جميعها، فيعاقب بفعلها عقاب فعل محرمات، وثواب بتركها امتثالاً لثواب ترك محرمات، ويسقط تركها الواجب بترك واحد منها».

وقيل: «المُحْرَمُ في ذلك واحدٌ منها معين عند الله تعالى، ويسقط تركه الواجب بتركه، أو ترك غيره منها»^(٢) .

وقيل: «المُحْرَمُ في ذلك ما يختاره المكلف للترك منها، بأن يتركه دون غيره وإن اختلف باختلاف اختيار المكلفين».

وعلى الأول إن تركت كلها امتثالاً، أو فعلت وهي متساوية، أو بعضها أخف عقاباً وثواباً فقيل: «ثواب الواجب والعقاب في المتساوية على ترك أو فعل واحد منها، وفي متفاوتة على

(١) قاله أهل السنة. (الإحكام: ٩٩/١، شرح الكوكب: ٣٨٩/١).

(٢) هذا قوله: «التراجم» أي ترويه الأشاعرة عن المعتزلة، والمعتزلة عن الأشاعرة، واتفق الفريقان على فساده، فلا قائل به. (التشنيف: ١٠٧/١، الغيث الهامع: ٦٩/١) .

وَقِيلَ: «لَمْ تَرُدَّ بِهِ اللَّغَةَ» .

مسألة: [فَرْضُ الْكِفَايَةِ]

فَرْضُ الْكِفَايَةِ: مُهِمُّ يُقْصَدُ حُصُولُهُ مِنْ غَيْرِ نَظَرٍ بِالذَّاتِ إِلَى فَاعِلِهِ .

ترك أشدها وفعل أخفها سواء فعلت معاً أو مرتباً.

وقيل: «العقاب في المرتب على آخرها تفاوتت أو تساوت لارتكاب الحرام به، وثاب ثواب المندوب على ترك كل من غير ما ذكر تركه لثواب الواجب».

والتحقيق: أن ثواب الواجب والعقاب على ترك أو فعل أحدها من حيث إنه أحدها حتى

إن العقاب في المرتب على آخرها من حيث إنه أحدها، وثاب ثواب المندوب على ترك كل من ٥٣ غير ما يتأدى بتركه الواجب منها من حيث إنه أحدها.

(وقيل) زيادة على ما في «المخير» من طرف المعتزلة: (لم ترد به) أي بتحريم ما ذكر (اللغة) حيث لم ترد بطريقه من النهي عن واحد مبهم من أشياء معينة كما وردت بالأمر بواحد مبهم من أشياء معينة، وقوله تعالى ﴿وَلَا تَطْعَمْنَهُمْ إِنَّمَا آؤُكُمْ﴾ ^(١) نهى عن طاعتهما إجماعاً ^(٢).

قلنا: الإجماع لمُستنده صرّفه عن ظاهره .

مسألة: [فَرْضُ الْكِفَايَةِ]

فَرْضُ الْكِفَايَةِ المنقسم إليه وإلى فرض العين المطلق الفرض ^(٣) المتقدم ^(٤) حذّه: (مهم) يقصد حصوله من غير نظر بالذات إلى فاعله) أي يقصد حصوله في الجملة، فلا يُنظر إلى فاعله إلا بالتبع للفعل ضرورة أنه لا يحصل بدون فاعل.

(١) سورة الإنسان، الآية: ٢٤.

(٢) قال السيف الأمدى رحمه الله تعالى في الإحكام (٩٩/١): «مقتضى الآية إنما هو التخيير، وتحريم أحد الأمرين لا بعينه، والجمع في التحريم إنما كان مستفاداً من دليل آخر. ويجب أن يكون كذلك جمعاً بين الأدلة».

(٣) فرض الكفاية لا يباين فرض العين خلافاً للمعتزلة، بل بالنوع، لأن كلا منهما لا بُد من وقوعه غير أن الأول يطلب حصوله بالذات من كل واحد، والثاني يطلب حصوله في الجملة، فيأثم الجميع بتركه، فالوجوب صادق عليهما بالتواطؤ، لا بالاشتراك اللفظي. (البحر المحيط: ٢٤٢/١).

(٤) انظر: «أقسام الحكم التكليفي» ٩٤/١.

وَزَعَمَهُ الْأَسْتَاذُ وَإِمَامُ الْحَرَمَيْنِ وَأَبُوهُ أَفْضَلَ مِنَ الْعَيْنِ .

فَتَنَاولَ مَا هُوَ دِينِيَّ كَصَلَاةِ الْجَنَازَةِ وَالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ، وَدُنْيَوِيَّ كَالْحِرْفِ وَالصَّنَائِعِ.
وَخَرَجَ فَرَضُ الْعَيْنِ، فَإِنَّهُ مَنظُورٌ بِالذَّاتِ إِلَى فَاعِلِهِ حَيْثُ قُصِدَ حَصُولُهُ مِنْ كُلِّ عَيْنٍ أَيْ
وَاحِدٍ مِنَ الْمُكَلَّفِينَ، أَوْ مِنْ عَيْنٍ مَخْصُوصَةٍ كَالنَّبِيِّ ﷺ فِيمَا فُرِضَ عَلَيْهِ، دُونَ أُمَّتِهِ^(١).
وَلَمْ يُقَيَّدْ قَصْدُ الْحَصُولِ بِـ «الْجَزْمِ» احْتِرَازاً عَنْ «السَّنَةِ»، لِأَنَّ الْغَرَضَ تَمْيِيزُ «فَرَضِ
الْكَفَايَةِ» عَنْ «فَرَضِ الْعَيْنِ»، وَذَلِكَ حَاصِلٌ بِمَا ذَكَرَ.

(وَزَعَمَهُ) أَيْ فَرَضَ الْكَفَايَةَ (الْأَسْتَاذُ) أَبُو إِسْحَاقَ الْأُسْفَرَايِينِي^(٢)، (وَإِمَامُ الْحَرَمَيْنِ)^(٣)،
وَأَبُوهُ الشَّيْخُ أَبُو مُحَمَّدٍ الْجَوِينِي^(٤) (أَفْضَلَ مِنْ) فَرَضِ (الْعَيْنِ)^(٥)، لِأَنَّهُ يُصَانُ بِقِيَامِ الْبَعْضِ بِهِ
الْكَافِي فِي الْخُرُوجِ عَنْ عَهْدِيَّتِهِ جَمِيعُ الْمُكَلَّفِينَ عَنِ الْإِثْمِ الْمُرْتَبِّ عَلَى تَرْكِهِمْ لَهُ، وَفَرَضُ الْعَيْنِ
إِنَّمَا يُصَانُ بِالْقِيَامِ بِهِ عَنِ الْإِثْمِ الْقَائِمِ بِهِ فَقَطْ.

وَالْمَتَبَادُرُ إِلَى الْأَذْهَانِ وَإِنْ لَمْ يَتَعَرَّضُوا لَهُ^(٦) فِيمَا عَلِمْتُ: أَنَّ فَرَضَ الْعَيْنِ أَفْضَلُ لَشِدَّةِ
اعْتِنَاءِ الشَّارِعِ بِهِ بِقَصْدِ حَصُولِهِ مِنْ كُلِّ مُكَلَّفٍ فِي الْأَغْلَبِ،

(١) كَصَلَاةِ الضُّحَى، وَقِيَامِ اللَّيْلِ، وَالْأَضْحَى الْوَاجِبَةِ عَلَيْهِ ﷺ، دُونَ أُمَّتِهِ. (نَهَايَةُ السُّؤَالِ: ١/ ٩٩).

(٢) قَالَ الزُّرْكَشِيُّ فِي الْبَحْرِ (١/ ٢٥١): «حَكَاهُ الْأَسْتَاذُ أَبُو إِسْحَاقَ الْأُسْفَرَايِينِي فِي «شرح كتاب الترتيب»
وَجَزَمَ بِهِ الشَّيْخُ أَبُو مُحَمَّدٍ الْجَوِينِي فِي كِتَابِهِ «المحيط بمذهب الشافعي»، وَكَذَلِكَ وَلَهُ إِمَامُ الْحَرَمَيْنِ
فِي كِتَابِهِ «الغياثي». وَهُوَ ظَاهِرٌ عَلَى الْقَوْلِ بِوَجُوبِ الْكَفَايَةِ عَلَى الْبَعْضِ».

(٣) الْغِيَاثِيُّ لِإِمَامِ الْحَرَمَيْنِ، ص: ٣٥٨.

(٤) وَالْجَوِينِيُّ: هُوَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يَوْسُفَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْجَوِينِيُّ الشَّافِعِيُّ، لَازَمَ الْقَفَالَ حَتَّى بَرَعَ فَقْهًا وَخِلَافًا،
كَانَ إِمَامًا فِي التَّفْسِيرِ وَالْفَقْهِ وَالْأَدَبِ، مُجْتَهِدًا فِي الْعِبَادَةِ، وَرِعًا مَهْيَبًا، حَتَّى قِيلَ: لَوْ جَازَ أَنْ يُبْعَثَ
نَبِيٌّ فِي عَصْرِهِ لَكَانَ هُوَ، صَنَّفَ كِتَابًا مُفِيدًا فِي التَّفْسِيرِ وَالْفَقْهِ مِنْهَا: الْفُرُوقُ، وَالسَّلْسَلَةُ، وَالتَّبَصُّرَةُ،
تُوفِيَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى سَنَةَ ٤٣٨ هـ بَنِيْسَابُور. (الطَبَقَاتُ لِلْإِسْنَوِيِّ: ١/ ١٦٥).

(٥) اخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي فَرَضِ الْعَيْنِ وَالْكَفَايَةِ أَيُّهُمَا أَفْضَلُ عَلَى مَذْهَبَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: فَرَضُ الْعَيْنِ أَفْضَلُ، قَالَهُ الشَّافِعِيُّ وَالْحَنَابِلَةُ وَغَيْرُهُمْ.

ثَانِيَهُمَا: فَرَضُ الْعَيْنِ أَفْضَلُ، قَالَهُ بَعْضُ الشَّافِعِيَّةِ. (غَايَةُ الْوَصُولِ، ص: ٢٧، الْغِيَاثِيُّ لِإِمَامِ
الْحَرَمَيْنِ، ص: ٣٥٨، التَّشْنِيفُ: ١/ ١١٢، شرح الكوكب: ١/ ٣٧٧).

(٦) أَيْ صَرِيحًا، وَإِلَّا تَعَرَّضُوا لَهُ ضَمْنًا كَقَوْلِ أَثْمَنَةَ تَبَعًا لِإِمَامِ الْأَثْمَةِ الشَّافِعِيِّ: «إِنْ قَطَعَ طَوَافُ الْفَرَضِ
لَصَلَاةِ الْجَنَازَةِ مَكْرُوهٌ، لِأَنَّهُ لَا يَحْسُنُ تَرْكُ فَرَضِ الْعَيْنِ لِفَرَضِ الْكَفَايَةِ».
(النَّجْمُ اللَّوَامِعُ لَزُكْرِيَا الْأَنْصَارِيِّ: ١/ ٢٦٢).

[فَرْضُ الكَفَايَةِ عَلَى الْكُلِّ]

وهو على البعضِ وفاقاً للإمام، لا الكلُّ، خلافاً للشيخ الإمام والجمهور.
والمُختارُ البعضُ مُبْهَمٌ؛ وقيل: «مُعَيَّنٌ عند الله تعالى»؛ وقيل: «مَنْ قام به».

ولمعارضة هذا دليلَ الأول أشار المصنّف إلى النظر فيه بقوله: «رَوَّعَهُ» وإن أشار - كما قال^(١) - إلى تقويته بعزوه إلى قائله الأئمة المذكورين المفيد أن للإمام^(٢) سلفاً عظيماً فيه، فإنه المشهور عنه فقط، كما اقتصر على عزوه إليه النووي^(٣) والأكثر.

[فَرْضُ الكَفَايَةِ عَلَى الْكُلِّ]

(وهو) أي فرضُ الكفاية (على البعضِ وفاقاً للإمام) الرازي للاكتفاء بحصوله من البعض، (لا) على (الكلِّ). خلافاً للشيخ الإمام) والد المصنف، (والجمهور) في قولهم: «إنه على الكل، لإثمهم بتركه، ويسقط بفعل البعض»^(٤).

وأجيب: بأن إثمهم بالترك لتفويتهم ما قصد حصوله من جهتهم في الجملة، لا للوجوب عليهم.
قال المصنف^(٥): «ويدلُّ لما اخترناه قوله تعالى ﴿وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾»^(٦).

وذكر والدّه مع الجمهور مقدماً عليهم، قال^(٧): «تقوية لهم، فإنه أهل لذلك».

(والمختارُ) على الأول (البعضُ مُبْهَمٌ)، إذ لا دليلَ على أنه معيَّن فَمَنْ قامَ به سقط

(١) أي المصنف في منع الموانع (ص: ٤٦٤).

(٢) أي لإمام الحرمين: وفي قول الشارح: «للإمام» تجاوز، لأن المشهور في كتب المتأخرين الأصولية: أن «الإمام» عند الإطلاق يراد به الإمام الرازي، وفي كتب المتقدمين وكذا في كتب الفقه يراد به إمام الحرمين.

(٣) روضة الطالبين للنووي: ٢٦٦/١٠.

(٤) اختلف العلماء في تعلّق فرض الكفاية بالكلِّ أم بالبعض على مذهبين: أحدهما: يتعلّق بالكلِّ، قاله الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة؛ ثانيهما: يتعلّق بالبعض، قاله الإمام، واختاره البيضاوي والمصنف. (تيسير التحرير: ٢/٢١٣، شرح التنقيح، ص: ١٥٥، مختصر ابن الحاجب: ١/٢٣٤، رفع الحاجب: ١/٤٩٩، غاية الوصول، ص: ٢٧، نهاية السؤل: ١/١٠١، شرح الكوكب: ١/٣٧٥).

(٥) أي التاج السبكي في منع الموانع (ص: ٤٦٦).

(٦) سورة آل عمران، الآية: ١٠٤.

(٧) أي قاله المصنف في رفع الحاجب: ١/٥٠١.

[تَعَيَّنُ فَرَضُ الْكُفَايَةِ بِالشَّرْعِ]

وَيَتَعَيَّنُ بِالشَّرْعِ عَلَى الْأَصَحِّ.

الفرض بفعله^(١). (وقيل): «الْبَعْضُ (مَعَيَّنٌ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى)، يَسْقُطُ الْفَرَضُ بِفَعْلِهِ وَبِفَعْلٍ غَيْرِهِ، كَمَا يَسْقُطُ الدَّيْنُ عَنِ الشَّخْصِ بِأَدَاءِ غَيْرِهِ عَنْهُ».

(وقيل): «الْبَعْضُ (مَنْ قَامَ بِهِ) لِسَقُوطِهِ بِفَعْلِهِ».

ثُمَّ مَدَّارُهُ عَلَى الظَّنِّ، فَعَلَى قَوْلِ «الْبَعْضِ» مَنْ ظَنَّ: أَنَّ غَيْرَهُ لَمْ يَفْعَلْ، وَجَبَ عَلَيْهِ، وَمَنْ لَا، فَلَا؛ وَعَلَى قَوْلِ «الْكُلِّ» مَنْ ظَنَّ أَنَّ غَيْرَهُ فَعَلَهُ سَقَطَ عَنْهُ، وَمَنْ لَا، فَلَا.

٥٥

[تَعَيَّنُ فَرَضُ الْكُفَايَةِ بِالشَّرْعِ]

(وَيَتَعَيَّنُ) فَرَضُ الْكُفَايَةِ (بِالشَّرْعِ) فِيهِ، أَيْ يَصِيرُ بِذَلِكَ فَرَضٌ عَيْنٌ، يَعْنِي مِثْلَهُ فِي وَجُوبِ الْإِثْمَامِ (عَلَى الْأَصَحِّ) بِجَامِعِ الْفَرْضِيَّةِ^(٢).

وَقِيلَ: «لَا يَجِبُ إِثْمَامُهُ، وَالْفَرْقُ أَنَّ الْقَصْدَ بِهِ حَصُولُهُ فِي الْجُمْلَةِ، فَلَا يَتَعَيَّنُ حَصُولُهُ يَمِّنَ شَرَعٍ فِيهِ»^(٣).

فِيَجِبُ إِثْمَامُ صَلَاةِ الْجَنَازَةِ عَلَى الْأَصَحِّ، كَمَا يَجِبُ الْاسْتِمْرَارُ فِي صِفِ الْقِتَالِ جُزْأً لِمَا فِي الْإِنْصِرَافِ عَنْهُ مِنْ كَسْرِ قُلُوبِ الْجُنْدِ.

وَأَمَّا لَمْ يَجِبِ الْاسْتِمْرَارُ فِي تَعَلُّمِ الْعِلْمِ لِمَنْ آتَسَ الرِّشْدَ فِيهِ مِنْ نَفْسِهِ عَلَى الْأَصَحِّ، لِأَنَّ كُلَّ مَسْأَلَةٍ مَطْلُوبَةٌ بِرَأْسِهَا مَنْقُطَةٌ عَنْ غَيْرِهَا، بِخِلَافِ صَلَاةِ الْجَنَازَةِ.

وَمَا ذَكَرَهُ تَبَعاً لِابْنِ الرَّفْعَةِ^(٤) فِي «مَطْلَبِهِ» فِي بَابِ الْوَدِيعَةِ مِنْ «أَنَّهُ يَتَعَيَّنُ بِالشَّرْعِ عَلَى

(١) قاله المعتزلة، وهو مقتضى كلام الإمام في المحصول (٢/١٨٦). (التشنيف: ١/١١٤).

(٢) وبه قال أيضاً الحنابلة. (شرح الكوكب: ١/٣٧٨).

(٣) قال شيخ الإسلام في النجوم اللوامع (١/٢٦٦): «والمختار عدم تعين فرض الكفاية بالشروع، إلا في الجهاد، وصلاة الجنازة، والحج والعمرة لشدة شبهها بالعيني، ولما في الأول من تخذيل المسلمين وكسر قلوبهم، ولما في الثاني من هتك حرمة الميت».

(٤) وابن الرفعة: هو أحمد بن محمد بن علي الأنصاري الشافعي أبو العباس، نجم الدين الشهير بابن الرفعة، شافعي زمني، وإمام وقته، وفقه عصره، كان أعجوبة في استحضار كلام الأصحاب ونصوص الإمام، كان ديناً خيراً محسناً إلى طلابه، له مصنفات نفيسة منها: الكفاية في شرح التنبيه، المطلب في شرح الوسيط، والنفائس في هدم الكنائس، توفي سنة ٧١٠هـ (الطبقات للإسنوي: ١/٢٩٦).

[سُنَّةُ الْكِفَايَةِ]

و سُنَّةُ الْكِفَايَةِ كَفَرَضُهَا.

الأصح» بالنظر إلى الأصول أقعدُ مما ذكره البارزي^(١) في «التمييز» تبعاً للغزالي^(٢) من «أنه لا يتعين بالشروع على الأصح، إلا الجهاد وصلاة الجنازة» وإن كان بالنظر إلى الفروع أضبط.

[سُنَّةُ الْكِفَايَةِ]

(وسُنَّةُ الْكِفَايَةِ) المنقسم إليها وإلى سُنَّةِ الْعَيْنِ مطلقُ السُّنَّةِ الْمُتَقَدِّمِ^(٣) حُدُّهُ (كَفَرَضُهَا) فيما تَقَدَّمَ، وهو أمورٌ:

أحدها: أنها من حيث التمييز عن سُنَّةِ الْعَيْنِ: مُهِمٌّ يَقْصَدُ حَصُولَهُ مِنْ غَيْرِ نَظَرٍ بِالذَّاتِ إِلَى فاعِله كابتداء السلام، وتشميت العاطس، والتسمية للأكل من جهة الجماعة في الثالث مثلاً.

ثانيها: أنها أفضلُ من سُنَّةِ الْعَيْنِ عند الأستاذ ومن ذكر معه لسقوط الطلب بقيام البعض بها عن الكل المطلوبين بها^(٤).

ثالثها: أنها مطلوبة من الكل عند الجمهور. وقيل: «من بعض مُبْهِمٍ». وهو المختار^(٥). وقيل: «مُعَيَّنٌ عند الله تعالى يسقط الطلب بفعله، ويفعل غيره». وقيل: «من بعض من قام بها».

رابعها: أنها تتعين بالشروع فيها، أي تصير به سُنَّةٌ عَيْنٍ، يعني مثلها في تأكيد طلب الإتمام على الأصح^(٦).

(١) والبارزي: هو هبة الله بن عبد الرحيم بن إبراهيم، شرف الدين، أبو القاسم البارزي، الحموي، الشافعي، اشتغل الفقه وفاق أقرانه، وتخرج به الأئمة، وكان لا يرى الخوض في الصفات، باشر قضاء حماة بغير معلوم، وكان عظيم القدر، له مصنفات نفيسة منها: التمييز في الفقه، والمتبحر في الأصول، توفي رحمه الله سنة ٧٣٨ هـ بحماة. (الدرر الكامنة: ٤/٢٤٧).

(٢) قال الزركشي في البحر (١/٢٥٠): «قال القاضي البارزي في «تمييزه»: ولا يلزم فرض الكفاية بالشروع على الأصح، إلا في الجهاد وصلاة الجنازة. اهـ. وأطلق الغزالي في «الوجيز» أنه لا يلزم. وقال في «الوسيط»: وذكر بعض الأصحاب أنه يتعين بالشروع». فغلّم أن في قول الشارح: «تبعاً للغزالي» تسامحاً. والله تعالى أعلم.

(٣) انظر: «أقسام الحكم التكليفي»: ٨٤/١.

(٤) بل سُنَّةُ الْعَيْنِ أفضلُ منها كما عليه الجمهور. (غاية الوصول، ص: ٢٨).

(٥) بل المختار ما عليه الجمهور. (غاية الوصول، ص: ٢٨).

(٦) بل الأصح أنها لا تتعين بالشروع كما في غاية الوصول (ص: ٢٨).

مسألة: [الواجب الموسع]

الأكثر أن جميع وقت الظهر جوازاً ونحوه وقت لأدائه. ولا يجب على المؤخر العزم على الامتثال، خلافاً لقوم؛ وقيل: «الأول، فإن أخر فقضاء»؛

(مسألة: [الواجب الموسع])

الأكثر من الفقهاء ومن المتكلمين على (أن جميع وقت الظهر جوازاً ونحوه)، أي نحو الظهر كباقي الصلوات الخمس (وقت لأدائه)^(١)، ففي أي جزء منه أوقع فقد أوقع في وقت أدائه الذي يسعه وغيره، ولذلك يُعرف بـ «الواجب الموسع».

وقوله: «جوازاً» راجع إلى «الوقت» لبيان أن الكلام في وقت الجواز، لا في الزائد عليه أيضاً من وقت الضرورة وإن كان الفعل فيه أداء بشرطه^(٢).

(ولا يجب على المؤخر) أي مُريد التأخير عن أول الوقت (العزم)^(٣) فيه (على الامتثال) بعد في الوقت. (خلافاً لقوم) كالقاضي أبي بكر الباقلاني من المتكلمين وغيره، في قولهم بوجوب العزم ليمتد به الواجب الموسع عن المندوب في جواز الترك^(٤).

وأجيب: بحصول التمييز بغيره، وهو أن تأخير الواجب عن الوقت يُؤثم.

(وقيل): «وقت أدائه (الأول) من الوقت لوجوب الفعل بدخول الوقت، (فإن أخر) عنه (فقضاء) وإن فعل في الوقت حتى يَأثم بالتأخير عن أوله». كما نقله الإمام الشافعي رحمه الله عن بعضهم^(٥)، وإن نقل القاضي أبو بكر الباقلاني الإجماع على نفي الإثم، ولنقله قال

(١) قاله الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة. (فواتح الرحموت: ١/١٠٥، شرح الكوكب: ١/٣٦٩، شرح

التنقيح، ص: ١٥٠، المحصول: ٢/١٧٣، الغيث الهامع: ١/٧٤، الإحكام للباقي: ١/١٠٦).

(٢) أوقات الصلاة خمسة: الأول: وقت الفضيلة، وهو أول الوقت؛ الثاني: وقت الجواز، وهو من بعد

وقت الفضيلة إلى أن يبقى من الوقت ما يسعها كاملاً. ويسمى وقت اختياراً. الثالث: وقت حرمة، وهو ما

يحرّم التأخير عليه. الرابع: وقت الضرورة، وهو آخر الوقت إذا زال المانع وبقي من الوقت ما يسع

تكبير الإحرام. الخامس: وقت عُذر، وقت الجمع للتي تُجمع. (تحفة المحتاج لابن حجر: ٢/٨).

(٣) قاله الإمام في المحصول (١/٢٤١)، والبيضاوي في النهاج (١/٩٢)، وتبهما المصنف.

(٤) قاله المالكية والشافعية والحنابلة، وصححه الغزالي، والنووي، والآمدي، والإسنوي، وشيخ الإسلام.

(المستصفي: ١/١٦٨، الإحكام: ١/٩٣، نهاية السؤل: ١/٩٤، المجموع: ٣/٥٢، شرح

الكوكب: ١/٣٦٩، النجوم اللوامع: ١/٢٧٠، تيسير الوصول، ص: ٩١).

(٥) نقله الإمام الشافعي في الأثم (٢/١٢٨) عن بعض أهل الكلام. وعزاه الإمام الرازي في المحصول =

وقيل: «الآخر، فإن قُدِّمَ فتعجيلٌ»؛ والحنفية: «ما اتَّصلَ به الأداء من الوقت، وإلاَّ فالآخر»؛ والكرخي: «إن قُدِّمَ وَقَعَ واجِباً بشرط بقائه مُكَلِّفاً».

بعضهم: «إنه قضاء يسدُّ مسدَّ الأداء».

(وقيل): «وقت أدائه (الآخر) من الوقت، لانتفاء وجوب الفعل قبله، (فإن قُدِّمَ) عليه بأن فُعل قبله في الوقت (فتعجيلٌ) أي فتقدُّمُه تعجيلٌ للواجب مسقطٌ له، كتعجيل الزكاة قبل وجوبها»^(١).

(و) قالت (الحنفية): «وقت أدائه (ما) أي الجزء الذي (اتَّصل به الأداء من الوقت) أي لاقاه الفعل بأن وَقَعَ فيه، (والا) أي وإن لم يتَّصل الأداء بجزء من الوقت، بأن لم يَقَع الفعل في الوقت، (فالآخر) أي فوق أدائه الجزء الآخر من الوقت، لتعينه للفعل فيه، حيث لم يَقَع فيما قبله»^(٢).

(و) قال (الكرخي)^(٣): «إن قُدِّمَ الفعل على آخر الوقت، بأن وَقَعَ قبله (وَقَعَ) ما قُدِّمَ (واجِباً بشرط بقائه) أي بقاء المقدَّم له (مُكَلِّفاً) إلى آخر الوقت، فإن لم يبقَ كذلك كأن مات أو جُنَّ، وقع ما قُدِّمه نفلاً»^(٤).

فشرط الوجوب عنده: أن يبقى مَن أدركه الوقت بصفة التكليف إلى آخره المتبيِّن به الوجوب وإن أُخِّرَ الفعل عنه ويؤمَّرُ به قبله، لأنَّ الأصل بقاؤه بصفة التكليف، فحيث وجب فوق أدائه عنده كما تقدَّم عن الحنفية لأنه منهم وإن خالفهم فيما شرَّطه. فذكره المصنِّف دون الأول المعلوم ممَّا قُدِّمه.

= (١٧٤/٢)، والبيضاوي في المنهاج (٩٢/١) إلى بعض أصحابنا، وهو خطأ، فلا يُعرَف هذا القول في مذهبنا، كما قال الإسئوي في نهاية السؤل (٩٢/١)، والزركشي في التشيف (١١٦/١).

(١) قاله العراقيون من الحنفية، كما قال شمس الأئمة السرخسي في أصوله (٣١/١)، وعبد العلي في فواتح الرحموت (١٠٥/١) وهما من أئمة الحنفية: الأول من المتقدمين، والثاني من المتأخرين. فعليه يُحمَل قول البيضاوي في المنهاج (٩٢/١) والزركشي في التشيف (١١٧/١): «قاله الحنفية».

(٢) فواتح الرحموت: ١٠٧/١، وتيسير التحرير: ١٩٠/١.

(٣) والكرخي: هو عبيد الله بن الحسن بن دلال، أبو الحسن الكرخي الحنفي، الزاهد الورع الصبور على العسر، الصائم القائم، شيخ الحنفية بالعراق، وتخرَّج به الأئمة كالجصاص وابن شهاب، له مؤلفات قيمة منها شرحا الجامع الكبير والجامع الصغير، توفي رحمه الله سنة ٣٥٠هـ. (شذرات الذهب: ٣٥٨/٢).

(٤) فواتح الرحموت: ١٠٧/١، وتيسير التحرير: ١٩١/١.

وَمَنْ أَخَّرَ مَعَ ظَنِّ الْمَوْتِ عَصَى . فَإِنْ عَاشَ وَفَعَلَهُ فَالْجُمُهَوْرُ : «أداء»، والقاضيان : أبو بكر، والحسين : «قضاء» .

وَمَنْ أَخَّرَ مَعَ ظَنِّ السَّلَامَةِ فَالصَّحِيحُ لَا يَعْصِي ، بِخِلَافِ مَا وَقَّتَهُ الْعُمَرُ كَالْحَجِّ .

والأقوال غير الأول منكراً للواجب الموسع لاتفاقها على أن وقت الأداء لا يفضل عن الواجب.

(وَمَنْ أَخَّرَ) الواجب المذكور بأن لم يشتغل به أوّل الوقت مثلاً (مع ظنّ الموت) عَقِبَ مَا يَسْعُهُ مِنْهُ مَثَلًا (عَصَى) لظنه فوات الواجب بالتأخير . (فإن عاش وفعله) في الوقت (فالجُمُهَوْرُ) ^(١) قالوا : «أدائه» لأنه في الوقت المقدّر له شرعاً .

(و) قال (القاضيان أبو بكر) الباقلاني من المتكلمين (والحسين) من الفقهاء : «فعله (قضاء)» لأنه بعد الوقت الذي تضيّق عليه بظنه وإن بَانَ خطؤه» ^(٢) .

(وَمَنْ أَخَّرَ) الواجب المذكور بأن لم يشتغل به أوّل الوقت مثلاً (مع ظنّ السلامة) من الموت إلى آخر الوقت، ومات فيه قبل الفعل (فالصحيح) أنه (لا يعصي) لأن التأخير جائز له، والفوات ليس باختياره ^(٣) .

وقيل : «يعصي، وجواز التأخير مشروط بسلامة العاقبة» .

(بِخِلَافِ مَا) أي الواجب الذي (وقته العمر كالحج) ^(٤) ، فإن مَنْ أَخَّرَهُ بعد أن أمكنه فعله مع ظنّ السلامة من الموت إلى مُضِيِّ وقت يُمكنه فعله فيه، ومات قبل الفعل، يعصي على الصحيح، وإلا لم يتحقّق الوجوب ^(٥) .

(١) أي من المالكية والشافعية والحنابلة. (الضياء اللامع: ٢٣٨/١، الإحكام: ٩٥/١، شرح الكوكب: ٣٧٣/١، الغيث الهامع: ٧٧/١، التننيف: ١١٩/١، البحر: ٢٢٠/١).

(٢) وبه قال أيضاً الحنفية. (تيسير التحرير: ٢٠٠/١، الإحكام: ٩٥/١).

(٣) قاله الجمهور من الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة، بل حكاه بعضهم إجماعاً . (مختصر ابن الحاجب: ٢٤٣/١، الضياء اللامع: ٢٣٨/١، التننيف: ١١٩/١، الغيث: ٧٧/١، شرح الكوكب: ٣٧٣/١).

(٤) قاله الشافعية والحنابلة وغيرهم. قال الزركشي رحمه الله في التننيف (١/١١٩): «وأما الموسع بالعمر فيعصي فيه بالموت على الصحيح سواء غلب على ظنه قبل ذلك البقاء أم لا لأن التأخير له مشروط بسلامة العاقبة، وهو في غاية الإشكال لأن العاقبة عنده مستورة» .

(٥) إشارة إلى الفرق بين الواجب المؤقت بوقت معلوم والمؤقت بالعمر كالحج، حاصله: أنه إن لم يكن =

مسألة: [مَا لَا يَتِمُّ الْوَاجِبُ إِلَّا بِهِ وَاجِبٌ]

الْمَقْدُورُ الَّذِي لَا يَتِمُّ الْوَاجِبُ الْمَطْلُوقُ إِلَّا بِهِ وَاجِبٌ وَفَاقًا لِلْأَكْثَرِ؛ وَثَالِثُهَا: «إِنْ كَانَ سَبَبًا كَالنَّارِ لِلْإِحْرَاقِ»؛

وقيل: «لا يعصي لجواز التأخير له»^(١).

وعصيانُه في الحجِّ من آخر سَيِّئِ الإمكانِ لجواز التأخير إليها. وقيل: «من أولِّها لاستقرار الوجوب حينئذ». وقيل: «غير مستند إلى سَنَةِ بعينها».

مسألة: [مَا لَا يَتِمُّ الْوَاجِبُ إِلَّا بِهِ وَاجِبٌ]

الْفِعْلُ (الْمَقْدُورُ) لِلْمَكْلَفِ (الَّذِي لَا يَتِمُّ) أَيْ لَا يَوْجَدُ (الْوَاجِبُ الْمَطْلُوقُ إِلَّا بِهِ وَاجِبٌ) بِوُجُوبِ الْوَاجِبِ سَبَبًا كَانَ أَوْ شَرْطًا (وَفَاقًا لِلْأَكْثَرِ)^(٢) مِنَ الْعُلَمَاءِ، إِذْ لَوْ لَمْ يَجِبْ لِحَاجِزِ تَرْكِ الْوَاجِبِ الْمَتَوَقَّفِ عَلَيْهِ.

وقيل: «لا يجب بوجوب الواجب مطلقاً، لأن الدالَّ على الواجب ساكت عنه»^(٣).

(وَالثَّالِثُهَا) أَيْ الْأَقْوَالُ: «يَجِبُ (إِنْ كَانَ سَبَبًا كَالنَّارِ لِلْإِحْرَاقِ) أَيْ كَامْسَاسِ النَّارِ لِمَحَلِّ، فَإِنَّهُ سَبَبٌ لِإِحْرَاقِهِ عَادَةً، بخلاف الشرط كالوضوء للصلاة فلا يجب بوجوب مشروطه. والفرق أن السبب لا يستناد المسبب إليه، أشدُّ ارتباطاً به من الشرط بالمشروط»^(٤).

= الْأَمْرُ كَذَلِكَ لَمْ يَتَحَقَّقِ الْوُجُوبُ، بِخِلَافِ نَحْوِ الظَّهْرِ فَإِنَّ لِحَاجِزَ تَأْخِيرِهِ غَايَةً مَعْلُومَةً، فَيَتَحَقَّقُ مَعَهَا الْوُجُوبُ، وَهِيَ أَنْ لَا يَبْقَى مِنَ الْوَقْتِ إِلَّا مَا يَسَعُهُ فَقَطْ. وَيُفَرَّقُ أَيْضاً بِأَنَّ الْوَقْتَ فِي النَّسكِ يَخْرُجُ بِالْمَوْتِ، بِخِلَافِهِ فِي الْأَوَّلِ فَإِنَّهُ بَاقٍ. فَعُلِمَ أَنَّ مَا وَقْتَهُ الْعَمْرُ لَا يُسَمَّى بِالْوَاجِبِ الْمَوْسِعِ، وَمَنْ سَمَّاهُ بِهِ إِنَّمَا سَمَّاهُ تَجَاوِزاً. (المحصول: ١٨١/٢، النجوم اللوامع: ٢٧٤/١).

(١) لَكِنَّهُ يُنْسَبُ إِلَى التَّفْرِيطِ كَمَا يُنْسَبُ تَارِكُ الصَّلَاةِ عَنْ أَوَّلِ وَقْتِهَا حَتَّى مَاتَ إِلَى التَّفْرِيطِ، وَهُوَ أَشْكَلُ مِنَ الْأَوَّلِ لِلزُّومِ انْتِفَاءِ ثَمَرَتِهِ. وَقَدْ أَطْلَقَ الْمَاوَرِدِيُّ وَغَيْرُهُ حِكَايَتَهُ هَكَذَا.

وَالصَّوَابُ تَقْيِيدُهُ بِمَا إِذَا كَانَ عَازِماً عَلَى الْفِعْلِ، ثُمَّ اخْتَرَمَتْهُ الْمَنِيَّةُ، فَمَنْ لَمْ يَعِزِّمْ عَصَى قِطْعاً، وَلَيْسَ مِنْ مَوْضِعِ الْخِلَافِ، وَبِهِ يَرْتَفَعُ الْإِشْكَالُ السَّابِقُ. (التشنيف: ١١٩/١).

(٢) أَيْ مِنَ الْحَنْفِيَّةِ وَالْمَالِكِيَّةِ وَالشَّافِعِيَّةِ وَالْحَنَابِلَةِ. (تيسير التحرير: ٢١٥/٢، فواتح الرحموت: ١٣٦/١، شرح التنقيح، ص: ١٦٠، رفع الحاجب: ٥٢٨/١، المحصول: ١٩٢/٢، الإحكام: ٩٧/١، شرح الكوكب: ٣٥٩/١، الضياء اللامع: ٣٤٢/١، مختصر ابن الحاجب: ٢٤٤/١).

(٣) قَالَه بَضْعُ الْأَصُولِيِّينَ. (الإحكام: ٩٧/١، تيسير التحرير: ٢١٥/٢).

(٤) قَالَه الشَّرِيفُ الْمُرْتَضَى. (فواتح الرحموت: ١٣٧/١، التشنيف: ١٢١/١).

وقال إمام الحرمين: «إِنْ كَانَ شَرْطاً شَرْعِيًّا، لَا عَقْلِيًّا أَوْ عَادِيًّا» .

(وقال إمام الحرمين): «يَجِبُ (إِنْ كَانَ شَرْطاً شَرْعِيًّا) كَالْوُضوءِ لِلصَّلَاةِ، (لَا عَقْلِيًّا) كَتَرَكِ ضِدِّ الْوَاجِبِ، (أَوْ عَادِيًّا) كَغَسَلِ جُزْءٍ مِنَ الرَّأْسِ لَغَسَلِ الْوَجْهِ، فَلَا يَجِبُ بِوُجُوبِ مَشْرُوطِهِ، إِذْ لَا وَجُودَ لِمَشْرُوطِهِ عَقْلاً أَوْ عَادَةً بِدُونِهِ، فَلَا يَقْضِيهِ الشَّارِعُ بِالطَّلَبِ، بِخِلَافِ الشَّرْعِيِّ فَإِنَّهُ لَوْ لَا اعْتِبَارُ الشَّرْعِ لَهُ لَوَجَدَ مَشْرُوطُهُ بِدُونِهِ»^(١).

وسكت الإمام^(٢) عن السبب، وهو لاستناد المسبب^(٣) إليه في الوجود كالذي نفاه، فلا يقضيه الشارع بالطلب، فلا يجب كما أفصح به ابن الحاجب في «مختصره الكبير»^(٤) مختاراً لقول الإمام.

وقول المصنف^(٥) في دفعه: «السببُ أولى بالوجوب من الشرعي» مَمْنُوعٌ، يؤيد المنع أن السبب ينقسم كالشرط إلى شرعي كصيغة الاعتاق له، وعقلي كالنظر للعلم عند الإمام الرازي وغيره، وعادي كحز الرقبة للقتل .

نعم قال بعضهم^(٦): «القصد بطلب المسببات الأسباب، لأنها التي في وسع المكلف».

واحترزوا بـ «المطلق» عن المقيّد وجوبه بما يتوقّف عليه كالزكاة وجوبها متوقّف على ملك النصاب، فلا يجب تحصيله؛

٦٠

وبـ «المقدور» عن غيره قال الآمدي: «كحضور العدد في الجمعة، فإنه غير مقدور لأحد المكلفين»^(٧) أي ويتوقّف عليه وجود الجمعة، كما يتوقّف وجوبها على وجود العدد.

(١) البرهان لإمام الحرمين: ٢٧٦/١.

(٢) يعني إمام الحرمين، وهو المراد بإطلاق «الإمام» في كتب المتقدمين من الشافعية، وفي كتب المتأخرين الفخر الرازي، إلا نادراً فإمام الحرمين كما هنا.

(٣) قوله «لاستناد المسبب إليه» علّة لـ «كالذي نفاه»، والذي نفاه هو الشرط العقلي والعادي، أي فلا يجب بوجوب الواجب لكفاية حصول الواجب في وجوبه. (البناني: ٣١٤/١).

(٤) وهو منتهى السؤل والأمل في علمي الأصول والجدل، واختاره أيضاً في مختصر المنهى (٢٤٤/١).

(٥) أي في رفع الحاجب: ٥٣٠/١.

(٦) يعني السعد التفتازاني في حاشيته على شرح العضد: ٢٤٤/١.

(٧) الأحكام للآمدي: ٩٧/١.

[ما لا يَتَمُّ تَرْكُ مُحَرَّمٍ إِلَّا بِهِ وَاجِبٌ]

فَلَوْ تَعَذَّرَ تَرْكُ الْمُحَرَّمِ إِلَّا بِتَرْكِ غَيْرِهِ وَجَبَ .
أَوْ اخْتَلَطَتْ مَنْكُوحَةٌ بِأَجْنَبِيَّةٍ حَرُمَتَا ، أَوْ طَلَّقَ مُعَيَّنَةً ثُمَّ نَسِيَهَا .

[ما لا يَتَمُّ تَرْكُ مُحَرَّمٍ إِلَّا بِهِ وَاجِبٌ]

(فلو تعذَّرَ تَرْكُ الْمُحَرَّمِ إِلَّا بِتَرْكِ غَيْرِهِ) من الجائز كَمَاءٍ قَلِيلٍ وَقَعَ فِيهِ بَوْلٌ (وَجَبَ) تَرْكُ ذَلِكَ الْغَيْرِ ، لِتَوْقُفِ تَرْكِ الْمُحَرَّمِ الَّذِي هُوَ وَاجِبٌ عَلَيْهِ ^(١) ؛
(أَوْ اخْتَلَطَتْ) أَيِ اشْتَبَهَتْ (مَنْكُوحَةٌ) لِرَجُلٍ (بِأَجْنَبِيَّةٍ) مِنْهُ (حَرُمَتَا) أَيِ حُرُمَ قُرْبَانُهُمَا عَلَيْهِ ^(٢) ؛

(أَوْ طَلَّقَ مُعَيَّنَةً) مِنْ زَوْجَتَيْهِ مِثْلًا ، (ثُمَّ نَسِيَهَا) حُرُمَ عَلَيْهِ ^(٣) قُرْبَانُهُمَا أَيْضًا .
أَمَّا الْأَجْنَبِيَّةُ وَالْمُطَلَّقَةُ فَظَاهِرٌ ، وَأَمَّا الْمَنْكُوحَةُ وَغَيْرُ الْمُطَلَّقَةِ فَلَا شُبَّاهُمَا بِالْأَجْنَبِيَّةِ وَالْمُطَلَّقَةِ .

وَقَدْ يَظْهَرُ الْحَالُ فَيَرْجِعَانِ إِلَى مَا كَانَتَا عَلَيْهِ مِنَ الْحِلِّ ، فَلَمْ يَتَعَذَّرْ فِي ذَلِكَ تَرْكُ الْمُحَرَّمِ وَحْدَهُ ، فَلَمْ يَتَنَاوَلْهُ مَا ذُكِرَ قَبْلَهُ .

وَتَرَكَ جَوَابَ مَسْأَلَةِ «الطَّلَاقِ» لِلْعِلْمِ بِهِ مِنْ جَوَابِ مَا قَبْلَهَا ، وَلَوْ أَخَّرَهُ عَنْهَا لَاجْتِنَاجَ إِلَى ذِكْرِ مَا زِدْتُهُ بَعْدَ قَوْلِهِ «مُعَيَّنَةً» كَمَا لَا يَخْفَى ، فَيُفَوِّتُ الْاِخْتِصَارُ الْمَقْصُودَ لَهُ .

(١) قَالَ الزَّرْكَشِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي التَّشْنِيفِ (١/١٢٢) : «ظَاهِرُ كَلَامِ الْمُصَنِّفِ أَنَّهُ لَا يَأْتِي فِيهِ الْخِلَافُ السَّابِقُ ، وَإِنَّمَا حَكَى الْخِلَافَ فِي كَيْفِيَةِ التَّحْرِيمِ ، قَالَ : فَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ : يَصِيرُ كُلُّهُ نَجَسًا ، وَهُوَ اللَّائِقُ بِمَذْهَبِنَا .

وَقِيلَ : إِنَّمَا حُرُمُ الْكُلِّ لِتَعَذُّرِ الْإِقْدَامِ عَلَى تَنَاوُلِ الْمُبَاحِ لِاخْتِلَاطِ الْمُحَرَّمِ بِهِ ، وَهُوَ اللَّائِقُ بِمَذْهَبِ الْحَنْفِيَّةِ .

(٢) أَيِ لَيْسَ لَهُ وَطْءٌ وَاحِدٌ مِنْهُمَا بِالْاجْتِهَادِ إجماعاً .

(المجموع : ١/٢٥٧ ، المغني : ٧/٣٨٤) .

(٣) أَيِ وَكَانَ الطَّلَاقُ بَاطِلًا ، أَمَّا لَوْ كَانَ رَجْعِيًّا ، فَلَهُ وَطْءٌ وَاحِدٌ مِنْهُمَا إِذَا جَعَلَ الْوَطْءَ تَعْيِينًا ، وَإِلَّا فَلَيْسَ لَهُ قُرْبَانٌ وَاحِدٌ مِنْهُمَا إِلَّا قَبْلَ التَّعْيِينِ . وَبِهِ قَالَ أَيْضًا الْحَنْفِيَّةُ .

(الحصول : ٢/١٩٥ ، التشنيف : ١/١٢٢ ، فواتح الرحموت : ١/١٣٨) .

مسألة: [مُطْلَقُ الْأَمْرِ لَا يَتَنَاوَلُ الْمَكْرُوهَ]

مُطْلَقُ الْأَمْرِ لَا يَتَنَاوَلُ الْمَكْرُوهَ خِلَافاً لِلْحَنْفِيَّةِ؛ فَلَا تَصِحُّ الصَّلَاةُ فِي الْأَوْقَاتِ

(مسألة: [مُطْلَقُ الْأَمْرِ لَا يَتَنَاوَلُ الْمَكْرُوهَ])

مُطْلَقُ الْأَمْرِ بِمَا بَعْضُ جُزْئِيَّاتِهِ مَكْرُوهَةٌ كَرَاهَةٌ تَحْرِيمٍ أَوْ تَنْزِيهِ بِأَنْ كَانَ مِنْهِيئاً عَنْهُ (لَا يَتَنَاوَلُ الْمَكْرُوهَ) ^(١) مِنْهَا، (خِلَافاً لِلْحَنْفِيَّةِ) ^(٢).

لَنَا: لَوْ تَنَاوَلَهُ لَكَانَ الشَّيْءُ الْوَاحِدُ مَطْلُوبُ الْفِعْلِ وَالتَّرِكِ مِنْ جِهَةٍ وَاحِدَةٍ، وَذَلِكَ تَنَاقُضٌ.

(فَلَا تَصِحُّ الصَّلَاةُ فِي الْأَوْقَاتِ الْمَكْرُوهَةِ) ^(٣) أَيِ الَّتِي كُرِهَتْ فِيهَا الصَّلَاةُ مِنَ النَّافِلَةِ

٦١

(١) قَالَ جَمَاهُورُ الْحَنْفِيَّةِ الْمَالِكِيَّةِ وَالشَّافِعِيَّةِ وَالْحَنَابِلَةِ.

(أَصُولُ السَّرْحَسِيِّ: ٦٤/١، الْإِحْكَامُ لِلْبَاجِي: ١١١/١، شَرْحُ الْكُوكَبِ: ٤١٥/١).

(٢) الْقَوْلُ بِأَنَّ مُطْلَقَ الْأَمْرِ يَتَنَاوَلُ الْمَكْرُوهَ عَزَاهُ إِلَى الْحَنْفِيَّةِ السَّمْعَانِي فِي الْقَوَاعِدِ (١٣٢/٢)، وَالبَاجِي

فِي الْإِحْكَامِ (١١١/١)، وَالْمَصْنُفُ هُنَا، وَالشَّارْحُ، وَالْوَلِيُّ الْعِرَاقِيُّ فِي الْغَيْثِ الْهَامِعِ (٨١/١).

وَالصَّوَابُ: أَنَّ الْحَنْفِيَّةَ مَعَ الْجَمَاهُورِ فِي قَوْلِهِمْ بَعْدَ تَنَاوُلِ الْأَمْرِ الْمَطْلُوقِ الْمَكْرُوهَ. وَالَّذِي قَالَ بِتَنَاوُلِهِ

هُوَ أَبُو بَكْرٍ الرَّازِيُّ مِنْهُمْ. قَالَ السَّرْحَسِيُّ فِي أَصُولِهِ (٦٤/١): «اعْلَمْ أَنَّ مُطْلَقَ مُقْتَضَى الْأَمْرِ كَوْنُ

الْمَأْمُورِ بِهِ حَسَنًا شَرْعًا، لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يَأْمُرْ بِالْفَحْشَاءِ كَمَا نَصَّ عَلَيْهِ فِي مُحْكَمِ تَنْزِيلِهِ، وَالْأَمْرُ طَلِبُ

إِبْجَادِ الْمَأْمُورِ بِهِ بِأَبْلَغِ الْجِهَاتِ، وَلِهَذَا كَانَ مُطْلَقُهُ مُوجِبًا شَرْعًا، وَالْقَبِيحُ وَاجِبُ الْإِعْدَامِ شَرْعًا، فَمَا

هُوَ وَاجِبُ الْإِبْجَادِ شَرْعًا لَا يَكُونُ فَيُجِبُ. وَيَحْكِي عَنْ أَبِي بَكْرٍ الرَّازِيِّ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: «صِفَةُ الْجَوَازِ

وَإِنْ كَانَتْ تُثَبِّتُ بِمُطْلَقِ الْأَمْرِ شَرْعًا فَقَدْ يَتَنَاوَلُ الْأَمْرُ عَلَى مَا هُوَ مَكْرُوهٌ شَرْعًا أَيْضًا. وَاسْتَدَلَّ عَلَى ذَلِكَ

بِأَدَاءِ عَصْرِ يَوْمِهِ بَعْدَ تَغْيِيرِ الشَّمْسِ، فَإِنَّهُ جَائِزٌ مَأْمُورٌ بِهِ شَرْعًا، وَهُوَ مَكْرُوهٌ أَيْضًا». وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى:

﴿وَلَسِيْطَوْفُوًا بِالْبَيْتِ الْمَيْمَنِ﴾ يَتَنَاوَلُ طَوَافُ الْمُحْدِثِ عِنْدَنَا حَتَّى يَكُونَ طَوَافُهُ رُكْنَ الْحَجِّ، وَذَلِكَ جَائِزٌ

مَأْمُورٌ بِهِ شَرْعًا، وَيَكُونُ مَكْرُوهًا. وَالْأَصَحُّ عِنْدِي: أَنَّ بِمُطْلَقِ الْأَمْرِ كَمَا تُثَبِّتُ صِفَةُ الْجَوَازِ وَالْحَسَنُ

شَرْعًا يُثَبِّتُ انْتِفَاءَ صِفَةِ الْكَرَاهَةِ، لِأَنَّ الْأَمْرَ اسْتِعْبَادًا، وَلَا كَرَاهَةً فِي عِبَادَةِ الْعَبْدِ رِبَةً، وَانْتِفَاءُ الْكَرَاهَةِ

تُثَبِّتُ بِالْإِذْنِ شَرْعًا، وَمَعْلُومٌ أَنَّ الْإِذْنَ دُونَ الْأَمْرِ فِي طَلِبِ إِبْجَادِ الْمَأْمُورِ بِهِ، فَلِأَنَّ يَثْبُتُ انْتِفَاءُ الْكَرَاهَةِ

بِالْأَمْرِ أَوَّلَى. فَمَا الصَّلَاةُ بَعْدَ تَغْيِيرِ الشَّمْسِ فَالْكَرَاهَةُ لَيْسَتْ لِلصَّلَاةِ، وَلَكِنْ لِلتَّشْبِيهِ بِمَنْ يَعْبُدُ الشَّمْسَ،

وَالْمَأْمُورُ بِهِ هُوَ الصَّلَاةُ. وَكَذَلِكَ الطَّوَافُ الْكَرَاهَةُ لَيْسَتْ فِي الطَّوَافِ الَّذِي فِيهِ تَعْظِيمُ الْبَيْتِ، بَلْ

لَوْصِفَ فِي الطَّائِفِ، وَهُوَ الْحَدُّثُ، وَذَلِكَ لَيْسَ مِنَ الطَّوَافِ فِي شَيْءٍ. وَأَشَارَ إِلَى تَضْعِيفِ قَوْلِ

الْمَصْنُفِ «خِلَافاً لِلْحَنْفِيَّةِ» الشَّيْخُ زَكْرِيَّا الْأَنْصَارِيُّ فِي غَايَةِ الْوَصُولِ (ص: ٢٩) بِقَوْلِهِ: «مُطْلَقُ الْأَمْرِ لَا

يَتَنَاوَلُ الْمَكْرُوهَ فِي الْأَصَحِّ. وَقِيلَ: يَتَنَاوَلُهُ. وَعَزَى لِلْحَنْفِيَّةِ». وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ.

(٣) اِخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي الصَّلَاةِ فِي الْأَوْقَاتِ الَّتِي نَهَى عَنْ الصَّلَاةِ فِيهَا عَلَى مَذْهَبَيْنِ: الْأَوَّلُ: تَصِحُّ مَالِهَا =

المكروهة وإن كان كراهة تنزيه على الصحيح .

المطلقة كعند طلوع الشمس حتى ترتفع كرمح، واستوائها حتى تزول، واصفرارها حتى تغرب، إن كان كراهتها فيها كراهة تحريم، وهو الأصح^(١) عملاً بالأصل في النهي عنها في حديث مسلم^(٢). (وإن كان كراهة تنزيه)، وصححه النووي أيضاً في بعض كتبه^(٣)، فلا تصح أيضاً (على الصحيح)، إذ لو صحّت على واحدة من الكراهِتين، أي وافقت الشرع بأن تناولها الأمر بالنافلة المطلقة المستفاد من أحاديث الترغيب فيها لزم التناقض، فتكون على كراهة التنزيه مع جوازها فاسدة، أي غير معتد بها، لا يتناولها الأمر فلا يُثاب عليها.

وقيل: «إنها على كراهة التنزيه صحيحة يتناولها الأمر فيثاب عليها، والنهي عنها راجع إلى أمر خارج عنها كموافقة عبّاد الشمس في سجودهم عند طلوعها وغروبها، دلّ على ذلك حديث مسلم، وسيأتي أن النهي لإخراج لا يُفيد الفساد»^(٤)،^(٥).

وبرجوع النهي فيها إلى خارج، انفصل الحنفية أيضاً في قولهم فيها بـ «الصحة مع كراهة التحريم كالصلاة في المغصوب»^(٦).

أما الصلاة في الأمكنة المكروهة فصحيحة، والنهي عنها^(٧) لإخراج جزءاً، كالتعرض بها

= سَبَبٌ مقدّم أو مقارنٌ دون غيرهما، قاله الشافعية.

الثاني: لا تصح مطلقاً، قاله الحنفية والمالكية والحنابلة، وعند الحنابلة بعض تفصيل.

(الروضة: ٣٠٥/١، الهداية: ٣٢٢/١، مواهب الجليل: ٤١٤/١، المغني: ٥٥٥/١).

(١) كما في الروضة (٣٠٥/١)، والمجموع في الصلاة (٨٣/٤)، والمغني (١٨٠/١)، والتهفة (٤٧/٢).

(٢) عن عَقَبَةَ بْنِ عامرٍ رضي الله عنه قال: «ثَلَاثُ سَاعَاتٍ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَنْهَانَا أَنْ نُصَلِّيَ فِيهِنَّ، أَوْ أَنْ نَقْبُرَ فِيهِنَّ مَوْتَانَا: حِينَ تَطْلُعُ الشَّمْسُ بَارِغَةً حَتَّى تَرْتَفَعَ، وَحِينَ يَقُومُ قَائِمُ الظَّهْرِ حَتَّى تَمِيلَ الشَّمْسُ، وَحِينَ تَضِيْفُ الشَّمْسُ لِلْغُرُوبِ حَتَّى تَغْرُبَ». رواه مسلم في الصلاة، باب الأوقات التي تُنهي عن الصلاة فيها (١٩٢٦)، وأبو داود في الجنائز، باب الدفن عند طلوع الشمس (١٠٣٠)، والنسائي الأوقات، باب الساعات التي تُنهي عن الصلاة فيها (٥٥٩)، وابن ماجه في الجنائز، باب ما جاء في الأوقات التي لا يصلى فيها على الميت ولا يُدفن (١٥١٩).

(٣) أي في المجموع في الطهارة (١٣٥/١)، وفي التحقيق (ص: ٢٥٥).

(٤) انظر: «النهي المطلق للفساد» ٣٢٨/١.

(٥) قاله بعض المتأخرين، لكنه شاذٌ متروكٌ، كما قال النووي في الروضة (٣٠٥/١).

(٦) فتح القدير: ٢٠٢/١، تيسير التحرير: ٣٧٩/١.

(٧) عن ابن عمر رضي الله عنهما: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَهَى أَنْ يُصَلَّى فِي سَبْعَةِ مَوَاطِنَ: فِي الْمَرْبَلَةِ، =

أَمَّا الْوَاحِدُ بِالشَّخْصِ لَهُ جِهَتَانِ كَالصَّلَاةِ فِي الْمَغْصُوبِ فَالْجُمْهُورُ: «تَصَيَّحُ ، وَلَا يُثَابُ» ؛ وَقِيلَ: «يُثَابُ» ؛

[الوَاحِدُ ذُو الْوَجْهَيْنِ يَكُونُ مَأْمُوراً وَمَنْهياً]

(وقيل: «يثاب») من جهة الصلاة، وإن عُوقِبَ من جهة العَصَب، فقد يُعاقب بغير حرمان الثواب، أو بِحرمان بعضه». وهذا هو التحقيق، والأوّل تقريّبٌ رادعٌ عن إيقاع الصلاة في المصنوب، فلا خلاف في المعنى.

(١) «الواحد» يُطْلَق ويُراد به الواحدُ بالجنس، وهو الذي لا يَمْنَع تصوُّرُه حملَه على كثيرين، فيجوز أن يكون بعضها مأموراً به كالسجود لله تعالى، وبعضها منهيّاً عنه كالسجود لغير الله. ويُطْلَق ويُراد به الواحد بالشخص، وهو الذي يَمْنَع تصوُّرُه حملَه على كثيرين، وهو الواحد المَعْيَنُ في الخارج. وهذا الثاني إما أن يكون إما له جهةٌ واحدة كالصلاة في الأوقات المَكروهة؛ أو له جهتان بينهما لزومٌ كصوم يوم النحر؛ فيمتنع في كلٍ منهما أن يكون مأموراً به ومنهيّاً عنه إلا على قولٍ مَنْ يُجَوِّز التكليف بما لا يطاق، أو له جهتان ليس بينهما لزوم كالصلاة في المغصوب، فيجوز أن يكون مأموراً به ومنهيّاً عنه في آن واحد عند الجمهور. (البحر: ١/٢٦٢، النجوم للوامع: ١/٢٨٤).

(٢) من الحنفية والمالكية والشافعية. (البحر الرائق: ١/ ٢٨٣، المواهب: ٢/ ٥٢٥، القواطع: ١/ ١٣٣).

والقاضي والإمام: « لا تَصِحُّ، وَسَقَطَ الطَّلَبُ عِنْدَهَا؛ وأحمد: « لا صِحَّة ولا سُقُوط ».

[الخارج من المغصوب]

وَالْخَارِجُ مِنَ الْمَغْصُوبِ تَائِباً آتٍ بِوَاجِبٍ. وقال أبو هاشم: «بِحَرَامٍ». وقال إمام الحرمين: «هو مُرْتَبِكٌ فِي الْمَعْصِيَةِ مَعَ انْقِطَاعِ تَكْلِيفِ النَّهْيِ».....

(و) قال (القاضي) أبو بكر الباقلاني، (والإمام) الرازي: «(لا تصح) الصلاة مطلقاً، نظراً لجهة الغضب المنهي عنه، (وسقط الطلب) للصلاة (عندها)، لأن السلف لم يأثموا بقضائها مع علمهم بها»^(١).

(و) قال الإمام (أحمد: «لا صحة) لها (ولا سقوط) للطلب عندها»^(٢).

قال إمام الحرمين: «وقد كان في السلف متعمقون في التقوى يأثمون بقضائها»^(٣).

[الخارج من المغصوب]

(والخارج من) المكان (المغصوب تائِباً) أي نادماً على الدخول فيه عازماً على أن لا يعود إليه، (آتٍ بواجبٍ) لتحقق التوبة الواجبة بما أتى به من الخروج على وجه المذكور^(٤).
(وقال أبو هاشم)^(٥) من المعتزلة: «هو آتٍ (بحرام)، لأن ما أتى به من الخروج شغلٌ بغير إذن كالمكث، والتوبة إنما تتحقق عند انتهائه، إذ لا إقلاع إلا حيثل»^(٦).

(وقال إمام الحرمين) متوسطاً بين القولين: «(هو مُرْتَبِكٌ) أي مُتَشَبِّكٌ (في المعصية مع انقطاع تكليف النهي) عنه من طلب الكف عن الشغل بخروجه تائِباً المأمور به فلا يخلص به

(١) البرهان لإمام الحرمين: ٢/٢٠١، المحصول: ٢/٢٩٠.

(٢) شرح الكوكب: ١/٣٩١، المغني: ١/١٥٨.

(٣) البرهان لإمام الحرمين: ٢/٢٠٢.

(٤) قاله الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة. (تيسير التحرير: ٢/٢٢١، مختصر ابن الحاجب: ٢/٤، غاية الوصول، ص: ٣١، شرح الكوكب: ١/٣٩٨).

(٥) وأبو هاشم: هو عبد السلام بن محمد بن عبد الوهاب الجُبَّائي نسبةً إلى قرية «جُبَاء» من قرى البصرة، المعتزلي، أبو هاشم، رأسٌ معتزلة البصرة، ألَّفَ كتباً كثيراً منها: الجامع الكبير، والصغير، وغيرهما، توفي سنة ٣٢١ هـ ببغداد، ودُفِنَ بها. (الفتح المبين: ١/١٨٣).

(٦) قال إمام الحرمين في البرهان (١/٢٠٨): «قد عظم النكير عليه».

وهو دقيقٌ.

[الساقط على جريح]

والساقط على جريح يقتله إن استمرَّ وكُفَّاهُ إن لم يستمرَّ: قيل: «يستمِرُّ»،
وقيل: «يتخَيَّرُ»،

منها، لبقاء ما تسبب فيه بدخوله من الضرر الذي هو حكمه النهي^(١).

فاعتبر في الخروج جهة معصية، وجهة طاعة، وإن لَزِمَت الأولى الثانية، والجمهورُ ألغوا
جهة المعصية من الضرر، لدفعه ضرر المُكِبِّ الأشدَّ، كما ألغى ضررُ زوالِ العقلِ في إساعة
اللقمة المخصوصِ بها بخمرٍ حيث لم يوجد غيرها لدفعه ضررُ تلفِ النفسِ الأشدَّ.

(وهو) أي قول إمام الحرمين (دقيق) كما تبين، وإن قال ابنُ الحاجب: «إنه بعيدٌ حيث
استصحب المعصية مع انتفاء تعلُّقِ النهي»^(٢).

ويُدْفَع استبعاده قولُ الفقهاء: «إنَّ مَنْ جُنَّ بعد ارتداده، ثُمَّ أَفَاقَ وَأَسْلَمَ، يَجِبُ عَلَيْهِ قِضَاءُ
صَلَوَاتِ زَمَنِ الْجُنُونِ استصحاباً لِحُكْمِ مَعْصِيَةِ الرَّدَّةِ، لأنَّ إسقاطَ الصَّلَاةِ عَنِ الْمَجْنُونِ رِخْصَةٌ،
وَالْمُرْتَدُّ لَيْسَ مِنْ أَهْلِ الرِّخْصَةِ»^(٣).

أما الخارج غير تائب فعاصٍ قُطْعاً كالمالك.

[الساقط على جريح]

(والساقط) باختياره أو بغير اختياره (على جريح) بين جُرْحَى (يقتله إن استمرَّ) عليه،
(و) يقتل (كُفَّاهُ) في صفات القصاص (إن لم يستمرَّ) عليه لعدم موضعِ يعتَمِدُ عليه إلا بَدَن
كُفٍّ (قيل: «يستمِرُّ» عليه، ولا ينتقلُ إلى كُفَّته، لأن الضررَ لا يُزال بالضرر»^(٤).

(وقيل: «يتخَيَّرُ») بين الاستمرارِ عليه والانتقالِ إلى كُفَّته، لتساويهما في الضرر.

(١) البرهان لإمام الحرمين: ٢٠٨/١.

(٢) مختصر المتهى لابن الحاجب: ٤/٢.

(٣) رفع الحاجب: ٥٥١/١، التثنيف: ١٢٦/١، النجوم اللوامع: ٢٨٧/١.

(٤) قاله المالكية والشافعية والحنابلة وغيرهم.

(الضياء اللامع: ٣٥٨/١، البحر: ٢٦٩/١، شرح الكوكب: ٤٠١/١، المستصفى: ٢٤٣/١، الغيث

الهامع: ٨٤/١، النجوم اللوامع: ٢٨٨/١).

وقال إمام الحرمين: «لا حُكَمَ فيه»، وتَوَقَّفَ الغزالي .

(وقال إمام الحرمين: «لا حُكَمَ فيه» من إذن أو منع، لأنَّ الإذن له في الاستمرار والانتقال، وأحدهما يُؤدِّي إلى القتل المحرَّم، والمنع منهما لا قدرة على امتثاله.
قال: مع استمرار عصيانه ببقاء ما تسبَّب فيه من الضرر بسقوطه إن كان باختياره، وإلا فلا عصيان»^(١)).

(وتَوَقَّفَ الغزالي) فقال في «المستصفى»^(٢): «يَحْتَمِلُ كُلُّ من المقالات الثلاث»، واختار الثالثة في «المنحول»^(٣).

ولا ينافي قَوْلُهُ كإمامه: «لا تَخْلُو واقعة عن حكم الله»^(٤)، لأنَّ مرادهما بالحكم فيه: ما يَصْدُقُ بالحكم المتعارف، وبانتفاؤه، لِقَوْلِ إمامه لَمَّا سألَهُ هو أَوَّلًا عن ذلك: «حُكْمُ الله تعالى هنا: أن لا حُكَمَ»، على أنه نُقِلَ عنه أنه اختار في باب الصيد من «النهاية» المقالة الأولى على الثالثة.

واحترز المصنف بقوله «كُفَّاهُ» عن غير الكفاء كالكافر فيجبُ الانتقال عن المسلم إليه، لأنَّ قتله أخفُّ مفسدةً.

(١) البرهان لإمام الحرمين: ٢١٠/١.

(٢) المستصفى (٢٤٤/١)، وهو من آخر ما ألَّفَهُ حجةُ الإسلام رحمه الله تعالى.

(٣) المنحول للغزالي، ص: ١٢٥.

(٤) المستصفى للغزالي: ٢٤٤/١.

مسألة: [التكليف بالمُحال]

يَجُوزُ التَّكْلِيفُ بِالْمُحَالِ مُطْلَقًا . وَمَنْعَ أَكْثَرِ الْمُعْتَزِلَةِ؛ وَالشَّيْخُ أَبُو حَامِدٍ،
وَالْغَزَالِيُّ، وَابْنُ دَقِيقِ الْعِيدِ مَا لَيْسَ مُمْتَنِعًا لِتَعَلُّقِ الْعِلْمِ بِعَدَمِ وَقُوعِهِ،

(مسألة: [التكليف بالمُحال])

يَجُوزُ التَّكْلِيفُ بِالْمُحَالِ ^(١) مُطْلَقًا ^(٢) أَي سِوَاءَ كَانَ مُحَالًا لِدَاتِهِ أَيْ مُمْتَنِعًا عَادَةً وَعَقْلًا
كَالْجَمْعِ بَيْنَ السَّوَادِ وَالْبَيَاضِ، أَمْ لَغَيْرِهِ أَيْ مُمْتَنِعًا عَادَةً لَا عَقْلًا كَالْمَشْيِ مِنَ الزَّمَنِ، وَالطَّيْرَانِ مِنَ
الْإِنْسَانِ، أَوْ عَقْلًا لَا عَادَةً كَالْإِيمَانِ مِمَّنْ عَلِمَ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّهُ لَا يُؤْمِنُ.

(وَمَنْعَ أَكْثَرِ الْمُعْتَزِلَةِ، وَالشَّيْخُ أَبُو حَامِدٍ) الْأَسْفَرَايِينِيُّ ^(٣)، (وَالْغَزَالِيُّ، وَابْنُ دَقِيقِ الْعِيدِ مَا)
أَي الْمُحَالِ الَّذِي (لَيْسَ مُمْتَنِعًا لِتَعَلُّقِ الْعِلْمِ بِعَدَمِ وَقُوعِهِ) أَيْ مَنَعُوا الْمُمْتَنِعَ لِغَيْرِ تَعَلُّقِ الْعِلْمِ،
لأنه لظهور امتناعه للمكلفين لا فائدة في طلبه منهم ^(٤).

وَأَجِيبُ: بِأَنَّ فَائِدَتَهُ اخْتِبَارُهُمْ هَلْ يَأْخُذُونَ فِي الْمَقْدَمَاتِ، فَيَتَرْتَبُ عَلَيْهَا الثَّوَابُ، أَوْ لَا
فَالْعِقَابُ؟

أما الْمُمْتَنِعُ لِتَعَلُّقِ عِلْمِ اللَّهِ تَعَالَى بِعَدَمِ وَقُوعِهِ، فَالتَّكْلِيفُ بِهِ جَائِزٌ وَوَاقِعٌ اتِّفَاقًا ^(٥).

(١) الْمُحَالُّ عَلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ: الْأَوَّلُ: الْمُحَالُّ لِدَاتِهِ (أَي الْمُحَالُّ عَادَةً وَعَقْلًا) كَالْجَمْعِ بَيْنَ النِّقِصَيْنِ.
الثَّانِي: الْمُحَالُّ لِغَيْرِهِ (أَي الْمُحَالُّ عَادَةً، لَا عَقْلًا) كَالْمَشْيِ مِنَ الزَّمَنِ، وَالطَّيْرَانِ مِنَ الْإِنْسَانِ.
الثَّالِثُ: الْمُحَالُّ لِتَعَلُّقِ عِلْمِ اللَّهِ بِعَدَمِ وَقُوعِهِ (أَي الْمُحَالُّ عَقْلًا، لَا عَادَةً) كَالْإِيمَانِ مِمَّنْ عَلِمَ اللَّهُ تَعَالَى
أَنَّهُ لَا يُؤْمِنُ كَأَبُو يَ جَهْلٍ وَلَهَبٍ.

اتَّفَقَ الْعُلَمَاءُ عَلَى جَوَازِ التَّكْلِيفِ بِالثَّالِثِ وَوَقُوعِهِ، وَاخْتَلَفُوا فِي الْأَوَّلِ، وَالثَّانِي عَلَى مَذَاهِبٍ كَمَا ذَكَرَ
الْمُصَنِّفُ. (الغَيْثُ الْهَامِعُ: ٨٦/١).

(٢) وَهُوَ مَذْهَبُ أَبِي الْحَسَنِ الْأَشْعَرِيِّ، وَالْإِمَامِ فِي الْمَحْصُولِ (٢/٢١٥) وَأَتْبَاعِهِ كَالْبَيْضَاوِيِّ فِي الْمَنْهَاجِ
(١/١٥٩)، وَاخْتَارَهُ شَيْخُ الْإِسْلَامِ فِي «لُبِّ الْأَصُولِ» وَشَرَحَهُ (ص: ٣١).

(٣) وَأَبُو حَامِدٍ الْأَسْفَرَايِينِيُّ: هُوَ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ أَحْمَدَ الْأَسْفَرَايِينِي الشَّافِعِي، أَبُو حَامِدٍ، الْفَقِيهَ
الْأَصُولِي، انْتَهَتْ إِلَيْهِ رِيَاسَةُ الدِّينِ وَالدُّنْيَا، عُذُّ مِنَ الْمُجْتَهِدِينَ حَتَّى قَالُوا: لَوْ رَأَى الشَّافِعِيُّ لَسُرَّ بِهِ، أَلْفَ
كِتَابًا نَفْسَةً كَشَرَحِ الْمَزْنِيِّ، تُوْفِيَ رَحِمَهُ اللَّهُ سَنَةَ ٤٠٦ هـ بِبَغْدَادٍ. (الْفَتْحُ الْمُبِينُ: ١/٢٣٦).

(٤) وَبِهِ قَالَ الْحَنْفِيَّةُ وَالْمَالِكِيَّةُ وَالْحَنَابِلَةُ وَالْمُعْتَزِلَةُ. (الْمُسْتَصْفَى: ١/٢٣٨، تَيْسِيرُ التَّحْرِيرِ: ٢/١٣٧، مُخْتَصَرُ
ابْنِ الْحَاجِبِ: ٢/٩، شَرْحُ الْكُوكَبِ: ١/٤٨٥).

(٥) مِثْلُهُ فِي زِمَايَةِ السُّوْلِ (١/١٦٠)، وَالتَّشْنِيفِ (١/١٣٠)، وَشَرْحِ الْكُوكَبِ (١/٤٨٥).

ومعتزلة بغداد والآمدني المَحَالِ لِذَاتِهِ، وإمامُ الحرَمين كَوْنُهُ مَطْلُوباً، لا وُرُودَ صِغَةِ الطَّلَبِ. وَالْحَقُّ وَقُوعُ الْمُمْتَنِعِ بِالْغَيْرِ، لا بِالذَّاتِ .

(و) مَنَعَ (معتزلة بغداد، والآمدني المَحَالِ لِذَاتِهِ)، دون المَحَالِ لغيره^(١).

(و) مَنَعَ (إمامُ الحرَمين^(٢) كَوْنُهُ) أي المَحَالِ يعني لغير تعلُّق العلم لِمَا سَبَقَ^(٣) (مطلوباً) أي مَنَعَ طَلَبَهُ مِنْ قَبْلِ نَفْسِهِ أَيْ لَا سَتَحَالَته. فهي عنده مانعةٌ مِنْ طَلَبِهِ، بِخِلَافِهَا عَلَى الْقَوْلِ الثَّانِي، فَاخْتَلَفَا - كَمَا قَالَ الْمَصْنُفُ^(٤) - مَأْخِذاً لَا حُكْماً.

(لا وُرُودَ صِغَةِ الطَّلَبِ) لَهُ لَغَيْرِ طَلَبِهِ، فَلَمْ يَمْنَعَهُ «الإمامُ» كَمَا لَمْ يَمْنَعَهُ غَيْرُهُ، فَإِنَّهُ وَاقِعٌ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾^(٥).

و «الإمامُ» رَدَّدَ بِمَا قَالَهُ فِيمَا نُسِبَ إِلَى الْأَشْعَرِيِّ مِنْ جَوَازِ التَّكْلِيفِ بِالْمَحَالِ، فَحَكَاهُ الْمَصْنُفُ بِشَقِيهِ، وَلَوْ تَرَكَهَ وَذَكَرَ «الإمامُ» مَعَ مَنْ ذَكَرَهُ فِي الْقَوْلِ الثَّانِي كَمَا فَعَلَ فِي «شرح المنهاج»^(٦) فَاتَّهَ الْإِشَارَةُ إِلَى اخْتِلَافِ الْمَأْخِذِ الْمَقْصُودَةِ لَهُ.

(وَالْحَقُّ وَقُوعُ الْمُمْتَنِعِ بِالْغَيْرِ، لا بِالذَّاتِ)^(٧).

أَمَّا وَقُوعُ التَّكْلِيفِ بِالْأَوَّلِ، فَلِأَنَّهُ تَعَالَى كَلَّفَ الثَّقَلَيْنِ بِالْإِيمَانِ، وَقَالَ ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾^(٨)، فَامْتَنَعَ إِيْمَانُ أَكْثَرِهِمْ، لَعَلِمَهُ تَعَالَى بَعْدَ وَقُوعِهِ، وَذَلِكَ مِنَ الْمُمْتَنِعِ لَغَيْرِهِ.

وَأَمَّا عَدَمُ وَقُوعِهِ بِالثَّانِي فَلِلْإِسْتِقْرَاءِ.

وَالْقَوْلُ الثَّانِي:^(٩) وَقُوعُهُ بِالثَّانِي أَيْضاً، لِأَنَّهُ مِنْ أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ أَنَّهُ لَا يُؤْمِنُ بِقَوْلِهِ مِثْلًا

(١) الإحكام للآمدني: ١١٥/١.

(٢) البرهان لإمام الحرَمين: ١٨٩/١.

(٣) أي لكون التكليف بالمتنوع لتلق علم الله تعالى بعدم وقوعه جائزاً وواقعاً اتفاقاً.

(٤) أي في رفع الحاجب (٣٤/٢)، لأنَّ مَأْخِذَ الْإِمَامِ أَيْ إِمَامِ الْحَرَمَيْنِ اسْتِحَالَةُ الْمَحَالِ أَوْ طَلَبُهُ، وَمَأْخِذُ

القول الثاني عدم الفائدة في طلبه. (النجوم اللوامع: ٢٩٣/١).

(٥) سورة البقرة، الآية: ٦٥.

(٦) الإنهاج بشرح المنهاج للمصنف: ١٧٤/١.

(٧) وهو اختيار السيف الآمدني في الإحكام (١١٥/١)، والبيضاوي في المنهاج (١٥٩/١).

(٨) سورة يوسف، الآية: ١٠٣.

(٩) وهو ما فتح المسألة بقوله «يجوز التكليف بالمحال مطلقاً».

مسألة: [تَكْلِيفُ الْكُفَّارِ بِالْفُرُوعِ]

الْأَكْثَرُ أَنَّ حُصُولَ الشَّرْطِ الشَّرْعِيِّ لَيْسَ شَرْطاً فِي صِحَّةِ التَّكْلِيفِ.....

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾^(١) كَأَبْوَى جَهْلٍ وَلَهَبٍ وَغَيْرِهِمَا، مَكْلَفٌ فِي جُمْلَةِ الْمَكْلَفِينَ بِتَصَدِيقِ النَّبِيِّ ﷺ فِي جَمِيعِ مَا جَاءَ بِهِ عَنْ اللَّهِ تَعَالَى، وَمِنْهُ أَنَّهُ لَا يُؤْمِنُ أَيْ لَا يُصَدِّقُ النَّبِيَّ ﷺ فِي شَيْءٍ مِمَّا جَاءَ بِهِ عَنْ اللَّهِ تَعَالَى فَيَكُونُ مَكْلَفاً بِتَصَدِيقِهِ فِي خَبَرِهِ عَنْ اللَّهِ تَعَالَى، بِأَنَّهُ لَا يُصَدِّقُهُ فِي شَيْءٍ مِمَّا جَاءَ بِهِ عَنْ اللَّهِ تَعَالَى، وَفِي هَذَا التَّصَدِيقِ تَنَاقُضٌ، حَيْثُ اشْتَمَلَ عَلَى إِبْثَابِ التَّصَدِيقِ فِي شَيْءٍ، وَنَفْيِهِ فِي كُلِّ شَيْءٍ، فَهُوَ مِنَ الْمَمْتَنَعِ لِدَاثِهِ.

وَأَجِيبُ: بِأَنَّ مَنْ أُنْزِلَ اللَّهُ فِيهِ «أَنَّهُ لَا يُؤْمِنُ» لَمْ يَقْصِدْ إِبْلَاغَهُ ذَلِكَ حَتَّى يَكْلَفَ بِتَصَدِيقِ النَّبِيِّ ﷺ فِيهِ، دَفْعاً لِلتَّنَاقُضِ، وَإِنَّمَا قَصِدَ إِبْلَاغُ ذَلِكَ لِغَيْرِهِ؛ وَإِعْلَامُ النَّبِيِّ ﷺ بِهِ لِيَأْسَ مِنْ إِيْمَانِهِ، كَمَا قِيلَ لَنُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ ءَامَنَ﴾^(٢)، فَتَكْلِيفُهُ بِالْإِيْمَانِ مِنَ التَّكْلِيفِ بِالْمَمْتَنَعِ لِغَيْرِهِ.

وَالثَّالِثُ وَهُوَ قَوْلُ الْجُمْهُورِ: «عَدَمُ وَقُوعِهِ بِوَاحِدٍ مِنْهُمَا إِلَّا فِي الْمَمْتَنَعِ لِتَعَلُّقِ الْعِلْمِ بِعَدَمِ وَقُوعِهِ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿لَا يُكْلَفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾»^(٣)، وَالْمَمْتَنَعُ لِتَعَلُّقِ الْعِلْمِ فِي وُسْعِ الْمَكْلَفِينَ ظَاهِراً.

مسألة: [تَكْلِيفُ الْكُفَّارِ بِالْفُرُوعِ]

الْأَكْثَرُ^(٤) مِنَ الْعُلَمَاءِ عَلَى (أَنَّ حُصُولَ الشَّرْطِ الشَّرْعِيِّ لَيْسَ شَرْطاً فِي صِحَّةِ التَّكْلِيفِ) بِمَشْرُوطِهِ، فَيَصْحُ التَّكْلِيفُ بِالْمَشْرُوطِ حَالَ عَدَمِ الشَّرْطِ.

وَقِيلَ: «هُوَ شَرْطٌ فِيهَا، فَلَا يَصْحُ ذَلِكَ، وَإِلَّا فَلَا يُمَكِّنُ امْتِثَالُهُ لَوْ وَقَعَ»^(٥).

وَأَجِيبُ: بِإِمْكَانِ امْتِثَالِهِ بِأَنْ يُؤْتَى بِالْمَشْرُوطِ بَعْدَ الشَّرْطِ، وَقَدْ وَقَعَ.

وَعَلَى الصَّحَةِ وَالْوُقُوعِ مَا تَقَدَّمَ^(٦) مِنْ وُجُوبِ الشَّرْطِ بِوُجُوبِ الْمَشْرُوطِ وَفَاقاً لِلْأَكْثَرِ

(١) سورة البقرة، الآية: ٦.

(٢) سورة هود، الآية: ٣٦.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٨٦.

(٤) أي من المالكية والشافعية والحنابلة والمعتزلة. (مختصر ابن الحجب: ١٢/٢، المحصول: ٢٣٧/٢،

الإحكام: ١٢٤/١، رفع الحاجب: ٤٥/٢، البحر: ٤١٢/١، شرح الكوكب: ٥٠٠/١).

(٥) قاله الحنفية. (تيسير التحرير: ١٤٨/٢).

(٦) انظر: «مسألة: ما لا يتم الواجب إلا به واجب»: ١٤٧/١.

وهي مفروضة في تكليف الكافر بالفروع .
والصحيح وقوعه، خلافاً لأبي حامد الأسفراييني وأكثر الحنفية مطلقاً،

يعني من الأكثر هنا .

(وهي) أي المسألة (مفروضة) بين العلماء (في تكليف الكافر بالفروع) أي هل يصح تكليفه بها مع انتفاء شرطها في الجملة من الإيمان، لتوقفها على النية التي لم تصح من الكافر؟
فالأكثر^(١) على صحته، ويمكن امتثاله بأن يأتي بها بعد الإيمان.

(والصحيح وقوعه)^(٢) أيضاً، فيعاقب على تركه امتثاله وإن كان يسقط بالإيمان ترغيباً فيه، قال تعالى ﴿يَسْأَلُونَ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ ﴿٢﴾ قَالُوا لَوْ نَكُ مِنَ الْمَصْلِينَ ﴿٣﴾﴾، ﴿وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ ﴿٤﴾﴾، ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ ﴿٥﴾﴾ الآية؛
وتفسير «الصلاة» بـ «الإيمان» لأنها شعاره، و «الزكاة» بـ «كلمة التوحيد»، و «ذلك»^(٦) لإفراجه بـ «الشرك» فقط - كما قيل - خلاف الظاهر^(٧).

(خلافاً لأبي حامد الأسفراييني، وأكثر الحنفية)^(٨) في قولهم: «ليس مكلفاً بها (مطلقاً)،
إذ المأمورات منها لا يمكن مع الكفر فعلها، ولا يؤمر بعد الإيمان بقضائها، والمنهيات محمولة عليها حذراً من تبعض التكليف» .

(١) أي من المالكية والشافعية والحنابلة. (الإحكام للباي: ١/١١٨، مختصر ابن الحاجب: ٢/١٢، المحصول: ٢/٢٣٧، نهاية السؤل: ١/١٦٧، رفع الحاجب: ٢/٤٦، شرح الكوكب: ١/٥٠١).

(٢) قاله المالكية والشافعية والحنابلة.

(الإحكام: ١/١٢٤، مختصر ابن الحاجب: ٢/١٢، شح الكوكب: ١/١٢، رفع الحاجب: ٢/٤٦، غاية الوصول، ص: ٣٢، المسصفى: ١/٢٤٨، التشيف: ١/١٣١).

(٣) سورة المدثر، الآية: ٤٠ - ٤٢.

(٤) سورة الفصلت، الآية: ٦ - ٧.

(٥) سورة الفرقان، الآية: ٦٨.

(٦) أي وتفسير لفظ «ذلك» في قوله تعالى في سورة الفرقان (الآية: ٦٨): ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ أَنْفُسَ آلِي حَرَمَ اللَّهِ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾.

(٧) أي ترك للظاهر من غير دليل كما قال الأمدي في الإحكام (١/١٢٦).

(٨) أي مشايخ سمرقند منهم: أبو زيد الدبوسي، شمس الأئمة السرخسي، وفخر الإسلام البزدوي.
(تيسير التحرير: ٢/١٤٨).

وَلَقَوْمٍ فِي الْأَوَامِرِ فَقَطْ، وَلَا خَرِينَ فَيَمَنَ عَدَا الْمُرْتَدَّ.

قال الشيخ الإمام: «وَالْخِلَافُ فِي خُطَابِ التَّكْلِيفِ وَمَا يَرْجَعُ إِلَيْهِ مِنَ الْوَضْعِ، لَا الْإِتْلَافِ، وَالْجِنَايَاتِ، وَتَرْتُبِ آثَارِ الْعُقُودِ».

وكثير من الحنفية^(١) وافقونا.

(و) خلافاً (لِقَوْمٍ فِي الْأَوَامِرِ فَقَطْ)، فقالوا: «لَا تَتَعَلَّقُ بِهِ لِمَا تَقَدَّمَ، بِخِلَافِ النُّوَاهِي، لِإِمْكَانِ امْتِثَالِهَا مَعَ الْكُفْرِ، لِأَنَّ مَتَعَلِّقَاتِهَا تُرْوَكُ لَا تَتَوَقَّفُ عَلَى النِّيَّةِ الْمُتَوَقِّفَةِ عَلَى الْإِيمَانِ»^(٢).

(و) خلافاً (لَا خَرِينَ فَيَمَنَ عَدَا الْمُرْتَدَّ)، أَمَّا الْمُرْتَدُّ فَوَافَقُوا عَلَى تَكْلِيفِهِ بِاسْتِمْرَارِ تَكْلِيفِ الْإِسْلَامِ^(٣).

(قال الشيخ الإمام) والد المصنّف: «وَالْخِلَافُ فِي خُطَابِ التَّكْلِيفِ» مِنَ الْإِيجَابِ وَالتَّحْرِيمِ، (وَمَا يَرْجَعُ إِلَيْهِ مِنَ الْوَضْعِ) كَكُونِ الطَّلَاقِ سَبَباً لِحُرْمَةِ الزَّوْجَةِ، فَالْخَصْمُ يُخَالِفُ فِي سَبَبِهِ؛

(لَا) مَا لَا يَرْجَعُ إِلَيْهِ نَحْوُ (الْإِتْلَافِ) لِلْمَالِ (وَالْجِنَايَاتِ) عَلَى النَّفْسِ، وَمَا دُونَهَا، مِنْ حَيْثُ إِنَّهَا أَسْبَابُ لِلضَّمَانِ، (وَتَرْتُبِ آثَارِ الْعُقُودِ) الصَّحِيحَةِ كَمَلِكِ الْمَبِيعِ، وَثُبُوتِ النَّسَبِ، وَالْعَوَاضِ فِي الذَّمَّةِ، فَالْكَافِرُ فِي ذَلِكَ كَالْمُسْلِمِ اتِّفَاقاً^(٤).

(١) وَمَنْ عَدَا مَشَايِخَ سَمَرْقَنْدٍ مُتَّفِقُونَ عَلَى تَكْلِيفِ الْكُفَّارِ بِالْفُرُوعِ، وَإِنَّمَا اخْتَلَفُوا فِي أَنَّ التَّكْلِيفَ فِي حَقِّ الْأَدَاءِ كَالْإِعْتِقَادِ أَوْ طُلُبِ مِنْهُمْ فِي تِلْكَ الْمَرْتَبَةِ أَدَاءَ الصَّلَاةِ امْتِثَالاً كَمَا طُلِبَ مِنْهُمْ الْإِعْتِقَادُ بِحَقِيقَتِهَا وَوُجُوبُهَا، أَوْ فِي حَقِّ الْإِعْتِقَادِ؟

فَالْعَرَاقِيُّونَ قَالُوا: الْكُفَّارُ مُخَاطَبُونَ بِالْأَدَاءِ وَالْإِعْتِقَادِ، فَيُعَاقَبُونَ عَلَى تَرْكِهِمَا.

وَالْبَخَارِيُّونَ قَالُوا: مُخَاطَبُونَ بِالْإِعْتِقَادِ فَقَطْ، فَيُعَاقَبُونَ عَلَى تَرْكِهِ فَقَطْ» (تيسير التحرير: ١٤٨/٢).

(٢) وَهُوَ رَوَايَةٌ عَنِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ. (شرح الكوكب: ٥٠٤/١).

(٣) حَكَاهُ الْقَاضِي عَبْدُ الْوَهَّابِ عَنْ بَعْضِ الْأَصُولِيِّينَ. (شرح التنقيح، ص: ١٦٦).

(٤) مَنَعَ الْمَوَانِعَ لِلْمَصْنُفِ (ص ١٣٣). وَتَعَقَّبَهُ الزُّرْكَشِيُّ فِي التَّشْنِيفِ (١/١٣٢) قَائِلاً: «بَلْ كَلَامُ الْأَصْحَابِ عَلَى إِطْلَاقِهِ، وَلَا وَجْهَ لِهَذَا التَّفْصِيلِ، وَلَا يَصُحُّ دَعْوَى الْإِجْمَاعِ فِي الْإِتْلَافِ وَالْجِنَايَةِ، بَلِ الْخِلَافُ جَارٍ فِي الْجَمِيعِ، وَقَدْ حَكَى الرَّافِعِيُّ عَنِ الْأَسْتَاذِ أَبِي إِسْحَاقَ: أَنَّ الْحَرَبِيَّ إِذَا قَتَلَ الْمُسْلِمَ أَوْ أُنْثَلَفَ عَلَيْهِ مَا لَا تَمَّ أَسْلَمَ أَنَّهُ يَجِبُ ضَمَانُهُمَا إِذَا قُلْنَا: إِنَّ الْكُفَّارَ مُخَاطَبُونَ بِالْفُرُوعِ، وَالْجُمْهُورُ أَنَّهُ لَا يَضْمَنُ.... وَقَالَ الْإِمَامُ فِي «الْأَسَالِيبِ»: إِنَّ الْكُفَّارَ إِذَا اسْتَوْلَوْا عَلَى مَالِ الْمُسْلِمِينَ فَلَا حُكْمَ لاسْتِيلَانِهِمْ، وَأَعْيَانُ الْأَمْوَالِ لِأَرْبَابِهَا، وَكَأَنَّهُمْ فِي اسْتِيلَانِهِمْ وَإِتْلَانِهِمْ كَالْبَهَائِمِ. وَبَنَى بَعْضُهُمْ هَذِهِ الْمَسْأَلَةَ عَلَى الْخِلَافِ فِي تَكْلِيفِهِمْ بِالْفُرُوعِ، وَقَالَ: هُمْ مِنْهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْ اسْتِيلَانِهِمْ».

وَنَقَلَهُ شَيْخُ الْإِسْلَامِ فِي النُّجُومِ لِلْوَامِعِ (١/٢٩٩)، وَغَايَةُ الْوَصُولِ (ص: ٣٣)، وَأَقْرَهُ.

مسألة: [لا تَكْلِفَ إِلَّا بِالْفِعْلِ]

لا تَكْلِفَ إِلَّا بِفِعْلٍ، فَأَلْمَكَلْتُ بِهِ فِي النَّهْيِ الْكَفُّ أَيْ الْإِنْهَاءُ وَفَاقًا لِلشَّيْخِ الْإِمَامِ؛
وَقِيلَ: «فِعْلُ الضِّدِّ»، وَقَالَ قَوْمٌ: «الْإِنْتِفَاءُ».

نَعَمْ الْحَرْبِيُّ لَا يُضَمِّنُ مُثْلَفَهُ وَمَجْنِيَّةً.

وَقِيلَ: «يُضَمِّنُ الْمُسْلِمَ وَمَالَهُ، بِنَاءً عَلَى أَنَّ الْكَافِرَ مُكَلَّفٌ بِالْفُرُوعِ»^(١).

وَرُدُّ: بِأَنَّ دَارَ الْحَرْبِ لَيْسَتْ دَارَ ضَمَانٍ.

مسألة: [لا تَكْلِفَ إِلَّا بِالْفِعْلِ]

لا تَكْلِفَ إِلَّا بِفِعْلٍ، وَذَلِكَ ظَاهِرٌ فِي الْأَمْرِ، لِأَنَّهُ مُقْتَضٍ لِلْفِعْلِ، وَأَمَّا فِي النَّهْيِ الْمُقْتَضِي
لِلتَّرْكِ فَبَيَّنَهُ بِقَوْلِهِ: (فَأَلْمَكَلْتُ بِهِ فِي النَّهْيِ الْكَفُّ أَيْ الْإِنْهَاءُ) عَنِ الْمَنْهِيِّ عَنْهُ (وَفَاقًا لِلشَّيْخِ
الْإِمَامِ) أَيْ وَالِدِهِ، وَذَلِكَ فِعْلٌ يَحْصُلُ بِفِعْلِ الضِّدِّ لِلْمَنْهِيِّ عَنْهُ^(٢).

(وَقِيلَ): «هُوَ (فِعْلُ الضِّدِّ) لِلْمَنْهِيِّ عَنْهُ»^(٣).

(وَقَالَ قَوْمٌ)^(٤) مِنْهُمْ أَبُو هَاشِمٍ: «هُوَ غَيْرُ فِعْلٍ، وَهُوَ (الْإِنْتِفَاءُ) لِلْمَنْهِيِّ عَنْهُ، وَذَلِكَ مَقْدُورٌ»^{٦٩}

(١) قَالَ الْأَسَازُ أَبُو إِسْحَاقَ مِنَ الشَّافِعِيَّةِ. (التَّشْنِيفُ: ١/١٣٣).

تَوَمَّنَ: قَالَ الْإِمَامُ النَّوَوِيُّ رحمته الله فِي الْمَجْمُوعِ (٥/٣): «اتَّفَقَ أَصْحَابُنَا فِي كُتُبِ الْفُرُوعِ عَلَى أَنَّ الْكَافِرَ الْأَصْلِيَّ لَا تَجِبُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالصَّوْمُ وَالزَّكَاةُ وَغَيْرُهَا مِنْ فُرُوعِ الْإِسْلَامِ.
وَأَمَّا فِي كُتُبِ الْأَصُولِ فَقَالَ جَمْهُورُهُمْ: هُوَ مُخَاطَبٌ بِالْفُرُوعِ كَمَا هُوَ مُخَاطَبٌ بِأَصْلِ الْإِيمَانِ.
وَلَيْسَ هَذَا مُخَالَفًا لِقَوْلِهِمْ فِي الْفُرُوعِ، لِأَنَّ الْمَرَادَ هُنَا غَيْرُ الْمَرَادِ هُنَاكَ، فَمَرَادُهُمْ فِي كُتُبِ الْفُرُوعِ:
أَنَّهُمْ لَا يُطَالَبُونَ بِهَا فِي الدُّنْيَا مَعَ كُفْرِهِمْ، وَإِذَا أَسْلَمَ أَحَدُهُمْ لَمْ يَلْزَمْهُ قَضَاءُ الْمَاضِي، وَلَمْ يَتَعَرَّضُوا
لِعُقُوبَةِ الْآخِرَةِ.

وَمَرَادُهُمْ فِي كُتُبِ الْأَصُولِ: أَنَّهُمْ يُعَذَّبُونَ عَلَيْهَا فِي الْآخِرَةِ زِيَادَةً عَلَى عَذَابِ الْكُفْرِ، فَيُعَذَّبُونَ عَلَيْهَا
وَعَلَى الْكُفْرِ جَمِيعًا، لَا عَلَى الْكُفْرِ وَحْدَهُ، وَلَمْ يَتَعَرَّضُوا لِلْمُطَالَبَةِ فِي الدُّنْيَا.
فَذَكَرُوا فِي الْأَصُولِ حُكْمَ أَحَدِ الطَّرَفَيْنِ، وَفِي الْفُرُوعِ حُكْمَ الطَّرَفِ الْآخَرِ».

(٢) قَالَ الْحَنَفِيَّةُ وَالْمَالِكِيَّةُ وَالشَّافِعِيَّةُ وَالْحَنَابِلَةُ.

(تَيْسِيرُ التَّحْرِيرِ: ٢/١٣٥، مُخْتَصَرُ ابْنِ الْحَاجِبِ: ٢/١٤، الْإِحْكَامُ: ١/١٢٦، الْمَحْصُولُ: ٢/٣٠٢،

رَفَعُ الْحَاجِبِ: ٢/٥٤، شَرْحُ الْكَوْكَبِ: ١/٤٩١).

(٣) قَالَ بَعْضُ الْأَصُولِيِّينَ وَإِنْ نُسِبَ لِلْجَمْهُورِ. (التَّشْنِيفُ: ١/١٣٣).

(٤) أَيْ قَوْمٌ كَثِيرٌ مِنَ الْمَعْتَزِلَةِ. (تَيْسِيرُ التَّحْرِيرِ: ٢/١٣٥، التَّشْنِيفُ: ١/١٣٣).

وقيل: «يُشْتَرَطُ قَضُ التَّرْكِ».

[وَفَتْ تَعَلَّقَ الْأَمْرُ بِالْفِعْلِ]

والأمر عند الجمهورِ يَتَعَلَّقُ بِالْفِعْلِ قَبْلَ الْمُبَاشَرَةِ بَعْدَ دُخُولِ وَقْتِهِ إلْزَامًا، وَقَبْلَهُ

لِلْمَكْلَفِ، بَأَنْ لَا يَشَاءُ فَعَلَهُ الَّذِي يَوْجَدُ بِمَشِيئَتِهِ.

فإذا قيل: «لا تتحرك» فالمطلوب منه على الأول الانتهاء عن التحرك الحاصل بفعله ضده من السكون، وعلى الثاني فعل ضده، وعلى الثالث انتفاؤه بأن يستمرّ عدمه من السكون، فيه يخرج عن عهدة النهي على الجميع.

(وقيل: «يُشْتَرَطُ»^(١)) في الإتيان بالمكلف به في النهي مع الانتهاء عن المنهي عنه (قصده الترك) له امتثالاً، فيترتب العقاب إن لم يقصد^(٢).

والأصح لا، وإنما يُشْتَرَطُ لِحَصُولِ الثَّوَابِ لِحَدِيثِ الصَّحِيحِينَ المشهور: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ»^(٣).

[وَفَتْ تَعَلَّقَ الْأَمْرُ بِالْفِعْلِ]

(والأمر عند الجمهور^(٤) يَتَعَلَّقُ بِالْفِعْلِ قَبْلَ الْمُبَاشَرَةِ) له (بعد دخول وقته إلزاماً، وقبله إعلماً).

(١) قال الزركشي في التشنيف (١/١٣٥): «هذا قول غريب إن أجري على ظاهره حتى يأتى إذا تركه ولم يقصد الترك، وإنما ينتج هذا في حصول الثواب، وهي مسألة أخرى، ثم رأيت في «المسودة» لابن تيمية ما نصه: إن قصد الكف مع التمكن من الفعل أثيب، وإلا فلا ثواب ولا عقاب اهـ».

(٢) قال العراقي في الغيث الهامع (١/٩٢): «هذا القول غير معروف».

(٣) رواه البخاري في بدء الوحي، باب كيف بدأ الوحي (١)، ومسلم في الإمارة، باب قوله ﷺ «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ» (٤٩٠٤)، وأبو داود في الطلاق، باب فيما عني به الطلاق والنيات (٢٢٠١)، والترمذي في فضائل الجهاد، باب فيمن يقايل رياءاً وللدنيا (١٦٤٦)، والنسائي في الطهارة، باب النية في الوضوء (٧٥)، وابن ماجه في في الزهد، باب النية (٤٢٢٧).

(٤) أي من الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة. (تيسير التحرير: ١٤١/٢، شرح التنقيح، ص: ١٧١، الأحكام: ١٢٧/١، المحصول: ٣٠٢/٢، رفع الحاجب: ٥٤/٢، شرح الكوكب: ١/٤٩٣).

إعلاماً ؛ والأكثرُ : «يَسْتَمِرُّ حَالَ الْمُبَاشَرَةِ» ؛ وإمامُ الحرمين والغزالي : «يَنْقَطِعُ» ؛ وقال قومٌ : «لا يَتَوَجَّهُ إِلَّا عِنْدَ الْمُبَاشَرَةِ» . وهو التَّحْقِيقُ ، فالَمَلَامُ قَبْلَهَا عَلَى التَّلْبِيسِ بِالْكَفِّ الْمُنْهِيِّ .

مسألة : [صِحَّةُ التَّكْلِيفِ بِمَا عَلِمَ الْأَمْرُ انْتِفَاءً شَرْطِهِ]

يَصِحُّ التَّكْلِيفُ - وَيُوجَدُ مَعْلُومًا لِلْمَأْمُورِ إِثْرُهُ - مَعَ عِلْمِ الْأَمْرِ ، وكذا المأمور في الأظهر ، انتفاء شرط وقوعه

والأكثرُ من الجمهور^(١) قالوا : « (يَسْتَمِرُّ) تَعَلَّقَهُ الْإِذَازَامِي بِهِ (حَالِ الْمُبَاشَرَةِ) لَهُ » .

(و) قال (إمام الحرمين والغزالي : «يَنْقَطِعُ» التَّعَلُّقُ حَالَ الْمُبَاشَرَةِ ، وَإِلَّا يَلْزَمُ طَلْبُ تَحْصِيلِ حَاصِلٍ ، وَلَا فَائِدَةٌ فِي طَلْبِهِ»^(٢) .

وَأَجِيبُ : بِأَنَّ الْفِعْلَ كَالصَّلَاةِ إِنَّمَا يَحْصُلُ بِالْفَرَاغِ مِنْهُ ، لَانْتِفَاءِ بَانْتِفَاءِ جُزْءٍ مِنْهُ .

(وَقَالَ قَوْمٌ) مِنْهُمْ الْإِمَامُ الرَّازِي : « (لا يَتَوَجَّهُ) الْأَمْرُ بِأَنْ يَتَعَلَّقَ بِالْفِعْلِ الْإِذَازَامَا (إِلَّا عِنْدَ الْمُبَاشَرَةِ) لَهُ»^(٣) .

قال المصنف : « (وهو التحقيق) إِذْ لَا قُدْرَةَ عَلَيْهِ إِلَّا حَيْثُئذِ»^(٤) .

وما قيل : «مِنْ أَنَّهُ يَلْزَمُ عَدَمُ الْعَصِيَانِ بِتَرْكِهِ» ؟

فجوابه : قَوْلُهُ (فَالَمَلَامُ) بَفَتْحِ الْمِيمِ أَيْ اللَّوْمُ وَالذَّمُّ (قَبْلَهَا) أَيْ قَبْلَ الْمُبَاشَرَةِ ، بِأَنْ تَرَكَ الْفِعْلَ أَيْ اللَّوْمُ حَالَ التَّرْكِ (عَلَى التَّلْبِيسِ بِالْكَفِّ) عَنِ الْفِعْلِ (الْمُنْهِيِّ) ذَلِكَ الْكَفُّ عَنْهُ لِأَنَّ الْأَمْرَ بِالشَّيْءِ يُفِيدُ النِّهْيَ عَنْ تَرْكِهِ .

(مسألة : [صِحَّةُ التَّكْلِيفِ بِمَا عَلِمَ الْأَمْرُ انْتِفَاءً شَرْطِهِ])

يَصِحُّ التَّكْلِيفُ^(٥) - وَيُوجَدُ مَعْلُومًا لِلْمَأْمُورِ إِثْرُهُ) أَيْ عَقِبَ الْأَمْرِ الْمَسْمُوعِ لَهُ الدَّالُّ عَلَى التَّكْلِيفِ - (مَعَ عِلْمِ الْأَمْرِ - وكذا المأمور) أَيْضاً (فِي الْأَظْهَرِ - انتفاء شرط وقوعه) أَيْ وَقُوعِ

(١) أَيْ مِنَ الشَّافِعِيَّةِ وَالْحَنَابِلَةِ . (الإحكام : ١/١٢٧ ، التشنيف : ١/١٣٧ ، شرح الكوكب المنير : ١/٤٩٣) .

(٢) وَبِهِ قَالَ الْمَعْتَزِلَةُ . (البرهان : ١/١٠٢ ، المستصفى : ١/٢٤٥ ، الإحكام : ١/١٢٧) .

(٣) قَالَهُ الْحَنْفِيَّةُ وَاخْتَارَهُ الْإِمَامُ الرَّازِي مَثَلًا . (تيسير التحرير : ٢/١٤٢ ، المحصول : ٢/٢٧١) .

(٤) وَاخْتَارَهُ شَيْخُ الْإِسْلَامِ فِي «لُبِّ الْأَصُولِ» وَشَرَحَهُ (ص : ٣٣) .

(٥) هَاهُنَا مَسْأَلَتَانِ : الْأُولَى : التَّكْلِيفُ مَعَ عِلْمِ انْتِفَاءِ شَرْطِ وَقُوعِهِ ، وَلِهَا حَالَتَانِ :

الأُولَى : أَنْ يَعْلَمَ الْأَمْرُ وَحْدَهُ انْتِفَاءَ شَرْطِ وَقُوعِهِ كَأَمْرِ رَجُلٍ بِصَوْمِ يَوْمٍ عُلِمَ مَوْتُهُ قَبْلَهُ ، فَذَهَبَ الْجُمْهُورُ =

عند وقته، كأمره رجلاً بصوم يوم عُلِمَ موته قبله، خلافاً لإمام الحرمين والمعتزلة.

المأمور به (عند وقته كأمره رجلاً بصوم يوم عُلِمَ موته قبله) للأمر فقط، أو له وللمأمور به بتوقيف من الأمر فإنه عُلِمَ في ذلك انتفاء شرط وقوع الصوم المأمور به من الحياة، والتمييز عند وقته.

(خلافاً لإمام الحرمين والمعتزلة) في قولهم: «لا يصح التكليف مع ما ذكر، لانتفاء فائده من الطاعة والعصيان بالفعل أو الترك».

وأجيب: بوجودها بالعزم على الفعل أو الترك.

وفي قولهم: «لا يعلم المأمور بشيء أنه مكلف به عقب سماعه للأمر به، لأنه قد لا يتمكن من فعله لموت قبل وقته، أو عجز عنه».

وأجيب: بأن الأصل عدم ذلك، ويتقدير وجوده ينقطع تعلّق الأمر الدالّ على التكليف، كالوكيل في البيع غداً إذا مات أو عُزل قبل الغد، ينقطع التوكيل.

ومسألة: «علم المأمور» حكى الآمدي^(١) وغيره^(٢) الاتفاق فيها على عدم صحة التكليف لانتفاء فائده الموجودة حال الجهل بالعزم.

٧١

وبعض المتأخرين^(٣) قال: «وجودها بالعزم على تقدير وجود الشرط - قال - كما يعزم المجبّب في التوبة من الزنا على أن لا يعود إليه بتقدير القدرة عليه»^(٤)، فيصح التكليف عنده.

= من الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة إلى صحة التكليف به. وذهب إمام الحرمين والمعتزلة إلى عدم صحته. ومن فوائده: المجامع في نهار رمضان إذا مات أو جُنَّ أثناء النهار هل تجب في تركه الكفارة؟ على الأول: نعم، وعلى الثاني: لا.

الحالة الثانية: أن يعلم الأمر والمأمور بانتفاء الشرط، فاتفق الأصوليون على منعه، وقال المصنف: بصحته استناداً إلى قول الفقهاء فيمن علمت أنها تحيض أثناء النهار «يجب عليها استفتاح النهار بالصوم».

المسألة الثانية: متى يعلم المكلف أنه مكلف؟ فذهب أهل السنة إلى أنه يعلمه عقب سماعه الأمر الدالّ على التكليف؛ وذهب المعتزلة إلى أنه يعلمه عند التمكن من الامتثال.

(تيسير التحرير: ١٤٢/٢، مختصر ابن الحاجب: ١٤/٢، البرهان: ١٢/٢، نهاية السؤل: ١/١٥٢، الإحكام: ١/١٣٣، شرح الكوكب: ١/٤٩٥).

(١) الإحكام للآمدي: ١/١٣٣.

(٢) كالصفي الهندي، والزرکشي، وشيخ الإسلام. (التشنيف: ١/١٣٩، غاية الوصول، ص: ٣٣).

(٣) وهو العلامة مجد الدين ابن تيمية من الحنابلة في كتابه «المُسَوِّدَة»، ص: ٥٣.

(٤) لكن نسبّه شيخ الإسلام في غاية الوصول (ص: ٣٣) إلى شذوذ، ورّدّه بِمِثْلِ الذي رّدّه الشارح.

أَمَّا مَعَ جَهْلِ الْأَمْرِ فَاتِّفَاقٌ .

وجعل المصنف صحته الأظهر، واستند في ذلك - كما أشار إليه في «شرح المختصر»^(١) - إلى مسألة: «مَنْ عَلِمَتْ بِالْعَادَةِ، أَوْ بِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهَا تَحِيضٌ فِي أَثْنَاءِ يَوْمٍ مَعِينٍ مِنْ رَمَضَانَ، هَلْ يَجِبُ عَلَيْهَا افْتِتَاحُهُ بِالصَّوْمِ؟

قال الغزالي في «المستصفى»: «أما عند المعتزلة فلا يجب، لأنَّ صَوْمَ بَعْضِ الْيَوْمِ غَيْرُ مَأْمُورٍ بِهِ، وَأَمَّا عِنْدَنَا: فَلَا ظَهْرَ وَجُوبِهِ، لِأَنَّ الْمَيْسُورَ لَا يَسْقُطُ بِالْمَعْسُورِ»^(٢).

ووجه الاستناد: أَنَّهَا كُتِّفَتْ بِالصَّوْمِ مَعَ عِلْمِهَا انْتِفَاءً شَرْطِهِ مِنَ النِّقَاءِ عَنِ الْحَيْضِ جَمِيعِ النَّهَارِ .

وهذا مندفع، فَإِنَّ الْمُكَلِّفَ بِهِ صَوْمَ بَعْضِ الْيَوْمِ الْحَالِي عَنِ الْحَيْضِ، وَالنِّقَاءُ عَنْهُ جَمِيعِ النَّهَارِ شَرْطٌ لَصَوْمِ جَمِيعِهِ، لَا بَعْضِهِ أَيْضاً.

وكذا ما قبله مُندَفَعٌ، فَإِنَّهُ لَا يَتَحَقَّقُ الْعَزْمُ عَلَى مَا لَا يَوْجَدُ شَرْطُهُ بِتَقْدِيرِ وَجُوبِهِ، وَلَا عَلَى عَدَمِ الْعَوْدِ إِلَى مَا لَا قُدْرَةَ عَلَيْهِ بِتَقْدِيرِهَا، فَالْصَّوَابُ مَا حَكَوْهُ مِنَ الْإِتِّفَاقِ عَلَى عَدَمِ الصَّحَةِ.

(أَمَّا) التَّكْلِيفُ بِشَيْءٍ (مَعَ جَهْلِ الْأَمْرِ) انْتِفَاءً شَرْطِ وَقُوعِهِ عِنْدَ وَقْتِهِ، بِأَنْ يَكُونَ الْأَمْرُ غَيْرَ الشَّارِعِ كَأَمْرِ السَّيِّدِ عَبْدَهُ بِخِيَاطَةِ ثَوْبٍ غَدَاً (فَاتِّفَاقٌ) أَيِ مُتَّفَقٌ عَلَى صَحَّتِهِ، وَوُجُوبِهِ^(٣).

(١) رفع الحاجب للمصنف: ٧٠/٢.

(٢) المستصفى للغزالي: ٢٠٠/١.

(٣) سبقه إليه ابنُ الحاجب في المختصر (١٤/٢)، لكن قال الصفي الهندي في الفائق (١٤٢/٢): «في كلام بعضهم إشعارٌ بخلافٍ فيه». وتبعه الزركشي في التشنيف (١٣٩/١).

قال العبدُ الفقيرُ غفر الله له ولوالديه: هذا الذي حكاه الهندي وتبعه الزركشي لا قيمة له لِعَدَمِ ثبوته عَمَّنْ يُعْتَبَرُ قَوْلُهُ، وَلِشُدُوزِهِ إِنْ ثَبَّتْ، وَلِذَا جَزَمَ الْمَصْنَفُ وَالشَّارِحُ وَشَيْخُ الْإِسْلَامِ فِي غَايَةِ الْوَصُولِ (ص: ٣٣) بِالْإِتِّفَاقِ، اللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ.

خَاتِمَةٌ [فِي تَعَلُّقِ الْحُكْمِ بِالْأَمْرَيْنِ]

الْحُكْمُ قَدْ يَتَعَلَّقُ بِأَمْرَيْنِ عَلَى التَّرْتِيبِ، فَيَحْرُمُ الْجَمْعُ، أَوْ يُبَاحُ، أَوْ يُسَنُّ؛ وَعَلَى الْبَدَلِ كَذَلِكَ.

خَاتِمَةٌ [فِي تَعَلُّقِ الْحُكْمِ بِالْأَمْرَيْنِ]

الْحُكْمُ قَدْ يَتَعَلَّقُ بِأَمْرَيْنِ فَأَكْثَرُ (على الترتيب، فيحرم الجمع) كأكل المذكى والميتة، فإنَّ كلاً منهما يجوز أكله، لكن جواز أكل الميتة عند العجز عن غيرها الذي من جملته المذكى، فيحرم الجمع بينهما لحُرْمَةِ الْمَيْتَةِ حيث قدر على غيرها؛

(أو يُبَاحُ) الجمع كالوضوء والتميم، فإنَّهما جائزان، وجواز التيمم عند العجز عن الوضوء، وقد يُبَاحُ الجمع بينهما كأن تيمم لخوف بطل البرء من الوضوء من عمت ضرورته محلَّ الوضوء، ثُمَّ تَوَضَّأَ مُحْتَمِلاً لِمَشَقَّةِ بَطْلِ الْبَرِّ وإن بطل بوضوئه تيممه لانتفاء فائدته؛

(أو يُسَنُّ) الجمع كخصال كفارة الوقاع، فإنَّ كلاً منها واجب، لكن وجوب الإطعام عند العجز عن الصيام، ووجوب الصيام عند العجز عن الإعتاق^(١)، وسنُّ الجمع بينهما كما قال في «المحصول»^(٢)، فينوي بكل الكفارة وإن سقطت بالأولى، كما ينوي بالصلاة المُعَادَةِ الفرض وإن سقط بالفعل أولاً.

(و) قَدْ يَتَعَلَّقُ الْحُكْمُ بِأَمْرَيْنِ فَأَكْثَرُ (على البدل كذلك) أي فيحرم الجمع: كتزويج المرأة

(١) اتفق الجماهير من الأئمة الأربعة وغيرهم على أنَّ الواجب على من أفسد صوم رمضان بالجماع عالماً عامداً أحدُ ثلاثة: عتق رقية، صيام شهرين متتابعين، إطعم ستين مسكيناً، ولكنهم اختلفوا هل الوجوب على الترتيب المذكور، فلا يجوز للمكفر العدول إلى الثاني إلا إذا عجز عن الأول أو هو بالخيار فيُكفر بأيٍّ منها؟ على مذهبين:

أحدهما: أنه على الترتيب المذكور، قاله الحنفية والشافعية والحنابلة؛
ثانيهما: أنَّها على التخيير، فيختار أحد الثلاثة، قاله المالكية.

(الهداية: ٤٧٤/٢، الشرح الكبير: ٥٣٠/١، مغني المحتاج: ٥٩٩/١، المغني: ٢٠٥/٤).

تنبيه: عَزَا المرغيناني في الهداية (٤٧٦/٢) القول بالتخيير إلى إمامنا الشافعي، ونَقِيَ التتابع إلى الإمام مالك، وكلاهما خطأ.

ومثله في «الهداية» غير قليل، فليتحَرَّ الناقلُ منها غير المذهب الحنفي.

(٢) المحصول للرازي: ١٦٩/٢.

ومثله في نهاية السؤل (٩٠/١)، والبحر (٢٠٣/١).

من كُفَّأَيْنِ، فَإِنَّ كُلًّا مِنْهُمَا يَجُوزُ لَهُ التَّزْوِيجُ مِنْهُ بَدَلًا عَنِ الْآخَرِ، أَيْ إِنْ لَمْ تُزَوَّجْ مِنَ الْآخَرِ، وَيَحْرُمُ الْجَمْعُ بَيْنَهُمَا، بِأَنْ تُزَوَّجَ مِنْهُمَا مَعًا، أَوْ مُرْتَبًا؛
 أَوْ يُبَاحُ الْجَمْعُ: كَسِتْرِ الْعَوْرَةِ بِثَوْبَيْنِ، فَإِنَّ كُلًّا مِنْهُمَا يَجِبُ السُّتْرُ بِهِ بَدَلًا عَنِ الْآخَرِ أَيْ إِنْ لَمْ تُسْتَرَّ بِالْآخَرِ، وَيُبَاحُ الْجَمْعُ بَيْنَهُمَا، بِأَنْ يُجْعَلَ أَحَدُهُمَا فَوْقَ الْآخَرِ.
 أَوْ يُسَنُّ الْجَمْعُ: كَخَصَالِ كَفَّارَةِ الْيَمِينِ^(١)، فَإِنَّ كُلًّا مِنْهَا وَاجِبٌ بَدَلًا عَنْ غَيْرِهِ أَيْ إِنْ لَمْ يُفْعَلْ غَيْرُهُ مِنْهَا.
 كما قال والد المصنف^(٢): «إِنَّهُ^(٣) الْأَقْرَبُ إِلَى كَلَامِ الْفُقَهَاءِ». أَيْ نَظَرًا مِنْهُمْ لِلظَّاهِرِ وَإِنْ كَانَ التَّحْقِيقُ مَا تَقَدَّمَ^(٤) مِنْ «أَنَّ الْوَاجِبَ الْقَدْرَ الْمُشْتَرَكُ بَيْنَهَا فِي ضَمْنِ أَيْ مُعَيَّنٍ مِنْهَا». وَيُسَنُّ الْجَمْعُ بَيْنَهَا، كَمَا قَالَ فِي «الْمَحْصُولِ»^(٥).

(١) قَالَ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْمَائِدَةِ [الآيَةُ: ٨٩]: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِالْغُلُوقِ فِي أَيْدِيكُمْ وَلَكِنْ يُؤَلِّقُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْدِينَ فَكَفِّرْهُمْ أَوْ أَطْعَمُوا عَشْرَةَ مَسْكِينٍ مِنْ أَوْسَطِ مَا قَطَفْتُمْ مِنْ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتْهُمْ أَوْ تَخْرِيرَ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّرَ أَيْدِيَكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ﴾ .

(٢) أَيْ فِي الْإِنْبَاهِاجِ: ٨٦/١.

(٣) أَيْ أَنَّ الْوَاجِبَ كُلًّا مِنْهَا بَدَلًا مِنَ الْآخَرِ هُوَ الْأَقْرَبُ إِلَى كَلَامِ الْفُقَهَاءِ، الضَّمِيرُ «إِنَّهُ» يَعْمُودُ لَكُونِ الْوَاجِبِ كُلًّا مِنْهَا بَدَلًا مِنَ الْآخَرِ. (الْبَنَانِيُّ: ٣٥٥/١).

(٤) فِي مَسْأَلَةِ «الْوَاجِبِ الْمَخْتِيرِ»: ١٣٧/١ .

(٥) الْمَحْصُولُ: ١٦٩/٢.

وَمِثْلُهُ فِي زِيَاةِ السُّوْلِ (٩٠/١) ، غَايَةُ الْوُصُولِ (ص: ٣٣) ، الضِّيَاءُ اللَّامِعُ (٢٠/٢) ، التَّشْنِيفُ (١٤٠/١) ، الْغَيْثُ الْهَامِعُ (٩٧/١) ، الْبَحْرُ (٢٠٣/١) ، شَرْحُ الْكَوْكَبِ (٣٨١/١) ، النُّجُومُ (٣٠٨/١) .

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

الكتاب الأول

في الكتاب ومباحث الأقوال

الكتاب الأول في الكتاب ومباحث الأقوال.

الكتاب: القرآن. والمعني به هنا اللفظ المنزّل على مُحَمَّدٍ ﷺ للإعجازِ بسورة منه

(الكتاب الأول في الكتاب ومباحث الأقوال)

المشتمل عليها من الأمر والنهي، والعام والخاص، والمطلق والمقيّد، والمُجمل والمُبيّن، ونحوها. (الكتاب) المراد به (القرآن)، غلب عليه من بين الكتب في عرف أهل الشرع، (والمعني به) أي بالقرآن (هنا) ^(١) أي في أصول الفقه:

(اللفظ المنزّل على مُحَمَّدٍ ﷺ للإعجازِ بسورة منه المُتعبّد بتلاوته).

يعني ما يصدق عليه هذا من أول سورة «الحمد لله» إلى آخر سورة «الناس» المحتج ^(٢) بأبعاضه، خلاف المعني بـ «القرآن» في أصول الدين من مدلول ذلك القائل بذاته تعالى ^(٣). وإنما حدّوا القرآن مع تشخيصه بما ذكر من أوصافه لتمييز مع ضبط كثرته عمّا لا يُسمّى باسمه من الكلام.

فخرج عن أن يُسمّى قرآنًا بـ «المنزّل على مُحَمَّدٍ ﷺ» الأحاديث غير الربّانية، والتوراة والإنجيل مثلاً؛

وبـ «الإعجاز»: أي إظهار صدق النبي ﷺ في دعواه الرسالة مجازاً عن إظهار عجز المرسل إليهم عن معارضته الأحاديث الربّانية كحديث الصحيحين «أنا عند ظنّ عبدي بي...» ^(٤)، وغيره. والاختصار على الإعجاز وإن أنزل القرآن لغيره أيضاً، لأنّه المحتاج إليه في التمييز. وقوله: «بسورة منه» أي أيّ سورة كانت من جميع سورته، حكاية لأقل ما وقّع به الإعجاز

(١) قال المصنف في منع الموانع (ص: ١٣٥): «قولنا «والمعني به هنا» إشارة إلى أنّ القرآن يُطلق تارة ويُراد به المعنى القائم بالنفس، وذلك محلّ نظر المتكلمين، وأخرى ويُراد به الألفاظ المقطّعة المسموعة، وهذا محلّ نظر الأصوليين والفقهاء وسائر خدمة الألفاظ كالنحاة والبيانين واللغويين».

(٢) بالنصب نعت لـ «ما يصدق»، أي أنّ القرآن أحد الأمور المحتجّ بها عند الأصوليين، والاحتجاج إنّما يكون بأبعاض اللفظ المذكور لا بمدلوله، فيكون القرآن هو اللفظ المذكور لا مدلوله.

(البناني: ٣٥٩/١).

(٣) إتحاف المريد للّقاني (ص: ١٠١)، وتحفة المريد للباجوري (ص: ٩٠).

(٤) رواه البخاري في التوحيد، باب قول الله تعالى ﴿يَعِزُّكُمْ اللَّهُ تَعَالَى﴾، (٦٨٦٥)، ومسلم في الذكر

والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل الذكر والدعاء... (٤٨٥١) والترمذي في الدعوات، باب في

حسن الظنّ بالله (٣٥٢٧)، وابن ماجه في الأدب، باب فضل العمل (٣٨١٢).

الْمُتَعَبَّدُ بِتِلَاوَتِهِ .

[الْبَسْمَلَةُ مِنَ الْقُرْآنِ]

ومنه الْبَسْمَلَةُ أَوَّلُ كُلِّ سُورَةٍ غَيْرِ «بَرَاءَةٍ» عَلَى الصَّحِيحِ .

الصادق بـ «الكوثر» أقصر سورة، ومثلها فيه قدرها من غيرها، بخلاف ما دونها. وفائدته - كما قال^(١) - دفع إيهام العبارة بدونه أَنَّ الإعجاز بكلِّ القرآن فقط. وبـ «المتعبَّد بتلاوته: أي أبدأ» ما نُسخَت تلاوته - كما قال^(٢) - منه «الشَّيْخُ وَالشَّيْخَةُ إِذَا رَتَبَا فَارْجُمُوهُمَا أَلْبَتَةً»، قال عمر رضي الله عنه «فإنَّا قَدْ قَرَأْنَاهَا» رواه الشافعي وغيره^(٣). وللحاجة في التمييز إلى إخراج ذلك. زاد المصنف على غيره^(٤) «الْمُتَعَبَّدُ بِتِلَاوَتِهِ» وإن كان من الأحكام، وهي لا تدخل في الحدود.

[الْبَسْمَلَةُ مِنَ الْقُرْآنِ]

(ومنه) أي من القرآن (البسملة أَوَّلُ كُلِّ سُورَةٍ غَيْرِ بَرَاءَةٍ عَلَى الصَّحِيحِ)^(٥) لأنها مكتوبة كذلك بخط السور في مصاحف الصحابة مع مبالغتهم في أن لا يُكْتَبَ فيها ما ليس منه وَمَا يَتَعَلَّقُ بِهِ حَتَّى النُّقْطِ وَالشَّكْلِ.

وقال القاضي أبو بكر الباقلاني وغيره: «ليست منه في ذلك، وإنما هي في الفاتحة لابتداء الكتاب على عادة الله تعالى في كتبه، ومنه سُنُّ لَنَا ابْتِدَاءُ الْكُتُبِ بِهَا، وَفِي غَيْرِ الْفَاتِحَةِ لِلْفَصْلِ بَيْنَ السُّورِ».

(١) أي المصنف في منع الموانع (ص: ١٣٤).

(٢) أي المصنف في منع الموانع (ص: ١٣٤).

(٣) رواه مالك في الحدود، باب ما جاء في الرجم (١٢٩٧)، والنسائي في الكبرى (٢٧٠/٤)، وابن ماجه في الحدود، باب الرجم (٣٥٤٣)، ابن حبان في الحدود (٢٧٣/١٠)، والشافعي في مسنده (ص: ١٦٣)، والبيهقي في الكبرى (٢١١/٨)، وابن عوادة في مسنده (١٢٢/٤).

(٤) كابن الحاجب في مختصر المنتهى (١٤٨/٢) مع تحفة المسؤول، والإسنوي في نهاية السؤل (١/١٧٧)، حيث قال: «القرآن: هو الكلام المنزَّل للإعجازِ بِسُورَةٍ مِنْهُ».

(٥) اتفق العلماء على أَنَّ البسملة آيةٌ من «النمل»، وأنها ليست آيةً من «البراءة»، ولكنهم اختلفوا هل هي آيةٌ في أَوَّلِ كُلِّ سُورَةٍ غَيْرِ «البراءة» على مذاهب:

أحدها: أنها ليست آيةً من أوائل السور، قاله المالكية.

ثانيها: أنها آيةٌ أنزلت للفصل بين السور، قاله الحنفية والحنابلة.

[القراءة الشاذة ليست من القرآن]

لا مَا نُقِلَ أَحَاداً عَلَى الْأَصَحِّ .

قال ابن عباس رضي الله عنهما : «كان رسول الله ﷺ لا يَعْرِفُ فَضْلَ السُّورَةِ حَتَّى يَنْزَلَ عَلَيْهِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ» رواه أبو داود وغيره^(١).

وهي منه في أثناء «النَّمْل» إجماعاً، وليست منه أَوَّلُ «براءة» لثزولها بالقتال الذي لا تُناسبه البسملة المناسبة للرحمة والرفق .

[القراءة الشاذة ليست من القرآن]

(لا مَا نُقِلَ أَحَاداً) قَرَأْنَا كـ «أَيْمَانِهِمَا» في قراءة «والسارق والسارقة فاقطعوا أيماهما»^(٢)، فإنه ليس من القرآن (على الأصح)^(٣)، لأن القرآن لإعجازه الناس عن الإتيان بمثل أقصر سورة تتوفّر الدواعي على نقله تواتراً .

وقيل : «إنه من القرآن حملاً على أنه كان متواتراً في العصر الأول لعدالة ناقله، وكفي التواتر فيه» .

= ثالثها : أنها آية من كلِّ السور عدا البراءة، قاله الشافعية.

(البحر الرائق: ١/ ٣٣٠، مواهب الجليل: ١/ ٥٤٤، المجموع: ٣/ ٢٧٩، كشاف القناع: ١/ ٣٣٥).

(١) رواه الحاكم في الصلاة (٨٤٥) وقال : «صحيح على شرط الشيخين»، وقال الذهبي في التلخيص (١/ ٣٥٥): «وأما هذا فثابت»، وأبو داود في سننه في الصلاة، باب مَنْ جَهَرَ بالبسملة (٦٦٩)، وفي مراسيله، في الصلاة، باب ما جاء في الجهر بـ«بسم الله الرحمن الرحيم» (٣٦)، وقال : «قد أُسْنِدَ هذا الحديث، وهذا أصح».

قال العبدُ الفقيرُ غفر الله له ولوالديه : رجالُ الطريقين عند أبي داود ثقاتٌ أثبات، والله تعالى أعلم.

(٢) وهي قراءة عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، رواه الطبري في تفسيره (٦/ ٢٢٨)، وابنُ كثير في تفسيره (٢/ ٥٦)، والبيهقي في سننه (٨/ ٢٧٠) .

وقال الحافظ في الفتح (١٢/ ١٠١): «أخرجه سعيد بن منصور بسندٍ صحيح عن إبراهيم النخعي قال : «هي قراءتنا» يعني أصحاب ابن مسعود».

(٣) بل على الصحيح الذي لا خلافت فيه، فحكاية الخلاف فيه غريب، ليس للمصنف فيه سلف كما قال الزركشي في التشنيف (١/ ١٤٨)، وأقرّه عليه الوليُّ العراقي في الغيث الهامع (١٠٢/ ١).

[القراءات المتواترة]

وَالسَّبْعُ مُتَوَاتِرَةٌ ؛

[القراءات المتواترة]

(و) القراءات (السَّبْع) الْمَعْرُوفَةُ لِلْقُرَّاءِ السَّبْعَةِ^(١) : أَبِي عمرو^(٢) ، وَنَافِعٌ^(٣) ، وَابْنُ كَثِيرٍ^(٤) وَعَامِرٌ^(٥) ، وَعَاصِمٌ^(٦) ، وَحَمْزَةُ^(٧) ،

(١) بل القراءات العشر متواترة على الصحيح كما يأتي في «القراءة الشاذة وأحكامها» .

(منع الموانع، ص: ٣٥٠، النشر لابن الجزري: ٤٥/١) .

(٢) وأبو عمرو: هو أبو عمرو بن العلاء بن عَمَّار التميمي المازني، البصري، المقرئ النحوي، أحد الأئمة والقراء السبعة، أخذ القراءة عن أهل الحجاز والبصرة، وقرأ عليه خلق كثير، كان قدوة في القراءة والعربية، متمسكاً بالآثار، توفي رحمه الله سنة ٥٤هـ. (معركة القراء للذهبي: ١/١٠١) .

(٣) ونافع: هو نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم القارئ المدني، كان من القراء الفقهاء الثبّاد، وكان أهل المدينة يقولون: قراءة نافع سنة، وكان صدوقاً صالح الحديث، ثبت القراءة، توفي رحمه الله تعالى سنة ١٦٩هـ. (تهذيب التهذيب: ٥/٦٠٢) .

(٤) وابن كثير: هو عبد الله بن كثير الداري المكي، أبو معبد، كان عطاراً بمكة، وأهل مكة يقولون للقطار: داري، القارئ، روى عن عكرمة ومجاهد وقرأ عليه القرآن، وعنه جماعة منهم ابن عيينة وجريج، كان ثقة صالح الحديث، إماماً في القراءة، لم يكن بمكة أقرأ منه، وإليه صارت قراءة أهل مكة، توفي رحمه الله تعالى سنة ١٢٠هـ. (تهذيب التهذيب: ٣/٢٣٧) .

(٥) وابن عامر: هو عبد الله بن عامر بن يزيد البُخَصْري نسبة إلى يَحْصَب بلدة من اليمن، الدمشقي، أبو عمران، المقرئ، قرأ على المغيرة بن أبي شهاب، وعليه خلق كثير، وكان رئيس أهل المسجد زمن الوليد بن عبد الملك، كان ثقة مع قلة الحديث، ولي قاضاً دمشق، ثم كان على مسجد دمشق لا يرى فيه بدعة إلا غيّرَها، اتَّخَذَهُ أَهْلُ الشَّامِ إماماً في القراءة، توفي رحمه الله سنة ١١٨هـ. (تهذيب التهذيب: ٣/١٧٩) .

(٦) وعاصم: هو عاصم بن بهدلة أبي النُّجُود الأسدي مولا هم، الكوفي، أبو بكر، المقرئ، شيخ القراء بالكوفة، أحد القراء السبعة، وإليه انتهت رئاسة القراء بالكوفة، جمع بين الفصاحة والإتقان، والتحرير والتجويد، وكان أحسن الناس صوتاً بالقرآن، ثقة في الحديث، توفي رحمه الله سنة ١٢٩هـ. (تهذيب التهذيب: ٣/٢٩) .

(٧) وحمزة: هو حمزة بن حبيب بن عمارة الكوفي التميمي مولا هم، أبو عمارة، أحد القراء السبعة، كان إماماً حجة ثبّتاً، بصيراً بالفرائض، عارفاً بالعربية، حافظاً للحديث، خاشعاً عابداً زاهداً ورعاً قانتاً لله تعالى، عديم النظر، انتهت إليه رئاسة القراءة بعد عاصم والأعمش، كان يُتَاجَرُ بالزيت، توفي=

قيل: «فِيمَا لَيْسَ مِنْ قَبِيلِ الْأَدَاءِ كَالْمَدِّ، وَالْإِمَالَةِ، وَتَخْفِيفِ الْهَمْزَةِ» ؛

والكسائي^(١) (متواترة)^(٢) من النبي ﷺ إلينا أي نقلها عنه جَمْعٌ يَمْتَنِعُ عادةً تَوَاطُؤُهُمْ عَلَى الكَذِبِ لِمِثْلِهِمْ وَهَلُمَّ.

(قيل) يعني قال ابن الحاجب: «(فيما ليس من قبيل الأداء) أي فما هو من قبيله، بأن كان هيئةً لِلْفِظِ يَتَحَقَّقُ بِدُونِهَا، فَلَيْسَ بِمُتَوَاتِرٍ، وَذَلِكَ (كَالْمَدِّ) الَّذِي زِيدَ فِيهِ مُتَصِلًا وَمُنْفَصِلًا عَلَى أَصْلِهِ حَتَّى بَلَغَ قَدْرَ الْفَيْنِ فِي نَحْوِ ﴿جَاءَ﴾^(٣)، ﴿وَمَا أُنْزِلَ﴾^(٤)، وَوَاوَيْنِ فِي نَحْوِ ﴿السُّوءِ﴾^(٥)، وَ﴿قَالُوا أَتُؤْمِنُ﴾^(٦)، وَيَاءَيْنِ فِي نَحْوِ ﴿وَجَاءَ﴾^(٧)، ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ﴾^(٨)، أَوْ أَقَلُّ مِنْ ذَلِكَ بِنَصْفٍ، أَوْ أَكْثَرُ مِنْهُ بِنَصْفٍ، أَوْ وَاحِدٍ، أَوْ اثْنَيْنِ طَرُقَ لِلْقُرَاءِ؛

(وَالْإِمَالَةُ) الَّتِي هِيَ خِلَافُ الْأَصْلِ^(٩) مِنَ الْفَتْحِ مَحْضَةً، أَوْ بَيْنَ بَيْنَ بِأَنْ يَنْحَى بِالْفَتْحَةِ فِيمَا يُمَالُ كَ ﴿الْفَكَارِ﴾^(١٠) نَحْوَ الْكُسْرَةِ عَلَى وَجْهِ الْقُرْبِ مِنْهَا، أَوْ مِنَ الْفَتْحَةِ؛ وَتَخْفِيفِ الْهَمْزَةِ) الَّذِي هُوَ خِلَافُ الْأَصْلِ^(١١) مِنَ التَّحْقِيقِ نَقْلًا

= رحمه الله تعالى سنة ١٥٦ هـ (معرفة القراء للذهبي: ٩٣/١).

(١) والكسائي: هو علي بن حمزة بن عبد الله الأمدي مولاهم الكوفي أبو الحسن، الشهير بالكسائي، أخذ القراء السبعة، كان إماماً في النحو واللغة والقراءات، وكان مؤدباً للأمين بن الرشيد، وله مصنفات قيمة منها: معاني القرآن، القراءات، النوادر وغيرها الكثير، توفي رحمه الله تعالى سنة ١٨٩ هـ. (معرفة القراء للذهبي: ١٠٠/١).

(٢) أي عند علماء أهل السنة، خلافاً للمعتزلة. (شرح الكوكب: ١٢٧/٢).

(٣) سورة النساء، الآية: ٤٣، وغيرها.

(٤) سورة البقرة، الآية: ١٠٢، وغيرها.

(٥) سورة النساء، الآية: ١٧، وغيرها.

(٦) سورة البقرة، الآية: ١٣، والشعراء، الآية: ١١١.

(٧) سورة الزمر، الآية: ٦٩، والفجر، الآية: ٢٣.

(٨) سورة الذاريات، الآية: ٢١.

(٩) الإمالة ثلاثة: إمالة محضة وهي أن يُنحى بالالف إلى الياء، وتكون الياء أقرب.

وإمالة بالفتحة إلى الكسرة، وتكون الكسرة أقرب.

وإمالة بين وبين إلا أن الألف والفتحة أقرب، وهذه أصعب الإمالتين، وكلُّها متواترة.

(منع الموانع، ص: ٣٤١).

(١٠) سورة التوبة، الآية: ٤٠.

(١١) ويسمى تلييناً وتسهيلاً أيضاً، وهو أربع أنواع كلها متواترة بلا شك، الأول: النقل، وهو نقل حركة=

الكلمة، يعني غير ما تقدّم كالألفاظهم فيما فيه حرفٌ مشدّد نحو ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ بزيادةٍ على أقلّ التشديد من مبالغةٍ أو توسّطٍ.

وغير ابن الحاجب وأبا شامة لم يتعرّضوا لما قالاه^(١)، والمصنّف وافق على عدم تواتر الأول^(٢)، وتردّد في تواتر الثاني^(٣)، وجزم بتواتر الثالث بأنواعه السابقة^(٤)، وقال في الرابع^(٥): «إنّه متواترٌ فيما يظهر».

ومقصوده ممّا نقله عن أبي شامة المتناول بظاهره لما قبله مع زيادة تلك الزيادة التي مثلها بما تقدّم، على أنّ أبا شامة لم يردّ جميع الألفاظ، إذ قال في كتابه «المرشد الوجيز»: «ما شاع على السنة جماعة من متأخري المقرّنين وغيرهم من أنّ القراءات السبع متواترة، نقول به فيما اتفقت الطرق على نقله عن القراء السبعة، دون ما اختلفت فيه، بمعنى: أنه نفيت نسبته إليهم في بعض الطرق، وذلك موجودٌ في كتب القراءات، لاسيما كتب المغاربة والمشاركة، فبينهما تباينٌ في مواضع كثيرة».

والحاصل: أنّنا لا نلتزم التواتر في جميع الألفاظ المختلف فيها بين القراء، أي بل منها ٧٧ المتواتر، وهو ما اتفقت الطرق على نقله عنهم، وغير المتواتر، وهو ما اختلفت فيه بالمعنى السابق، وهذا بظاهره يتناول ما ليس من قبيل الأداء، وما هو من قبيله وإنّ حمله المصنّف على ما هو من قبيله كما تقدّم.

(١) أي ليس لهما سلف في ذلك، قال عمدة القراء والمحدثين الشمس ابن الجزري في النّشر في القراءات العشر (١/ ٣٠): «لا نعلم أحداً تقدّم ابن الحاجب في ذلك، وقد نصّ أئمة الأصول على تواتر ذلك كله».

وأقرّه عليه الحافظ السيوطي في الإتيان (١/ ٢٢٣).

(٢) أي على عدم تواتر الزيادة في المدّ، لا على أصل المدّ.

(منع الموانع للمصنّف، ص: ٣٣٦).

(٣) أي في كيفية الإمالة من قصورٍ ومبالغةٍ وبين وبين، لا في أصل الإمالة فهي متواترة قطعاً كما أنّ أصل المدّ متواتر قطعاً. (منع الموانع، ص: ٣٤١).

(٤) أي بتواتر تخفيف الهزمة بأنواعه الأربعة السابقة. (منع الموانع، ص: ٣٤٧).

(٥) أي في الألفاظ المختلف فيها. (منع الموانع، ص: ٣٤٨).

[القِرَاءَةُ الشَّاذَّةُ، وَأَحْكَامُهَا]

وَلَا تَجُوزُ الْقِرَاءَةُ بِالشَّاذِّ. وَالصَّحِيحُ أَنَّهُ مَا وَرَاءَ الْعَشْرَةِ

[القِرَاءَةُ الشَّاذَّةُ، وَأَحْكَامُهَا]

(ولا تجوز القراءة بالشاذ)^(١) أي ما نُقل قرآنًا آحاداً لا في الصلاة، ولا خارجها بناءً على الأصح المتقدم: «أنه ليس من القرآن»^(٢)، وتبطل الصلاة به إن غيّر المعنى، وكان قارئه عامداً عالماً، كما قاله النووي في «فتاويه»^(٣).

(والصحيح أنه ما وراء العشرة)^(٤) أي السبعة السابقة، وقراءات:

(١) اختلف العلماء في جواز القراءة بالشاذ على مذهبين: أحدهما: المنع، قاله الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة؛ ثانيهما: الجواز، قاله بعض من الأربعة. (أصول السرخسي: ١/٢٧٩، مختصر ابن الحاجب: ٢/١٩، المستصفى: ١/٢٩٤، النشر في القراءات العشر: ١/١٤، شرح الكوكب: ٢/١٣٦).

(٢) انظر: «القراءة الشاذة ليس من القرآن»: ١/١٧١.

(٣) الفتاوى للإمام النووي، ص: ١٥٤.

(٤) قال المصنف رحمه الله في منع الموانع (ص: ٣٥٠): «وأما كوننا لم نذكر «العشر» بدّل «السبع» مع ادعائنا تواترها، فلأن السبع لم يُختلف في تواترها، فذكرنا أولاً موضع الإجماع، ثم عطفنا عليه موضع الخلاف، على أن القول بأن القراءات الثلاث غير متواترة في غاية السقوط، ولا يصح القول به عمّن يُعتبر قوله في الدين، وهي لا تُخالف السبع. سمعتُ الشيخ الإمام رحمه الله تعالى يُشدّد النكير على بعض القضاة، وقد بلغه أنه منع من القراءة بها، وقال: ما أجهله؟ واستأذنه بعض أصحابنا مرة في إقراء السبع، فقال: أذنت لك أن تُقرئ العشر». وقال الإمام ابن الجزري رحمه الله تعالى في النشر (١/٤٥): «وقد جرى بيني وبينه [أي شيخه التاج السبكي] كلامٌ كثير، قلتُ له: ينبغي أن تقول: والعشر متواترة ولا يُدّ؟ فقال: أردنا التنبيه على الخلاف. فقلتُ: وأين الخلاف؟ وأين القائل به؟ ومن قال إن قراءة أبي جعفر وخلّف ويعقوب غير متواترة؟ فقال: يُفهم ذلك من قول ابن الحاجب «والسبع متواترة». فقلتُ: أي سبع؟ وعلى تقدير أن يكون هؤلاء السبعة، مع أن كلام ابن الحاجب لا يدلّ عليه، فقراءة تخلف لا تخرج عن قراءة واحد منهم في خرف فكيف يقول أحدٌ بعدم تواترها مع ادعاء تواتر السبع؟ وأيضاً فلما قلنا: إنه يعني هؤلاء السبعة فمن أي رواية؟ ومن أي طريق؟ ومن أي كتاب؟ إذ التخصيص لم يدّعه ابن الحاجب، ولو ادّعى لَمَا سَلَّمَ له... ثم كتبتُ له استفتاءً في ذلك، فاجابني بأن القراءات العشر متواترة معلومة من الدين بالضرورة،... لا يُكابّر في شيء من ذلك إلا جاهل». وقال البدر الزركشي في التننيف (١/١٥٤): «قال الشيخ أثير الدين أبو حيان وكان من أئمة هذا الشأن: لا نعلم أحداً من المسلمين حطّر القراءة بالثلاث الزائدة على السبع، بل قرئ بها في سائر الأمصار».

وَفَاقًا لِلْبَغَوِيِّ، وَالشَّيْخِ الْإِمَامِ؛

يَعْقُوبُ^(١)، وَأَبِي جَعْفَرٍ^(٢)، وَخَلَفَ^(٣)، فهذه الثلاثة تجوز القراءة بها (وفاقاً للبغوي^(٤))
والشيخ الإمام) والد المصنف، لأنها لا تُخالف رسم السبع: من صحة السند، واستقامة الوجه
في العربية، وموافقة خط المصحف الإمام^(٥).

ولا يضر في العزو إلى البغوي عدم ذكره خلفاً^(٦)، فإن قراءته - كما قال -

(١) ويعقوب: هو يعقوب بن إسحاق بن زيد الحضري البصري، أبو محمد، أحد القراء العشرة، كان
إماماً كبيراً ثقةً، عالماً صالحاً، ديناً، انتهت إليه رئاسة الإقراء بعد أبي عمرو بالبصرة، قال أبو حاتم: هو
أعلم من رأيت بالحروف، والاختلاف في القراءات، ومذهب النحو. وله مصنفات مفيدة منها: وجوه
القراءات، ووقف التمام، توفي رحمه الله سنة ٢٠٥ هـ بالبصرة. (الأعلام: ٨/١٩٥).

(٢) وأبو جعفر: هو يزيد بن القعقاع مولى عبد الله به عباس، المخزومي، الشهير بأبي جعفر، أحد القراء
العشرة، كان تابعياً كبيراً القدير، انتهت إليه رئاسة أهل المدينة في القراءة، وعُرف بالقارئ، أخذ القراءة
عرضاً على ابن عباس، وعنه نافع بن عبد الرحمان وغيره، روي عن نافع: لَمَّا غُسِّلَ أَبُو جَعْفَرٍ بَعْدَ
وَفَاتِهِ نَظَرُوا مَا بَيْنَ نَحْرِهِ إِلَى فُؤْدِهِ مِثْلَ رَقَّةِ الْمُصْحَفِ، فَمَا شَكَّ أَحَدٌ مِمَّنْ حَضَرَهُ أَنَّهُ الْقُرْآنُ، تَوَفَّى
رَحِمَهُ اللَّهُ سَنَةَ ١٣٠ هـ عَلَى الْأَصْح. (النشر: ١/١٧٨، وفيات الأعيان: ٤/٦٢٧٤).

(٣) وخلف: هو خلف بن هشام بن ثعلب، أبو محمد البزار، المقرئ البغدادي، أحد القراء العشرة، كان
عالماً عابداً ثقةً، سمع من أنس بن مالك رضي الله عنه، كان إماماً ثقةً، زاهداً، فلا تخرج قراءته عن قراءة
الكوفيين في حرف واحد، توفي رحمه الله سنة ٢٢٩ هـ. (النشر: ١/١٩١، الأعلام: ٨/١٩٥).

(٤) والبغوي: هو الحسين بن مسعود، الفراء، أبو محمد محي السنة، البغوي، كان إماماً ورعاً زاهداً،
فقيهاً محدثاً مفسراً، جامعاً بين العلم والعمل، سالكاً سبيل السلف، محققاً مع كثرة النقل، مخشوشناً
يأكل الخبر وحده، ولا يلقي الدرس إلا على طهارة، وقدره عالٍ في التفسير والفقه، وكان التقى
السبكي يُجلُّه جداً، ألف كتاباً نفيسةً منها: شرح السنة، المصابيح، معالم التنزيل في التفسير، وغيرها،
توفي رحمه الله سنة ٥١٦ هـ بِمَرْوَ، ودُفِنَ بِجَانِبِ شَيْخِهِ الْقَاضِي الْحُسَيْنِ. (الطبقات السبكي: ٧/٧٥).

(٥) اجتماع هذه الثلاثة كافٍ في كون القراءة غير شاذة ولو مع عدم التواتر عند أكثر القراء وبعض الفقهاء
منهم البغوي على ما اختاره المصنف، فالقراءة عندهم ثلاثة: متواتر، صحيحة (وهي ما اجتمعت
فيها الثلاثة مع عدم التواتر)، وشاذة، فتجوز القراءة بالأولين دون الثالثة.

أما الأصوليون وبعض الفقهاء منهم النووي لا يكتفون بهذه الثلاثة، بل يشترطون معها التواتر، فلا
تجوز القراءة إلا بالأولى. (المجموع: ٣/٣٥٨، معالم التنزيل: ١/٥٤، النجوم اللوامع: ١/٣٢١).

(٦) حيث قال في مقدمة تفسيره (١/٥٤): «إنَّ النَّاسَ كَمَا أَنَّهُمْ مُتَعَبِّدُونَ بِاتِّبَاعِ أَحْكَامِ الْقُرْآنِ وَحِفْظِ حَدِيثِهِ،
فَهُمْ مُتَعَبِّدُونَ بِتَلَاوِثِهِ وَحِفْظِ حُرُوفِهِ عَلَى سَنَنِ خَطِّ الْمُصْحَفِ الْإِمَامِ الَّذِي اتَّفَقَتْ عَلَيْهِ الصَّحَابَةُ، وَأَنَّ لَا
يُجَاوِزُوا فِيمَا يُوَافِقُ الْخَطَّ عَمَّا قَرَأَ بِهِ الْقُرَاءُ الْمَعْرُوفُونَ الَّذِينَ خَلَفُوا الصَّحَابَةَ وَالتَّابِعِينَ، وَاتَّفَقَتِ الْأُمَّةُ =

وَقِيلَ: « مَا وَرَاءَ السَّبْعَةِ » .

أَمَّا إِجْرَاؤُهُ مَجْرَى الْآحَادِ فَهُوَ الصَّحِيحُ .

المصنف^(١) - مُلَفَّقَةٌ من القراءات التسعة، إذ له في كلِّ حرفٍ موافقٌ منهم وإن اجتمعت له هيئةٌ ليست لواحدٍ منهم فجُعِلَتْ قراءةٌ تُخَصُّهُ .

(وقيل): «الشاذُّ (ما وراء السبعة)، فتكون الثلاثُ منه لا تجوز القراءةُ بِها على هذا وإن حكى البغوي الاتفاقَ على الجواز، غيرَ مَصْرَحٍ بِخَلْفٍ كما تقدَّم .

(أما إجراؤه مَجْرَى) الأخبار (الآحاد) في الاحتجاج (فهو الصحيح)^(٢)، لآته منقولٌ عن النبي ﷺ، ولا يلزم من انتفاء خصوصِ قرآنيته انتفاء عمومِ خبريته .

٧٨

والثاني عليه بعض أصحابنا: «لا يُحْتَجَّ به، لآته إنما نُقِلَ قرآنًا، ولم تُثَبِّتْ قرآنيته»^(٣) .

وعلى الأول احتجاجٌ كثيرٌ من فقهاءنا على قطعِ يمين السارق^(٤) بقراءة «أَيْمَانَهُمَا»^(٥)؛ وإنَّما لم يوجبوا التتابعَ في صوم كفارة اليمينِ الذي هو أحدُ قولِي الشافعي^(٦) بقراءة

= على اختيارهم، فهم: أبو جعفر، نافع أمدنيان، ابن كثير المكي، ابنُ عامر الشامي، أبو عمرو، يعقوب البصريان، عاصم، حمزة، الكسائي الكوفيون». (مختصرًا).

(١) أي في منع الموانع (ص: ٣٥٣).

(٢) اختلف العلماء في حجية قراءة الشاذة على مذهبين، فالصحيح الذي عليه الجمهور من الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة أنها حجة. (أصول السرخسي: ٢٨١/١، التشنيف: ١٥٤/١، القواعد والفوائد، ص: ١٥٥، شرح الكوكب: ١٣٨/٢).

(٣) وهو رواية عن مالكٍ و الشافعي وأحمد، واختاره إمام الحرمين في البرهان (١٤٧/١)، والآمدي في الإحكام (١٣٨/١)، والنووي في شرح مسلم (١٣٢/٥)، وابن الحاجب في مختصره (١٩/٢).

(٤) اتفق العلماء على أنَّ مَنْ سرق نصاباً من حرزه مع عدم الشبهة قَطَعَت يَمِينُهُ، غير أنَّهم اختلفوا في المأخذ، فمن قال بحجية القراءة الشاذة أخذ بِها، ومن قال بعدم حجيتها أخذَ بفعلِ رسولِ الله ﷺ وخلفائه من بعده. (أثر الاختلاف لشيخنا وشيخ شيوخنا العلامة الفقيه الأصولي اللغوي الأستاذ الدكتور مصطفى سعيد الخن، ص: ٣٩٨).

(٥) وهي قراءة عبد الله بن مسعود ﷺ سبق تخريجه قريباً في «القراءة الشاذة ليست من القرآن»: ١٧١/١ .

(٦) اختلف العلماء في وجوبِ التتابعِ في صيام كفارة اليمينِ على مذهبين: أحدهما: الوجوبُ، قاله الحنفية والحنابلة؛ ثانيهما: عدمُ الوجوبِ، قاله المالكية والشافعية .

(أصول السرخسي: ٢٨١/١، الشرح الكبير: ١٣٣/٢، نهاية المحتاج: ١٧٤/٨، المغني: ٧٥٢/٨).

[لَيْسَ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ مَا لَا مَعْنَى لَهُ]

وَلَا يَجُوزُ وَرُودُ مَا لَا مَعْنَى لَهُ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ خِلَافًا لِلْحَشَوِيَّةِ،

«متابعات»^(١)، قال المصنف: «كَأَنَّهُ لِمَا صَحَّحَ الدَّارِقُطْنِي إِسْنَادَهُ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا: «نَزَلَتْ «فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مُتَابِعَاتٍ» فَسَقَطَتْ (مُتَابِعَاتٍ)»^(٢).

[لَيْسَ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ مَا لَا مَعْنَى لَهُ]

(و لا يجوز ورود ما لا معنى له في الكتاب^(٣) والسنة.

خِلَافًا لِلْحَشَوِيَّةِ) فِي تَجْوِيزِهِمْ وَرُودَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ قَالُوا: «لَوْجُودِهِ فِيهِ كَالْحُرُوفِ الْمُقَطَّعَةِ أَوَائِلُ السُّورِ، وَفِي السُّنَّةِ بِالْقِيَاسِ عَلَى الْكِتَابِ».

وَأَجِيبُ: بِأَنَّ الْحُرُوفَ أَسْمَاءَ لِلسُّورِ كـ«طه»، وَيس^(٤).

(١) قَوْلُهُ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْمَائِدَةِ (الآيَةُ ٨٩): «فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ» قَرَأَهُ ابْنُ مَسْعُودٍ وَأَبِي بَنْ كَنْبٍ «ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ مُتَابِعَاتٍ» رَوَاهُمَا الطَّبْرِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ (٣٠/٧)، وَابْنُ كَثِيرٍ فِي تَفْسِيرِهِ (٩٢/٢)، وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ فِي مُصَنَّفِهِ (١٢٣٦٦، ١٢٣٦٨)، وَصَحَّحَ الْأَوَّلُ سَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ فِي سَنِينِهِ (٥/٤)، وَالثَّانِي الْحَاكِمُ فِي الْمُسْتَدْرَكِ (٣٠٣/٢)، وَوَاتَّفَقَ الذَّهَبِيُّ.

(٢) قَالَ الْعَبْدُ الْفَقِيرُ غُفَرَ اللَّهُ لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ: كَذَا ذَكَرَهُ الْمُصَنِّفُ هَذِهِ الرِّوَايَةَ فِي شَرْحِ الْمُخْتَصَرِ (٩٥/٢)، وَهَنَا، وَالْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ فِي تَحْفَةِ الطَّالِبِ (ص: ١٣٠)، وَشَيْخُ الْإِسْلَامِ فِي غَايَةِ الْوَصُولِ (ص: ٣٥)، وَعَزَّوْهُ جَمِيعًا لِلدَّارِقُطْنِيِّ، وَلَكِنْ الْمَوْجُودُ فِي سَنَنِ الدَّارِقُطْنِيِّ فِي الصِّيَامِ (٢٢٩١، ٢٢٩٢) عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: «نَزَلَتْ «قَعْدَةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرٍ مُتَابِعَاتٍ» فَسَقَطَتْ (مُتَابِعَاتٍ)» وَقَالَ: «هَذَا إِسْنَادٌ صَحِيحٌ»، وَبِسَنَنِهِ رَوَاهُ أَيْضًا الْبَيْهَقِيُّ فِي سَنَنِ الْكِبَرِيِّ (٢٥٨/٤).

إِذْنًا فَالْجَوَابُ الصَّحِيحُ عَنْ قِرَاءَةِ ابْنِ الْمَسْعُودِ كَمَا قَالَ الْبَدْرُ الزَّرْكَشِيُّ فِي التَّشْنِيفِ (١٥٥/١) هُوَ أَنَّ الشَّافِعِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَجْرَاهَا فِي الْجَدِيدِ مَجْرَى التَّأْوِيلِ، وَلَمْ يَنْبُتْ عِنْدَهُ أَنَّ ابْنَ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ عَلَى أَنَّهُ قَرَأَ، أَوْ ثَبَّتَ وَحَمَلَهُ عَلَى التَّدْبِيرِ، وَهُوَ أَوْلَى. وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ.

(٣) قَالَ السَّيْفُ الْأَمْدِيُّ فِي الْإِحْكَامِ (١٤٣/١): «الْقُرْآنُ لَا يَتَصَوَّرُ اشْتِمَالُهُ عَلَى مَا لَا مَعْنَى لَهُ فِي نَفْسِهِ لِكُونِهِ هَذِيانًا وَنَقْصًا تَعَالَى كَلَامُ الرَّبِّ تَعَالَى عَنْهُ، خِلَافًا لِمَنْ لَا يُؤْنِسُهُ».

هَذِهِ الْمَسْأَلَةُ مَفْرُوضَةٌ عِنْدَ الْأَصُولِيِّينَ فِي الْقُرْآنِ، وَإِنَّمَا الْحَقُّ بِهَ السُّنَّةِ الْإِمَامُ فِي الْمَحْصُولِ (٣٨٥/١)، وَتَبِعَهُ الْمُصَنِّفُ هَنَا، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

(٤) وَمَحَلُّ الْخِلَافِ فِيمَا لَهُ مَعْنَى لَمْ نَفْهَمْهُ كَالْحُرُوفِ الْمُقَطَّعَةِ، وَآيَاتِ الصِّفَاتِ، أَمَّا مَا لَا مَعْنَى لَهُ أَصْلًا فَلَا يَجُوزُ وَرُودُهُ بِاتِّفَاقٍ الْعُقَلَاءِ. (التَّشْنِيفُ: ١٥٦/١).

وَلَا مَا يُعْنَى بِهِ غَيْرُ ظَاهِرِهِ إِلَّا بِدَلِيلٍ، خِلَافًا لِلْمُرْجِئَةِ .

[لَا يَجُوزُ بَقَاءُ مُجْمَلٍ غَيْرِ مُبَيَّنٍ]

وَفِي بَقَاءِ مُجْمَلٍ غَيْرِ مُبَيَّنٍ،

وَسَمُّوا حَشْوِيَّةً^(١) مِنْ قَوْلِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ لَمَّا وَجَدَ كَلَامَهُمْ سَاقِطًا، وَكَانُوا يَجْلِسُونَ فِي حَلْقَتِهِ أَمَامَهُ: «رُدُّوا هَؤُلَاءِ إِلَى حَشَا الْحَلْقَةِ» أَيِ جَانِبِهَا .

(وَلَا) يَجُوزُ أَنْ يَرِدَ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ (مَا يُعْنَى بِهِ غَيْرُ ظَاهِرِهِ إِلَّا بِدَلِيلٍ)^(٢) يُبَيِّنُ الْمُرَادَ كَمَا فِي الْعَامِ الْمَخْصُوصِ بِمَتَأَخَّرِ . (خِلَافًا لِلْمُرْجِئَةِ) فِي تَجْوِيزِهِمْ وَرُودَ ذَلِكَ مِنْ غَيْرِ دَلِيلٍ، حَيْثُ قَالُوا: «الْمُرَادُ بِالْآيَاتِ وَالْأَخْبَارِ الظَّاهِرَةِ فِي عِقَابِ عُصَاةِ الْمُؤْمِنِينَ التَّرْهِيْبُ فَقَطْ، بِنَاءً عَلَى مَعْتَقَدِهِمْ أَنَّ الْمَعْصِيَةَ لَا تَضُرُّ مَعَ الْإِيمَانِ».

وَسَمُّوا مُرْجِئَةً^(٣) لِإِرْجَائِهِمْ، أَيِ تَأْخِيرِهِمْ إِيَّاهَا عَنْ الْإِعْتِبَارِ.

٧٩

[لَا يَجُوزُ بَقَاءُ مُجْمَلٍ غَيْرِ مُبَيَّنٍ]

(وَفِي بَقَاءِ مُجْمَلٍ) فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ بِنَاءً عَلَى الْأَصَحِّ الْآتِي مِنْ وَقُوعِهِ فِيهِمَا^(٤)، (غَيْرِ مُبَيَّنٍ) أَيِ عَلَى إِجْمَالِهِ، بِأَنْ لَمْ يَتَضَحَّ الْمُرَادُ مِنْهُ إِلَى وَفَاتِهِ ﷺ أَقْوَالٌ .

أَحَدُهَا: لَا، لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَكْمَلَ الدِّينَ قَبْلَ وَفَاتِهِ لِقَوْلِهِ ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾^(٥) .

ثَانِيهَا: نَعَمْ، قَالَ تَعَالَى فِي مِثْلِهِ: ﴿وَمَا يَكْلَمْ تَأْوِيلُهُ إِلَّا اللَّهُ﴾^(٦)، إِذِ الْوَقْفُ هُنَا

(١) هُمْ جَمَاعَةٌ جَعَلُوا مَعْبُودَهُمْ صُورَ ذَاتِ أَعْضَاءٍ وَأَبْعَاضٍ، فَجَوَّزُوا لَهُ التَّزَوُّلَ وَالصُّعُودَ وَالانْتِقَالَ وَغَيْرَ ذَلِكَ. (الْمِلَلُ وَالنِّحْلُ: ١/٢١١). قَوْمٌ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ، يَنْبَغِي تَنْزِيهُ الْكِتَابِ عَنْ آرَائِهِمْ.

(٢) مَحَلُّ الْخِلَافِ فِي آيَاتِ الْوَعِيدِ وَأَحَادِيثِهِ، لَا فِي الْأَوَامِرِ وَالنَّوَاحِي. (شرح الكوكب: ١٤٧/٢).

(٣) الْإِرْجَاءُ عَلَى مَعْنَيْنِ: التَّأْخِيرُ: وَقَدْ كَانُوا يُؤَخِّرُونَ الْعَمَلَ عَنِ النِّيَّةِ وَالْعَقْدِ.

وإِعْطَاءُ الرِّجَاءِ: وَقَدْ كَانُوا يَقُولُونَ: لَا تَضُرُّ مَعَ الْإِيمَانِ مَعْصِيَةٌ كَمَا لَا تَنْفَعُ مَعَ الْكُفْرِ طَاعَةٌ، وَالْمُرْجِئَةُ أَرْبَعَةُ أَصْنَافٍ: مَرْجِئَةُ الْخَوَارِجِ، وَمَرْجِئَةُ الْقَدَرِيَّةِ، وَمَرْجِئَةُ الْجَبَرِيَّةِ، وَالْمُرْجِئَةُ الْخَالِصَةُ.

(الْمِلَلُ وَالنِّحْلُ: ١/١٣٩).

(٤) انْظُرْ: «الْمَجْمَلُ وَاقِعٌ»: ٤٣٦/١ .

(٥) سُورَةُ الْمَائِدَةِ، آيَةُ: ٣.

(٦) قَالَهُ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ. (التَّشْنِيفُ: ١/١٥٧).

(٧) سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ، آيَةُ: ٧.

ثَالِثُهَا الْأَصَحُّ : لَا يَبْقَى الْمُكَلَّفُ بِمَعْرِفَتِهِ .

[الْأَدِلَّةُ النَّقْلِيَّةُ قَدْ تُفِيدُ الْيَقِينَ]

وَالْحَقُّ أَنَّ الْأَدِلَّةَ النَّقْلِيَّةَ قَدْ تُفِيدُ الْيَقِينَ بِانْضِمَامِ تَوَاتُرٍ ، أَوْ غَيْرِهِ .

كما عليه جمهور العلماء^(١)، وإذا ثبت في الكتاب يثبت في السنة، لعدم القائل بالفرق بينهما^(٢).
(ثالثها الأصح لا يبقى) المُجْمَلُ (المُكَلَّفُ بِمَعْرِفَتِهِ) غير مبيّن للحاجة إلى بيانه حذراً من التكليف بما لا يُطاق، بخلاف غير المُكَلَّفِ^(٣).

على أن صواب العبارة «بالعمل به» كما في «البرهان»^(٤)، وفي بعض نسخه «بالعلم به» وهو تحريف من ناسخ مشى عليه المصنف، إذ وقع له من غير تأمل.

[الْأَدِلَّةُ النَّقْلِيَّةُ قَدْ تُفِيدُ الْيَقِينَ]

(والحق) كما اختاره الإمام الرازي^(٥) وغيره^(٦) (أن الأدلة النقلية قد تُفيد اليقين بانضمام تواتر أو غيره)^(٧) من المشاهدة كما في أدلة وجوب الصلاة ونحوها، فإن الصحابة رضي الله تعالى عنهم علموا معانيها المرادة بالقرائن المشاهدة، ونحن علمناها بواسطة نقل تلك القرائن إلينا تواتراً. فاندفع توجيه من أطلق أنها لا تُفيد اليقين بانتفاء العلم بالمراد منها^(٨).

(١) قاله عامة العلماء من السلف والخلف.

(رفع الحاجب: ١٠٠/٢، فواتح الرحموت: ٣٣/٢، شرح الكوكب: ١٥٠/٢).

(٢) قاله بعض العلماء. (التشنيف: ١٥٧/١).

(٣) قاله الجمهور من الشافعية الحنابلة وغيرهم. (التشنيف: ١٥٧/١، شرح الكوكب: ١٥٠/٢).

(٤) البرهان لإمام الحرمين: ٢٨٥/١.

قال الزركشي في التشنيف (١٥٧/١): «والظاهر أنه تنقيح للقول الثاني، لا مذهب ثالث».

(٥) المحصول للرازي: ٤٠٨/١.

(٦) كالآمدي في كتابه «الأبكار». (التشنيف: ١٥٧/١).

(٧) كعدم الاشتراك فيها، وكذا التخصيص ونحوها مما يوجب حمل اللفظ على غير ظاهره، وكعدم التعارض فيها. (التشنيف: ١٥٧/١).

(٨) قاله طائفة من العلماء. (التشنيف: ١٥٧/١).

وهناك قول ثالث: وهو أن الأدلة النقلية تُفيد اليقين مطلقاً، قاله الحشوية كما نقل عنهم الآمدي في كتابه «الأبكار». (التشنيف: ١٥٧/١).

رَفْعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

الْمَنْطُوقُ وَالْمَفْهُومُ

المنطوق والمفهوم

المنطوق: مَا دَلَّ عَلَيْهِ اللَّفْظُ فِي مَحَلِّ النَّطْقِ .

[أقسام المنطوق]

وهو نصٌّ إن أفادَ معنى لا يحتملُ غيره كزَيْدٍ، ظاهرٌ إن احتمَلَ مرجوحاً كالأسدِ .

(المنطوق والمفهوم) أي هذا مبحثهما .

(المنطوق: ما) أي معنى (دَلَّ عليه اللفظ في مَحَلِّ النَّطْقِ) حكماً كان كما مثله في «شرح ٨٠ المختصر»^(١) كغيره^(٢) بـ «تحريم التأفيف أي للوالدين» الدالُّ عليه قوله تعالى ﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ﴾^(٣)، أو غيرِ حُكْمٍ^(٤) كما يؤخَذُ من تمثيله في قوله:

[أقسام المنطوق]

(وهو) أي اللفظ الدال في مَحَلِّ النَّطْقِ: ١- (نصٌّ) أي يسمَّى بذلك (إن أفادَ معنى لا يحتملُ غيره) أي غير ذلك المعنى (كزَيْدٍ) في نحو «جاء زَيْدٌ» فإنه مُفِيدٌ للذات المشخَّصة من غير احتمالٍ لغيرها^(٥). ٢- (ظاهرٌ) أي يُسمَّى بذلك (إن احتمَلَ) بدل المعنى الذي أفاده (مرجوحاً كالأسد) في نحو «رأيتُ اليومَ الأسدَ» فإنه مُفِيدٌ للحيوان المفترس، مُحتمِلٌ للرجل الشجاع بدله، وهو معنى مرجوحٌ لآته معنى مجازي، والأوّل الحقيقِي المتبادرُ إلى الذهن.

(١) رفع الحاجب للمصنف: ٣/٣٨٣.

(٢) أي كلِّام الحرمين في البرهان: ١/٢٧٧.

(٣) سورة الإسراء، الآية: ٢٣.

(٤) أي بأن يكون محلُّ النطق معنى كالتأفيف في الآية، أو ذاتاً كزَيْدٍ. (النجوم اللوامع: ١/٣٢٨).

(٥) هذا أحسنُ حُدوده، وإنما سُمِّيَ به لارتفاعه على غيره من الألفاظ في الدلالة. ويُطلَقُ النصُّ بثلاث اعتبارات:

الأول: مُقابلُ الظاهر، وهو المرادُ هنا.

الثاني: ما يدلُّ على معنى قطعاً ويحتملُ معه غيره كصيغِ العموم، فإن دلالتها على أصلِ المعنى قطعيةٌ وعلى الأفراد ظاهرةٌ.

الثالث: ما دلَّ على معنى ظاهرٍ وهو غالبُ استعمالِ الفقهاء كقولهم: «نصَّ الشافعي على كذا»، وقولهم: «لنا النصُّ والقياسُ» يُريدون بالنصِّ الكتابَ والسنةَ مطلقاً. (التشنيف: ١/١٦٠).

[الْمُفْرَدُ وَالْمُرَكَّبُ]

وَاللَّفْظُ إِنْ دَلَّ جُزْؤُهُ عَلَى جُزْءِ الْمَعْنَى فَمُرَكَّبٌ، وَإِلَّا فَمُفْرَدٌ.

[دَلَالَةُ الْمُطَابَقَةِ، وَالتَّضَمُّنِ، وَالِاتِّزَامِ]

وَدَلَالَةُ اللَّفْظِ عَلَى مَعْنَاهُ مُطَابَقَةٌ، وَعَلَى جُزْئِهِ تَضَمُّنٌ، وَلاَزِمُهُ الدَّهْنِيُّ الْإِتِّزَامُ.

أَمَّا الْمُحْتَمِلُ لِمَعْنَى مُسَاوٍ لِلْآخِرِ فَيَسَمَّى مُجْمَلًا - وَسَيَأْتِي ^(١) - كَالجَوْنِ فِي «تَوْبُ زَيْدِ الْجَوْنِ» فَإِنَّهُ مُحْتَمِلٌ لِمَعْنِيهِ: أَيِ الْأَسْوَدِ وَالْأَبْيَضِ عَلَى السَّوَاءِ ^(٢).

[الْمُفْرَدُ وَالْمُرَكَّبُ]

(وَاللَّفْظُ إِنْ دَلَّ جُزْؤُهُ عَلَى جُزْءِ الْمَعْنَى) كـ «غلام زيد» (فَمُرَكَّبٌ) ^(٣).

وَإِلَّا أَيِ إِنْ لَمْ يَدَلَّ جُزْؤُهُ عَلَى جُزْءِ مَعْنَاهُ، بِأَنْ لَا يَكُونَ لَهُ جُزْءٌ كَهَمْزَةِ الِاسْتِفْهَامِ، أَوْ يَكُونَ لَهُ جُزْءٌ غَيْرُ دَالٍ عَلَى مَعْنَى كـ «زيد»، أَوْ دَالٍ عَلَى مَعْنَى غَيْرِ جُزْءِ مَعْنَاهُ كـ «عبد الله» عِلْمًا (فَمُفْرَدٌ).

[دَلَالَةُ الْمُطَابَقَةِ، وَالتَّضَمُّنِ، وَالِاتِّزَامِ]

وَدَلَالَةُ ^(٤) اللَّفْظِ عَلَى مَعْنَاهُ مُطَابَقَةٌ، وَتَسَمَّى دَلَالَةً مُطَابَقَةً أَيْضًا لِإِطَابَقَةِ الدَّالِّ لِلْمَدْلُولِ؛ (وَعَلَى جُزْئِهِ) أَيِ مَعْنَاهُ (تَضَمُّنٌ) وَتَسَمَّى دَلَالَةً تَضَمُّنٍ أَيْضًا لِتَضَمُّنِ الْمَعْنَى لِجُزْئِهِ الْمَدْلُولِ؛ (وَلَاَزِمُهُ) أَيِ لَازِمِ مَعْنَاهُ (الدَّهْنِيُّ) سِوَاءَ لَزِمِهِ فِي الْخَارِجِ أَيْضًا أَمْ لَا (الِاتِّزَامُ) وَتَسَمَّى دَلَالَةً الْإِتِّزَامِ أَيْضًا، لِاتِّزَامِ الْمَعْنَى أَيِ اسْتِلْزَمِهِ لِلْمَدْلُولِ. ٨١

(١) انظر: «تعريف المجمل»: ٤٣٠/١.

(٢) المصباح المنير للفيومي (١/١١٥).

(٣) أي سواء كان تركيب إستاناد كـ «قام زيد» و«زيد قائم»، أو تركيب مزج كـ «خمسة عشر»، أو تركيب إضافة كـ «غلام زيد».

تثبيته: يَرِدُ عَلَى تَعْرِيفِ الْمُصَنِّفِ الْمَأْخُوذِ مِنَ الْبِيضَاوِيِّ فِي الْمَنْهَاجِ (١/١٩٧) قَوْلُنَا «حَيَوَانٌ نَاطِقٌ» عِلْمًا عَلَى «إِنْسَانٍ»، فَيَنْبَغِي أَنْ يُزَادَ فِي التَّعْرِيفِ «حِينَ هُوَ جُزْؤُهُ» كَمَا فِي الْمَحْصُولِ (١/١٢٢).

(٤) الدَّلَالَةُ: هِيَ كَوْنُ الشَّيْءِ يَلْزَمُ مِنْ فَهْمِهِ فَهْمُ شَيْءٍ آخَرَ. وَهِيَ إِمَّا لَفْظِيَّةٌ، أَوْ وَضْعِيَّةٌ كَدَلَالَةِ الزَّوَالِ عَلَى وَجوبِ الظَّهْرِ، أَوْ عَقْلِيَّةٌ كَدَلَالَةِ وَجُودِ الْمَسَبِّبِ عَلَى وَجوبِ السَّبَبِ.

ثُمَّ اللَّفْظِيَّةُ ثَلَاثَةٌ: عَقْلِيَّةٌ كَدَلَالَةِ اللَّفْظِ عَلَى وَجُودِ اللَّافِظِ؛ طَبِيعِيَّةٌ كَدَلَالَةِ اللَّفْظِ الْخَارِجِ عِنْدَ السَّعَالِ عَلَى وَجُودِ الْمَرَضِ؛ وَضْعِيَّةٌ وَهِيَ الْمَرَادُ هُنَا. (نَهَايَةُ السُّوْلِ: ١/١٩٣).

وَالْأُولَى لَفْظِيَّةٌ ، وَالثَّنَائِي عَقْلِيَّتَانِ .

[دَلَالَةُ الْاِقْتِضَاءِ ، وَالْإِشَارَةِ]

ثُمَّ الْمَنْطُوقُ إِنْ تَوَقَّفَ الصَّدْقُ أَوْ الصَّحَّةُ عَلَى إِضْمَارٍ فَدَلَالَةُ اقْتِضَاءٍ ،

كدلالة «الإنسان» على «الحيوان الناطق» في الأول، وعلى «الحيوان» في الثاني، وعلى «قابل العلم» في الثالث، اللازم خارجاً أيضاً؛

وكدلالة العمى أي عدم البصر عما من شأنه البصر على البصر اللازم للعمى ذهنًا، المنافي له خارجاً^(١).

(وَالْأُولَى)^(٢) أي دلالة المطابقة (لفظية)، لأنها بِمَحْضِ اللفظ. (والثنتان) أي دلالتا التضمن والالتزام (عقليتان)، لتوقفهما على انتقال الذهن من المعنى إلى جزئه، ولازمه.

[دَلَالَةُ الْاِقْتِضَاءِ ، وَالْإِشَارَةِ]

(ثُمَّ الْمَنْطُوقُ إِنْ تَوَقَّفَ الصَّدْقُ) فيه - (أَوْ الصَّحَّةُ) له عقلاً، أو شرعاً - (على إضمار) أي تقدير فيما دلَّ عليه (فدلالة اقتضاء) أي دلالة اللفظ الدال على المنطوق على معنى ذلك الْمُضْمَرِ الْمَقْصُودِ تُسَمَّى دلالة اقتضاء.

الأول كما في «مسند» أخي عاصم الآتي في مبحث «المجمل»^(٣) «رُفِعَ عَنْ أَمْتِي الْخَطَأُ

(١) تَوَمَّ: هاهنا امران: الأول: دلالة اللفظ، وهي فهم السامع من الكلام تمام المُسَمَّى، أو جزأه، أو لازمه كما بيَّنه المصنف.

الثاني: الدلالة باللفظ، وهي استعمال اللفظ إما فيما وُضِعَ له أولاً، وهو الحقيقة، أو فيما وُضِعَ له ثانياً لعلاقة. وهو المَجَازُ. وبينهما فرق من خمسة وجوه، ذكرها الإسنوي في نهاية السؤل (١/١٩٣)، فليراجع.

(٢) اتفق العلماء على أن دلالة المطابقة لفظية، ولكنهم اختلفوا في التضمن والالتزام على ثلاثة مذاهب: أحدها: أنها لفظيتان، ظاهرُ صنيع الإسنوي في نهاية السؤل (١/١٩٣) اختياره .

ثانيها: أنهما عقليتان، قاله الإمام في المحصول (١/٢٢٠)، وتبعه المصنف والشارح .
ثالثها: أن التضمن لفظي والالتزام عقلي، قاله الجمهور من المالكية والشافعية والحنابلة وغيرهم .
(مختصر ابن الحاجب: ١/١٢١، الإحكام: ١/١٥، تيسير الوصول، ص: ٩٦، شرح الكوكب: ١/١٢٧).

(٣) انظر: «بيان ما يظن فيه إجمال وليس كذلك»: ١/٤٣٢ .

وَأَنَّ لَمْ يَتَوَقَّفْ وَدَلَّ عَلَى مَا لَمْ يُقْصَدُ فَدَلَالَةٌ إِشَارَةٌ .

وَالنَّسْيَانُ^(١) أَيِ الْمُؤَاخَذَةُ بِهِمَا، لِتَوَقُّفِ صِدْقِهِ عَلَى ذَلِكَ لِوُقُوعِهِمَا .

والثاني كما في قوله تعالى ﴿وَسَلِّ الْقَرْيَةَ﴾^(٢) أَيِ أَهْلِهَا، إِذِ الْقَرْيَةُ، وَهِيَ الْأَبْنِيَّةُ الْمُجْتَمِعَةُ، لَا يَصِحُّ سَوَالُهَا عَقْلًا.

والثالث كما في قولك لِمَالِكٍ عَبْدٌ: «أَعْتَقَ عَبْدَكَ عَنِّي» ففَعَلَ، فَإِنَّهُ يَصِحُّ عَنْكَ: أَيِ «مَلَكُهُ لِي فَأَعْتَقَهُ عَنِّي» لِتَوَقُّفِ صَحَةِ الْعِتْقِ شَرْعًا عَلَى الْمَلِكِ.

(وَأَنَّ لَمْ يَتَوَقَّفْ) أَيِ الصَّدَقُ فِي الْمَنْطُوقِ وَلَا الصَّحَةُ لَهُ عَلَى إِضْمَارٍ (وَدَلَّ) اللَّفْظُ الْمُفِيدُ لَهُ (عَلَى مَا لَمْ يُقْصَدُ) بِهِ (فَدَلَالَةٌ إِشَارَةٌ) أَيِ فَدَلَالَةُ اللَّفْظِ عَلَى ذَلِكَ الْمَعْنَى الَّذِي لَمْ يُقْصَدُ بِهِ تَسْمَى دَلَالَةً إِشَارَةً، كَدَلَالَةِ قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿أَجَلٌ لَّكُمْ يَكَلِّهَ أَلْفَيْكُمْ أَلْفَيْكُمْ إِلَى نَسَائِكُمْ﴾^(٣) عَلَى صَحَةِ صَوْمٍ مَنْ أَصْبَحَ جَنْبًا لِلزُّومَةِ لِلْمَقْصُودِ بِهِ مِنْ جَوَازِ جَمَاعَتِهِنَّ فِي اللَّيْلِ الصَّادِقِ بِأَخْرِ جُزْءٍ مِنْهُ.

(١) ذَكَرَهُ بِهَذَا اللَّفْظِ كَثِيرٌ مِنَ الْفُقَهَاءِ وَالْأَصُولِيِّينَ، وَلَكِنْ لَا وَجُودَ لَهُ بِهَذَا اللَّفْظِ، وَأَقْرَبُ الْمَوْجُودِ مَا رَوَاهُ ابْنُ عَدِي فِي الْكَامِلِ (٢/١٥٠)، وَالذَّهَبِيُّ فِي الْمِيزَانِ (٢/١٣٠)، وَابْنُ حَجَرٍ فِي اللِّسَانِ (٢/١١١) كُلُّهُمْ فِي تَرْجُمَةِ جَعْفَرِ بْنِ جَسَرٍ: «رَفَعَ اللَّهُ عَنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ ثَلَاثًا: الْخَطَأَ، وَالنَّسْيَانَ، وَمَا يُكْرَهُونَ عَلَيْهِ»، وَجَعَفَرٌ هَذَا صَاحِبُ الْمَنَاقِبِ وَمِنْ مَنَاقِبِهِ هَذَا .

وَأَحْسَنُ الْمَوْجُودِ حَدِيثُ ابْنِ عَبَّاسٍ الْمَرْفُوعُ: «لَإِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ عَنْ أُمَّتِي الْخَطَأَ، وَالنَّسْيَانَ، وَمَا اسْتَكْرَهُوا عَلَيْهِ». رَوَاهُ ابْنُ حَبَّانٍ فِي صَحِيحِهِ (١٦/٢٠٢)، وَالْحَاكِمُ فِي الطَّلَاقِ (٢٨٠١)، وَقَالَ: «صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ»، وَوَأَفَقَهُ الذَّهَبِيُّ، وَابْنُ مَاجَهٍ فِي الطَّلَاقِ، بِأَبِ طَلَاقِ الْمَكْرَهِ وَالنَّاسِي (٢٠٤٣)، وَقَالَ الْبُوصَيْرِيُّ فِي زَوَائِدِهِ (٢/١٢٦): «إِسْنَادٌ صَحِيحٌ»، وَالِدَارَقُطْنِيُّ فِي سَنَتِهِ (٢/١٧٠)، وَالطَّبْرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ (١١٢٧٤)، وَالْأَوْسَطُ (٨٢٧٣)، وَالصَّغِيرُ (٧٦٥).

وَحَسَنُهُ النَّوَوِيُّ فِي الْأَرْبَعِينَ، وَصَحَّحَهُ بِاللَّفْظِ الْأَوَّلِ فِي الرَّوْضَةِ (٨/١٩٣)، وَسَكَتَ عَلَيْهِ ابْنُ حَجَرٍ فِي التَّلْخِيصِ (١/٢٨١)، وَالسَّيْوطِيُّ فِي الْجَامِعِ الصَّغِيرِ (٤٤٦١).

وَرَوَى بِطَرَقٍ ضَعِيفَةٍ عَنْ أَبِي ذَرٍّ، وَثُؤْيَانَ، وَأَبِي الدَّرْدَاءِ، وَأَبِي عَمْرٍو، وَأَبِي بَكْرَةَ، فَتَلَمَّ أَنَّ الْحَدِيثَ بِاللَّفْظِ الْأَخِيرِ قَوِيٌّ لَا يَنْزِلُ عَنْ الْحَسَنِ، فَيَكُونُ اللَّفْظُ الْأَوَّلُ رَوَايَةً بِالْمَعْنَى. وَيَحْتَمِلُ إِنكَارُ الْإِمَامِ أَحْمَدَ لَهُ فِي عِلَلِهِ (١/٥٦١)، وَأَبِي حَاتِمٍ فِي عِلَلِ ابْنِهِ (١/٤٣١) عَلَى خُصُوصِ كَوْنِ اللَّفْظِ الْأَوَّلِ مَرْفُوعًا، فَالْمُحَدَّثُونَ لَا يَكْتَفُونَ بِصَحَةِ الْمَعْنَى الْمَرْفُوعِ، بَلْ يَتَحَرَّوْنَ فِي نِسْبَةِ كُلِّ كَلِمَةٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَمَا قَالَ أَسْتَادُنَا الْعَلَمَةُ مُحَدِّثُ الدِّيَارِ الشَّامِيَةِ الْأَسْتَاذُ الدُّكْتُورُ نَوْرِ الدِّينِ حَفْظَةُ اللَّهِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

(٢) سورة يوسف، الآية: ٨٢.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٨٧.

[فَخَوَى الْخِطَابِ، وَلَحَّنُ الْخِطَابِ]

والمفهوم: ما دلَّ عليه اللفظ، لا في محلِّ النطق. فإن وافق حكمه المنطوق

[فَخَوَى الْخِطَابِ، وَلَحَّنُ الْخِطَابِ]

(والمفهوم: ما) أي معنى (دلَّ عليه اللفظ لا في محلِّ النطق)^(١) من حكم ومحلّه^(٢) كتحریم كذا، كما سيأتي.

(فإن وافق حكمه) المشتمل هو عليه (المنطوق) أي الحكم المنطوق به (فموافقة)، ويسمى مفهوم موافقة أيضاً.

ثم هو (فخوى الخطاب) أي يسمى بذلك (إن كان أولى) من المنطوق، (ولحنه) أي لحن الخطاب أي يسمى بذلك (إن كان مساوياً) للمنطوق.

مثال المفهوم الأولي: تحريم ضرب الوالدين، الدالُّ عليه نظراً للمعنى قوله تعالى ﴿فَلَا تَقُلْ لِّمَا أَتَى﴾^(٣) فهو أولى من تحريم التأفيف المنطوق، لأشدية الضرب من التأفيف في الإيذاء.

ومثال المساوي: تحريم إحراق مال اليتيم، الدالُّ عليه نظراً للمعنى آية ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ آلَتِهِمْ طُلْمًا﴾^(٤)، فهو مساوٍ لتحريم الأكل، لمساواة الإحراق للأكل في الإتلاف.

(١) قوله «لا في محلِّ النطق» إشارة إلى أنَّ الدلالة في المفهوم ليست وضعيّة، بل انتقاليّة، فإنَّ الذهن يتقل من فهم القليل إلى فهم الكثير بطريق التنبيه بأحدهما إلى الآخر. (التشنيف: ١/١٦٥).

(٢) أي معاً، لا انفراداً، وإلا لزم إضافة الشيء إلى نفسه في قول المصنف: «حكمه»، أو التكرار في قول الشارح: «ويطلق المفهوم على محلِّ الحكم أيضاً».

وقوله «كتحریم كذا» مثال لهما، أي «تحریم» مثال للحكم، و«كذا» مثال للمحلِّ، فإنَّ الحكم في آية التأفيف تحريم الضرب ونحوه، والمحلُّ فيها الضرب، فيطلق «المفهوم» عليهما وإن كان إطلاقه على الحكم هو الشائع.

(النجوم اللوامع: ١/٣٣٢).

(٣) سورة الإسراء، الآية: ٢٣.

(٤) سورة النساء، الآية: ١٠.

فمُوافقةٌ. فحوى الخطابِ إن كان أولى، ولحنه إن كان مُساوياً. وقيل: «لا تكونُ مساوياً».

(وقيل: «لا تكون» الموافقة (مساوياً)^(١) أي - كما قال المصنف^(٢) - لا يُسمَّى بالموافقة المساوي^(٣)، وإن كان مثل الأولى في الاحتجاج به^(٤)، وباسمه المتقدم يُسمَّى «الأولى» أيضاً على هذا^(٥)).

وفحوى^(٦) الكلام: ما يُفهم منه قطعاً، ولحنه^(٧): معناه، ومنه قوله تعالى ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي

(١) اختلف العلماء في اشتراط الأولوية في مفهوم الموافقة على مذهبين: أحدهما: لا، قاله الجمهور من المالكية والشافعية والحنابلة وغيرهم؛ ثانيهما: نعم، قاله بعض العلماء.

(مختصر ابن الحاجب: ١٧٢/٢، التشنيف: ١٦٦/١، شرح الكوكب: ٣٨١/٣).

(٢) أي كما قال المصنف تبعاً لابن الحاجب، وعبارته في شرح المختصر (٤٩١/٣): «ثم المفهوم: مفهوم موافقة، ومفهوم مخالفة. فالأول: أن يكون المسكوت موافقاً في الحكم، ويُسمَّى «فحوى الخطاب» و«لحن الخطاب» كتحریم الضرب في قوله تعالى: ﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمْ أَلَيْسَ﴾؛ والجزء بما فوق المثقال من قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ ﴿٧﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ؛ وكتأدية ما دون القنطار من «يؤدّه إليك»، وعدم الأكثر من «لا يؤدّه إليك» في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِن تَأْتِنَهُ بِقِطَارٍ يُؤَدُّ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِن تَأْتِنَهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدُّ إِلَيْكَ». وهو تنبيه بالأدنى على الأعلى والأشدّ مناسبة، فلذلك كان الحكم في غيره أولى. وهو صريح في اشتراط الأولوية في مفهوم الموافقة». (بتصرف يسير).

(٣) إشارة إلى أن قول المصنف: «لا يكون مساوياً» مقلوب، والأصل: «لا يكون المساوي موافقة»، لأن النزاع في أن «المساوي» هل يُسمَّى موافقة أو لا؟ (البناني: ٣٨٥/١).

(٤) أي أن الخلاف في التسمية والاصطلاح، لا في الحقيقة، ولا مُشاحة في الأسماء كما قال الزركشي في التشنيف (١٦٦/١).

(٥) فعلى هذا القول يكون مفهوم الموافقة هو أولى فقط، ويُسمَّى فحوى الخطاب ولحن الخطاب، والمساوي على هذا يُسمَّى مفهوم مساواة. وقوله «الأولى» نائب فاعل «يُسمَّى». (البناني: ٣٨٥/١، رفع الحاجب: ٤٩٢/٣).

(٦) قال الفيومي في المصباح (ص: ٤٦٤): «(فحوى الكلام) بالقصر وقد يُمدّ: معناه، ولحنه: وفهمته من فحوى كلامه وفحوائه؛ و(فحاً فلان بكلامه إلى كذا، يَفْحُو فُحْوًا) من باب «علاً»: إذا ذهب إليه». ومثله: في القاموس المحيط: ٤٢٣/٤.

(٧) وقال الفيروزآبادي في القاموس (٤/٢٧٠): «و (لحن له): قال له قولاً يفهمه عنه ويخفى على غيره. و (لحن إليه): مال؛ و (ألحنه القول): أفهمه إياه؛ فلحنه كسمعه وجعله؛ فهمه؛ و (اللحن): العالم»

[دَلَالَةُ الْمُوَافَقَةِ قِيَاسِيَّةٌ]

ثُمَّ قَالَ الشَّافِعِيُّ وَالْإِمَامَانِ: «دَلَالَتُهُ قِيَاسِيَّةٌ»،

لَحْنِ الْقَوْلِ»^(١).

ويطلق «المفهوم» على مَحَلِّ الْحُكْمِ أيضاً «كالمنطوق». وعلى هذا ما قال المصنف في {٨٣} «شرح المنهاج»^(٢) كغيره^(٣): «المفهوم: إما أَوَّلَى من المنطوق بالحكم، أو مُسَاوٍ له فيه».

[دَلَالَةُ الْمُوَافَقَةِ قِيَاسِيَّةٌ]

(ثُمَّ قَالَ الشَّافِعِيُّ)^(٤) إِمَامُ الْأَثَمَةِ (وَالْإِمَامَانِ) أَيِ إِمَامِ الْحَرَمَيْنِ وَالْإِمَامِ الرَّازِيِّ^(٥): «(دَلَالَتُهُ) أَيِ الدَّلَالَةِ عَلَى الْمُوَافَقَةِ (قِيَاسِيَّةٌ)^(٦) أَيِ بِطَرِيقِ الْقِيَاسِ الْأَوَّلَى، أَوْ الْمَسَاوِي

= بعواقب الكلام. و(لَحْنٌ) كَفَرَحَ: فِطْنٌ لِحُجَّتِهِ وَائْتَبَهُ؛ وَ(لَا لِحْنَهُمْ): فَالْمَنْهَمُ، وَ﴿فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾: فِي فُتُوهُ وَمَعْنَاهُ. ومثله في المصباح المنير، ص: ٥٥١.

(١) سورة محمد، الآية: ٣٠.

(٢) الإنهاج للمصنف: ٣٦٧/١.

(٣) كالإسنوي في نهاية السؤل: ٣٦٠/١.

(٤) الرسالة للشافعي، ص: ٥١٣.

(٥) المحصول للرازي: ١٢١/٥.

(٦) قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ فِي النُّجُومِ الْوَالِيعِ (١/٣٣٥): «وَمَا نَقَلَهُ الْمُصَنِّفُ عَنْ إِمَامِ الْحَرَمَيْنِ مِنْ «أَنَّ الدَّلَالََةَ قِيَاسِيَّةٌ» خِلَافَ مَا مَالَ إِلَيْهِ فِي كِتَابِ الْقِيَاسِ مِنَ «الْبَرَهَانِ» مِنْ «أَنَّهَا دَلَالَةٌ مَفْهُومٌ»، وَقَدْ سَاقَ الزَّرْكَشِيُّ عِبَارَةَ الْمُصَنِّفِ بِلَفْظِ «وَالْإِمَامِ» أَيِ الْإِمَامِ الرَّازِيِّ، وَتَبِعَهُ الْعِرَاقِيُّ [فِي الْغَيْثِ الْهَامِعِ: ١/١١٨] وَقَالَ: «إِنَّ قَوْلَهُ: «وَالْإِمَامَانِ» عِبَارَةٌ النَّسخَةِ الْقَدِيمَةِ، وَاعْتَمَدَ فِيهَا عَلَى نَقْلِ بَعْضِهِمْ عَنْ «الْبَرَهَانِ» أَنَّ فِيهِ ذَلِكَ عَنْ مَعْظَمِ الْأَصُولِيِّينَ وَهُوَ وَهْمٌ، وَالَّذِي فِيهِ عَنْ مَعْظَمِهِمْ: أَنَّهَا دَلَالَةٌ مَفْهُومٌ».

قَالَ الْعَبِيدُ الْفَقِيرُ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ: هَذَا الْكَلَامُ نَقَلَهُ شَيْخُ الْإِسْلَامِ مِنَ «الْغَيْثِ الْهَامِعِ» لِلْعِرَاقِيِّ، فَظَنَّ أَنَّهُ مَوْجُودٌ فِي «التَّشْنِيفِ» لِلزَّرْكَشِيِّ الَّذِي أَصْلُ «الْغَيْثِ الْهَامِعِ»، وَلَيْسَ لَهُ وَجُودٌ فِي «التَّشْنِيفِ»، هَذَا أَوَّلًا. ثَانِيًا عِبَارَةُ إِمَامِ الْحَرَمَيْنِ فِي كِتَابِ الْقِيَاسِ مِنَ الْبَرَهَانِ (٢/٢٢): «اِخْتَلَفَ أَرْبَابُ الْأَصُولِ فِي تَسْمِيَةِ ذَلِكَ قِيَاسًا؟ فَقَالَ قَائِلُونَ: إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَبْوَابِ الْقِيَاسِ، وَهُوَ مُتَلَقًى مِنْ فَحْوَى الْخُطَابِ؛ وَقَالَ آخَرُونَ: هُوَ مِنَ الْقِيَاسِ. وَهَذِهِ مَسْأَلَةٌ لَفْظِيَّةٌ لَيْسَ رِوَاؤها فَائِدَةً مَعْنَوِيَّةً، وَلَكِنْ الْأَمْرُ إِذَا رُدَّ إِلَى حُكْمِ اللَّفْظِ فَعَدَّ ذَلِكَ مِنَ الْقِيَاسِ أَمْثَلُ...» ثُمَّ قَالَ: فَالْوَجْهُ أَنَّ يُسَمَّى ذَلِكَ قِيَاسًا، وَإِنْ عَنَى مَنْ أَبَى تَسْمِيَةَ ذَلِكَ قِيَاسًا أَنَّ لَفْظَ الشَّارِعِ كَافٍ فِيهِ مِنْ غَيْرِ سَبَرٍ وَفَكْرٍ فَهُوَ صَحِيحٌ».

نَقَلَ الزَّرْكَشِيُّ فِي التَّشْنِيفِ (١/١٦٧) قَوْلَهُ «مَسْأَلَةٌ لَفْظِيَّةٌ» وَعَقَّبَهُ قَائِلًا: «وَالظَّاهِرُ أَنَّهُ مَعْنَوِيٌّ، وَمِنْ فَوَائِدِهِ جَوَازُ النَّسخِ بِهِ». وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وقيل: «لَفْظِيَّةٌ»: فقال الغزالي والآمدي: «فُهِمَت من السياق والقرائن، وهي مَجَازِيَّةٌ مِنْ إِبْطَاقِ الْأَخْصَصِ عَلَى الْأَعْمِّ»، وقيل: «نُقِلَ اللَّفْظُ لَهَا عُرْفًا».

المسمى «الْجَلِي» كما يُعَلَّمُ مِمَّا سَيَأْتِي^(١)، والعلة في المثال الأول الإيذاء، وفي الثاني الإِتْلَافُ.

ولا يضرُّ في النقل عن الْأَوَّلَيْنِ عَدَمُ جَعْلِهِمَا «الْمَسَاوِي» من «الموافقة»، لأنَّ ذلك بالنظر إلى الاسم لا الحكم كما تقدَّم^(٢).

وأما الثالث فلم يُصْرَحْ بالتسمية بالموافقة ولا نحوه مِمَّا تقدَّم.

(وقيل): «الدلالة عليه (لفظية)»، لا مدخل للقياس فيها، لفهمه من غير اعتبار قياس^(٣).

(فقال الغزالي والآمدي) من قائلِي هذا القول: «(فُهِمَت) أي الدلالة عليه (من السياق والقرائن) لا من مُجَرِّدِ اللَّفْظِ. فلولا دلالتُهما في آيةِ الوالدين على أن المطلوبَ بِها تعظيمُهما واحترامُهما ما فُهِمَ منها مِنْ مَنَعِ التَّأْفِيفِ مَنَعُ الضَّرْبِ، إذ قد يقول ذو الغرض الصحيح لعبده: «لا تَشْتِمَ فلاناً ولكنْ اضْرِبْه».

ولولا دلالتُهما في آيةِ مالِ الْيَتِيمِ على أن المطلوبَ بِها حفظُه وصيانته ما فُهِمَ منها مِنْ مَنَعِ أَكْلِهِ مَنَعُ إِحْرَاقِهِ، إذ يقول القائل: «والله ما أَكَلْتُ مالَ فلان» ويكون قد أحرَقَه، فلا يَحْتَسِبُ.

(وهي) أي الدلالة عليه حينئذ (مَجَازِيَّةٌ مِنْ إِبْطَاقِ الْأَخْصَصِ عَلَى الْأَعْمِّ)، فَأُطْلِقَ الْمَنَعُ مِنْ التَّأْفِيفِ فِي آيةِ الْوَالِدَيْنِ، وَأُرِيدَ الْمَنَعُ مِنَ الْإِيذَاءِ؛ وَأُطْلِقَ الْمَنَعُ مِنْ أَكْلِ مالِ الْيَتِيمِ فِي آيَتِهِ، وَأُرِيدَ الْمَنَعُ مِنْ إِتْلَافِهِ^(٤).

٨٤

(وقيل: «نُقِلَ اللَّفْظُ لَهَا») أي للدلالة على الْأَعْمِّ (عُرْفًا) بدلاً عن الدلالة على الْأَخْصَصِ لَعَنَةً^(٥).

فتَحْرِيمُ ضَرْبِ الْوَالِدَيْنِ، وَتَحْرِيمُ إِحْرَاقِ مالِ الْيَتِيمِ عَلَى هَذَيْنِ الْقَوْلَيْنِ مِنْ مَنْطُوقِ الْآيَتَيْنِ، وَإِنْ كَانَا بَقَرِيَّةً عَلَى الْأَوَّلِ مِنْهُمَا.

(١) انظر: «أقسام القياس باعتبار القوة»: ٣٠٨/٢.

(٢) انظر: «فحوى الخطاب ولحن الخطاب»: ١٨٧/١.

(٣) قاله الحنفية والمالكية والحنابلة، وجماعة من الشافعية. (تيسير التحرير: ٩٠/١، الإحكام: ٦٨/٣، مختصر ابن الحاجب: ١٧٢/٢، شرح الكوكب: ٤٨٣/٣).

(٤) المستصفي للغزالي: ٢٢٢/٢، الإحكام للآمدي: ٦٤/٣.

(٥) وهو قول ثانٍ للحنابلة. (شرح الكوكب: ٣٨٥/٣).

[مَفْهُومُ الْمُخَالَفَةِ، وَشُرُوطُهُ]

وَإِنْ خَالَفَ فَمُخَالَفَةٌ.

وَشُرُطُهُ: أَنْ لَا يَكُونَ الْمَسْكُوتُ تُرْكٌ لِخَوْفٍ

وكثير من العلماء منهم الحنفية^(١) على أن الموافقة مفهوم لا منطوق ولا قياسي كما هو ظاهر صدر كلام المصنف^(٢).

ومنهم مَنْ جعله تارةً مفهوماً، وأخرى قياسياً كالبيضاوي^(٣)، فقال الصفي الهندي^(٤): «لا تنافي بينهما، لأن المفهوم مسكوت، والقياس إلحاق مسكوت بمنطوق»^(٥).

قال المصنف: «وقد يقال بينهما تنافٍ، لأن المفهوم مدلول اللفظ، والمقيس غير مدلول له»^(٦).

[مَفْهُومُ الْمُخَالَفَةِ، وَشُرُوطُهُ]

(وإن خالف) حكم المفهوم الحكم المنطوق به (فمخالفة)، ويسمى «مفهوم مخالفة» أيضاً كما سيأتي التعبير به في مبحث «العام»^(٧).

(وشرطه) ليتحقق: ١- (أن لا يكون المسكوت تركاً لـخوف) في ذكره بالموافقة كقول

(١) لكنهم يسمونه دلالة النص. (فوائح الرحموت: ١/٧٢٦، تيسير التحرير: ١/٩٠).

(٢) وهو قوله «المفهوم: ما دلّ عليه...»، واختاره شيخ الإسلام في لب الأصول وشرحه (ص: ٣٨).

(٣) حيث جعل الموافقة في مبحث اللغات من المنهاج (١/٣٥٧) مفهوماً، وفي كتاب «القياس» منه (٢/٨٢٣) قياساً.

(٤) والهندي: هو محمد بن عبد الرحيم بن محمد صفي الدين الهندي الشافعي، الفقيه الأصولي، وُلد بالهند، ثم رحل في طلب العلم إلى الحجاز والقاهرة وغيرهما، تتلمذ على السراج الأرموي، درس بالجامع الأموي بدمشق، وناظر ابن تيمية، كان أشعرياً، باراً بالفقراء خاصة بتلاميذه، له مؤلفات قيمة منها الفائق، ونهاية الوصول، توفي رحمه الله سنة ٧١٥ هـ بدمشق. (الفتح المبين: ٢/١١٩).

(٥) وهو ما اختاره المصنف في رفع الحاجب (٣٤٩٧) تبعاً لإمام الحرمين في البرهان (٢/٢٢)، واختاره أيضاً السعد التفتازاني في حاشيته على شرح العضد (٢/١٧٣).

(٦) قاله في الإبهاج (٢/٢٧)، وهو الأصح الذي اختاره الزركشي في الشنيف (١/١٦٧)، وشيخ الإسلام في النجوم اللوامع (١/٣٣٧).

ومن فوائده: إن قلنا: إن دلالة لفظية جاز به النسخ، وإلا فلا يجوز النسخ به.

(٧) انظر: «ما يعم عقلاً، لا لغة»: ١/٣٤٦.

وَنَحْوِهِ، وَلَا يَكُونُ الْمَذْكُورُ خُرْجًا لِلْغَالِبِ، خِلَافًا لِإِمَامِ الْحَرَمَيْنِ، أَوْ لِسُؤَالٍ، أَوْ حَادِثَةٍ، أَوْ لِلْجَهْلِ بِحُكْمِهِ، أَوْ غَيْرِهِ مِمَّا يَقْتَضِي التَّخْصِصَ بِالذِّكْرِ.

قريب العهد بالإسلام لعبدِهِ بِحُضُورِ الْمُسْلِمِينَ: «تَصَدَّقْ بِهَذَا عَلَى الْمُسْلِمِينَ» وَيُرِيدُ وَغَيْرَهُمْ، وَتَرَكَ خَوْفًا مِنْ أَنْ يُتَّهَمَ بِالتَّفَاقُ؛

٢- (وَنَحْوِهِ) أَي نَحْوِ الْخَوْفِ كَالْجَهْلِ بِحُكْمِ الْمَسْكُوتِ كَقَوْلِكَ: «فِي الْغَنَمِ السَّائِمَةِ زَكَاةٌ» وَأَنْتَ تَجْهَلُ حُكْمَ الْمَعْلُوفَةِ.

٣- (و) أَنْ (لَا يَكُونُ الْمَذْكُورُ خُرْجًا لِلْغَالِبِ) كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿وَرَبِّبْكُمْ أَلَنِّي فِي حُجُورِكُمْ﴾^(١)، فَإِنَّ الْغَالِبَ كَوْنُ الرِّبَابِ فِي حُجُورِ الْأَزْوَاجِ أَي تَرْبِيَّتِهِمْ^(٢).

(خِلَافًا لِإِمَامِ الْحَرَمَيْنِ)^(٣) فِي نَفْيِهِ هَذَا الشَّرْطَ لِمَا سَيَأْتِي مَعَ دَفْعِهِ؛

٤، ٥، ٦- (أَوْ خُرْجَ الْمَذْكُورِ (لِسُؤَالٍ) عَنْهُ)^(٤)، (أَوْ حَادِثَةٍ) تَتَعَلَّقُ بِهِ^(٥)، (أَوْ لِلْجَهْلِ بِحُكْمِهِ) دُونَ حُكْمِ الْمَسْكُوتِ^(٦)، كَمَا لَوْ سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ: هَلْ فِي الْغَنَمِ السَّائِمَةِ زَكَاةٌ؟ أَوْ قِيلَ بِحَضْرَتِهِ: «الْفُلَانُ غَنَمٌ سَائِمَةٌ»، أَوْ خَاطَبَ مَنْ جَهِلَ حُكْمَ الْغَنَمِ السَّائِمَةِ دُونَ الْمَعْلُوفَةِ فَقَالَ: «فِي الْغَنَمِ السَّائِمَةِ زَكَاةٌ».

٧- (أَوْ غَيْرِهِ) أَي خُرْجَ الْمَذْكُورِ لَغَيْرِ مَا ذُكِرَ (مِمَّا يَقْتَضِي التَّخْصِصَ بِالذِّكْرِ) كِمُوافَقَةِ الْوَاقِعِ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٧) نَزَلَتْ - كَمَا قَالَ الْوَاحِدِيُّ^(٨)

(١) سورة النساء، الآية: ٢٣.

(٢) قاله المالكية والشافعية والحنابلة. (شرح التنقيح، ص: ٢٧٢، مختصر ابن الحاجب: ١٧٣/٢، التشنيف: ١٦٧/١، رفع الحاجب: ٥٠٠/٣، شرح الكوكب: ٤٩٠/٣).

(٣) البرهان لإمام الحرمين: ١٧٨/١.

(٤) قال ابن النجار في شرح الكوكب (٤٩٢/٣): «ذكره المجد في شرح الهداية في صلاة التطوع اتفاقاً».

(٥) وبه قال أيضاً المالكية والحنابلة. (مختصر ابن الحاجب: ١٧٤/٢، شرح الكوكب: ٤٩٤/٣).

(٦) وبه قال أيضاً المالكية والحنابلة. (مختصر ابن الحاجب: ١٧٤/٢، شرح الكوكب: ٤٩٤/٣).

(٧) سورة آل عمران، الآية: ٢٨.

(٨) والواحدى: هو علي بن أحمد بن محمد الواحدى النيسابورى، أبو الحسن الشافعى، الإمام العلامة، الأستاذ، إمام علماء التأويل، لازم أبا إسحاق الثعلبى، وأكثر عنه، كان طويل الباع فى العربية، واللغات، تصدر للتدريس مدة، وعظم شأنه، له مؤلفات قيمة، منها: أسباب النزول، توفى رحمه الله سنة ٤٦٨ هـ بنيسابور. (شذرات الذهب: ٣٣٠/٣).

وغيره^(١) - في قوم من المؤمنين وآلوا اليهود أي دون المؤمنين^(٢).

وإنما شَرَطُوا للمفهوم انتفاء المذكورات، لأنّها فوائد ظاهرة، وهو فائدة خفية فأُخِرَ عنها، وبذلك اندفع توجيهُ إمام الحرمين لما نفاه مُخَالِفاً للشافعي بـ «أنّ المفهوم من مقتضيات اللفظ، فلا تُسْقِطُه موافقةُ الغالب». وقد مشى في «النهاية» في آية الرّبيبة على ما نقله عن الشافعي من «أنّ القيدَ فيها لموافقة الغالب لا مفهوم له» بعد أن نقل عن مالك القول بمفهوميّه من «أنّ الرّبيبة الكبيرة وقت التّزوّج بأمرها لا تحرّم على الزوج، لأنّها ليست في حجره وتربيته».

وهذا وإن لم يستمرّ عليه مالك^(٣)، فقد نقله الغزالي عن داود^(٤)، كما نقل ابن عطية^(٥) عن عليّ كرم الله وجهه «أنّ البعيدة عن الزوج لا تحرّم عليه، لأنّها ليست في حجره». ورواه عنه بالسند ابن أبي حاتم^(٦) وغيره، ومرجع ذلك إلى أنّ القيد ليس لموافقة الغالب.

(١) كالحافظ السيوطي في لباب النقول في أسباب التّزول (ص: ٩٠).

(٢) أسباب التّزول للواحد (ص: ٨٨).

(٣) هذا لم يثبت عن مالك حتى يقول: «لم يستمرّ عليه»، قال حُلُولُو المالكي في الضياء اللامع (٩٧/٢): «لا أعرف أحداً من أهل المذهب نقله»، وأقرّه الشنقيطي في نشر الثبوت (٩٩/١). وقال الشيخ صالح الأزهرى المالكي في شرح الرسالة (٤٤٧): «قوله تعالى ﴿الَّتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمْ﴾ خرج مخرج الغالب، فلا مفهوم له إجماعاً، إلّا ما روي عن عليّ عليه السلام أنّها لا تحرّم إذا لم تكن في الحجر».

(٤) تبع داوداً أصحابه، وانتصر له ابن حزم في المحلى (٥٢٧/٩).

(٥) وابن عطية: هو عبد الله بن عطية بن عبد الله أبو محمد المقرئ المفسر الدمشقي، قرأ على أبي الحسن بن الأخرم، وكان ثقة يحفظ خمسين ألف بيت شعر في الاستشهاد على معاني القرآن، توفي رحمه الله سنة ٣٨٣ هـ. (طبقات المفسرين للسيوطي، ص: ٥٦).

(٦) قال الحافظ ابن كثير في تفسيره (٤٧٢/١): «وأما قوله تعالى ﴿وَرَبِّبُكُمْ أَلَّتِي فِي حُجُورِكُمْ﴾ فالجمهور على أنّ الرّبيبة حرامٌ سواء كانت في حجر الرجل أو لم تكن في حجره، قالوا: هذا الخطاب خرج مخرج الغالب، فلا مفهوم له كقوله تعالى ﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْإِغْوَاءِ إِنْ أَرَدْنَ حَصْحَا﴾، وهذا هو مذهب الأئمة الأربعة والفقهاء السبعة وجمهور الخلف والسلف».

وقد قيل بأنّه لا تحرّم الرّبيبة إلّا إذا كانت في حجر الرجل، فإذا لم تكن كذلك فلا تحرّم.

قال ابن أبي حاتم: حدّثنا أبو زرة، حدّثنا إبراهيم بن موسى، أنبأنا هشام بن يوسف عن ابن جريج حدّثني إبراهيم بن عبيد بن رفاعه، أخبرني مالك بن أوس بن الحدثان قال: «كانت عندي امرأة، فتوفيت وقد ولدت لي، فوجدت عليها، فلقيت عليّ بن أبي طالب، فقال: ما لك؟ فقلت: توفيت»

[لا يَمْنَعُ مَا يَقْتَضِي التَّخْصِيصَ قِيَاسَ الْمَسْكُوتِ بِالْمَنْطُوقِ]

وَلَا يَمْنَعُ قِيَاسَ الْمَسْكُوتِ بِالْمَنْطُوقِ؛

والمقصود مما تقدم أنه لا مفهوم للمذكور في الأمثلة المذكورة ونحوها. ويُعلم حكم المسكوت فيها من خارج بالمخالفة كما في الغنم المعلوفة إما سيأتي^(١)، أو الموافقة كما في المثال الأول لما تقدم؛ وفي آيتي الربيبة والمؤالاة للمعنى، وهو: أن الربيبة حُرِّمَتْ لثَلَاثٍ يَقَعُ بينها وبين أمها التباعد لو أبيحت، بأن يتزوج بها فيوجد، نظراً للعادة في مثل ذلك، سواء كانت في حجر الزوج أم لا؛

ومؤالاة المؤمن الكافر حُرِّمَتْ لعداوة الكافر له، وهي موجودة، سواء وإلى المؤمن أم لا، وقد عَمَّ مَنْ وَالَاهُ وَمَنْ لَمْ يُوَالِهِ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِكُمْ﴾ إلى قوله ﴿وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ﴾^(٢).

[لا يَمْنَعُ مَا يَقْتَضِي التَّخْصِيصَ قِيَاسَ الْمَسْكُوتِ بِالْمَنْطُوقِ]

ومن المعنى^(٣) المعروف به موافقة المسكوت للمنطوق نشأ خلاف في أن الدلالة على المسكوت قياسية أو لفظية، وكان القيد لم يذكر حكاها في قوله:

(ولا يَمْنَعُ)^(٤) أي ما يقتضي التخصيص بالذكر (قياس المسكوت بالمنطوق)، بأن كان

= المرأة. فقال علي: لها ابنة؟ قلت: نعم وهي بالطائف. قال: كانت في حجرك؟ قلت: لا هي بالطائف. قال: فانكحها. قلت: فأين قول الله تعالى ﴿وَرَبِّبْنَاهُ لِنِسَاءٍ فِي حُجْرِكُمْ﴾؟ قال: إنها لم تكن في حجرك، إنما ذلك إذا كانت في حجرك.

هذا إسناد قوي ثابت إلى علي بن أبي طالب على شرط مسلم، وهو قول غريب جداً.

(١) انظر: «أنواع مفهوم المخالفة»: ١٩٦/١.

(٢) سورة المائدة، الآية (٥٧): ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِكُمْ هَؤُلَاءِ مِمَّا يَنْهَى عَنْ الْكُفْرِ أُولَئِكَ أُخْرِجُوا مِنَ الدِّينِ﴾.

(٣) أي نظراً إلى العلة التي يستند له الحكم نشأ خلاف... (البناني: ٣٩٤/١).

(٤) أي أن وجود ما يقتضي التخصيص بالذكر ككونه جواب سؤال أو بياناً لحادثة يَمْنَعُ تحقق المفهوم، ولكن لا يَمْنَعُ إلحاق المسكوت بالمنطوق بطريق القياس عند وجود شرط القياس.

فقول الشارح: «ما يقتضي» فاعل قول المصنف: «لا يَمْنَعُ»، وقوله «قياس المسكوت» مفعول «لا يَمْنَعُ». (البناني: ٣٩٤/١).

بَلْ قِيلَ: «يَعْمُهُ الْمَعْرُوضُ» ؛ وَقِيلَ: «لَا يَعْمُهُ إِجْمَاعًا» .

بينهما علةٌ جامعةٌ لعدم معارضته له^(١).

(بَلْ قِيلَ: «يَعْمُهُ»^(٢)) أي المسكوتَ المشتَمَلَ على العلةِ (المعروضِ) للمذكورِ من صفةٍ أو ٨٧ غيرها إذ عارضه بالنسبة إلى المسكوتِ المشتَمَلِ على العلةِ كأنه لَمْ يُذَكَّرْ^(٣).

(وَقِيلَ: «لَا يَعْمُهُ إِجْمَاعًا») لوجود العارضِ، وإنَّما يُلْحَقُ به قياساً.

وعدمُ العموم هو الحق^(٤)، كما قال المصنف^(٥)، لا سيما قد ادعى بعضهم^(٦) الإجماعَ عليه كما أفادته العبارةُ، بخلاف مفهوم الموافقة، لأنَّ المسكوتَ هنا أدوُنُ من المنطوقِ بخلافه هناك كما تقدَّم^(٧).

و «بَلْ» هنا انتقاليةٌ، لا إبطائيةٌ.

(١) أي لعدم معارضة ما يقتضي التخصيص بالذكر ككونه جواب سؤالٍ أو بيانٌ حادثةٍ للقياس، وذلك كأن نقول في جواب: هل في الغنم السائمة زكاة؟: «في الغنم السائمة زكاة»، فالمعلوفة المسكوتة عن حكمها يجوزُ قياسُها على السائمة بجامع كونهما غنماً.
(شرح الكوكب: ٣/ ٤٩٧، البناني: ١/ ٣٩٥).

(٢) أي بناءً على «أنَّ دلالة المفهوم على المسكوت لفظيةٌ»، ولا قائلٌ به كما قال ابنُ الحاجب في المختصر (١٧٣/٢).

وقوله «المسكوت» مفعول مقدَّم، وقوله «المعروض» فاعلٌ متأخر، وهو اللفظُ العامُ كـ«الغنم» في قولك «في الغنم السائمة زكاة»، إذ «السائمة» عارضةٌ له.

وإنَّما قال «المعروض» بدل «الموصوف» لثلاثي توهم اختصاصه بمفهوم الصفة، وهو لا يختصُّ به، لأنَّ هذه الأمور تمنعُ المفهومَ في الصفة والشرط وغيرهما.

(منع الموانع، ص: ٤٣٤، التشنيف: ١/ ١٧٠، البناني: ١/ ٣٩٥).

(٣) أي وكأنَّ الوصف لم يُذَكَّر، وهو «السائمة» في قولنا: «في الغنم السائمة زكاة»، و «اللآتي في حجبوركم» في آية الربيبة، وكأنَّه قال: «في الغنم زكاة»، و«ربائبكم من نسائكم». (البناني: ١/ ٣٩٥).

(٤) الذي عليه الجماهير من المالكية والشافعية والحنابلة.

(مختصر ابن الحاجب: ١٧٣/٢، التشنيف: ١/ ١٧٠، شرح الكوكب: ٣/ ٤٩٧).

(٥) أي في منع الموانع (ص: ٤٣٤).

(٦) أي ابن الحاجب في مختصره (١٧٥/٢) حيث قال عقب قوله: (وقيل: يعمُّه): «لا قائلٌ به».

(٧) انظر: «فحوى الخطاب ولحنُ الخطاب»: ١/ ١٨٧.

[أَنْوَاعُ مَفْهُومِ الْمُخَالَفَةِ]

وَهُوَ صِفَةٌ كـ «الْغَنَمِ السَّائِمَةِ»، أَوْ «سَائِمَةِ الْغَنَمِ»،

[أَنْوَاعُ مَفْهُومِ الْمُخَالَفَةِ]

(وهو:

١- صفة) أي مفهوم المخالفة بمعنى محلّ الحكم مفهوم صفة. قال المصنف: «والمرادُ بها لفظٌ مُقَيَّدٌ لآخر، ليس بشرط ولا استثناء ولا غاية، لا النعتُ فقط»^(١). أي أخذاً من إمام الحرمين^(٢) وغيره، حيث أدرجوا فيها العدد والظرف مثلاً؛

(كالغنم السائمة أو سائمة الغنم)^(٣) أي الصفة كـ «السائمة» في الأول من «في الغنم السائمة زكاة»، وفي الثاني من «في سائمة الغنم زكاة»، قُدِّمَ من تأخير، وكلٌّ منهما يروى حديثاً^(٤). ومعناه ثابتٌ في حديث البخاري «وفي صدقة الغنم في سائمتها إذا كانت أربعين إلى عشرين ومائة شاة، إلخ»^(٥).

(١) منع الموانع للمصنف (ص: ٥١٢).

(٢) البرهان لإمام الحرمين: ٤٥٤/١.

(٣) قال المصنف رحمه الله في منع الموانع (ص: ٩١٢): «وإذا كان المعني بالصفة التقييد كان المقيد في قولنا: «في الغنم السائمة زكاة» إنما هو «الغنم»، وفي قولنا: «في سائمة الغنم زكاة» إنما هو «السائمة»، فمفهوم الأول عدم وجوب الزكاة في الغنم المعلوفة، ومفهوم الثاني عدم وجوب الزكاة في غير الغنم كالبقير مثلاً.

وأما عدم وجوب الزكاة في الغنم المعلوفة بالنسبة إلى التركيب الثاني فمن باب مفهوم اللقب كما أن عدم وجوب الزكاة في البقر بالنسبة إلى التركيب من باب مفهوم اللقب، لأن المقيد في الأول «الغنم» وفي الثاني «السائمة»، فُعلم أن للتركيبين منطوقاً ومفهوماً صفةً ولقباً:

أما منطوقهما واحد وهو وجوب الزكاة في الغنم السائمة. وأما مفهوم الصفة في الأول عدم وجوب الزكاة في الغنم المعلوفة، وفي الثاني عدم وجوب الزكاة في سائمة غير الغنم. وأما مفهوم اللقب في الأول عدم وجوب الزكاة في غير الغنم، وفي الثاني عدم وجوب الزكاة في غير السائمة. فعرَضْنَا هنا البحث عن مفهوم الصفة، فلمَّا اختلفت بالنسبة إلى الصفتين أتينا بالمثالين.

(٤) قال العبد الفقير خفر الله له ولوالديه: أمّا الأول وهو «في الغنم السائمة زكاة» فلم أجده في مصادر الحديث المتوفرة لديّ، وأمّا الثاني رواه أبو داود في الزكاة، باب زكاة السائمة (١٣٣٩) ضمن حديث طويل، والله تعالى أعلم.

(٥) رواه البخاري في الزكاة باب زكاة الغنم (١٣٦٢). وسيأتي في مبحث «وجوب العمل بالآحاد».

لا مُجَرَّدُ «السَّائِمَةِ» عَلَى الْأَظْهَرِ.

وَهَلِ الْمُنْفِيُّ غَيْرُ سَائِمَتِهَا، أَوْ غَيْرُ مُطْلَقِ السَّوَائِمِ؟ قَوْلَانِ.

(لا مُجَرَّدُ السَّائِمَةِ)^(١) أَيِ مِنْ «فِي السَّائِمَةِ زَكَاةٌ» إِنْ رُويَ فَلَيْسَ مِنَ الصِّفَةِ (عَلَى الْأَظْهَرِ) لاختلال الكلام بدونه كـ «الْلَّقِبِ»^(٢).

وقيل: «هو منها لدلالته على «السَّوْمِ» الزائد على الذات بخلاف «اللقب»، فيفيد نفي الزكاة عن المعلوفة مطلقاً، كما يُفيد إثباتها في السائمة مطلقاً».

ويؤخذ من كلام ابن السمعاني^(٣) أَنَّ الجمهور على الثاني حيث قال: «الاسْمُ المشتقُّ كالمسلم والكافر والقاتل والوارث، يجري مجرى المقيّد بالصفة عند الجمهور»^(٤).

(وهل الْمُنْفِيُّ) عن محليّة الزكاة في المثلّين الأوّلين (غيرُ سَائِمَتِهَا)، وهِيَ معلوفة الغنم، (أو غيرُ مُطْلَقِ السَّوَائِمِ)، وهو معلوفة الغنم وغير الغنم^(٥)؟ (قَوْلَانِ):

الأوّل - ورجحه الإمام^(٦) الرازي وغيره^(٧) - ينظر إلى السوم في الغنم.

(١) إشارة إلى أَنَّ صورة مفهوم الصفة المتفق عليها أن تُذكر الذات العامة، ثم إحدى صفتيها كالمثلّين السابقين، لأنّه لا فائدة للصفة إلاّ نفْيُ الحكم، والكلام لا يَخْتَلُ بدونها. أما إذا ذُكرت الصفة بدونِ الذات كما في «فِي السَّائِمَةِ زَكَاةٌ» هل لها مفهومٌ نظراً أنّها صفةٌ، أو لا نظراً أنّها كاللقب في اختلال الكلام بدونها. (التشنيف: ١٧١/١).

(٢) اختاره شيخ الإسلام في لبّ الأصول وشرحه (ص: ٣٩).

(٣) وابنُ السَّمعاني: هو منصور بن محمد بن عبد الجبار، أبو المظفر السمعاني الشافعي، يُعرَف بالسمعاني وابن السمعاني، الفقيه الأصولي، تفقّه على أبيه مذهب الحنفيّة، ثم تحوّل شافعيّاً بعد أن لَقِيَ أبا إسحاق الشيرازي وابن الصباغ، له كتب نفيسة منها: قواطع الأدلة في الأصول، والبرهان، وغيرهما، توفي رحمه الله سنة ٤٨٩ هـ بَمَرُو ودُفِنَ بِهَا. (الفتح المبين: ٢٧٩/١).

(٤) أي من الشافعية والحنابلة.

(الإحكام: ٩٦/٣، التشنيف: ١٧٢/١، شرح الكوكب: ٥٠٤/٣).

(٥) لا خلاف أن الْمُنْفِيَّ «غيرُ السَّائِمَةِ»، وإنّما الخلاف هل هي غيرُ سائمة الغنم أو سائمة كلّ شيء؟ (التشنيف: ١٧٢/١).

(٦) المحصول للرازي: ١٤٨/٢.

(٧) كالشيخ أبي إسحاق في اللمع (ص: ٤٦). وهو الراجح لدى المالكية والشافعية والحنابلة، لأنّ المفهوم نقبض المنطوق، والمنطوق «سائمة الغنم» دون غيرها.

(شرح التنقيح، ص: ٢٧٣، التشنيف: ١٧٢/١، شرح الكوكب: ٥٠١/٣).

ومنها: العِلَّةُ، والظَرْفُ، والحالُ،

والثاني: إلى السوم فقط، لِتَرْتَبِ الزكاة عليه في غير الغنم من الإبل والبقر^(١).

وجَوَّز المصنف^(٢) أن تكون الصفة في «سائمة الغنم» لفظ «الغنم» على وزانها في «مَظْلُ الْغَنِيِّ ظَلَمَ»^(٣) كما سيأتي^(٤)، فيُقَيَّدُ نَفْيُ الزكاة عن سائمة غير الغنم وإن ثَبَّتَ فيها بدليل آخر. وهو بعيدٌ، لأنَّه خلاف المتبادر إلى الأذهان.

(ومنها) أي من الصفة بالمعنى السابق:

آ - (العِلَّةُ)^(٥) نحو «أعط السائل لحاجته»^(٦) أي المحتاج دون غيره.

ب - (والظرفُ) زماناً^(٧) ومكاناً^(٨)، نحو «سافر يوم الجمعة» أي لا في غيره، و«اجلس أمام فلان» أي لا وراءه.

ج - (والحالُ)^(٩) نحو «أحسين إلى العبد مطيعاً» أي لا عاصياً.

(١) وهو رواية عن الإمام أحمد، واختاره ابن عقيل من أصحابه. (شرح الكوكب: ٥٠١/٣).

(٢) أي في منع الموانع (ص: ٥١٩).

(٣) أي من أن مفهومه «أن مظل غير الغني ليس بظلم»، لا أن «غير المظل ليس بظلم». (النجوم اللوامع: ٣٤٤/١).

(٤) «مسألة: حجية المفاهيم»: ٢٠١/١.

(٥) قال الولي العراقي في الغيث الهامع (١/١٢٤): «وفَرَّقَ القرافي بين مفهوم العلة ومفهوم الصفة بأن الصفة قد تكون مُكَمِّلَةً للعلة، لا علة، وهي أَعَمُّ من العلة، فإنَّ وجوب الزكاة في «السائمة» ليس للسوم، ولأَلَوْجَبَ في الوحوش، وإنما وَجِبَتْ لِتَعَمِّ الملِك، وهو مع السوم أَمُّ منه مع العلف».

(٦) مثاله من المرفوع قوله ﷺ: «ما أَشْكُرُ كَثِيرُهُ فَقَلِيلُهُ حَرَامٌ»، فمفهومه: أن ما لا يُيسر كثيره لا يحرم. رواه أبو داود في الأشربة، باب النهي عن المسكر (٣٦٨١)، والترمذي في الأشربة، باب ما جاء ما أسكر كثيره فقلبه حرام (١٨٦٥)، وقال: «وفي الباب عن سعد، وعائشة، وعبد الله بن عمرو، وابن عمر، وخوات بن جبير. وهذا حديث حسن غريب من حديث جابر»، وابن ماجه في الأشربة، باب ما أسكر كثيره فقلبه حرام (٣٣٩٣)، كلهم عن جابر رضي الله عنه مرفوعاً، ورجاله ثقات.

(٧) مثاله: قوله تعالى في سورة البقرة (الآية: ١٩٧): ﴿الْحَقُّ أَشْهَرُ مَعْلُومَتٍ﴾.

(٨) مثاله: قوله تعالى في سورة البقرة (الآية: ١٩٨): ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الشَّعْرِ الْحَرَامِ﴾.

(٩) مثاله: قوله تعالى في سورة البقرة (الآية: ١٨٧): ﴿وَلَا تَبْشُرُوا فِرْعَانَ أَنِشْرَ عَذَابِكُمْ فِي السَّجْدِ﴾.

وَالْعَدْدُ. وَشَرْطٌ، وَغَايَةٌ، وَ«إِنَّمَا»،

د- (والعدد)^(١) نحو قوله تعالى: ﴿فَالْيَدُ تُرْسِدُ يَدَيْنِ يَدَةٍ﴾^(٣) أي لا أكثر من ذلك، وحديث الصحيحين «إِذَا شَرِبَ الْكَلْبُ فِي إِنَاءٍ أَحَدِكُمْ فَلْيَغْسِلْهُ سَبْعَ مَرَّاتٍ»^(٤) أي لا أقل من ذلك^(٥).

٢- (وشرط) عطف على «صفة» نحو ﴿وَإِنْ كُنْ أُولَتْ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ﴾^(٦) أي فغير أولات الحمل لا يجب الإنفاق عليهن^(٧).

٣- (وغاية) نحو ﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدِ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ﴾^(٨) أي فإذا نكحته تحلُّ للأول بشرطه.

(١) أما مفهوم المعدود كقوله ﷺ: «أُحِلَّتْ لَنَا مِيتَتَانِ وَدَمَانِ» فليس بحجة. ويُفَرَّقُ بَيْنَهُ وبين مفهوم العدد بأن العدد يُشَبِّه الصِّفَةَ، لأن قولك: «فِي خَمْسٍ مِنَ الْإِبِلِ شَاةٌ» في قوة قولك: «فِي إِبِلٍ خَمْسٍ شَاةٌ» تُجَعَّلُ «الخمس» صفة لـ «الإبل»، وهي إحدى صفتي الذات، لأن الإبل قد تكون خمسا وأقل وأكثر، فلما قِيدَ وجوبُ الشاة بالخمس فهم أن غيرها بخلافه. فإذا قُدِمَ لفظُ العددِ كان الحكمُ كذلك. وأما المعدود فلم يذكر معه أمرٌ زائدٌ يُفْهَمُ منه انتفاءُ الحكمِ عمَّا عداه فصارَ كـ «اللقب». والحديث رواه ابن ماجه في الصيد، باب صيد الحيتان والجراد (٣٢١٨)، وأحمد في مسنده (٩٧/٢)، والدارقطني في سننه (٢٧٢/٤)، والبيهقي في السنن الكبرى (٧/١٠). واختلف في وقفه ورفعه، ولا يضر ذلك، لأن مثله من قول الصحابي في حكم المرفوع. (الغيث الهامع: ١٢٥/١، التلخيص الحبير: ٣٦/١).

(٢) وبه قال المالكية والشافعية والحنابلة، إلا أن الحنابلة أنكروا العدد.

(نشر البنود: ٨١/١، القواطع: ٢٥١/١، شرح الكوكب: ٥٠١/٣).

(٣) سورة النور، الآية: ٤.

(٤) رواه البخاري في الوضوء، باب الماء الذي يغسل فيه شعر الإنسان (١٧٢)، ومسلم في الطهارة، باب حكم ولوغ الكلب (٦٤٨)، وأبو داود في الطهارة، باب الوضوء بسور الكلب (٧٣)، والنسائي في الطهارة، باب سور الكلب (٦٣)، وابن ماجه في الطهارة، باب غسل الإناء من ولوغ الكلب (٣٦٤).

(٥) قال الإمام النووي في شرح مسلم (١٧٦/٣): «فِي الْحَدِيثِ وَجُوبُ غَسْلِ نَجَاسَةِ وَلُوغِ الْكَلْبِ سَبْعَ مَرَّاتٍ، وَهَذَا مَذْهَبُنَا وَمَذْهَبُ مَالِكٍ وَأَحْمَدَ وَالْجَمَاهِيرِ. وَقَالَ أَبُو حَنِيفَةَ: يَكْفِي غَسْلُهُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ».

(٦) سورة الطلاق، الآية: ٦.

(٧) اتفق العلماء على وجوب النفقة للباثي الحامل، واختلفوا في وجوبها للباثي الحامل على مذهبين: أحدهما: لا تجب، قاله المالكية والشافعية والحنابلة؛ ثانيهما: تجب، قاله الحنفية. (أحكام القرآن

للجصاص: ٣٥٦/٥، الشرح الكبير: ٥١٧/٢، الروضة: ٦٨/٩، كشاف القناع: ٤٦٥/٥).

(٨) سورة البقرة، الآية: ٢٣.

ومثل «لا عالم إلا زيد»، وفصلُ المبتدأ من الخبرِ بضميرِ الفضلِ، وتقديمُ المعمولِ.

[أَعْلَى أَنْوَاعِ الْحَضَرِ]

وأعلاه «لا عالم إلا زيد»، ثُمَّ ما قِيلَ: «مَنْطُوقٌ بِالْإِشَارَةِ»، ثُمَّ غَيْرُهُ.

- ٤- (و«إنما») نحو ﴿إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ﴾^(١) أي فغيره ليس بآله. والإله: المعبود بِحَقِّ.
- ٥- (ومثل «لا عالم إلا زيد») مما يَشْتَمِلُ على نفي واستثناء نحو «ما قام إلا زيد»، مَنْطُوقُهُمَا نفي العلم والقيام عن غير زيد، ومفهومُهُما إثبات العلم والقيام لزيد.
- ٦- (وفصلُ المبتدأ من الخبرِ بضميرِ الفصلِ) نحو ﴿أَرَأَيْتُمْ أَن تَأْخُذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ فَاَللَّهُ هُوَ أَوْلَىٰ﴾^(٢) أي فغيره ليس بوليٍّ أي ناصرٍ.
- ٧- (وتقديمُ المعمولِ) على ما سيأتي^(٣) عن البيانين كالمفعول، والجار والمجرور، نحو ﴿إِنَّا كُنَّا نَعْبُدُكَ﴾^(٤) أي لا غيرك، ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تَحْشُرُونَ﴾^(٥) أي لا إلى غيره.

[أَعْلَى أَنْوَاعِ الْحَضَرِ]

- (وإعلاه) أي أعلى ما ذُكِرَ من أنواعِ مفهومِ المخالفة «لا عالم إلا زيد» أي مفهومُ ذلك ونحوه، إذ قيل: «إنه مَنْطُوقٌ أي صراحةً، لسرعة تبادره إلى الأذهان»^(٦).
- (ثُمَّ ما قِيلَ): «إنه (مَنْطُوقٌ) أي (بالإشارة) كمفهوم «إنما» و «الغاية» كما سيأتي^(٧) لتبادره إلى الأذهان.
- (ثُمَّ غيره) على الترتيب الآتي^(٨).

- (١) سورة طه، الآية: ٩٨.
 - (٢) سورة الشورى، الآية: ٥.
 - (٣) انظر: «مسألة: ترتيب المفاهيم»: ٢٠٦/١.
 - (٤) سورة الفاتحة، الآية: ٥.
 - (٥) سورة آل عمران، الآية: ١٥٨.
 - (٦) ويؤمن قاله أبو إسحاق الشيرازي وابنُ الفطان من الشافعية، والقرافي من المالكية. (البحر: ٥٠/٤).
 - (٧) أي كما يأتي في «مسألة: ترتيب المفاهيم»: ٢٠٦/١.
 - (٨) وبهذا الترتيب قال أيضاً المالكية والحنابلة.
- (نشر البنود: ٨٤/١، شرح الكوكب: ٥٢٣/٣).

مسألة: [حُجَّةُ الْمَفَاهِيم]

الْمَفَاهِيمُ إِلَّا «الَلِّب» حُجَّةٌ: لُغَةٌ،

(مسألة: [حُجَّةُ الْمَفَاهِيم])

الْمَفَاهِيمُ المخالفةُ (إِلَّا «الَلِّب»^(١) حجة لغة)^(٢) لقول كثيرٍ من أئمة اللغة بها، منهم أبو عبيدة^(٣)، وأبو عبيد^(٤) تلميذه، قالوا في حديث الصحيحين مثلاً «مَظِلُّ الْغَنِيِّ ظِلٌّ»^(٥): «إنَّه

(١) مفهوم «الَلِّب»: هو تعليق الحكم بالاسم الجامد سواء كان اسم جنس، أو علماً، أو لقباً، أو كنية. وليس المراد بـ «الَلِّب» هنا الاصطلاح النحوي، بل أعم منه ومن الاسم والكنية.

ثم المشهور عند الجمهور من الشافعية والمالكية والحنابلة عدم حجية مفهوم «الَلِّب» مطلقاً، أي سواء وُزِدَ في معرض الامتنان أو غيره، ولكنه مقيد بـ «أنه حجة في معرض الامتنان دون غيره»، كما في قوله تعالى في سورة الفرقان (الآية: ٤٨) ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا﴾، وقوله تعالى في سورة الأنفال (الآية: ١١): ﴿وَنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً يُطَهِّرُكُمْ بِهِ﴾، فغير الماء ليس بطهور فلا يجوز تطهير به.

قال ابن حجر الهيتمي رحمه الله في التحفة (١/٥٧٦): «يَتِمُّ بِكُلِّ مَا صَدَّقَ عَلَيْهِ اسْمُ تُرَابٍ، لَأَنَّهُ الصَّعِيدُ فِي الْآيَةِ كَمَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَغَيْرُهُ.

وَمِمَّا يَمْنَعُ تَأْوِيلَهُ بغيره قوله تعالى: ﴿فَأَمْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ﴾ [سورة المائدة، الآية: ٦]، وَصَحَّ «جُعِلَتِ الْأَرْضُ كُلُّهَا لَنَا مَسْجِداً وَجُعِلَ تَرَبُّهَا لَنَا طَهُوراً» [رواه مسلم في المساجد ومواضع الصلاة، باب جُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِداً وَطَهُوراً (١١٦٥)]. والاسم اللَّبُّبُ فِي حِزِّ الْاِمْتِنَانِ لَهُ مَفْهُومٌ.

ومثله: في حاشية ابن قاسم على التحفة: ١/٥٥٧، وحاشية الشرواني على التحفة: ١/٥٧٧.

(٢) أي عند المالكية والشافعية والحنابلة.

(شرح التنقيح، ص: ٢٧٠، التنقيح: ١/١٧٦، الغيث الهامع: ١/١٢٨، شرح الكوكب: ٣/٥٠٠).

(٣) وأبو عبيدة: هو معمر بن المثنى التيمي البصري، أبو عبيدة، أحد كبار الأئمة في اللغة، وأجمع الناس للعلم، وأعلمهم بأيام العرب، وأخبارها، وأكثرهم رواية، له كتب كثيرة في الغرائب وأيام العرب، وكان مُخْلِلاً بالنحو، متهماً في رأيه، توفي سنة ٢١٠هـ. (التهذيب للنووي: ٢/٥٣٧).

(٤) وأبو عبيد: هو القاسم بن سلام أبو عبيد، تفقه على الشافعي، كان إماماً في التفسير، والقراءات، والحديث، واللغة، والفقه، وغيرها الكثير، تولى قضاء طرسوس ثماني عشرة سنة، وكان كوفياً في النحو، وكتب مستحسنه ورواؤه ثقات، وكان ورعاً ديناً جواداً، توفي سنة ٢١٩هـ. (التهذيب للنووي: ٢/٥٣٥).

(٥) رواه البخاري في الحوالة، باب الحوالة (٢٢٨٧)، ومسلم في المساقاة، باب تحريم مظلٍ الغني (٣٩٧٨)، وأبو داود في البيوع والإجازات، باب في المظل (٣٣٤٥)، والنسائي في البيوع، باب الحوالة (٤٧٠٥).

«وقيل»: «شَرَعاً»، «وقيل»: «مَعْنَى»

يَدُلُّ عَلَى أَنَّ مَظْلَلَ غَيْرِ الْغَنِيِّ لَيْسَ بِظُلْمٍ^(١). وَهُمْ إِنَّمَا يَقُولُونَ فِي مِثْلِ ذَلِكَ مَا يَعْرِفُونَهُ مِنْ لِسَانِ الْعَرَبِ.

(وقيل): حجة (شريعاً)^(٢) لمعرفة ذلك من موارد كلام الشارع، وقد فهم ﷺ من قوله تعالى ﴿إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾^(٣) أَنَّ حَكَمَ مَا زَادَ عَلَى السَّبْعِينَ بِخِلَافِ حَكَمِهِ، حَيْثُ قَالَ كَمَا رَوَاهُ الشَّيْخَانُ: «خَيْرَنِي اللَّهُ وَسَازِدُهُ عَلَى السَّبْعِينَ»^(٤).

(وقيل): «حجة (معنى) أي من حيث المعنى، وهو أنه لو لم يَنْفِ المذكور الحكم عن المسكوت لم يَكُنْ لذكره فائدة».

وهذا كما عبّر عنه هنا بـ «المعنى»، عبر عنه في مبحث «العام» كما سيأتي^(٥) بـ «العقل»، وفي «شرح المختصر»^(٦) هنا بـ «العرف العام»، لأنه معقول لأهله^(٧).

(١) غريب الحديث لأبي حنيد: ١٧٤/٢.

(٢) قاله بضع الشافعية. (شرح الكوكب: ٥٠٠/٣).

(٣) سورة التوبة، الآية: ٨٠.

(٤) رواه البخاري في التفسير، باب قوله تعالى ﴿أَسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ (٤٣٠٢)، ومسلم في فضائل الصحابة، باب فضائل عمر (٦١٥٨)، والترمذي في التفسير، باب من سورة التوبة (٣٠٩٧)، والنسائي في الجنائز، باب القميص في الكفن (١٨٩٩)، وابن ماجه في الجنائز، باب الصلاة على أهل القبلة (١٥٢٣).

(٥) انظر: «ما يعم عقلاً، لا لغة»: ٣٤٦/١.

(٦) رفع الحاجب للمصنف: ٥١٠/٣.

(٧) نَبَّهَ بِهِ عَلَى أَنَّهُ لَا خِلَافَ بَيْنَ الثَّلَاثَةِ فِي الْحَقِيقَةِ، وَإِنَّمَا الْخِلَافُ بَيْنَهُمَا فِي التَّسْمِيَةِ فَقَطْ، كَمَا قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَام فِي النُّجُومِ الْوَامِعِ (٣٤٨/١)، خِلَافاً لِلزُّرْكَشِيِّ فِي التَّشْنِيفِ (٣٤١/١)، وَالْعِرَاقِيِّ فِي الْغَيْثِ الْهَامِعِ (٣٣٨/٢) فِي قَوْلِهِمَا بِالْأَوَّلِ، وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ.

واحتجَّ بـ «اللقب» الدَّقَاقُ؛ والصَّيرَفِيُّ، وابنُ خُوَيزَمَنْدَاد، وبعضُ الحنابلةِ.

(واحتجَّ بـ «اللقب» الدَّقَاقُ^(١) والصَّيرَفِيُّ^(٢) من الشافعية، (وابنُ خُوَيزَمَنْدَاد)^(٣) من المالكية^(٤)، (وبعضُ الحنابلة)^(٥)، عَلَمًا كان أو اسمَ جنسٍ، نحو «على زيد حجج» أي لا على عمرو، و«في النعم زكاة» أي لا في غيرها من الماشية، إذ لا فائدة لذكره إلا نفْيُ الحكم عن غيره «كالصفة».

وأجيب: بأنَّ فائدته استقامةُ الكلام، إذ بإسقاطه يَحْتَلُّ، بخلاف إسقاطِ «الصفة».

(١) والدَّقَاقُ: هو محمد بن محمد بن جعفر البغدادي الشهير بالدقاق الشافعي، الفقيه الأصولي، كان فاضلاً عالماً بعلوم كثيرة خاصةً الفقه والأصول، ولي قضاء كَرْخَ بَغْدَاد، له كتبٌ مفيدة منها شرح المختصر، توفي رحمه الله سنة ٣٩٢هـ. (طبقات الشافعية للإسنوي: ١/٢٥٣).

(٢) والصَّيرَفِيُّ: هو محمد بن عبد الله البغدادي الشافعي أبو بكر، المعروف بالصيرفي، من أئمة أصحابنا المتقدمين، أصحاب الوجوه، والمصنفين البارعين، كان إماماً في الفقه والأصول، أعلم الناس بالأصول بعد الشافعي، وله مصنفات في الفقه والأصول، منها: شرح الرسالة، توفي رحمه الله سنة ٣٣٠هـ. (التهذيب للنووي: ٢/٤٨٢).

تنبيه: قال الزركشي في التشنيف (١/١٧٧): «واعلم أنَّ نسبة القول بحجية مفهوم «اللقب» إلى الدقاق مشهورٌ، وأما الصَّيرَفِيُّ فاعتمد المصنّف فيه أنَّ السَّهْلِيَّ نقله في «تَنَائِجِ الْأَبْكَارِ» في باب العطفِ عنه، وهو غريبٌ، ولعله تَحَرَّفَ عليه بالدَّقَاقِ».

(٣) وابنُ خُوَيزَمَنْدَاد: هو محمد بن أحمد بن عبد الله بن إسحاق بن خُوَيزَمَنْدَاد، أبو عبد الله البصري المالكي، تفقّه على الأَنْهَرِيِّ، وكان يُجَانِبُ عِلْمَ الْكَلَامِ وأهله، وله مصنفات في التفسير والخلاف والأصول، وله اختيارات، توفي رحمه الله سنة ٣٩٠هـ. (الدِّيَابِجُ المذهب: ٢/٢٢٩).

(٤) قال أبو الوليد الباجي المالكي رحمه الله في الإحكام (٢/٤٤٦): «ذهب الجمهور من أصحابنا إلى القول بدليل الخطاب، وهو: أن تعليق الحكم على الصفة يَدُلُّ على انتفاء ذلك الحكم عَمَّنْ لم تُوجَد فيه.

وجاوَزَ ذلك بعضُ أصحابنا كابن خُوَيزَمَنْدَاد وابنِ القصار إلى أن تعليق الحكم على الاسم يَدُلُّ على انتفائه عَمَّنْ عَدَا ذلك الاسم».

(٥) قال ابنُ التَّجَارِ الحنبلي في شرح الكوكب (٣/٥٠٩): «اللقبُ حجةٌ عند أحمد، ... ونَقَّاه ابنُ عقيل، والموفق». فَعَلِمَ أنَّ الحنابلة يقولون به كما قال الأمدى في الإحكام (٣/١٠٤)، وبعضهم ينكرونه، فانقلب الأمر على المصنف سهواً، والله تعالى أعلم.

وَأَنْكَرَ أَبُو حَنِيفَةَ الْكُلَّ مُطْلَقًا، وَقَوْمٌ فِي الْخَبَرِ، وَالشَّيْخُ الْإِمَامُ فِي غَيْرِ الشَّرْعِ،

وَيَقْوَى - كما قال المصنف^(١) - الدَّقَاقُ المشهورُ بـ «اللقب» يَمَنُ ذُكِرَ مَعَهُ خُصُوصًا الصَّيرَفِيُّ، فَإِنَّهُ أَقْدَمُ مِنْهُ وَأَجَلٌ.

(وأنكر أبو حنيفة الكلَّ مطلقاً) أي لم يقل بشيء من مفاهيم المخالفة، وإن قال في المسكوت بخلاف حكم المنطوق، فلا مِرَّ آخَرَ، كما في انتفاء الزكاة عن المعلوفة، قال: «الأصلُ عدمُ الزكاة، ووردت في السائمة، فبقيت المعلوفة على الأصل»^(٢).

(و) أنكر الكلَّ (قوم في الخبر)، نحو «في الشام الغنم السائمة»، فلا ينفي المعلوفة عنها، لأن الخبر له خارجي يجوز الإخبار ببعضه، فلا يتعين القيد فيه للنفي، بخلاف الإنشاء، نحو «زكوا عن الغنم السائمة»، وما في معناه مما تقدّم، فلا خارجي له، فلا فائدة للقيد فيه إلا التقيُّ^(٣).

(و) أنكر الكلَّ (الشيخ الإمام) والدُّ المصنف (في غير الشرع) من كلام المصنفين والواقفين لغلبة الذهول عليهم، بخلافه في الشرع من كلام الله تعالى ورسوله ﷺ المُبلِّغ عنه، لأنه تعالى لا يغيبُ عنه شيءٌ^(٤).

(١) عبارته رحمه الله في منع الموانع (ص: ٤٧٠): «وتصريحنا في مسألة «مفهوم اللقب» بالصيرفي وابن حوزة منداد للتنبيه على أن للدقاق رفقاء معيّنين وإن اشتهرت المسألة به وخذه، وقد كان الصيرفي أقدم منه وأجل، وهو - أعني الصيرفي - الذي كان يقال: لم يخلق الله بعد الشافعي أعلم بالآصول منه، فبمثله يقوى قول الدقاق، ويُعلم أن للدقاق سلفاً صالحاً في مقالته».

(٢) قاله الحنفية، والمعتزلة، وجماعة من المالكية، وابن سريج، والقفال، والغزالي، والرازي والآمدي من الشافعية. (تيسير التحرير: ٩٩/١، المحصول: ١٣٦/٢، المستصفى: ١٩٢/٢، الإحكام: ٧٢/٣، شرح الكوكب: ٥٠٢/٣).

(٣) هذا أخذه المصنف من قول ابن الحاجب في المختصر (١٧٥/٢): «قالوا [أي منكروا المفهوم]: لو ثبت لثبت في الخبر، وهو باطل، لأن من قال: «في الشام الغنم السائمة» لم يدل على خلافه قطعاً. وهو لا يساعدُ صنيع المصنف، وكلام العلماء متفق على عدم ورود المفهوم في الأخبار. (التشنيف: ١٧٨/١، الغيث الهامع: ١٣١/١).

(٤) الفتاوى للفتي السبكي: ١٢٤/٢.

وعكسه متأخرو الحنفية، فقالوا: إن تخصيص الشيء بالذكر لا يدل على نفي الحكم عما عداه في خطاب الشارع. أمّا في متفاهم الناس وعُرفهم وفي المعاملات والعقليات فإنه يدل. (التقرير والتجوير: ١٧٧/١).

وإِمَامُ الْحَرَمَيْنِ «صِفَةً لَا تُنَاسِبُ الْحُكْمَ»، وَقَوْمٌ «الْعَدَدُ» دُونَ غَيْرِهِ .

(و) أَنْكَرَ (إِمَامُ الْحَرَمَيْنِ صِفَةً لَا تُنَاسِبُ الْحُكْمَ) كَأَن يَقُولُ الشَّارِعُ «فِي الْغَنَمِ الْعُفْرُ»^(١) الزَّكَاةُ، قَالَ: «فَهِيَ فِي مَعْنَى «اللَّقَبِ»، بِخِلَافِ الْمُنَاسِبَةِ كـ «السَّوْمِ»، لِخِفَةِ مُؤَنَةِ السَّائِمَةِ، فَهِيَ فِي مَعْنَى الْعِلَّةِ»^(٢).

وَلَكُونُ «الْعِلَّةِ» غَيْرَ «الْصِفَةِ» بِحَسَبِ الظَّاهِرِ خِلَافَ مَا تَقَدَّمَ^(٣) أَطْلَقَ الْإِمَامُ الرَّازِي عَنْهُ
إِنْكَارَ الصَّفَةِ^(٤).

وَلَكُونُ «غَيْرِ الْمُنَاسِبَةِ» فِي مَعْنَى «اللَّقَبِ» أَطْلَقَ ابْنُ الْحَاجِبِ عَنْهُ الْقَوْلَ بِـ «الْصَّفَةِ»^(٥).
وَأَمَّا غَيْرُهُمَا^(٦) مِمَّا تَقَدَّمَ فَصَرَّحَ مِنْهُ بِـ «الْعِلَّةِ»، وَ «الظَّرْفِ»، وَ «الْعَدَدِ»، وَ «الشَّرْطِ»،
وَ «إِنَّمَا»، وَ «مَا وَإِلَّا». وَسَكَتَ عَنِ الْبَاقِي، وَهُوَ كَالْمَذْكُورِ^(٧).

(و) أَنْكَرَ (قَوْمٌ «الْعَدَدُ» دُونَ غَيْرِهِ)، فَقَالُوا: «لَا يَدُلُّ عَلَى مُخَالَفَةِ حُكْمِ الزَّائِدِ عَلَيْهِ أَوْ
النَّاقِصِ عَنْهُ كَمَا تَقَدَّمَ»^(٨) إِلَّا بِقَرِينَةٍ^(٩).

(١) قَالَ الْخَطَّابِيُّ فِي الْغَرِيبِ (١/١٤٨): «الْعُفْرَاءُ: الَّتِي يَضْرِبُ لَوْنُهَا إِلَى الْبَيَاضِ، أَخَذَتْ مِنْ عَفْرَةٍ
الْأَرْضِ، وَهِيَ لَوْنُهَا الْأَخْضَرُ، وَمِنْهُ قِيلَ لِلطَّيَافِ: الْعُفْرُ».

(٢) الْبَرَهَانُ لِإِمَامِ الْحَرَمَيْنِ: ١/١٧٤.

(٣) انْظُرْ: «أَنْوَاعُ مَفْهُومِ الْخَالِفَةِ»: ١/١٧٤.

(٤) حَيْثُ قَالَ فِي الْمَحْصُولِ (٢/١٣٦): «الْأَمْرُ الْمَقِيدُ بِالْصَّفَةِ كـ «زَكُّوا عَنِ الْغَنَمِ السَّائِمَةِ» اخْتَلَفُوا فِي أَنَّهُ
هَلْ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ لَا زَكَاةَ فِي غَرِ السَّائِمَةِ؟ الْحَقُّ: أَنَّهُ لَا يَدُلُّ، وَهُوَ قَوْلُ أَبِي حَنِيفَةَ، وَاخْتِيَارُ ابْنِ
سُرَيْجٍ، وَالْقَاضِي أَبِي بَكْرٍ، وَإِمَامُ الْحَرَمَيْنِ، وَالْغَزَالِيُّ، وَجُمْهُورُ الْمُعْتَزَلَةِ.
وَذَهَبَ الشَّافِعِيُّ وَالْأَشْعَرِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وَمُعْظَمُ الْفُقَهَاءِ مِنَّا إِلَى أَنَّهُ يَدُلُّ».

(٥) حَيْثُ قَالَ فِي مُخْتَصَرِ الْمُنْتَهَى (٢/١٧٥): «وَأَمَّا مَفْهُومُ «الْصَّفَةِ» فَقَالَ أَبُو الشَّافِعِيِّ، وَأَحْمَدُ،
وَالْأَشْعَرِيُّ، وَالْإِمَامُ [أَيُ] إِمَامُ الْحَرَمَيْنِ، كَمَا بَيَّنَّ السَّبْكِيُّ فِي شَرْحِ مُخْتَصَرِ الْمُنْتَهَى لِابْنِ الْحَاجِبِ:
٣/٥٠٥، وَكَثِيرٌ. وَنَفَاهُ أَبُو حَنِيفَةَ، وَالْقَاضِي، وَالْغَزَالِيُّ، وَالْمُعْتَزَلَةُ».

(٦) أَيُ غَيْرِ الصَّفَةِ الَّتِي لَا تُنَاسِبُ، وَاللَّقَبُ. (الْبَنَانِيُّ: ١/٤٠٧).

(٧) أَيُ أَنَّ إِمَامَ الْحَرَمَيْنِ إِنْكَرَ الصَّفَةَ غَيْرَ الْمُنَاسِبَةِ، وَاللَّقَبِ، وَصَرَّحَ بِقَبُولِ مَفْهُومِ الْعِلَّةِ وَمَا مَعَهَا، وَسَكَتَ
عَنْ غَيْرِهَا، فَأَنْزَلَ الْمَسْكُوتُ مَقَامَ الْمَذْكُورِ. (الْبَنَانِيُّ: ١/٤٠٧).

(٨) انْظُرْ: «أَنْوَاعُ الْمَفْهُومِ الْمُخَالَفَةِ»: ١/١٧٤.

(٩) أَيُ أَنْكَرَهُ الْحَنْفِيُّ وَالْمُعْتَزَلَةُ وَالْأَشَاعِرَةُ، وَالرَّازِيُّ فِي لِمَحْصُولِ (٢/١٢٩)، وَالْأَمَدِيُّ فِي الْإِحْكَامِ (٣/٩٤)،
وَالْبَيْضَاوِيُّ فِي الْمَنَهَاجِ (١/٣٦٩)، وَالتَّوَوِيُّ فِي الْمَجْمُوعِ (٤/١٦١)، وَشَرَحَ مُسْلِمٌ (٧/٢١). =

مسألة: [تَرْتِيبُ الْمَفَاهِيمِ]

الغاية قيل: «منطوق»، والحق مفهوم. يتلوه الشرط، فالصفة المناسبة، فمطلق الصفة غير العدد،

أما مفهوم الموافقة فاتفقوا على حجتيه^(١)، وإن اختلفوا في طريق الدلالة عليه كما تقدم^(٢).

(مسألة: [تَرْتِيبُ الْمَفَاهِيمِ])

١- الغاية قيل: «منطوق» أي بالإشارة كما تقدم^(٣) لتبادره إلى الأذهان^(٤).

(والحق) أنه (مفهوم) كما تقدم^(٥)، ولا يلزم من تبادر الشيء إلى الأذهان أن يكون منطوقاً.

٢- (يتلوه) أي الغاية (الشرط)، إذ لم يقل أحد: «إنه منطوق».

وفي رتبة «الغاية» «إنما»، فسيأتي قول: «إنه منطوق»^(٦) أي بالإشارة كما تقدم^(٧)، ومثله في ذلك «فصل المبتدأ»، وتقدم أن مرتبة «الغاية» تلي مرتبة «لا عالم إلا زيد»^(٨).

٣- (فالصفة المناسبة) تتلوه «الشرط» لأن بعض^(٩) القائلين به خالف في «الصفة».

٤- (فمطلق الصفة) عن المناسبة (غير العدد) من نعت، وحال، وظرف، وعلية غير

= وقيل المالكية والحنابلة، وجمهور أصحابنا، ونقله إمام الحرمين في البرهان (١/١٦٧) عن الشافعي والجماهير.

(تيسير التحرير: ١/١٠٠، نشر البنود: ١/٨٣، شرح الكوكب: ٣/٥٠٧، الغيث الهامع: ١/١٣٠).

(١) هذا ما قاله الشارح تبعاً للعراقي في الغيث الهامع (١/١٣١)، فيحمل على اتفاق مذاهب الأربعة، وإلا فالظاهرية لا يقولون به كما قال ابن حزم في كتابه مختصر إبطال القياس (ص: ٣٠).

(٢) انظر: «دلالة الموافقة قياسية»: ١/١٨٩.

(٣) انظر: «أعلى أنواع الحصر»: ١/٢٠٠.

(٤) قاله القاضي أبو بكر الباقلاني، وقال صاحب «البدیع» من الحنفية: وهو عندنا من قبيل دلالة الإشارة. (التشنيف: ١/١٨٠).

(٥) انظر: «أنواع مفهوم المخالفة»: ١/١٩٩.

(٦) انظر: «مسألة في إفادة إنما الحصر»: ١/٢٠٨.

(٧) انظر: «أعلى أنواع الحصر»: ١/٢٠٠.

(٨) انظر: «أعلى أنواع الحصر»: ١/٢٠٠.

(٩) هو أبو العباس ابن سريج من الشافعية. (التشنيف: ١/١٨١).

فَالْعَدُّ، فَتَقْدِيمُ الْمَعْمُولِ لِدَعْوَى الْبَيَانِيِّينَ إِفَادَتَهُ الْاِخْتِصَاصَ، وَخَالَفَهُمْ ابْنُ الْحَاجِبِ، وَأَبُو حَيَّانَ.

وَالْاِخْتِصَاصُ الْحَصْرُ، خِلَافًا لِلشَّيْخِ الْإِمَامِ حَيْثُ أَثْبَتَهُ، وَقَالَ: «لَيْسَ هُوَ الْحَصْرُ».

مُنَاسِبَاتٍ، فَهِيَ سَوَاءٌ، تَتَلَوُ «الصِّفَةُ الْمُنَاسِبَةُ».

٥- (فَالْعَدُّ) يَتَلَوُ الْمَذْكُورَاتِ، لِانْكَارِ قَوْمٍ لَهُ دَوْنُهَا كَمَا تَقَدَّمَ^(١).

٦- (فَتَقْدِيمُ الْمَعْمُولِ) آخِرُ الْمَفَاهِيمِ، (لِدَعْوَى الْبَيَانِيِّينَ) فِي فَرْقِ الْمَعَانِي (إِفَادَتَهُ الْاِخْتِصَاصَ) أَخْذًا مِنْ مَوَارِدِ الْكَلَامِ الْبَلِيغِ.

(وَخَالَفَهُمُ ابْنُ الْحَاجِبِ وَأَبُو حَيَّانَ)^(٢) فِي ذَلِكَ.

٧- (وَالْاِخْتِصَاصُ) الْمُقَادُّ (الْحَصْرُ) الْمُشْتَمِلُ عَلَى نَفْيِ الْحُكْمِ عَنْ غَيْرِ الْمَذْكُورِ، كَمَا دَلَّ عَلَيْهِ كَلَامُهُمْ^(٣).

(خِلَافًا لِلشَّيْخِ الْإِمَامِ) وَالِدِ الْمَصْنَفِ، (حَيْثُ أَثْبَتَهُ، وَقَالَ: «لَيْسَ هُوَ الْحَصْرُ»)، وَإِنَّمَا هُوَ قَصْدُ الْخَاصِّ مِنْ جِهَةٍ خُصُوصَهُ، فَإِنَّ الْخَاصَّ كـ «ضَرَبَ زَيْدٌ» بِالنِّسْبَةِ إِلَى مُطْلَقِ «الضَّرْبِ» قَدْ يُقْصَدُ فِي الْإِخْبَارِ بِهِ، لَا مِنْ جِهَةٍ خُصُوصَهُ، فَيُؤْتَى بِالْفَاظِ فِي مَرَاتِبِهَا، وَقَدْ يُقْصَدُ مِنْ جِهَةٍ خُصُوصَهُ كَالْخُصُوصِ بِالْمَفْعُولِ لِلْاهْتِمَامِ بِهِ، فَيُقَدَّمُ لَفْظُهُ لِإِفَادَةِ ذَلِكَ، نَحْوُ «زَيْدًا ضَرَبْتُ»، ٩٣ فَلَيْسَ فِي الْاِخْتِصَاصِ مَا فِي الْحَصْرِ مِنْ نَفْيِ الْحُكْمِ عَنْ غَيْرِ الْمَذْكُورِ.

وَإِنَّمَا جَاءَ ذَلِكَ فِي «إِيَّاكَ نَعْبُدُكَ» لِلْعِلْمِ بِأَنَّ قَائِلِيهِ أَيْ الْمُؤْمِنِينَ لَا يَعْبُدُونَ غَيْرَ اللَّهِ.

وَحَاصِلُهُ: أَنَّ التَّقْدِيمَ لِلْاهْتِمَامِ، وَقَدْ يَنْضُمُّ إِلَيْهِ الْحَصْرُ لِخَارِجٍ، وَاخْتَارَهُ الْمَصْنَفُ فِي «شَرْحِ الْمُخْتَصَرِ»^(٤)، وَأَشَارَ إِلَيْهِ هُنَا بِقَوْلِهِ: «لِدَعْوَى الْبَيَانِيِّينَ».

(١) انظر: «مسألة: حجية المفاهيم»: ٢٠٥/١.

(٢) البحر المحيط لأبي حيان: ١٦/١.

(٣) قاله الجمهور من المالكية والشافعية والحنابلة. (رفع الحاجب: ٢٤/٤، شرح التنقيح، ص: ٥٦، شرح

الكوكب: ٥٢١/٣).

(٤) أي واختار المصنف في شرح المختصر (٢٣/٤) ما قاله والده وإن خالفه هنا.

مسألة: [في إفادة «إنما» الحَصْر]

«إنما» قال الأمدى، وأبو حيان: «لا تُفيد الحَصْر»، وأبو إسحاق الشيرازي و

مسألة: [في إفادة «إنما» الحَصْر]

إنما بالكسر (قال الأمدى^(١) وأبو حيان^(٢)) كقول أبي حنيفة^(٣) من جملة ما تقدّم عنه^(٤): «(لا تُفيد الحَصْر) لأنها «إن» المؤكدة، و«ما» الزائدة الكافّة، فلا تُفيد التّفيّ المشتمل عليه الحَصْر، وعلى ذلك حديث مسلم: «إنما الرّبا في النسيئة»^(٥)، إذ ربا الفضل ثابت إجماعاً، وإن تقدّمه خلاف.

واستفادة النفي في بعض المواضع من خارج، كما في ﴿إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ﴾^(٦)، فإنه سيق للردّ على المخاطبين في اعتقادهم إلهية غير الله^(٧).

(و) قال الشيخ (أبو إسحاق الشيرازي^(٨) والغزالي^(٩)) (و) صاحبه أبو الحسن (إلكيا)

(١) الإحكام للأمدى: ٩٧/٣.

(٢) ارتشاف الضرب من لسان العرب لأبي حيان: ١٢٨٥/٣.

(٣) كما نسب الشارح هذا القول لأبي حنيفة نسبته ابن النجار في شرح الكوكب (٥١٥/٣) لأكثر الحنفية، وهو عدم التحقيق، فالصحيح أن «إنما» تُفيد الحَصْر عندهم نطقاً. قال أمير بادشاه الحنفي في تيسير التحرير (١٣٢/١) تبعاً لابن الهمام الحنفي وجامع: «والتّفيّ في الحَصْر بـ «إنما» بالمنطوق على الأرجح، ونسب صاحب «البلدیع» للحنفية عدم إفادتها الحَصْر، وهو خطأ، وقد تكرّر نسبة الحَصْر إلى «إنما» في كتب الحنفية كما في كشف الأسرار، والكافي، وجامع الأسرار، وغيرها، ولذا لم يُجب أحد منهم بمنع إفادتها الحَصْر في الاستدلال بـ «إنما الأعمال بالنيات» على شرط النية في الوضوء، بل أجابوا بتقدير الكمال أو الصحة، وهو الحق. ومثله: في التقرير والتحرير لابن أمير الحاج الحنفي: ١٨٤/١.

(٤) أي عن أبي حنيفة في قول المصنّف: «وأنكر أبو حنيفة الكلّ مطلقاً»: ٢٠٤/١.

(٥) رواه مسلم في المساقاة، باب بيع الطعام مثلاً بمثل (٤٠٦٥)، والترمذي في البيوع، باب ما جاء في الصرف (١١٦٢)، والنسائي في البيوع، باب بيع الفضّة بالذهب.. (٤٥٠٥)، وابن ماجه في التجارات، باب من قال: «لا ربا إلا في النسيئة» (٢٢٥٧).

(٦) سورة طه، الآية: ٩٨.

(٧) قال الجمال الأسنوي في نهاية السؤل (٣٤٩/١)، وعبد العلي في فوائح الرحموت (٧٧٥/١): «وهو الصحيح عند التّحويين».

(٨) اللّمع لأبي إسحاق الشيرازي (ص: ٤٦).

(٩) المستصفى للغزالي: ٢٠٦/٢.

الغزالي، وإلكيا، والإمام، والشيخ الإمام: «تُفيدُ فهمًا»، وقيل: «نُطقًا».

وبالفتح الأصحُّ أن حرف «أن» فيها فرع.....

الهراسي^(١)، بكسر الهمزة والكاف، ومعناه في لغة الفُرس: الكبير، (والإمام)^(٢) الرازي، (والشيخ الإمام) والدُّ المصنَّف: «(تُفيدُ) الحصرَ المشتَمِلَ على نفي الحُكم عن غير المذكور، نحو: «إنما قام زيد» أي لا عمرو، أو نفي غير الحُكم عن المذكور، نحو: «إنما زيد قائم» أي لا قاعد، (فهُما)^(٣).

وقيل: «نُطقًا» أي بالإشارة كما تقدَّم^(٤)، لِتبادُرِ الحصر إلى الأذهان منها، وإنْ غُورِض في بعض المواضع بما هو مقدَّم عليه، كما في حديث الربا السابق، ولا بُعد في إفادة المُركَّب ما لم تُفدِه أجزاؤه^(٥).

ولم يذكُر المصنَّف إمامَ الحرمين - مع قوله بـ «إنما» كما تقدَّم^(٦) - لأنه لم يُصرِّح بـ «أنه مفهوم»، ولا «منطوق»^(٧).

(و) «إنما» (بالفتح الأصحُّ أن حرف «أن» فيها) من حيث إنّه من أفراد «أن» (فرع) «إن»

(١) وإلكيا: هو علي بن محمد بن علي الطبري، عماد الدين الشافعي، أبو الحسن، الشهير بإلكيا الهَرَّابِي، الفقيه الأصولي المفسر، كان من فحول العلماء، ورأساً من رؤوس الأئمة فقهاً وأصولاً وجدلاً، وحفظاً لحديث الأحكام، كان مُعيداً لدروس إمام الحرمين، ولي القضاء أيام السلجوقيين، وله كتب مفيدة منها: أحكام القرآن، توفي رحمه الله سنة ٥٠٤ هـ ببغداد. (الفتح المين: ٦/٢).

(٢) قال الإسنوي في نهاية السؤل (١/٣٤٩): «مقتضى كلام الإمام [في المحصول: ١/٣٨١]، وأتباعه منهم البيضاوي [في المنهاج: ١/٣٤٩]: أنه بالمنطوق، لأنه استدلل بأن «إن» للإثبات و «ما» للنفي، فافهم ذلك». ومثله في التشنيف (١/١٨٤) للزركشي، والله تعالى أعلم.

(٣) قاله المالكية والشافعية والقاضي أبو يعلى وابن عقيل والحلواني من الحنابلة.

(شرح التنقيح، ص: ٥٧، النجوم اللوامع: ١/٣٥٥، شرح الكوكب: ٣/٥١٥).

(٤) انظر: «أعلى أنواع الحصر»: ١/٢٠٠.

(٥) قاله الحنفية والحنابلة. (تيسير التحرير: ١/١٣٢، شرح الكوكب: ٣/٥١٥).

(٦) انظر: «مسألة: حجية المفاهيم»: ١/٢٠٥.

(٧) أي أن إمامَ الحرمين صرَّح بإفادة «إنما» الحصر، ولكنه لم يُصرِّح بأنه يُفيدُ الحصرَ بالمفهوم، أو بالمنطوق، ولذا لم يذكُرهُ المصنَّف مع أحدِ الفريقين.

(النجوم اللوامع: ١/٣٥٧، البرهان لإمام الحرمين: ١/١٧٤).

المكسورة، ومن ثم ادعى الزمخشري إفادتها الحصر.

(المكسورة)^(١)، فهي الأصل لاستغنائها بمعمولها في الإفادة، بخلاف المفتوحة، لأنها مع معمولها بمنزلة مفرد.

وقيل: «المفتوحة الأصل، لأن المفرد أصل للمركب».

وقيل: «كل أصل، لأن له محالاً يقع فيها دون الآخر».

(ومن ثم أي من هنا، وهو أن المفتوحة فرع المكسورة، أي من أجل ذلك، اللازم له قرينة «أنما» بالفتح لـ «إنما» بالكسر (ادعى الزمخشري)^(٢) في تفسير «قُلْ إِنَّمَا يُوحِي إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ وَحِدٌ»^(٣)، وتبعه البيضاوي فيه^(٤)، (إفادتها) أي إفادة «أنما» بالفتح (الحصر) كـ «إنما» بالكسر، لأن ما ثبت للأصل يثبت للفرع حيث لا معارض، والأصل انتفاؤه.

والزمخشري وإن لم يصرح بهذا المأخذ، قوة كلامه تشير إليه.

ومعنى الآية على هذا ما قاله: «إن الوحي إلى رسول الله ﷺ، أي في أمر الإله مقصور على استئثار الله تعالى بالوحداية، أي لا يتجاوزها إلى أن يكون الإله كغيره متعدداً، كما عليه المخاطبون.

ومثل ذلك قوله في آية: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لِبَهِلَةٍ وَهِيَ زِينَةٌ وَتَفَاهُتٌ﴾^(٥)، أراد أن الدنيا ليست

إلا هذه الأمور المصحفات، أي وأما العبادات والقرب فمِنْ أمور الآخرة، لظهور ثمرتها فيها».

ونقل المصنف إفادتها الحصر عن التنوخي^(٦)

(١) قال الزركشي في التشيف (١/١٨٦): «وهو الأصح، وهذه الأقوال حكاه ابن الخباز النحوي».

(٢) الكشف للزمخشري: ١٧٠/٤.

(٣) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٨.

(٤) تفسير البيضاوي: ٦٢/٤.

(٥) سورة الحديد، الآية: ٢٠.

(٦) والتنوخي: هو محمد بن محمد بن محمد بن عمر التنوخي (بفتح التاء، وضَمُّ التَّوْنِ المخففة، وفي آخرها الخاء المعجمة، نسبة إلى تنوخ، وهو اسم لعدة قبائل اجتمعوا قديماً بالبحرين، وتحالفوا على التناصر، فأقاموا هناك فسُمُّوا تنوخاً، والتنوخ الإقامة)، العلامة، اللغوي، البياني، ومن مؤلفاته: الأقصى القريب في علم البيان، توفي رحمه الله تعالى في القرن السابع للهجرة المباركة. (اللباب في الأنساب لابن الأثير: ١/٢٢٥، معجم المؤلفين لعمر كحالة: ٣/٦٨٤).

تنبيه: قال الشيخ علي معوض والشيخ عادل عبد الموجود في تعليقهما على «رفع الحاجب» للتاج السبكي (٤/١٨): «هو علي بن محمد بن أبي الفهد داود بن إبراهيم بن تميم، أبو القاسم التنوخي، ...». وهذا خطأ، وليس التنوخي الذي نقله التاج السبكي هو هذا (أي أبو القاسم علي بن محمد)، ولا «الأقصى القريب» من كتبه. والله تعالى أعلم.

..... أيضاً^(١) في «الأقصى القريب»^(٢).

وفي قوله كابن هشام^(٣) «ادعى» إشارة إلى ما عليه الجمهور من بقاء «أن» فيها على مصدريتها مع كفاها بـ «ما» وإن لم يصرحوا بذلك فيما علمت اكتفاءً بكونها فيها من أفراد «أن»^(٤).
وعلى هذا معنى الآية الأولى: ما يوحى إليّ في أمر الإله إلا وحدانيته، أي لا ما أنتم عليه من الإشراك؛

ومعنى الثانية: اعلّموا حقارة الدنيا، أي فلا تؤثرها على الآخرة الجليلة.
فبقاء «أن» في الآيتين على المصدرية كافٍ في حصول المقصود بهما من نفي الشريك عن الله تعالى، وتحقير الدنيا.

(١) أي نقل المصنف رحمه الله في رفع الحاجب (١٨/٤) عن التتوخي أنه تابع الزمخشري في إفادة «أنما» الحضر، ثم تعقبه قائلاً: «ورد شيخنا أبو حيان على الزمخشري بأنه يلزمه انحصار الوحي في الوحداية... وأنه لم يوح إليه أنه تعالى موصوف بصفات أخرى، ككونه قادراً، سمياً، بصيراً، حياً، إلى غير ذلك من الصفات الثابتة لله تعالى.
ولعل الزمخشري إنما ادعى الحضر لعدم مبالاة بهذا الإلزام، فإنه معتزلي، لا يثبت الصفات السبعة». (بتصرف يسير).

(٢) كذا في جميع الأصول، وفي «رفع الحاجب» للمصنف (١٨/٤)، وعلّق عليه الشيخ علي معوض وعادل عبد الموجود أن في النسخة المحفوظة لـ «رفع الحاجب» بدار الكتب المصرية تحت رقم (٤٩٢) أصول الفقه «الأقصى الغريب». فسألت عنه شيخنا العلامة الفقيه الأصولي مصطفى البغا حفظه الله تعالى في بيته بدمشق المحروسة؟ فأجاب بأن الصواب: «الأقصى القريب»، وأن «الأقصى الغريب» تصحيف، كما يشير إليه عنوان. واسمه الكامل: «الأقصى القريب في علم البيان» كما جاء في معجم المؤلفين لعمر كحالة (١٥٨١٢، ٣/٦٨٤). والله تعالى أعلم.

(٣) وابن هشام: هو عبد الله بن يوسف بن عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن هشام، جمال الدين، أبو محمد، النحوي، لازم الشيخ شهاب الدين عبد اللطيف، كان شافعيًا، ثم تحول حنبليًا، أقرن العربية، ففاق الأقران، ولم يبق له نظير فيها، وتفرّد بهذا الفن، وأحاط بدقائقه وحقائقه، وكان له التحقيق البالغ، والاطلاع المفرط مع التواضع، والبر، والشفقة، ورقة القلب، وله مصنفات نفيسة منها مغني اللبيب الذي لم يؤلف مثله في بابيه، واشتهر في حياته، وشذرات الذهب، وشرحه، وقطر الندى وشرحه، وغيرها، توفي رحمه الله تعالى سنة ٧٦١ هـ ليلة الجمعة.

(الدُرر الكامنة: ١٨٧/٢، والبدر الطالع، ص: ٤٠٦).

(٤) أي أن الجمهور قالوا ذلك ظاهراً ولزوماً، لا صريحاً وقصوراً.

(النجوم اللوامع: ٣٥٨/١، البناني: ٤١٣/١).

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

مَسَائِلُ اللُّغَةِ

مَسْأَلَةٌ : [تَعْرِيفُ اللُّغَةِ ، وَطُرُقُ مَعْرِفَتِهَا]

من الألفاظِ حدوثُ الموضوعاتِ اللُّغَوِيَّةِ لِيُعْبَّرَ عَمَّا فِي الضَّمِيرِ. وهي أَفِيدُ مِنَ الإِشَارَةِ وَالْمِثَالِ، وَأَيْسَرُ. وهي: الألفاظُ الدَّالَّةُ عَلَى الْمَعَانِي.
وَتُعْرَفُ بِالنَّقْلِ تَوَاتُرًا أَوْ أَحَادًا، أَوْ بِاسْتِنْبَاطِ الْعَقْلِ مِنَ النَّقْلِ، لَا مُجَرَّدِ الْعَقْلِ.

(مَسْأَلَةٌ : [تَعْرِيفُ اللُّغَةِ ، وَطُرُقُ مَعْرِفَتِهَا])

من الألفاظِ (جَمْعُ «لُظْفٍ»^(١)) بِمَعْنَى مُلَطُوفٍ، أَيْ مِنْ الْأُمُورِ الْمُلَطُوفِ بِالنَّاسِ بِهَا (حُدُوثُ الْمَوْضُوعَاتِ اللَّغَوِيَّةِ) بِإِحْدَاثِهِ تَعَالَى، وَإِنْ قِيلَ: «وَأَضَعَهَا غَيْرُهُ مِنَ الْعِبَادِ»، لِأَنَّهُ الْخَالِقُ لِأَفْعَالِهِمْ، (لِيُعْبَّرَ عَمَّا فِي الضَّمِيرِ) بِفَتْحِ الْمَوْحِدَةِ أَيْ لِيُعْبَّرَ كُلُّ مِنَ النَّاسِ عَمَّا فِي نَفْسِهِ مِمَّا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ فِي مَعَايِشِهِ وَمَعَادِهِ لَغَيْرِهِ، حَتَّى يُعَاوَنَهُ عَلَيْهِ لِعَدَمِ اسْتِقْلَالِهِ بِهِ.

(وهي) فِي الدَّلَالَةِ عَلَى مَا فِي الضَّمِيرِ (أَفِيدُ)^(٢) مِنَ الإِشَارَةِ وَالْمِثَالِ) أَيْ الشَّكْلِ، لِأَنَّهُا تَعُمُّ الْمَوْجُودَ وَالْمَعْدُومَ، وَهِيَ يَخْصَّانِ الْمَوْجُودَ الْمَحْسُوسَ، (وَأَيْسَرُ) مِنْهُمَا أَيْضًا، لِمَوَافَقَتِهَا لِلْأَمْرِ الطَّبِيعِيِّ دُونَهُمَا، فَإِنَّهَا كَيْفِيَّاتٌ تَعْرُضُ لِلنَّفْسِ الْضَرُورِي.

(وهي: الألفاظُ الدَّالَّةُ عَلَى الْمَعَانِي).

خَرَجَ الْأَلْفَاظُ الْمَهْمَلَةُ.

وَشَمَلَ الْحَدُّ الْمَرْكَبَ الْإِسْنَادِيَّ، وَهُوَ مِنَ الْمَحْدُودِ عَلَى الْمَخْتَارِ الْآتِي فِي مَبْحَثِ «الْأَخْبَار»^(٣).

(وَتُعْرَفُ: ١- بِالنَّقْلِ تَوَاتُرًا) نَحْوَ السَّمَاءِ، وَالْأَرْضِ، وَالْحَرِّ، وَالْبَرْدِ لِمَعَانِيهَا الْمَعْرُوفَةِ؛

٢- (أَوْ أَحَادًا) كَالْقُرْءِ لِلْحَيْضِ وَالظُّهْرِ؛

٣- (وَبِاسْتِنْبَاطِ الْعَقْلِ مِنَ النَّقْلِ) نَحْوُ: الْجَمْعِ الْمُعْرَفِ بِ«أَل» عَامًّا، فَإِنَّ الْعَقْلَ يَسْتَنْبِطُ ذَلِكَ

(١) قَالَ الْفِيُومِي فِي الْمَصْبَاحِ (ص: ٥٥٣): «لُظْفُ الشَّيْءِ فَهُوَ لَطِيفٌ مِنْ بَابِ قُرْبٍ: صَغُرَ جِسْمُهُ، وَالْأَسْمُ: اللَّطَافَةُ؛ وَلُظْفُ اللَّهِ بِنَا لُظْفًا مِنْ بَابِ طَلَبٍ: رَفَقَ بِنَا، فَهُوَ لَطِيفٌ بِنَا، وَالْأَسْمُ: اللَّطْفُ».

(٢) قَالَ الْوَلِيُّ الْعِرَاقِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي الْغَيْثِ الْهَامِعِ (١/١٣٨): «وَأَعْلَمُ أَنَّ تَعْبِيرَ الْمُصَنِّفِ وَغَيْرِهِ بِ«أَفِيدَ» لَا يَسْتَقِيمُ، فَإِنَّ صِبْغَةَ «أَفْعَلُ» إِنَّمَا يُصَاغُ مِنْ فِعْلِ ثَلَاثِيٍّ، وَفِعْلُ «أَفِيدَ» «أَفَادَ» وَهُوَ رُبَاعِيٌّ. وَجَبَابٌ بِأَنَّهُ إِنَّمَا صَاغَهُ مِنْ «فَادَ» الثَّلَاثِيٍّ، تَقُولُ: فَادَثَ لَهُ فَائِدَةٌ، لَا مِنْ «أَفَادَ» الرَّبَاعِيِّ».

(النَّجْمُ اللَّوَامِعُ: ١/٣٦٠، الصَّحَاحُ: ٢/٥٢١).

(٣) انْظُرْ: «الْكَلَامُ فِي الْأَخْبَارِ»: ٢٠/٢.

[أَقْسَامُ اللَّفْظِ بِاعْتِبَارِ مَدْلُولِهِ]

ومدلول اللفظ: إمّا معنى جزئي، أو كلي؛ أو لفظ مفرد: مُستعمل كالكَلِمَةِ - فهي قولٌ مفردٌ - أو مهمَلٌ كأسماءِ حُرُوفِ الهجاءِ، أو مُرَكَّبٌ.

مِمَّا نُقِلَ أَنَّ هذا الجمعَ يصح الاستثناء منه، أي إخراج بعضه بـ «إلا» أو إحدى أخواتها، بأن يُضْمَ إليه، وكلُّ ما صَحَّ الاستثناء منه، مِمَّا لا حصرَ فيه، فهو عامٌّ كما سيأتي^(١)، لِلزُّومِ تناوله للمستثنى.

(لا مُجَرَّدَ الْعَقْلِ)، فلا تُعرَف به، إذ لا مَجَالَ له في ذلك.

[أَقْسَامُ اللَّفْظِ بِاعْتِبَارِ مَدْلُولِهِ]

(ومدلول اللفظ^(٢): إمّا معنى جزئي، أو كلي). الأول: ما يَمْنَعُ تَصَوُّرُهُ مِنَ الشَّرْكَاءِ فيه، كمدلول «زيد».

والثاني: ما لا يَمْنَعُ، كمدلول «الإنسان» كما سيأتي ما يؤخذ منه ذلك^(٣).

(أو لفظٌ مُفْرَدٌ مُستعملٌ، كالكلمة. فهي قولٌ مفردٌ).

والقول: اللفظُ المستعملُ. يعني كمدلول «الكلمة»، بِمعنى ما صَدَقَها، كرجلي، وضرب، وهل؛

(أو لفظٌ مفردٌ مهمَلٌ، كأسماءِ حُرُوفِ الهجاءِ) يعني كمدلول أَسْمَائِهَا نحو: الجيم، واللام، والسين، أَسْمَاءَ لحروف «جلس» مثلاً: أي جَهْ لَهُ سَهْ.

(أو لفظٌ مُرَكَّبٌ) مستعملٌ، كمدلول لفظِ «الخَبَرِ»، أي ما صَدَقَهِ نحو: «قام زيد».

أو مهمَلٌ، كمدلول لفظِ «الهِدْيَانِ»،

(١) انظر: «معيان العام»: ٣٤٨/١.

(٢) مدلول اللفظ قد يكون معنى، وقد يكون لفظاً؛ والمعنى قد يكون كلياً، وقد يكون جزئياً؛ اللفظ قد يكون مفرداً، وقد يكون مُرَكَّباً؛ وكلُّ منهما قد يكون مستعملاً، وقد يكون مهملاً، فالمجموع ستة: الأول: أن يكون مدلول اللفظ معنى كلياً كالفرس. الثاني: أن يكون مدلوله معنى جزئياً كزيد. الثالث: أن يكون مدلوله لفظاً مفرداً مستعملاً كالكلمة. الرابع: أن يكون مدلوله لفظاً مفرداً مهملاً كأسماء حروف الهجاء. الخامس: أن يكون مدلوله لفظاً مُرَكَّباً مستعملاً كالخبر. السادس: أن يكون مدلوله لفظاً مُرَكَّباً مهملاً كالهديان. (المحصول: ٢٣٥/١، نهاية السؤل: ٢١٠/١).

(٣) انظر: «مسألة: أقسام اللفظ باعتبار وحدته معناه وتعددته»: ٢٢٣/١.

[وَضْعُ اللَّفْظِ]

وَالْوَضْعُ: جَعْلُ اللَّفْظِ دَلِيلًا عَلَى الْمَعْنَى.

وسياتي في مبحث «الأخبار» التصريحُ بقسمي المركب مع حكاية خلافٍ في وضع الأول، ووجود الثاني^(١).

وإطلاق «المَدْلُول» على الْمَاصِدَق كما هنا سائغٌ، والأصلُ إطلاقه على «المفهوم» أي ما وُضِعَ له اللفظ.

[وَضْعُ اللَّفْظِ]

(وَالْوَضْعُ: جَعْلُ اللَّفْظِ دَلِيلًا عَلَى الْمَعْنَى)^(٢)، فيفهمه منه العارفُ بوضعه له. وسياتي ذكرُ «الوضع» في حدِّ «الحقيقة» مع تقسيمها إلى لغوية، وعرفية، وشرعية^(٣)، وفي حدِّ «المجاز»^(٤) مع انقسامه إلى ما ذكر.

فالحَدُّ المذكورُ كما يَصْدُقُ على الوضع اللغوي، يَصْدُقُ على العُرْفِي والشرعي. خلافَ قولِ القرافي^(٥): «إنهما^(٦) في الحقيقة كثرةٌ استعمالِ اللفظ في المعنى، بحيث يصير فيه أشهرٌ من غيره»^(٧). نعم، يُعرفان فيها بالكثرة المذكورة، ويزيد العُرْفِيُّ الخاصُّ بالنقل، الذي هو الأصل في اللغوي.

(١) انظر: «الكلام في الأخبار»: ٢٠/٢.

(٢) الوضع نوعان، أحدهما: العام، وهو تخصيصُ الشيء بشيءٍ كالمقادير. ثانيهما: الخاص، وهو جعلُ اللفظ دليلاً على المعنى الموضوع له ولو مجازاً. (نهاية السؤل: ١/١٧٩).

(٣) انظر: «الحقيقة وأقسامها»: ٢٤٧/١.

(٤) انظر: «المجاز»: ٢٤٩/١.

(٥) والقرافي: هو أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المصري القرافي المالكي، شهاب الدين أبو العباس، تخرَّجَ بسلطان العلماء عز الدين بن عبد السلام الشافعي، كان إماماً في الفقه والأصول، والتفسير والحديث، والعلوم العقلية، وعلم الكلام، والنحو، تخرَّجَ به الفضلاء، له مؤلفاتٌ قيمةٌ تدلُّ على رسوخ في العلم والتحقيق، منها: التنقيح وشرحه، وشرح المحصول في الأصول، الفروق، الذخيرة، وغيرها، توفي رحمه الله سنة ٦٨٤ هـ بمصر القديمة، ودُفن بالقرافة الكبرى. (الفتح المبين: ٨٩/٢).

(٦) أي أنَّ الحقيقة الشرعية، والعرفية. (شرح التنقيح، ص: ٢٠).

(٧) شرح التنقيح للقرافي، ص: ٢٠.

[عَدَمُ اشْتِرَاطِ الْمُنَاسَبَةِ بَيْنَ اللَّفْظِ وَالْمَعْنَى]

وَلَا يُشْتَرَطُ مُنَاسَبَةُ اللَّفْظِ لِلْمَعْنَى، خِلَافاً لِعَبَّادٍ، حَيْثُ أَثْبَتَهَا: فَقِيلَ: «بِمَعْنَى أَنَّهَا حَامِلَةٌ عَلَى الْوَضْعِ»، وَقِيلَ: «بَلْ كَافِيَةٌ فِي دَلَالَةِ اللَّفْظِ عَلَى الْمَعْنَى».

[عَدَمُ اشْتِرَاطِ الْمُنَاسَبَةِ بَيْنَ اللَّفْظِ وَالْمَعْنَى]

(وَلَا يُشْتَرَطُ مُنَاسَبَةُ اللَّفْظِ لِلْمَعْنَى) فِي وَضْعِهِ لَهُ، فَإِنَّ الْمَوْضُوعَ لِلضَّادِّ كـ «الْجَوْنِ» لِلْأَسْوَدِ وَلِلْأَبْيَضِ لَا يُنَاسِبُهُمَا.

(خِلَافاً لِعَبَّادٍ) الصَّيْمَرِيُّ^(١) (حَيْثُ أَثْبَتَهَا) بَيْنَ كُلِّ لَفْظٍ وَمَعْنَاهُ، قَالَ: «وَالْأَقْلَمُ اخْتَصَّ بِهِ؟».

(فَقِيلَ: «بِمَعْنَى أَنَّهَا حَامِلَةٌ عَلَى الْوَضْعِ») عَلَى وَفْقِهَا، فَيَحْتَاجُ إِلَيْهِ.

(وَقِيلَ: «بَلْ») بِمَعْنَى أَنَّهَا (كَافِيَةٌ فِي دَلَالَةِ اللَّفْظِ عَلَى الْمَعْنَى)، فَلَا يَحْتَاجُ إِلَى الْوَضْعِ يُدْرِكُ ذَلِكَ مَنْ خَصَّصَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ، كَمَا فِي الْقَافَةِ، وَيَعْرِفُهُ غَيْرُهُ مِنْهُ.

قَالَ الْقِرَافِيُّ: «حُكِيَ أَنَّ بَعْضَهُمْ كَانَ يَدْعِي أَنَّهُ يَعْلَمُ الْمُسَمَّيَاتِ مِنَ الْأَسْمَاءِ، فَقِيلَ لَهُ: مَا مُسَمَّى آذْغَاغٌ؟ وَهُوَ مِنْ لُغَةِ الْبَرْبَرِ، فَقَالَ: أَجِدُ فِيهِ يُسَّأً شَدِيداً، وَأَرَاهُ اسْمَ الْحَجَرِ. وَهُوَ كَذَلِكَ».

قَالَ الْأَصْفَهَانِيُّ^(٢): «وَالثَّانِي هُوَ الصَّحِيحُ عَنْ عَبَّادٍ»^(٣).

(١) وَعَبَّادٌ: هُوَ عَبَّادُ بْنُ سَلِيمَانَ بْنِ عَلِيٍّ، أَبُو سَهْلٍ، الْمَعْتَزَلِيُّ، مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ، مِنْ أَصْحَابِ هِشَامِ بْنِ عَمْرٍو، كَانَ يُخَالِفُ الْمَعْتَزِلَةَ بِأَشْيَاءَ اخْتَارَهَا لِنَفْسِهِ، فَخَرَجَ عَنِ الْإِعْتِزَالِ إِلَى حَدِّ الْكُفْرِ وَالرَّنْدَقَةِ، وَالْعِيَادُ بِلِلَّهِ، تُوْفِيَ سَنَةَ ٢٥٠ هـ. (الْفَهْرَسْتُ لَابْنِ النَّدِيمِ، ص: ٢١٥).

قَالَ الْعَبْدُ الْفَقِيرُ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ: يَنْبَغِي أَنْ تُطَهَّرَ كُتُبُ الْعِلْمِ وَخَاصَّةُ الْمُخْتَصَرَاتِ عَنْ أَمْثَالِهِ، وَأَرَاكَ الشَّاذَّ الْمُرْدُودَ حَتَّى تَمُوتَ كَمَا مَاتُوا، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ.

(٢) وَالْأَصْفَهَانِيُّ: هُوَ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ مُحَمَّدٍ الْعَجَلِيُّ الْأَصْفَهَانِيُّ، شَمَسَ الدِّينَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الشَّافِعِي، كَانَ إِمَاماً نَظَاراً مُتَكَلِّماً، فَقِيهاً أَصُولِيّاً، أَدِيباً شَاعِراً، وَرِعاً مُتَدِيناً، نَزَّيْهَا كَثِيرَ الْعِبَادَةِ وَالْمِرَاقِبَةِ، حَسَنَ الْعَقِيدَةِ، مَهِيْباً قَائِماً بِالْحَقِّ، لَا يَخْشَى فِي اللَّهِ لَوْمَةً لَائِمَةً، تَخَرَّجَ بِهِ كَثِيرٌ مِنَ الْمَصْرِينَ، صَنَّفَ كُتُباً فِي الْمُنَطِقِ وَالْخِلَافِ، وَالْأَصْلَيْنِ، مِنْهَا شَرْحُ الْمَحْصُولِ لِلرَّازِي، غَايَةُ الْمَطْلَبِ فِي الْمُنَطِقِ، تُوْفِيَ رَحِمَهُ اللَّهُ سَنَةَ ٨٨٦ هـ بِالْقَاهِرَةِ، وَدُفِنَ بِهَا. (الْفَتْحُ الْمُبِينُ: ٩٣/٢)

(٣) الْكَاشَفُ عَنِ الْمَحْصُولِ لِلْأَصْفَهَانِيِّ: ٤٣٠/١.

[اللفظ موضوع للمعنى الخارجي]

واللفظ موضوع للمعنى الخارجي لا الذهني خلافاً للإمام، وقال الشيخ الإمام:
«للمعنى من حيث هو».

[اللفظ موضوع للمعنى الخارجي]

(واللفظ) الدال على معنى ذهني خارجي، أي له وجود في الذهن بالإدراك، ووجود في الخارج بالتحقق كالإنسان، بخلاف المعدوم، فلا وجود له في الخارج كبحر زنبق (موضوع للمعنى الخارجي، لا الذهني)^(١).

خلافاً للإمام الرازي في قوله بالثاني، قال: «لأننا إذا رأينا جسماً من بعيد، وظنناه صخرة، سَمَّيناهُ بهذا الاسم، فإذا دَتَوْنَا مِنْهُ وَعَرَفْنَا أَنَّهُ حَيَوَانٌ، لَكِنْ ظَنَّنَاهُ طَيْرًا، سَمَّينَاهُ بِهِ، فَإِذَا أَزْدَادَ الْقُرْبُ، وَعَرَفْنَا أَنَّهُ إِنْسَانٌ سَمَّينَاهُ بِهِ، فَاخْتَلَفَ الْأَسْمُ لِاخْتِلَافِ الْمَعْنَى الذَّهْنِيَّةِ، وَذَلِكَ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْوَضْعَ لَهُ»^(٢).

وأجيب: بأنَّ اختلاف الاسم لاختلاف المعنى في الذهن، لظنَّ أَنَّهُ فِي الْخَارِجِ كَذَلِكَ، لَا لِمَجْرَدِ اخْتِلَافِهِ فِي الذَّهْنِ، فَالْمَوْضُوعُ لَهُ مَا فِي الْخَارِجِ، وَالتَّعْبِيرُ عَنْهُ تَابِعٌ لِإِدْرَاكِ الذَّهْنِ لَهُ حَسْبَمَا أَدْرَكَهُ^(٣).

(وقال الشيخ الإمام) والد المصنف: «هو موضوع (للمعنى من حيث هو)، أي من غير ٩٩ تقييد بالذهني أو الخارجي»^(٤).

فاستعماله في المعنى في ذهن كان أو خارج حقيقي على هذا، دون الأولين.

(١) قاله الجمهور من المالكية والشافعية وغيرهم، واختاره المصنف في الإبهاج (١/٢٠٤)، وهنا، ومنع الموانع (ص: ٢٩٤).

(الضياء اللامع: ١٢/١٤٧، التننيف: ١/١٩١).

(٢) المحصول للرازي: ١/٢٠٠.

واختاره البيضاوي في المنهاج (١/١٧٩)، وشيخ الإسلام في النجوم اللوامع (١/٣٦٤)، وفي لبِّ الأصول (ص: ١٠١، وغاية الوصول، ص: ٤١).

(٣) هذا جوابُ الأرموي في التحصيل (١/١٩٧).

وقال جمال الدين الإسنوي في نهاية السؤل (١/١٨١): «هذا جوابُ ظاهر».

(٤) منع الموانع (ص: ٢٩٤)، التننيف (١/١٩٢).

[هل لكل معنى لفظ؟]

وليس لكل معنى لفظ، بل لكل معنى محتاج إلى اللفظ.

[المحكم، والمتشابه]

والمحكم: المتضح المعنى؛ والمتشابه: ما استأثر الله تعالى بعلمه. وقد يُطلق عليه بعض أصفياه.

والخلاف كما قال المصنف^(١) في اسم الجنس، أي في النكرة، لأن المعرفة منه ما وُضع للخارجي، ومنه ما وُضع للذهني كما سيأتي^(٢).

[هل لكل معنى لفظ؟]

(وليس لكل معنى لفظ، بل) اللفظ (لكل معنى محتاج إلى اللفظ)، فإن أنواع الروائع مع كثرتها جداً، ليس لها ألفاظ، لعدم انضباطها، ويُدل عليها بالتقييد، كرائحة كذا، فليست محتاجة إلى الألفاظ، وكذلك أنواع الآلام^(٣).
و«بل» هنا انتقالية، لا إبطالية.

[المحكم، والمتشابه]

(والمحكم) من اللفظ: (المتضح المعنى) من نص أو ظاهر. (والمتشابه) منه: (ما استأثر الله تعالى) أي اختص (بعلمه)، فلم يتضح لنا معناه.

(وقد يُطلق) أي الله تعالى (عليه بعض أصفياه)، إذ لا مانع من ذلك.

منه الآيات والأحاديث في ثبوت الصفات لله تعالى المشككة، على قول السلف بتفويض معناها إليه تعالى كما سيأتي مع قول الخلف بتأويلها في «أصول الدين»^(٤).

وهذا الاصطلاح مأخوذ من قوله تعالى ﴿يَنْتَظِرُ الْيَوْمَ تَكُونُ الْأَنْفُسُ فِي الْكَفِّ وَأَخَرُ مُتَشَدِّدَةً﴾^(٥).

(١) أي في منع الموانع (ص: ٢٩٧).

(٢) انظر: «العلم، علم الشخص، وعلم الجنس، واسم الجنس»: ٢٢٥/١.

(٣) المحصول (١/١٩٧)، شرح الكوكب (١/١٠٢)، الغيث الهامع: ١٤٢/١.

(٤) انظر: «الصفات المتشابهة»: ٤١٨/٢.

(٥) سورة آل عمران، الآية: ٧.

[اللفظ الشائع لا يوضع لـخفي]

قال الإمام: «واللفظ الشائع لا يجوز أن يكون موضوعاً لمعنى خفي إلا على الخواص، كما يقول مثبت الحال: الحركة معنى توجب تحرك الذات».

مسألة: [اللغات توقيفية]

قال ابن فورك والجمهور: «اللغات توقيفية، علمها الله تعالى بالوحي، أو خلق الأضواء، أو العلم الضروري»،

[اللفظ الشائع لا يوضع لـخفي]

(قال الإمام) الرازي في «المحصول»: (و اللفظ الشائع) بين الخواص والعوام (لا يجوز أن يكون موضوعاً لمعنى خفي إلا على الخواص) لا متناع تخاطب غيرهم من العوام بما هو خفي عليهم لا يدركونه، (كما يقول) من المتكلمين (مثبتو الحال) أي الواسطة بين الموجود والمعدوم كما سيأتي في أواخر الكتاب^(١): (الحركة: معنى توجب تحرك الذات)^(٢) أي الجسم، فإن هذا المعنى خفي التعقل على العوام، فلا يكون معنى الحركة الشائع^(٣) بين الجميع، والمعنى الظاهر له: تحرك الذات.

(مسألة: [اللغات توقيفية])

قال ابن فورك^(٤) والجمهور: «اللغات توقيفية» أي وضعها الله تعالى، فعبروا عن وضعه بـ«التوقيف» لإدراكه به، (علمها الله) تعالى عباده (بالوحي) إلى بعض أنبيائه، (أو خلق

(١) انظر: «لا واسطة بين الموجود والمعدوم»: ٤٥٨/٢.

(٢) المحصول للرازي: ٢٠١٠/١. ومثله في التشنيف (١٩٥/١)، والضياء اللامع (١٥٣/٢)، والنجوم اللوامع (٣٦٨/١)، الغيث الهامع (١٤٤/١).

(٣) قوله «الشائع» صفة لـ«الحركة» باعتبار كونها لفظاً، وكذا الضمير في قوله «والمعنى الظاهر له». (البناني: ٤٢٧/١).

(٤) وابن فورك: هو محمد بن الحسن بن فورك الشافعي، كان فقيهاً أصولياً، أديباً نحويّاً، واعظاً، عُرف بالمهابة والجلال، والورع البالغ والزهد في الدنيا، رحل إلى نيسابور ونشر بها علومه ومعارفه، وتخرّجت على يديه خلق كثير، وكان كثير التنقل إلى البلاد في سبيل العلم، وله مصنفات في الأصلين، ومعاني القرآن تقرب من المئة، توفي رحمه الله سنة ٤٠٦ هـ. (الفح المبين: ٢٣٨/١).

وَعَزِيَّ إِلَى الْأَشْعَرِيِّ. وَكَثُرَ الْمُعْتَزِلَةُ: «اصطلاحية»، حَصَلَ عِرْفَانُهَا بِالْإِشَارَةِ، وَالْقَرِينَةُ كَالطُّفْلِ. وَالْأَسْتَاذُ: «القدرُ الْمُحْتَاجُ فِي التَّعْرِيفِ تَوْقِيفٌ، وَغَيْرُهُ مُحْتَمِلٌ»؛

الْأَصْوَاتِ فِي بَعْضِ الْأَجْسَامِ، بِأَنْ تَدَلَّ مَنْ يَسْمَعُهَا مِنْ بَعْضِ الْعِبَادِ عَلَيْهَا، (أَوْ خَلْقِ الْعِلْمِ الضَّرُورِيِّ) فِي بَعْضِ الْعِبَادِ بِهَا^(١).

وَالظَّاهِرُ مِنْ هَذِهِ الْإِحْتِمَالَاتِ أَوَّلُهَا، لِأَنَّهُ الظَّاهِرُ فِي تَعْلِيمِ اللَّهِ تَعَالَى^(٢).

(وَعَزِيَّ) أَيِ الْقَوْلِ بِأَنَّهَا تَوْقِيفِيَّةٌ (إِلَى الْأَشْعَرِيِّ)^(٣)، وَمُحَقِّقُو كَلَامِهِ، كَالْقَاضِي أَبِي بَكْرٍ الْبَاقِلَانِي، وَإِمَامُ الْحَرَمَيْنِ، وَغَيْرُهُمَا، لَمْ يَذْكُرُوهُ فِي الْمَسْأَلَةِ أَصْلًا.

وَاسْتَدَلَّ لِهَذَا الْقَوْلِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾^(٤) أَيِ الْأَلْفَاظِ الشَّامِلَةِ لِلْأَسْمَاءِ وَالْأَفْعَالِ وَالْحُرُوفِ، لِأَنَّهُ كَلَّمَ مِنْهَا اسْمًا، أَيِ عِلَامَةً عَلَى مَسْمَاءٍ، وَتَخْصِيصُ الْاسْمِ بِيَعْنِهَا عُرْفٌ طَرَأَ، وَتَعْلِيمُهُ تَعَالَى دَالٌّ عَلَى أَنَّهُ الْوَاضِعُ دُونَ الْبَشَرِ. ١٠١

(وَقَالَ) (أَكْثَرُ الْمُعْتَزِلَةِ)^(٥): «هِيَ (اصْطِلَاحِيَّةٌ) أَيِ وَضَعَهَا الْبَشَرُ وَاحِدًا أَوْ أَكْثَرَ، (حَصَلَ عِرْفَانُهَا) لِغَيْرِهِ مِنْهُ (بِالْإِشَارَةِ وَالْقَرِينَةِ كَالطُّفْلِ) إِذْ يَعْرِفُ لَعَنَ (أَبُوهُ) بِهِمَا».

وَاسْتَدَلَّ لِهَذَا الْقَوْلِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ﴾^(٦) أَيِ بِلُغَتِهِمْ فَهِيَ سَابِقَةٌ عَلَى الْبَعَثِ، وَلَوْ كَانَتْ تَوْقِيفِيَّةً، وَالتَّعْلِيمُ بِالْوَحْيِ كَمَا هُوَ الظَّاهِرُ، لِتَأَخَّرَتْ عَنْهَا^(٧).

(وَقَالَ) (الْأَسْتَاذُ) أَبُو إِسْحَاقَ الْأَسْفَرَايِينِي: «(الْقَدْرُ الْمُحْتَاجُ) إِلَيْهِ مِنْهَا (فِي التَّعْرِيفِ) لِلْغَيْرِ (تَوْقِيفٌ)، يَعْنِي تَوْقِيفِيَّ لِدَعَاءِ الْحَاجَةِ إِلَيْهِ، (وْغَيْرُهُ مُحْتَمِلٌ لَهُ)، لَكُونَهُ تَوْقِيفِيًّا أَوْ اصْطِلَاحِيًّا»^(٨).

(١) كَذَا بِغَيْرِ تَرْجِيحٍ ذَكَرَهُ السَّيْفُ الْأَمَدِيُّ فِي الْإِحْكَامِ (٦٧/١) وَأَتْبَاعُهُ، وَالزَّرْكَشِيُّ فِي الْبَحْرِ (١٤/٢)، وَالْعِرَاقِيُّ فِي الْغَيْثِ الْهَامِصِ (١٤٥/١).

(٢) قَالَهُ الشَّافِعِيَّةُ وَالْحَنَابِلَةُ وَغَيْرُهُمْ، وَيُؤَيِّدُهُ مَا رَوَاهُ الطَّبْرِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ (٢١٥/١) عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا، قَالَ: «﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾»، هِيَ هَذِهِ الْأَسْمَاءُ الَّتِي يَتَعَارَفُ بِهَا النَّاسُ نَحْوَ إِنْسَانٍ، دَابَّةٍ، وَسَهْلٍ، بَحْرٍ، جَبَلٍ، وَأَشْبَاهَ ذَلِكَ مِنَ الْأَسْمَاءِ وَغَيْرِهَا.

(٣) عَزَاهُ إِلَيْهِ الْإِمَامُ فِي الْمَحْصُولِ (١٨١/١)، وَالْأَمَدِيُّ فِي الْإِحْكَامِ (٦٧/١)، وَأَتْبَاعُهُمَا.

(٤) سُورَةُ الْبَقَرَةِ، آيَةُ: ٣١.

(٥) أَيِ أَبُو هَاشِمٍ وَأَتْبَاعُهُ (الْمَحْصُولُ: ١٨٢/١، الْإِحْكَامُ: ٦٧/١).

(٦) سُورَةُ إِبْرَاهِيمَ، آيَةُ: ٤.

(٧) انْظُرِ الْجَوَابَ عَنْهُ فِي الْمَحْصُولِ (١٩١/١)، وَالْإِحْكَامِ (٦٩/١)، وَنِهَاجِ السُّوْلِ (١٨٩/١).

(٨) نَقَلَهُ عَنْهُ الْإِمَامُ فِي الْمَحْصُولِ (١٨٢/١)، وَالْأَمَدِيُّ فِي الْإِحْكَامِ (٦٨/١)، وَأَتْبَاعُهُمَا.

وقيل: «عكسه». وتوقف كثير. والمختار الوقف عن القطع، وأن التوقيف مضمون.

مسألة: [القياس في اللغة]

قال القاضي، وإمام الحرمين، والغزالي، والآمدي: «لا تثبت اللغة قياساً».

(وقيل: «عكسه») أي القدر المحتاج إليه في التعريف اصطلاحياً، وغيره مُحتمل له وللتوقيفي، والحاجة إلى الأول^(١) تندفع بالاصطلاح^(٢).

(وتوقف كثير) من العلماء عن القول بواحد من هذه الأقوال لتعارض أدليتها^(٣).

(والمختار الوقف عن القطع) بواحد منها، لأن أدلتها لا تفيد القطع، (وأن التوقيف) الذي هو أولها (مضمون)^(٤)، لظهور دليله دون دليل الاصطلاح، فإنه لا يلزم من تقدم اللغة على البعثة أن تكون اصطلاحية، لجواز أن تكون توقيفية، ويتوسط تعليمها بالوحي بين النبوة والرسالة.

(مسألة: [القياس في اللغة])^(٥)

قال القاضي أبو بكر الباقلاني^(٦)، (وإمام الحرمين^(٧)، والغزالي^(٨)، والآمدي^(٩)): «لا (١٠٢)

(١) وهو القدر المحتاج إليه في التعريف. (النجوم اللوامع: ٣٧٢/١).

(٢) كذا ذكره الإمام في المحصول (١/١٨٢)، وأتباعه من غير عزو إلى أحد.

(٣) وهو اختيار القاضي أبي بكر، وجمهور المحققين. (المحصول: ١/١٨٢، الإحكام: ١/٦٨).

(٤) وهو اختيار الآمدي في الإحكام (١/٦٨)، وابن الحاجب في المختصر (١/١٩٧)، وشيخ الإسلام في لب الأصول (ص: ١٠١)، وغاية الوصول (ص: ٤١).

(٥) اتفق العلماء على عدم جريان القياس في أسماء الأعلام لأنها غير معقولة المعنى، والقياس فرع المعنى، فهو كحكم تعبدي لا يعقل معناه؛ وكذا اتفقوا على امتناع جريان القياس في الصفات من اسم فاعل ومفعول ونحوهما لأن القياس لا بُدَّ فيه من أصل، وهو غير متحقق فيها، إذ ليس جعل البعض أصلاً والبعض الآخر فرعاً أولى من العكس، ولكنهم اختلفوا فيما إذا أطلق اسم مشتمل على وصف، واعتقدنا أن التسمية لذلك الوصف، فأرذنا تعدية الاسم إلى محل آخر مسكوت عنه، كما إذا اعتقدنا أن إطلاق اسم «الخمر» باعتبار التخدير فعدناه إلى التبيد على ثلاثة مذاهب.

(التشنيف: ١/١٩٧، الغيث الهامع: ١/١٤٩).

(٦) التقريب والإرشاد للباقلاني، ص: ٣٦١، والتلخيص من التقريب لإمام الحرمين: ١/١٩٤.

(٧) البرهان لإمام الحرمين: ١/٤٥.

(٨) المستصفى للغزالي: ١/٦٦٣.

(٩) الإحكام للآمدي: ١/٥٠.

وخالفهم ابنُ سُرَيْج، وابنُ أَبِي هُرَيْرَةَ، وأبو إسحاق الشيرازي، والإمام. وقيل: «تَبَيَّنَتُ الْحَقِيقَةُ، لَا الْمَجَازُ».

ولفظ «القياس» يُغْنِي عن قولك: «مَحَلُّ الْخِلَافِ مَا لَمْ يَتَّبِعْ تَعَمُّمُهُ بِاسْتِقْرَاءٍ».

تَبَيَّنَتِ اللُّغَةُ قِيَاساً^(١).

وخالفهم ابنُ سُرَيْج^(٢)، وابنُ أَبِي هُرَيْرَةَ^(٣)، وأبو إسحاق^(٤) الشيرازي^(٥)، والإمام الرازي^(٦)، فقالوا: «تَبَيَّنَتِ، فَإِذَا اشْتَمَلَ مَعْنَى اسْمٍ عَلَى وَصْفٍ مُنَاسِبٍ لِلتَّسْمِيَةِ كـ «الْخَمْرُ» أَيْ الْمُسْكِرُ مِنْ مَاءِ الْعَنْبِ لِتَخْمِيرِهِ أَيْ تَغْطِيَتِهِ لِلْعَقْلِ، وَوُجِدَ ذَلِكَ الْوَصْفُ فِي مَعْنَى آخَرَ كـ «النَّبِيذُ» أَيْ الْمُسْكِرُ مِنْ غَيْرِ مَاءِ الْعَنْبِ، ثَبَتَ لَهُ بِالْقِيَاسِ ذَلِكَ الْاسْمُ لَفْظاً، فَيَسْمَى النَّبِيذُ خَمْراً، فَيَجِبُ اجْتِنَابُهُ بِأَيَّةٍ ﴿إِنَّمَا الْفَقْرُ وَالْمَيْسَرُ﴾^(٧)، لَا بِالْقِيَاسِ عَلَى «الْخَمْرِ».

وسواء في الثبوت الْحَقِيقَةُ وَالْمَجَازُ^(٨).

(وقيل: «تَبَيَّنَتِ الْحَقِيقَةُ، لَا الْمَجَازُ»، لِأَنَّهُ أَخْفَضَ رُتَبَةَ مُنْهَا^(٩)).

(١) وبه قال الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة. (فوائد الرحموت: ١/٢٤٥، الإحكام: ١/٥٠، مختصر

ابن الحاجب: ١/١٨٣، شرح التنقيح، ص: ٤١٢، تيسير الوصول، ص: ١٠٢).

(٢) وابنُ سُرَيْج: هو أحمد بن عمر بن سُرَيْج، أبو العباس البغدادي، شيخ الشافعية في عصره، وعنه انتشر مذهبُ الشافعي في الآفاق، كان يفضل على جميع أصحابِ الشافعي حتى الْمُزَنِّي، بلغت مصنفاته أربعمئة تصنيف، منها الودائع، تولَّى قضاءَ شيراز، توفي رحمه الله تعالى سنة ٣٠٦ هـ ببغداد. (طبقات الشافعية للأسنوي: ١/٣١٦).

(٣) نقله عنهما الشيخ أبو إسحاق في اللُّمَع (ص: ١١)، والآمدي في الإحكام (١/١٨٣)، وغيرهما.

(٤) والشيرازي: هو إبراهيم بن علي بن يوسف، جمال الدين أبو إسحاق الشيرازي الشافعي، الفقيه الأصولي، المؤرخ الأديب، تفقَّه على البيضاوي والجزري، كان شيخاً زاهداً ورعاً، شديد الفقر والقافة حتى لم يستطع أن يحجَّ، كبير القدر، معظماً لدى الأمراء، إماماً في الفقه والأصول والحديث، له مؤلفات قيمة، منها: المهدب، والتنبيه في الفقه، التبصيرة واللمع في الأصول، توفي رحمه الله تعالى سنة ٤٧٦ هـ ببغداد. (الفتح المبين: ١/٢٦٨).

(٥) اللُّمَع لأبي إسحاق الشيرازي (ص: ١١).

(٦) المحصول للرازي: ٥/٣٣٩.

(٧) سورة المائدة، الآية: ٩.

(٨) وبه قال جماعة من الفقهاء، وأكثر أهل الأدب والعربية، كما قال بنُ جَنِّي.

(٩) الإحكام: ١/٥٠، شرح التنقيح للقرافي، ص: ٤١٢، نهاية السؤل: ٢/٨٢٨.

(٩) هذا مأخوذ من قول القاضي عبد الوهاب المالكي (٤٢٢ هـ). (التشنيف: ١/١٩٩).

مسألة: [أقسام اللفظ باعتبار وحدته ومعناه وتعددته]

اللفظ والمعنى: إن اتحدّا فإن منع تصوّر معناه الشركة فجزئيّ، وإلا فكلّي:

(ولفظ «القياس» فيما ذكر (يُغني عن قولك) - أخذاً من ابن الحاجب^(١) - («محلّ الخلاف ما لم يثبت تعميمه باستقراء»)، فإن ما ثبت تعميمه بذلك من اللغة كرفع الفاعل، ونصب المفعول، لا حاجة في ثبوت ما لم يُسمع منه إلى القياس، حتى يُختلف في ثبوته به.

وأشار - كما قال^(٢) - بـ «ذكر قائلِي القولين» إلى اعتدالهما، خلافاً قول بعضهم: «إن الأكثر على النفي»^(٣)؛ وبـ «ذكر القاضي من النافين» إلى أن من ذكره من المثبتين كالأمدي^(٤)، لم يُحرّر النقل عنه، لتصريحه بالنفي في كتابه «التقريب»^(٥).

(مسألة: [أقسام اللفظ باعتبار وحدته ومعناه وتعددته])

اللفظ والمعنى إن اتحدّا أي كان كلٌّ منهما واحداً (فإن منع تصوّر معناه) أي معنى اللفظ المذكور (الشركة) فيه من اثنين مثلاً (فجزئيّ)^(٦)، أي فذلك اللفظ يُسمّى جزئياً كـ «زيد».

(وإلا) أي وإن لم يمنع تصوّر معناه الشركة فيه (فكلّي) سواء امتنع وجود معناه كالجمع بين الضدين، أم أمكن ولم يوجد فردٌ منه كـ «بحرٍ من زئبق»، أو وُجد وامتنع غيره كـ «الإله» أي

(١) أي من قوله في المختصر (١/١٨٣) «لا تبيّن اللغة قياساً، خلافاً للقاضي، وابن سريج. ليس الخلاف في نحو «رجل»، و«رفع فاعل»، أي لا يُسمّى مسكّت عنه إلحاقاً بتسمية لمُعَيّن».

(٢) أي المصنّف في منع الموانع (ص: ٤٦٨).

(٣) قاله الإمام الرازي في المحصول (٥/٥٩٦).

(٤) أي في الإحكام (١/٥٠)، وتبعه ابن الحاجب في المختصر (١/١٨٣)، وابن عبد الشكور في مسلم الثبوت (١/٢٤٥)، وعبد العلي الأنصاري في فواتح الرحموت (١/٢٤٥)، وشيخنا وشيخ شيوخنا العلامة الفقيه الأصولي اللغوي الأستاذ الدكتور حفظه الله تعالى أبو محمد مصطفى العنّ في كتابه الأدلة الشرعية (ص: ٢٩٥).

(٥) التقريب والإرشاد للباقلاني، ص: ٣٦١.

(٦) اللفظ والمعنى على أربعة أقسامٍ لأنها إما أن يتحدّا، أو يتكثّرا، أو يتكثّر اللفظ ويتحدّ المعنى، أو يتكثّر المعنى ويتحدّ اللفظ.

فالقسم الأول يُسمّى مفرداً، على ثلاثة أقسام: الأول: ما لا يفهم معناه الذي وُضع له إلا باعتبار لفظ آخر دالّ على معنى، وهو الحرف؛ الثاني: ما استعمل بمعناه ودلّ على أحد الأزمنة الثلاثة، وهو الفعل؛ الثالث: ما استعمل بمعناه ولا يدلّ على أحد الأزمنة الثلاثة، وهو الاسم.

مُتَوَاطِئُ إِنِ اسْتَوَى، مُشَكِّكَ إِن تَفَاوَتْ. وَإِنْ تَعَدَّدَا فَمُتَبَايِنٌ. وَإِنْ اتَّحَدَ الْمَعْنَى دُونَ
اللَّفْظِ فَمُتَرَادِفٌ،

المعبود بحق، أو أمكن ولم يوجد كـ «الشمس» أي الكوكب النهاري المضيء، أو وجد كـ
«الإنسان» أي حيوان الناطق.

وما تقدّم^(١) مِنْ تسمية «المدلول» بـ «الجزئي»، و «الكلي» هو الحقيقة، وما هنا مجاز من
تسمية الدال باسم المدلول.

(متواطئ) ذلك الكلي (إن استوى) معناه في أفراد كـ «الإنسان»، فإنه متساوي المعنى في
أفراده من زيد وعمر وغيرهما، سُمِّي متواطئاً، من التواطىء: أي التوافق^(٢)، لِتَوَافُقِ أَفْرَادِ
معناه فيه.

(مُشَكِّكَ إِن تَفَاوَتْ) معناه في أفراد بالشدة أو التقدم كـ «البياض»، فإن معناه في الثلج
أشد منه في العاج؛ و «الوجود»، فإن معناه في «الواجب» قبله في «الممكن»، سُمِّي مُشَكِّكاً،
لتشكيكه الناظر فيه، في أنه متواطئ نظراً إلى جهة اشتراك الأفراد في أصل المعنى، أو غير
متواطئ نظراً إلى جهة الاختلاف.

(وَإِنْ تَعَدَّدَا)^(٣) أي اللفظ والمعنى كالإنسان، والفرس (فمتباين) أي فأحد اللفظين مثلاً
مع الآخر متباين لتباين معناهما.

(وَإِنْ اتَّحَدَ الْمَعْنَى دُونَ اللَّفْظِ)^(٤) كالإنسان والبشر (فمترادف) أي فأحد اللفظين مثلاً مع
الآخر مترادف لترادفهما أي تواليهما على معنى واحد.

= والاسم قسمان، الأول: جزئي، وهو الذي يمنع تصوّر معنى لفظه الشركة كزيد.

الثاني: الكلّي، وهو الذي لا يمنع تصوّر معنى لفظه الشركة. وهو على خمسة أقسام:
متواطئ، مشترك، اسم جنس، علم جنس، ضمير. (نهاية السؤل: ١٩٧/١ - ٢٠٧).

(١) أي في «أقسام اللفظ باعتبار مدلوله»: ٢١٤/١.

(٢) انظر: القاموس المحيط: ٤١/١ (و، ما، ء)، والمصباح المنير، ص: ٦٦٤ (و، ط، ء).

(٣) هذا هو القسم الثاني، وهو أن يتكثر اللفظ والمعنى كالبياض والسواد، ويسمى بالألفاظ المتباينة. ثم
الألفاظ المتباينة قد تكون معانيها متفصلة أي لا يمكن اجتماعها كالفرس والإنسان؛ وقد تكون
متوافقة أي يمكن اجتماعها، إما بأن يكون أحدهما اسماً للذات، والآخر صفة للذات؛ وإما بأن
يكون أحدهما صفة للذات، والآخر صفة للصفة كالناطق والفصيح. (نهاية السؤل: ٢٠٥/١).

(٤) هذا هو القسم الثالث، وهو أن يتكثر اللفظ ويتحد المعنى، فتسمى تلك الألفاظ مترادفة سواء كانت
من لغة واحدة أم من لغتين. (نهاية السؤل: ٢٠٦/١).

وعكسه إن كَانَ حَقِيقَةً فِيهِمَا فَمُشْتَرَكٌّ، وَإِلَّا فَحَقِيقَةٌ وَمَجَازٌ.

[الْعَلَمُ، وَعَلَمُ الشَّخْصِ، وَعَلَمُ الْجِنْسِ، وَاسْمُ الْجِنْسِ]

والْعَلَمُ: مَا وَضِعَ لِمُعَيَّنٍ لَا يَتَنَاوَلُ غَيْرَهُ. فَإِنْ كَانَ التَّعَيُّنُ خَارِجِيًّا فَعَلَمُ الشَّخْصِ،

(وعكسه)^(١) وهو أَنْ يَتَّحِدَ اللَّفْظُ وَيَتَعَدَّدَ الْمَعْنَى، كَأَنْ يَكُونَ لِلْفِظِ مَعْنِيَانِ (إِنْ كَانَ) أَيْ اللَّفْظُ (حَقِيقَةً فِيهِمَا) أَيْ فِي الْمَعْنِيَيْنِ مِثْلًا كـ «الْقَرَاءُ» لِلْحَيْضِ وَالظُّهْرِ (فَمُشْتَرَكٌّ) لِاشْتِرَاكِ الْمَعْنِيَيْنِ فِيهِ، (وَإِلَّا فَحَقِيقَةٌ وَمَجَازٌ) كـ «الْأَسَدُ» لِلْحَيَوَانِ الْمُفْتَرَسِ، وَلِلرَّجُلِ الشُّجَاعِ. وَلَمْ يَقُلْ: «أَوْ مَجَازَانِ أَيْضًا» مَعَ أَنَّهُ يَجُوزُ أَنْ يَتَجَوَّزَ فِي اللَّفْظِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ لَهُ مَعْنَى حَقِيقِيٌّ كَمَا هُوَ الْمَخْتَارُ الْآتِي^(٢)، كَأَنَّهُ لَأَنْ هَذَا الْقِسْمَ لَمْ يَثْبُتَ وَجُودُهُ.

[الْعَلَمُ، وَعَلَمُ الشَّخْصِ، وَعَلَمُ الْجِنْسِ، وَاسْمُ الْجِنْسِ]

(والْعَلَمُ: مَا) أَيْ لَفْظٌ (وُضِعَ لِمُعَيَّنٍ) - خَرَجَ النُّكْرَةُ - (لَا يَتَنَاوَلُ) أَيْ اللَّفْظُ (غَيْرَهُ) أَيْ غَيْرَ الْمُعَيَّنِ.

خَرَجَ مَا عَدَا الْعَلَمَ مِنْ أَقْسَامِ الْمَعْرِفَةِ، فَإِنَّ كَلَامَهَا وَضِعَ لِمُعَيَّنٍ، وَهُوَ أَيْ جُزْئِيٌّ يُسْتَعْمَلُ فِيهِ، وَيَتَنَاوَلُ غَيْرَهُ بَدَلًا عَنْهُ، فَ «أَنْتَ» مِثْلًا وَضِعَ لِمَا يُسْتَعْمَلُ فِيهِ مِنْ أَيْ جُزْئِيٍّ، وَيَتَنَاوَلُ جُزْئِيًّا آخَرَ بَدَلَهُ، وَهَلَمْ، وَكَذَا الْبَاقِي^(٣).

(فَإِنْ كَانَ التَّعَيُّنُ) فِي الْمُعَيَّنِ (خَارِجِيًّا: ١- فَعَلَمُ الشَّخْصِ)، فَهُوَ مَا وَضِعَ لِمُعَيَّنٍ فِي الْخَارِجِ، لَا يَتَنَاوَلُ غَيْرَهُ مِنْ حَيْثُ الْوَضْعُ لَهُ. فَلَا يُخْرِجُ الْعَلَمُ الْعَارِضُ الْإِشْتِرَاكُ كـ «زَيْدٌ» مَسْمًى بِهِ كُلٌّ مِنْ جَمَاعَةٍ.

(١) هَذَا هُوَ الْقِسْمُ الرَّابِعُ، وَهُوَ أَنْ يَتَّحِدَ اللَّفْظُ وَيَتَكَثَّرَ الْمَعْنَى، وَهُوَ أَرْبَعَةٌ: الْأَوَّلُ: مَا وَضِعَ لِكُلِّ كَالجَوْنِ لِلْبَيَاضِ وَالسَّوَادِ، فَهُوَ الْمَشْتَرَكُّ. الثَّانِي: مَا وَضِعَ لِأَحَدِ مَعَانِيهِ، ثُمَّ نُقِلَ إِلَى غَيْرِهِ لَا لِعِلَاقَةٍ (أَيْ مَنَاسِبَةٍ) كَجَعْفَرٍ، فَهُوَ الْمُتَرَجِّلُ. الثَّالِثُ: مَا وَضِعَ لِأَحَدِ مَعَانِيهِ، ثُمَّ نُقِلَ إِلَى غَيْرِهِ لِعِلَاقَةٍ، وَاشْتَهَرَ فِيهِ (أَيْ صَارَ فِي أَغْلَبِ مِنَ الْأَوَّلِ) حَقِيقَةً لُغَوِيَّةً فِي الْأَوَّلِ، شَرْعِيَّةً كَالصَّلَاةِ، وَالصُّومِ، أَوْ عُرْفِيَّةً عَامَةً كَالدَّائِبَةِ لَذَاتِ الْحَافِرِ، أَوْ خَاصَّةً كَالدَّابَّةِ لِلْفَرَسِ فِي عَرَفِ أَهْلِ الْعِرَاقِ فِي الثَّانِي.

الرَّابِعُ: مَا وَضِعَ لِأَحَدِ مَعَانِيهِ، ثُمَّ نُقِلَ إِلَى غَيْرِهِ لِعِلَاقَةٍ وَلَمْ يُشْتَهَرَ فِيهِ كَالْأَسَدِ فَمَجَازٌ فِي الثَّانِي، وَحَقِيقَةٌ فِي الْأَوَّلِ. (نِهَايَةُ السُّوْلِ: ٢٠٦/١).

(٢) انْظُرْ: «الْمَجَازُ»: ٢٤٩/١.

(٣) اللَّفْظُ قَدْ يَكُونُ جُزْئِيًّا وَضْعًا وَاسْتِعْمَالًا كَالْعَلَمِ فَإِنَّهُ وَضِعَ لِمُعَيَّنٍ، وَلَا يَتَنَاوَلُ غَيْرَهُ، وَيُعَيَّنُ مُسَمَّاهُ بِلا قَرِينَةٍ. وَقَدْ يَكُونُ كُلِّيًّا وَضْعًا وَاسْتِعْمَالًا كَالْإِنْسَانِ لِمَفْهُومِهِ، فَإِنَّهُ وَضِعَ مُلَاحِظًا بِوَضْعِهِ الْقَدْرَ الْمَشْتَرَكَّ =

وإلا فعَلِمَ الْجِنْسِ . وَإِنْ وُضِعَ لِلْمَاهِيَةِ مِنْ حَيْثُ هِيَ فَاسْمُ الْجِنْسِ .

٢- (ولاً) أي وإن لم يكن التعيين خارجياً، بأن كان ذهنياً (فعَلِمَ الْجِنْسِ)، فهو ما وُضِعَ لِمَعْيَنٍ في الذهن، أي ملاحظ الوجود فيه، كـ «أسامة» عِلْمَ لـ «السبع»، أي لِمَاهِيَةِ الحاضرة في الذهن. ١٠٥

٣- (وإن وُضِعَ) اللفظ (لِلْمَاهِيَةِ مِنْ حَيْثُ هِيَ) أي من غير أن تُعَيَّنَ في الخارج أو الذهن (فاسمُ الْجِنْسِ) ^(١) كـ «أسد» اسم لـ «السبع» أي لِمَاهِيَةِ.

واستعماله في ذلك ^(٢) كأن يقال: «أسد أجراً من ثعالة»، كما يقال: «أسامة أجراً من ثعالة»؛ والدال على اعتبار التعيين في «علم الجنس» إجراء الأحكام اللفظية لـ «علم الشخص» عليه، حيث منع الصرف مع تاء التأنيث، ووقوع الحال منه، نحو «هذا أسامة مقيلاً».

ومثله في التعيين المَعْرِفُ بلام الحقيقة ^(٣) نحو «الأسد أجراً من الثعلب»، كما أن مثلاً

= بين أفرادها، واستعماله بإطلاقه على جمليتها (أي كل الأفراد) تارةً وعلى بعضها تارةً أخرى باعتبار اشتمالها على القدر المشترك. وقد يكون كلياً وضعاً وجزئياً استعمالاً كالمعارف إلا العلم، لأن الواضع تعقل أمراً مشتركاً بين الأفراد اشتراكاً معنوياً، ثم وضع له لفظاً معيناً يُطْلَقُ على كل منها على سبيل البديل إطلاقاً يُعَيَّنُ معناه بقرينة، فـ «أنت» مثلاً موضوعٌ لِمُشارٍ إليه مُفْرَدٌ مذكّر، والقرينة المعينة فيها الإشارة الباقية. فالفرق بين العلم وبقية المعارف: أن التعيين في العلم (سواء كان علم شخص أو جنس) بالوضع، وفي بقية المعارف بالقرينة الخارجية، كالإشارة في «أنت»، وفي المعارف بـ «أل»، وفي المضاف بالإضافة، وهكذا.

أما أن يكون اللفظ جُزْئياً وضعاً كلياً استعمالاً فمستحيل.

(النجوم اللوامع: ١/٣٧٨، حاشية البناني: ١/٤٣٩).

(١) قال جمال الدين الإسنوي رحمه الله في نهاية السؤل (١/٢٠١): «والفرق بين اسم الجنس وعلم الجنس: أن الوضع فرع التصوّر، فإذا استحضّر الواضع صورة الأسد ليضع لها، فتلك الصورة الكائنة في ذهنه هي جزئية بالنسبة إلى مطلق صورة الأسد، فإن هذه الصورة واقعة لهذا الشخص في هذا الزمان، ومثلها يقع في زمان آخر، وفي ذهن شخص آخر، والجميع يشترك في مطلق صورة الأسد، فهذه الصورة جزئية من مطلق صورة الأسد».

فإن وُضِعَ لها من حيث خصوصها فهو عِلْمُ جنس، أو من حيث عمومها فهو اسم جنس. إذا تقرّر هذا نقول: اسم الجنس هو الموضوع للحقيقة من حيث هي هي، وعِلْمُ الجنس هو الموضوع للحقيقة من حيث هي مشخصة في الذهن».

(٢) أي استعمال اسم الجنس في الماهية، ذكره توطئةً للدليل على الفرق الذي يذكره بعده.

(النجوم اللوامع: ١/٣٧٩، والبناني: ١/٤٤٢).

(٣) لا م التعريف إذا دخلت على اسم: إما أن يُشارَ بها إلى حصّةٍ من مُسمّاه مُعَيَّنَةٍ بين المتكلم=

النكرة في الإبهام المَعْرِف بلام الجنس، بمعنى بعض غير معيّن، نحو «إِنْ رَأَيْتَ الْأَسَدَ - أي فرداً منه - ففَرَّ منه».

واستعمال «عَلِمَ الْجِنْس» أو اسْمِهِ - معرفاً، أو منْكراً - في الفرد المَعْيّن، أو المُبْهَم من حيث اشتماله على الماهية الحقيقيّة، نحو «هذا أسامة، أو الأسد، أو أسد»، أو «إِنْ رَأَيْتَ أسامة، أو الأسد، أو أسداً ففَرَّ منه».

وقيل: «إِنَّ اسْمَ الْجِنْس كَأَسَدٍ، وَرَجُلٍ وَضِعَ لِفَرْدٍ مُبْهَمٍ»^(١)، كما يؤخذ مع تضعيفه^(٢) مما سيأتي «أَنَّ الْمُطْلَقَ: الدَّالُّ عَلَى الماهية بلا قَيْدٍ، وَأَنَّ مَنْ زَعَمَ^(٣) دلالته على الوحدة الشائعة،

= والمخاطب، فَيُسَمَّى لَامَ الْعَهْدِ الْخَارِجِي، كما في قوله تعالى في سورة آل عمران ﴿وَلَيْسَ الذَّكَو كَالْأُنثَى﴾ [الآية: ٣٦]، ونظير مدخولها «عَلِمَ الشَّخْص» كزبد.

وَمَا أَنْ يُشَارَ بِهَا إِلَى نَفْسٍ مُسَمَّاه، وهي لَامُ الْجِنْس، فإذا قُصِدَ الْمَسْمَى مِنْ حَيْثُ هُوَ مِنْ غَيْرِ اعْتِبَارٍ مَا صَدَّقَ عَلَيْهِ كَقَوْلِنَا «الْإِنْسَانُ حَيَوَانٌ نَاطِقٌ»، و«الرَّجُلُ خَيْرٌ مِنَ الْمَرْأَةِ» سُمِّيَتْ لَامُ الْحَقِيقَةِ. ونظير مدخولها «عَلِمَ الْجِنْس» كَأَسَامَةِ.

وإن قُصِدَ مِنْ حَيْثُ الْوُجُودُ فِي ضَمَنِ الْأَفْرَادِ، وَوُجِدَتْ قَرِينَةٌ بَعْضِيَّةٌ كَمَا فِي قَوْلِنَا «ادْخُلِ السُّوقَ» وَ «اشْتَرِ اللَّحْمَ»، وكقوله تعالى في سورة يوسف (الآية: ١٣) ﴿وَأَنَّا أَنْ يَأْكُلَهُ الذَّنْبُ﴾ سُمِّيَتْ لَامُ الْعَهْدِ الذَّهْنِي. ونظيره النكرة في الإنبات بالنظر إلى القرينة، لا بالنظر إلى مدلول اللفظ، لأن الحضور الذهني معتبر في المعرفة لا في النكرة وإن كان حاصلًا فيها، إذ لا يلزم من حصول الشيء اعتباره.

وإن لم تُجَدِ القرينة البعضية ففي المقام الخطابي يُحْمَلُ عَلَى الاستغراق، وفي المقام الاستدلالي على الأقل. (النجوم اللوامع: ٣٧٩/١، البناني: ٤٤٢/١).

(١) قاله جمع، ومال إليه الكمال بن الهمام من الحنفية في كتابه التحرير (١/٥٥، مع التيسير). وعليه فالفرق بين عَلِمَ الْجِنْس واسْمَ الْجِنْس المنكّر حقيقي، وهو أَنَّ عَلِمَ الْجِنْس موضوعٌ للماهية، واسْمَ الْجِنْس موضوعٌ للفرد المبهّم. وعلى مختار المصنّف اعتباري، وهو اعتبار الإشارة في تعيّن الماهية في الذهن في عَلِمَ الْجِنْس، وعدم اعتباره في اسم الجنس. (النجوم اللوامع: ٣٨٠/١).

(٢) أي تضعيف هذا القول مأخوذاً من قول المصنّف الآتي في «المطلق والمقيد»: «المطلق: الدَّالُّ عَلَى الماهية بلا قَيْدٍ. وَزَعَمَ الْأَمْدِيُّ وَابْنُ الْحَاجِبِ دلالته [أي المطلق] على الوحدة الشائعة. تَوَهَّمَاهُ النكرة أي تَوَهَّم الْأَمْدِيُّ وَابْنُ الْحَاجِبِ أَنَّ الْمُطْلَقَ هُوَ النكرة، وَمَحَلُّ الْأَخْذِ قَوْلُهُ «وَأَنَّ مَنْ زَعَمَ...». (البناني: ٤٤٤/١).

(٣) وهو الْأَمْدِيُّ وأتباعه كابن الحاجب كما سيأتي في تعريف «المطلق».

مسألة: [الاشتقاق]

الاشتقاق: رُدُّ لَفْظٍ إِلَى آخَرَ وَلَوْ مَجَازاً لِمُنَاسَبَةٍ بَيْنَهُمَا فِي الْمَعْنَى وَالْحُرُوفِ الْأَصْلِيَّةِ.

تَوْهَمَةُ النِّكَرَةِ^(١). فالمعبر عنه هنا بـ «اسم الجنس» هو المعبر عنه فيما سيأتي بـ «المطلق» نظراً إلى المقابل في الموضوعين. ١٠٦

وما يؤخذ من هذا الآتي من إطلاق «النكرة» على «الدال على واحد غير معين»، و «المعرفة» على «الدال على واحد معين»، صحيح، كالمأخوذ مما تقدم صدر المبحث^(٢) من إطلاق «النكرة» على «الدال على غير المعين ماهية كان أو فرداً»، و «المعرفة» على «الدال على المعين كذلك».

(مسألة: [الاشتقاق])

الاشتقاق من حيث قيامه بالفاعل: (رُدُّ لَفْظٍ إِلَى لَفْظٍ آخَرَ)، بأن يُحْكَمَ أَنَّ الْأَوَّلَ مَأْخُوذٌ مِنَ الثَّانِي، أَيْ فُرِعَ عَنْهُ (وَلَوْ) كَانَ الْآخَرُ (مَجَازاً لِمُنَاسَبَةٍ بَيْنَهُمَا فِي الْمَعْنَى)، أَنَّ يَكُونَ مَعْنَى الثَّانِي فِي الْأَوَّلِ، (وَالْحُرُوفِ الْأَصْلِيَّةِ) أَنَّ تَكُونَ فِيهِمَا عَلَى تَرْتِيبٍ وَاحِدٍ، كَمَا فِي «النَّاطِقِ» مِنْ «النَّطْقِ» بِمَعْنَى «التَّكَلُّمِ» حَقِيقَةً، وَبِمَعْنَى «الدَّلَالَةِ» مَجَازاً كَمَا فِي قَوْلِكَ: «الْحَالُ نَاطِقَةٌ بِكَذَا» أَيْ دَالَةٌ عَلَيْهِ.

وقد لا يُشْتَقُّ مِنَ الْمَجَازِ، كَمَا فِي «الْأَمْرِ» بِمَعْنَى «الْفِعْلِ» مَجَازاً، كَمَا سَيَأْتِي^(٣)، لَا يَقَالُ مِنْهُ: «أَمِرٌ»، وَلَا «مَأْمُورٌ» مِثْلًا، بِخِلَافِهِ بِمَعْنَى «الْقَوْلِ» حَقِيقَةً.

وَلَا يَلْزَمُ مِنْ قَوْلِ الْغَزَالِيِّ^(٤) وَغَيْرِهِ^(٥): «إِنَّ عَدَمَ الْاِشْتِقَاقِ مِنَ اللَّفْظِ مِنْ عِلَامَةٍ كَوْنِهِ مَجَازاً»

(١) انظر: «تعريف المطلق»: ٤١٣/١.

(٢) يعني قول المصنف «العلم: ما وُضِعَ لِمُعَيَّنٍ»، فَإِنَّ مَنْطِقَهُ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْمَعْرِفَةَ: مَا وُضِعَ لِمُعَيَّنٍ مَاهِيَةً كَانَ أَوْ فَرْدًا؛ وَمَفْهُومُهُ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ النِّكَرَةَ: مَا وُضِعَ لِغَيْرِ مُعَيَّنٍ كَذَلِكَ أَيْ مَاهِيَةً كَانَ أَوْ فَرْدًا. فَعُلِمَ أَنَّ الْمَأْخُوذَ مِمَّا تَقَدَّمَ أَعْمُ مِنَ الْمَأْخُوذِ مِمَّا يَأْتِي، إِذِ الْمَأْخُوذُ مِنَ الْآتِي: إِطْلَاقُ الْمَعْرِفَةِ عَلَى الْفَرْدِ الْمُعَيَّنِ، وَالنِّكَرَةِ عَلَى الْفَرْدِ غَيْرِ الْمُعَيَّنِ؛ وَالْمَأْخُوذُ مِنَ الْمُتَقَدِّمِ: إِطْلَاقُ الْمَعْرِفَةِ عَلَى الْمُعَيَّنِ فَرْدًا أَوْ مَاهِيَةً، وَالنِّكَرَةِ عَلَى غَيْرِ الْمُعَيَّنِ فَرْدًا أَوْ مَاهِيَةً.

فَكُلُّ اسْمٍ جَنْسٍ يَصُحُّ اعْتِبَارُهُ نِكْرَةً كَالْعَكْسِ، فَاسْدٌ وَرَجُلٌ مِثْلًا إِنْ اعْتَبَرْنَاهُمَا دَالَيْنِ عَلَى الْمَاهِيَةِ مِنْ حَيْثُ هِيَ فَاسْمًا جَنْسًا، وَإِنْ اعْتَبَرْنَاهُمَا دَالَيْنِ عَلَى الْفَرْدِ الشَّائِعِ فَتَكْرَانِ. (البناني: ٤٤٤/١).

(٣) انظر: «حقيقة الأمر»: ٣٠٣/١.

(٤) المستقصى للغزالي: ٦٧٨/١.

(٥) كالقاضي أبي بكر الباقلاني، وإلكيا الهراشي. (التلخيص: ١٨٩/١، منع الموانع، ص: ٢٩١).

وَلَا بُدَّ مِنْ تَغْيِيرٍ .

أنهم مانعون الاشتقاق من المجاز، كما فهمه عنهم المصنف. وأشار بـ «لَوْ» كما قال^(١) - إليه، لأن العلامة لا يلزم انعكاسها، فلا يلزم من وجود الاشتقاق وجود الحقيقة.

ثم ما ذكر تعريف للاشتقاق المراد عند الإطلاق، وهو الصغير، أما الكبير فليس فيه الترتيب كما في «الجذب» و«جذب»، والأكبر ليس فيه جميع الأصول كما في «الثلم» و«ثلب». ويقال أيضاً: أصغر، وصغير، وكبير؛ وأصغر، وأوسط، وأكبر.

(وَلَا بُدَّ) في تحقيق الاشتقاق (من تغيير) بين اللفظين تحقيقاً، كما في «ضَرْب» من «الضَرْب». وقسمه في «المنهاج»^(٢) خمسة عشر قسمًا.

أو تقديرًا، كما في «طَلَب» من «الطَّلَب»، فيقدر أن فتحة «اللام» في الفعل، غيرها في

(١) حيث قال في منع الموانع (ص: ٢٩١): «وأما قولنا: «ولو مجازاً» إشارة إلى أن الاشتقاق قد يكون من حقيقة، وقد يكون من مجاز، خلافاً لمن منع الاشتقاق من المجازات، وقال: إنما يكون الاشتقاق من الحقائق، وهو القاضي أبو بكر والغزالي وإليهما، ومذهبهم في ذلك ساقط. وإنما لم نُصرِّح بأسمائهم لأننا لسنا على ثقة من تصميمهم على هذه المقالة، بل نُجوزُ لِكَلَامِهِمْ مُحَامِلٌ وإن بَانَ عنها ألفاظهم، ونرى ذلك خيراً من ارتكابهم هذا الشذوذ. ونحو دائماً نُشيرُ بلفظ «ولو» إلى خلافه، فإن قَوِيَ أو تَحَقَّقَ صَرِّحْنَا بِهِ، وإلا اكتَفَيْنَا بهذه الإشارة، فأغْرِفْ ذلك».

(٢) حَصَرَ الإمامُ التَّغْيِيرَ فِي تِسْعَةِ أَقْسَامٍ، وَلَمْ يُمَثَّلْ لَهَا، وَزَادَ عَلَيْهِ الْبِيضَاوِي سِتَّةَ فَصَارَتْ خَمْسَةَ عَشَرَ، وَمَثَّلَ لَهَا، وَهِيَ، الْأَوَّلُ: زِيَادَةُ حَرْفٍ فَقَطْ نَحْوَ «كَاذِبٍ» مِنْ «كَذِبَ». الثَّانِي: زِيَادَةُ الْحَرَكَةِ فَقَطْ نَحْوَ «نَصَرَ» مِنْ «نَصْرَ». الثَّالِثُ: زِيَادَةُ الْحَرْفِ وَالْحَرَكَةِ مَعًا نَحْوَ «ضَارِبٍ» مِنْ «ضَرْبَ». الرَّابِعُ: نُقْصَانُ الْحَرْفِ فَقَطْ نَحْوَ «صَهْلٍ» اسْمُ فَاعِلٍ مِنْ «صَهِيلٍ». الْخَامِسُ: نُقْصَانُ الْحَرَكَةِ فَقَطْ نَحْوَ «سَفَرٍ» مِنْ «سَفَرٍ»، وَ«سَفَرٍ» جَمْعُ «سَافِرٍ» مِثْلُ «صَاحِبٍ» وَ«صَنُوبٍ». السَّادِسُ: نُقْصَانُ الْحَرْفِ وَالْحَرَكَةِ مَعًا نَحْوَ «صَبٍ» اسْمُ فَاعِلٍ مِنْ «صَبَابَةٍ». السَّابِعُ: زِيَادَةُ الْحَرْفِ وَنُقْصَانُهُ نَحْوَ «صَاهِلٍ» مِنْ «صَهِيلٍ». الثَّامِنُ: زِيَادَةُ الْحَرَكَةِ وَنُقْصَانُهَا نَحْوَ «حَذِرٍ» اسْمُ فَاعِلٍ مِنْ «حَذَرَ». الثَّانِي: زِيَادَةُ الْحَرْفِ وَنُقْصَانُ الْحَرَكَةِ نَحْوَ «عَادَ» اسْمُ فَاعِلٍ مِنْ «عَدَدَ». الْعَاشِرُ: زِيَادَةُ الْحَرَكَةِ وَنُقْصَانُ الْحَرَكَةِ نَحْوَ «رُجِعَ» مِنْ «رُجِعَى». الْحَادِي عَشَرَ: زِيَادَةُ الْحَرْفِ مَعَ زِيَادَةِ الْحَرَكَةِ وَنُقْصَانُهَا نَحْوَ «مَوْنِدٍ» مِنْ «وَعْدٍ». الثَّانِي عَشَرَ: زِيَادَةُ الْحَرَكَةِ مَعَ زِيَادَةِ الْحَرْفِ وَنُقْصَانُهُ نَحْوَ «مُكَمَّلٍ» اسْمُ فَاعِلٍ أَوْ مَفْعُولٍ مِنْ «كَمَالٍ». الثَّالِثُ عَشَرَ: نُقْصَانُ الْحَرْفِ مَعَ زِيَادَةِ الْحَرَكَةِ وَنُقْصَانُهَا نَحْوَ «قَيْطٍ» اسْمُ فَاعِلٍ مِنْ «قُنُوطٍ». الرَّابِعُ عَشَرَ: نُقْصَانُ الْحَرَكَةِ مَعَ زِيَادَةِ الْحَرْفِ وَنُقْصَانُهُ نَحْوَ «كَالٍ» مِنْ «كَالَالٍ». الْخَامِسُ عَشَرَ: زِيَادَةُ الْحَرْفِ وَالْحَرَكَةِ مَعًا وَنُقْصَانُهُمَا مَعًا نَحْوَ «كَامِلٍ» مِنْ «كَمَالٍ». (نهاية السؤل: ١/ ٢١٨).

وقد يطرّد كاسم الفاعل، وقد يختصّ كالفارورة.

[وُجُوبُ اسْتِثْقَاكِ الْأَسْمِ لِمَنْ قَامَ بِهِ وَصْفٌ]

وَمَنْ لَمْ يَقُمْ بِهِ وَصْفٌ لَمْ يَجُزْ أَنْ يُسْتَقَّ لَهُ مِنْهُ اسْمٌ، خِلَافاً لِلْمُعْتَزِلَةِ.

المصدر كما قدّر سيبويه^(١) أَنَّ ضَمَّةَ «النون» في «جُنُب» جمعاً غيرها فيه مفرداً.

ولو قال: «تَغْيِيرٌ» بتشديد «الياء» كان أنسب^(٢).

(وقد يطرّد) المشتق (كاسم الفاعل) نحو «ضارب» لكل واحدٍ وَقَعَ منه الضربُ.

(وقد يختصّ) ببعض الأشياء (كالفارورة) من «القرار» للزجاجة المعروفة، دون غيرها مما هو مَقَرٌّ للمائع كالْكُوز.

[وُجُوبُ اسْتِثْقَاكِ الْأَسْمِ لِمَنْ قَامَ بِهِ وَصْفٌ]

وَمَنْ لَمْ يَقُمْ بِهِ وَصْفٌ لَمْ يَجُزْ أَنْ يُسْتَقَّ لَهُ مِنْهُ أَيُّ مِنْ لَفْظِهِ (اسْمٌ).

خِلَافاً لِلْمُعْتَزِلَةِ^(٣) فِي تَجْوِيزِهِمْ ذَلِكَ، حَيْثُ نَفَوْا عَنِ اللَّهِ تَعَالَى صِفَاتِهِ الذَّاتِيَّةَ كَالْعِلْمِ وَالْقُدْرَةِ، وَوَافَقُوا عَلَى أَنَّهُ تَعَالَى عَالِمٌ قَادِرٌ مَثَلًا، لَكِنْ قَالُوا بِذَاتِهِ، لَا بِصِفَاتٍ زَائِدَةٍ عَلَيْهَا.

مَتَكَلَّمٌ لَكِنْ بِمَعْنَى أَنَّهُ خَالِقٌ لِلْكَلَامِ فِي جِسْمٍ كَالشَّجَرَةِ الَّتِي سَمِعَ مِنْهَا مُوسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، بِنَاءً عَلَى أَنَّ الْكَلَامَ لَيْسَ عَنْدهُمْ إِلَّا الْحُرُوفُ وَالْأَصْوَاتُ، الْمَمْتَنِعُ اتِّصَافُهُ تَعَالَى بِهَا.

فَفِي الْحَقِيقَةِ لَمْ يُخَالَفُوا فِيمَا هُنَا، لِأَنَّ صِفَةَ الْكَلَامِ بِمَعْنَى خَلْقِهِ ثَابِتَةٌ لَهُ تَعَالَى، وَبَقِيَّةُ الصِّفَاتِ الذَّاتِيَّةِ لَا يَسَعُهُمْ نَفْيُهَا، لِإِمْوَافَقَتِهِمْ عَلَى تَنْزِيهِهِ تَعَالَى عَنْ أَضْدَادِهَا، وَإِنَّمَا يَنْفُونَ زِيَادَتَهَا عَلَى الذَّاتِ، وَيَزْعُمُونَ أَنَّهَا نَفْسُ الذَّاتِ مَرَّتَيْنِ ثَمَرَاتِهَا عَلَى الذَّاتِ كَكُونِهِ عَالِمًا قَادِرًا. فَرُؤَا بِذَلِكَ مِنْ تَعَدُّدِ الْقَدَمَاءِ، عَلَى أَنَّ تَعَدُّدَ الْقَدَمَاءِ إِنَّمَا هُوَ مَحْذُورٌ فِي ذَوَاتٍ، لَا فِي ذَاتٍ وَصِفَاتٍ.

١٠٨

(١) وسيبويه: هو عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر، الملقب بسبويه، إمام النحاة، وأوّل من بسط علم النحو، ولد بإحدى قرى شيراز سنة ١٤٨هـ، قديم البصرة، ولازم الخليل بن أحمد، وفاقه، وصنّف كتباً في النحو لم يُصنّف قبله مثله ولا بعده، رحل إلى بغداد، فناظر الكسائي، وعاد إلى الأهواز، ومات بها سنة ١٨٠هـ. (الأعلام للزركلي: ٥/٨١).

(٢) لأن المراد بالردّ الحكم به على ما قرره، والحاكم لا تغيير منه، وإنما منه إدراك تغيير لفظ عما كان عليه، ولأن التغيير لا يستلزم التغيير. (النجوم اللوامع: ١/٣٨٤).

(٣) أي لأبي علي الجبائي، وابنه أبي هاشم من المعتزلة، وأتباعهما. (المحصول: ١/٢٤٨).

وَمِنْ بَنَائِهِمْ: اتَّفَقَهُمْ عَلَى أَنَّ إِبْرَاهِيمَ ذَابِحٌ، وَاخْتَلَفَهُمْ هَلْ إِسْمَاعِيلُ مَذْبُوحٌ؟

(وَمِنْ بَنَائِهِمْ) عَلَى التَّجْوِيزِ: (اتَّفَقَهُمْ عَلَى أَنَّ إِبْرَاهِيمَ) عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ (ذَابِحٌ) أَيِ ابْنِهِ إِسْمَاعِيلَ، حَيْثُ أَمَرَ عَنْدهُمْ آلَةُ الذَّبْحِ عَلَى مَحَلِّهِ مِنْهُ لِأَمْرِ اللَّهِ إِيَّاهُ بِذَبْحِهِ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى حِكَايَةً ﴿يَتَقَىٰ إِفْكًا أَرَىٰ فِي الْمَنَازِلِ أَفْكًا مُّذَبَّحًا﴾^(١)؛

(وَاخْتَلَفَهُمْ هَلْ إِسْمَاعِيلُ) عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ (مَذْبُوحٌ)؟

فَقِيلَ: «نَعَمْ، وَالْتَأَمَّ مَا قُطِعَ مِنْهُ».

وَقِيلَ: «لَا، أَيْ لَمْ يُقَطَّعْ مِنْهُ شَيْءٌ».

فَالْقَائِلُ بِهَذَا أَطْلَقَ «الذَّابِحَ» عَلَى مَنْ لَمْ يَقُمْ بِهِ الذَّبْحُ، لَكِنْ بِمَعْنَى أَنَّهُ مُبْرَأُ آلَتِهِ عَلَى مَحَلِّهِ، فَمَا خَالَفَ فِي الْحَقِيقَةِ.

وَمَا هُنَا أَنْسَبُ بِالْمَقْصُودِ مِمَّا فِي «شرح المختصر»، لَا عَلَى وَجْهِ الْبِنَاءِ^(٢). مِنْ «أَنَّهُمْ اتَّفَقُوا عَلَى أَنَّ إِسْمَاعِيلَ غَيْرُ مَذْبُوحٍ - أَيْ غَيْرُ مَزْهَقِ الرُّوحِ - وَاخْتَلَفُوا هَلْ إِبْرَاهِيمُ ذَابِحٌ»^(٣) أَيْ قَاطِعٌ؟ فَمَوْذَاهُمَا وَاحِدٌ.

وَعِنْدَنَا لَمْ يُؤَمَّرِ الْخَلِيلُ آلَةُ الذَّبْحِ عَلَى مَحَلِّهِ مِنْ ابْنِهِ^(٤)، لِنَسِخِهِ قَبْلَ التَّمَكُّنِ مِنْهُ لِقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿وَلَقَدْ يَنْشَأُ بِذُنُوبٍ عَظِيمَةٍ﴾^(٥).

وَالْجَمْهُورُ عَلَى أَنَّهُ إِسْمَاعِيلُ كَمَا ذَكَرَهُ، لَا إِسْحَاقُ^(٦).

(١) سورة الصافات، الآية: ١٠٢.

(٢) أَيْ أَنَّ مَا هُنَا أَنْسَبُ مِمَّا فِي «شرح المختصر» بِالْمَقْصُودِ لِمَا فِيهِ مِنَ التَّنْبِيهِ عَلَى أَنَّهُ مُبْنِيٌّ عَلَى تَجْوِيزِ الْمَعْتَزَلَةِ مَا ذَكَرَ، وَلَأنَّ الْمَقْصُودَ بَيَانُ تَجْوِيزِهِمْ ذَلِكَ بِاخْتِلَافِهِمْ فِي الذَّابِحِيَّةِ وَاتَّفَاقِهِمْ فِي الْمَذْبُوحِيَّةِ، وَمَا فِي «شرح لمختصر» أَنْسَبُ بِالْبِنَاءِ مِمَّا هُنَا، خِلَافاً لِلزَّرْكَشِيِّ فِي إِطْلَاقِهِ أَوَّلُوَيْتُهُ مَا فِي شَرْحِ الْمَخْتَصَرِ. (التشنيف: ٢٠٧/١، النجوم اللوامع: ٣٨٦/١).

(٣) رَفَعَ الْحَاجِبُ لِلْمَصْنَفِ: ٥١/٤.

(٤) أَيْ فَعِنْدَنَا لَيْسَ إِبْرَاهِيمُ ذَابِحاً، وَلَا إِسْمَاعِيلُ مَذْبُوحاً، لَا بِمَعْنَى الْقَطْعِ، وَلَا بِمَعْنَى إِمْرَارِ الْآلَةِ. وَعِنْدَهُمْ إِبْرَاهِيمُ ذَابِحٌ اتَّفَاقاً مُجَازاً بِمَعْنَى إِمْرَارِ الْآلَةِ، لَا الْحَقِيقَةَ بِمَعْنَى إِزْهَاقِ الرُّوحِ بِالْقَطْعِ، وَإِسْمَاعِيلُ مَذْبُوحٌ عَلَى اخْتِلَافٍ بَيْنَهُمَا بِمَعْنَى الْقَطْعِ، لَا بِمَعْنَى الْإِزْهَاقِ. (النجوم اللوامع: ٣٨٧/١).

(٥) سورة الصافات، الآية: ١٠٧.

(٦) انْظُرْ أَدْلَةَ الْفَرِيقَيْنِ، وَمَنَاقَشَتَهُمَا فِي تَفْسِيرِ ابْنِ كَثِيرٍ (٤/١٣ - ١٨).

فإن قام به ما له اسمٌ وجب الاشتقاق، أو ما ليس له اسمٌ كأنواع الروائح لم يجب.

[بقاء المشتق منه شرط لكون المشتق حقيقة]

والجمهور على اشتراط بقاء المشتق منه في كون المشتق حقيقة إن أمكن، وإلا

(فإن قام به) أي بالشيء (ما) أي وصف (له اسمٌ وجب الاشتقاق) لغة من ذلك الاسم لمن قام به الوصف كاشتقاق «العالم» من «العلم» لمن قام به معناه، (أو) قام بالشيء (ما ليس له اسمٌ كأنواع الروائح)، فإنها لم توضع لها أسماء استغناء عنها بالتقييد كرائحة كذا، وكذلك أنواع الآلام (لم يجب) أي الاشتقاق لاستحالة^(١).

وعدل عن «نفي الجواز» المراد إلى «نفي الوجوب» الصادق به رعاية للمقابلة.

[بقاء المشتق منه شرط لكون المشتق حقيقة]

(والجمهور) من العلماء (على اشتراط بقاء) معنى (المشتق منه) في المحل، (في كون المشتق) المطلق عليه (حقيقة إن أمكن) بقاء ذلك المعنى كالقيام. (وإلا فأخر جزء) أي وإن لم يمكن بقاؤه كالتكلم، لأنه بأصوات تنقضي شيئاً فشيئاً، فالمشترط بقاء آخر جزء (منه). فإذا لم يبق المعنى، أو جزؤه الأخير في المحل يكون المشتق المطلق عليه مجازاً، كالمطلق قبل وجود المعنى، نحو ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ﴾^{(٢)(٣)}.

(١) قاله الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة وغيرهم. (فواتح الرحموت: ١/٢٥٢، شرح التنقيح، ص: ٤٨، مختصر ابن الحاجب: ١/١٨١، المحصول: ١/٢٤٨، شرح الكوكب: ١/٢٢٠).
(٢) سورة الزمر، الآية: ٣٠.

(٣) اتفق العلماء على أن إطلاق الاسم باعتبار الحال كـ «الضارب» لمباشر الضرب حقيقة، وعلى أن إطلاقه باعتبار المستقبل مجاز، ولكنهم اختلفوا في إطلاقه باعتبار الماضي كـ «الضارب» لمن بأشَر الضرب في الماضي لكنه غير مباشر له حال الإطلاق على ثلاثة مذاهب: الأول: أنه مجاز مطلقاً، قاله الحنفية والمالكية والحنابلة، والرازي والبيضاوي والزرکشي من الشافعية.
الثاني: أنه حقيقة مطلقاً، قاله ابن سينا من الفلاسفة وأبو هاشم من المعتزلة.
الثالث: التفصيل الذي ذكره المصنف، قاله جماعة من الحنابلة منهم القاضي أبو يعلى، وأبو الخطاب، واختاره شيخ الإسلام، وعزه المصنف للجمهور، وفيه نظر.

(فواتح الرحموت: ١/٢٥٣، مختصر ابن الحاجب: ١/١٧٦، المحصول: ١/٢٣٩، نهاية السؤل: ١/٢٢٤، التشنيف: ١/٢٠٨، غاية الوصول، ص: ٤٤، شرح الكوكب: ١/٢١٦).

فَأَخِرُ جُزْءٍ مِنْهُ ؛ وَثَالِثُهَا : «الْوَقْفُ» .

وقيل : «لا يُشْتَرَطُ بقاء ما ذُكِرَ ، فيكون المشتقُّ المطلَقُ بعد انقضاءه حقيقةً استصحاباً للإطلاق»^(١) .

(وثالثها) أي الأقوال : (الوقف)^(٢) عن الاشتراط وعدمه ، لتعارض دليليهما .

وإنما عبّر بـ «البقاء» الذي هو استمرار الوجود ، دون «الوجود» الكافي في الاشتراط لئلا يتأتى له حكاية مُقابلته .

وإنما اعتُبر في القسم الثاني «آخر جزء» لتمام المعنى به ، وفي التعبير فيه بـ «البقاء» تسمُّح^(٣) .

(١) قال العبد الفقير غفر الله له ولوالديه : هو مذهب أبي علي بن سينا وأبي هاشم المعتزلي كما سبق في التعليق السابق ، لكن عزاه التاج الأرموي في الحاصل (٣١٢/١) إلى والد أبي هاشم أبي علي الجبائي ، وتبعه المصنف في الإنباج (٢٢٨/١) ، والإسنوي في نهاية السؤل (٢٢٥/١) ، وابن عبد الشكور في مسلم الثبوت (٢٥٤/١) ، وعبد العلي الأنصاري في فواتح الرحموت (٢٥٤/١) . وهو خطأ ، سببه التباس أبي علي ابن سينا بأبي علي الجبائي ، إنم الثاني هو الغالب في كتب الأصول ، في حالة اختصار كلام «المحصول» ، لأنه لم ينقله غير التاج الأرموي من مختصري «المحصول» ، وعبارة المحصول (٢٣٩/١) : «اختلفوا في أن بقاء وجه الاشتقاق هل هو شرط لصدق اسم المشتق؟ والأقرب أنه ليس بشرط خلافاً لأبي علي بن سينا من الفلاسفة ، وأبي هاشم من المعتزلة» ، والله أعلم .

(٢) قال العبد الفقير غفر الله له ولوالديه : لم يُصرَّح أحدٌ بالوقف كما قال الزركشي في التشنيف (١/٢٠٩) ، ولا أعلم من ذكره قبل المصنف ، ولعله أخذه من صنيع الآمدي في الإحكام (٥٠/١) ، وابن الحاجب في المختصر (١٧٦/١) حيث قال : «المسألة الأولى في أن بقاء الصفة المشتق منها هل يُشترط في إطلاق اسم المشتق حقيقة أم لا ؟ فأثبتته قومٌ ، ونفاه آخرون ، وقد فصل بعضهم بين ما هو ممكن الحصول وما ليس ممكناً ، فاشتراط ذلك في الممكن دون غيره» .

ثم ذكرنا أدلة الفريقين الأولين ، ورَدَّهما ، ولم يُرجح شيئاً ، ولكن صنيعهما ظاهر أنهما مع قائلين بالتفصيل كما قال السيد الشريف في حاشيته على شرح العضد (١٧٦/١) ، والله تعالى أعلم .

(٣) لأن الجزء لا يتأتى أنصافه بـ «البقاء» الذي هو استمرار الوجود ، وإلا لم يكن آخراً ، وإنما يتصف بـ «الحصول» . فلو عبّر به كالآمدي في الإحكام (٤٨/١) ، وابن الحاجب في المختصر (١٧٦/١) كان أولى ، لهذا قال الإمام في المحصل (٢٣٩/١) : «المعتبر عندنا حصوله بتمامه إن أمكن ، أو حصول آخر جزء من أجزائه إن لم يمكن» . (النجوم اللوامع : ٣٨٨/١ ، البناني : ٤٥٥/١) .

وَمِنْ ثَمَّ كَانَ اسْمُ الْفَاعِلِ حَقِيقَةً فِي الْحَالِ أَيْ حَالِ التَّلْبِيسِ، لَا التُّطْقِ، خِلَافاً لِلْقَرَفِيِّ.

وما حكاه الآمدي^(١) من عدم الاشتراط فيه، دون الأول، بَحْثُ ذكره في «المحصول»^(٢)، ودفعه بـ «أنه لم يَقُلْ به أحد»، فلذلك تَرَكَهُ المصنّف، خِلَافاً لابن الحاجب^(٣)، وَذَكَرَ بَدْلَهُ «الوقف»^(٤).

(وَمِنْ ثَمَّ) أي من هنا، وهو اشتراط ما ذكر، أي من أجل ذلك (كان اسم الفاعل) من جُمْلَةِ الْمَشْتَقِّ (حَقِيقَةً فِي الْحَالِ، أي حَالِ التَّلْبِيسِ) بالمعنى، أو جزئهِ الْآخِرِ، (لَا) حال (التُّطْقِ).

خِلَافاً لِلْقَرَفِيِّ) في قوله بالثاني، حيث قال في بيان معنى الحال في المشتق: أن يكون التلبس بالمعنى حال التطق به.

وَبَنَى عَلَى ذَلِكَ سَوَالَهُ فِي نصوص «الزَّائِنَةُ وَالزَّائِي فَاجْلِدُوا»^(٥)، «وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا»^(٦)، «فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ»^(٧)، ونحوها: إنها إنما تَتَنَاوَلُ مَنْ اتَّصَفَ بِالْمَعْنَى بعد نزولها الذي هو حال التطق مجازاً، والأصل عدم المجاز، قال: والإجماع على تناولها له حقيقة؟

(١) أي المذهب الثالث الذي ذكره الآمدي في الإحكام (٤٨/١) بقوله: «... وقد فصل بعضهم بين ما هو ممكن الحصول وما ليس ممكناً، فاشتراط ذلك في الممكن دون غيره».

(٢) أي ذكره الإمام في الحصول (٢٣٩/١) بعد أن اختار المذهب الأول اعتراضاً من اعتراضات أصحاب المذهب الثاني، ثم أجاب عنه، فليس هو مذهب ثالث.

(٣) حيث قال في المختصر (١٧٥/١): «مسألة: اشتراط بقاء المعنى في كون المشتق حقيقة، ثالثها: إن كان ممكناً اشترط».

(٤) قال العبد الفقير غفر الله له ولوالديه: حاصل ما قاله الشارح: أن الاعتراض الذي ذكره الإمام الرازي في الحصول (٢٣٩/١) على لسان الخصم، وأجاب عنه، ظنّ الآمدي أنه مذهب ثالث، فذكره كذلك في الإحكام (٤٨/١)، وتبعه ابن الحاجب في المختصر (١٧٥/١)، كما قال الأصفهاني في الكاشف (٩٠/٢)، وتبعه المصنّف في شرح المختصر (٤١٩/١)، ولكن ترك المصنّف هنا المذهب الثالث الذي ذكره الآمدي وابن الحاجب، وذكر بدله الوقف، فقال: «ثالثها: الوقف»، وقد بيّنت ما فيه أيضاً في تعليقنا عليه في الصفحة السابقة، والله تعالى أعلم.

(٥) سورة النور، الآية: ٢.

(٦) سورة المائدة، الآية: ٣٨.

(٧) سورة التوبة، الآية: ٥.

وأجاب: بأن المسألة في المشتق المحكوم به، نحو «زيد ضارب»، فإن كان محكوماً عليه، كما في الآيات المذكورة، فحقيقة مطلقاً^(١).
وقال المصنف تبعاً لوالده في دفع السؤال: «إنَّ المَعْنَى بـ «الحال» حال التلبس بالمعنى^(٢) وإن تأخر عن النطقي بالمشتق فيما إذا كان محكوماً عليه، لا حال النطقي به، الذي هو حال التلبس بالمعنى أيضاً فقط»^(٣).

فأبقيا المسألة على عمومها، وغيرهما كالإسنوي^(٤) سلّم للقرافي تخصيصها.

(١) حاصل كلام القرافي في شرح التنقيح (ص: ٥٠): أن اسم الفاعل حقيقة في حال النطقي، ومجاز فيما بعده، فيترتب عليه أن دلالة مثل قوله تعالى ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ﴾ حقيقة فيمن اتصف بالسرقه حين نزلها، ومجاز فيمن اتصف بها بعده، والإجماع قائم على أن دلالة مثل هذه الآيات حقيقة، فيجتمع بينهما: أن المشتق قد يكون محكوماً به كـ «زيد ضارب»، فهذا هو محل الخلاف، وقد يكون متعلق الحكم نحو ﴿فَأَقْزَوْنَا لَلْمُشْرِكِينَ﴾، فالله تعالى لم يحكم في هذه الآية بشريك أحد، بل حكم بوجوب قتل المشرك، فحينئذ متى كان المشتق متعلق الحكم فهو حقيقة مطلقاً، ولا تفصيل بين الأزمنة ماضيها ومستقبلها، ولا تحكى خلافاً، بل الكل حقيقة إجماعاً. وإن حكمنا بالمشتق على محل المشتق كـ «زيد قاتل» فهو محل الخلاف والتفصيل. والله تعالى أعلم.

(٢) أي أن اسم الفاعل حقيقة في حال التلبس بالفعل، لا حال النطقي باللفظ المشتق، فإن حقيقة «الضارب»، و«المضروب» لا يتقدم على الضرب ولا يتأخر عنه، فعلم أن دلالة نحو ما رواه الشيخان «مَنْ قَتَلَ قَتِيلًا..» حقيقة في زماننا. (التشنيف: ٢٠٩/١).

(٣) قال الزركشي في التشنيف (٢١٠/١): «والحق أن اسم الفاعل لا دلالة له على زمان الخطاب البتة، بل مدلوله شخص متصف بصفة صادرة منه، لا تعرض له لزمان كما هو شأن الأسماء كلها، وإذا لم يدل على الزمان الأعم من الحال فلا يدل على الحال الأخص منه بالأولى. وإنما جاء الفساد من جهة أنهم فهموا من قولنا: «زيد ضارب» أنه ضارب في الحال، فاعتقدوا أن هذا لدلالة اسم الفاعل عليه، وهو باطل، لأنك تقول: «هذا حجر» وتريد إنساناً، فيفهم منه الحال أيضاً مع أن «الحجر» و«الإنسان» لا دلالة لهما على الزمان. وهذا من تحقيق والد المصنف [أي تقي الدين السبكي] رحمه الله تعالى».

(٤) نهاية السؤل للإسنوي: ٢٢٧/١. وتبعه ابن النجار من الحنابلة في شرح الكوكب (٢١٨/١).
والإسنوي: هو عبد الرحيم بن الحسن بن علي القرشي الأموي المصري الشافعي، جمال الدين أبو محمد، الفقيه الأصولي، النحوي النظار، المتكلم، تفقه على التقي السبكي، وأخذ الحديث من أكابر رجاله كالذبوسي، والعربية من أبي حيان، برع في علوم خاصة الأصول والنحو، انتهت إليه رئاسة الشافعية، كان براً متواضعاً، وله مؤلفات قيمة منها: التمهيد، ونهاية السؤل، توفي رحمه الله سنة ٧٧٢هـ بمصر. (الفتح المبين: ١٩٣/٢).

وقيل: «إن طراً على المَحَلِّ وصفٌ وجوديٌّ يُناقِضُ الأوَّلَ لَمْ يُسمَّ إجماعاً».

[المشتقُّ لا يُشعر بالجسم]

وليس في المُشتَقِّ إشعارٌ بِخُصُوصِيَّةِ الدَّاتِ.

مسألة: [أحكامُ المُترادِفِ]

المُترادِفُ واقعٌ، خلافًا لِثُعْلُبِ وابنِ فارسٍ مطلقاً، وللإمامِ في الأسماءِ الشرعيةِ .

وقيل: «إن طراً على المَحَلِّ (لِلوصفِ) (وصفٌ وجوديٌّ يُناقِضُ) (الوصفَ) (الأوَّلَ) كالسوادِ بعد البياضِ، والقيامُ بعد القعودِ (لَمْ يُسمَّ) المَحَلُّ (بالأوَّلِ) أي بالمُشتَقِّ مِنْ اسمِهِ (إجماعاً)، والخلاف في غير ذلك»^(١).

والأصحُّ جريانه فيه، إذ لا يظهر بينه وبين غيره فرقٌ^(٢).

[المشتقُّ لا يُشعر بالجسم]

(وليس في المُشتَقِّ) الذي هو دالٌّ على ذاتٍ متصفّةٍ بِمعنى المُشتَقِّ منه كالأسودِ (إشعارٌ بِخصوصيةٍ) تلكِ (الدَّاتِ) من كونها جسمًا أو غيرَ جسمٍ، لأنَّ قولك مثلاً: «الأسودُ جسمٌ» صحيحٌ، ولو أشعرَ «الأسودُ» فيه بالجسمية لكان بِمِثَابَةِ قولك: «الجسمُ ذو السوادِ جسمٌ» وهو غيرُ صحيحٍ، لعدم إفادته^(٣).

(مسألة: [أحكامُ المُترادِفِ])

المُترادِفُ - وهو كما تقدّم^(٤): اللَّفْظُ الْمُتَعَدِّدُ الْمُتَّحِدُ الْمَعْنَى - (واقعٌ)^(٥) في الكلام.

(١) قاله الأملدي في الإحكام (٥٠/١)، وابنُ النجار في شرح الكوكب (٢١٨/١).

وقال الزركشي في التشنيف (٢١٠/١): «وهو متجهٌ، فلا وجهٌ لتضعيفِ المصنّف».

(٢) واختاره شيخُ الإسلام في النجوم اللوامع (٣٩١/١).

(٣) مثله في فواتح الرحموت (٢٥٩/١)، ومختصر ابن الحاجب (١٨٠/١)، رفع الحاجب (٤٢٥/١).

(٤) أي في «أقسام اللفظ باعتبار وحدة معناه وتعدُّده»: ٢٢٤/١.

(٥) اختلف العلماء في وقوع الترادِفِ على ثلاثة مذاهب:

الأول: أَنَّهُ واقعٌ مطلقاً، قاله الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة.

الثاني: أَنَّهُ غيرُ واقعٍ مطلقاً، قاله ثعلب وأبو علي الفارسي، وابنُ فارس.

وَالْحَدُّ وَالْمَحْدُودُ، وَنَحْوُ «حَسَنٍ بَسَنٍ» غَيْرُ مُتَرَادِفَيْنِ عَلَى الْأَصَحِّ.

(خلافاً لِثَعْلَبٍ^(١)، وابنِ فارس^(٢)) في نفيهما وقوعه (مطلقاً)، قالاً: «وما يُظَنُّ مترادفاً كالإنسان والبشر» فمتباينٌ بالصفة، فالأول باعتبار النسيان، أو أنه يَأْنَسُ، والثاني باعتبار أنه بادي البَشَرَة: أي ظاهر الجلد».

وإنما صرَّح بالمخالف الذي أبهمه غيره^(٣)، لغرابة النَّقْلِ عنه، كما قال^(٤).

(و) خلافاً (للإمام) الرازي في نفيه وقوعه (في الأسماء الشرعية)، قال: «لأنه ثبت على خلاف الأصل، للحاجة إليه في النِّظْمِ والسَّجْعِ مثلاً، وذلك منتفٍ في كلام الشارع»^(٥).

واعترض عليه المصنِّفُ كالقُرَافِي بـ«الفرض والواجب»، وبـ«السنة والتطوع».

ويُجَاب: بأنها أسماء اصطلاحية، لا شرعية. والشرعية: ما وضعها الشارع، كما سيأتي^(٦).

(والحدُّ والمحدودُ) أي كـ«الحيوان الناطق» و«الإنسان» (ونحو «حَسَنٍ بَسَنٍ») أي الاسم وتابعه كـ«عطشان نطشان» (غيرُ مترادفين) أي غيرُ متحدِّي المَعْنَى (على الأصح)^(٧).

أما الأول: فلأنَّ الْحَدَّ يَدُلُّ على أجزاء الماهية تفصيلاً، والمحدود - أي اللفظ الدالُّ عليه - يَدُلُّ عليها إجمالاً، والمفصَّلُ غيرُ المجمل.

ومقابلُ الأصح يقطع النظر عن الإجمال والتفصيل.

= والثالث: أنه واقعٌ في غيرِ الشرعية، قاله الرازي. (الإحكام: ٢٣/١، المحصول: ٢٥٣/١، مختصر ابن الحاجب: ١٣٤/١، شرح الكوكب: ١/١٤١).

(١) وثَعْلَبُ: هو أحمد بن يحيى بن يزيد الشيباني أبو العباس، الملقَّب بـ«ثَعْلَبٍ» إمام الكوفيين في عصره لغةً ونحواً، ولد سنة ٢٠٠هـ، أجمع أهلُ الصناعة أنه لم يكن في زمانه أعلم منه باللغاتِ وغريبها، كان ورعاً ثقةً، ديناً مشهوراً بالحفظ، من كتبه: الفصيح، توفي سنة ٢٩١هـ. (التهذيب للنووي: ٢/٢٧٥).

(٢) وابنُ فارس: هو أحمد بن فارس بن زكريا الرازي، اللغوي، كان إماماً في علوم شتى وخصوصاً اللغة، من كتبه: المجمل في اللغة، توفي رحمه الله سنة ٣٩٠هـ. (وفيات الأعيان: ١/١١٨).

(٣) كابن الحاجب في مختصره (١/١٣٤).

(٤) أي كما قال المصنِّف في منع الموانع (ص: ٤٦٩).

(٥) المحصول للرازي: ١/٢٥٣.

(٦) انظر: «الحقيقة وأقسامها»: ١/٢٤٧.

(٧) قاله الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة. (فواتح الرحموت: ١/٣٧، تيسير التحرير: ١/١٧٨، مختصر ابن الحاجب: ١/١٣٦، التشنيف: ١/٢١٢، شرح الكوكب: ١/١٤٣).

وَالْحَقُّ إِفَادَةُ التَّابِعِ التَّقْوِيَّةِ . وَوُقُوعُ كُلِّ مِنَ الرَّدِيفَيْنِ مَكَانَ الْآخِرِ إِنْ لَمْ يَكُنْ تَعَبُّدٌ

وَأَمَّا الثَّانِي : فَلَأَنَّ التَّابِعَ لَا يُفِيدُ الْمَعْنَى بِدُونِ مَتَبَوِّعِهِ ، وَمِنْ شَأْنِ كُلِّ مُتَرَادِفَيْنِ إِفَادَةُ كُلِّ مِنْهُمَا الْمَعْنَى وَحْدَهُ .

وَالْقَائِلُ بِالْتَرَادِفِ يَمْنَعُ ذَلِكَ ^(١) .

(وَالْحَقُّ إِفَادَةُ التَّابِعِ التَّقْوِيَّةِ) لِلْمَتَبَوِّعِ ، وَإِلَّا لَمْ يَكُنْ لَذِكْرِهِ فَائِدَةٌ ، وَالْعَرَبُ لِحَكْمَتِهَا لَا تَتَكَلَّمُ بِمَا لَا فَائِدَةَ فِيهِ ^(٢) .

ومقابلُ هذا كما أشار إليه قولُ البيضاوي : «والتابع لا يُفيد» ^(٣) عقب قوله : «والتأكيد - يعني المؤكَّد - يُقْوِي الْأَوَّلَ» ، وكأنَّه أراد ما في المحصول : «أَنَّ التَّابِعَ وَحْدَهُ لَا يُفِيدُ» ^(٤) أي المعنى ، يعني بخلاف كُلِّ مِنَ الْمُتَرَادِفَيْنِ ، فَهُوَ عَلَى هَذَا سَاكِتٌ ^(٥) عَنْ إِفَادَةِ التَّقْوِيَّةِ ، لَا نَافٍ لَهَا ^(٦) .

(و) الْحَقُّ (وَقُوعُ كُلِّ مِنَ الرَّدِيفَيْنِ) أَيِ اللَّفْظَيْنِ الْمُتَّحِدِي الْمَعْنَى (مَكَانَ الْآخِرِ ، إِنْ لَمْ يَكُنْ تَعَبُّدٌ بِلَفْظِهِ) ^(٧) أَيِ يَصْحُ ذَلِكَ فِي كُلِّ رَدِيفَيْنِ ، بِأَنْ يُؤْتَى بِكُلِّ مِنْهُمَا مَكَانَ الْآخَرِ فِي الْكَلَامِ ، إِذْ لَا مَانِعَ مِنْ ذَلِكَ .

(١) أي القائلُ بترادُفِ التَّابِعِ والمنبوعِ يَمْنَعُ كَوْنَ التَّابِعِ لَا يُفِيدُ الْمَعْنَى بِدُونِ مَتَبَوِّعِهِ ، وَهَذَا عَلَى ضَعِيفٍ ، إِذِ الْمَشْهُورُ أَنَّ التَّابِعَ الْمَذْكُورَ لَا يُفِيدُ مَفَادَ مَتَبَوِّعِهِ ، وَبِهِ فَارَقَ الْمُتَرَادِفَيْنِ . (النجوم : ١/٣٩٢) .

(٢) قاله الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة . (تيسير التحرير : ١/١٧٨ ، الضياء اللامع : ٢/٢٠٠ ، نِهَايَةُ السُّوْلِ : ١/٢٤٠ ، شرح الكوكب : ١/١٤٤) .

(٣) المنهاج للبيضاوي : ١/٢٣٧ . (مع نِهَايَةِ السُّوْلِ) .

(٤) المحصول للرازي : ١/٢٥٤ . وَبِهِ قَالَ أَيْضاً السَّيْفُ الْأَمْدِيُّ فِي الْإِحْكَامِ (١/٢٤) .

(٥) كَمَا سَكَتَ عَنْهَا الْإِمَامُ فِي الْمَحْصُولِ (١/٢٥٤) ، وَالْأَمْدِيُّ فِي الْإِحْكَامِ (١/٢٤) .

(٦) أَيِ فُلَيْسَ الْبَيْضَاوِيُّ نَافٍ لِإِفَادَةِ «التَّابِعِ» التَّقْوِيَّةِ كَمَا فَهَمَهُ الْمُصَنِّفُ فِي شَرْحِ الْمُنْهَاجِ (١/٢٤٠) ، وَتَعَقُّبُهُ بِقَوْلِهِ : «وَالْتَحْقِيقُ أَنَّهُ يُفِيدُ التَّقْوِيَّةَ ، لِأَنَّهُ لَمْ يُوضَعْ سُدًى» ، وَأَشَارَ إِلَى رَدِّهِ هُنَا بِقَوْلِهِ «وَالْحَقُّ إِفَادَةُ التَّابِعِ التَّقْوِيَّةِ» ، فَحَمَلَ الشَّارِحُ كَلَامَ الْبَيْضَاوِيِّ عَلَى مَا يَدْفَعُ عَنْهُ مَا فَهَمَهُ الْمُصَنِّفُ عَنْهُ ، وَيُؤَافِقُ مَا قَالَ : إِنَّهُ الْحَقُّ ، وَالتَّحْقِيقُ . (النجوم اللوامع : ١/٣٩٣) .

(٧) اختلف العلماء في صحَّةِ وَقُوعِ كُلِّ مِنَ الْمُتَرَادِفَيْنِ مَقَامَ الْآخِرِ عَلَى ثَلَاثَةِ مَذَاهِبٍ : الْأَوَّلُ : يَصْحُ مَطْلَقاً ، قَالَ الْحَنْفِيَّةُ الْمَالِكِيَّةُ وَالشَّافِعِيَّةُ وَالْحَنَابِلَةُ وَغَيْرُهُمْ ؛ الثَّانِي : لَا يَصْحُ مَطْلَقاً ، قَالَ الرَّازِيُّ ، وَصَاحِبُ الْحَاصِلِ وَالتَّحْصِيلِ ؛ الثَّالِثُ : يَصْحُ إِنْ كَانَا مِنْ لُغَةٍ وَاحِدَةٍ ، وَلَا يَصْحُ إِنْ كَانَا مِنْ لُغَتَيْنِ ، قَالَ الْبَيْضَاوِيُّ ، وَالْإِسْنَوِيُّ . (التحرير والتجوير : ٢/٣٧٨ ، مختصر ابن الحاجب : ١/١٣٧ ، نِهَايَةُ السُّوْلِ : ١/٢٤٥ ، الْحَاصِلُ : ١/٣٢٢ ، التَّحْصِيلُ : ١/٢١٠ ، شرح الكوكب : ١/١٤٥) .

بَلْفِظِهِ، خِلَافًا لِلْإِمَامِ مُطْلَقًا، وَلِلْبَيْضَاوِيِّ وَالْهِنْدِيِّ إِذَا كَانَا مِنْ لُغَتَيْنِ.

- (خِلَافًا لِلْإِمَامِ) الرَّازِي فِي نَفْيِهِ ذَلِكَ (مُطْلَقًا) أَيِ مِنْ لُغَتَيْنِ، أَوْ لُغَةٍ، قَالَ: «لَأَنَّكَ لَوْ أَتَيْتَ مَكَانَ «مِنْ» فِي قَوْلِكَ مَثَلًا: «خَرَجْتُ مِنَ الدَّارِ» بِمَرَادِفِهَا بِالْفَارْسِيَةِ أَيِ «أَزْ» بِفَتْحِ الْهَمْزَةِ وَسُكُونِ ١١٣ الرَّازِي، لَمْ يَسْتَقِمِ الْكَلَامُ، لِأَنَّ ضَمَّ لُغَةٍ إِلَى أُخْرَى بِمِثَابَةِ ضَمِّ مُهْمَلٍ إِلَى مُسْتَعْمَلٍ.
- قَالَ: وَإِذَا عَقِلَ ذَلِكَ فِي لُغَتَيْنِ، فَلَيْمَ لَا يَجُوزُ مِثْلُهُ فِي لُغَةٍ، أَيِ لَا مَانِعَ مِنْ ذَلِكَ.
- وَقَالَ: إِنَّ الْقَوْلَ الْأَوَّلَ - أَيِ الْجَوَازُ - الْأَظْهَرُ فِي أَوَّلِ النَّظَرِ، وَالثَّانِي الْحَقُّ^(١).
- (و) خِلَافًا (لِلْبَيْضَاوِيِّ وَ) الصَّنْفِيِّ (الْهِنْدِيِّ) فِي نَفْيِ مَا ذُكِرَ (إِذَا كَانَا) أَيِ الرَّدِّيْفَانِ (مِنْ لُغَتَيْنِ)^(٢)، لِمَا تَقَدَّمَ.
- أَمَّا مَا تُعْبَدُ بِلَفْظِهِ كَتَكْبِيرَةِ الْإِحْرَامِ عِنْدَنَا لِلْقَادِرِ عَلَيْهَا، فَلَا يَقُومُ مَرَادِفُهُ مَقَامَهُ، لِعُرُوضِ التَّعَبُّدِ^{(٣)(٤)}.
- و «يَكُنْ» قَالَ الْمُصَنِّفُ: «تَامَّةٌ»^(٥)، فَ «تُعْبَدُ» بِلَفْظِ الْمَصْدَرِ فَاعِلُهَا، وَضَمِيرُ «بَلْفِظِهِ» لِ «الْآخِرِ».

(١) المحصول للرازي: ٢٥٦/١.

(٢) المنهاج للبيضاوي: ٢٤١/١ (نهاية السؤل).

وفي كلامه إشارة كما قال الزركشي في التشنيف (٢١٤/١)، والعراقي في الغيث الهامع (١٦٦/١) إلى أَنَّ الْخِلَافَ فِي حَالِ التَّرْكِيبِ، أَمَا فِي حَالِ الْإِفْرَادِ كَمَا فِي تَعْدِيدِ الْأَشْيَاءِ فَلَا خِلَافَ فِي جَوَازِهِ. وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ.

(٣) أَيِ عِنْدَ الْمَالِكِيَةِ وَالشَّافِعِيَةِ وَالْحَنَابِلَةِ، خِلَافًا لِلْحَنَفِيَّةِ فِي تَجْوِيزِهِمْ قِيَامَ الْمَرَادِفِ مَقَامَ التَّكْبِيرِ. (الهداية: ٤٧/١، الشرح الكبير: ٢٣٢/١، المغني: ٢٧٥/١).

(٤) قَالَ الزَّرْكَشِيُّ فِي التَّشْنِيفِ (٢١٤/١) وَالْعِرَاقِيُّ فِي الْغَيْثِ الْهَامِعِ (١٦٦/١) وَشَيْخُ الْإِسْلَامِ فِي النُّجُومِ الْمُلَوَّاعِ (٣٩٣/١): «فِي هَذَا الْقَبْدِ نَظَرٌ، فَإِنَّ الْمَنْعَ هُنَاكَ لِعَارِضٍ شَرْعِيٍّ، وَالْبَحْثُ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ إِنَّمَا هُوَ مِنْ جِهَةِ اللُّغَةِ، وَهَذَا هُوَ الْفَرْقُ بَيْنَ هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ وَمَسْأَلَةِ الرِّوَايَةِ بِالْمَعْنَى، فَإِنَّهُمَا مُتَشَابِهَانِ، وَالْفَرْقُ بَيْنَهُمَا: أَنَّ الْمُسْتَنَدَ فِي الْجَوَازِ هُنَا أَوْ الْمَنْعُ اللَّغَةُ، وَهُنَاكَ الشَّرْعُ».

(٥) منع الموانع للمصنف (ص: ٤٧٤).

مسألة: [أَحْكَامُ الْمُشْتَرَكِ]

الْمُشْتَرَكُ وَاقِعٌ خِلَافاً لِتَغْلِبِ وَالْأَبْهَرِي وَالْبَلْخِي مُطْلَقاً؛ وَلِقَوْمٍ فِي الْقُرْآنِ؛

(مسألة: [أَحْكَامُ الْمُشْتَرَكِ])

(المشترك) - وهو (وهو) كما تقدّم^(١): اللفظ الواحد المتعدد المعنى الحقيقي - (واقع)^(٢) في الكلام جوازاً.

(خِلَافاً لِتَغْلِبِ وَالْأَبْهَرِي^(٣) وَالْبَلْخِي) فِي نَفْيِهِمْ وَقَوْعَهُ (مُطْلَقاً)، قَالُوا: «وَمَا يُظَنُّ مُشْتَرَكاً، فَهُوَ إِمَّا حَقِيقَةٌ وَمَجَازٌ، أَوْ مُتَوَاطِئٌ، كَ «الْعَيْنِ» حَقِيقَةٌ فِي الْبَاصِرَةِ، مُجَازٌ فِي غَيْرِهَا كَالذَّهَبِ لَصَفَائِهِ، وَالشَّمْسِ لَضِيَائِهَا؛

وَكِ «الْقَرَاءِ» مَوْضُوعٌ لِلْقَدْرِ الْمُشْتَرَكِ بَيْنَ الْحَيْضِ وَالطَّهْرِ، وَهُوَ الْجَمْعُ، مِنْ «قَرَأْتُ الْمَاءَ فِي الْحَوْضِ» أَيْ جَمَعْتُهُ فِيهِ، وَالدَّمُ يَجْتَمِعُ فِي زَمَنِ الطَّهْرِ فِي الْجَسَدِ، وَفِي زَمَنِ الْحَيْضِ فِي الرَّجَمِ.

وَمَا هُنَا عَنِ الثَّلَاثَةِ أَقْرَبُ مِمَّا فِي شَرْحِي «الْمَخْتَصِرِ» وَ«الْمُنْتَهِجِ»: «أَنْتَهُمُ أَحَالُوهُ»^(٤).

١١٤

(و) خِلَافاً (لِقَوْمٍ) فِي نَفْيِهِمْ وَقَوْعَهُ (فِي الْقُرْآنِ)^(٥).

قِيلَ: «وَالْحَدِيثِ» أَيْضاً^(٦)، قَالُوا: «لَوْ وَقَعَ فِي الْقُرْآنِ لَوَقَعَ إِمَّا مُبَيَّنّاً، فَيَطُولُ بَلَا فَائِدَةٍ، أَوْ غَيْرَ مُبَيَّنٍّ، فَلَا يُفِيدُ، وَالْقُرْآنُ يُنَزَّهُ عَنْ ذَلِكَ».

وَمَنْ نَفَى الْوُقُوعَ فِي الْحَدِيثِ يَقُولُ مِثْلَ ذَلِكَ فِيهِ.

(١) أي في «أقسام اللفظ باعتبار وحدته معناه وتعددته»: ١٩٦/١.

(٢) اختلف العلماء في «المشترك» قال قومٌ بوجوبه، وقومٌ بامتناعه، والجماهير بجوازه، ثم اختلف الجماهير في وقوعه على سبعة مذاهب كما ذكر المصنف، وأصحها (هو الوقوع) الذي عليه الحنفية والمالكية الشافعية والحنابلة. (فواتح الرحموت: ٢٦٦/١، مختصر ابن الحاجب: ١٢٨/١، الإحكام: ٢٠/١، غاية الوصول، ص: ٤٥، رفع الحاجب: ٣٥٧/١، شرح الكوكب: ١٣٩/١).

(٣) والأبهرى: هو محمد بن عبد الله به محمد التميمي الأبهري المالكي، أبو بكر، انتهت إليه رئاسة المالكية ببغداد في عصره، كان من أئمة القراء، وكان ورعاً زاهداً ثقةً، يتصدّر لمجالس العلم، من كتبه: إجماع أهل المدينة، الرد على المزني، توفي سنة ٣٧٥هـ ببغداد. (شذرات الذهب: ٨٥/٣).

(٤) رفع الحاجب للمصنف (٣٥٧/١)، والإنهاج للمصنف (٢٤٨/١).

(٥) قاله داود وأصحابه. (التشنيف: ٢١٤/١).

(٦) قاله بعض العلماء. (التشنيف: ٢١٤/١).

وقيل: «والحديث»؛ وقيل: «واجب الوقوع»؛ وقيل: «مُمتنع»؛ وقال الإمام: «مُمتنع بين التقيضين فقط».

مسألة: [إطلاق المُشترك على معانيه معاً]

المُشترك يصح إطلاقه على معنَييه معاً مجازاً ؛

وأجيب: باختيار أنه وقع فيهما غير مبين، ويُفيد إرادة أحد معنَييه مثلاً الذي سيُبين، وذلك كافٍ في الإفادة، ويترتب عليه في الأحكام الثواب أو العقاب بالعزم على الطاعة أو العصيان بعد البيان، فإن لم يُبين حُمل على المعنَيين كما سيأتي^(١).

(وقيل): «هو (واجب الوقوع)، لأن المعاني أكثر من الألفاظ الدالة عليها»^(٢).

وأجيب بمنع ذلك، إذ ما من مُشترك إلا ولكل من معنَييه مثلاً لفظ يدل عليه.

(وقيل): «هو (مُمتنع)، لاختلافه بفهم المراد المقصود من الوضع»^(٣).

وأجيب: بأنه يفهم بالقرينة، والمقصود من الوضع الفهم التفصيلي أو الإجمالي المبين بالقرينة، فإن انتفت حُمل على المعنَيين كما سيأتي^(٤).

(وقال الإمام الرازي: «هو (مُمتنع بين التقيضين فقط) كوجود الشيء وانتفائه، إذ لو جاز وضع لفظ لهما لم يُفد سماعه غير التردّد بينهما، وهو حاصل في العقل»^(٥)).

وأجيب: بأنه قد يغفل عنهما فيستحضرهما بسماعه، ثم يبحث عن المراد منهما.

مسألة: [إطلاق المُشترك على معانيه معاً]

المُشترك يصح لغة (إطلاقه على معنَييه) مثلاً (معاً)^(٦)، بأن يُرادَا به من متكلم واحد، في

(١) انظر: «مسألة: إطلاق المشترك على معانيه معاً».

(٢) قاله بعض العلماء. (البحر: ٢/١٢٢).

(٣) قاله بعض العلماء. (الإحكام: ١/٢٠، المحصول: ١/٢٦٢).

(٤) المحصول للرازي: ١/٢٦٧.

(٥) انظر: «مسألة: إطلاق المشترك على معانيه معاً».

(٦) اختلف العلماء في جواز استعمال «المشترك» في جميع معانيه معاً على مذاهب أشهرها اثنان: المذهب الأول: الجواز، قاله المالكية والشافعية والحنابلة والمعتزلة. ثم اختلف هؤلاء في هذا الاستعمال على مذهبين: أحدهما: أنه حقيقة، نُقل عن الشافعي والقاضي والمعتزلة؛ ثانيهما: أنه مجاز قاله المالكية والشافعية والحنابلة.

وعن الشافعي والقاضي والمعتزلة: «حقيقة». زاد الشافعي: «وظاهرُ فيهما عند التجرد عن القرائن، فيُحْمَلُ عليهما»؛ وعن القاضي: «مُجْمَلٌ، ولكن يُحْمَلُ عليهما احتياطاً»، وقال أبو الحسين والغزالي: «يَصِحُّ أَنْ يُرَادَ، لَا أَنَّهُ لُغَةٌ»،

وقتٍ واحدٍ كقولك: «عندي عينٌ» وتريد الباصرة والجارية مثلاً، و«مَلْبُسِي الْجَوْنُ» وتريد الأسود والأبيض، و«أَفْرَأْتُ هُنْدَ» وتريد حاضت و طهرت؛

(مَجَازاً)، لأنه لم يُوَضَّعَ لهما معاً، وإنما وُضِعَ لكلٍ منهما من غير نظير إلى الآخر، بأن تعدد الواضع، أو وضع الواحد^(١) نسياناً للأول.

(وعن^(٢) الشافعي والقاضي) أبي بكر الباقلاني (والمعتزلة): «هو (حقيقة)، نظراً لوضعه لكلٍ منهما». (زاد الشافعي: «وظاهرُ فيهما عند التجرد عن القرائن) المعينة لأحدهما، كالمصحوب بالقرائن المعممة لهما، (فيُحْمَلُ عليهما)، لظهوره فيهما»^(٣).

(وعن القاضي): «هو عند التجرد عن القرائن المعينة والمعممة (مُجْمَلٌ) أي غير متّضح المراد منه، (ولكن يُحْمَلُ عليهما احتياطاً)»^(٤).

(وقال أبو الحسين البصري، (و الغزالي: «يَصِحُّ أَنْ يُرَادَ) به ما دُكِرَ من معنييه عقلاً، (لا أنه) أي ما يُرَادُ من معنييه (لغةً)، لا حقيقةً، ولا مجازاً، لمخالفته لوضعه السابق، إذ قضيه أن يُستعمل في كلٍ منهما مُنفرداً فقط»^(٥).

= المذهب الثاني: لا يجوز، قاله الحنفية، وابن الصباغ والإمام من الشافعية، وأبو الخطاب وابن القيم من الحنابلة. (فوائح الرحموت: ١/٢٦٧، شرح التنقيح، ص: ٤٤، مختصر ابن الحاجب: ١/١٢٨، المحصول: ١/٢٦٩، غاية الوصول، ص: ٤٦، شرح الكوكب: ١/١٩١).

(١) أي أو تعدد وضع الواحد ناسياً أو قاصداً الإبهام أو غيرهما من المقاصد. (البناني: ١/٤٦٧).

(٢) عبّر به «عن» إشارة إلى أن النقل عن هؤلاء غير مجزوم، وهو كذلك في حق الشافعي وإن نقله عنه الآمدي في الإحكام (١/٢٢) بالجزم. (النجوم اللوامع: ١/٣٩٧، التشنيف: ١/٢١٦).

(٣) إذا اقترنت بالمشتراك قرينة تُبيّن المراد به غملاً بها، وأما إذا خلى عنها اختلف العلماء فيه على ثلاثة مذاهب: الأول: يُحْمَلُ على جميع معانيه ظاهراً كالعام، قاله الشافعية والحنابلة. الثاني: أنه كالمجمل، يحتاج إلى المبيّن، قاله الحنفية. الثالث: الوقف، قاله القاضي أبو بكر. (كشف الأسرار: ١/٦٥، التشنيف: ١/٢١٦، شرح الكوكب: ٣/١٩٢).

(٤) هذا ما نقله الإمام في المحصول (١/٢٧٤) عن القاضي، وتبعه البيضاوي في المنهاج (١/٢٧٤)، والمصنّف هنا، ونقل عنه الآمدي في الإحكام (١/٢٢) أنه من باب العموم فيُحْمَلُ على جميع معانيه كالعام، والصواب عنه الوقف كما في كتابه التقريب (ص: ٤٢٧). (التشنيف: ١/٢١٦).

(٥) المتصفي للغزالي: ٢/١١٧.

وقيل: «يَجُوزُ فِي النَّفْيِ، لَا الْإِثْبَاتِ».
 والأكْثَرُ عَلَى أَنَّ جَمْعَهُ بِاعْتِبَارِ مَعْنِيهِ إِنَّ سَاعَ مَبْنِيٍّ عَلَيْهِ.

وعلى هذا النفي البيانيون وغيرهم.

(وقيل: «يَجُوزُ» لغةً أَنْ يُرَادَ بِهِ الْمَعْنَيَانِ (في النفي، لا) في (الإثبات) فنحو «لَا عَيْنٌ عِنْدِي»، يَجُوزُ أَنْ يُرَادَ بِهِ الْبَاصِرَةُ، وَالذَّهَبُ مَثَلًا، بِخِلَافِ «عِنْدِي عَيْنٌ»، فَلَا يَجُوزُ أَنْ يُرَادَ بِهِ إِلَّا مَعْنَى وَاحِدٌ، وَزِيَادَةُ النَّفْيِ عَلَى الْإِثْبَاتِ مَعْهُودَةٌ، كَمَا فِي عُمُومِ النِّكَرَةِ الْمُنْفِيَةِ دُونَ الْمُثَبِّتَةِ^(١).

وفي نسخة بدل «يَجُوزُ» «يَصِحُّ» وهو أنسب.

والخلاف فيما إذا أمكن الجمع بين المعنيين، كما في الأمثلة المذكورة، فإن امتنع كما في استعمال صيغة «أَفْعَلٌ» في طلب الفعل و التهديد عليه على ما سيأتي^(٢) مرجوحاً أنها مشتركة بينهما، فلا يصح قطعاً، ولظهور ذلك سكّت المصنف عن التنبيه عليه.

(والأكْثَرُ)^(٣) من العلماء (على أَنَّ جَمْعَهُ بِاعْتِبَارِ مَعْنِيهِ) كقولك: «عِنْدِي عَيُونٌ» وتريد مثلاً باصرتين وجاريةً، أو باصرةً وجاريةً وذهباً، (إِنَّ سَاعَ) ذلك الجمع، وهو ما رجّحه ابنُ مالك، وخالفه أبو حيان، (مَبْنِيٍّ عَلَيْهِ) في صحّة إطلاقه على معنّيه، كما أَنَّ الْمَنْعَ مَبْنِيٍّ عَلَى الْمَنْعِ.

والأقلُّ على أَنَّهُ لَا يُبْنَى عَلَيْهِ فِيهَا فَقَطْ، بَلْ يَأْتِي عَلَى الْمَنْعِ أَيْضاً، لِأَنَّ الْجَمْعَ فِي قُوَّةِ تَكْرِيرِ الْمَفْرُودَاتِ بِالْعَطْفِ، فَكَأَنَّهُ اسْتَعْمَلَ كُلَّ مَفْرُودٍ فِي مَعْنَى.

ولو لم يَقُلْ الْمَصْنُفُ: «إِنَّ سَاعَ» الْمَزِيدَ عَلَى ابْنِ الْحَاجِبِ^(٤) وَغَيْرِهِ^(٥) كَانَ الْمَعْنَى: «أَنَّ الْجَمْعَ مَبْنِيٍّ عَلَى الْمَفْرُودِ، صَحَّةً وَمَنْعاً؛ وَقِيلَ: لَا، بَلْ يَصِحُّ مُطْلَقاً»، فمؤدّي العبّارتين واحدٌ، والزِيَادَةُ أَصْرَحُ فِي التَّنْبِيهِ عَلَى الْخِلَافِ.

(١) قاله المرغيناني من الحنفية في باب الوصية من الهداية (٤/٢٥٢).

(٢) انظر: «الأمر المطلق للوجوب»: ٢٧٥/١.

(٣) أي من المالكية والشافعية والحنابلة وغيرهم. (مختصر ابن الحاجب: ١١١/٢، التشنيف: ٢١٧/١، رفع الحاجب: ١٣٧/٣، الغيث الهامع: ١٦٩/١، شرح الكوكب: ١٩٣/٢).

(٤) عبارته في المختصر (١١١/٢): «وَالْأَكْثَرُ أَنَّ جَمْعَهُ [أَيِ الْمَشْتَرَكِ] بِاعْتِبَارِ مَعْنِيهِ مَبْنِيٍّ عَلَيْهِ».

(٥) كالآمدي في الإحكام ٤٥٣/٠٢، والرهوني في تحفة المسؤول (١١٩/٣).

[حَمْلُ اللَّفْظِ عَلَى الْحَقِيقَةِ وَالْمَجَازِ مَعاً]

وَفِي الْحَقِيقَةِ وَالْمَجَازِ الْخِلَافُ خِلَافاً لِلْقَاضِي . وَمِنْ ثَمَّ

[حَمْلُ اللَّفْظِ عَلَى الْحَقِيقَةِ وَالْمَجَازِ مَعاً]

(وفي الحقيقة والمجاز) هل يصح أن يُرادَ معاً باللفظ الواحد؟ كما في قولك: «رأيت الأسد» وتُرِيدُ الْحَيَوَانَ الْمَفْتَرَسَ وَالرَّجُلَ الشَّجَاعَ، (الخلافاً) في المشترك^(١).

(خلافاً للقاضي) أبي بكر الباقلاني، في قطعه بعدم صحة ذلك، قال: «لِمَا فِيهِ مِنَ الْجَمْعِ بَيْنَ مَتَنَيْنِ، حَيْثُ أُريدُ بِاللَّفْظِ الْمَوْضُوعُ لَهُ - أَيْ أَوَّلًا - وَغَيْرُ الْمَوْضُوعِ لَهُ مَعاً»^(٢).
وأجيب: بأنه لا تنافي بين هذين.

وعلى الصحة يكون مجازاً، أو حقيقةً و مجازاً باعتبارين على قياس ما تقدّم^(٣) عن الشافعي وغيره .

و يُحْمَلُ عَلَيْهِمَا إِنْ قَامَتْ قَرِينَةٌ عَلَى إِرَادَةِ الْمَجَازِ مَعَ الْحَقِيقَةِ كَمَا حَمَلَ الشَّافِعِيُّ الْمُلَامَسَةَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿أَوْ لَمْ يَسْمُ الْإِنْسَاءُ﴾^(٤) عَلَى الْجَسِّ بِالْيَدِ، وَالْوَطْءِ^(٥).

(وَمِنْ ثَمَّ) أَي مِنْ هُنَا، وَهُوَ الصَّحَّةُ الرَّاجِحَةُ الْمُبَيِّنُ عَلَيْهَا الْحَمْلُ عَلَيْهِمَا، أَي مِنْ أَجْلِ

(١) ذهب المالكية والشافعية والحنابلة إلى الجواز، وأنه يُحْمَلُ عَلَيْهِمَا مَعاً؛ وَذَهَبَ الْحَنَفِيُّ إِلَى عَدَمِ الْجَوَازِ. (فوائح الرحموت: ٢٩٥/١)، مختصر ابن الحاجب: ١١١/٢، التشنيف: ٢١٨/١، شرح الكوكب: ١٩٥/٣، رفع الحاجب: ١٣٥/٣، الغيث الهامع: ١٧٠/١).

(٢) كَذَا نَقَلَهُ الْمُصَنِّفُ عَنِ الْقَاضِي، وَوَقَّعَهُ الزُّرْكَشِيُّ فِي التَّشْنِيفِ (٢١٨/١)، فَقَالَ: «لَمْ يَمْنَعْ الْقَاضِي اسْتِعْمَالَهُ فِي حَقِيقَتِهِ وَمَجَازِهِ، وَإِنَّمَا مَنَعَ حَمْلَهُ عَلَيْهِمَا بِغَيْرِ قَرِينَةٍ، فَاخْتَلَطَتْ مَسْأَلَةُ الاسْتِعْمَالِ بِمَسْأَلَةِ الْحَمْلِ.

وَمَوْضِعُ الْخِلَافِ كَمَا فَرَضَهُ ابْنُ السَّمْعَانِيِّ [فِي الْقَوَاطِعِ: ٢٧٩/١]: فِيمَا إِذَا سَاوَى الْمَجَازُ الْحَقِيقَةَ لَشَهْرَتِهِ، وَإِلَّا امْتَنَعَ الْحَمْلُ قِطْعاً، لِأَنَّ الْمَجَازَ لَا يُعْلَمُ تَنَاوُلُ اللَّفْظِ لَهُ إِلَّا بِقَبْدٍ، وَالْحَقِيقَةُ تُعْلَمُ بِالْإِطْلَاقِ». وَأَفَرَّهَ الْعِرَاقِيُّ فِي الْغَيْثِ الْهَامِعِ (١٧٠/١)، وَشَيْخُ الْإِسْلَامِ فِي النُّجُومِ الْلُوامِعِ (٣٩٩/١).

(٣) انظر: «مسألة: إطلاق المشترك على معانيه معاً»: ٢٤١/١ .

(٤) سورة النساء، الآية: ٤٣.

(٥) قاله المالكية والشافعية والحنابلة؛ وَحَمَلَهُ الْحَنَفِيُّ عَلَى الْمَجَازِ وَهُوَ الْوَطْءُ لِقَرِينَةٍ عَنْهُمْ تَصْرِفُهَا عَنِ الْحَقِيقَةِ إِلَى الْمَجَازِ .

(البحر الرائق: ٤٧/١، شرح التنقيح، ص: ١١٤، النجوم اللوامع: ٤٠٠/١، شرح الكوكب: ١٩٦/٣).

عَمَّ نَحْوُ ﴿وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ﴾ الواجب والمندوب، خلافاً لِمَنْ خَصَّهُ بِالْوَاجِبِ، وَمَنْ قَالَ: «لِلْقَدْرِ الْمُشْتَرَكِ».

[إرادة المجازين معاً]

وكذا المَجَازَانِ .

ذلك (عَمَّ نَحْوُ ﴿وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ﴾^(١) الواجب والمندوب) حملاً لصيغة «افعل» على الحقيقة والمجاز من الوجوب والتدب بقرينة كون متعلقها كالتدب شاملاً للواجب والمندوب. (خلافاً لِمَنْ خَصَّهُ بالواجب) بناءً على أنه لا يُراد المجاز مع الحقيقة^(٢).

(وَمَنْ قَالَ): «هو (للقدر المشترك) بين الواجب والمندوب، أي مطلوب الفعل» بناءً على القول الآتي^(٣): «إن الصيغة حقيقة في القدر المشترك بين الوجوب والتدب أي طلب الفعل»^(٤).

[إرادة المجازين معاً]

(وكذا المَجَازَانِ) هل يصح أن يُراداً معاً باللفظ الواحد؟ كقولك مثلاً: «والله لا أشتري» وتريد السوم والشراء بالوكيل، فيه الخلاف في المشترك. وعلى الصحة الراجحة يُحمل عليهما إن قامت قرينة على إرادتهما أو تساويًا في الاستعمال ولا قرينة تُبين أحدهما^(٥).

و إطلاق «الحقيقة والمجاز» على المعنى كما هنا مجازي من إطلاق اسم الدال على المدلول.

(١) سورة الحج، الآية: ٧٧.

(٢) قاله الحنفية. (التلويح: ١/١٣٩).

(٣) انظر: «الأمر المطلق للوجوب»: ١/٣٠٩.

(٤) قاله أبو الحسين البصري من المعتزلة، والشيخ عبد الرحيم والد الحافظ تقي الدين من الحنابلة.

(شرح الكوكب: ٨/٣).

(٥) قاله المالكية والشافعية والحنابلة.

(شرح التنقيح، ص: ١١٤، الضياء اللامع: ٢/٢٢١، التشنيف: ١/٢١٩، الغيث الهامع: ١/١٧٠،

شرح الكوكب: ٣/١٩٧).

رَفَعُ

عبد الرحمن النخدي
أسكنه الله الفردوس

الحَقِيقَةُ وَالْمَجَازُ

[الْحَقِيقَةُ، وَأَقْسَامُهَا]

الْحَقِيقَةُ: لَفْظٌ مُسْتَعْمَلٌ فِيْمَا وَضِعَ لَهُ ابْتِدَاءً. وَهِيَ لُغَوِيَّةٌ، وَعُرْفِيَّةٌ، وَشَرْعِيَّةٌ. وَوَقَعَ الْأَوَّلِيَانِ. وَنَفَى قَوْمٌ إِمْكَانَ الشَّرْعِيَّةِ؛ وَالْقَاضِي وَابْنُ الْقَشِيرِي وَقَوْعَهَا؛

[الْحَقِيقَةُ، وَأَقْسَامُهَا]

(الحقيقة: لَفْظٌ مُسْتَعْمَلٌ فِيْمَا وَضِعَ لَهُ ابْتِدَاءً). فَخَرَجَ عَنْهَا اللَّفْظُ الْمُهِمَلُ، وَمَا وَضِعَ وَلَمْ ١١٨ يُسْتَعْمَلَ، وَالْغَلْطُ قَوْلُكَ: «خُذْ هَذَا الْفَرَسَ» مُشِيرًا إِلَى جِمَارٍ، وَالْمَجَازُ.

(وهي: ١- لُغَوِيَّةٌ) بِأَنْ وَضَعَهَا أَهْلُ اللُّغَةِ بِاصْطِلَاحٍ أَوْ تَوْقِيفٍ كـ «الْأَسَدُ» لِلْحَيَوَانِ الْمَفْتَرَسِ.

٢- (وَعُرْفِيَّةٌ) بِأَنْ وَضَعَهَا أَهْلُ الْعُرْفِ الْعَامِّ كـ «الدَّابَّةُ» لِذَوَاتِ الْأَرْبَعِ كَالْحِمَارِ، وَهِيَ لُغَةٌ لِكُلِّ مَا يَدْبُ عَلَى الْأَرْضِ، أَوْ الْخَاصُّ كـ «الْفَاعِلُ» لِلْأَسْمِ الْمَعْرُوفِ عِنْدَ النَّحَاةِ.

٣- (وَشَرْعِيَّةٌ) بِأَنْ وَضَعَهَا الشَّارِعُ كـ «الصَّلَاةِ» لِلْعِبَادَةِ الْمَخْصُوصَةِ^(١).

(وَوَقَعَ الْأَوَّلِيَانِ) أَيِ اللَّغَوِيَّةِ وَالْعُرْفِيَّةِ بِقِسْمَيْهَا جَزْمًا^(٢).

وَفِي خَطِّ الْمَصْنَفِ «الْأَوَّلَانِ» بِالْفَوْقَانِيَةِ مِثْنَى «الْأَوَّلَةُ»، وَهِيَ لُغَةٌ قَلِيلَةٌ جَرَتْ عَلَى الْأَلْسِنَةِ، وَالْكَثِيرُ^(٣) «الْأَوَّلَى» كَمَا ذَكَرَهُ النَّوَوِي فِي «مَجْمُوعِهِ»^(٤)، فَمُسْتَأْهُ «الْأَوَّلِيَانِ» بِالتَّحْتَانِيَةِ مَعَ ضَمِّ الْهَمْزَةِ.

(وَنَفَى قَوْمٌ^(٥) إِمْكَانَ الشَّرْعِيَّةِ) بِنَاءً عَلَى أَنَّ بَيْنَ اللَّفْظِ وَالْمَعْنَى مَنَاسِبَةٌ مَانِعَةٌ مِنْ نَقْلِهِ إِلَى غَيْرِهِ.

(و) نَفَى (القاضي) أَبُو بَكْرٍ الْبَاقِلَانِي (وَابْنُ الْقَشِيرِي)^(٥) وَقَوْعَهَا) قَالَا: «وَلَفْظُ

(١) وَاعْلَمْ أَنَّ الْمُرَادَ بِالْوَضْعِ فِي الْحَقِيقَةِ الشَّرْعِيَّةِ وَالْعُرْفِيَّةِ هُوَ غَلْبَةُ الِاسْتِعْمَالِ، وَفِي اللَّغَوِيَّةِ هُوَ تَخْصِيصُهُ بِهِ وَجْعَلُهُ دَلِيلًا عَلَيْهِ. (نَهَايَةُ السُّؤَالِ: ١/ ٢٧٩).

(٢) ذَهَبَ الْجَمَاهِيرُ إِلَّا الْمُرْجَّةَ إِلَى إِمْكَانِ الْحَقِيقَةِ اللَّغَوِيَّةِ وَالْعُرْفِيَّةِ، بَلْ لَمْ يَتَّبِعِ الْإِمَامُ الرَّازِي وَالسَّيْفُ الْأَمْدِي خِلَافَ الْمُرْجَّةِ، وَقَالَا: «وَفَاقًا»، ثُمَّ اخْتَلَفُوا فِي وَقُوعِهَا عَلَى أَرْبَعَةِ مَذَاهِبٍ، وَالْخِلَافُ مَفْرُوضٌ فِيْمَا اسْتَعْمَلَهُ الشَّارِعُ مِنْ أَسْمَاءِ أَهْلِ اللُّغَةِ كـ «الصَّلَاةِ»، وَالصُّومِ» هَلْ خَرَجَ بِهِ عَنْ وَضْعِهِمْ أَمْ لَا؟ (الْمَحْصُولُ لِلرَّازِي: ١/ ٢٩٨، الْإِحْكَامُ: ١/ ٣٣، التَّنْصِيفُ: ١/ ٢٢١).

(٣) الْمَجْمُوعُ، كِتَابُ الزَّكَاةِ، بَابُ صَدَقَةِ الْإِبِلِ: ٥/ ٢٥٦.

(٤) أَيِ الْمُرْجَّةِ. (الْإِنْهَاجُ: ١/ ٢٧٦، التَّنْصِيفُ: ١/ ٢٢١).

(٥) وَابْنُ الْقَشِيرِي: هُوَ بَكْرُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْعَلَاءِ الْقَشِيرِي الْمَالَكِي، أَبُو الْفَضْلِ، الْبَصْرِيُّ، تَوَلَّى الْقَضَاءَ بِبَعْضِ نَوَاحِي الْعِرَاقِ، ثُمَّ رَحَلَ إِلَى مِصْرَ وَتَوَلَّى الْقَضَاءَ بِهَا، كَانَ رَاوِيًا لِلْحَدِيثِ مُلِمًّا بِعِلَلِهِ، تَخَرَّجَ بِهِ =

وقال قومٌ: «وَقَعَتْ مُطْلَقاً»؛ وَقَوْمٌ: «إِلَّا الْإِيمَانَ»؛

«الصلاة» مثلاً مُسْتَعْمَلٌ في الشرع في معناه اللغوي: أي الدعاء بخير، لكن اعتبر الشارع في الاعتداد به أموراً كالركوع وغيره^(١).

(وقال^(٢) قومٌ: «وَقَعَتْ مُطْلَقاً»^(٣)).

وقومٌ: «وَقَعَتْ (إِلَّا الْإِيمَانَ) فَإِنَّهُ في الشرع مُسْتَعْمَلٌ في معناه اللغوي: أي تصديق القلب، وإن اعتبر الشارع في الاعتداد به التلفظ بالشهادتين من القادر كما سيأتي^(٤)»^(٥).

= عددٌ لا يُحصى، وله كتاب القياس، وكتاب أصول الفقه، وغيرها الكثير، توفي رحمه الله سنة ٣٤٤ هـ بمصر. (الفتح المبين: ١/٢٠٢).

(١) هذا هو المذهب الأول، وهو منع الحقائق الشرعية مطلقاً، أي عدم وقوعها في الفروع والإيمان. (الإحكام: ٣٣/١، نهاية السؤل: ١/٢٨٥).

(٢) بعد أن اتَّفَقَ الجماهير من الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة والمعتزلة وغيرهم على وقوع الحقائق الشرعية اختلفوا في أمرين: الأمر الأول: محلُّ الوقوع، أي فيما وَقَعَتْ الحقائق الشرعية، اختلفوا فيه على مذهبين: أحدهما: أَنَّهَا وَقَعَتْ في الفروع والعقائد، قاله الحنابلة، والمعتزلة، وإلى هذا أشار المصنّف بقوله: «وقال قومٌ: وَقَعَتْ مُطْلَقاً». ثانيها: أَنَّهَا وَقَعَتْ في الفروع فقط، أي دون العقائد، قاله الحنفية، والمالكية، والشافعية. وإلى هذا أشار المصنّف رحمه الله بقوله: «وقومٌ: إِلَّا الْإِيمَانَ». والأمر الثاني: طريقُ الوقوع، اختلفوا فيه أيضاً على مذهبين، أحدهما: أَنَّ هذه الحقائق منقولةٌ من الحقائق اللغوية إلى الحقائق الشرعية لِمُنَاسَبَةِ بَيْنَهُمَا، فهي حقائق شرعيةٌ مَجَازَاتٌ لغويةٌ. قاله الجماهير من الحنفية، والمالكية، والشافعية، وغيرهم. ثانيهما: أَنَّ هذه الحقائق موضوعَةٌ مِن قِبَلِ الشرع وضِعاً مُبْتَكِراً مِن غير تفرُّعٍ على الحقائق اللغوية. قاله الحنابلة، والمعتزلة. فَعَلِمَ أَنَّ قول المصنّف: «والمختارُ وفاقاً لأبي إسحاق الشيرازي، والإمامين، وابن الحاجب: وقوعُ الفرعية، لا الدينية، بَيَانٌ للمختار الذي عليه المحققون، لا ذِكْرُ مذهبٍ خامسٍ، فليَتَبَّهْ. (التقرير والتحريز: ١٣، تيسير التحرير: ١٥/٢، فواتح الرحموت: ٣٠٦/١، تحفة المسؤول: ٣٥٤/١، الضياء اللامع: ٢٣١/٢، البرهان: ١٣٤/١، المحصول: ٢٩٩/١، رفع الحاجب: ٣٩١/١، شرح الكوكب المنير: ١٥٠/١، المعتمد لأبي الحسين: ١٨/١، نهاية السؤل: ١/٢٨٥).

(٣) هذا هو المذهب الثاني، وهو وقوعُ الحقائق الشرعية مطلقاً أي دينيةً كانت أو فرعيةً، قاله الحنابلة والمعتزلة. (فواتح الرحموت: ٣٠٦/١، الضياء اللامع: ٢٣١/٢، الإحكام: ٣٣/١، البحر: ١٦٢/٢، المعتمد: ١٨/١، البناي: ٤٧٨/١، شرح الكوكب المنير: ١٥٠/١).

(٤) «الإيمان»: ٤٣٤/٢.

(٥) هذا هو المذهب الثالث، وهو وقوعُ الحقائق الفرعية دون الدينية، قاله الجماهير من الحنفية والمالكية والشافعية وغيرهم. (التقرير والتحبير: ١٣/٢، تيسير التحرير: ١٥/٢، تحفة المسؤول: ٣٥٤/١، رفع الحاجب: ٣٩٣/١، التشنيف: ٢٢١/١، غاية الوصول، ص: ٢٤٧).

وَتَوَقَّفَ الْآمِدِيَّ. وَالْمَخْتَارُ وَفَاقاً لِأَبِي إِسْحَاقَ الشَّيرَازِي وَالْإِمَامَيْنِ وَابْنِ الْحَاجِبِ وَقَوْعُ الْفَرَعِيَّةِ، الدِّينِيَّةِ.

ومعنى الشرعي: ما لم يُسْتَفَدَّ اسْمُهُ إِلَّا مِنَ الشَّرْعِ. وقد يُطْلَقُ عَلَى الْمُنْدُوبِ وَالْمُبَاحِ.

(وَتَوَقَّفَ الْآمِدِي) فِي وَقْعِهَا^(١).

(وَالْمَخْتَارُ وَفَاقاً لِأَبِي إِسْحَاقَ الشَّيرَازِي^(٢) وَالْإِمَامَيْنِ): أَيِ إِمَامِ الْحَرَمَيْنِ^(٣)، وَ الْإِمَامِ الرَّازِي^(٤)، (وَابْنِ الْحَاجِبِ^(٥) وَقَوْعُ الْفَرَعِيَّةِ) كَالصَّلَاةِ، (لَا الدِّينِيَّةِ) كَالْإِيمَانِ، فَإِنَّهَا فِي الشَّرْعِ مُسْتَعْمَلَةٌ فِي مَعْنَاهَا اللَّغَوِيَّةِ.

(وَمَعْنَى الشَّرْعِيِّ) الَّذِي هُوَ مَسْمًى مَا صَدَقَ الْحَقِيقَةُ الشَّرْعِيَّةُ: (مَا) أَيِ شَيْءٍ (لَمْ يُسْتَفَدَّ اسْمُهُ إِلَّا مِنَ الشَّرْعِ) كَالْهَيْئَةِ الْمُسَامَاةِ بِ«الصَّلَاةِ».

(وَقَدْ يُطْلَقُ) أَيِ الشَّرْعِيُّ (عَلَى الْمُنْدُوبِ وَالْمُبَاحِ). مِنَ الْأَوَّلِ قَوْلُهُمْ: «مِنَ النَّوَافِلِ مَا تُشَرِّعُ فِيهِ الْجَمَاعَةُ: أَيِ تُنْذِبُ كَالْعِيدَيْنِ»، وَمِنَ الثَّانِي قَوْلُ الْقَاضِي الْحُسَيْنِ: «لَوْ صُلِّيَ التَّرَاوِيحُ أَرْبَعاً بِتَسْلِيمَةٍ لَمْ تَصَحَّ، لِأَنَّهُ خِلَافُ الْمَشْرُوعِ».

وَفِي «شَرْحِ الْمَخْتَصَرِ»^(٦) بَدَلُ «الْمُبَاحِ» «الْوَاجِبِ»، وَهُوَ صَحِيحٌ أَيْضاً، يُقَالُ: «شَرَّعَ اللَّهُ تَعَالَى الشَّيْءَ»: أَيِ أَبَاحَهُ، وَ«شَرَّعَهُ»: أَيِ طَلَبَهُ وَجُوباً أَوْ نَذْباً. وَلَا يَخْفَى مَجَامَعَةُ الْأَوَّلِ لِكُلِّ مَنْ الْإِطْلَاقَاتِ الثَّلَاثَةِ^(٧).

(١) هَذَا هُوَ الْمَذْهَبُ الرَّابِعُ، وَهُوَ عَدَمُ الْجَزْمِ بِالْوُقُوعِ وَلَا عَدَمِهِ بَعْدَ الْجَزْمِ بِإِمْكَانِهِ، قَالَهُ الْآمِدِي. مُخْتَصَرُ ابْنِ الْحَاجِبِ: ١/١٦٢، التَّشْنِيفُ: ١/٢٢٢، الْإِحْكَامُ: ١/٤٠.

(٢) اللَّمْعُ لِلشَّيرَازِيِّ، ص: ٤٣.

(٣) الْبَرْهَانُ لِإِمَامِ الْحَرَمَيْنِ: ١/٤٧.

(٤) الْمَحْصُولُ لِلْإِمَامِ الرَّازِيِّ: ١/٢٩٩.

(٥) مُخْتَصَرُ الْمُتَهَيِّ لِابْنِ الْحَاجِبِ: ١/٣٩١ (رَفَعَ الْحَاجِبُ).

(٦) عِبَارَتُهُ رَحِمَهُ اللَّهُ فِيهِ (١/٣٩٥): «الشَّرْعِيُّ يُطْلَقُ فِي اصْطِلَاحِ الْفَقِيهِ وَالْأَصُولِيِّ عَلَى أَنْوَاعٍ: الْأَوَّلُ: مَا لَمْ يُسْتَفَدَّ اسْمُهُ إِلَّا مِنَ الشَّرْعِ، وَهُوَ الْمَرَادُ هُنَا. الثَّانِي: الْوَاجِبُ وَالْمُنْدُوبُ فَقَطْ، وَذَكَرَ إِمَامُ الْحَرَمَيْنِ فِي «الْأَسَالِيبِ» أَنَّهُ الَّذِي يَعْنِيهِ الْفَقِيهُ بِ«الشَّرْعِيِّ»، وَيَشْهَدُ لَهُ قَوْلُ الْأَصْحَابِ: «الْجَمَاعَةُ فِي النِّفْلِ الْمَطْلُوقِ غَيْرُ مَشْرُوعَةٍ يَعْنُونَ غَيْرَ مَنْدُوبَةٍ، وَإِلَّا فَهِيَ مُبَاحَةٌ، وَفِي «الرُّوْضَةِ» فِي صَلَاةِ الْجَمَاعَةِ مِنْ زِيَادَةِ النَّوَوِيِّ: مَعْنَى قَوْلِهِمْ «لَا تُشَرِّعُ» لَا تُسْتَحَبُّ. الثَّلَاثُ: الْمُبَاحُ».

(٧) أَيِ أَنَّ تَفْسِيرَ «الشَّرْعِيِّ» بِ«مَا لَمْ يُسْتَفَدَّ اسْمُهُ...» يَجْمَعُ مَا يُطْلَقُ عَلَيْهِ الْوَاجِبُ وَالْمُنْدُوبُ وَالْمُبَاحُ فِي الشَّرْعِ. (النَّجْمُ لِلرَّوَامِحِ: ١/٤٠٦).

[الْمَجَازُ]

وَالْمَجَازُ: اللَّفْظُ الْمُسْتَعْمَلُ يَوْضَعُ ثَانٍ لِعِلَاقَةٍ .

فَعُلِمَ وَجُوبُ سَبْقِ الْوَضْعِ - وَهُوَ اتِفَاقٌ - لَا الْاسْتِعْمَالِ، وَهُوَ الْمُخْتَارُ. قِيلَ:

[الْمَجَازُ]

(وَالْمَجَازُ) الْمَرَادُ عِنْدَ الْإِطْلَاقِ وَهُوَ الْمَجَازُ فِي الْأَفْرَادِ: (الْلَفْظُ الْمُسْتَعْمَلُ) فِيمَا وُضِعَ لَهُ لَعَةً أَوْ عُرْفًا أَوْ شَرَعًا (بَوْضَعُ ثَانٍ) - خَرَجَ الْحَقِيقَةُ - (لِعِلَاقَةٍ) بَيْنَ مَا وُضِعَ لَهُ أَوَّلًا، وَمَا وُضِعَ لَهُ ثَانِيًا. خَرَجَ الْعَلَمُ الْمَنْقُولُ كـ «فَضْل» .

وَمَنْ زَادَ كَالْبَيَانِيِّينَ «مَعَ قَرِينَةٍ مَانِعَةٍ عَنِ إِرَادَةِ مَا وُضِعَ لَهُ أَوَّلًا» مَشَى عَلَى أَنَّهُ لَا يَصِحُّ أَنْ يُرَادَ بِاللَّفْظِ الْحَقِيقَةُ وَالْمَجَازُ مَعًا.

(فَعُلِمَ) مِنْ تَقْيِيدِ «الْوَضْعِ» دُونَ «الْاسْتِعْمَالِ» بِـ «الثَّانِي» (وَجُوبُ سَبْقِ الْوَضْعِ) لِلْمَعْنَى الْأَوَّلِ . (وَهُوَ) أَيِ وَجُوبِ ذَلِكَ (اتِفَاقٌ) أَيِ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ فِي تَحَقُّقِ الْمَجَازِ .

(لَا الْاسْتِعْمَالِ) فِي الْمَعْنَى الْأَوَّلِ، فَلَا يَجِبُ سَبْقُهُ فِي تَحَقُّقِ الْمَجَازِ، فَلَا يَسْتَلْزِمُ الْحَقِيقَةُ كَالْعَكْسِ^(١) . (وَهُوَ) أَيِ عَدَمِ الْوَجُوبِ (الْمَخْتَارُ)، إِذْ لَا مَانِعَ مِنْ أَنْ يُتَجَوَّزَ فِي اللَّفْظِ قَبْلَ اسْتِعْمَالِهِ فِيمَا وُضِعَ لَهُ أَوَّلًا^(٢) .

وقيل: «يجب سبق الاستعمال فيه، وإلا لعرى الوضع الأول عن الفائدة» .

وأجيب بحصولها باستعماله فيما وُضِعَ له ثانياً.

وما ذُكِرَ مِنْ أَنَّهُ لَا يَجِبُ سَبْقُ الْاسْتِعْمَالِ (قِيلَ: «مُطْلَقًا»^(٣) . وَالْأَصَحُّ) تَفْصِيلُ لِلْمَصْتَفِ

(١) أَيِ كَمَا لَا تَسْتَلْزِمُ الْحَقِيقَةُ الْمَجَازَ اتِفَاقًا - وَلِلاتِفَاقِ جُعِلَ أَصْلًا مُشَبَّهًا بِهِ - لَا يَسْتَلْزِمُ الْمَجَازُ الْحَقِيقَةَ. (النجوم اللوامع: ٤٠٦/١).

(٢) اتَّفَقَ الْعُلَمَاءُ عَلَى أَنَّ اللَّفْظَ قَبْلَ الْاسْتِعْمَالِ فِيمَا وُضِعَ لَهُ لَيْسَ بِحَقِيقَةٍ وَلَا مَجَازٍ، وَكَذَا اتَّفَقُوا عَلَى وَجُوبِ سَبْقِ الْوَضْعِ فِي الْمَجَازِ، وَلَكِنْهُمْ اخْتَلَفُوا فِي وَجُوبِ الْاسْتِعْمَالِ فِي الْوَضْعِ الْأَوَّلِ (لِجَوَازِ أَنْ يُتَجَوَّزَ فِيهِ) عَلَى مَذْهَبَيْنِ: أَحَدُهُمَا: لَا يَجِبُ الْاسْتِعْمَالُ فِيهِ، قَالَهُ الْحَنْفِيُّ الشَّافِعِيُّ وَالْحَنَابِلَةُ؛ ثَانِيَهُمَا: يَجِبُ الْاسْتِعْمَالُ فِي الْوَضْعِ الْأَوَّلِ، قَالَهُ الْمَالِكِيُّ، وَالْمَعْتَزَلَةُ، وَالرَّازِي وَالْأَمْدِي وَالسَّمْعَانِيُّ مِنَ الشَّافِعِيَّةِ. (المحصول: ١/٢٨٦، الإحكام: ٣٢/١، شرح التنقيح، ص: ٤٤، التنقيح: ١/٢٢٥، غاية الوصول، ص: ٤٧).

(٣) قَالَهُ الْجُمْهُورُ الَّذِينَ قَالُوا بِوَجُوبِ سَبْقِ الْوَضْعِ دُونَ الْاسْتِعْمَالِ .

(المعتمد: ١/٢٨، القواطع: ١/٢٦٩، نهاية السؤل: ١/٢٨١، البحر: ٢/٢٢٢).

«مطلقاً»؛ والأصحُّ لِمَا عَدَا الْمَصْدَرِ.

[وُقُوعُ الْمَجَازِ]

وهو واقعٌ، خِلافاً لِلأُسْتَاذِ وَالْفَارِسِيِّ مُطْلَقاً، وَلِلظَاهِرِيَّةِ فِي الْكِتَابِ وَالسَّنَةِ.

اخْتَارَهُ مَذْهَباً كَمَا قَالَ فِي «شرح المختصر»^(١)، وَهُوَ أَنَّهُ لَا يَجِبُ (لِمَا عَدَا الْمَصْدَرِ)، وَيَجِبُ لِمَصْدَرِ الْمَجَازِ، فَلَا يَتَحَقَّقُ فِي الْمَشْتَقِّ مَجَازٌ إِلَّا إِذَا سَبَقَ اسْتِعْمَالُ مَصْدَرِهِ حَقِيقَةً.

وإن لم يُسْتَعْمَلِ الْمَشْتَقُّ حَقِيقَةً كـ «الرَّحْمَن» لَمْ يُسْتَعْمَلْ إِلَّا لِلَّهِ تَعَالَى، وَهُوَ مِنْ «الرَّحْمَةِ»، وَحَقِيقَتُهَا: الرَّقَّةُ، وَالْحُنُوُّ الْمُسْتَحِيلُ عَلَيْهِ تَعَالَى.

وَأَمَّا قَوْلُ بَنِي حَنِيفَةَ فِي مُسَيْلَمَةَ^(٢): «رَحِمَانُ الْيَمَامَةِ»، وَقَوْلُ شَاعِرِهِمْ فِيهِ:
سَمَوْتُ بِالْمَجْدِ يَابْنَ الْأَكْرَمِينَ أَبَا وَأَنْتَ غَيْثُ الْوَرَى لَا زِلْتَ رَحِمَاناً
أَيُّ ذَا رَحْمَةٍ، قَالَ الزَّمْخَشَرِيُّ: «فَمَنْ تَعَنَّتْهُمْ فِي كُفْرِهِمْ»^(٣) أَيْ أَنَّ هَذَا الِاسْتِعْمَالَ غَيْرُ
صَحِيحٍ، دَعَاهُمْ إِلَيْهِ لِجَبَاجُهِمْ فِي كُفْرِهِمْ، بِزَعْمِهِمْ نُبُوَّةَ مُسَيْلَمَةَ دُونَ النَّبِيِّ ﷺ، كَمَا لَوْ اسْتَعْمَلَ
كَافِرٌ لُقْظَةً «اللَّهُ» فِي غَيْرِ الْبَارِي مِنْ آلِهَتِهِمْ.

وَقِيلَ: «إِنَّهُ شَادٌّ، لَا اعْتِدَادَ بِهِ».

وَقِيلَ: «إِنَّهُ مُعْتَدٍّ بِهِ، وَ الْمَخْتَصُّ بِاللَّهِ الْمُعَرَّفُ بِاللَّامِ»^(٤).

[وُقُوعُ الْمَجَازِ]

(وهو) أي المجازُ (واقعٌ) في الكلام^(٥). (خِلافاً لِلأُسْتَاذِ) أَبِي إِسْحَاقَ^(٦)

(١) رفع الحاجب عن مختصر ابن الحاجب: ١/٣٨٥.

(٢) وَمُسَيْلَمَةُ: هُوَ مُسَيْلَمَةُ بْنُ ثُمَامَةَ بْنِ كَبِيرٍ الْكَذَّابِ، أَبُو ثُمَامَةَ، الْيَمَانِيُّ النَّجْدِيُّ، ادَّعَى النُّبُوَّةَ، مِنْ بَنِي

حَنِيفَةَ، سَمَّوهُ رَحِمَانَ الْيَمَامَةِ، قُتِلَ سَنَةَ ١٢ هـ بِمَعْرَكَةٍ قَادَهَا خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ فِي عَهْدِ الصَّدِيقِ ﷺ.

(الكَامِلُ لِابْنِ الْأَثِيرِ: ٢/١٣٧).

(٣) الْكَشَافُ لِلزَّمْخَشَرِيِّ: ١/١٠٩.

وَاخْتَارَهُ ابْنُ حَجَرٍ الْهَيْتَمِيُّ فِي ثُحْفَةِ الْمُحْتَاجِ (١/١٥)، وَشَرَحَ الْأَرْبَعِينَ، ص: ٦.

(٤) قَالَ الْمَصْنُفُ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي شَرْحِ الْمَخْتَصَرِ (١/٣٨٥): «وَهَذَا الْجَوَابُ أَشَدُّ مِنْ جَوَابِ الزَّمْخَشَرِيِّ فِي

«كُشَّافِهِ» أَنَّ ذَلِكَ مِنْ تَعَنُّتِهِمْ فِي كُفْرِهِمْ، فَإِنَّهُ لَا يُعَدُّ جَوَاباً، إِذِ التَّعَنُّتُ لَا يَدْفَعُ وَقُوعَ إِطْلَاقِهِمْ، وَغَايَتُهُ

أَنَّهُ ذَكَرَ السَّبَبَ الْحَامِلَ لَهُمْ عَلَى الْإِطْلَاقِ».

(٥) قَالَهُ الْحَنْفِيَّةُ وَالْمَالِكِيَّةُ وَالشَّافِعِيَّةُ وَالْحَنَابِلَةُ وَغَيْرُهُمْ. (فَوَاتِحُ الرَّحْمُوتِ: ١/٢٨٦، مَخْتَصَرُ ابْنِ

الْحَاجِبِ: ١/١٦٧، التَّنْصِيفُ: ١/٢٢٥، شَرْحُ الْكَوْكَبِ: ١/١٩١).

(٦) هَذَا مَا نَقَلَهُ الْأَمَدِيُّ فِي الْإِحْكَامِ (١/٤٠) عَنِ الْأُسْتَاذِ، وَتَبِعَهُ ابْنُ الْحَاجِبِ فِي الْمَخْتَصَرِ (١/١٦٧)، =

[أسباب العدول إلى المجاز]

وإنما يُعدَّل إليه لِثِقَلِ الْحَقِيقَةِ، أو بِشَاعَتِهَا، أو جَهْلِهَا،

الأسفَرَايِينِي، (و)أبي علي (الفارسي)^(١)، في نفيهما وقوعه (مطلقاً)، قالاً: «وما يُظَنُّ مَجَازاً نَحْوُ «رَأَيْتُ أَسَدًا يَرْمِي» فَحَقِيقَةٌ».

(و)خلافاً (لِلظَاهِرِيَّةِ) في نفيهم وقوعه (في الكتابِ والسُّنَّةِ)^(٢)، قالوا: «لأنَّه كَذِبٌ بِحَسَبِ الظَّاهِرِ، كما في قولك في البَلِيدِ: «هَذَا حِمَارٌ»، وكلامُ الله تعالى ورسوله ﷺ مُنَزَّهٌ عَنِ الْكُذْبِ»^(٣).

وأجيب: بأنَّه لا كَذِبٌ مع اعتبار العلاقة، وهي فيما ذُكِرَ المُشَابَهَةُ في الصفة الظاهرة: أي عَدَمُ الفَهْمِ.

[أسباب العُدُلِ إلى المجاز]

(وإنما يُعدَّل إليه) أي إلى المجاز عن الحقيقة الأصل:

١- (لِثِقَلِ الْحَقِيقَةِ) على اللسانِ كـ «الْخَنْفَقِيقِ» اسمٌ لِلدَّاهِيَةِ^(٤)، يُعدَّل عنه إلى المَوْتِ مثلاً.

= والمصنف في رُفْعِ الْحَاجِبِ (٤٠٩/١) وهُنَا، وابنُ عَبْدِ الشُّكُورِ في مَسْلَمِ الثُّبُوتِ (٢٨٦/١)، وعبدُ العلي الأنصاري في شرحه (٢٨٦/١). ولكن قال إمامُ الحَرَمِينَ في التلخيص (١٩٢/١) والغزالي في المنحول (ص: ٧٥): «وَالظَّنُّ بِالْأَسْتَاذِ أَنَّهُ لَا يَصْخُ عَنْهُ». قال الزركشي في التشنيف (٢٢٥/١) عَقِبَهُ: «لَعَلَّهُ أَرَادَ أَنَّهُ لَيْسَ بِثَابِتٍ ثُبُوتِ الْحَقِيقَةِ».

(١) كَذَا نَقَلَهُ عَنْهُ ابْنُ الصَّلَاحِ فِي «فَوَائِدِ الرِّحْلَةِ»، وَتَبِعَهُ الْمَصْنَفُ فِي رُفْعِ الْحَاجِبِ (٤٠٩/١) وَهُنَا. وَنَقَلَ عَنْهُ تَلْمِيزُهُ ابْنُ الْجُنَيْنِ فِي الْخَصَائِصِ (٤٤٩/٢) الْقُوقُوعَ مُطْلَقاً وَاخْتَارَهُ، وَهُوَ أَعْرَفُ بِمَذْهَبِ شَيْخِهِ مِنْ غَيْرِهِ كَمَا قَالَ الزركشي في التشنيف (٢٢٥/١)، وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ.

(٢) قَالَ الْوَلِيُّ الْعِرَاقِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي الْغَيْثِ الْهَامِعِ (١/ ١٨٠): «وَمَنْعُ الظَّاهِرِيَّةِ وَقُوعُ الْمَجَازِ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ. كَذَا نَقَلَهُ فِي «الْمَحْصُولِ» [٣٣٣/١] عَنْ ابْنِ دَاوُدَ، لَكِنْ قَالَ الْأَصْفَهَانِيُّ فِي «شَرْحِهِ»: «إِنَّ الْمَنْعَ فِي السُّنَّةِ لَا يُعْرَفُ إِلَّا فِي «الْمَحْصُولِ». قَالَ الشَّارِحُ [بِعْنِي الزركشي في التشنيف: ١/ ٢٢٥]: لَكِنْ فِي «الْإِحْكَامِ» لِابْنِ حَزْمٍ عَنْ قَوْمٍ مَنْعُهُ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ. وَقَالَ ابْنُ الْحَاجِبِ فِي الْإِضَافَةِ فِي «شَرْحِ الْمَفْصَلِ»: ذَهَبَ الْقَاضِي إِلَى أَنَّهُ لَا مَجَازَ فِي الْقُرْآنِ.

قُلْتُ [أَيُّ الْعِرَاقِيِّ]: وَفِي «طَبَقَاتِ الْعِبَادِي» عَنْ أَبِي الْعَبَّاسِ بْنِ الْقَاضِي مِنْ أَصْحَابِنَا مَنْعُهُ فِي الْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ. وَذَلِكَ يَرُدُّ عَلَى الْأَصْفَهَانِيِّ.

(٣) فَوَاتِحُ الرَّحْمَتِ (٢٨٦/١)، التشنيف (٢٢٥/١).

(٤) قَالَ الْجَوْهَرِيُّ فِي الصَّحَاحِ (١١٩/٢، خ، ف، ق): «وَالْخَنْفَقِيقُ: الدَّاهِيَةُ، يُقَالُ: «دَاهِيَةٌ خَنْفَقِيقٌ». وَهُوَ

أَيْضاً الْخَفِيفَةُ مِنَ النِّسَاءِ الْجَرِيَّةِ، قَالَ سَبْيَوِيَّةُ: وَالنُّونُ زَائِدَةٌ، جَعَلَهَا مِنْ خَفَقِ الرِّيحِ، قَالَ الشَّاعِرُ:

أو بلاغته ، أو شهرته ، أو غير ذلك .

[المجازُ ليس غالباً ، ولا مُعتمداً حيث تستحيل الحقيقة]

وليس غالباً على اللغاتِ خلافاً لابنِ جني؛

٢- (أو بشاعتها) كـ «الخِراء»^(١)، يُعدّل عنها إلى «الغائط»، وحقيقته المكان المنخفض .

٣- (أو جهلها) للمتكلم أو للمخاطب دون المجاز .

٤- (أو بلاغته) نحو «زيدٌ أسدٌ» فإنه أبلغ من «شجاع» .

٥- (أو شهرته) دون الحقيقة .

٦- (أو غير ذلك) كإخفاء المراد عن غير المتخاطبين الجاهل بالمجاز دون الحقيقة، وكإقامة الوزن والقافية والسجع به دون الحقيقة .

[المجازُ ليس غالباً ، ولا مُعتمداً حيث تستحيل الحقيقة]

(وليس) المجازُ (غالباً على اللغاتِ)^(٢) خلافاً لابنِ جني^(٣) بسكون الياء، معرّبٌ كُنّي بين الكاف والجيم، في قوله: «إنّه غالبٌ في كلّ لغةٍ على الحقيقة»^(٤) أي ما من لفظٍ إلّا ويُستعمل في الغالب على مجاز، تقول مثلاً: «رأيت زيدا»، وضربته» و«المرئي والمضروب بعضه، وإن كان يتألّم بالضرب كلّهُ» .

وقد ظنّ أنّ لُغَةً كُلَّهَا بِهَا مُؤْذَنًا خُفْقَةً
ويروى: مؤتناً .

(١) قال الفيومي في المصباح (ص: ١٦٧): «(خَرِيٌّ يَخْرَأُ) من باب «تَعَبَ»: إذا تَغَوَّطَ، واسمُ الخارج: خَرَّةٌ، والجَمْعُ: خروءٌ، مثل: فَلَسَ وفُلُوسٌ، ... و«الخِراءة» وزان «الحجارة» مثله. وقال الجوهري: بفتح الخاء مثل: كَرِهَ كَرَاهَةً» .

وقال الفيروز آبادي في القاموس (١/ ١٤): «خَرِيٌّ كَسَمِعَ خَرَاءً، وخِراءةٌ، ويكسر» .

(٢) قاله الحنفية والمالكية والشافعية الحنابلة .

(المحصول: ٣٣٧/١، البحر: ١٨١/٢، شرح الكوكب: ١/ ١٩١) .

(٣) وابنُ جني: هو عثمان بن جني أبو الفتح الموصلي النحوي اللغوي الأديب، أعلّم أهل زمانه بالنحو والصرف، صاحب مؤلفات نفيسة منها: اللمع، سيرُ الصناعة، الخصائص، وغيرها، توفي رحمه الله سنة ٣٩٢هـ . (شذرات الذهب: ٣/ ١٤٠) .

(٤) الخصائص لابن جني: ٢/ ٤٤٧ .

ولا مُعْتَمَدًا حَيْثُ تَسْتَحِيلُ الْحَقِيقَةُ خِلَافًا لِأَبِي حَنِيفَةَ.

[تَعَارُضُ مَا يُخِلُّ بِالْفَهْمِ]

وَهُوَ وَالنَّقْلُ خِلَافُ الْأَصْلِ ،

(ولا مُعْتَمَدًا حَيْثُ تَسْتَحِيلُ الْحَقِيقَةُ خِلَافًا لِأَبِي حَنِيفَةَ) فِي قَوْلِهِ بِذَلِكَ ، حَيْثُ قَالَ فِيمَنْ قَالَ لَعْبِدِهِ الَّذِي لَا يُؤَكِّدُ مِثْلَهُ لِمِثْلِهِ : «هَذَا ابْنِي» : «إِنَّهُ يَعْتَقُ عَلَيْهِ ، وَإِنْ لَمْ يَنْوِ الْعَتَقَ الَّذِي هُوَ لَازِمٌ لِلْبَيِّنَةِ صَوْنًا لِلْكَلَامِ عَنِ الْإِلْغَاءِ»^(١).

وَالْغِنَاءُ كَصَاحِبِيهِ^(٢) ، إِذْ لَا ضَرُورَةَ إِلَى تَصْحِيحِهِ بِمَا ذَكَرَ.

أَبَا إِذَا كَانَ مِثْلُ الْعَبْدِ يُوَكِّدُ لِمِثْلِ السَّيِّدِ ، فَإِنَّهُ يَعْتَقُ عَلَيْهِ اتِّفَاقًا إِنْ لَمْ يَكُنْ مَعْرُوفَ النَّسَبِ مِنْ غَيْرِهِ ، وَإِنْ كَانَ كَذَلِكَ فَاصْحَحْ الْوَجْهَيْنِ عِنْدَنَا كَقَوْلِهِمْ : «إِنَّهُ يَعْتَقُ عَلَيْهِ مُوَاخَذَةً بِاللَّازِمِ ، وَإِنْ لَمْ يَثْبُتِ الْمَلْزُومُ»^(٣).

[تَعَارُضُ مَا يُخِلُّ بِالْفَهْمِ]

(وهو) أَيِ الْمَجَازِ (وَالنَّقْلُ خِلَافُ الْأَصْلِ)^(٤) ، فَإِذَا احْتَمَلَ اللَّفْظُ مَعْنَاهُ الْحَقِيقِيَّ وَالْمَجَازِيَّ ، أَوْ الْمَنْقُولَ عَنْهُ وَإِلَيْهِ ، فَالْأَصْلُ - أَيِ الرَّاجِعُ - حَمْلُهُ عَلَى الْحَقِيقِيَّ لِعَدَمِ الْحَاجَةِ فِيهِ إِلَى قَرِينَةٍ أَوْ عَلَى الْمَنْقُولِ عَنْهُ اسْتِصْحَابًا لِلْمَوْضُوعِ لَهُ أَوَّلًا.

١٢٣

(١) قَالَ الْمَرْغِينَانِي فِي الْهِدَايَةِ (٥٢/٢) : «وَإِنْ قَالَ لِغَلَامٍ لَا يُؤَكِّدُ مِثْلَهُ لِمِثْلِهِ : «هَذَا ابْنِي» عَتَقَ عِنْدَ أَبِي حَنِيفَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ ، وَعِنْدَهُمَا لَا يَعْتَقُ ، وَهُوَ قَوْلُ الشَّافِعِيِّ ، لَهُمْ أَنَّهُ كَلَامٌ مُحَالٌ الْحَقِيقَةُ فَيُرَدُّ وَيُلْغَوُ ... وَلِأَبِي حَنِيفَةَ : أَنَّهُ كَلَامٌ مُحَالٌ بِحَقِيقَتِهِ ، لَكِنْ صَحِيحٌ بِمَجَازِهِ ، لِأَنَّهُ إِخْبَارٌ عَنْ حَرِيَّتِهِ مِنْ حِينَ وَلِيكِهِ».

قَالَ ابْنُ قِدَامَةَ فِي الْمَغْنِيِّ (٢٨٠/١٠) : «قَالَ ابْنُ الْمُنْذِرِ : هَذَا قَوْلُ النُّعْمَانِ شَاذٌ لَمْ يَسْبِقْهُ إِلَيْهِ أَحَدٌ ، وَلَا تَبِعَهُ أَحَدٌ عَلَيْهِ ، وَهُوَ مُحَالٌ مِنَ الْكَلَامِ وَكَذِبٌ يَقِينٌ».

(٢) أَيِ صَاحِبِ أَبِي حَنِيفَةَ : أَبُو يُوسُفَ وَمُحَمَّدُ . (الْهِدَايَةُ : ٥٢/٢) .

(٣) أَيِ فَيَعْتَقُ عِنْدَنَا فِي الْأَصَحِّ كَمَا يَعْتَقُ عِنْدَ الْحَنَفِيَّةِ . (الْبَحْرُ الرَّائِقُ : ٤/٢٤٣ ، التَّحْفَةُ : ١٣/٤٧٠) .

(٤) هَاهُنَا مَسْأَلَتَانِ : الْأَوَّلَى : أَنَّ اللَّفْظَ إِذَا دَارَبَيْنِ أَنْ يَكُونَ حَقِيقَةً وَأَنْ يَكُونَ مَجَازًا قُدِّمَتِ الْحَقِيقَةُ لِرَجْحَانِهَا

عَلَى الْمَجَازِ ، وَلَآتِيهَا لَا تُخِلُّ بِالْفَهْمِ بِخِلَافِ الْمَجَازِ ، قَالَهُ الْجَمَاهِيرُ مِنَ الْأَثْمَةِ الْأَرْبَعَةِ وَغَيْرِهِمْ .

الثَّانِيَةُ : أَنَّ اللَّفْظَ إِذَا دَارَبَيْنِ أَنْ يَكُونَ مَنْقُولًا وَأَنْ يَكُونَ مُبْقًى عَلَى الْأَصْلِ اللَّغَوِيِّ قُدِّمَ الثَّانِي لِأَنَّ الْأَصْلَ بَقَاءُ مَا كَانَ عَلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ حَتَّى يَأْتِيَ دَلِيلٌ ، وَلِتَوْقُفِ الْأَوَّلِ عَلَى الْوَضْعِ اللَّغَوِيِّ ثُمَّ نَسْخُهُ ثُمَّ وَضْعُهُ ثَانِيًا ، قَالَ الْجَمَاهِيرُ . (مِنْ الْأَثْمَةِ الْأَرْبَعَةِ وَغَيْرِهِمْ) .

(الْمَحْصُولُ : ١/٣٥٢ ، نِهَايَةُ السُّوْلِ : ١/٢٩٤ ، شَرْحُ الْكَوْكَبِ : ١/٢٩٥) .

وأولَى من الاشتراكِ. قيل: «ومن الإضمارِ»

مثالهما: «رأيتُ اليومَ أسداً وصليتهُ» أي حيواناً مفترساً ودعوتُ بخيرٍ أي سلامةً منه، ويَحتمِلُ الرجلُ الشجاعَ والصلاةَ الشرعيةً.

(و)المجاز والنقلُ (أولَى من الاشتراكِ)^(١)، فإذا احتمل لفظٌ هو حقيقةٌ في معنى أن يكونَ في آخرَ حقيقةً، ومجازاً، أو حقيقةً ومنقولاً، فحملهُ على المجاز أو المنقولِ أولَى من حملِهِ على الحقيقةِ المؤدِّي إلى الاشتراكِ، لأنَّ المجازَ أغلبُ من المُشترَكِ بالاستقراءِ، والحملُ على الأغلبِ أولَى؛

والمنقولُ لأفرادٍ مدلوله قبل النقلِ وبعده لا يمتنع العملُ به، و المُشترَكُ لتعددِ مدلوله لا يعملُ به إلا بقرينةٍ تُعينُ أحدَ معنيهِ مثلاً، إلا إذا قيل بحمله عليهما، وما لا يمتنع العملُ به أولَى من عكسه.

فالأولُ كـ «النكاح» حقيقةٌ في العقد، مجازٌ في الوطء. وقيل: «العكس». وقيل: «مُشترَكٌ بينهما»، فهو حقيقةٌ في أحدهما محتمِلٌ للحقيقةِ والمجازِ في الآخر.

والثاني كـ «الزكاة» حقيقةٌ في النماء، أي الزيادة محتمِلٌ فيما يُخرجُ من المال، لأنَّ يكونَ حقيقةً أيضاً - أي لغويةً - ومنقولاً شرعياً.

(قيل: (و) المجازُ^(٢) والنقلُ أولَى (من الإضمارِ)، فإذا احتمل الكلامُ لأنَّ يكونَ فيه مجازاً وإضماراً، أو نقلً وإضماراً:

فقيل: «حملهُ على المجازِ أو النقلِ أولَى من حملِهِ على الإضمارِ لكثرةِ المجازِ، و عدمِ ١٢٤ احتياجِ النقلِ إلى قرينةٍ».

وقيل: «الإضمارُ أولَى من المجازِ لأنَّ قرينته متصلةٌ».

(١) وما هنا أيضاً مسألتان:

الأولَى: إذا دار اللفظُ بين أن يكونَ مجازاً وأن يكونَ مشتركاً، فالمجازُ أولَى لأنَّ أكثرَ كما قال الشارحُ، قال الجماهيرُ من الأئمةِ الأربعة وغيرهم.

الثانية: إذا دار اللفظُ بين أن يكونَ منقولاً وأن يكونَ مشتركاً، فالنقلُ أولَى لأنَّ معناه واحدٌ بخلافِ المُشترَكِ، قال الجماهيرُ من الأئمةِ الأربعة وغيرهم (فواتح الرحموت: ١/٢٨٣، مختصر ابن الحاجب: ٤/٣٨٦، المحصول: ١/٣٥٢، نهاية السؤل: ١/٣٢٥، شرح الكوكب: ٢/٢٩٥).

(٢) ليس المرادُ بـ «المجاز» هنا مطلقهُ المُقابلُ للحقيقة، بل مجازٌ خاصٌّ، وهو المَجازُ الذي ليس بإضمارٍ، وإلا فالإضمارُ مجازٌ أيضاً، لهذا اقتصر ابن الحاجب في المُختصر (١/١٥٨) على ذكرِ التعارضِ بين الاشتراكِ والمَجازِ، فقال: «إذا دار اللفظُ بين المَجازِ والاشتراكِ فالمَجازُ أقربُ».

(نهاية السؤل: ١/٣٢٧، النجوم اللوامع: ١/٤١١).

وَالْتَّخْصِيصُ أَوْلَى مِنْهُمَا .

والأصحُّ أَنَّهُمَا سَيَّانٌ^(١) لاحتياج كلِّ منهما إلى قرينة، وأنَّ الإضمارَ أَوْلَى مِنَ النُّقْلِ، لسلامته من نسخ المعنى الأول.

مثال الأول: قوله لعبد له الذي يولد مثله ليمثله المشهور النَّسَبُ من غيره: «هذا ابني» أي عتيقٌ تعبيراً عن اللازم بالملزوم فيعتق، أو مثل ابني في الشفقة عليه، فلا يعتق، وهما وجهان عندنا كما تقدّم^(٢).

ومثال الثاني: قوله تعالى ﴿وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾^(٣) فقال الحنفى: «أي أخذه، وهو الزيادة في بيع درهم بدرهمين» مثلاً، فإذا أُسْقِطَتْ صَحَّ البيع، وارتفع الإثم^(٤).

وقال غيره^(٥): «نُقِلَ الرِّبَا شرعاً إلى العقد، فهو فاسدٌ وإن أُسْقِطَتْ الزيادة في الصورة المذكورة مثلاً، و الإثم فيها باقٍ».

(والتخصيصُ أَوْلَى مِنْهُمَا) أي من المجاز والنقل^(٦)، فإذا احتمل الكلام لأن يكون فيه

(١) قال الفيومي في المصباح (٣٠٠/٢): «السِّيُّ: المِثْلُ، وهما سَيَّانٍ: أي مثلاًن».

(٢) في «المجاز ليس غالباً، ولا مُعْتَمِداً حيث تَسْتَحِيلُ الْحَقِيقَةُ»: ٢٥٣/١، وأصحُّهُمَا العتق.

(تحفة المحتاج لابن حجر: ٤٧٠/١٣).

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٧٥.

(٤) الهداية للمرغيناني: ٨٣/٤.

(٥) أي من الجماهير من الصحابة والتابعين ومن بعدهم. (التمهيد لابن عبد البر: ١٣/١٨٨).

(٦) قال الولي العراقي رحمه الله في الغيث الهامع (١٨٣/١): «ذَكَرَ الْمُصَنِّفُ هُنَا مِمَّا يُخِلُّ بِالْفَهْمِ أَيِ

الْيَقِينِي دُونَ الظَّنِّي: التَّخْصِيصُ، وَالْمَجَازُ، وَالْإِضْمَارُ، وَالنُّقْلُ، وَالِاشْتِرَاكُ، فَهَذِهِ خَمْسَةٌ.

وَأَهْمَلْ خَمْسَةً أُخْرَى، وَهِيَ: النِّسْخُ، وَالتَّقْدِيمُ وَالتَّقْدِيمُ، وَالْمَعَارِضُ الْعَقْلِيَّةُ، وَتَغْيِيرُ الْإِعْرَابِ،

وَالْتَّصْرِيفُ، لِقُوَّةِ الظَّنِّ مَعَ انْتِفَاءِ الْخَمْسَةِ الْأُولَى. فَاِنْتِفَاءُ الْإِشْتِرَاكِ وَالنُّقْلِ يُفِيدُ أَنَّهُ لَيْسَ لِلْفِظِ سِوَى

مَعْنَى وَاحِدَةٍ، وَانْتِفَاءُ الْمَجَازِ وَالْإِضْمَارِ يُفِيدُ أَنَّ الْمَرَادَ بِالْفِظِ مَا وَضَعَ لَهُ، وَانْتِفَاءُ التَّخْصِيصِ يُفِيدُ أَنَّ

الْمَرَادَ جَمِيعَ مَا وَضَعَ لَهُ. وَيَقَعُ التَّعَارُضُ بَيْنَهُمَا عَلَى عَشْرَةِ أَوْجِهٍ. وَضَابِطُهُ: أَنْ تَأْخُذَ كُلُّ وَاحِدَةٍ مَعَ مَا

قَبْلَهُ، فَالِاشْتِرَاكُ يُعَارِضُهُ الْأَرْبَعَةُ قَبْلَهُ، وَالنُّقْلُ يُعَارِضُهُ الثَّلَاثَةُ قَبْلَهُ، وَالْإِضْمَارُ يُعَارِضُهُ الْإِثْنَانِ قَبْلَهُ،

وَالْمَجَازُ يُعَارِضُهُ التَّخْصِيصُ قَبْلَهُ، فَهَذِهِ عَشْرَةٌ. وَلِبَعْضِهِمْ فِي ذَلِكَ وَضْعٌ إِلَيْهِ النِّسْخُ:

تَجَوُّزُ نِسْمٍ إِضْمَارٍ وَيَغْدَهُمَا نَقْلُ ثَلَاثَةِ اشْتِرَاكِ فَهُوَ يَخْلُقُهُ

وَأَرْجَعُ الْكُلَّ تَخْصِيصًا، وَأَخْرَجَهَا نَسْخًا فَمَا بَعْدَهُ قِسْمٌ يَخْلُفُهُ

تَخْصِيصٌ وَمَجَازٌ، أَوْ تَخْصِيصٌ وَنَقْلٌ، فَحَمَلُهُ عَلَى التَّخْصِيصِ أَوْلَى^(١).

أَمَّا فِي الْأَوَّلِ فَلِتَعْيِينِ الْبَاقِي مِنَ الْعَامِّ بَعْدَ التَّخْصِيصِ بِخِلَافِ الْمَجَازِ، فَإِنَّهُ قَدْ لَا يَتَعَيَّنُ بِأَنْ يَتَعَدَّدَ وَلَا قَرِينَةٌ تُعَيِّنُ.

وَأَمَّا فِي الثَّانِي فَلِسَلَامَةِ التَّخْصِيصِ مِنْ نَسْخِ الْمَعْنَى الْأَوَّلِ، بِخِلَافِ النَّقْلِ.

مِثَالُ الْأَوَّلِ: قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بَاطِلًا يَكُونُ لَكُمْ عَيْنًا عَلَى بَاطِلِكُمْ﴾^(٢) فَقَالَ الْحَنْفِيُّ: «أَيُّ مِمَّا لَمْ يَتَلَفَّظْ بِالتَّسْمِيَةِ عِنْدَ ذَبْحِهِ، وَخُصَّ مِنَ النَّاسِ لَهَا فَتَحَلَّ ذَبِيحَتُهُ».

وَقَالَ غَيْرُهُ: «أَيُّ مِمَّا لَمْ يُذْبَحْ»، تَعْبِيرًا عَنِ الذَّبْحِ بِمَا يُقَارِنُهُ غَالِبًا مِنَ التَّسْمِيَةِ فَلَا تَحَلَّ^(٣) ذَبِيحَةُ الْمُتَعَمِّدِ لِتَرْكِهَا عَلَى الْأَوَّلِ، دُونَ الثَّانِي^(٤).

وَمِثَالُ الثَّانِي: قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ﴾^(٥) فَقِيلَ: «هُوَ الْمُبَادَلَةُ مُطْلَقًا، وَخُصَّ مِنْهُ الْفَاسِدُ لِعَدَمِ حِلِّهِ».

وَقِيلَ: «نُقِلَ شَرْعًا إِلَى الْمُسْتَجْمَعِ لَشُرُوطِ الصَّحَّةِ».

وَهُمَا قَوْلَانِ لِلشَّافِعِيِّ، فَمَا شُكَّ فِي اسْتِجْمَاعِهِ لَهَا يَحَلُّ وَيَصْحُ عَلَى الْأَوَّلِ، لِأَنَّ الْأَصْلَ عَدَمُ فَسَادِهِ، دُونَ الثَّانِي لِأَنَّ الْأَصْلَ عَدَمُ اسْتِجْمَاعِهِ لَهَا^(٥).

وَيُؤْخَذُ مِمَّا تَقَدَّمَ مِنْ أَوْلَوِيَةِ التَّخْصِيصِ مِنَ الْمَجَازِ الْأَوَّلَى مِنَ الْإِشْتِرَاكِ، وَالْمَسَاوِي

(١) وَهَاهُنَا أَيْضًا مَسْأَلَتَانِ: الْأَوَّلَى: إِذَا دَارَ اللَّفْظُ بَيْنَ أَنْ يَكُونَ مُخَصَّصًا وَأَنْ يَكُونَ مَجَازًا كَانَ التَّخْصِيصُ أَوْلَى لِمَا ذَكَرَهُ الشَّارِحُ، قَالَهُ الْجَمَاهِيرُ مِنَ الْأُثْمَةِ الْأَرْبَعَةِ وَغَيْرِهِمْ. الثَّانِيَةُ: إِذَا دَارَ اللَّفْظُ بَيْنَ أَنْ يَكُونَ مُخَصَّصًا وَأَنْ يَكُونَ مَنقُولًا كَانَ التَّخْصِيصُ أَوْلَى مِنَ النَّقْلِ، قَالَهُ الْجَمَاهِيرُ مِنَ الْأُثْمَةِ الْأَرْبَعَةِ وَغَيْرِهِمْ.

(فَوَاتِحُ الرَّحْمَتِ: ٢٨٦/١، الْمَحْصُولُ: ٣٥٩/١، نِهَايَةُ السُّوْلِ: ٣٣١/١).

(٢) سُورَةُ الْأَنْعَامِ، آيَةُ: ١٢١.

(٣) اِخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي حِلِّ الذَّبِيحَةِ الْمَتْرُوكَةِ التَّسْمِيَةَ عِنْدَ ذَبْحِهَا عَلَى ثَلَاثَةِ مَذَاهِبٍ: الْأَوَّلُ: يَحَلُّ سِوَاءَ تَرْكِ التَّسْمِيَةِ عَمْدًا أَوْ سَهْوًا، قَالَهُ الشَّافِعِيُّ وَالْحَنَابِلَةُ. الثَّانِي: لَا يَحَلُّ سِوَاءَ تَرْكِ عَمْدًا أَوْ سَهْوًا، قَالَهُ الظَّاهِرِيُّ. الثَّلَاثُ: يَحَلُّ مَا تَرْكُ تَسْمِيَتِهِ سَهْوًا لَا عَمْدًا، قَالَهُ الْحَنْفِيُّ وَالْمَالِكِيُّ. وَقَدْ فَضَّلْتُ أَدْلَةَ كُلِّ الْمَذْهَبِ مَعَ بَيَانِ الرَّاجِحِ فِي رِسَالَتِي: «اِثْرُ اخْتِلَافِ الْعُلَمَاءِ فِي دَلَالَةِ الْعَامِّ عَلَى أَفْرَادِهِ فِي الْفُرُوعِ».

(٤) سُورَةُ الْبَقَرَةِ، آيَةُ: ٢٧٥.

(٥) رَاجِعْ فِي هَذَا نِهَايَةَ السُّوْرِ (٣٣١/١).

للإضمار^(١): أَنَّ التخصيصَ أَوْلَى مِنَ الاشتراكِ والإضمارِ، وَأَنَّ الإضمارَ أَوْلَى مِنَ الاشتراكِ: وَمِنْ ذِكْرِ الْمَجَازِ قَبْلَ النَّقْلِ: أَنَّهُ أَوْلَى مِنْهُ، وَالْكُلُّ صَحِيحٌ.

ووجه الأخير: سلامة المجاز من نسخ المعنى الأول، بخلاف النقل.

وقد تم بهذه الأربعة العشرة التي ذكروها في «تعارض ما يخل بالفهم»^(٢).

مثال الأول: قوله تعالى ﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ﴾^(٣)، فقال الحنفي: «أي ما وطئوه، لأن النكاح حقيقة في الوطء، فيحرم على الشخص مزنية أبيه». وقال الشافعي: «أي ما عقدوا عليه، فلا تحرم»^(٤).

ويلزم الأول الاشتراك لما ثبت من أن النكاح حقيقة في العقد لكثرة استعماله فيه، حتى أنه لم يرد في القرآن لغيره كما قال الزمخشري، أي في غير محل النزاع نحو ﴿حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ﴾^(٥)، ﴿فَأَنْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ﴾^(٦).

(١) هاهنا أربع مسائل، الأولى: إذا دار اللفظ بين أن يكون مخصصاً وأن يكون مشتركاً فالتخصيص أَوْلَى مِنَ الاشتراكِ، لأنه خير من المجاز، والمجاز خير من الاشتراك.

الثانية: إذا دار اللفظ بين أن يكون مخصصاً وأن يكون فيه إضمار فالتخصيص أَوْلَى.

الثالثة: إذا دار اللفظ بين أن يكون مشتركاً وأن يكون فيه إضمار فالإضمار أَوْلَى لأن الإجمال الحاصل بالإضمار خاص ببعض الصور، والإجمال الحاصل بسبب الاشتراك عام بجميع الصور.

الرابعة: إذا دار اللفظ بين أن يكون مجازاً وأن يكون متقولاً فالمجاز أَوْلَى لأنه متفق فيه والنقل مختلف فيه، ولأن النقل يحتاج إلى اتفاق أهل اللسان على تغيير الوضع، وهو غير، والمجاز يكتفى فيه بقرينة، وهو سهل. هذا ما قاله الجماهير من الأئمة الأربعة وغيرهم. فالمجموع اثنتا عشر مسألة، ذكر الإمام في المحصول (٣٥٢/١ - ٣٦١)، والبيضاوي في المنهاج (٣٢٥/١)، عبد العلي في فواتح الرحموت (٢٨٦/١)، وابن النجار في شرح الكوكب (٢٩٨/١) ما عدا الأولى والثانية. وذكر ابن الحاجب في مختصر المتهى (١٥٨/١) تبعاً للامدي الثالثة (أي التعارض بين الاشتراك والمجاز) فقط.

(٢) أي ما عدا الأولى والثانية، لم يعدّهما تبعاً للإمام وغيره، لعدم تصوّر التعارض فيهما.

(٣) سورة النساء، الآية: ٢٢.

(٤) اتفق العلماء على تحريم منكوحه الأب على ابنه سواء دخل بها الأب أم لا، ولكنهم اختلفوا فيما بين وطئه الأب زناً على مذهبين: الأول: تحرم، قاله الحنفية والحنابلة؛ الثاني: لا تحرم، قاله المالكية والشافعية. (الهداية: ١/١٩١، بداية المجتهد: ٣/٩٩٢، الروضة: ٧/١١٣، المغني: ٩/٥٢٦).

(٥) سورة البقرة، الآية: ٢٣٠.

(٦) سورة النساء، الآية: ٣.

[أنواع المجاز]

وَقَدْ يَكُونُ بِالشَّكْلِ؛ أَوْ بِصِفَةٍ ظَاهِرَةٍ؛ أَوْ بِاعْتِبَارِ مَا يَكُونُ قِطْعًا أَوْ ظَنًّا، لَا

وَيَلْزَمُ الثَّانِي التَّخْصِصُ، حَيْثُ قَالَ: «تَحَلَّ لِلرَّجُلِ مَنْ عَقَّدَ عَلَيْهَا أَبُوهَ فَاسِدًا»، بِنَاءً عَلَى تَنَاوُلِ الْعَقْدِ لِلْفَاسِدِ كَالصَّحِيحِ.

وَقِيلَ: «لَا يَتَنَاوَلُ».

ومثال الثاني: قوله تعالى ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ﴾^(١): أي في مشروعيتها، لأنَّ به يحصل الانكفاف عن القتل، فيكون الخطاب عاماً؛

أو في القصاص نفسه حياة لورثة القتل المقتضين بدفع شرِّ القاتل الذي صار عدواً لهم، فيكون الخطاب مختصاً بهم.

ومثال الثالث: قوله تعالى ﴿وَسَتِلَّ الْقَرْيَةَ﴾^(٢) أي أهلها، وقيل: «القرية» حقيقة في «الأهل» كالأبنية المجتمعة لهذه الآية وغيرها، نحو ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةً أَامَتْ﴾^(٣).

ومثال الرابع: قوله تعالى ﴿وَأَقِمْوْا الصَّلَاةَ﴾^(٤) أي العبادة المخصوصة، فقيل: «هي مجازٌ فيها عن الدعاء بخير لاشتمالها عليه»، وقيل: «نُقِلَتْ إِلَيْهَا شَرْعاً».

[أنواع المجاز]

(وقد يكون) المجاز من حيث العلاقة:

١- (بالشَّكْلِ) كـ «الفرس» لصورته المنقوشة.

٢- (أو صفة ظاهرة) كـ «الأسد» للرجل الشجاع، دون الرجل الأُبْخَرِ، لظهور الشجاعة دون البُخْرِ^(٥) في الأسدِ المفترسِ.

٣- (أو باعتبار ما يكون) في المستقبل (قطعاً) نحو ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ﴾^(٦)، (أو ظناً)

(١) سورة البقرة، الآية: ١٧٩.

(٢) سورة يوسف، الآية: ٨٢.

(٣) سورة يوسف، الآية: ٩٨.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٤٣.

(٥) قال الفيومي في المصباح (٣٧: ٢)، ب، خ، ر: «بَخِرَ الْقَمُّ بَخْرًا، مِنْ بَابِ «تَعِبَ»: أَنْتَنَتْ رِيحُهُ، فَالذَّكْرُ: أَبْخَرُ، وَالْأُنْثَى: بَخْرَاءُ، وَالْجَمْعُ: بُخْرٌ، مِثْلُ أَحْمَرٍ، وَحُمْرَاءَ، وَحُمْرٍ».

(٦) سورة الزُّمَرِ، الآية: ٣٠.

احتمالاً؛ وبالضد؛ والمجاورة؛ والزيادة؛ والنقصان؛ والسبب للمسبب؛ والكُلُّ للبعض؛ والمتعلّق للمتعلّق؛ وبالعكس؛ وما بالفعل على ما بالقوة.

كـ«الخمر» للعصير، (لا احتمالاً) كـ«الحر» للعبد فلا يجوز. أمّا باعتبار ما كان عليه قبل كـ«العبد» لمن عتق فتقدّم في مسألة «الاشتقاق»^(١).

٤- (وبالضد) كـ«المفاضة» للبرية المهلكة.

٥- (والمجاورة) كـ«الراوية» لظرف الماء المعروف تسمية له باسم ما يحمله من جمل أو بغل أو جمار.

١٢٧

٦- (والزيادة) نحو ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾^(٢)، فالكاف زائدة^(٣)، وإلا فهي بمعنى «مثل»، فيكون له تعالى مثل، وهو محال، والقصد بهذا الكلام نفيه.

٧- (والنقصان) نحو ﴿وَسَلِّ الْقَرْيَةَ﴾^(٤) أي أهلها، فقد تجوز، أي توسّع بزيادة كلمة أو نقصها وإن لم يصدق على ذلك حدّ «المجاز» السابق^(٥).

وقيل: «يصدق عليه، حيث استعمل نفي «مثل المثل» في نفي «المثل»، وسؤال «القرية» في سؤال أهلها، وليس ذلك من المجاز في الإسناد».

٨- (والسبب للمسبب) نحو «لأمر يد» أي قدرة، فهي مسببة عن اليد لحصولها بها.

٩- (والكُلُّ للبعض) نحو ﴿يَجْعَلُونَ أَسْجِدًا لَّهُمْ فِي بَنَاتِهِمْ﴾^(٦) أي أنا ملهم.

١٠- (والمُتَعَلِّقُ بكسر اللام للمُتَعَلِّقِ) بفتحها نحو ﴿هَذَا خَلْقُ اللَّهِ﴾^(٧) أي مخلوقه، و«رجل عدل» أي عادل.

١١- (وبالعكس) أي المُسَبِّبُ للسبب كـ«الموت» للمرض الشديد، لأنه مسبب له عادةً.

(١) انظر: «بقاء المشتق منه شرطاً لكون المشتق حقيقة»: ٢٣٢/١.

(٢) سورة الشورى، الآية: ١١.

(٣) قال شيخ الإسلام في النجوم اللوامع (٤١٦/١): «هو رأي كثيرين، والتحقيق كما قال التفازاني (في شرح مختصر التلخيص: ٢٣٣/٤) وغيره: إنها ليست زائدة، ولا يلزم المحال لجواز سلب الشيء عن المعدوم كسلب الكتابة عن زيد المعدوم، ... فالمعنى هنا: مثل مثله تعالى منفي فكيف بمثله؟».

(٤) سورة يوسف، الآية: ٨٢.

(٥) أي فليس من المجاز السابق في الأصح كما جزم به التفازاني في التلويح (٧١/١).

(٦) سورة البقرة، الآية: ١٩.

(٧) سورة لقمان، الآية: ١١.

[أقسام المَجَازِ]

وَقَدْ يَكُونُ فِي الْإِسْنَادِ، خِلَافًا لِقَوْمٍ، وَفِي الْأَفْعَالِ وَالْحُرُوفِ وَفَاقًا لِابْنِ عَبْدِ

١٢- والبعضُ للكلِّ نحو «فلان يملك ألف رأسٍ من الغنم».

١٣- والمتعلِّقُ بفتح اللام للمتعلِّقِ بكسرها نحو ﴿يَأْتِيَكُمُ الْمَقْتُونُ﴾^(١) أي الفتنة، و«قُمْ قائماً» أي قياماً.

١٤- (وما بالفعل على ما بالقوة) كـ «المُسْكِر» للخمَر في الدنَّ.

[أقسام المَجَازِ]

(وقد يكونُ) المَجَازُ^(٢) ١- (في الإسنادِ)^(٣) بأن يُسَنَدَ الشيءُ لغير مَنْ هو له لِمُلابَسَةِ بينهما ١٢٨ نحو قوله تعالى ﴿وَإِذَا ثَلَيْتَ عَلَيْهِمْ ءَايَتُنَا زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾^(٤) أُسْنِدَتِ الزِيَادَةُ - وهي فعلُ الله تعالى - إلى الآياتِ لكونِ الآياتِ المتلوَّةِ سبباً لها عادةً. (خِلَافًا لِقَوْمٍ) في نَفِيهِم المَجَازَ في الإسنادِ، فمنهم مَنْ يجعلُ المَجَازَ فيما يُذَكَّرُ منه في المُسَنَدِ، ومنهم مَنْ يجعلُه في المُسَنَدِ إليه^(٥). فمعنى «زَادَتْهُمْ» على الأول: ازدادوا بها، وعلى الثاني: زَادَهُمُ الله تعالى، إطلاقاً للآياتِ عليه تعالى، لإِسْنَادِ فعلِه إليها .

٢، ٣- (و) قد يكونُ المَجَازُ (في الأفعالِ، والحروفِ)^(٦) وَفَاقًا لِابْنِ عَبْدِ السَّلَامِ^(٧)

(١) سورة القلم، الآية: ٦.

(٢) المَجَازُ إمَّا أَنْ يَكُونَ فِي مُفْرَدَاتِ الْأَلْفَاظِ كإِطْلَاقِ «الأسد» على «الشجاع»، وَيُسَمَّى مَجَازًا لُغَوِيًّا؛ وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ فِي تَرْكِيبِ الْأَلْفَاظِ بِأَنْ يُسَنَدَ الْفِعْلُ إِلَى غَيْرِ مَنْ يَصْدُرُ عَنْهُ بِضَرْبٍ مِنَ التَّأْوِيلِ كَقَوْلِكَ: «أَنْبَتَ الرَّبِيعُ الْبَقْلَ»، فَإِنَّ كُلًّا مِنَ الْأَلْفَاظِ الثَّلَاثَةِ مُسْتَعْمَلٌ فِيهَا وَضَعُ لَهُ، لَكِنْ أُسْنِدَ الْإِنْبَاتُ إِلَى الرَّبِيعِ فَكَانَ مَجَازًا، وَيُسَمَّى مَجَازًا عَقْلِيًّا. (التشنيف: ٢٣٣/١).

(٣) قاله الجماهير من الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة والبياتيين . (فوائح الرحموت: ٢٨١/١، شرح التنقيح، ص: ٤٥، المحصول: ٣٢١/١، نهاية السؤل: ٣٠٠/١، شرح الكوكب: ١٨٥/١).

(٤) سورة الأنفال، الآية: ٢.

(٥) إِنَّ الَّذِينَ نَفَوْا الْمَجَازَ فِي الْإِسْنَادِ اخْتَلَفُوا فِي تَأْوِيلِ مَا فِيهِ الْمَجَازُ عَلَى مَذْهَبَيْنِ:

الأول: أَنَّ الْمَجَازَ فِي الْمُسْنَدِ لَا فِي الْإِسْنَادِ، قَالَ ابْنُ الْحَاجِبِ.

الثاني: أَنَّ الْمَجَازَ فِي الْمُسْنَدِ إِلَيْهِ لَا فِي الْإِسْنَادِ، قَالَ السَّكَاكِي .

(مختصر ابن الحاجب: ١٥٨/١، مفتاح العلوم للسكاكي، ص: ٥١١).

(٦) قاله الجمهور من الشافعية والحنابلة وغيرهم. (التشنيف: ٢٣٥/١، شرح الكوكب: ١٨٥/١).

(٧) وابن عبد السلام: هو عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم السلمي أبو محمد الشافعي، شيخ =

السَّلامِ والنَّقْشَوَانِي. وَمَنَعَ الإِمَامُ الحُرُوفَ مَظْلَقًا ، والفِعْلَ والمُشْتَقَّ إِلَّا بالتَّبَعِ. وَلَا يَكُونُ فِي الأَعْلَامِ خِلَافًا لِلغَزَالِي فِي مُتْلَمَحِ الصِّفَةِ.

والتَّقْشَوَانِي). مثاله في الأفعال: ﴿وَنَادَىٰ أَحَبُّ الْجَنَّةِ﴾^(١) أي ينادي، ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيْطَانُ﴾^(٢) أي تلتته، وفي الحروف: ﴿فَهَلْ رَأَىٰ لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ﴾^(٣) أي ما ترى.

(ومنع الإمام) الرازي (الحرف مطلقاً) أي قال: «لا يكون فيه مجازُ أفرادٍ لا بالذات ولا بالتبع، لأنه لا يُقيد إلا بضمة إلى غيره، فإن ضُمَّ إلى ما ينبغي ضمُّه إليه فهو حقيقة، أو إلى ما لا ينبغي ضمُّه إليه فمجازُ تركيبٍ»^(٤).

قال النَّقْشَوَانِي: «من أين أنه مجازُ تركيب؟ بل ذلك الضَّمُّ قرينةُ مجازِ الإفراد نحو قوله تعالى ﴿وَلَا أُصِلِّتُكُمْ فِي جُدُوعٍ النَّحْلِ﴾»^(٥) أي عليها.

(و) منع أيضاً (الفعل والمشتق) كاسم الفاعل، فقال: «لا يكون فيهما مجازٌ (إلا بالتبع) للمصدر أصلهما، فإن كان حقيقة فلا مجازٌ فيهما»^(٦). واعترض عليه بالتجوز بالفعل الماضي عن المستقبل، والعكس كما تقدّم من غير تجويزٍ في أصلهما؛ وبأن الاسم المشتق يُراد به الماضي والمستقبل مجازاً كما تقدّم من غير تجويزٍ في أصله.

وكان الإمام فيما قاله نظر إلى الحديث مجرداً عن الزمان.

(ولا يكون) المجازُ (في الأعلام)، لأنها إن كانت مرتجلة أي لم يسبق لها استعمالٌ لغير العَلَمِيَّةِ كـ «سُعاد»، أو منقولة لغير مناسبة كـ «فُضْل» فواضح، أو لمناسبة، كمن سَمَى ولده بـ «مبارك» لما ظنّه فيه من البركة، فكذلك لصحة الإطلاق عند زوالها. (خلافًا للغزالي في متلمح الصفة) بفتح الميم الثانية كـ «الحارث»، فقال: «إنه مجازٌ لأنه لا يُراد منه الصفة، وقد كان

= الإسلام وأخذ الأئمة الأعلام، عز الدين، سلطان العلماء، كان إماماً في العلم والعمل، والورع والزهد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أخذ الأصول عن الأمدى والفقه عن الفخر بن عساكر، توفي سنة ٦٦٠ هـ بالقاهرة، ودُفن بالقرافة. (طبقات الشافعية للإسنوي: ٨٤/٢).

(١) سورة الأعراف، الآية: ٤٤.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٠٢.

(٣) سورة الحاقة، الآية: ٨.

(٤) المحصول للرازي (٣٢٨/١). وتبعه البيضاوي في منهاجه (٣١٢/١).

(٥) سورة طه، الآية: ٧١.

(٦) المحصول للرازي (٣٢٨/١). وتبعه البيضاوي في المنهاج (٣١٢/١)، وظاهرُ صنيع الإسْنَوِي في شرح

المنهاج (٣١٢/١) موافقته، والله أعلم.

[عِلَامَاتُ الْمَجَازِ]

وَيُعْرَفُ بِتَبَادُرٍ غَيْرِهِ لَوْلَا الْقَرِينَةُ، وَصَحَّةُ النَّفْيِ، وَعَدَمُ وُجُوبِ الْأَطْرَادِ، وَجَمْعُهُ عَلَى خِلَافِ جَمْعِ الْحَقِيقَةِ، وَبِالتَّزَامِ تَقْيِيدُهُ، وَتَوْقُفُهُ عَلَى الْمُسَمَّى الْآخَرِ،

قَبْلَ الْعَلَمِيَّةِ مُوَضَّوعاً لَهَا^(١). وَهَذَا خِلَافٌ فِي التَّسْمِيَةِ، وَعَدَمُهَا أَوَّلَى.

[عِلَامَاتُ الْمَجَازِ]

(وَيُعْرَفُ) الْمَجَازُ أَيُّ الْمَعْنَى الْمَجَازِي لِلْفِعْلِ: ١- (بِتَبَادُرٍ غَيْرِهِ) مِنْهُ إِلَى الْفَهْمِ (لَوْلَا الْقَرِينَةُ)، وَمِنَ الْمَصْحُوبِ بِهَا الْمَجَازُ الرَّاجِعُ، وَسَيَأْتِي^(٢). وَيُؤْخَذُ مِمَّا ذُكِرَ: أَنَّ التَّبَادُرَ مِنْ غَيْرِ قَرِينَةٍ تُعْرَفُ بِهِ الْحَقِيقَةُ. ٢- (وَصَحَّةُ النَّفْيِ) كَمَا فِي قَوْلِكَ فِي الْبَلِيدِ: «هَذَا حِمَارٌ»، فَإِنَّهُ يَصْخَرُ نَفْيِ «الْحِمَارِ» عَنْهُ.

٣- (وَعَدَمُ وُجُوبِ الْأَطْرَادِ) فِيمَا يَدُلُّ عَلَيْهِ، بِأَنْ لَا يَطْرُدَ كَمَا فِي ﴿وَسَلِّ الْقَرْيَةَ﴾^(٣) أَيُّ أَهْلِهَا، فَلَا يُقَالُ: «وَأَسْأَلُ الْبَسَاطَ» أَيُّ صَاحِبِهِ؛ أَوْ يَطْرُدَ لَا وَجُوباً كَمَا فِي «الْأَسَدُ» لِلرَّجُلِ الشَّجَاعِ، فَيَصْخَرُ فِي جَمِيعِ جَزْئِيَّاتِهِ مِنْ غَيْرِ وَجُوبٍ لِحَوَازِ أَنْ يُعْبَّرَ فِي بَعْضِهَا بِالْحَقِيقَةِ، بِخِلَافِ الْمَعْنَى الْحَقِيقِيَّةِ فَيُلْزَمُ أَطْرَادُ مَا يَدُلُّ عَلَيْهِ مِنَ الْحَقِيقَةِ فِي جَمِيعِ جَزْئِيَّاتِهِ لِانْتِفَاءِ التَّعْبِيرِ الْحَقِيقِيِّ بِغَيْرِهَا.

٤- (وَجَمْعُهُ) أَيُّ جَمْعِ اللَّفْظِ الدَّالُّ عَلَيْهِ (عَلَى خِلَافِ جَمْعِ الْحَقِيقَةِ) كـ «الْأَمْرُ» بِمَعْنَى «الْفِعْلِ» مَجَازاً يُجْمَعُ عَلَى «أُمُورٍ»، بِخِلَافِهِ بِمَعْنَى «الْقَوْلِ» حَقِيقَةً فَيُجْمَعُ عَلَى «أَوَامِرٍ». ٥- (وَبِالتَّزَامِ) تَقْيِيدُهُ أَيُّ تَقْيِيدِ اللَّفْظِ الدَّالِّ عَلَيْهِ كـ «جَنَاحُ الذَّلِّ» أَيُّ لَيْلِ الْجَانِبِ، وَ«نَارُ الْحَرْبِ» أَيُّ شِدَّتِهِ، بِخِلَافِ الْمَشْتَرَكِ مِنَ الْحَقِيقَةِ، فَإِنَّهُ يُقَيَّدُ مِنْ غَيْرِ لَزُومٍ كـ «الْعَيْنُ الْجَارِيَّةُ». ٦- (وَتَوْقُفُهُ) فِي إِطْلَاقِ اللَّفْظِ عَلَيْهِ (عَلَى الْمُسَمَّى الْآخَرَ) نَحْوُ ﴿وَمَكْرُوءًا وَمَكْرًا أَلَّهُ﴾^(٤) أَيُّ جَازَاهُمْ عَلَى مَكْرِهِمْ حَيْثُ تَوَاطَرُوا - وَهُمْ الْيَهُودُ - عَلَى أَنْ يَقْتُلُوا عِيسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، بِأَنْ أُلْقِيَ شَبْهُهُ عَلَى مَنْ

(١) اختلف العلماء في دخول المجاز في الأعلام على ثلاثة مذاهب: الأول: لا يدخل المجاز في الأعلام مطلقاً، أي سواء وضعت للصفات أو الفرق بين الصفات، لأنها وضعت للفرق بين الذوات ولو دخلها المجاز لبطل هذا الغرض؛ ولأنها لا تنقل للعلاقة، وشرط المجاز العلاقة، قاله الرازي والبيضاوي والآمدني والمصنف وشيخ الإسلام. والثاني: يدخلها مطلقاً أي سواء وضعت للصفة أو للفرق بين الذوات، حكاه الأبياري. والثالث: يدخل في الأعلام الموضوع للصفة كـ «الأسود»، والحارث، ولا يدخل في التي وضعت للفرق بين الذوات كـ زيد، قاله الغزالي، وحسنه الزركشي. (المستصفى: ١/ ٦٧٩، المحصول: ١/ ٣٢٨، الإحكام: ١/ ٣٢، نهاية السؤل: ١/ ٣١٢، التشنيف: ١/ ٢٣٥، غاية الوصول، ص: ٥٠).

(٢) انظر: «تعارض المجاز والراجح والحقيقة المرجوحة»: ١/ ٢٦٨.

(٣) سورة يوسف، الآية: ٨٢.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ٥٤.

والإطلاق عَلَى الْمُسْتَحِيلِ.

[اشتراط السَّمْعِ فِي نَوْعِ الْمَجَازِ]

وَالْمُخْتَارُ اشْتِرَاطُ السَّمْعِ فِي نَوْعِ الْمَجَازِ، وَتَوَقَّفُ الْآمَدِيِّ.

وَكَلَمُوا بِقَتْلِهِ، وَرَفَعَهُ إِلَى السَّمَاءِ، فَقَتَلُوا الْمَلْقَى عَلَيْهِ الشَّبَهُ ظَنًّا أَنَّهُ عَيْسَى، وَلَمْ يَرْجِعُوا إِلَى قَوْلِهِ: «أَنَا صَاحِبُكُمْ»، ثُمَّ شَكُّوا فِيهِ لَمَّا لَمْ يَرَوْا الْآخَرَ. فإِطْلَاقُ «المَكْر» عَلَى الْمَجَازَةِ عَلَيْهِ مُتَوَقَّفٌ عَلَى وَجُودِهِ، بِخِلَافِ إِطْلَاقِ اللَّفْظِ عَلَى مَعْنَاهُ الْحَقِيقِيِّ فَلَا يَتَوَقَّفُ عَلَى غَيْرِهِ.

٧- (وَالِإِطْلَاقُ عَلَى الْمُسْتَحِيلِ) نَحْوُ ﴿وَسَلِّ الْقُرَيْيَةَ﴾^(١)، فإِطْلَاقُ الْمَسْؤُولِ عَلَيْهَا الْمَأْخُوذُ مِنْ ذَلِكَ مُسْتَحِيلٌ، لِأَنَّهَا الْأَبْنِيَّةُ الْمَجْتَمِعَةُ، وَإِنَّمَا الْمَسْؤُولُ أَهْلُهَا.

[اشتراط السَّمْعِ فِي نَوْعِ الْمَجَازِ]

(وَالْمُخْتَارُ اشْتِرَاطُ السَّمْعِ فِي نَوْعِ الْمَجَازِ)^(٢)، فَلَيْسَ لَنَا أَنْ نَتَجَوَّزَ فِي نَوْعٍ مِنْهُ كَالسَّبَبِ لِلْمُسَبَّبِ، إِلَّا إِذَا سُمِعَ مِنَ الْعَرَبِ صَوْرَةٌ مِنْهُ مِثْلًا. وَقِيلَ: «لَا يَشْتَرِطُ ذَلِكَ، بَلْ يُكْتَفَى بِالْعَلَاقَةِ الَّتِي نَظَرُوا إِلَيْهَا، فَيَكْفِي السَّمَاعُ فِي نَوْعٍ لَصَحَّةِ التَّجَوُّزِ فِي عَكْسِهِ مِثْلًا».

(وَتَوَقَّفُ الْآمَدِيِّ) فِي الْإِشْتِرَاطِ وَعَدَمِهِ.

١٣١

وَلَا يَشْتَرِطُ السَّمَاعُ فِي شَخْصِ الْمَجَازِ إِجْمَاعًا، بَأَنَّ لَا يُسْتَعْمَلُ إِلَّا فِي الصُّوَرِ الَّتِي اسْتَعْمَلَتْهُ الْعَرَبُ فِيهَا^(٣).

(١) سورة يوسف، الآية: ٨٢.

(٢) اتَّفَقَ الْعُلَمَاءُ عَلَى وُجُوبِ الْعَلَاقَةِ بَيْنَ الْمَفْهُومِ الْحَقِيقِيِّ وَالْمَجَازِيِّ، وَلَكِنْهُمْ اخْتَلَفُوا فِي إِشْتِرَاطِ النُّقْلِ عَنِ الْعَرَبِ فِي كُلِّ نَوْعٍ مِنْ أَنْوَاعِ الْمَجَازِ، بِحَيْثُ إِذَا سَمِعْنَا مِنْهُمْ إِطْلَاقَ السَّبَبِ عَلَى الْمُسَبَّبِ، وَالْكُلِّ عَلَى الْجُزْءِ، فَهَلْ لَنَا إِطْلَاقُ الْمُسَبَّبِ عَلَى السَّبَبِ، وَالْجُزْءِ عَلَى الْكُلِّ أَمْ لَا عَلَى ثَلَاثَةِ مَذَاهِبٍ: الْأَوَّلُ: يُشْتَرِطُ النُّقْلُ، فَلَيْسَ لَنَا أَنْ نَزِيدَ عَلَيْهِمْ، قَالَهُ الْحَنْفِيَّةُ، وَالشَّافِعِيَّةُ، وَالْحَنَابِلَةُ. الثَّانِي: لَا يُشْتَرِطُ، قَالَهُ ابْنُ الْحَاجِبِ، وَالْقَاضِي الْعَضُدُ. الثَّلَاثُ: التَّوَقُّفُ عَنِ الْجَزْمِ بِأَحَدِهِمَا، قَالَهُ الْآمَدِيُّ. (فَوَاتِحُ الرَّحْمَتِ: ١/ ٢٧٢، الْمَحْصُولُ: ١/ ٣٢٩، الْإِحْكَامُ: ١/ ٣٢، شَرْحُ الْعَضُدِ: ١/ ١٤٣، نِهَايَةُ السُّوْلِ: ١/ ٣٠٢، شَرْحُ الْكَوْكَبِ: ١/ ١٧٩).

(٣) إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ مَحَلَّ الْخِلَافِ فِي أَحَادِ الْأَنْوَاعِ السَّابِقَةِ قَبْلَ قَلِيلٍ، لَا فِي أَحَادِ الْأَشْخَاصِ وَإِنْ عَبَّرَ بِهِ ابْنُ الْحَاجِبِ فِي مَخْتَصَرِهِ (١/ ١٤٣) حَيْثُ قَالَ: «وَلَا يُشْتَرِطُ النُّقْلُ فِي الْإِحَادِ عَلَى الْأَصَحِّ»، فَلَا يَقُولُ أَحَدٌ: «لَا أَطْلُقُ «الْأَسَدَ» عَلَى هَذَا الشَّجَاعِ إِلَّا إِذَا أَطْلَقْتَهُ عَلَيْهِ الْعَرَبُ بَعِيْنَهُ»، بَلْ يَكْفِي إِطْلَاقُ الْعَرَبِ =

مسألة: [الْمُعَرَّبُ]

الْمُعَرَّبُ: لَفْظٌ غَيْرُ عِلْمٍ اسْتَعْمَلْتَهُ الْعَرَبُ فِي مَعْنَى وَضَعَهُ لَهُ فِي غَيْرِ لُغَتِهِمْ.
وَلَيْسَ فِي الْقُرْآنِ وَفَاقًا لِلشَّافِعِيِّ، وَابْنِ جَرِيرٍ، وَالْأَكْثَرِ.

(مسألة: [الْمُعَرَّبُ])

الْمُعَرَّبُ: لَفْظٌ غَيْرُ عِلْمٍ اسْتَعْمَلْتَهُ الْعَرَبُ فِي مَعْنَى وَضَعَهُ لَهُ فِي غَيْرِ لُغَتِهِمْ.
وَلَيْسَ فِي الْقُرْآنِ وَفَاقًا لِلشَّافِعِيِّ وَابْنِ جَرِيرٍ^(١) وَالْأَكْثَرِ^(٢)، إِذْ لَوْ كَانَ فِيهِ لَا شَتْمَ عَلَى غَيْرِ عَرَبِيٍّ فَلَا يَكُونُ كُلُّهُ عَرَبِيًّا، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾^(٣).
وَقِيلَ: «إِنَّ فِيهِ كـ» «إِسْتَبْرَقَ» فَارْسِيَّةٌ لِلدِّبَاجِ الْغَلِيظِ، وَ«قِسْطَاسٌ» رُومِيَّةٌ لِلْمِيزَانِ، وَ«مِشْكَاةٌ» هِنْدِيَّةٌ لِلْكُوءَةِ الَّتِي لَا تَنْفَذُ^(٤).

وَأَجِيبُ: بِأَنَّ هَذِهِ الْأَلْفَاظَ وَنَحْوَهَا اتَّفَقَ فِيهَا لُغَةُ الْعَرَبِ وَلُغَةُ غَيْرِهِمْ كَالصَّابُونِ^(٥).

= لَفْظُ «الْأَسَدِ» عَلَى شُجَاعٍ مَا لِشُجَاعِيَّتِهِ، ثُمَّ نُطْلِقُهُ عَلَى كُلِّ شُجَاعٍ، سِوَاءِ أَكَانَ مِنْ جَنْسٍ مَا أَطْلَقْتَهُ الْعَرَبُ عَلَيْهِ كـ«الْأَسَدِ» نُطْلِقُهُ الْعَرَبُ عَلَى «زَيْدٍ»، فَنُطْلِقُهُ نَحْنُ عَلَى عَمْرٍو، أَمْ مِنْ غَيْرِ جَنْسِهِ كإِطْلَاقِنَا «الْأَسَدَ» عَلَى غَيْرِ الْإِنْسَانِ مِنَ الشُّجْعَانِ بِجَامِعِ إِطْلَاقِ الْعَرَبِ لَهُ عَلَى الْإِنْسَانِ الشُّجَاعِ، وَإِلَّا لَمْ يَكُنِ الْآنَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ مَجَازًا، إِذْ لَيْسَ الْآنَ شَخْصٌ تَجَوَّزَتْ فِيهِ الْعَرَبُ، فَتَبَيَّنَ أَنَّ مَحَلَّ الْخِلَافِ النُّوعُ، لَا الشَّخْصُ. (رفع الحاجب: ٣٧٦/١، النجوم: ٤٢٨/١).

(١) وَابْنُ جَرِيرٍ: هُوَ مُحَمَّدُ بْنُ جَرِيرٍ بْنِ يَزِيدٍ الطَّبْرِيِّ، أَبُو جَعْفَرٍ، الْإِمَامُ الْبَارِعُ فِي أَنْوَاعِ الْعُلُومِ، كَانَ حَافِظًا لِكِتَابِ اللَّهِ عَارِفًا بِالْقِرَاءَاتِ، بَصِيرًا بِالْمَعَانِي، فَقِيهًا فِي الْأَحْكَامِ، عَالِمًا بِالسُّنَنِ وَطُرُقِهَا، صَحِيحًا وَسَقِيمًا، نَاسِخًا وَمَنْسُوخًا، عَارِفًا بِأَقْوَالِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ، عَارِفًا بِأَيَّامِ النَّاسِ وَأَخْبَارِهِمْ، وَلَهُ مَوْلاَفَاتٌ قِيَمَةٌ مِنْهَا: الْجَامِعُ فِي التَّفْسِيرِ، وَالتَّارِيخُ، أَخَذَ فِقَةَ الشَّافِعِيِّ عَنِ الرَّبِيعِ وَالزَّعْرَفَانِيِّ، وَلَكِنْ تَفَرَّدَ لَهُ لَا تَعْتَبَرُ وَجْهًا فِي الْمَذْهَبِ، تَوَفَّى رَحِمَهُ اللَّهُ سَنَةَ ٣١٠ هـ.
(التَّهْذِيبُ لِلنَّوَوِيِّ: ٩٥/١).

(٢) أَيُّ مِنَ الشَّافِعِيَّةِ وَالْحَنَابِلَةِ. (الرِّسَالَةُ، ص: ٤٠، التَّشْنِيفُ: ٢٣٨/١، شَرْحُ الْكُوكَبِ: ١٩٣/١).

(٣) سُورَةُ يُوسُفَ، آيَةُ: ٢.

(٤) قَالَهُ الْحَنْفِيَّةُ وَالْمَالِكِيَّةُ. (فَوَاتِحُ الرَّحْمَتِ: ٢٨٩/١، مَخْتَصَرُ ابْنِ الْحَاجِبِ: ١٧٠/١).

(٥) قَالَ الْفَيْصُومِيُّ فِي الْمَصْبَاحِ (ص: ٣٣٢، ص، ب، ن): «مَبْنَتْ عَنْهُ الْكَأْسُ» مِنْ بَابِ «ضَرَبَ»: ضَرَفْتُهَا، وَ(الصَّابُونُ): فَاعِلٌ، كَأَنَّهُ اسْمُ فَاعِلٍ مِنْ ذَلِكَ، لِأَنَّهُ يَصْرِفُ الْأَوْسَاحَ وَالْأَدْنَاسَ، مِثْلَ (الطَّاعُونَ) اسْمُ فَاعِلٍ، لِأَنَّهُ يَطْعَنُ الْأَرْوَاحَ. وَقَالَ ابْنُ الْجَوَالِقِيِّ: (الصَّابُونُ) أَعْجَمِيٌّ.

مسألة: [في أقسام اللفظ من حيث الاستعمال]

اللفظ: إمّا حقيقة، أو مجاز، أو حقيقة ومجاز باعتبارين. والأمران مُتَفَيَّانِ قَبْلَ الاستعمال.

ولا خلاف في وقوع العلم الأعجبي في القرآن كـ «إبراهيم، وإسماعيل»^(١)، ويحتمل أن لا يسمى معرباً كما مشى عليه المصنّف هنا، حيث قال: «غَيْرُ عِلْمٍ»، وأن يسمى كما مشى عليه في «شرح المختصر»^(٢)، حيث لم يقل ذلك ثم، نبّه على أن العلم متفق على وقوعه.

وعقب هنا «المجاز» بـ «المعرب» لشبهه به، حيث استعملته العرب فيما لم يضعوه له كاستعمالهم «المجاز» فيما لم يضعوه له ابتداءً.

مسألة: [في أقسام اللفظ من حيث الاستعمال]

اللفظ المستعمل في معنى: (إمّا حقيقة) فقط، (أو مجاز) فقط، كـ «الأسد» للحيوان المفترس، أو للرجل الشجاع.

(أو حقيقة ومجاز باعتبارين)، كأن وضع لغة لمعنى عام، ثم خصّه الشرع أو العرف بنوع منه كـ «الصوم» في اللغة للإمساك، خصّه الشرع بالإمساك المعروف، و «الدابة» في اللغة لكل ما يذب على الأرض، خصّها العرف العام بذات الحوافر، وأهل العراق بالفرس.

فاستعمله في العام حقيقة لغوية، مجاز شرعي أو عرفي، وفي الخاص بالعكس^(٣).

ويمتنع كونه حقيقة ومجازاً باعتبار واحد للتناهي بين الوضع ابتداءً وثانياً، إذ لا يصدق أن اللفظ المستعمل في معنى موضوع له ابتداءً وثانياً.

(والأمران) أي الحقيقة والمجاز (متفیان) عن اللفظ (قبل الاستعمال)، لأنه مأخوذ في حدّهما، فإذا انتفى انتفياً^(٤).

(١) فائدة: قال أبو منصور الجواليقي رحمه الله: «كل أسماء الأنبياء أعجمية إلا أربعة: آدم، وصالح، وشعيب، ومحمد صلى الله عليهم وسلّم تسليمًا».

(التشنيف: ١/٢٣٨).

(٢) رفع الحاجب للمصنف (١/٤١٤). حاصل كلام الشارح الظاهر أن بين كلامي المصنف هنا وفي «شرح المختصر» تنافياً، وليس كذلك، بل يحمل كلامه المطلق ثم على المقيّد هنا. (النجوم: ١/٤٢٩).

(٣) المحصول للرازي: ١/٣٤٣.

(٤) مثله: في الإحكام (١/٣٢)، وشرح الكوكب (١/٢٩٤)، شرح التنقيح (ص: ١١٢).

[مَحْمَلُ اللَّفْظِ]

ثُمَّ هو مَحْمُولٌ عَلَى عُرْفِ الْمُخَاطَبِ. ففي الشرع: الشرعيُّ لآثِهِ عُرْفُهُ، ثُمَّ العُرْفِيُّ العامُّ، ثُمَّ اللُّغَوِيُّ.

وقال الغزالي والآمدي: «في الإثبات الشرعي»، وفي النفي: الغزالي: «مُجْمَلٌ»، والآمدي: «اللُّغَوِيُّ».

[مَحْمَلُ اللَّفْظِ]

(ثُمَّ هو) أي اللفظ (مَحْمُولٌ عَلَى عُرْفِ الْمُخَاطَبِ) بكسر «الطاء»: الشارع، أو أهل العُرْفِ، أو اللغة. (ففي) خطاب (الشرع) المَحْمُولُ عليه المعنى: (الشرعيُّ، لآثِهِ عُرْفُهُ) أي لأنَّ الشرعي عرفُ الشرع، لأنَّ النبي ﷺ بُعث لبيان الشرعيات. (ثُمَّ) إذا لم يكن معنى شرعي، أو كان وصَرَفَ عنه صارَفٌ، فالمَحْمُولُ عليه المعنى (العُرْفِيُّ العامُّ) أي الذي يتعارفه جَمِيعُ الناس، بأن يكون متعارفاً زمنَ الخطاب واستمرَّ، لأنَّ الظاهر إرادته لتبادره إلى الأذهان. (ثُمَّ) إذا لم يكن معنى عُرْفِي عامٌّ، أو كان وصَرَفَ عنه صارَفٌ، فالمَحْمُولُ عليه المعنى (اللُّغَوِيُّ)، لَتَعْيْنِهِ حينئذٍ. فَحَصَلَ من هذا: أن ما له مع المعنى الشرعي له معنى عُرْفِي عامٌّ، أو معنى لغويٍّ، أو هما يُحْمَلُ أَوَّلًا عَلَى الشرعيِّ؛ وأن ما له معنى عُرْفِي عامٌّ ومعنى لغويٍّ ١٣٣ يُحْمَلُ أَوَّلًا عَلَى العُرْفِي العامِّ^(١).

(وقال الغزالي والآمدي) فيما له معنى شرعيٍّ، ومعنى لغويٍّ: «مَحْمَلُهُ (في الإثبات الشرعيِّ)، وَفَقْ ما تقدَّم؛ (وفي النفي) - وعبارتهما «النهي»، وعدَلَّ عنه مع إرادته لِمُنَاسَبَةِ «الإثبات» - قال (الغزالي): «اللفظ (مُجْمَلٌ) أي لم يتضح المراد منه، إذ لا يُمكن حَمْلُهُ عَلَى الشرعيِّ لوجود النهي، ولا عَلَى اللُّغَوِيِّ لأنَّ النبي ﷺ بُعث لبيان الشرعيات»^(٢)؛ (و) قال (الآمدي): «مَحْمَلُهُ (اللُّغَوِيُّ) لِتَعَدُّرِ الشرعيِّ بِالنَّهْيِ»^(٣).

وأجيب: بأنَّ المراد بـ «الشرعيِّ» ما يسمَّى شرعاً بذلك الاسم صحيحاً كان أو فاسداً، يقال: «صَوْمٌ صحيحٌ»، و «صَوْمٌ فاسدٌ». ولم يذكُرْ غيرَ هذا القسم.

(١) قاله الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة.

(فواتح الرحموت: ٣٠٥/١، شرح التقيج، ص: ١١٢، التشيف: ٢٤٠/١، شرح الكوكب: ٢٩٩/١).

(٢) المستصفى للغزالي: ٦٩١/١.

(٣) الإحكام للآمدي: ٢٣/١.

[تَعَارُضُ الْمَجَازِ الرَّاجِحِ وَالْحَقِيقَةِ الْمَرْجُوحَةِ]

وفي تَعَارُضِ الْمَجَازِ الرَّاجِحِ وَالْحَقِيقَةِ الْمَرْجُوحَةِ

مثالُ الإثباتِ: منه حديثُ مسلمٍ عن عائشة: «دَخَلَ عَلَيَّ النَّبِيُّ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ، فَقَالَ: هَلْ عِنْدَكُمْ شَيْءٌ؟ قُلْنَا: لَا، قَالَ: فَإِنِّي إِذْنُ صَائِمٌ»^(١). فَيُحْمَلُ عَلَى الصَّوْمِ الشَّرْعِيِّ، فَيُقَيَّدُ صَحَّتُهُ، وَهُوَ نَفْلٌ بَنِيَّةٌ مِنَ النَّهَارِ^(٢).

ومثالُ النهي: منه حديثُ الصحيحين أَنَّهُ ﷺ «نَهَى عَنْ صِيَامِ يَوْمَيْنِ: يَوْمِ الْفِطْرِ وَيَوْمِ النَّحْرِ»^(٣). وسيأتي في مبحث «المَجْمَلِ»^(٤) خِلَافٌ فِي تَقْدِيمِ الْمَجَازِ الشَّرْعِيِّ عَلَى الْمَسْمُومِ اللَّغْوِيِّ.

[تَعَارُضُ الْمَجَازِ الرَّاجِحِ وَالْحَقِيقَةِ الْمَرْجُوحَةِ]

(وفي تَعَارُضِ الْمَجَازِ الرَّاجِحِ وَالْحَقِيقَةِ الْمَرْجُوحَةِ)^(٥) بَأَنَّ غَلَبَ اسْتِعْمَالِ الْمَجَازِ عَلَيْهَا

- (١) رواه مسلم في الصيام، باب جواز صوم النافلة بنية من النهار (٢٧٠٧)، وأبو داود في الصيام، باب في الرخصة في ذلك (٢٤٥٥)، والترمذي في الصوم، باب صيام المتطوع بغير تبين (٧٣٣)، والنسائي في الصيام، باب النية في الصيام (٢٣٢٤).
- (٢) اختلف العلماء في صحة صوم التطوع بنية من النهار على مذهبين: الأول: يصح إذا لم يأت شيئاً من المفطرات، قال الحنفية والشافعية والحنابلة. الثاني: لا يصح إلا بنية من الليل، قاله المالكية والظاهرية. (المغني لابن قدامة: ١٠/٣)، مغني المحتاج: ١/٦٢٢، الكافي لابن عبد البر، ص: ١٢٠، فتح باب العناية: ١/٥٥٨.

- (٣) رواه البخاري في الصوم، باب صوم يوم النحر (١٩٩٥)، ومسلم في الصيام، باب النهي عن صوم يوم الفطر ويوم الأضحي (١٦٦٧)، وأبو داود في الصيام، باب في صوم العيدين (٢٤١٦)، والترمذي في الصوم، باب ما جاء في كراهية الصوم يوم الفطر والنحر (٧٧١)، وابن ماجه في الصوم، باب في النهي عن صيام يوم الفطر والأضحي (١٧٢٢).

قال الإمام النووي رحمه الله في شرح مسلم (٢٥٧/٨): «أجمع العلماء على تحريم صيام هذين اليومين بكل حال سواء صامها عن نذر أو تطوع أو كفارة أو غير ذلك. ولو نذر صومهما متعمداً لعيניהما قال الشافعي والجمهور: لا ينعقد نذره، ولا يلزمه قضاؤهما. وقال أبو حنيفة: ينعقد، ولا يلزمه قضاؤهما، فإن صامهما أجزأه. وخالف الناس كلهم في ذلك». (المغني لابن قدامة: ١٠/٣).

- (٤) انظر: «المسمى الشرعي مقدّم على غيره»: ٤٣٧/١.

- (٥) لتعارض الحقيقة والمجاز أربعة أقسام: الأول: أن يكون المجاز مرجوحاً لا يفهم إلا بقرينة كـ «الأسد» للشجاع، فتقدّم الحقيقة وفاقاً. الثاني: أن يغلب استعمال المجاز حتى يساوي الحقيقة، =

أقوال، ثالثها المختار: «مُجَمَّل».

[ثُبُوتُ حُكْمٍ يُمَكِّنُ كَوْنَهُ مُرَادَ الْخِطَابِ مَجَازاً لَا يَدُلُّ عَلَيْهِ]

وِثْبُوتُ حُكْمٍ يُمَكِّنُ كَوْنَهُ مُرَاداً مِنْ خِطَابٍ مَجَازاً لَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ

(أقوال): قال أبو حنيفة: «الحقيقة أولى في الحمل لأصالتها»^(١).

١٣٤

وأبو يوسف: «المجاز أولى لِعَلَبَتِهِ»^(٢).

(ثالثها المختار): «اللفظ (مُجَمَّل)»، لا يُحْمَلُ عَلَى أَحَدِهِمَا إِلَّا بِقَرِينَةٍ، لِرَجْحَانِ كُلِّ مَنِهَا مِنْ وَجْهِ»^(٣).

مثاله: حَلَفَ «لَا يَشْرَبُ مِنْ هَذَا النَّهْرِ» - فالحقيقة المتاعاهدة: الكَرْعُ مِنْهُ بَفِيهِ، كَمَا يَفْعَلُ كَثِيرٌ مِنَ الرُّعَاءِ، وَالْمَجَازُ الْغَالِبُ: الشَّرْبُ بِمَا يُغْتَرَفُ مِنْهُ كَالْإِنَاءِ - وَلَمْ يَنْوَ شَيْئاً، فَهَلْ يَحْنُثُ بِالْأَوَّلِ دُونَ الثَّانِي، أَوْ الْعَكْسُ، أَوْ لَا يَحْنُثُ بَوَاحِدٍ مِنْهُمَا؟ الْأَقْوَالُ^(٤).

فَإِنْ هُجِرَتِ الْحَقِيقَةُ قُدِّمَ الْمَجَازُ عَلَيْهَا اتِّفَاقاً، كَمَنْ حَلَفَ «لَا يَأْكُلُ مِنْ هَذِهِ النَّخْلَةِ»، فَيَحْنُثُ بِشَرِّهَا، دُونَ خَشْبِهَا الَّذِي هُوَ الْحَقِيقَةُ الْمَهْجُورَةُ، حَيْثُ لَا نِيَّةَ. وَإِنْ تَسَاوَيَا قُدِّمَتِ الْحَقِيقَةُ اتِّفَاقاً، كَمَا لَوْ كَانَتْ غَالِبَةً.

[ثُبُوتُ حُكْمٍ يُمَكِّنُ كَوْنَهُ مُرَادَ الْخِطَابِ مَجَازاً لَا يَدُلُّ عَلَيْهِ]

(وِثْبُوتُ حُكْمٍ) بِالْإِجْمَاعِ مِثْلًا (يُمَكِّنُ كَوْنَهُ) أَيِ الْحُكْمِ (مُرَاداً مِنْ خِطَابٍ)، لَكِنْ يَكُونُ الْخِطَابُ فِي ذَلِكَ الْمُرَادِ (مَجَازاً، لَا يَدُلُّ) الثَّبُوتُ الْمَذْكُورُ (عَلَى أَنَّهُ) أَيِ الْحُكْمِ هُوَ

= فَتَقَدَّمَ الْحَقِيقَةُ أَيْضاً وَفَاقاً لِعَدَمِ رُجْحَانِ الْمَجَازِ عَلَيْهَا كِ «النِّكَاحِ» يُطْلَقُ عَلَى الْعَقْدِ وَالْوِطْءِ مِثْلًا. الثَّالِثُ: أَنْ يَكُونَ الْمَجَازُ رَاجِحاً وَالْحَقِيقَةُ مُمَاتَةً لَا تُرَادُ فِي الْعُرْفِ، فَيُقَدِّمُ الْمَجَازُ وَفَاقاً، لِأَنَّهُ إِنَّمَا حَقِيقَةٌ شَرْعِيَّةٌ كِ «الصَّلَاةِ»، أَوْ عَرَفِيَّةٌ كِ «الدَّابَّةِ». الرَّابِعُ: أَنْ يَكُونَ الْمَجَازُ رَاجِحاً وَالْحَقِيقَةُ قَدْ تَنَاعَاهُ فِي بَعْضِ الْأَوَاقَاتِ، فَهُوَ مَحَلُّ الْخِلَافِ عِنْدَ الْأَكْثَرِ، خِلَافاً لِلرَّازِي فِي جَعْلِهِ ذَلِكَ الْقِسْمَ الثَّانِي. (نَهَايَةُ السُّوْلِ: ١٣١٧، التَّنْصِيفُ: ٢٤١/١، شَرْحُ الْكَوْكَبِ: ١٩٧/١).

(١) فَوَاتِحُ الرَّحْمَوْتِ: ٣٠٢/١.

(٢) وَهَذَا قَالَ أَيْضاً الْمَالِكِيُّ وَالْحَنَابِلَةُ وَمُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ الشَّيْبَانِيُّ مِنَ الْحَنَفِيَّةِ.

(٣) فَوَاتِحُ الرَّحْمَوْتِ: ٣٠٢/١، شَرْحُ التَّنْقِيحِ، ص: ١١٩، شَرْحُ الْكَوْكَبِ: ١٩٥/١.

(٤) قَالَهُ الشَّافِعِيَّةُ. (نَهَايَةُ السُّوْلِ: ٣١٦/١، التَّنْصِيفُ: ٢٤١/١، غَايَةُ الرُّصُولِ، ص: ٥١).

(٤) أَيِ ثَلَاثَةٍ: الْأَوَّلُ: يَحْنُثُ بِكُلِّ مَنِهَا حَمَلاً لِلْفِظِ عَلَى مَعْنِيَّتِهِ، قَالَهُ الشَّافِعِيَّةُ.

المُرَادُ منه، بَلْ يَبْقَى الْخِطَابُ عَلَى حَقِيقَتِهِ، خِلَافاً لِلْكَرْخِيِّ، وَالْبَصْرِيِّ.

(المُرَادُ منه) أي من الخطاب، (بَلْ يَبْقَى الْخِطَابُ عَلَى حَقِيقَتِهِ)، لعدم الصارف عنها^(١).
(خِلَافاً لِلْكَرْخِيِّ) من الحنفية، (وَالْبَصْرِيِّ) أبي عبد الله^(٢) من المعتزلة في قولهما: «يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ، فَلَا يَبْقَى الْخِطَابُ عَلَى حَقِيقَتِهِ، إِذْ لَمْ يَظْهَرْ مُسْتَنَدٌ لِلْحُكْمِ الثَّابِتِ غَيْرُهُ».
مثاله: وجوب التيمم على المجامع الفاقدة للماء إجماعاً، يُمكن كونه مراداً من قوله تعالى ﴿أَوْ لَمَسْتُمُ الْمَاءَ فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا﴾^(٣)، لكن على وجه المَجَاز، لأنَّ «الملامسة» حقيقة في الْجَسِّ بِالْيَدِ، مَجَازٌ في الجماع.

فقالاً: «المراد الجماع، وتكون الآية مستند الإجماع، إذ لا مستند غيرها وإلا لذكر، فلا يدلُّ على أَنَّ اللَّمَسَ يَقْضِي الْوُضُوءَ».

١٣٥

وَأُجِيبَ: بِأَنَّهُ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمُسْتَنَدُ غَيْرَهَا، وَاسْتغْنَى عَنْ ذِكْرِهِ بِذِكْرِ الْإِجْمَاعِ كَمَا هُوَ الْعَادَةُ، فَالْلَّمَسُ فِيهَا عَلَى حَقِيقَتِهِ، فَتَدُلُّ عَلَى نَقْضِهِ الْوُضُوءَ وَإِنْ قَامَتْ قَرِينَةٌ عَلَى إِرَادَةِ الْجَمَاعِ أَيْضاً بِنَاءً عَلَى الرَّاجِحِ أَنَّهُ يَصَحُّ أَنْ يُرَادَ بِاللَّفْظِ حَقِيقَتُهُ وَمَجَازُهُ مَعاً^(٤)، دَلَّتْ عَلَى مَسْأَلَةِ الْإِجْمَاعِ أَيْضاً، وَقَدْ قَالَ الشَّافِعِيُّ بِدَلَالَتِهَا عَلَيْهِمَا، حَيْثُ حَمَلَ «الملامسة» فِيهَا عَلَى الْجَسِّ بِالْيَدِ وَالْوُطْءِ.

= الثاني: يَحْنُثُ بِالْكَرْعِ، دُونَ الْإِغْتِرَافِ حَمَلًا لَهُ عَلَى الْحَقِيقَةِ، قَالَ أَبُو حَنِيفَةَ.

الثالث: يَحْنُثُ بِالْإِغْتِرَافِ دُونَ الْكَرْعِ تَغْلِيْبًا لِلْمَجَازِ، قَالَ الْمَالِكِيُّ وَالْحَنَابِلَةُ وَأَبُو يُوسُفَ وَمُحَمَّدُ.

(فَوَاتِحُ الرَّحْمَتِ: ٣٠٣/١، شرح التنقيح، ص: ١١٩، غَايَةُ الْوَصْلِ، ص: ٥٢، شرح الكوكب: ١/١٩٦).

(١) قَالَ الْمَالِكِيُّ وَالشَّافِعِيُّ وَغَيْرُهُمْ. (الْمَحْصُولُ: ٤١٧/١، شرح التنقيح، ص: ١١٤).

(٢) وَالْبَصْرِيُّ: هُوَ الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ، أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْبَصْرِيُّ الْحَنْفِيُّ الْمَعْتَزَلِيُّ، شَيْخُ الْمُتَكَلِّمِينَ وَالْمَعْتَزِلَةَ،

أَخَذَ الْإِعْتِرَافَ عَنْ أَبِي هَاشِمٍ، وَلَا زَمَ الْكَرْخِيَّ طَوِيلًا، وَلَهُ تَصَانِيفٌ كَثِيرَةٌ فِي الْإِعْتِرَافِ وَالْفِقْهِ وَالْكَلَامِ، مِنْهَا: شَرْحُ أَصُولِ الْخَمْسَةِ، تُوُفِيَ رَحِمَهُ اللَّهُ سَنَةَ ٣٦٩ هـ.

(شَذَرَاتُ الذَّهَبِ: ٦٨/٣).

(٣) سُورَةُ الْمَائِدَةِ، آيَةُ ٦.

(٤) عِنْدَ الْمَالِكِيِّ وَالشَّافِعِيِّ وَالْحَنَابِلَةِ، خِلَافًا لِلْحَنْفِيَّةِ.

(فَوَاتِحُ الرَّحْمَتِ: ٢٩٥/١، التَّشْنِيفُ: ٢٤٢/١، شرح التنقيح، ص: ١١٤).

مسألة: [الكناية]

الكناية: لفظ استعمل في معناه مراداً منه لازم المعنى. فهي حقيقة. فإن لم يرد المعنى، وإنما عبّر بالملزوم عن اللازم فهو مجاز.

[التعريض]

والتعريض: لفظ استعمل في معناه ليُلَوَّحَ بغيره.....

(مسألة: [الكناية])

الكناية: لفظ استعمل في معناه مراداً منه لازم المعنى) نحو « زيد طويل النجاد » مراداً منه طويل القامة، إذ طولها لازم لطول النجاد: أي حمائل السيف.
(فهي حقيقة) لاستعمال اللفظ في معناه وإن أريد منه اللازم.
(فإن لم يرد المعنى) باللفظ، (وإنما عبّر بالملزوم عن اللازم فهو) أي اللفظ حينئذ (مجاز)، لأنه استعمل في غير معناه: أي الأول^(١).

[التعريض]

(والتعريض: لفظ استعمل في معناه ليُلَوَّحَ بفتح الواو: أي للتلويح (بغيره) كما في قوله تعالى حكاية عن الخليل عليه الصلاة والسلام ﴿بَلْ فَعَلَكُمْ كَيْدُكُمْ هَذَا﴾^(٢). نسب الفعل إلى كبير الأصنام المتخذة آلهة، كأنه غضب أن تُعبد الصغار معه، تلويحاً لقومه العابدين لها بأنها لا

(١) قسّم علماء المعاني والبيان اللفظ على ثلاثة أقسام: صريح، وكناية، وتعريض، ثم إن العلماء اختلفوا في الكناية هل هي حقيقة أم مجاز على أربعة مذاهب:
الأول: أن الكناية حقيقة إن استعمل اللفظ في معناه الموضوع له أولاً، وأريد لازم معناه، ومجاز إن لم يرد المعنى الحقيقي، قاله الشافعية والحنابلة.

الثاني: أنها مجاز مطلقاً، وهو مقتضى كلام الزمخشري في تفسير الآية (٢٣٥) من البقرة.

الثالث: أنها حقيقة مطلقاً، قاله ابن عبد السلام، وعزاه الكراني للجمهور.

الرابع: أنها ليست بحقيقة ولا مجاز، قاله السكاكي، وتبعه القزويني في التلخيص.

(التشنيف: ١/٢٤٣، غاية الوصول، ص: ٥٢، شرح الكوكب: ١/١٩٩).

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٦٣.

فهو حقيقةً أبداً.

١٣٦ تصلح أن تكونَ إلهةً لما يَعْلَمُونَ إذا نظروا بعقولهم مِن عجزٍ كبيرٍها عن ذلك الفعل: أي كسرِ صغارها، فضلاً عن غيره، و الإله لا يكونُ عاجزاً.

(فهو) أي التعريضُ (حقيقةً^(١) أبداً^(٢))، لأنَّ اللفظَ فيه لم يُستعمل في غير معناه، بخلافه في الكناية كما تقدّم.

(١) قاله المالكية والشافعية والحنابلة وغيرهم.

(الضياء اللامع: ٢/٢٨٩، البحر: ٢/٢٥١، التننيف: ١/٢٤٣، شرح الكوكب: ١/٢٠٢).

(٢) قال شيخ الإسلام رحمه الله في غاية الوصول (ص: ٥٢): «التعريضُ ثلاثة أقسام: حقيقةٌ ومجازٌ وكنايةٌ كما صرح به السكاكي، والأصلُ [يعني المصنف هنا] جرى على أنه حقيقةٌ أبداً، وما ذكر من أنه حقيقةٌ ومجازٌ وكنايةٌ هو بالنسبة المعنى الحقيقي أو المجازي أو الكنائي، أمّا بالنسبة للمعنى التعريضي فلم يُفده اللفظُ، وإنّما أفادَ سياقَ الكلام.

وتعريفُ الكناية والتعريضُ بما ذكر مأخوذٌ من البيهقيين، وهما مُقابلان للصحيح.

وأما عند الأصوليين والفقهاء: فالكناية: ما احتمل المرادَ وغيره كـ «أنتِ خلية» في الطلاق.

والتعريضُ: ما ليس صريحاً ولا كنايةً كقولهم في باب القذف: يا ابنَ الحلالِ».

رَفَعُ

عبد الرحمن البخاري
أسكنه الله الفردوس

الْحُرُوفُ

الحُرُوف

أَحَدُهَا: «إِذَنْ» قال سِيَبَوِيهِ: «للجوابِ والجزاء»، قال الشَّلَوِيُّ: «دائماً»،
والفارسي: «غالباً».

الثاني: «إِنْ»: للشرط، وَ النَّفْي، وَ الزِّيَادَة .

(الْحُرُوف)

أي هذا مبحث الحروف التي يحتاج الفقيه إلى معرفة معانيها، لكثرة وقوعها في الأدلة،
لكن سيأتي منها أسماء، ففي التعبير بها تغليب للأكثر. في خط المصنف عدها بالقلم الهندي
اختصاراً في الكتابة، وفي بعض النسخ بالقلم المعتاد، ولنمشی عليه لوضوحه: (أَحَدُهَا: «إِذَنْ»)
من نواصب المضارع^(١). (قال سيبويه: «للجواب والجزاء»): (قال الشَّلَوِيُّ^(٢): «دائماً»، و)
قال (الفارسي: «غالباً»). وقد تتمحض للجواب، فإذا قلت لِمَنْ قال أزوْرُك: «إِذَنْ أكرمك»،
فقد أجبته، وجعلت إكرامك جزاءً زيارته، أي: إِنْ زُرْتَنِي أكرمْتُك. وإذا قلت لِمَنْ قال أُجَبَك:
«إِذَنْ أَصْدُقُك»، فقد أجبته فقط عند الفارسي. ومدخول «إِذَنْ» فيه مرفوع، لانتهاء استقباله
المشترط في نصبها. ويتكلف الشَّلَوِيُّ في جعل هذا مثلاً للجزاء أيضاً، أي إِنْ كُنْتَ قلت
ذلك حقيقة صدقتك. وسيأتي عدها من مسالك العلة، لأن الشرط علة للجزاء^(٣).

١٣٦

(الثاني: «إِنْ») بكسر الهمزة وسكون النون: ١- (للشرط) أي لتعليق حصول مضمون جملة

بحصول مضمون أخرى، نحو ﴿إِنْ يَنْتَهُوا يُعْفَر لَهُمْ مَّا قَدْ سَلَفَ﴾^(٤).

١٣٧

٢- (والنفي) نحو ﴿إِنْ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ﴾^(٥)، ﴿إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا آلْحُسْنَ﴾^(٦) أي ما.

٣- (والزيادة) نحو «ما إِنْ زَيْدٌ قائمٌ، ما إِنْ رَأَيْتُ زَيْدًا».

(١) تنصب «إِذَنْ» المضارع بشرط تصديرها، واستقباله، واتصالها أو انفصالها بالقسم أو بـ «لا»
الناهية. (الإتقان: ١/ ٤٧٤).

(٢) والشَّلَوِيُّ: هو عمر بن محمد بن عمر الأندلسي الأزدي الإشبيلي، أبو علي النحوي، والشَّلَوِيُّ
لقبه، ومعناه بلغة الأندلس: الأبيض الأشقر، إمام العربية في عصره، صاحب مؤلفات منها: تعليق
على كتاب سيبويه، والتوطئة في النحو، توفي رحمه الله سنة ٦٤٥ هـ. (شذرات الذهب: ٥/ ٢٣٢).

(٣) انظر: «المسلك الثاني: النَّصُّ»: ٢٢٣/ ٢.

(٤) سورة الأنفال، الآية: ٣٨.

(٥) سورة الملك، الآية: ٢٠.

(٦) سورة التوبة، الآية: ١٠٧.

الثالث: «أو»: للشك، والإيهام، والتخيير، ومطلق الجمع، والتقسيم، وبمعنى «إلى»، والإضراب كـ «بَلْ»، قال الحريري: «والتقريب نحو: ما أدري أَسَلَّمَ أو ودَّعَ».

الرابع: «أي» بالفتح والسكون: للتفسير، ولنداء القريب أو البعيد أو المتوسط أقوال.

(الثالث: «أو») من حروف العطف: ١- (لشك) من المتكلم، نحو ﴿قَالُوا لَيْسَ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾^(١). ٢- (والإيهام) على السامع، نحو ﴿أَتَنْهَأُ أَمْرًا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا﴾^(٢). ٣- (والتخيير) بين المعطوفين سواء امتنع الجمع بينهما نحو «خُذْ مِنْ مَالِي ثَوْبًا أَوْ دِينَارًا»، أم جازَ نحو «جالس العلماء أو الوُعَاظ». وقصر ابن مالك وغيره التخيير على الأول، وسَمَوْا الثاني بـ «الإباحة»^(٣).

٤- (ومطلق الجمع) كـ «الواو» نحو:

وقد زَعَمْتَ لَيْلَى بِأَنِّي فَاجِرٌ لِنَفْسِي ثِقَاها أَوْ عَلِيهَا فُجُورُها.

أي: وعليها. ٥- (والتقسيم) نحو «الكلمة: اسمٌ أو فعلٌ أو حرفٌ» أي مقسمة إلى الثلاثة تقسيم الكلّي إلى جزئياته، فيصدق على كلٍّ منها. ٦- (وبمعنى «إلى») فينصب بعدها المضارع بـ «أن» مضمر، نحو «لَا لَزِمْتُكَ أَوْ تَقْضِيَنِي دَيْنِي» أي إلى أن تقضيني. ٧- (والإضراب كـ «بَلْ»)، نحو ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ آلَافٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾^(٤) أي بل يزيدون. ٨- (قال الحريري)^(٥): «والتقريب نحو: ما أدري أَسَلَّمَ أو ودَّعَ»، هذا يقال لمن قصّر سلامه كالوداع، فهو من تجاهل العارف، والمراد تقريب السلام لقصّره من الوداع، ونحوه «وما أدري أأذن أو أقام» لمن أسرع في الأذان كالإقامة.

(الرابع: «أي» بالفتح) للهمزة (والسكون) للياء: ١- (للتفسير) بمفرد نحو «عندي عَسَجَدٌ أي ذهبٌ»، وهو عطف بيان أو بدل، أو بجملة نحو:

وَتَرْمِيَنِي بِالظَّرْفِ أَيْ أَنْتَ مُذْنِبٌ وَتَقْلِيَنِي لَكِنْ إِيَّالِكَ لَا أَقْلِي

(١) سورة الكهف، الآية: ١٩.

(٢) سورة يونس، الآية: ٢٤.

(٣) ليس المراد بها الإباحة الشرعية، بل العقلية أو العرفية، لأن الكلام في معنى «أو» لغة قبل ظهور الشرع في أي وقت كان وعند أي قوم كانوا. (النجوم اللوامع: ١/٤٣٩).

(٤) سورة الصافات، الآية: ١٤٧.

(٥) والحريري: هو القاسم بن علي بن محمد أبو محمد البصري الحريري، أحد الأئمة في الأدب واللغة، فريد عصره، فاق الأقران بالذكاء والفصاحة، وكان غنياً، وله تأليف حسنة منها: المقامات، دُرّة الغواص، توفي رحمه الله سنة ٥١٦ هـ على الأصح. (شذرات الذهب: ٤/٥٠).

الخامس: «أي» بالتشديد: للشرط، والاستفهام، وموصولة، ودالة على معنى الكمال، وموصلة لنداء ما فيه «أل».

ف «أنت مُذنبٌ» تفسير لما قبله، إذ معناه: تنظر إليّ نظر مغضب، ولا يكون ذلك إلا عن ذنب. واسم «لكن» ضمير الشأن، وقُدّم المفعول من خبرها لإفادة الاختصاص: أي لا أتركك بخلاف غيرك.

٢- (ولنداء القريب أو البعيد أو المتوسط أقوال) ^(١)، ويدلّ للأول ما في حديث الصحيحين في آخر أهل الجنة دخولاً، وأدناهم منزلة، فيقول: «أي رب، أي رب» ^(٢)، وقد قال تعالى ﴿فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ ^(٣). وقيل: «لا يدلّ لجواز نداء القريب بما للبعد تأكيداً» ^(٤).

(الخامس: «أي» ^(٥)) بالفتح و (بالتشديد) اسم: ١- (للشرط) نحو ﴿أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَةَ عَلَيَّ﴾ ^(٦). ٢- (والاستفهام) نحو ﴿أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هِذِهِ إِيمَانًا﴾ ^(٧). ٣- (وموصولة) نحو ﴿ثُمَّ لَنَزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ﴾ ^(٨) أي الذي هو أشد. ٤- (ودالة على معنى الكمال) بأن تكون صفة لنكرة، أو حالاً من معرفة، نحو «مررتُ برجلٍ أي رجلٍ، أو بعالمٍ أي عالمٍ» أي

(١) أي ثلاثة، الأول: أنه لنداء القريب، قاله المبرّد، والزمخشري، والشارح؛ الثاني: أنه لنداء البعيد، قاله سيويه، وابن مالك، والزركشي، وشيخ الإسلام؛ الثالث: أنه للمتوسط، قاله ابن برهان. (المقتضب للمبرّد: ٢٣٣/٤، شرح الكافية: ١٢٨٨/٣، كتاب سيويه: ٢٢٩/٢، التشنيف: ٢٥٠/١، غاية الوصول، ص: ٥٢).

(٢) رواه البخاري في التوحيد، باب قول الله تعالى ﴿وَجُودٌ بِمَنْزِلَةٍ تَأْتِيهِ﴾ (٦٨٨٥)، ومسلم في الإيمان، باب آخر أهل النار خروجاً (٤٦٠)، والترمذي في صفة جهنم، باب ما جاء أن للنار نفسين (٢٥٩٥)، وابن ماجه في الزهد، باب صفة الجنة (٤٣٣٩).

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٨٦.

(٤) قال العراقي في الغيث الهامع (٢٠٦/١): «وهو الراجع، ونقله ابن مالك عن سيويه».

(٥) قال العراقي في الغيث الهامع (٢٠٧/١): «قال الزركشي [في التشنيف: ٢٥٠/١]: كان ينبغي ذكر «أي» بكسر الهمزة وسكون الياء، ليستوفي جميع أقسامها. وهي حرف جواب بمعنى «نعم» ولا إيجاب بها إلا مع القسم في جواب الاستفهام كقوله تعالى [في سورة يونس، الآية: ٥٣]: ﴿أَحَقُّ مَوْثِقٌ لِي وَرَقٌ؟﴾ قلتُ [أي العراقي]: احتياج الفقيه لهذه اللفظة نادر، فلذلك لم يذكرها».

(٦) سورة القصص، الآية: ٢٨.

(٧) سورة التوبة، الآية: ١٢٤.

(٨) سورة مريم، الآية: ٦٩.

السَّادِسُ: «إِذْ» اسمٌ للماضي: ظرفاً، ومفعولاً به، وبدلاً من المفعول، ومُضافاً إليها اسمُ زمانٍ؛ وللمُستقبل في الأصح.
وتردُّ للتعليل حرفاً أو ظرفاً، وللمُفاجأةِ وفاقاً لِسَيِّوْنِهِ.

كامل في صفات الرجولية أو العلم، و«مررتُ بزيدٍ أي رجلٍ، أو أيِّ عالمٍ» أي كامل في صفات الرجولية أو العلم. ٥- (وَوُضِلَتْ لِنَدَاءِ مَا فِيهِ «أَل» نحو ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ﴾^(١).

(السَّادِسُ: «إِذْ» اسمٌ للماضي: ١- ظرفاً) نحو «جئتُك إذْ طلعت الشمسُ» أي وقتَ طلوعِها.

٢- (ومفعولاً به)^(٢) نحو ﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكُذِّبْتُمْ﴾^(٣) أي اذكُرُوا حالَتكم هذه. ١٣٩
٣- (وبدلاً من المفعول به) نحو ﴿أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ﴾^(٤)، أي اذكُرُوا النعمة التي هي الجعلُ المذكور. ٤- (ومضافاً إليها اسمُ زمانٍ) نحو ﴿رَبَّنَا لَا تُفِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾^(٥).

٥- (وللمستقبل في الأصح)^(٦)، نحو ﴿فَسَوْفَ يَكْلُمُونَ، إِذْ الْأَغْلُلُ فِي أَعْنَاقِهِمْ﴾^(٧).

وقيل: «ليست للمستقبل، واستعمالها فيه في هذه الآية، لتحقيق وقوعه كالماضي»^(٨).

٦- (وتردُّ للتعليل حرفاً) كاللام، (أو ظرفاً)^(٩) بمعنى «وقت»، والتعليلُ مستفادٌ من قوّة الكلام قولان، نحو «ضربتُ العبدَ إذْ أساء» أي لإساءته أو وقتِ إساءته، وظاهرٌ أن الضربَ

(١) سورة البقرة، الآية: ٢١.

(٢) هو ما عليه طائفة منهم الأخفش بناءً على خروج «إِذْ» عن الظرفية. وأما على قول الجمهور من ملازميتها للظرفية إلا إذا أضيف إليها زمنٌ كـ «يومئذ»، فلا يأتي فيها ذلك، بل هي مؤولةٌ بما يرُدُّها إلى الظرفية. (النجوم اللوامع: ١/٤٤٣).

(٣) سورة الأعراف، الآية: ٨٦.

(٤) سورة المائدة، الآية: ٢٠.

(٥) سورة آل عمران، الآية: ٨.

(٦) قاله ابنُ مالك، وجمعٌ من المتأخرين، واختاره المصنف، وشيخُ الإسلام.

(شرح التسهيل: ٢/٢١٠، غاية الوصول، ص: ٥٤).

(٧) سورة غافر، الآية: ٧١.

(٨) قاله الأكثرون من الشافعية والحنابلة، واختاره ابنُ عطية، والزمخشري، والزرخشري.

(التشنيف: ١/٢٥١، شرح الكوكب: ١/٢٧٥).

(٩) قال شيخُ الإسلام في غاية الوصول (ص: ٥٤): «وقيل: حرفاً».

السَّابِعُ: «إِذَا»: لِلْمُفَاجَأَةِ حَرْفًا وَفَاقًا لِلأَخْفَشِ وَابْنُ مَالِكٍ، وَقَالَ الْمُبَرِّدُ وَابْنُ عَصْفُورٍ: «ظَرَفَ مَكَانٍ»، وَالزَّجَّاجُ وَالزَّمْخَشَرِيُّ: «ظَرَفَ زَمَانًا».....

وقت الإساءة لأجلها. ٧- (وللمفاجأة) بأن تكون بعد «بَيْنًا» أو «بَيْنَمَا» (وفاقًا لِسَبِيئِيَّةٍ) حرفًا، كما اختاره ابن مالك^(١)، وقيل: «ظرف مكان»، وقال أبو حَيَّان: «ظرف زمان». واستغنى المصنف عن حكاية هذا الخلاف بحكاية مثله في «إِذَا» الأصلية في المفاجأة.

مثال ذلك: «بَيْنًا - أَوْ بَيْنَمَا - أَنَا وَقَفْتُ إِذْ جَاءَ زَيْدٌ» أَي فَاجَأَ مَجِيئُهُ وَقُوفِي، أَوْ مَكَانَهُ، أَوْ زَمَانَهُ. وقيل: «ليست للمفاجأة، وهي في ذلك ونحوه زائدة للاستغناء عنها، كما تركها منه كثير من العرب».

(السَّابِعُ: «إِذَا»: لِلْمُفَاجَأَةِ) بِأَن تَكُونَ بَيْنَ جَمْلَتَيْنِ ثَانِيَتُهُمَا ابْتِدَائِيَّةٌ (حَرْفًا وَفَاقًا لِلأَخْفَشِ)^(٢) وَابْنُ مَالِكٍ^(٣).

وَقَالَ الْمُبَرِّدُ^(٤) وَابْنُ عَصْفُورٍ^(٥): «ظَرَفَ مَكَانًا»^(٦).

١٤٠

وَالزَّجَّاجُ وَالزَّمْخَشَرِيُّ: «ظَرَفَ زَمَانًا»^(٧).

مثال ذلك: «خَرَجْتُ إِذَا زَيْدٌ وَقَفْتُ» أَي فَاجَأَ وَقُوفُهُ خُرُوجِي، أَوْ مَكَانَهُ، أَوْ زَمَانَهُ. وَمَنْ قَدَّرَ عَلَى الْقَوْلَيْنِ الْآخِرَيْنِ - «فَفِي ذَلِكَ الْمَكَانِ أَوْ الزَّمَانِ وَقُوفُهُ» - اقْتَصَرَ عَلَى بَيَانِ مَعْنَى

(١) قاله الشافعية والحنابلة. (الكتاب: ١٥٨/٢، شرح التسهيل: ٢/٢١٠، غاية الوصول، ص: ٥٤، شرح الكوكب: ١/٢٧٦).

(٢) وَالأَخْفَشُ: هُوَ سَعِيدُ بْنُ مَسْعُودَةَ الْمَجَاشِعِيِّ الْبَلْخِيِّ النُّحَوِيِّ أَبُو الْحَسَنِ، الْأَخْفَشُ الْأَوْسَطُ، أَخَذَ النُّحُوَ عَنْ خَلِيلِ بْنِ سَبِيئَةَ، أَشْهَرُ كُتُبِهِ: تَفْسِيرُ مَعَانِي الْقُرْآنِ، الْإِشْتِقَاقُ، تَوْفِي رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى سَنَةَ ٢١٠ هـ. (شذرات الذهب: ٢/٣٦).

(٣) قاله الحنفية والشافعية والحنابلة. (فواتح الرحموت: ١/٣٦٤، غاية الوصول، ص: ٥٤، الإِتْقَانُ: ١/٤٦٩، شرح الكوكب: ١/٢٧٢).

(٤) وَالْمُبَرِّدُ: هُوَ مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ الْأَكْبَرِ الْأَزْدِيُّ الْبَصْرِيُّ أَبُو الْعَبَّاسِ، الْمُبَرِّدُ، إِمَامُ النُّحُوِّ وَاللُّغَةِ، أَشْهَرُ مَصْنُفَاتِهِ: الْكَامِلُ، وَمَعَانِي الْقُرْآنِ، تَوْفِي رَحِمَهُ اللَّهُ سَنَةَ ٢٨٥ هـ. (شذرات الذهب: ٢/١٩٠).

(٥) وَابْنُ عَصْفُورٍ: هُوَ عَلِيُّ بْنُ عَصْفُورٍ بْنِ مُؤْمِنٍ أَبُو عَلِيٍّ النُّحَوِيُّ الْحَضْرَمِيُّ الْإِسْبِلِيُّ، حَامِلُ لُؤَاءِ الْعَرَبِيَّةِ فِي زَمَانِهِ بِالْأَنْدَلُسِ، كَانَ أَصْبَرَ النَّاسِ عَلَى الْمَطَالَعَةِ، تَوْفِي رَحِمَهُ اللَّهُ سَنَةَ ٦٦٩ هـ. (شذرات الذهب: ٣/٣٣٠).

(٦) الْإِتْقَانُ لِلْسَّيُوطِيِّ: ١/٤٦٩، الْكَامِلُ لِلْمُبَرِّدِ: ٣/١٣٥٣.

(٧) مَعَانِي الْقُرْآنِ لِلزَّجَّاجِ (١/٦٣)، الْإِتْقَانُ لِلْسَّيُوطِيِّ (١/٤٦٩).

وَتَرَدُّ ظَرْفًا لِلْمُسْتَقْبَلِ مُضْمَنَةً مَعْنَى الشَّرْطِ غَالِبًا. وَنَدَّرَ مَجِئُهَا لِلْمَاضِي وَالْحَالِ.
الثَّامِنُ: «الْبَاءُ»: لِلإِلْصَاقِ حَقِيقَةً وَمَجَازًا، وَالتَّعْدِيَةِ، وَالِاسْتِعَانَةِ، السَّبَبِيَّةِ،

الظَرْفِ، وَتَرَكَ مَعْنَى الْمَفْاجَأَةِ. وَهَلِ «الفاء» فِيهَا زَائِدَةٌ لَازِمَةٌ أَوْ عَاطِفَةٌ؟ قَوْلَانِ^(١).
(وَتَرَدُّ ظَرْفًا لِلْمُسْتَقْبَلِ مُضْمَنَةً مَعْنَى الشَّرْطِ غَالِبًا)^(٢)، فَتُجَابُ بِمَا يُصَدَّرُ بِالفَاءِ نَحْوُ ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ﴾، وَالْجَوَابُ ﴿فَسَيِّحٌ﴾^(٣).

وَقَدْ لَا تَضْمَنُ مَعْنَى الشَّرْطِ نَحْوُ «آتِيكَ إِذَا اخْمَرَ الْبُسْرُ» أَيِ وَقْتُ احْمَرَارِهِ.
(وَنَدَّرَ مَجِئُهَا لِلْمَاضِي) نَحْوُ ﴿وَإِذَا رَأَوْا تَحِيْرَةً أَوْ لَهْوًا﴾^(٤)، فَإِنَّهَا نَزَلَتْ بَعْدَ الرُّوْيَةِ وَالِانْفِصَافِ؛ (وَالْحَالِ) نَحْوُ ﴿وَأَتْلَى إِذَا يَفْتَى﴾^(٥)، فَإِنَّ الْعَشِيَّانِ مُقَارَنُ اللَّيْلِ.

(الثَّامِنُ: «الْبَاءُ»: ١- لِلإِلْصَاقِ حَقِيقَةً)، نَحْوُ «بِهِ دَاءٌ» أَيِ الصِّقْ بِهِ، (وَمَجَازًا) نَحْوُ «مَرَرْتُ بِزَيْدٍ» أَيِ التَّصَقَّتْ مَرُورِي بِمَكَانٍ يَقْرُبُ مِنْهُ. ٢- (وَالْتَّعْدِيَةِ) كَالْهَمْزَةِ نَحْوُ ﴿ذَهَبَ اللَّهُ يَتُورِهِمْ﴾^(٦) أَيِ أَذْهَبَهُ. ٣- (وَالِاسْتِعَانَةِ) بِأَنْ تَدْخُلَ عَلَى آلَةِ الْفِعْلِ، نَحْوُ «كَتَبْتُ بِالْقَلَمِ». ٤- (وَالسَّبَبِيَّةِ) نَحْوُ ﴿فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِمْ﴾^(٧). ٥- (وَالْمُصَاحَبَةِ) نَحْوُ ﴿فَدَجَاءَكُمْ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ﴾^(٨) أَيِ مُصَاحِبًا لَهُ. ٦- (وَالظَرْفِيَّةِ) الْمَكَانِيَّةِ أَوْ الزَّمَانِيَّةِ نَحْوُ ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ﴾^(٩)، ﴿يَجْتَنِّهُمْ سَحَرًا﴾^(١٠). ٧- (وَالْبَدَلِيَّةِ) كَمَا فِي قَوْلِ عُمَرَ رضي الله عنه: «اسْتَأْذَنْتُ النَّبِيَّ ﷺ فِي الْعِمْرَةِ، فَأَذِنَ، وَقَالَ: لَا تَنْسَنَا يَا أَخِي مِنْ دَعَائِكَ. فَقَالَ كَلِمَةً مَا يَسْرُنِي أَنْ لِي بِهَا الدُّنْيَا»^(١١) أَيِ بَدَلَهَا. رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَغَيْرُهُ.

(١) الأول لأبي علي الفارسي؛ والثاني لابن جني؛ وبقي ثالث للزجاج: أنها للسببية المحضة كـ «فاء» الجواب. (مغني اللبيب، ص: ١٢١، النجوم اللوامع: ١/٤٤٥).

(٢) قاله الحنفية والشافعية والحنابلة وغيرهم.

(فوائح الرحموت: ١/٣٦٥، البحر: ٢/٣٠٦، شرح الكوكب: ١/٢٧٢، الغيث: ١/٢٠٩).

(٣) سورة النصر، الآية: ١-٣.

(٤) سورة الجمعة، الآية: ١١.

(٥) سورة الليل، الآية: ١.

(٦) سورة البقرة، الآية: ١٧.

(٧) سورة العنكبوت، الآية: ٤٠.

(٨) سورة النساء، الآية: ١٧٠.

(٩) سورة آل عمران، الآية: ١٢٣.

(١٠) سورة الفرقان، الآية: ٣٤.

(١١) رواه أبو داود في الصلاة، باب الدعاء (١٢٨٠)، والترمذي في الدعوات، باب في دعاء النبي ﷺ =

والمُصاحبة، والظرفية، والبدلية، والمُقابلة، والمُجاوِزة، والاستعلاء، والقَسَم، والغاية، والتوكيد، وكذا التبعيةِ وفقاً للأصمعي والفارسي وابن مالك.

التاسع: «بَلْ»: للعطف، والإضراب: إمّا للإبطال، أو للانتقال مِنْ غرضٍ إلى آخر.

و«أَخِي» ضُبَطَ بِضَمِّ الهمزة مُصَغَّرًا لتقريبِ المُنزلة. ٨- (والمُقابلة) نحو «اشتريتُ الفرسَ بِألفٍ». ٩- (والمُجاوِزة) كـ «عَنْ» نحو ﴿وَيَوْمَ تَشَقُّ السَّمَاءُ بِالسَّمِّ﴾^(١) أي عنه. ١٠- (والاستعلاء) نحو ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَّهُ بِقِطَارٍ﴾^(٢) أي عليه. ١١- (والقَسَم) نحو «بالله لأفعلن كذا». ١٢- (والغاية) كـ «إلى» نحو ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِي﴾^(٣) أي إلَيَّ. ١٣- (والتوكيد) نحو ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾^(٤)، ﴿وَهَزَى إِلَيْكَ بِجَنَاحِ النَّحْلَةِ﴾^(٥) والأصل: كَفَى اللّهُ، وَهَزَى جَذَعَ. ١٤- (وكذا التبعية) كـ «مِنْ» (وفاًقاً للأصمعي^(٦))، والفارسي، وابن مالك) نحو ﴿عَيْنَا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ﴾^(٨) أي منها. وقيل^(٩): «ليست للتبعية، و«يشرب» في الآية بمعنى: يُرْوِي أو يَلْتَذُّ مجازاً، و«الباء» للسببية».

(التاسع: «بَلْ»: ١- للعطف) فيما إذا وليها مفردٌ سواءً أوليت موجباً أم غير موجب ففي المُوجِب نحو «جاء زيدٌ بل عمرو»، و«اضرب زيداً بل عمراً»، تنقلُ حكمَ المعطوف عليه - فيصيرُ كأنه مسكوتٌ عنه - إلى المعطوف؛ وفي غير المُوجِب نحو «ما جاء زيد، بل عمرو»،

= (٣٤٨٥)، وقال: «حسن صحيح»، وابنُ ماجه في المناسك، باب فضل دعاء الحاج (٢٨٨٥)، وأحمد في مسنده (١٩٠). ومندار الحديث على عاصم بن عُبيد الله، وهو ضعيف. (التقريب: ١٦٧/٢).

- (١) سورة الفرقان، الآية: ٢٥.
- (٢) سورة آل عمران، الآية: ٧٥.
- (٣) سورة يوسف، الآية: ١٠٠.
- (٤) سورة النساء، الآية: ١٦٦.
- (٥) سورة مريم، الآية: ٢٥.
- (٦) قاله الشافعية والحنابلة. (غاية الوصول، ص: ٥٥، شرح الكوكب: ١/٢٧١).
- (٧) والأصمعي: هو عبد الملك بن قُريب بن عبد الملك بن أضمع البصري، أبو سعيد، إمام اللغة والحديث، أشهر مصنفاته: غريبُ القرآن، غريبُ الحديث، الأمثال، توفي رحمه الله تعالى سنة ٢١٦هـ- (شذرات الذهب: ٣٦/٢).

(٨) سورة الإنسان، الآية: ٦.

(٩) قاله الحنفية والمالكية، وجمهرةٌ من أهل اللغة.

(فواتح الرحموت: ١/٣٤٩، شرح التنقيح، ص: ١٠٤، شرح الكوكب: ١/٢٧١).

العاشر: «يَبْدَ»: بِمَعْنَى «غَيْرَ»، وَبِمَعْنَى «مِنْ أَجْلِ»، وَعَلَيْهِ «يَبْدَ أَنِّي مِنْ قُرَيْشٍ».

و«لَا تَضْرِبْ زَيْدًا، بَلْ عَمْرًا»، تُقَرَّرُ حَكْمُ الْمَعْطُوفِ عَلَيْهِ، وَتَجْعَلُ ضِدَّهُ لِلْمَعْطُوفِ.

٢- (وَالْإِضْرَابُ) فِيمَا إِذَا وَلِيَهَا جُمْلَةً: (إِمَّا لِلْإِبْطَالِ) لِمَا وَلِيْنَهُ، نَحْوُ ﴿أَرَأَيْتُمْ أَفْعَالَهُمْ جَنَّةُ بَلِّ

جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ﴾^(١) فَالْجَائِي بِالْحَقِّ لَا جَنُونَ بِهِ؛ (أَوْ لِلانْتِقَالِ مِنْ غَرَضٍ إِلَى آخَرَ) نَحْوُ ﴿وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾، بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَرْقٍ مِنْ هَذَا﴾^(٢) فَمَا قَبْلَ «بَلِّ» فِيهِ عَلَى حَالِهِ.

(العاشر: «يَبْدَ»): اسْمٌ مُلَازِمٌ لِلنَّصْبِ وَالْإِضَافَةِ إِلَى «أَنَّ» وَصِلَتِهَا^(٣): ١- (بِمَعْنَى «غَيْرَ»)، ذَكَرَهُ الْجَوْهَرِيُّ، وَقَالَ: «يَقَالُ: إِنَّهُ كَثِيرُ الْمَالِ يَبْدُ أَنَّهُ بِخَيْلٍ»^(٤). ٢- (وَبِمَعْنَى «مِنْ أَجْلِ») ذَكَرَهُ أَبُو عُبَيْدَةَ وَغَيْرُهُ^(٥). (وَعَلَيْهِ) حَدِيثُ «أَنَا أَفْصَحُ مَنْ نَطَقَ بِ«الضَّادِ»، (يَبْدَ أَنِّي مِنْ قُرَيْشٍ)»^(٦) أَيِ الَّذِينَ هُمْ أَفْصَحُ مَنْ نَطَقَ بِهَا، وَأَنَا أَفْصَحُهُمْ، وَخَصَّهَا بِالذِّكْرِ لِعُسْرِهَا عَلَى غَيْرِ الْعَرَبِ، وَالْمَعْنَى: أَنَا أَفْصَحُ الْعَرَبِ. وَبِهَذَا اللَّفْظِ إِلَى آخِرِ مَا تَقَدَّمَ أَوْرَدَهُ أَهْلُ الْغَرِيبِ^(٧).

(١) سورة المؤمنون، الآية: ٧.

(٢) سورة المؤمنون، الآية: ٦٢.

(٣) هو ما عليه أبو حيان وابن هشام، وذهب ابن مالك إلى أنها حرفٌ استثناءٌ لأنَّ معنى «إِلَّا» مفهومٌ منها، ولا دليلٌ على اسميتها، وظاهرُ صنيع شيخ الإسلام اختياره، (الارتشاف لأبي حيان: ٣/١٥٤٥، مغني اللبيب، ص: ١٥٥، شرح التسهيل: ٣١٢/٢، النجوم اللوامع: ١/٤٥٠).

(٤) تاج اللغة وصحاح العربية (الصحاح) للجوهري: ٣٨٧/١ (ب، ي، د).

(٥) كإمامنا الشافعي. (التشنيف: ١/٢٦١).

(٦) هذا الحديث لا أصل له وإن كان معناه صحيحاً، وليس كلُّ ما صحَّ معناه حديثٌ، بل كلُّ حديثٍ معناه صحيحٌ، وفي قول الشارح: «وبهذا اللفظ أوردته أهل الغريب» إشارةٌ إليه. قال علي القاري في المصنوع (ص: ٦٠): «قال السيوطي: لا يُعْلَمُ مَنْ أَخْرَجَهُ، وَلَا إِسْنَادُهُ». وقال العجلوني في كشف الخفاء (١/٢٣٢): «قال في اللآلئ: معناه صحيحٌ، ولكن لا أصل له كما قال ابن كثير وغيره من الحفاظ، وأوردته أصحاب الغريب، ولا يُعْرَفُ لَهُ إِسْنَادٌ.... والعجب من المحلي حيث ذكره في «شرح جمع الجوامع» من غير بيان حاله، وكذا من شيخ الإسلام حيث ذكره في شرح الجزرية». وكذا في غاية الوصول (ص: ٥٥). (خلاصة البدر المنير: ٢/٢٥١، والتلخيص الحبير: ٦/٤، والمقاصد الحسنة، ص: ٩٥).

(٧) كالهروي في غريب الحديث (١/١٤٠)، والزمخشري في الفائق في غريب الحديث (١/١٤١)، وابن الأثير في النهاية في غريب الحديث والأثر (١/١٧٢). وهو حديث موضوع كما قال الحفاظ منهم: ابن الملقن، وابن حجر، والسخاوي، والسيوطي. ويغني عنه حديث البخاري (٨٣٦) ومسلم (٨٥٥) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «نَحْنُ الْآخِرُونَ السَّابِقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَبْدُ أَنَّهُمْ أَوْتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِنَا، ثُمَّ هَذَا [أَيِ يَوْمِ الْجُمُعَةِ] يَوْمُهُمُ الَّذِي فُرِضَ عَلَيْهِمْ فَاخْتَلَفُوا فِيهِ، فَهَدَانَا اللَّهُ، فَالنَّاسُ لَنَا فِيهِ تَبِعٌ: الْيَهُودُ غَدًا، وَالنَّصَارَى بَعْدَ غَدٍ».

الحادي عشر: «ثُمَّ»: حرف عطف للتشريك، والمُهْلَة على الصحيح، وللترتيب خلافاً للعبادي.

وقيل: «إِنَّ» «يُبد» فيه بمعنى «غير»، وأنه من تأكيد المدح بما يشبه الذم^(١).

(الحادي عشر: «ثُمَّ»: حرف عطف للتشريك) في الإعراب والحكم، (والمُهْلَة على الصحيح^(٢))، وللترتيب.

خلافاً للعبادي^(٣)، تقول: «جاء زيدٌ ثم عمرو»، إذا تَرَخى مجيء عمرو عن زيد.

وخائف بعض النحاة^(٤) في إفادتها الترتيب، كما خالف بعضهم^(٥) في إفادتها المُهْلَة^(٦)، قالوا: «لمجيئها لغيرهما كقوله تعالى ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾^(٧)، وَالْجَعْلُ قَبْلَ خَلْقِنَا؛

وكقول الشاعر^(٨):

كَهَزَّ الرُّدْنِي تَحْتَ الْعُجَاجِ جَرَى فِي الْأَنْبَابِ ثُمَّ اضْطَرَبَ
واضطرابُ الرُّمَحِ يَعْقِبُ جَرَى الْهَزِّ فِي أَنْبَابِهِ.

(١) قاله الزمخشري في الفائق: ١/١٤١.

(٢) قاله الحنفية، والمالكية، والشافعية، والحنابلة. (فواتح الرحموت: ١/٣٣٣، شرح التنقيح، ص: ١٠١، التننيف: ١/٢٦١، شرح الكوكب: ١/٢٣٧، الغيث الهامع: ١/٢١٦).

(٣) والعبادي: هو محمد بن أحمد بن محمد الهروي المعروف بالعبادي، كان إماماً متفتناً مناظراً، دقيق النظر، سمع الكثير، من مصنفاته: المبسوط، الهادي، والزيادات، توفي رحمه الله سنة ٤٥٨هـ. (طبقات الشافعية للإسنوي: ٢/٧٩).

(٤) كالأخفش، والقرءاء، والعبادي. (الارتشاف لأبي حيان: ٤/١٩٨٨، التننيف: ١/٢٦٣، النجوم اللوامع: ١/٤٥١).

(٥) قاله القرءاء وابن مالك. (التننيف: ١/٢٦٢).

(٦) أي وكما خالف الأخفش والكوفيون في كونها حرف عطف للتشريك، بل قالوا: هي حرف زائدة. وكونها زائدة ثَقَابِلُ كونها للعطف وإن لزم منه مُقَابِلُهُ للتشريك أيضاً، ولذا لم يذكُرهُ الشارح. (النجوم اللوامع: ١/٤٥١).

(٧) سورة الأعراف، الآية: ١٨٩.

(٨) أي أبي دؤاد الإبيادي. (انظر ديوانه، ص: ٢٩٢). و«الرُدْنِي» أي الرمح الرُدْنِي نسبةً إلى رُدْنِيَةِ امرأة كانت تقوم الرماح بخط هجر، و«العُجَاج»: الثُّبَار؛ و«الأنابيب» جمع «أنبوبة»: ما بين العقدتين. (النجوم اللوامع: ١/٤٥٢)

الثاني عشر: «حَتَّى»: لانتهاء الغاية غالباً ، وللتعليل، ونَدَر للاستثناء.
الثالث عشر: «رُبَّ»: للتكثير، وللتقليل. ولا تَخْتَصُّ بأحدهما خلافاً لِزَاعِمِ ذلك.

وأجيب: بأنه تُوسَّع فيها بإيقاعها موقع «الواو» في الأول، و «الفاء» في الثاني، وتارة ١٤٣ يقال: إنها في الأول ونحوه للترتيب الذكري.

وأما مخالفة العبادي فمأخوذة من قوله - كما في فتاوى القاضي الحسين عنه - في قول القائل: «وقفتُ هذه الضبيعة على أولادي، ثم على أولادي بطناً بعد بطن»: «إنه للجميع»، كما قاله هو وغيره فيما لو أتى بدل «ثم» بـ «الواو» قائلين: إن «بطناً بعد بطن» فيه بمعنى «ما تناسلوا» أي للتعميم، وإن قال الأكثر: «إنه للترتيب».

(الثاني عشر: «حتى»: ١- لانتهاء الغاية غالباً)، وهي حينئذ: إما جارة لاسم صريح، نحو ﴿سَلِّمْ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾^(١)، أو مصدر مؤولٍ من «أَنْ والفعل» نحو ﴿لَنْ تَنَجَّ عَلَيْهِ عَكْفَيْنَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسًى﴾^(٢) أي إلى رجوعه؛ وإما عاطفة لرفيع أو دنيء نحو «مات الناس حتى العلماء»، و«قدم الحجاج حتى المشاة»؛ وإما ابتدائية بأن يتبدأ بعدها جملة اسمية نحو^(٣):

فَمَا زَالَتْ الْقَتْلَى تُمِجُّ دِمَائِهَا بِدَجْلَةٍ حَتَّى مَاءٌ دَجْلَةٌ أَشْكَلْ
أو فعلية نحو «مرض فلان حتى لا يرجونه».

٢- (وللتعليل) نحو «أسلم حتى تدخل الجنة» أي لتدخلها. ٣- (وندر للاستثناء) نحو:
لَيْسَ الْعَطَاءُ مِنَ الْفُضُولِ سَمَاحَةً حَتَّى تَجُودَ وَمَا لَدَيْكَ قَلِيلٌ^(٤)
أي إلا أن تجود، وهو استثناء منقطع.

ويؤخذ من صنع المصنف أن مجيئها للتعليل ليس بغالب ولا نادر^(٥).
(الثالث عشر: «رُبَّ»: ١- للتكثير) نحو ﴿رُبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾^(٦)، فإنه

(١) سورة القدر، الآية: ٥.

(٢) سورة طه، الآية: ٩١.

(٣) البيت من البحر الطويل، وهو لجريز يهجو به الأخطل. (ديوان جريز: ١/١٤٣).

(٤) والبيت من البحر الكامل، وهو للمقنع الكندي، وهو في ديوان الحماسة لأبي تمام.

(شرح ديوان الحماسة للمرزوقي: ٤/١٧٣٤).

(٥) قال شيخ الإسلام في النجوم اللوامع (١/٤٥٤): «بل كثير».

(٦) سورة الحجر، الآية: ٢.

الرَّابِعُ عَشَرَ: «عَلَى»: الْأَصَحُّ أَنَّهَا قَدْ تَكُونُ اسْمًا بِمَعْنَى «فَوْقَ»، وَتَكُونُ حَرْفًا لِلِاسْتِعْلَاءِ، وَالْمَصَاحِبَةِ، وَالْمَجَاوِزَةِ، وَالتَّعْلِيلِ، وَالظَّرْفِيَّةِ، وَالِاسْتِدْرَاكِ، وَالزِّيَادَةِ.
أَمَّا «عَلَايَعْلُو» فَفِعْلٌ.

١٤٤) يَكْثُرُ مِنْهُمْ تَمَنِّي ذَلِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِذَا عَايَنُوا حَالَهُمْ وَحَالَ الْمُسْلِمِينَ؛ ٢- (وَلِلتَّقْلِيلِ) كَقَوْلِهِ:

أَلَا رَبُّ مَوْلُودٍ وَلَيْسَ لَهُ أَبٌ وَذِي وَلَدٍ لَمْ يَلِدْهُ أَبُوَانٍ^(١)
أَرَادَ عَيْسَى وَآدَمَ عَلَيْهِمَا السَّلَامَ.

(وَلَا تَخْتَصُّ بِأَحَدِهِمَا خِلَافًا لِزَاعِمِي ذَلِكَ)^(٢). زَعَمَ قَوْمٌ أَنَّهَا لِلتَّكْثِيرِ دَائِمًا^(٣)، وَكَأَنَّهُ لَمْ يَعْتَدِ بِهَذَا الْبَيْتِ وَنَحْوِهِ؛ وَآخَرُ أَنَّهَا لِلتَّقْلِيلِ دَائِمًا^(٤)، وَقَرَّرَهُ فِي الْآيَةِ بِأَنَّ الْكَفَارَ تَذْهِيشُهُمْ أَهْوَالُ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَلَا يَفِيقُونَ حَتَّى يَتَمَنَّوْا مَا ذُكِرَ إِلَّا فِي أَحْيَانٍ قَلِيلَةٍ.

وَعَلَى عَدَمِ الْإِخْتِصَاصِ قَالَ بَعْضُهُمْ: «التَّقْلِيلُ أَكْثَرُ»، وَابْنُ مَالِكٍ: «نَادِرٌ»^(٥).

(الرَّابِعُ عَشَرَ: «عَلَى»: الْأَصَحُّ أَنَّهَا قَدْ تَكُونُ) أَيُّ بِقَلَّةٍ (اسْمًا بِمَعْنَى «فَوْقَ») بِأَنَّ تَدْخُلَ عَلَيْهَا «مِنْ» نَحْوَ «غَدُوتُ مِنْ عَلَى السَّطْحِ» أَيُّ مِنْ فَوْقِهِ^(٦).

(وَتَكُونُ) بِكَثْرَةٍ (حَرْفًا: ١- لِلِاسْتِعْلَاءِ) حَسًّا نَحْوَ ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾^(٧)، أَوْ مَعْنَى

(١) الْبَيْتُ مِنَ الْبَحْرِ الْبَسِيطِ، وَهُوَ لِرَجُلٍ مِنْ أَزْدَةَ، وَقِيلَ: لِعَمْرُو بْنِ الْجَنْبِي، وَهُوَ فِي كِتَابِ سَيَبَوِيهِ (١/ ٣٩٨)، وَشَرَحَ شَوَاهِدَ الْمَغْنِيِّ لِلْسَّيَوْتِيِّ (١/ ٣٩٨).

وَقَوْلُهُ: «لَمْ يَلِدْهُ» قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ فِي النُّجُومِ الْوَامِعِ (١/ ٤٥٥): «هُوَ بِسُكُونِ اللَّامِ، وَفَتْحِ الدَّالِّ أَوْ ضَمِّهَا، وَأَصْلُهُ بِكَسْرِ اللَّامِ وَسُكُونِ الدَّالِّ، ثُمَّ خُفِّفَ بِسُكُونِ اللَّامِ، فَالْتَقَى سَاكِنَانِ فَحُرَّكَتِ الدَّالُّ لِقَاءَ سَاكِنَيْنِ بِالْفَتْحِ تَخْفِيفًا أَوْ بِالضَّمِّ اتِّبَاعًا لِلْهَاءِ».

(٢) قَالَهُ أَبُو عَلِيٍّ الْفَارَسِيُّ، وَاخْتَارَهُ ابْنُ مَالِكٍ، وَتَبِعَهُ الْمُصَنِّفُ وَالشَّارِحُ وَشَيْخُ الْإِسْلَامِ، وَظَاهَرُ صَنِيعِ الْمُصَنِّفِ أَنَّهَا سَوَاءٌ فِيهِمَا، وَهُوَ قَوْلُ الْفَارَسِيِّ. (شَرْحُ التَّسْهِيلِ: ٣/ ١٧٤، غَايَةُ الْوَصُولِ، ص: ٥٧).

(٣) قَالَهُ الْجَرَجَانِيُّ وَالزَّمَخْشَرِيُّ، وَعَزَاهُ ابْنُ مَالِكٍ وَابْنُ خُرُوفٍ إِلَى سَيَبَوِيهِ.

(شَرْحُ التَّسْهِيلِ: ٣/ ١٧٤، التَّنْصِيفُ: ١/ ٢٦٦).

(٤) وَهُوَ مَذْهَبُ الْجُمْهُورِ. (التَّنْصِيفُ: ١/ ٢٦٦).

(٥) قَالَهُ فِي شَرْحِ التَّسْهِيلِ (٣/ ١٧٤)، وَاخْتَارَهُ الزَّرْكَشِيُّ فِي التَّنْصِيفِ (١/ ٢٦٦).

(٦) أَيُّ أَنَّهَا حَرْفٌ إِلَّا إِذَا دَخَلَتْ عَلَيْهَا حَرْفُ الْجَرِّ فَاسْمٌ، وَهُوَ الْمَشْهُورُ عِنْدَ الْبَصْرِيِّينَ.

(شَرْحُ الْكَوَكِبِ: ١/ ٢٤٩).

(٧) سُورَةُ الرَّحْمَنِ، الْآيَةُ ٢٦.

الخامس عشر: «الفاء» العاطفة: للترتيب المعنوي، والذكرى، وللتعقيب في كل شيء بحسبه، وللشيبة.

نحو ﴿فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾^(١). ٢- (والمصاحبة) كـ «مع» نحو ﴿وَمَا آتَى أَلَمًا عَلَى حُبِّهِ﴾^(٢) أي مع حبه. ٣- (والمجاورة) كـ «عن» نحو «رضيت عليه» أي عنه. ٤- (والتعليل) نحو ﴿وَلْتَكُونُوا لِلَّهِ عُلَا مَا هَدَيْتُكُمْ﴾^(٣) أي لهدايته إياكم. ٥- (والظرفية) كـ «في» نحو ﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينٍ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا﴾^(٤) أي في وقت غفلتهم. ٦- (والاستدراك) كـ «لكن» نحو «فلان لا يدخل الجنة لسوء صنيعه، على أنه لا يئأس من رحمة الله» أي لكنه. ٧- (والزيادة) نحو حديث الصحيحين: «لَا أَخْلِفْتُ عَلَى يَمِينٍ»^(٥) أي يميناً.

وقيل: «هي اسم أبدأ لدخول حرف الجر عليها»^(٦). وقيل: «هي حرف أبدأ، ولا مانع من دخول حرف جر على آخر»^(٧).

(أما «علا»: يعلو» فيعمل)، ومنه ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ﴾^(٨). فقد استكملت «على» في ١٤٥ الأصح أقسام الكلمة.

(الخامس عشر: «الفاء» العاطفة: ١- للترتيب المعنوي والذكرى. ٢- وللتعقيب في كل شيء بحسبه)، تقول: «قام زيد فعمرو» إذا عَقَبَ قيامُ عمرو قيامَ زيد، و«دخلت البصرة فالكوفة» إذا لم تُقِم في البصرة ولا بينهما، و«تزوج فلان فولد له» إذا لم يكن بين التزوج والولادة إلا مدة الحمل مع لحظة الوطء ومقدمته.

والتعقيب مشتمل على الترتيب المعنوي، وإنما صرح به المصنف ليُعطف عليه

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٥٣.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٧٧.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٨٥.

(٤) سورة القصص، الآية: ١٥.

(٥) رواه البخاري في الذبائح والصيد، باب لحم الدجاج (٥٠٩٤)، ومسلم في الإيمان، باب من حلف يميناً فرأى غيره خيراً منها (٣١٠٩)، وأبو داود في الإيمان والنذور، باب ما جاء في تعظيم اليمين عند منبر النبي ﷺ (٢٨٢٥)، والنسائي في الإيمان والنذور، باب الكفارة قبل الحنث (٣٧٢٠)، وابن ماجه في الكفارات، باب من حلف على يمين فرأى غيره خيراً منها (٢٠٩٨).

(٦) قاله ابن خروف والشلوين وغيرهما. (شرح الكوكب: ١/٢٤٩).

(٧) قاله أبو سعيد السيارفي الفقيه النحوي (٣٦٨هـ). (شرح الكوكب: ١/٢٥٠).

(٨) سورة القصص، الآية: ٤.

السَّادِسُ عَشَرَ: «في» للظرفين، والمُصاحِبَةِ، والتعليل، والاستعلاء، والتوكيد، والتعويض، وبمعنى «الباء»، و«إلى»، و«من».

«الذَّكْرِيَّ»، وهو في عطفِ مفضلٍ على مُجملٍ نحو ﴿إِنَّا أَنشَأْنَهُنَّ إِنثَاءً ﴿٣٥﴾ جَعَلْنَهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾﴾^(١)، ﴿فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً ﴿٢﴾﴾.

٣- (وللسببية) ويلزمها التعقيبُ نحو ﴿فَوَكَزَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ﴿٣﴾﴾، ﴿فَلَلَقَىٰ آدَمَ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ﴿٤﴾﴾.

واحتَرَزَ بـ «العاطفة» عن الرابطة للجواب، فقد تتراخى عن الشرط نحو «إِنْ يُسَلِّمَ فَلان فهو يدخل الجنة»، وقد لا يتسبب عن الشرط نحو ﴿إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ﴿٥﴾﴾.

(السَّادِسُ عَشَرَ: «في»: ١- للظرفين): المَكَانِي والزَّمَانِي نحو ﴿وَأَنْتُمْ عَنِكُمُوهَ فِي السَّجْدِ ﴿٦﴾﴾، ﴿وَأَذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ ﴿٧﴾﴾. ٢- (والمصاحبة) كـ «مع» نحو ﴿قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ ﴿٨﴾﴾ أي معهم. ٣- (والتعليل) نحو ﴿لَسْتُ كُفِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ ﴿٩﴾﴾ أي لأجل ما. ٤- (والاستعلاء) نحو ﴿وَأَصْلَيْتُكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ ﴿١٠﴾﴾ أي عليها. ٥- (والتوكيد) نحو ﴿وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا ﴿١١﴾﴾، والأصل: اركبوا. ٦- (والتعويض) عن أخرى محذوفة نحو «زهدت فيما رغبت» والأصل: زهدت ما رغبت فيه. ٧- (وبمعنى «الباء») نحو ﴿جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنْ الْآلِغَةِ أَزْوَاجًا يَذُرُّكُمْ فِيهِ ﴿١٢﴾﴾ أي يكثركم بسبب هذا الجعل. ٨- (و«إلى») نحو ﴿فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ ﴿١٣﴾﴾ أي إليها ليعضوا عليها من شدة الغيظ. ٩- (و«من») نحو «هذا ذراع في

١٤٦

(١) سورة الواقعة، الآية: ٣٥-٣٧.

(٢) سورة النساء، الآية: ١٥٣.

(٣) سورة القصص، الآية: ١٥.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٣٧.

(٥) سورة المائدة، الآية: ١١٨.

(٦) سورة البقرة، الآية: ١٨٧.

(٧) سورة البقرة، الآية: ٢٣.

(٨) سورة الأعراف، الآية: ٣٨.

(٩) سورة النور، الآية: ١٤.

(١٠) سورة طه، الآية: ١٧.

(١١) سورة هود، الآية: ٤١.

(١٢) سورة الشورى، الآية: ١١٠.

(١٣) سورة إبراهيم، الآية: ٩.

السَّابِعُ عَشَرَ: «كَيَّ»: للتَّعْلِيلِ، وبِمَعْنَى «أَنْ» المصدرية.

الثَّامِنُ عَشَرَ: «كُلُّ»: اسْمٌ لاستغراقِ أفرادِ الْمُنْكَرِ، والمُعَرِّفِ المَجْمُوعِ، وأجزاءِ المُفْرَدِ المُعَرِّفِ.

التَّاسِعُ عَشَرَ: «الْلَامُ»: للتَّعْلِيلِ، والاستحقاقِ، والاختصاصِ، والمِلْكِ،

الثَّوبِ» أي منه، يعني فلا يُعْيِيهِ لِقَلَّتِهِ.

(السابع عشر: «كي»: ١- للتعليل)، فيُنْصَبُ الْمُضَارِعُ بعدها بـ «أَنْ» مضمرة نحو «جئتُ كي أنْظُرَكَ» أي لأن. ٢- (وبمعنى «أَنْ» المصدرية) بأنْ تدخلُ عليها اللامُ نحو «جئتُ لِكَيْ تُكرِّمَنِي» أي لأن.

(الثامن عشر: «كل»: ١- اسمٌ لاستغراقِ أفرادِ المضافِ إليه (المنكر) نحو ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾^(١)، ﴿كُلُّ حَزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾^(٢). ٢- (والمُعَرِّفِ المَجْمُوعِ) نحو «كلّ العبيد جاءوا»، و«كلّ الدراهم صرفت»، ومنه: ﴿إِنْ كُنْ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾^(٣)، ﴿وَكُلُّهُمْ آتِيَةٌ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَرْدًا﴾^(٤). ٣- (و) لاستغراقِ (أجزاء) المضافِ إليه (المفرد المعرّف)^(٥) نحو «كلّ زيد - أو الرجل - حسن» أي كلّ أجزائه.

(التاسع عشر: «اللام»: ١- الجارة: ١- (للتعليل) نحو ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ﴾^(٦) أي لأجل أنْ تُبَيِّنَ لهم. ٢- (والاستحقاق) نحو «النارُ للكافرين». ٣- (والاختصاص) نحو «الجنةُ للمؤمنين». ٤- (والمِلْكِ) نحو ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾^(٧). ٥- (والصيرورة) أي العاقبة) نحو ﴿فَالنَّقْطَةُ مَاءٌ لَوْ فَرَعُونَ لَيَكُونُنَّ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾^(٨)، فهذه عاقبة النّفاقِ لهم، لا عِلَّتُهُ، إذ هي التَّبَنِّي. ٦- (والتمليك)^(٩) نحو «وهبتُ لزيد ثوباً» أي ملكته إياه. ٧- (وشبهه) نحو

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٨٥.

(٢) سورة الروم، الآية: ٣٢.

(٣) سورة مريم، الآية: ٩٥.

(٤) سورة مريم، الآية: ٩٣.

(٥) ومنه قوله تعالى في سورة آل عمران (الآية: ٩٣): ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلاًّ لِّنَبِيِّ إِسْرَءِيلَ﴾.

(٦) سورة النحل، الآية: ٤٤.

(٧) سورة النساء، الآية: ١٣٢.

(٨) سورة القصص، الآية: ٨.

(٩) ومنه قوله تعالى في سورة التوبة (الآية: ٦٠): ﴿إِنَّمَا أَصَدَقْتُ لِلْفُقَرَاءِ﴾.

والصَّيرورة أي العاقبة، والتَّمليك، وشبهه، وتوكيد النَّفي، والتَّعديّة، والتَّأكيد، وبمعنى «إلى»، و«على»، و«في»، و«عند»، و«بعد» و«من»، و«عن».

﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْزَلِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً﴾^(١). ٨- (وتوكيد النَّفي) نحو ﴿وَمَا كَانَتْ أَلَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾^(٢)، ﴿لَمْ يَكُنِ اللَّهُ يَغْفِرْ لَهُمْ﴾^(٣)، فهي في هذا ونحوه لتوكيد نفي الخبر الداخلة عليه، المنصوب فيه المضارع بـ «أن» المضمرة. ٩- (والتعديّة)^(٤) نحو «ما أضرب زيدا لعمر»^(٥)، ويصير «ضرب» بقصد التعجب به لازماً يتعدى إلى ما كان فاعله بالهمزة، ومفعوله باللام. ١٠- (والتأكيد) نحو ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾^(٥) الأصل: فعالٌ ما. ١١- (وبمعنى «إلى») نحو ﴿سُقْنَتُهُ لِكَلْبٍ مَيِّتٍ﴾^(٦) أي إليه. ١٢- (و«على») نحو ﴿يَخْرُجُونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾^(٧) أي عليها. ١٣- (و«في») نحو ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾^(٨) أي فيه. ١٤- (و«عند») نحو ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ﴾^(٩) بكسر اللام وتخفيف الميم في قراءة الجحدري^(١٠): أي عند مجيئه إياهم. ١٥- (و«بعد») نحو ﴿أَقِرْ الصَّلَاةَ لِلذَّكَاءِ الشَّيْءِ﴾^(١١) أي بعده. ١٦- (و«من») نحو «سمعت له ضراخاً» أي منه. ١٧- (و«عن») نحو ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ﴾^(١٢)، أي عنهم وفي حقهم، وإلا بأن كانت للتبليغ لقليل: «ما سبقتمونا»، وضمير «كان» و«إليه» للإيمان^(١٣).

(١) سورة النحل، الآية: ٧٢.

(٢) سورة الأنفال، الآية: ٣٣.

(٣) سورة النساء، الآية: ١٣٧.

(٤) وجعل منه ابن مالك قوله تعالى في سورة مريم (الآية: ٥): ﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا﴾.

(الغيث الهامع: ٢٢٨/١).

(٥) سورة هود، الآية: ١٠٧.

(٦) سورة الأعراف، الآية: ٥٧.

(٧) سورة الإسراء، الآية: ١٠٧.

(٨) سورة القيامة، الآية: ٤٧.

(٩) سورة ق، الآية: ٥.

(١٠) والجحدري: هو كامل بن طلحة الجحدري، أبو يحيى البصري، من رجال الحديث، سكن بغداد، وتوفي بها سنة ٢٣١ هـ، وثقه الدارقطني وابن حبان. (الأعلام: ٥/٢١٧).

(١١) سورة الإسراء، الآية: ٧٨.

(١٢) سورة الأحقاف، الآية: ١١.

(١٣) قال البدر الزركشي في التشنيف (٢٧٨/١): «واعلم أن مجيئ «اللام» لهذه المعاني مذهب كوفي».

العشرون: «لَوْلَا»: حرفٌ معناه في الجملة الاسمية امتناع جوابه لوجود شرطه، وفي المضارعة التحضيض، والماضية التوبيخ. وقيل: «تَرَدُّ لِلنَّفْيِ».

أما اللام غير الجارة فالجازمة نحو ﴿لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ﴾^(١)، وغير العاملة كـ «لام الابتداء» نحو ﴿لَأَنْتَ أَشَدُّ رَهَبَةً﴾^(٢).

(العشرون: «لَوْلَا»: حرفٌ معناه في الجملة الاسمية امتناع جوابه لوجود شرطه) نحو «لولا زيد - أي موجود - لأهنتك» امتنعت الإهانة لوجود زيد، ف«زيد» الشرط، وهو مبتدأ محذوف ١٤٨ الخبر لزوماً.

(و في المضارعة التحضيض) أي الطلب الحثيث نحو ﴿لَوْلا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ﴾^(٣) أي استغفروه، ولا بد.

(والماضية التوبيخ) نحو ﴿لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ﴾^(٤)، ويخبرهم الله تعالى على عدم المجيء بالشهداء بما قالوه من الإفك، وهو في الحقيقة محل التوبيخ.

(و قيل: «تَرَدُّ لِلنَّفْيِ») كآية ﴿لَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ﴾ أي فما آمنت قرية، أي أهلها عند مجيء العذاب - ﴿فَنَفَعَهَا إِيْمَانُهَا إِلَّا قَوْمٌ يُّؤْسَفُونَ﴾^(٥) ^(٦).

والجمهور لم يثبتوا ذلك وقالوا: هي في الآية للتوبيخ على ترك الإيمان قبل مجيء العذاب، وكأنه قيل: فلولا آمنت قرية قبل مجيئه فنفعها إيمانها.

والاستثناء حينئذ منقطع فـ «إِلَّا» فيه بمعنى «لكن».

= وأما حذاق البصريين فهي عندهم على بابها، ثم يضمنون الفعل ما يصلح معها، ويرون التجوُّز في الفعل أسهل من الحرف.

(١) سورة الطلاق، الآية: ٧.

(٢) سورة الحشر، الآية: ١٣.

(٣) سورة النمل، الآية: ٤٦.

(٤) سورة النور، الآية: ١٣.

(٥) سورة يونس، الآية: ٩٨.

(٦) قاله أبو علي الهروي في كتابه «الأزهية في معاني الحروف»، ص: ١٦٩.

الْحَادِي وَالْعَشْرُونَ: «لَوْ»: حرف شرط للماضي، وَيَقِلُّ للمستقبل. قال سيبويه: «حَرْفٌ لِمَا كَانَ سَيَقَعُ لَوْ قُوعٍ غَيْرِهِ». وقال غيره: «حَرْفٌ امْتِنَاعٍ لَامْتِنَاعٍ». وقال الشَّلَوِيُّ: «لِمُجَرَّدِ الرَّبِطِ».

والصحيحُ وفاقاً للشيخ الإمام: امتناعٌ ما يليه واستلزامه لئاليه؛

(الحادي والعشرون: «لَوْ»: حرف شرط للماضي)، نحو «لو جاء زيدٌ لأكرمته». (ويَقِلُّ للمستقبل)، نحو «أكرم زيداً ولو أساء» أي وإن^(١).

وعلى الأول الكثير (قال سيبويه): «هو (حرفٌ لما كان سَيَقَعُ لَوْ قُوعٍ غَيْرِهِ)». فقوله^(٢) «سَيَقَعُ» ظاهرٌ في أنه لم يقع، فكأنه قال: لانتفاء ما كان يقع.

(وقال غيره) ومشى عليه المعربون: «(حرفٌ امتناعٍ لَامْتِنَاعٍ)»^(٣) أي امتناع الجواب لامتناع الشرط. وكلام سيبويه السابق ظاهرٌ في هذا أيضاً، فَإِنَّ انتفاء ما كان يقع - وهو الجواب - لوقوع غيره - وهو الشرط - ظاهرٌ في أنه لانتفاء الشرط.

ومرأهم^(٤) أَنَّ انتفاء الشرط والجواب هو الأصل، فلا يُنافيه ما سيأتي في أمثلة من بقاء الجواب فيها على حاله مع انتفاء الشرط.

(وقال الشَّلَوِيُّ): «هو (لِمُجَرَّدِ الرَّبِطِ) للجواب بالشرط ك «لِنْ»، واستفادة ما ذكر من انتفائهما، أو انتفاء الشرط فقط من خارج».

(والصحيح) في مفاده نظراً إلى ما ذكر من القسمين^(٥) (وفاقاً للشيخ الإمام) والد المصنّف: (امتناعٌ ما يليه) مثبتاً كان أو منفياً، (واستلزامه) أي ما يليه (لئاليه) مثبتاً كان أو منفياً، فالأقسام أربعة^(٦).

(١) قاله الجماهير من الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة وغيرهم. (شرح التنقيح، ص: ١٠٧، شرح الكوكب: ٢٨٠/١، الإتيان: ٢٣٦/٢، التشنيف: ٢٢٩/١، الغيث الهامع: ٢٣١/١).

(٢) أي سيبويه في الكتاب: ٣٠٧/٢.

(٣) إليه رجع المصنف في منع الموانع (ص: ١٥٥)، فقال: «وأما الذي أراه الآن، وأدعي ارتداد عبارة سيبويه إليه وإطباق كلام العرب عليه فهو قولُ المعربين».

(٤) إشارة إلى تصحيح قولِ المعربين نظراً لأصل معنى «لو»، فلا يُنافيه ما خرج عنه مما يأتي، فتضعيف المصنف له بتصحيح ما شمل الأمرين متقدّم. (النجوم اللوامع: ٤٦٧/١).

(٥) الأول: أنها لانتفاء الشرط والجواب، وهو الأصل، والثاني: أنها لانتفاء الجواب فقط. (النجوم اللوامع: ٤٦٨/١).

(٦) مثبتان، منفيان، المقدم مثبت والتالي منفي، والعكس. (البناني: ٥٥٩/١).

ثُمَّ يَنْتَفِي التَّالِي إِنْ نَاسَبَ وَلَمْ يَخْلَفْ الْمُقَدِّمَ غَيْرُهُ كـ ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا إِلَهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ ، لا إِنْ خَلَقَهُ كَقَوْلِكَ : «لو كان إنساناً لكان حيواناً» .

وَيُثْبِتُ التَّالِي - إِنْ لَمْ يُنَافِ

(ثُمَّ يَنْتَفِي التَّالِي) أَيْضاً (إِنْ نَاسَبَ) الْمُقَدِّمَ، بِأَنْ لَزِمَهُ عَقْلاً أَوْ عَادَةً أَوْ شَرْعاً، (وَلَمْ يَخْلَفْ الْمُقَدِّمَ غَيْرُهُ كـ ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا إِلَهَةٌ إِلَّا اللَّهُ﴾ أَيِ غَيْرِهِ ﴿لَفَسَدَتَا﴾^(١) أَيِ، السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، فَفَسَادُهُمَا - أَيِ خُرُوجُهُمَا عَنْ نِظَامِيهِمَا الْمُشَاهِدِ - مُنَاسَبٌ لِعَتَدِ الْإِلَهِ، لِلزُومِهِ لَهُ عَلَى وَفْقِ الْعَادَةِ عِنْدَ تَعَدُّدِ الْحَاكِمِ مِنَ التَّمَانُعِ فِي الشَّيْءِ وَعَدَمِ الْإِتْفَاقِ عَلَيْهِ، وَلَمْ يَخْلَفْ التَّعَدُّدُ فِي تَرْتِيبِ الْفَسَادِ غَيْرُهُ ، فَيَنْتَفِي الْفَسَادُ بَانْتِفَاءِ التَّعَدُّدِ الْمَفَادِ بِ «لَوْ» نِظْراً إِلَى الْأَصْلِ فِيهَا، وَإِنْ كَانَ الْقَصْدُ مِنَ الْآيَةِ الْعَكْسُ: أَيِ الدَّلَالَةُ عَلَى انْتِفَاءِ التَّعَدُّدِ بَانْتِفَاءِ الْفَسَادِ، لِأَنَّهُ أَظْهَرَ.

(لَا إِنْ خَلَقَهُ) أَيِ خَلَفَ الْمُقَدِّمَ غَيْرُهُ أَيِ كَانَ لَهُ خَلَفٌ فِي تَرْتِيبِ التَّالِي عَلَيْهِ، فَلَا يَلْزَمُ انْتِفَاءُ ١٥٠ التَّالِي (كَقَوْلِكَ) فِي شَيْءٍ: «(لو كان إنساناً لكان حيواناً)»، فَالْحَيَوَانُ مُنَاسِبٌ لِلْإِنْسَانِ لِلزُّومِهِ لَهُ عَقْلاً لِأَنَّهُ جَزْؤُهُ، وَيَخْلَفُ الْإِنْسَانُ فِي تَرْتِيبِ الْحَيَوَانِ غَيْرُهُ كَالْحِمَارِ، فَلَا يَلْزَمُ بَانْتِفَاءُ الْإِنْسَانِ عَنْ شَيْءٍ الْمَفَادِ بِ «لَوْ» انْتِفَاءُ الْحَيَوَانِ عَنْهُ لِجَوَازِ أَنْ يَكُونَ حِمَاراً، كَمَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ حَجَراً. أَمَّا أَمْثَلُهُ بِقِيَّةِ الْأَقْسَامِ^(٢) فَنَحْوُ «لَوْ لَمْ تَجْنِنِي مَا أَكْرَمْتُكَ»، «لَوْ جُنُنْتَنِي مَا أَهْنَيْتُكَ»، «لَوْ لَمْ تَجْنِنِي أَهْنَيْتُكَ».

(وَيُثْبِتُ التَّالِي)^(٣) بِقِسْمِيهِ^(٤) عَلَى حَالِهِ مَعَ انْتِفَاءِ الْمُقَدِّمِ بِقِسْمِيهِ (إِنْ لَمْ يُنَافِ) انْتِفَاءً

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٢٢. هذا مثالٌ لِلزَّمِ الْعَادِي، وَأَمَّا مِثَالُ الشَّرْعِيِّ قَوْلُنَا: «لَوْ صَلَّى لِتَوْضَأٍ»، وَمِثَالُ الْعَقْلِيِّ قَوْلُنَا: «لَوْ كَانَ مُتَكَلِّماً لَكَانَ حَيًّا». (البناني: ٥٥٩/١).

(٢) أَيِ الْمَذْكُورَةِ بِقَوْلِ الشَّارِحِ السَّابِقِ قَبْلَ قَلِيلٍ «فَالْأَقْسَامُ أَرْبَعَةٌ» فَالَّذِي ذَكَرَهُ الْمُصَنِّفُ مِثَالُ الْمُثَبِّتِينَ، فَأَكْمَلَ الشَّارِحُ بِذِكْرِ مِثَالِ الْمُنْفِيِّينَ، وَمِثَالِ الْمُثَبِّتِ وَالْمُنْفِي، وَمِثَالِ الْعَكْسِ. (البناني: ٥٦١/١).

(٣) قَوْلُهُ: «وَيُثْبِتُ التَّالِي» مَعْطُوفٌ عَلَى قَوْلِهِ: «ثُمَّ يَنْتَفِي التَّالِي»، فَيُؤْخَذُ مِنْهُ: أَنَّ لِحَوَابِ الشَّرْطِ فِي جُمْلَةٍ «لَوْ» ثَلَاثَةُ أَحْوَالٍ: الْأَوَّلَى: انْتِفَاءُ الْجَوَابِ قِطْعاً بِشَرْطِ أَنْ يُنَاسِبَ التَّالِي الْمَقَدِّمَ، وَأَنْ لَا يَخْلَفَ الْمَقَدِّمَ غَيْرُهُ، وَإِلَيْهِ أَشَارَ الْمُصَنِّفُ بِقَوْلِهِ: «ثُمَّ يَنْتَفِي التَّالِي...». الثَّانِيَةُ: ثُبُوتُ الْجَوَابِ مَعَ احْتِمَالِ انْتِفَاءِهِ، وَهُوَ إِذَا نَاسَبَ التَّالِي الْمَقَدِّمَ وَخَلَفَ الْمَقَدِّمَ غَيْرُهُ، وَإِلَيْهِ أَشَارَ الْمُصَنِّفُ بِقَوْلِهِ: «لَا إِنْ خَلَفَ». الثَّالِثَةُ: ثُبُوتُ الْجَوَابِ قِطْعاً، وَهُوَ إِذَا لَمْ يُنَافِ ثُبُوتُ التَّالِي انْتِفَاءَ الْمَقَدِّمِ الْمَفَادِ بِ «لَوْ» وَنَاسَبَ ثُبُوتُ التَّالِي انْتِفَاءَ الْمَقَدِّمِ، وَإِلَيْهِ أَشَارَ الْمُصَنِّفُ بِقَوْلِهِ: «وَيُثْبِتُ التَّالِي...».

وَهَذَا الْأَخِيرُ ثَلَاثَةٌ: الْأَوَّلِيُّ، الْمَسَاوِي، الْأَدْوَنُ، كَمَا يَأْتِي. (البناني: ٥٦١/١).

(٤) لِكُلِّ مِنَ الْمَقَدِّمِ وَالتَّالِي قِسْمَانِ: الْمُثَبِّتِ وَالْمُنْفِي. (البناني: ٥٦١/١).

وناسَبَ - بالأوَّلَى كـ «لَوْ لَمْ يَخَفْ لَمْ يَعَصِ»، أو المُساوَاةُ كـ «لَوْ لَمْ تَكُنْ رَبِيبَةً لَمَا حَلَّتْ

المقدَّم، (وناسَبَ) ^(١) انتفاءً: إمَّا (بالأوَّلَى كـ «لَوْ لَمْ يَخَفْ لَمْ يَعَصِ») المأخوذ من قول عمر رضي الله عنه - وقيل: النبي ﷺ - «نِعَمَ الْعَبْدُ ضُهِيبٌ لَوْ لَمْ يَخَفِ اللَّهَ لَمْ يَعَصِهِ». رَبَّ عَدَمَ الْعِصْيَانِ عَلَى عَدَمِ الْخَوْفِ، وَهُوَ بِالْخَوْفِ الْمُفَادِ بـ «لَوْ» أَنْسَبُ، فَيَتَرْتَّبُ عَلَيْهِ أَيْضاً فِي قَصْدِهِ. وَالْمَعْنَى: أَنَّهُ لَا يَعَصِي اللَّهَ تَعَالَى مُطْلَقاً أَيْ لَا مَعَ الْخَوْفِ - وَهُوَ ظَاهِرٌ - وَلَا مَعَ انْتِفَائِهِ إِجْلَالاً لَهُ تَعَالَى عَنْ أَنْ يَعَصِيَهُ، وَقَدْ اجْتَمَعَ فِيهِ الْخَوْفُ وَالْإِجْلَالُ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ.

وهذا الأثر - أو الحديث - المشهورُ بين العلماء، قال أخو المصنّف كغيره من المحدثين: «إِنَّهُ لَمْ يَجِدْهُ فِي شَيْءٍ مِنْ كُتُبِ الْحَدِيثِ بَعْدَ الْفَحْصِ الشَّدِيدِ» ^(٢).

(أو المساواة كـ «لَوْ لَمْ تَكُنْ رَبِيبَةً لَمَا حَلَّتْ لِلرَّضَاعِ») المأخوذ من قوله ﷺ في ذُرَّةٍ - بضمّ المهملة - بِنْتِ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَيْ هُنْدٍ لَمَّا بَلَغَهُ ﷺ تَحَدَّثُ النِّسَاءِ أَنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَنْكِحَهَا: ١٥١ «إِنَّهَا لَوْ لَمْ تَكُنْ رَبِيبَتِي فِي حِجْرِي مَا حَلَّتْ لِي، إِنَّهَا لَابْنَةُ أُخِي مِنَ الرِّضَاعَةِ» رواه الشيخان ^(٣).

رَبَّ عَدَمَ حِلِّهَا عَلَى عَدَمِ كَوْنِهَا رَبِيبَةً، الْمَبِينُ بِكَوْنِهَا ابْنَةُ أُخِي الرِّضَاعِ، الْمُنَاسِبُ هُوَ لَهُ شَرْعاً، فَيَتَرْتَّبُ أَيْضاً فِي قَصْدِهِ عَلَى كَوْنِهَا رَبِيبَةً الْمُفَادِ بـ «لَوْ» الْمُنَاسِبُ هُوَ لَهُ شَرْعاً كَمُنَاسِبَتِهِ لِلأَوَّلِ سِوَاءِ لِمَسَاوَاةِ حُرْمَةِ الْمَصَاهِرَةِ لِحُرْمَةِ الرِّضَاعِ. وَالْمَعْنَى: أَنَّهَا لَا تَحِلُّ لِي أَصْلًا، لِأَنَّ بِهَا وَصْفَيْنِ لَوْ انْفَرَدَ كُلُّ مِنْهُمَا حُرِّمَتْ لَهُ: كَوْنُهَا رَبِيبَةً، وَكَوْنُهَا ابْنَةَ أُخِي مِنَ الرِّضَاعِ. وَالنِّسَاءُ حَيْثُ تَحَدَّثْنَ لَمَّا قَامَ عِنْدَهُنَّ بِإِرَادَتِهِ ﷺ نِكَاحَهَا جَوَزْنَ أَنْ يَكُونَ حِلًّا لَهُ مِنْ خِصَائِهِ ﷺ. وَقَوْلُهُ ﷺ «فِي حِجْرِي» عَلَى وَفْقِ الْآيَةِ، وَقَدْ تَقَدَّمَ الْكَلَامُ فِيهِ ^(٤).

(١) أَيِ إِنْ لَمْ يُنَافِ ثَبُوتُ التَّالِيِ انْتِفَاءُ الْمَقْدَمِ الْمُفَادِ بـ «لَوْ»، وَنَاسَبَ ثَبُوتُ التَّالِيِ انْتِفَاءُ الْمَقْدَمِ. (البناني: ١/٥٦١).

(٢) قَالَ فِي كِتَابِهِ عُرُوسُ الْأَفْرَاحِ بِشَرْحِ التَّلْخِصِ (٢/٧٩). وَهُوَ الشَّيْخُ بِهَاءِ الدِّينِ أَحْمَدُ بْنُ السَّبْكِ، الْمَتَوَفَى (٧٧٣هـ). (الدرر الكامنة: ١/٢١٠).

قَالَ عَلِيُّ الْقَارِي فِي الْمَصْنُوعِ (ص: ٢٠٢): «لَا أَصْلَ لَهُ كَمَا صَرَّحَ بِهِ الْحَفَاطُ».

وَقَالَ السَّيُوطِيُّ فِي التَّدْرِيبِ (٢/١٧٥): «مَشْهُورٌ عِنْدَ النَّحْوَةِ، قَالَ الْعِرَاقِيُّ وَغَيْرُهُ: لَا أَصْلَ لَهُ، وَلَا يَوْجَدُ بِهَذَا اللَّفْظِ فِي شَيْءٍ مِنْ كُتُبِ الْحَدِيثِ».

(٣) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي الشَّهَادَاتِ، بَابُ الشَّهَادَةِ عَلَى الْأَنْسَابِ (٢٦٤٥)، وَمُسْلِمٌ فِي الرِّضَاعِ، بَابُ تَحْرِيمِ ابْنَةِ الرِّضَاعَةِ (٣٥٦٦)، وَالنَّسَائِيُّ فِي النِّكَاحِ، بَابُ تَحْرِيمِ بِنْتِ الْأَخِ مِنَ الرِّضَاعَةِ (٣٣٠٥)، وَابْنُ مَاجَةٍ فِي النِّكَاحِ، بَابُ يَحْرِمُ مِنَ الرِّضَاعِ مَا يَحْرِمُ مِنَ النِّسْبِ (١٩٣٨).

(٤) أَيِ فِي شُرُوطِ «مَفْهُومِ الْمَخَالَفَةِ» مِنْ أَنَّ مَا ذُكِرَ لِلْغَالِبِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى فِي سُورَةِ النِّسَاءِ (الآية: ٢٣) =

للرَضَاع»، أو الأَدَوْن كقولك: «لو انتفت أخوة النسب لما حلت للرَضَاع».

ويُجمع بين ما تقدّم في اسمها من أنه «دُرّة» وبين ما في مسلم عنها: «كَانَ اسْمِي بَرَّةً فسماني رسول الله ﷺ زَيْنَب»، وقال: لَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ، اللَّهُ أَعْلَمُ بِأَهْلِ الْبَيْتِ مِنْكُمْ^(١) بأن لها اسمين قبل التغيير^(٢).

(أو الأَدَوْن كقولك) فيمن عُرِضَ عليك نكاحها: (لو انتفت أخوة النسب) بيني وبينها (لما حلت) لي (للرضاع) بيني وبينها بالأخوة.

وهذا المثال للأولى انقلب على المصنّف سهواً، وصوابه ليكون للأَدَوْن: «لو انتفت أخوة الرضاع لما حلت للنسب». رتب عدم حلّها على عدم أخوتها من الرضاع، المبيّن بأخوتها من النسب، المناسب هو لها شرعاً، فيترتب أيضاً في قصده على أخوتها من الرضاع، المفاداة بـ «لو»، المناسب هو لها شرعاً، لكن دون مناسبتها للأول، لأن حرمة الرضاع أدون من حرمة النسب. والمعنى: أنها لا تحلّ لي أصلاً، لأن بها صفين لو انفرد كل منهما حرمت له: أخوتها من النسب، وأخوتها من الرضاع.

وإنما قال: «كقولك كذا» في الموضوعين، لأنه - كما قال^(٣) - لم يجد نحوه فيما يستشهد به من القرآن أو غيره، ولكنه غير خارج عن أسلوبه.

ولو قال بدل «المساواة»: «المساوي» لكان أنسب بقسميه.

ولو أسقط لام «لما» في الموضوعين لوافق الاستعمال الكثير مع الاختصار.

وقد تجرّدت «لو» فيما ذكر من الأمثلة عن الزمان، على خلاف الأصل فيها.

= ﴿وَرَبِّكُمْ الَّذِي فِي جُحُورِكُمْ﴾ وكهذا الحديث لا مفهوم له، فتحرم الربيّة ولو لم تكن في الحجر عند جماهير العلماء خلافاً لداود الظاهري في قوله بعدم الحرمة إلا إذا كانت في الحجر. (شرح مسلم النووي: ٢٦٨/١٠).

(١) رواه مسلم في الأدب، باب استحباب تغيير الاسم القبيح إلى الحسن... (٣٩٩٢)، وأبو داود في الأدب، باب في تغيير الاسم القبيح (٤٩٥٤).

(٢) بناء على أن مُسمّى الاسمين واحد، وليس كذلك، فإنّ لأم سلمة من أبي سلمة ابنتين: زينب، ودُرّة، كما قال ابن سعد في طبقاته (٨٧/٨)، والنووي في التهذيب (٣٦١/١)، والذهبي في سير الأعلام (٤٦٦/١)، وابن سيد الناس في عيون الآثار (٣٠٣/٢). (النجوم اللوامع: ٤٧١/١).

(٣) أي في منع الموانع (ص ١٥٤)، وزاد: «ومن عاديّ أن ما أضربُه مثلاً إن كان موجوداً في الكتاب أو السنة أو كلام العرب أو حمله الشريعة أطلقه، وإن كان غير موجود أقول: كقولك أو كما قيل ونحوه».

وَتَرِدُ لِلتَّمَنِّي، وَالْعَرَضِ، وَالتَّحْضِيضِ، وَالتَّقْلِيلِ نَحْوَ «وَلَوْ بِظُلْفٍ مُحَرَّقٍ».

أما أمثلة بقية أقسام هذا القسم^(١) فنحو: «لو أهنت زيدا لأثني عليك» أي فيثني مع عدم الإهانة من باب أولى؛ «لو ترك العبد سؤال ربه لأعطاؤه» أي فيعطيه مع السؤال من باب أولى؛ «وَلَوْ أَنَّكَ فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمَ» إلى «مَا نَفَدَتْ كَلِمَتُ اللَّهِ»^(٢) أي فما تنفذ مع انتفاء ما ذكر من باب أولى.

(وترد) «لو» (للتمني، والعرض، والتحضيز)، فينصب المضارع بعد «الفاء» في جوابها لذلك بـ «أن» المضمرة نحو «لو تأتيني فتحدثني»، «لو تنزل عندي فتصيب خيراً»، «لو تأمر» {١٥٣} فتطاع.

ومن الأول «وَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ»^(٣) أي ليت لنا.

وتشترك الثلاثة في الطلب، وهو في التحضيز بحث، وفي العرض بليين، وفي التمني لما لا طمع في وقوعه.

(والتقليل^(٤) نحو) حديث: «تَصَدَّقُوا (وَلَوْ بِظُلْفٍ مُحَرَّقٍ)». كذا أورده المصنف وغيره^(٥)، وهو بمعنى رواية النسائي وغيره «رَدُّوا السَّائِلَ وَلَوْ بِظُلْفٍ مُحَرَّقٍ»^(٦)، وفي رواية «وَلَوْ بِظُلْفٍ»^(٧)، والمراد الرد بالإعطاء. والمعنى: تصدقوا بما تيسر من كثير أو قليل ولو بلغ في القلة إلى الظلف مثلاً، فإنه خير من العدم.

(١) أي الذي هو انتفاء الشرط فقط الشامل للمناسبات الأولى، والمساوي، والأدوين وإن كانت الأمثلة المذكورة من المناسب الأولى. (النجوم اللوامع: ١/٤٧٣).

(٢) سورة الكهف، الآية: ١٠٩.

(٣) سورة الشورى، الآية: ١٠٢.

(٤) وترد أيضاً مصدرية كقوله تعالى في سورة البقرة (الآية: ٩٦) «يَوْمَ يُدْعَى أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ». (النجوم اللوامع: ١/٤٧٣).

(٥) فيه إشارة إلى أنه لم يعثر عليه بهذا اللفظ، لكن ذكره الحافظ في الفتح (٩/٢١١) في معرض الكلام من غير سند ولا تخريج ولم يعثبه بشيء، فلعله اكتفى بالمعنى، أو اطلع عليه، والله أعلم.

(٦) رواه مالك في كتاب الجامع، باب ما جاء في المساكين (١٤٤١)، والنسائي في الزكاة، باب رد السائل (٢٥١٨)، وأحمد في مسنده (١٦٠١٦، ٢٦١٧٩)، والدارمي في الزكاة، باب كراهية رد السائل بغير شيء (١٦١١). ورجاله ثقات، وصححه ابن خزيمة وجبان.

(٧) رواه النسائي في الزكاة، باب رد السائل (٢٥١٨).

الثاني والعشرون: «لَنْ»: حرفٌ نفي ونصب واستقبال. ولا تُفيدُ تأكيدَ النفي، ولا تأييده، خلافاً لِمَنْ زَعَمَهُ.

وهو بكسر «الظاء» المعجمة للبقر والغنم كالحافر للفرس، والخف للجمال^(١).

وُقِدَ بالإحراق - أي الشّي - كما هو عادتهم فيه، لأنّ النّيء قد لا يؤخَذُ، وقد يرميه آخذه، فلا يتنفع به، بخلاف المَشْوِيّ.

(الثاني والعشرون: «لَنْ»: حرفٌ نفي، ونصب، واستقبال) للمضارع.

(ولا تُفيدُ تأكيدَ النفي، ولا تأييده. خلافاً لِمَنْ زَعَمَهُ)^(٢) أي زعمَ إفادتها ما ذكر كالزمخشري، قال في «المفصل» كـ «الكشاف»: «هي لتأكيد نفي المستقبل»^(٣)، وفي «الأنموذج»: «لِنَفْيِ الْمُسْتَقْبَلِ عَلَى التَّأْيِيدِ». وفي بعض نسخ «على التأكيد»، والتأييد نهاية التأكيد، وهو فيما إذا أُطْلِقَ النفي. قال في «الكشاف» مفرقاً: «فقولك: «لَنْ أَقِيمَ» مؤكّد، بخلاف «لَا أَقِيمَ»، كما في «إِنِّي مُقِيمٌ»، و«أَنَا مُقِيمٌ»، وقولك في شيء: «لَنْ أَفْعَلَهُ» مؤكّد على وجه التأييد كقولك: «لَا أَفْعَلُهُ أبداً». والمعنى: أنّ فعله يُنافي حالي كقوله تعالى ﴿لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَاباً﴾^(٤) أي خلقه من الأصنام مستحيلٌ مُنافٍ لأحوالهم^(٥).

وفي قول المصنّف: «زعمه» تضعيف له لما قال غيره^(٦): «إنّه لا دليل عليه، واستفادة التأييد في آية الذباب وغيرها نحو ﴿وَلَنْ يَخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾»^(٧) من خارج، كما في ﴿وَلَنْ يَتَمَنَّوْا أَبَداً﴾»^(٨)، وكون «أبداً» فيه للتأكيد - كما قيل - خلاف الظاهر.

(١) النهاية في غريب الحديث: ١٥٩/٣.

(٢) اختلف العلماء في إفادة «لَنْ» تأكيد النفي وتأنيده على أربعة مذاهب: الأول: أنّها لا تُفيدُهما، قال المصنّف، والشارح، والزرکشي، وشيخ الإسلام؛ الثاني: أنّها تُفيدُهما، قاله الزمخشري؛ الثالث: أنّها تُفيدُ تأكيد النفي لا تأييده، قاله السيوطي؛ الرابع: أنّها تُفيدُ تأييد النفي لا تأكيد، قاله ابن عطية. (الإتقان: ١/٥٥١، التنزيل: ١/٢٨٣، غاية الوصول، ص: ٦٠).

(٣) الكشاف: ١/٢٢٤، المفصل، ص: ٣٦٥.

(٤) سورة الحج، الآية: ٧٣.

(٥) الكشاف للزمخشري: ٢/٥٠٤.

(٦) كابن هشام وابن عصفور. (معني اللبيب، ص: ٣٧٤، الارتشاف: ٤/١٦٤٤).

(٧) سورة الحج، الآية: ٤٧.

(٨) سورة البقرة، الآية: ٩٥.

وَتَرَدُّ لِلدُّعَاءِ وَفَاقًا لِابْنِ عُصْفُورٍ.

الثالث والعشرون: «ما»: تَرَدُّ اسميةً، وحرفيةً: موصولةً، ونكرةً موصوفةً، وللتعجب، واستفهاميةً، وشرطيةً زمانيةً وغير زمانيةً؛

وقد نُقِلَ «التأيد» عن غير الزمخشري، ووافقه في «التأكيد» كثير، حتى قال بعضهم: «إنَّ منعه مُكابرَةٌ».

ولا تأيد قطعاً فيما إذا قُيِّدَ التَّفْيُّ نحو ﴿فَلَنْ أَكَلِمَ الْيَوْمَ إِنْشِيَا﴾^(١).
(وَتَرَدُّ لِلدُّعَاءِ وَفَاقًا لِابْنِ عُصْفُورٍ)^(٢) كقوله:

لَنْ تَزَالُوا كَذَالِكُمْ ثُمَّ لَا زَالَ تَلْكُمُ خَالِدًا خُلُودَ الْجِبَالِ.
وابنُ مالك وغيره^(٣) لم يُشَبِّهُوا ذلك، وقالوا: «وَلَا حِجَّةَ فِي الْبَيْتِ لِحَتْمَالِ أَنْ يَكُونَ خَبْرًا». وفيه بُعْدٌ.

(الثالث والعشرون: «ما»: تَرَدُّ اسميةً وحرفيةً). فالاسمية تَرَدُّ: ١- (موصولةً) نحو ﴿مَا عِنْدَكَ يَفْقَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ﴾^(٤) أي الذي . ٢- (ونكرةً موصوفةً) نحو «مررتُ بما معجبٍ لك» أي بشيء . ٣- (وللتعجب) نحو «ما أحسنَ زيداً»، ف «ما» نكرةٌ تامةٌ مبتدأ، وما بعدها خبرها . ٤- (واستفهاميةً) نحو ﴿فَمَا خَطْبُكُمْ﴾^(٥) أي شأنكم . ٥- (وشرطيةً زمانيةً) نحو ﴿فَمَا اسْتَغْنُوا لَكُمْ فَاسْتَغْنُوا لَهُمْ﴾^(٦) أي استقيموا لهم مدةً استقامتهم لكم . ٦- (وغير زمانيةً) نحو ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ حَيْرٍ يَسْلَمَهُ اللَّهُ﴾^(٧).

(و) الحرفية تَرَدُّ (مصدريةً كذلك) أي: ١- زمانيةً نحو ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾^(٨) أي مدةً استطاعتكم . ٢- وغير زمانيةً نحو ﴿فَذُوِقُوا يَمَا نَسِيتُمْ﴾^(٩) أي بنسيانكم . ٣- (ونافيةً) عاملةً

١٥٥

(١) سورة مريم، الآية: ٢٦.

(٢) واختاره الزركشي في التشنيف (١/ ٢٨٥)، وشيخ الإسلام في لبِّ الأصول (ص: ٦٠).

(٣) كالحافظ السيوطي في الإتيان (١/ ٥٥٢).

(٤) سورة النحل، الآية: ٩٦.

(٥) سورة الحجر، الآية: ٥٧.

(٦) سورة التوبة، الآية: ٧.

(٧) سورة البقرة، الآية: ١٩٧.

(٨) سورة التغابن، الآية: ١٦.

(٩) سورة السجدة، الآية: ١٤.

ومصدرية كذلك، ونافية، وزائدة كافة وغير كافة.

الرَّابِعُ والعشرون: «مِنْ»: لابتداء الغاية غالباً، وللتبعيض، والتبيين، والتعليل، والبذل، والغاية، وتنصيب العموم،

نحو ﴿مَا هَذَا بَشَرًا﴾^(١). ٤- وغير عاملة نحو ﴿وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ﴾^(٢).
٥- (وزائدة كافة) عن عمل الرفع نحو ﴿قَلَمًا يَدُومُ الْوَصَالُ﴾. أو الرفع والنصب نحو ﴿إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَحْدٌ﴾^(٣)، أو الجر نحو ﴿رَبِّمَا دَامَ الْوَصَالُ﴾. ٦- (وغير كافة) عوضاً نحو «افعل هذا إما لا» أي إن كنت لا تفعل غيره، ف«ما» عوض عن «كنت»، أدغم فيها النون للتقارب، وحذف التنقي للعلم به؛ وغير عوض للتأكيد نحو ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ إِنَّكَ لَهُمْ﴾^(٤)، والأصل: فبرحمته.

(الرابع والعشرون: «مِنْ») بكسر الميم: ١- (لابتداء الغاية) في المكان نحو ﴿مِنْ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾^(٥)، والزمان نحو ﴿مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ﴾^(٦)، أو غيرهما نحو ﴿إِنَّهُمْ مِنْ سُلَيْمَانَ﴾^(٧)، (غالباً) أي ورودها لهذا المعنى أكثر من ورودها لغيره. ٢- (وللتبعيض) نحو ﴿حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا حُبَبْتُمْ﴾^(٨) أي بعضه. ٣- (والتبيين) نحو ﴿مَا نَسَخَ مِنْ آيَةٍ﴾^(٩)، ﴿فَأَجْتَبَيْنَا الرِّجْسَ مِنَ الْآوَالِينَ﴾^(١٠) أي الذي هو الأوثنان. ٤- (والتعليل) نحو ﴿يَجْعَلُونَ أَصْنَعَهُمْ فِي عَادَاتِهِمْ مِنَ الصُّوْعَةِ﴾^(١١) أي لأجلها، والصاعقة: الصيحة التي يموت من يسمعها أو يغشى عليه. ٥- (والبذل) نحو ﴿أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ﴾^(١٢) أي بذلها. ٦- (والغاية) كـ «إلى» نحو «قربت منه» أي إليه. ٧- (وتنصيب العموم) نحو «ما في الدار من رجل»، فهو بدون «من»

١٥٦

(١) سورة يوسف، الآية: ٣١.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٧٢.

(٣) سورة النساء، الآية: ١٧١.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٥٩.

(٥) سورة الإسراء، الآية: ١.

(٦) سورة التوبة، الآية: ١٠٨.

(٧) سورة النمل، الآية: ٣٠.

(٨) سورة آل عمران، الآية: ٩٢.

(٩) سورة البقرة، الآية: ١٠٦.

(١٠) سورة الحج، الآية: ٢٩.

(١١) سورة البقرة، الآية: ١٩.

(١٢) سورة التوبة، الآية: ٣٨.

والفصل، ومُرَادِفَةُ «الباء»، و«عن»، و«في»، و«عند»، و«على».

الخَامِسُ والعشرون: «مَنْ»: شرطية، واستفهامية، وموصولة، ونكرة موصوفة، قال أبو علي: «ونكرة تامة».

ظاهر في العموم، محتمل لنفي الواحد فقط. ٨- (والفصل) بالمهملة بأن تدخل على ثاني المتضادين نحو ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ﴾^(١)، ﴿حَتَّى يَمِيزَ الْخَيْبَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾^(٢). ٩- (ومُرَادِفَةُ «الباء») بفتح «الدال» أي لمعناها نحو ﴿يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ﴾^(٣) أي به. ١٠- (و«عن») نحو ﴿قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا﴾^(٤) أي عنه. ١١- (و«في») نحو ﴿إِذَا تُدْعَى لِلصَّلَاةِ مِنْ بَوَارِ الْجُمُعَةِ﴾^(٥) أي فيه. ١٢- (و«عند») نحو ﴿لَنْ تَغْفِكَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ وَلَا اللَّهُ شَيْئًا﴾^(٦) أي عنده. ١٣- (و«على») نحو ﴿وَنَصَرْتَهُ مِنَ الْقَوْمِ﴾^(٧) أي عليهم.

(الخامس والعشرون: «مَنْ») بفتح الميم: ١- (شرطية) نحو ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾^(٨). ٢- (استفهامية) نحو ﴿مَنْ بَعَثْنَا مِنْ مَرْقَدًا﴾^(٩). ٣- (وموصولة) نحو ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^(١٠). ٤- (ونكرة موصوفة) نحو «مررت بمن معجب لك» أي بإنسان.

٥- (قال أبو علي) الفارسي: (ونكرة تامة) كقوله: «ونعم من هو في سر وإعلان»، ففاعل «نعم» مستتر، و«من» تمييز بمعنى «رجلاً»، و«هو» بضم «الهاء» مخصوص بالمدح راجع إلى بشر من قوله:

وكيف أزهبُ أمراً أو أراعَ له
ونعم مزكاً من ضاقت مذهبُه
و«في سر» متعلق بـ «نعم»^(١١).

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٢٠.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٧٩.

(٣) سورة الشورى، الآية: ٤٥.

(٤) سورة الأنبياء، الآية: ٩٧.

(٥) سورة الجمعة، الآية: ٩.

(٦) سورة آل عمران، الآية: ١٠.

(٧) سورة الأنبياء، الآية: ٧٧.

(٨) سورة النساء، الآية: ١٢٣.

(٩) سورة يسين، الآية: ٥٢.

(١٠) سورة الرعد، الآية: ١٥.

(١١) البيت من البحر البسيط، وهو مجهول القائل، وهو في شرح شواهد المغني (٢/ ٧٤١).

السادس والعشرون: «هَلْ»: لَطْلَبِ التَّصْدِيقِ الإِيجَابِي، لَا لِلتَّصَوُّرِ، وَلَا لِلتَّصْدِيقِ السَّلْبِيِّ.

وغير أبي علي لم يُثبت ذلك، وقال: «مَنْ» موصولة فاعل «نعم»، و«هو» بضم «هاء» راجع إليها مبتدأ، خبره «هو» محذوف راجع إلى «بشر»، يتعلّق به «في سرٍّ» لتضمّنه معنى الفعل كما سيظهر، والجملة صلة «مَنْ»، والمخصوص بالمدح محذوف، أي هو راجع إلى «بشر» أيضاً. والتقدير: نعم الذي هو المشهور في السرّ والعلانية بشر. وفيه تكلف.

(السادس والعشرون: «هَلْ»: نَطْلَبِ التَّصْدِيقِ الإِيجَابِي، لَا لِلتَّصَوُّرِ^(١)، وَلَا لِلتَّصْدِيقِ السَّلْبِيِّ).

التقيّد بـ «الإيجابي»، ونفي «السّلبي» على منواله^(٢) أخذاً من ابن هشام سهو سرى مَنْ أَنْ «هَلْ» لا تدخل على منفي^(٣)، فهي لطلب التصديق، أي الحكم بالثبوت أو الانتفاء كما قاله السكاكي وغيره، يقال في جواب هل قام زيد؟ مثلاً: «نعم»، أو «لا».

وتشركها في هذا «الهمزة»، وتزيد عليها بطلب التصوّر نحو «أزيد في الدار أم عمرو؟»، و«أفي الدار زيد أم في المسجد؟». فتجاب بمعنيين مما ذكر؛ وبالدخول على منفي، فتخرج عن الاستفهام إلى التقرير، أي حمل المُخاطَبِ على الإقرار بما بعد النفي نحو «أَلَمْ تَرَ أَنَّكَ صَدَرَكُ»^(٤). فتجاب بـ «بلى»، كما في حديث البخاري «بَيْنَا أَيُّوبُ يَغْتَسِلُ غُرِياناً، فَخَرَّ عَلَيْهِ جَرَادٌ مِنْ ذَهَبٍ، فَجَعَلَ أَيُّوبُ يُخْشِي فِي نَوْبِهِ، فَناداه ربّه: يَا أَيُّوبُ، أَلَمْ أَكُنْ أَغْنِيكَ عَمَّا تَرَى؟

= وقوله «أرهب»: أخاف؛ و«أراع»: أخوّف؛ و«زكأت»: التجأت؛ و«مرّكأ»: ملجأ. (النجوم اللوامع: ١/ ٤٨٠).

(١) قال شيخ الإسلام في غاية الوصول (ص: ٦٢): «(هل) لَطْلَبِ التَّصَوُّرِ كثيراً إيجابياً أو سلبياً، خلافاً للأصل [يعني التاج السبكي هنا] في تقييده تبعاً لابن هشام بالإيجاب؛ ... ولطلب التصوّر قليلاً خلافاً للأصل [يعني التاج السبكي هنا] في منع مجيئها له بخلاف الهمزة».

(٢) أي على منوال الإيجابي أي طريقته من حيث اعتبار الإيجاب في المطلوب بها، يعني: أن اعتبار الإيجابي ونفي السّلبي في المطلوب بها سهو، وإنما ذلك في مدخولها لا في المطلوب بها، ومبنى السهو المذكور اشتباه المطلوب بها بمدخولها. والحاصل: أنها لا تدخل على منفي أصلاً اتفاقاً؛ وأما ما يُطلب بها من الحكم فتارة يكون إيجابياً وتارة يكون سلبياً، يقال: هل قام زيد؟ فيجاب بـ «نعم»، أي قام، أو بـ «لا» أي لم يقم. (البناني: ١/ ٥٧٣).

(٣) وبعدم دخولها عليه قال السوطي في الإتقان (١/ ٥٦٨).

(٤) سورة الشرح، الآية: ١.

السَّابِعُ والعَشْرُونَ: «الواو»: لِمُطْلَقِ الجمعِ ، وقيل: «لِلتَّرْتِيبِ» ، وقيل: «لِلْمَعْيَةِ».

قال: بَلَى وَعِزَّتِكَ ، وَلَكِنْ لَا غَنَى لِي عَنْ بَرَكَتِكَ^(١).

وقد تَبَقَّى على الاستفهام كقولك لِمَنْ قال: «لَمْ أَفْعَلْ كَذَا»: أَلَمْ تَفْعَلْهُ؟ أَيْ أَحَقَّ انْتِفَاءً فِعْلُكَ لَهُ؟ فَتَجَابَ بـ«نَعَمْ» أو «لَا» ، ومنه قوله:

أَلَا اضْطَبَّارَ لِسَلْمَى أَمْ لَهَا جَلْدٌ إِذَا أَلَا قِي الَّذِي لَافَاهُ أُمَثَالِي
فِيْجَابُ بِمَعْنَى مِنْهُمَا.

(السابع والعشرون: «الواو») من حروف العطف: (لمطلق الجمع) بين العطفين في الحكم، ١٥٨ لأنها تُسْتَعْمَلُ في الجمع بِمَعْيَةٍ، أو تَأْخُرُ، أو تَقْدُمُ نحو «جاء زيدٌ وعمروُ»، إذا جاء معه أو بعده أو قبله، فَتُجْعَلُ حَقِيقَةً في القدر المشترك بين الثلاثة، وهو مطلق الجمع خذراً من الاشتراك والمجاز.

واستعمالها في كلٍّ منها من حيث إنه جمع استعمال حقيقي.

(وقيل): «هي (للترتيب) أي التأخر لكثرة استعمالها فيه، فهي في غيره مجاز»^(٢).

(وقيل: «للمعْيَةِ» لأنها للجمع، والأصل فيه المعْيَةُ، فهي في غيرها مجاز»^(٣).

فإذا قيل: «قام زيد وعمرو» كان مُحْتَمَلًا للمعْيَةِ والتأخر والتقدم على الأول، ظاهراً في التأخر على الثاني، وفي المعْيَةِ على الثالث.

(١) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي أَحَادِيثِ الْأَنْبِيَاءِ ، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ﴾ (٣٣٩١)، وَالنَّسَائِيُّ فِي الْغُسْلِ وَالتَّيْمِمِ (٤٠٦).

(٢) نُقِلَ عَنِ الْفَرَاءِ وَتَعَلَّبَ ، وَأَنْكَرَ أَبُو سَعِيدٍ السَّيَارِيُّ نِسْبَتَهُ إِلَى الْفَرَاءِ ، وَعَزَاهُ الْمَاورِدِي فِي بَابِ الْوَضْعِ إِلَى جَمْهَوْرِ أَصْحَابِ الشَّافِعِيِّ ، وَشَدَّدَ نَكِيرَ عَلَيْهِ ابْنُ السَّمْعَانِيِّ ، وَالرَّازِيُّ ، وَغَيْرُهُ .

وَقَالَ النَّوَوِيُّ فِي الْمَجْمُوعِ (٢٤٧/١): «قَالَ إِمَامُ الْحَرَمَيْنِ فِي كِتَابِهِ «الْأَسَالِيبُ»: صَارَ عُلَمَاؤُنَا إِلَى أَنَّ الْوَائِلَ لِلتَّرْتِيبِ ، وَتَكَلَّفُوا نَقْلَ ذَلِكَ عَنْ بَعْضِ أَئِمَّةِ الْعَرَبِيَّةِ ، وَاسْتَشْهَدُوا بِأَمْثَلِهِ فَاسِدَةً ، قَالَ: وَالَّذِي نَقَطَعَ بِهِ أَنَّهَا لَا تَقْتَضِي تَرْتِيبًا ، وَمَنْ ادَّعَاهُ مَكَايِرٌ ، فَلَوْ اقْتَضَتْ لَمَّا صَحَّ قَوْلُهُمْ: تَقَاتَلْ زَيْدٌ وَعَمْرُو ، كَمَا لَا يَصَحُّ: تَقَاتَلْ زَيْدٌ ثُمَّ عَمْرُو .

وهذا الذي قاله الإمام هو الصواب المعروف لأهل العربية» .

(فواتح الرحموت: ٣٢٢/١ ، التننيف: ٢٩٢/١).

(٣) نُسِبَ إِلَى أَبِي حَنِيفَةَ وَالشَّافِعِيِّ ، وَهُوَ غُلَطٌ .

(فواتح الرحموت: ٣٢٢/١ ، التننيف: ٢٩٢/١).

وَعَدَلَ عَنْ قَوْلِ ابْنِ الْحَاجِبِ ^(١) وَغَيْرِهِ ^(٢) «لِلْجَمْعِ الْمَطْلُوقِ»، قَالَ ^(٣): «لِإِبْهَامِهِ تَقْيِيدَ الْجَمْعِ بِ«الإِطْلَاقِ»، وَالْغَرَضُ نَفْيُ التَّقْيِيدِ».

-
- (١) عبارته رحمه الله في المختصر (١/١٨٩): «الواو للجمع المطلق، لا لترتيب، ولا معية عند المحققين».
- (٢) كالبيضاوي في المنهاج (١/٣٣٧، نهاية السؤل)، حيث قال: «الواو للجمع المطلق بإجماع النحاة»: وفي دعوى الإجماع نظر.
- (٣) أي قاله المصنف في رفع الحاجب (١/٤٣١).
- وفي قول الشارح: «قال: لإبهامه...» إشارة إلى أن مؤدَى عبارتين واحد، لأن «مطلق» هنا ليس للتقييد بعدم القيد، بل لبيان الإطلاق.
- (النجوم اللوامع: ١/٤٨١).

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

الأمر والنهي

الأمر

[الأمر حقيقة في القول المخصوص]

«أ، م، ر»: حقيقة في القول المخصوص مجاز في الفعل. وقيل: «للقدر المشترك». وقيل: «مُشترَك بينهما»: قيل: «بين الشأن والصفة والشيء».

(الأمر)

أي هذا مبحثه، وهو نفسي ولفظي، وسيأتان.

[الأمر حقيقة في القول المخصوص]

(أ، م، ر): أي اللفظ المنتظم من هذه الأحرف المسماة بـ «ألف»، «ميم»، «راء»، ويقرأ بصيغة الماضي مفككاً: (حقيقة في القول المخصوص)^(١) أي الدال على اقتضاء فعل إلى آخر ما سيأتي^(٢). ويُعبر عنه بصيغة «افعل» نحو ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ﴾^(٣) أي قُلْ لَهُمْ صَلُّوا.

(مجاز في الفعل) نحو ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾^(٤) أي الفعل الذي تعزم عليه، لتبادر القول دون الفعل من لفظ «الأمر» إلى الذهن، والتبادر علامة للحقيقة^(٥).

(وقيل): «هو (للقدر المشترك) بينهما كـ «الشيء» حذراً من الاشتراك والمجاز، فاستعمله في كل منهما من حيث إن فيه القدر المشترك حقيقي»^(٦).

(وقيل: «هو مشترك بينهما»^(٧)).

(١) اتفق العلماء على أن لفظ «الأمر» حقيقة في القول المخصوص، ولكنهم اختلفوا في إطلاق اسم

«الأمر» على الفعل هل هو حقيقة أو مجاز على مذاهب كما ذكر المصنف. (الإحكام: ٣٥٦/٢).

(٢) انظر: «تعريف الأمر».

(٣) سورة طه، الآية: ١٢٤.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٥٩.

(٥) قاله الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة. (فوائح الرحموت: ٦٣٥/١، مختصر ابن الحاجب: ٧٦/٢،

التشنيف: ٢٩٢/١، شرح الكوكب: ٦/٣).

(٦) قاله بعض الفقهاء. (المحصول: ٩/٢).

(٧) وهو اختيار الأمدى في الإحكام (٣٦٢/٢)، والقرافي في شرح التنقيح (ص: ١١٤).

[تعريف الأمر]

وَحْدَهُ: اقتضاء فعلٍ غير كَفٍّ مَدْلُولٍ عَلَيْهِ بِغَيْرِ «كَفٍّ» .

قيل: «وبين الشأن والصفة والشيء» لاستعماله فيها أيضاً نحو ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا﴾^(١) أي شَأْنُهُ^(٢)، «لأمر ما يُسَوَّدُ مِنْ يَسُودُ»^(٣) أي لصفة من صفات الكمال، «لأمر ما جَدَعَ قصير أنفه» أي لشيء، والأصل في الاستعمال الحقيقة^(٤).

وأجيب: بأنه فيها مجاز إذ هو خير من الاشتراك كما تقدّم^(٥).

ولفظه «قيل» بعد «بينهما» ثابتة في بعض النسخ، وبها تُستفاد حكاية الاشتراك بين الاثنين الأشهر منه بين الخمسة.

[تعريف الأمر]

ويؤخذ من قوله «حقيقة في كذا» حُدُّ اللفظي به. وأما النفسي - وهو الأصلُ أي العمدة - فقال فيه: (وَحْدَهُ: اقتضاء فعلٍ غير كَفٍّ مَدْلُولٍ عَلَيْهِ) أي على الكَفِّ (بغير) لَفْظٍ (كَفٍّ).

فتناول الاقتضاء - أي الطلب - الجازم وغير الجازم لِمَا ليس بكَفٍّ، ولِمَا هو كَفٍّ مَدْلُولٍ عَلَيْهِ بـ «كَفٍّ». ومثله مرادفه كـ «إِثْرُكَ، وَذُرٌّ»، بخلاف المدلول عليه بغير ذلك أي «لا تفعل» فليس بأمر. ويُسمَّى مدلولُ «كَفٍّ» أمراً، لا نهياً موافقةً للدالِّ في اسمه. ويُحَدُّ النفسي أيضاً بـ «القول المُقتضي لفعل... الخ».

وكل من القول والأمر مشترك بين النفسي واللفظي على قياس قول المحققين في الكلام

(١) سورة يس، الآية: ٨٢ .

(٢) وَرَدَ فِي الْأَصْلِ: «نَحْوُ (إِنَّمَا أَمْرُنَا لَشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَا) أَي شَأْنُنَا»، وهذا خطأ، والصواب: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ﴾ [سورة النحل، الآية: ٤٠]، وليس فيها الشاهد الذي قصده الشارح، ولذا بدَّلَها بأقرب شاهدٍ إلى مقصود الشارح. ويجوز أن يستشهد لِمَا أَرَادَهُ الشارح بقوله تعالى في سورة هود (الآية: ٩٧): ﴿وَمَا أَمْرٌ فَزَعُونَكَ بِرَشِيدٍ﴾ أي شَأْنُهُ.

وتَبَعَ الشارح شيخ الإسلام زكريا الأنصاري في غاية الوصول (ص: ٦٣)، فليتبَّه .

(٣) هذا عَجُوزٌ بَيْتٌ لَأَنَسٍ بْنِ مُدْرِكَةَ الْخَثْعَمِيِّ، ذُكِرَ فِي الْحَيَوَانَ (٨١/٣)، والبيت كاملاً:

عَزَمْتُ عَلَى إِمَامَةِ ذِي صَبَاحٍ لِأَمْرِ مَا يُسَوَّدُ مِنْ يَسُودُ.

(٤) قاله أبو الحسين البصري. (المحصول: ٩/٢، الإحكام: ٣٥٦/٢).

(٥) انظر: «اتعاض ما يُخِلُّ بالفهم»: ٢٥٤/١ .

[اعتبار العلو والاستعلاء في الأمر]

ولا يُعْتَبَرُ فيه عُلُوٌّ، ولا اسْتِعْلَاءٌ. وقيل: «يُعْتَبَرَانِ». واعتبرت المعتزلة وأبو إسحاق الشيرازي وابن الصبّاغ والسمعاني العلو. وأبو الحسين والإمام والآمدي وابن الحاجب الاستعلاء.

الآتي في مبحث «الأخبار»^(١).

[اعتبار العلو والاستعلاء في الأمر]

(ولا يُعْتَبَرُ فيه) أي في مسمى «الأمر» نفسياً أو لفظياً حتى يُعْتَبَرُ في حدّه أيضاً (علو) بأن يكون الطالب عالي الرتبة على المطلوب منه، (ولا استعلاء)^(٢) بأن يكون الطلب بعظمته لإطلاق الأمر دونهما، قال عمرو بن العاص لمعاوية رضي الله عنه:

أمرتك أمراً جازماً فعصيتني وكان من التوفيق قتل ابن هاشم هو رجل من بني هاشم خرج من العراق على معاوية رضي الله عنه فأمره عليه عمرو رضي الله عنه بقتله، فخالفه وأطلقه لحلمه، فخرج عليه مرة أخرى، فأشده عمرو رضي الله عنه البيت، فلم يرد به «ابن هاشم» علي بن أبي طالب رضي الله عنه. ويقال: أمر فلان فلاناً برفق ولين.

(وقيل: «يُعْتَبَرَانِ»)، وإطلاق الأمر دونهما مجازي^(٣).

(واعتبرت المعتزلة)^(٤) غير أبي الحسين (وأبو إسحاق الشيرازي، وابن الصبّاغ، والسمعاني العلو).

وأبو الحسين (من المعتزلة) (والإمام) الرازي (والآمدي، وابن الحاجب الاستعلاء)^(٥). ومن هؤلاء من حدّ اللفظي كالمعتزلة، فإنهم ينكرون الكلام النفسي، ومنهم من حدّ النفسي كالآمدي.

(١) انظر: «أقسام الكلام باعتبار إطلاقه»: ٢١/٢.

(٢) قاله الشافعية. (التشنيف: ١/٢٩٥، غاية الوصول، ص: ٦٣).

(٣) قاله القاضي عبد الوهاب من المالكية وابن القشيري من الشافعية. (التشنيف: ١/٢٩٥).

(٤) وكذا أكثر الحنابلة وجماعة من الشافعية.

(اللمع للشيرازي، ص: ١٢، التشنيف: ١/٢٩٥، شرح الكوكب: ١٢/٣).

(٥) وبه قال أيضاً الحنفية وجماعة من الحنابلة. (تيسير التحرير: ١/٣٣٧، الإحكام: ٢/٣٦٥، مختصر ابن

الحاجب: ٢/٧٧، شرح الكوكب: ٣/١١، نهاية السؤل: ١/٣٨٠).

[لا يعتبر في الأمر إرادة الدلالة باللفظ]

واعتبر أبو علي وابنه إرادة الدلالة باللفظ على الطلب.
والطلبُ بديهيٌّ.

[الأمر غير الإرادة]

والأمر غيرُ الإرادة، خلافاً للمعتزلة.

مسألة: [هل للأمر صيغة تخصه؟]

القائلون بالنفسي اختلفوا: هل للأمر صيغة تخصه؟

[لا يعتبر في الأمر إرادة الدلالة باللفظ]

(واعتبر أبو علي^(١) وابنه) أبو هاشم من المعتزلة زيادةً على العلو (إرادة الدلالة باللفظ على الطلب)، فإذا لم يُرد به ذلك لا يكون أمراً، لأنه يستعمل في غير الطلب كالتهديد، ولا مُميز سوى الإرادة.

قلنا: استعماله في غير الطلب مجازي، بخلاف الطلب فلا حاجة إلى اعتبار إرادته.

(والطلبُ بديهيٌّ) أي متصور بمجرد الحيات النفس إليه من غير نظر، لأن كل عاقل يُفرق بالبدية بينه وبين غيره كالأخبار، وما ذاك إلا لبدايته، فاندفع ما قيل من أن تعريف الأمر بما يشتمل عليه، تعريف بالأخفى، بناءً على أنه نظري.

[الأمر غير الإرادة]

(والأمر) المحدود بـ «اقتضاء فعل... الخ» (غير الإرادة) لذلك الفعل، فإنه تعالى أمر من علم أنه لا يؤمن بالإيمان، ولم يُرذه منه لا متناعه. (خلافاً للمعتزلة) فيما ذكر، فإنهم لما أنكروا الكلام النفسي لم يمكنهم إنكار الاقتضاء المحدود به الأمر، قالوا: «إنه الإرادة».

مسألة: [هل للأمر صيغة تخصه؟]

القائلون بالنفسي من الكلام، ومنهم الأشاعرة (اختلفوا هل للأمر) النفسي (صيغة

(١) وأبو علي: هو محمد بن عبد الوهاب بن سلام الجبائي البصري المعتزلي، الفيلسوف المتكلم، رأس المعتزلة، أشهر كتبه: تفسير القرآن، توفي سنة ٣٠٣هـ. (شذرات الذهب: ٢/ ٢٤١).

وَالنَّفْيُ عَنِ الشَّيْخِ: فَقِيلَ: «لِلْوَقْفِ»، وَقِيلَ: «لِلإِشْرَاقِ». وَالْخِلَافُ فِي صِيغَةِ «أَفْعَلْ».

[مَعَانِي الْأَمْرِ]

وَتَرَدُّ لِلْجُوبِ، وَالنَّدْبِ، وَالْإِبَاحَةِ، وَالتَّهْدِيدِ، وَالْإِشْرَاقِ، وَإِرَادَةِ الْإِمْتِثَالِ،
وَالْإِذْنِ،

تَخَصُّصُهُ) بِأَنْ تَدُلَّ عَلَيْهِ دُونَ غَيْرِهِ؟ فَقِيلَ: «نَعَمْ»^(١)، وَقِيلَ: «لَا»^(٢). (وَالنَّفْيُ عَنِ الشَّيْخِ) أَبِي
الْحَسَنِ الْأَشْعَرِيِّ وَمَنْ تَبِعَهُ: (فَقِيلَ): «النَّفْيُ (لِلْوَقْفِ)، بِمَعْنَى: عَدَمُ الدَّرَاقَةِ بِمَا وَضَعَتْ لَهُ
حَقِيقَةً مِمَّا وَرَدَتْ لَهُ مِنْ أَمْرٍ وَتَهْدِيدٍ وَغَيْرِهِمَا».

(وَقِيلَ: «لِلإِشْرَاقِ») بَيْنَ مَا وَرَدَتْ لَهُ.

(وَالْخِلَافُ فِي صِيغَةِ «أَفْعَلْ»)، وَالْمَرَادُ بِهَا كُلُّ مَا يَدُلُّ عَلَى الْأَمْرِ مِنْ صِيغَةٍ، فَلَا تَدُلُّ عِنْدَ
الْأَشْعَرِيِّ وَمَنْ تَبِعَهُ عَلَى الْأَمْرِ بِخُصُوصِهِ إِلَّا بِقَرِينَةٍ كَأَنْ يَقَالَ: «صَلِّ لِرُومًا»، بِخِلَافِ «أَلَزَمْتُكَ»،
و«أَمَرْتُكَ».

[مَعَانِي الْأَمْرِ]

(وَتَرَدُّ) لِسِتَّةٍ وَعَشْرِينَ مَعْنَى:

- ١- (لِلْجُوبِ) ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾^(٣). ٢- (وَالنَّدْبِ) ﴿فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾^(٤).
- ٣- (وَالْإِبَاحَةِ) ﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ﴾^(٥). ٤- (وَالْتَهْدِيدِ) ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾^(٦)، وَيَصْدُقُ مَعَ
التَّحْرِيمِ وَالْكَرَاهَةِ. ٥- (وَالْإِشْرَاقِ) ﴿وَأَسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ﴾^(٧). وَالْمَصْلَحَةُ فِيهِ دُنْيَوِيَّةٌ
بِخِلَافِ النَّدْبِ. وَقَدَّمَهُ هُنَا بَعْدَ أَنْ وَضَعَهُ عَقِبَ «التَّأْدِيبِ»^(٨) لِقَوْلِهِ الْآتِي: «وَقِيلَ: مُشْتَرَكَةٌ بَيْنَ

(١) قَالَهُ الْحَنْفِيَّةُ وَالْمَالِكِيَّةُ وَالشَّافِعِيَّةُ وَالْحَنَابِلَةُ. (الْإِحْكَامُ: ٤٦٦/٢، مُخْتَصَرُ ابْنِ الْحَاجِبِ: ٧٧/١، شَرْحُ
الْكَوْكَبِ: ١٤/٣).

(٢) قَالَهُ أَبُو الْحَسَنِ الْأَشْعَرِيُّ. (الْإِحْكَامُ: ٤٦٦/٢، التَّشْنِيفُ: ٢٩٨/١).

(٣) سُورَةُ الْبَقَرَةِ، الْآيَةُ: ٤٣.

(٤) سُورَةُ النُّورِ، الْآيَةُ: ٣٣.

(٥) سُورَةُ الْمُؤْمِنُونَ، الْآيَةُ: ٥٠.

(٦) سُورَةُ فَصَّلَتْ، الْآيَةُ: ٤٠.

(٧) سُورَةُ الْبَقَرَةِ، الْآيَةُ: ٢٨٢.

(٨) أَيْ فِي نَسْخَةٍ رَجَعَ عَنْهَا إِلَى هَذِهِ. (النُّجُومُ لِلْوَامِعِ: ٤٩٠/١).

والتأديب، والإنذار، والامتنان، والإكرام، والتسخير والامتهان، والتكوين، والتعجيز، والإهانة، والتسوية، والدعاء، والتمني، والاحتقار، والخبر، والإنعام، والتفويض، والتعجب، والتكذيب، والمشورة، والاعتبار.

الخمس الأول^(١) فإنه منها ٦- (وإرادة الامتنان) كقولك لآخر عند العطش: اسقني ماء. ٧- (والإذن) كقولك لمن طرّق الباب: «ادخل». ٨- (والتأديب) كقوله ﷺ لعمر ابن أبي سلمة: «هو دون البلوغ، ويده تطيش في الصفحة: «كُلْ مِمَّا يَلِيكَ»^(٢). رواه الشيخان.

أما أكل المكلف ممّا يليه فمندوب، وممّا يلي غيره فمكروه، ونصّ الشافعي على حرمة للعالم بالنهي عنه، محمول على المشتمل على الإيذاء.

٩- (والإنذار) ﴿قُلْ تَتَّقُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ﴾^(٣)، ويفارق التهديد بذكر الوعيد. ١٠- (والامتنان) ﴿وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمْ اللَّهُ﴾^(٤)، ويفارق الإباحة بذكر ما يحتاج إليه. ١١- (والإكرام) ﴿أَتَقُولُوا بِسْمِ اللَّهِ آمِينَ﴾^(٥). ١٢- (والتسخير) أي التذليل، (والامتهان) نحو ﴿كُونُوا قِرَدَةً خَاسِيَةً﴾^(٦). ١٣- (والتكوين) أي الإيجاد عن العدم بسرعة نحو ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾^(٧). ١٤- (والتعجيز) أي إظهار العجز نحو ﴿فَأَتُوا سُورَةَ مِنْ مِثْلِهِ﴾^(٨). ١٥- (والإهانة) ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْكَرِيمُ﴾^(٩). ١٦- (والتسوية) ﴿فَأَصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا﴾^(١٠). ١٧- (والدعاء) ﴿رَبَّنَا أَفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ﴾^(١١). ١٨- (والتمني) كقول

(١) انظر: «الأمر المطلق للوجوب»: ٣١١/١.

(٢) رواه البخاري في الأطعمة، باب التسمية على الطعام (٥٣٧٦)، ومسلم في الأشربة، باب آداب الطعام والشراب (٥٢٣٧)، وابن ماجه في الأطعمة، باب الأكل باليمين (٥٢٣٧).

(٣) سورة إبراهيم، الآية: ٣٠.

(٤) سورة الأنعام، الآية: ١٤٢.

(٥) سورة الحجر، الآية: ٤٦.

(٦) سورة البقرة، الآية: ٦٥.

(٧) سورة آل عمران، الآية: ٤٧.

(٨) سورة يونس، الآية: ٣٨.

(٩) سورة الدخان، الآية: ٤٩.

(١٠) سورة الطور، الآية: ١٦.

(١١) سورة الأعراف، الآية: ٨٩.

[الأمر المطلق للوجوب]

والجمهور: حقيقة في الوجوب: لغة، أو شرعاً، أو عقلاً، مذاهب

امرئ القيس^(١):

أَلَا أَيُّهَا اللَّيْلُ الطَّوِيلُ أَلَا أَنْجِلِي بِصُبْحٍ وَمَا الْإِصْبَاحُ مِنْكَ بِأَمْثَلِ ١٦٣
ولبعد انجلائه عند المحب، حتى كأنه لا طمع فيه، كان متمنياً لا مترجياً.

- ١٩- (والاحتقار) ﴿أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْكُونَ﴾^(٢)، إذ ما يلقونه من السحر وإن عظم محقرٌ بالنسبة إلى معجزة موسى عليه السلام. ٢٠- (والخبر) كحديث البخاري: «إذا لم تستح فاصنع ما شئت»^(٣)؛ أي صنعتَه. ٢١- (والإنعام) بمعنى تذكير النعمة نحو ﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾^(٤). ٢٢- (والتفويض) ﴿فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ﴾^(٥). ٢٣- (والتعجب) ﴿أَنْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ﴾^(٦). ٢٤- (والتكذيب) ﴿قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾^(٧). ٢٥- (والمشورة) ﴿فَإَنْظُرْ مَاذَا تَرَى﴾^(٨). ٢٦- (والاعتبار) ﴿أَنْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ﴾^(٩).

[الأمر المطلق للوجوب]

(والجمهور) قالوا: هي (حقيقة في الوجوب) فقط (لغة، أو شرعاً، أو عقلاً، مذاهب)^(١٠).

- (١) وامرؤ القيس: هو امرؤ القيس بن حجر بن عمرو الكندي الشاعر الجاهلي المشهور، الملقب بذي القروح، وجاء في الحديث «هو قائد الشعراء إلى النار». (التهذيب للنووي: ١/ ١٢٥).
(٢) سورة الشعراء، الآية: ٤٣.
(٣) رواه البخاري في الأدب، باب إذا لم تستح فاصنع ما شئت (٥٦٥٥)، وابن ماجه في الزهد، باب الحياء (٤١٨٣).
(٤) سورة البقرة، الآية: ١٧٢.
(٥) سورة طه، الآية: ٧٢.
(٦) سورة الإسراء، الآية: ٤٨.
(٧) سورة آل عمران، الآية: ٩٣.
(٨) سورة الصافات، الآية: ١٠٢.
(٩) سورة الإنعام، الآية: ٩٩.
(١٠) بعد أن اتفق الجماهير على أن صيغة الأمر للوجوب، اختلفوا هل هي بوضع اللغة أو الشرع أو العقل على ثلاثة مذاهب: الأول: أنه للوجوب لغة، قاله الحنفية والشافعية؛ الثاني: أنه للوجوب شرعاً، قاله الحنابلة والظاهرية، واختاره إمام الحرمين؛ الثالث: أنه للوجوب عقلاً، قاله بعض

وقيل: «في النَّدْبِ»؛ وقال الماتريدي: «للقدر المشترك بينهما»؛

وجه أولها الصحيح عند الشيخ أبي إسحاق الشيرازي^(١): أن أهل اللغة يحكمون باستحقاق مخالفة أمر سيده مثلاً بها للعقاب.

والثاني القائل بـ «أنها لغة لمجرد الطلب، وأن جزمهُ المُحَقَّقُ للوجوب، بأن يُترتب العقاب على الترك إنما يُستفاد من الشرع في أمره، أو أمر من أوجب طاعته» أجاب بأن حكم أهل اللغة المذكور مأخوذ من الشرع لإيجابه على العبد مثلاً طاعة سيده.

والثالث قال: «إنَّ ما تُفيدة لغة من الطلب يتعيَّن أن يكون الوجوب، لأنَّ حمله على النَّدْبِ يُصيِّر المعنى «افعلْ إن شئت»، وليس هذا القيدُ مذكوراً».

وقبول بمثله في الحمل على الوجوب، فإنه يُصيِّر المعنى: افعلْ من غير تجويز ترك.

(وقيل): «هي حقيقة (في النَّدْبِ)، لأنه المُتَيَقَّن من قسَمي الطلب»^(٢).

(وقال) أبو منصور (الماتريدي)^(٣) من الحنفية: «هي موضوعة (للقدر المشترك بينهما)^(٤) أي بين الوجوب والنَّدْب، وهو الطلب، حذراً من الاشتراك والمجاز، فاستعمالها في كلٍّ منهما من حيث إنه طلب استعمالٌ حقيقي، والوجوب: الطلبُ الجازمُ كالإيجاب»^(٥) تقول: «منه وجب كذا» أي طلب - بالبناء للمفعول - طلباً جازماً.

= العلماء. (تيسير التحرير: ٣٤١/١، فواتح الرحموت: ٦٥٧/١، شرح التنقيح، ص: ١٢٧، البرهان: ١/ ٢١٦، الإحكام: ٣٦٩/٢، نهاية السؤل: ٣٩٦/١، شرح الكوكب: ٣٩/٣).

(١) اللَّعْ لِلشَّيرَازِي، ص: ١٢.

(٢) قاله أبو هاشم من المعتزلة. (الإحكام: ٣٦٩/٢، نهاية السؤل: ٣٩٧/١).

(٣) والماتريدي: هو محمد بن محمد بن محمود الماتريدي، إمام المتكلمين، المدافع عن عقائد المسلمين، الحنفي، من مؤلفاته: التوحيد، تأويلات القرآن، توفي رحمه الله سنة ٣٣٣ هـ. (الفتح المبين: ٤٢٣/١).

(٤) وقاله أيضاً مشايخ سمرقند من الحنفية. (تيسير التحرير: ٣٤١/١).

(٥) جواب سؤالٍ مقدَّر: أنَّ الطلبَ قدرٌ مشتركٌ بين الإيجاب والنَّدْب وهما من صفات فعلٍ اللو تعالي، والوجوب والنَّدْب من صفات فعلٍ المكلف، فكيف يتحدان؟

فالجواب: أنَّهما مُتَّحِدَانِ معنًى بالذات وإنَّ تَغَايَرَا بالاعتبار كالكَسْرِ والانكسار، إذ الأول من صفات الفاعل، والثاني من صفات المفعول.

(النجوم اللوامع: ٤٩٤/١).

وقيل: «مُشتركةٌ بينهما». وتوقف القاضي والغزالي والآمدي فيها. وقيل: «مُشتركةٌ فيها وفي الإباحة»، وقيل: «في الثلاثة، والتَّهْدِيدِ». وقال عبدُ الجبار: «لإرادة الامتثال»، والأبْهَرِي: «أمرُ الله تعالى للوجوب، وأمرُ النَّبِيِّ ﷺ المُبتدأُ للنَّدْبِ». وقيل: «مُشتركةٌ بينَ الخمسةِ الأوَّلِ»، وقيل: «بينَ الأحكامِ الخمسةِ».....

(وقيل): «هي (مُشتركةٌ بينهما)»^(١).

وتوقف القاضي أبو بكر الباقلاني، (والغزالي، والآمدي فيها)، بِمعنى لَمْ يَدْرُوا أهي حقيقةٌ في الوجوب، أم في النَّدْبِ، أم فيهما؟^(٢).

(وقيل): «هي (مُشتركةٌ فيهما وفي الإباحة)».

وقيل: «في» هذه (الثلاثة والتَّهْدِيدِ)»^(٣).

وفي «المختصر»^(٤) قولٌ: «إنَّها للقدر المشترك بين الثلاثة، أي الإذن في الفعل». وتركه المصنِّف لقوله^(٥): «لا نعرفه في غيره».

(وقال عبد الجبار) من المعتزلة: «هي موضوعةٌ (لإرادة الامتثال)، وتضدق مع الوجوب والنَّدْبِ»^(٦).

(وقال) أبو بكر (الأبْهَرِي) من المالكية: «(أمرُ الله تعالى للوجوب، وأمرُ النبي ﷺ المُبتدأُ) منه (للنَّدْبِ)، بخلاف الموافِقِ لأمرِ الله، أو المُبَيِّنِ له فللوجوب أيضاً»^(٧).

(وقيل): «هي (مُشتركةٌ بين الخمسةِ الأوَّلِ): أي الوجوب، والنَّدْبِ، والإباحة، والتَّهْدِيدِ، والإرشاد»^(٨).

(وقيل: «بين الأحكام الخمسة) أي للوجوب، والنَّدْبِ، والتحريم، والكراهة، والإباحة».

(١) قاله المرتضى من الشيعة. (تيسير التحرير: ١/ ٣٤١، التننيف: ١/ ٣٠٣).

(٢) المستصفى للغزالي (١/ ٧٤٦)، الإحكام (٢/ ٣٦٩).

(٣) قاله الشيعة. (رفع الحاجب: ٢/ ٥٠١).

(٤) أي مختصر المنتهى لابن الحاجب، ص: ١٧١.

(٥) أي في شرح المختصر: ٢/ ٥٠١.

(٦) رفع الحاجب (٢/ ٥٠١)، التننيف (١/ ٣٠٣).

(٧) رفع الحاجب (٢/ ٥٠١)، نهاية السؤل (١/ ٣٩٩).

(٨) قال الزركشي في البحر (٢/ ٣٦٩): «حكاه الغزالي، ونسبه للأشعري والقاضي وأصحابهما».

والمُختارُ وفاقاً للشيخ أبي حامد وإمام الحرمين: حقيقةً في الطلبِ الجازم، فإنَّ صدرَ من الشارع أوجبَ الفعلَ.

[الأمرُ للوجوبِ حتى يأتي صارفٌ]

وفي وجوبِ اعتقادِ الوجوبِ قبلَ البحثِ خلافُ «العام».

[الأمرُ بعدَ الحَظَرِ أو الاستئذانِ للإباحةِ]

فإنَّ وَرَدَ الأمرُ بعدَ الحَظَرِ - قال الإمامُ: «أو استئذانٍ» -

(والمختارُ وفاقاً للشيخ أبي حامد) الأسفراييني (وإمام الحرمين)^(١) أنها (حقيقةً في الطلبِ الجازم) لغةً، فلا تحتلِ تقييده بالمشيئة. (فإنَّ صدرَ) الطلبُ بها (من الشارع أوجبَ) صدوره منه (الفعل)، بخلاف صدوره من غيره، إلا مَنْ أوجبَ هو طاعته.

وهذا - قال المصنف - : «غير القول السابق: «إنها حقيقة في الوجوب شرعاً»، لأنَّ جَزَمَ الطلبُ على ذلك شرعيٌّ، وعلى ذا لغويٌّ، واستفادة الوجوبِ عليه بالتركيبِ مِنَ اللغة والشرع»^(٢).

وقال غيره: «إنَّه هو، لاتفاقهما في أنَّ خاصَّة الوجوبِ من ترتب العقاب على التركِ مستفاد من الشرع».

وعلى كلِّ قولٍ هي في غير ما ذكر فيه مجازٌ.

[الأمرُ للوجوبِ حتى يأتي صارفٌ]

(وفي وجوبِ اعتقادِ الوجوبِ) في المطلوبِ بها (قبلَ البحثِ) عمَّا يصرِّفها عنه - إن كان - (خلافُ العام) هل يَجِبُ اعتقادُ عموميه حتى يتمسَّك به قبلَ البحثِ عن المخصَّصِ ؟
الأصحُّ «نعم»^(٣) كما سيأتي^(٤).

[الأمرُ بعدَ الحَظَرِ أو الاستئذانِ للإباحةِ]

(فإنَّ وَرَدَ الأمرُ) أي «افعل» (بعدَ الحَظَرِ) لِمُتعلِّقِهِ - (قال الإمامُ) الرازي : «(أو استئذانٍ)

(١) البرهان: ٢١٧/١.

(٢) رفع الحاجب للمصنف: ٥٠٢/٢.

(٣) واختاره شيخ الإسلام في لبِّ الأصول وشرحه (ص: ٦٥).

(٤) انظر: «العمل بالعام قبل البحث عن المخصَّص»: ٣٧١/١.

فلإباحة، وقال أبو الطَّيِّب، والشيرازي، والسَّمعاني، والإمام: «لِلْوُجُوبِ»...

فيه^(١) - (فلإباحة) حقيقة^(٢)، لتبادرها إلى الذَّهْنِ في ذلك، لغلبة استعماله فيها حينئذ، والتبادرُ علامةٌ للحقيقة^(٣).

(وقال) القاضي (أبو الطَّيِّب^(٤))، (و) الشيخ أبو إسحاق (الشيرازي، و) أبو الْمُظَفَّر (السمعاني، والإمام) الرازي: «(لِلْوُجُوبِ) حقيقةٌ كما في غير ذلك، وغلبة الاستعمال في الإباحة

(١) وبه قال أيضاً الحنابلة، واختاره الزركشي، وشيخ الإسلام منّا. (المحصول: ٩٦/٢، التشنيف: ١/٣٠٥، غاية الوصول، ص: ٦٥، شرح الكوكب: ٥٤/٣).

(٢) اختلف العلماء في مفاد الأمر (صيغة «افعل») بعد الحظر على ستة مذاهب:

الأول: أنَّ الأمر بعد الحظر للإباحة، قاله الشافعية، والحنابلة، وجمعٌ من متأخري المالكية.

الثاني: أنَّ الأمر بعد الحظر للوجوب، قاله الحنفية، والمالكية، وجماعةٌ من الشافعية.

الثالث: أنَّ الأمر بعد الحظر للاستحباب، قاله القاضي الحسين بن الشافعية، وروى عن سعيد بن جبير.

الرابع: التفصيل: أنه إن كان الحظر السابق عارضاً لعلّة، وعلقت صيغة «افعل» بزواله كـ «وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا»، فهو لرفع الذم فقط، وإن لم يكن الحظر السابق عارضاً لعلّة ولا صيغة «افعل» علقت بلزوالها، فهو مترددٌ بين الوجوب والندب، قاله الغزالي آخرًا، وألّكيا الهَرّاسي من الشافعية، وابن رَشِيْق من المالكية.

الخامس: أنَّ الأمر بعد الحظر يرفع الحظر السابق، ويُبعدُ حالَ الفِعْلِ إلى ما كان قبلَ الحظر، قاله جمعٌ من الحنفية كابن الهمام، وابن أمير الحاج، وأمير بادشاه، والمُزْنِي من الشافعية، والتقي ابن تيمية من الحنابلة.

السادس: الوقفُ بين الوجوب والندب، قاله القاضي أبو بكر، وإمام الحرمين، والغزالي آخرًا، والآمدي. (التقرير والتجيب: ٣٦٢/١، تيسير التحرير: ٣٤٦/١، البرهان: ١٨٨/١، المنحول، ص: ١٣١، المستصفي: ٧٧٥/١، الإحكام للآمدي: ٣٩٨/٢، البحر المحيط: ٣٨٠/٢، لباب الحصول: ٥٢٤/٢، شرح الكوكب المنير: ٦٠/٣).

(٣) قاله الشافعية والحنابلة، واختاره ابنُ الحاجب وأبو الفتح، وأبو تمام، وأبو محمد بن نصر، وابنُ قُؤَيْزٍ منذاد من المالكية. (التشنيف: ٣٠٥/١، غاية الوصول، ص: ٦٥، شرح الكوكب: ٥٦/٣، مختصر ابن الحاجب، ص: ١٧٤. الإحكام للبايجي، ص: ٨٦، تحفة المسؤول: ٥٦/٣).

(٤) وأبو الطَّيِّب: هو طاهر بن عبد الله بن طاهر الطبري، أبو الطيب، القاضي، الفقيه الأصولي، الشافعي، الأديب الشاعر، وُلِدَ سنة ٣٤٨هـ بطبرستان، كان إماماً جليلاً، عظيمَ العلم، جليلَ القدر، فريدَ زمانه، عارفاً بالأصول، محققاً بالفروع، توفي رحمه الله سنة ٤٥٠هـ ببغداد. (الفتح المبين: ٣٥٠/١).

وتوقف إمام الحرمين.

لا تدل على الحقيقة فيها»^(١).

(وتوقف إمام الحرمين) فلم يحكم بإباحة ولا وجوب^(٢).

ومن استعماله بعد الحظر في الإباحة: ﴿وَإِذَا سَلَّمْتُمْ فَأَمْسِكُوا﴾^(٣)، ﴿وَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا﴾^(٤)، ﴿وَإِذَا تَطَهَّرْتَ فَأَتِمِّمْ﴾^(٥).

وفي الوجوب ﴿وَإِذَا أَسْلَخَ الْأَشْهُرَ الْحُرُمَ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ﴾^(٦)، إذ قتالهم المؤدي إلى قتلهم فرض كفاية.

وأما بعد الاستئذان فكان يقال لِمَنْ قال «أَفْعَلْ كَذَا؟»: «افْعَلْهُ»^(٧).

- (١) وبه قال أيضاً الحنفية والمالكية. (تيسير التحرير: ٣٤٥/١، شرح التنقيح، ص: ١٣٩، اللمع، ص: ١٣، القواطع: ٦٠/١، المحصول: ٩٦/٢، كشف الأسرار: ١٨١/١، أصول السرخسي: ١٩/١، التقرير والتحرير: ٣٦٦/١، فوائح الرحموت: ٦٦٢/١، الإحكام للباقي، ص: ٨٦، تحفة المسؤول: ٣/٥٦، البحر المحيط: ٣٧٨/٢، رفع الحاجب: ٥٤٩/٢، نهاية السؤل: ٤٥/١).
- (٢) واختاره أيضاً الغزالي أولاً، وابن القشيري، والقاضي الباقلاني، والآمدي.
- (البرهان: ١٨٨/١، المنحول للغزالي، ص: ١٣١، مُنتهى السؤل للآمدي: ١٤/٢، الإحكام: ٢/٣٩٨).

(٣) سورة المائدة، الآية: ٢.

(٤) سورة الجمعة، الآية: ١٠.

(٥) سورة البقرة، الآية: ٢٢٢.

(٦) سورة التوبة، الآية: ٥.

(٧) ومنه ما رواه الشيخان عن ابن مسعود رضي الله عنه «...كيف نُصَلِّي عليك؟ قال: قولوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ...». (التشنيف: ٣٠٥/١).

وسكت عن النهي بعد الاستئذان، وهو ما وقع جواباً بـ «لا» بعد الاستئذان، وحكمه التحريم. ومِمَّا ورد منه للتحريم خبر مسلم (٩٥) عن المقداد رضي الله عنه: «أَرَأَيْتَ إِنْ لَقِيتُ رجلاً من الكفار، فقاتلني، فضرب إحدى يدي بالسيف فقطعها، ثُمَّ لاذَ مِنِّي بشجرة، فقال: أسلمتُ لله، أفأقتله يا رسول الله؟ قال: لا».

ومِمَّا ورد منه للكراهة خبر مسلم (٣٦٠) أيضاً «أُصَلِّي في مبارك الإبل؟ قال: لا». (النجوم اللوامع: ٤٩٨/١).

[النَّهْيُ بَعْدَ الْوُجُوبِ لِلتَّحْرِيمِ]

أَمَّا النَّهْيُ بَعْدَ الْوُجُوبِ فَالْجُمْهُورُ: «لِلتَّحْرِيمِ»؛ وَقِيلَ: «لِلْكِرَاهَةِ»؛ وَقِيلَ: «لِلْإِبَاحَةِ»؛ وَقِيلَ: «لِلْإِسْقَاطِ الْوُجُوبِ». وَإِمَامُ الْحَرَمَيْنِ عَلَى وَفْقِهِ.

مَسْأَلَةٌ: [الْأَمْرُ لَا يَقْتَضِي مَرَّةً، وَلَا تَكَرَّاراً]

الْأَمْرُ لِيَطْلُبَ الْمَاهِيَةَ، لَا لَتَكَرَّارٍ، وَلَا مَرَّةً، وَالْمَرَّةُ ضَرْبٌ. وَقِيلَ: «مَدْلُولُهُ».

[النَّهْيُ بَعْدَ الْوُجُوبِ لِلتَّحْرِيمِ]

(أَمَّا النَّهْيُ) أَيِ «لَا تَفْعَلْ» (بَعْدَ الْوُجُوبِ، فَالْجُمْهُورُ)^(١) قَالُوا: «هُوَ (لِلتَّحْرِيمِ)، كَمَا فِي غَيْرِ ذَلِكَ».

وَمِنْهُمْ بَعْضُ الْقَائِلِينَ بِـ «أَنَّ الْأَمْرَ بَعْدَ الْحِظْرِ لِلْإِبَاحَةِ»، وَفَرَّقُوا بَيْنَ النَّهْيِ لِدْفَعِ الْمَفْسَدَةِ، وَالْأَمْرِ لِتَحْصِيلِ الْمَصْلُحَةِ، وَاعْتَنَاءُ الشَّارِعِ بِالْأَوَّلِ أَشَدُّ.

(وَقِيلَ: «لِلْكِرَاهَةِ» عَلَى قِيَاسِ أَنَّ الْأَمْرَ لِلْإِبَاحَةِ».

(وَقِيلَ: «لِلْإِبَاحَةِ» نَظَرًا إِلَى أَنَّ النَّهْيَ عَنِ الشَّيْءِ بَعْدَ وَجُوبِ يَرْفَعُ طَلِبَهُ، فَيُثْبِتُ التَّخْيِيرَ فِيهِ».

(وَقِيلَ: «لِلْإِسْقَاطِ الْوُجُوبِ»، وَيَرْجِعُ الْأَمْرُ إِلَى مَا كَانَ قَبْلَهُ مِنْ تَحْرِيمٍ أَوْ إِبَاحَةٍ، لَكُونَ الْفَعْلُ مَضَرَّةً أَوْ مَنْفَعَةً».

(وَإِمَامُ الْحَرَمَيْنِ عَلَى وَفْقِهِ)^(٢) فِي مَسْأَلَةِ الْأَمْرِ، فَلَمْ يَحْكَمْ هُنَا بِشَيْءٍ كَمَا هُنَاكَ.

مَسْأَلَةٌ: [الْأَمْرُ لَا يَقْتَضِي مَرَّةً، وَلَا تَكَرَّاراً]

الْأَمْرُ) أَيِ «افْعَلْ» (لِيَطْلُبَ الْمَاهِيَةَ، لَا لَتَكَرَّارٍ، وَلَا مَرَّةً، وَالْمَرَّةُ ضَرْبٌ، إِذْ لَا تَوْجَدُ الْمَاهِيَةَ بِأَقَلِّ مِنْهَا، فَيُحْمَلُ عَلَيْهَا)^(٣).

(وَقِيلَ: «الْمَرَّةُ (مَدْلُولُهُ)»^(٤).

(١) أَيِ مِنَ الْمَذَاهِبِ الْأَرْبَعَةِ وَغَيْرِهِمْ، بَلْ نَقَلَ الْأَسَازُ أَبُو إِسْحَاقَ وَالْبَاقِلَانِي فِيهِ الْإِجْمَاعَ.

(التَّشْنِيفُ: ٣٠٥/١، شَرْحُ التَّنْقِيحِ، ص: ١٤٠، شَرْحُ الْكُوكَبِ: ٦٤/٣).

(٢) الْبَرْهَانُ لِإِمَامِ الْحَرَمَيْنِ: ٢٦٥/١.

(٣) قَالَهُ الْحَنْفِيَّةُ وَالشَّافِعِيَّةُ، وَهُوَ رَوَايَةٌ عَنْ أَحْمَدَ. (فَوَاتِحُ الرَّحْمَتِ: ١/٦٦٤، الْمَحْصُولُ: ٢/

٩٨، الْإِحْكَامُ: ٣٧٨/٢، نِهَايَةُ السُّؤْلِ: ٤١٨/١، شَرْحُ الْعُضْدِ: ٨١/٢).

(٤) قَالَهُ الْمَالِكِيَّةُ، وَجُمِعَ مِنَ الشَّافِعِيَّةِ. (شَرْحُ التَّنْقِيحِ، ص: ١٣٠، اللَّمْعُ، ص: ١٤).

وقال الأستاذ والقزويني: «للتكرار مطلقاً». وقيل: «إن عُلّق بشرط أو صفة». وقيل بالوقف.

وَيُحْمَلُ عَلَى التَّكَرَّارِ عَلَى الْقَوْلَيْنِ بِقَرِينَةٍ.

١٦٧

(وقال الأستاذ) أبو إسحاق الأسفراييني، (و) أبو حاتم (القزويني)^(١) في طائفة: «(للتكرار مطلقاً)، وَيُحْمَلُ عَلَى الْمَرَّةِ بِقَرِينَةٍ»^(٢).

(وقيل): «للتكرار (إن عُلّق بشرط أو صفة) أي بحسب تكرار المَعْلَقِ به نحو ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا﴾»^(٣)، و﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾^(٤)، تتكرر الطهارة والجلد بتكرار الجنابة والزنا. وَيُحْمَلُ المَعْلَقُ المذكور على المرة بقريضة كما في أمر الحج المَعْلَقِ بالاستطاعة. فَإِنْ لَمْ يُعْلَقِ الْأَمْرُ فَلِلْمَرَّةِ، وَيُحْمَلُ عَلَى التَّكَرَّارِ بِقَرِينَةٍ»^(٥).

(وقيل بالوقف) عن المَرَّةِ والتكرار، بمعنى: أنه مشترك بينهما، أو لأحدهما ولا نعرفه، قولان، فلا يُحْمَلُ عَلَى وَاحِدٍ مِنْهُمَا إِلَّا بِقَرِينَةٍ»^(٦).

وَمِنْشَأُ الْخِلَافِ: اسْتِعْمَالُهُ فِيهِمَا كَأَمْرِ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ، وَأَمْرِ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالصَّوْمِ، فَهَلْ هُوَ حَقِيقَةٌ فِيهِمَا، لِأَنَّ الْأَصْلَ فِي الِاسْتِعْمَالِ الْحَقِيقَةِ؟ أَوْ فِي أَحَدِهِمَا حِذْرًا مِنَ الْإِشْتِرَاكِ، وَلَا نَعْرِفُهُ؟ أَوْ هُوَ لِلتَّكَرَّارِ، لِأَنَّهُ الْأَغْلَبُ، أَوْ الْمَرَّةُ لِأَنَّهَا الْمُتَيَقَّنُ؟ أَوْ فِي الْقَدْرِ الْمُشْتَرَكِ بَيْنَهُمَا حِذْرًا مِنَ الْإِشْتِرَاكِ وَالْمَجَازِ؟ وَهُوَ الْأَوَّلُ الرَّاجِحُ.

وَوَجْهُ الْقَوْلِ بـ «المتكرر في المَعْلَقِ»: أَنَّ التَّعْلِيلَ بِمَا ذَكَرَ مُشْعِرٌ بِعَلِّيَّتِهِ، وَالْحُكْمُ يَتَكَرَّرُ بِتَكَرُّرِ عَلَيْهِ.

وَوَجْهُ ضَعْفِهِ: أَنَّ التَّكَرَّارَ حِينَئِذٍ إِنْ سُلِّمَ مُطْلَقًا، أَيْ فِيمَا إِذَا ثَبَّتَتْ عَلَيْهِ المَعْلَقُ بِهِ مِنْ خَارِجٍ، أَوْ لَمْ تَثْبُتْ لَيْسَ مِنَ الْأَمْرِ.

(١) والقزويني: هو محمود بن الحسن بن محمد الطبري الشهير بالقزويني، ينتهي نسبه إلى انس بن مالك رضي الله عنه، أخذ الأصول من الباقلاني، ومنه أبو إسحاق الشيرازي، من مصنفاته: اللمع، تجريد التجريد، توفي رحمه الله سنة ٤١٤ هـ. (الطبقات الكبرى للسبكي: ٣١٢/٥).

(٢) وبه قال أيضاً الحنابلة وجمع من الفقهاء والمتكلمين. (الإحكام: ٣٧٨/٢، شرح الكوكب: ٤٣/٣).

(٣) سورة المائدة، الآية: ٦.

(٤) سورة النور، الآية: ٢.

(٥) قاله المالكية. (شرح التنقيح، ص: ١٣١، الإحكام: ٣٧٨/٢، نهاية السؤل: ٤١٨/١).

(٦) قاله إمام الحرمين، والواقفية. (البرهان: ٢٢٤/١، الإحكام: ٣٧٨/٢).

[الأَمْرُ لَا يُفِيدُ قَوْراً، وَلَا تَرَاخٍ]

وَلَا لِقَوْرٍ خِلافًا لِقَوْمٍ؛ وَقِيلَ: «لِلْقَوْرِ، أَوْ الْعَزْمِ»؛ وَقِيلَ: «مُشْتَرَكٌ».
وَالْمُبَادَرُ مُمْتَلِلٌ خِلافًا لِمَنْ مَنَعَ، وَمَنْ وَقَفَ.

ثُمَّ التَّكَرُّارُ عِنْدَ الْأَسْتَاذِ وَمُوَافَقِيهِ - حَيْثُ لَا بَيَانَ لَأَمْدِهِ - يَسْتَوْعِبُ مَا يُمَكِّنُ مِنْ زَمَانِ الْعُمْرِ
لَا نَتَفَاءً مُرَجِّحَ بَعْضِهِ عَلَى بَعْضٍ، فَهُمْ يَقُولُونَ بِالتَّكَرُّارِ فِي الْمَعْلُوقِ بِتَّكَرُّارِ الْمَعْلُوقِ بِهِ مِنْ بَابِ (١٦٨)
أَوَّلَى، وَبِالتَّكَرُّارِ فِيهِ إِنْ لَمْ يَتَكَرَّرِ الْمَعْلُوقُ بِهِ حَيْثُ لَا قَرِينَةً عَلَى الْمَرَّةِ، فَلِهَذَا قَالَ الْمُصَنِّفُ:
«مُطْلَقاً».

[الأَمْرُ لَا يُفِيدُ قَوْراً، وَلَا تَرَاخٍ]

(وَلَا لِقَوْرٍ^(١) خِلافًا لِقَوْمٍ) فِي قَوْلِهِمْ: «إِنَّ الْأَمْرَ لِلْقَوْرِ: أَيِ الْمَبَادَرَةِ عَقِبَ وُجُودِهِ بِالْفِعْلِ»^(٢).
وَمِنْهُمْ الْقَائِلُونَ بِ«أَنَّهُ لِلتَّكَرُّارِ».

(وَقِيلَ: «لِلْقَوْرِ أَوْ الْعَزْمِ» فِي الْحَالِ عَلَى الْفِعْلِ بَعْدُ)^(٣).

(وَقِيلَ): «هُوَ (مُشْتَرَكٌ) بَيْنَ الْقَوْرِ وَالتَّرَاخِيِّ: أَيِ التَّأْخِيرِ»^(٤).

(وَالْمُبَادَرُ) بِالْفِعْلِ (مُتَمَثِّلٌ، خِلافًا لِمَنْ مَنَعَ) امْتِنَالُهُ^(٥) بِنَاءً عَلَى قَوْلِهِ «الْأَمْرُ لِلتَّرَاخِيِّ»، (وَمَنْ
وَقَفَ) عَنِ الْإِمْتِنَالِ وَعَدَمِهِ^(٦) بِنَاءً عَلَى قَوْلِهِ: «لَا نَعْلَمُ أَوْضِعُ الْأَمْرِ لِلْقَوْرِ أَمْ لِلتَّرَاخِيِّ؟»

(١) قَالَهُ الْحَنْفِيَّةُ وَالشَّافِعِيَّةُ. (فَوَاتِحُ الرَّحْمَتِ: ١/ ٦٨٠، الْإِحْكَامُ: ٢/ ٣٨٩، الْمَحْصُولُ: ٢/ ١١٣).

(٢) قَالَهُ الْمَالِكِيَّةُ وَالْحَنَابِلَةُ. (شَرْحُ التَّنْقِيحِ، ص: ١٢٨، شَرْحُ الْكُوكَبِ: ٣/ ٤٨).

تَنْبِيْهُ: أَكْثَرُ كُتُبِ الْأَصُولِ يَعْزِوْهُ هَذَا الْمَذْهَبُ لِلْحَنْفِيَّةِ، وَهُوَ لَيْسَ كَذَلِكَ، قَالَ ابْنُ عَبْدِ الشَّكُورِ الْحَنْفِي
فِي مُسْلِمِ الثَّبُوتِ (١/ ٦٨٠) وَعَبْدُ الْعَلِيِّ الْأَنْصَارِيُّ الْحَنْفِيُّ فِي شَرْحِهِ: «الْأَمْرُ لِمَجْرَدِ الطَّلَبِ لِلْفِعْلِ فِي
الْمُسْتَقْبَلِ، فَيَجُوزُ التَّأْخِيرُ كَمَا يَجُوزُ الْبَدَأُ، وَهُوَ الصَّحِيحُ عِنْدَ الْحَنْفِيَّةِ».

(٣) وَهُوَ اخْتِيَارُ الْقَاضِي أَبِي بَكْرٍ الْبَاقِلَانِيِّ. (التَّشْنِيفُ: ١/ ٣٠٨).

(٤) قَالَهُ الْوَاقِفِيَّةُ. (الْبَرَهَانُ: ١/ ٢٢٤، نِهَايَةُ السُّوْلِ: ١/ ٤٢٧).

(٥) وَهُوَ مُرَدُّدٌ، إِذْ لَيْسَ مَنَعٌ امْتِنَالُهُ مَعْتَقَدٌ أَحَدٌ كَمَا قَالَ الشَّيْخُ أَبُو إِسْحَاقَ وَإِمَامُ الْحَرَمَيْنِ، لِأَنَّ الْقَائِلِينَ
بِالتَّرَاخِيِّ إِنَّمَا أَرَادُوا بِهِ التَّرَاخِيَّ جَوَازاً لَا وَجُوباً. (شَرْحُ اللَّعْمِ: ١/ ٢٣٥، الْبَرَهَانُ: ١/ ٢٣٣، النُّجُومُ
الْلُّوَامِعُ: ١/ ٥٠١، نِهَايَةُ السُّوْلِ: ١/ ٤٢٦، الْغَيْثُ الْهَامِعُ: ١/ ٢٦٦).

(٦) قَالَ السَّيْفُ الْأَمْدِيُّ فِي الْإِحْكَامِ (٢/ ٣٨٨): «وَأَمَّا الْمُبَادَرُ فَإِنَّهُ مُمْتَلِلٌ قِطْعاً، ... وَمِنْهُمْ مَنْ تَوَقَّفَ فِي
الْمُبَادَرِ أَيْضاً، وَخَالَفَ فِي ذَلِكَ إِجْمَاعَ السَّلَفِ».

مسألة: [الأمر لا يستلزم القضاء]

قال الرازي والشيرازي وعبد الجبار: «الأمر يستلزم القضاء»، وقال الأكثر: «القضاء بأمر جديد».

ومنشأ الخلاف: استعماله فيهما كأمر الإيمان، وأمر الحج، وإن كان التراخي فيه غير واجب، فهل هو حقيقة فيهما، لأن الأصل في الاستعمال الحقيقة؟ أو في أحدهما حذراً من الاشتراك، ولا نعرفه؟ أو هو للفقر، لأنه الأحوط؟ أو التراخي، لأنه يسد عن الفقر، بخلاف العكس لامتناع التقديم؟ أو في القدر المشترك بينهما حذراً من الاشتراك والمجاز؟ وهو الأول الراجح: أي طلب الماهية من غير تعرض لوقت من فور أو تراخ.

مسألة: [الأمر لا يستلزم القضاء] ^(١)

قال أبو بكر (الرازي) من الحنفية، (و) الشيخ أبو إسحاق (الشيرازي) من الشافعية، (وعبد الجبار) من المعتزلة: «(الأمر) بشيء مؤقت (يستلزم القضاء) له إذا لم يفعل في وقته، لإشعار الأمر بطلب استدراكه، لأن القصد منه الفعل» ^(٢).

(وقال الأكثر: «القضاء بأمر جديد») كالأمر في حديث الصحيحين: «مَنْ نَسِيَ الصَّلَاةَ فَلْيُصَلِّهَا إِذَا ذَكَرَهَا» ^(٣)، وفي حديث مسلم: «إِذَا رَقَدَ أَحَدُكُمْ عَنِ الصَّلَاةِ أَوْ غَفِلَ عَنْهَا، فَلْيُصَلِّهَا إِذَا ذَكَرَهَا» ^(٤)، والقصد من الأمر الأول الفعل في الوقت لا مطلقاً» ^(٥).

والشيرازي موافق للأكثر كما في «لمعه» ^(٦) و «شرحه»، فذكره من الأقل سهوً.

(١) اتفق العلماء على وجوب القضاء على مَنْ فاتته عبادة مؤقتة لعذر أو غيره، ولكنهم اختلفوا في هذا القضاء هل هو بالأمر الأول أو بأمر جديد؟ على مذهبين. (الإحكام: ٣٩٩/٢).

(٢) قاله الحنابلة، وكثير من الفقهاء، وهو وجه لأصحابنا. (المحصول: ٢٥٢/٢، الإحكام: ٣٩٩/٢).

(٣) رواه البخاري في مواقيت الصلاة، باب مَنْ نَسِيَ صَلَاةً فَلْيُصَلِّ إِذَا ذَكَرَهَا (٥٩٧)، ومسلم في

الصلاة، باب قضاء الصلاة الفائتة (١٥٦٤)، وأبو داود في الصلاة، باب مَنْ نَامَ عَنْ صَلَاةٍ أَوْ نَسِيَهَا

(٤٣٦)، والترمذي في الصلاة، باب مَا جَاءَ الرَّجُلَ يَنْسَى الصَّلَاةَ (١٧٨)، والنسائي في الموقيت

(٦١٢)، وابن ماجه في الصلاة، باب مَنْ نَامَ عَنْ الصَّلَاةِ (٦٩٦).

(٤) رواه مسلم في الصلاة، باب قضاء الصلاة الفائتة (١٥٦٧).

(٥) قاله المالكية والشافعية وغيرهم. (الإحكام: ٣٩٩/٢، مختصر ابن الحاجب: ٩٢/٢، المحصول:

٢٤٩/٢، شرح التنقيح، ص: ١٤٤).

(٦) اللُّمَعُ للشيرازي، ص: ١٦.

[الإتيان بالمأمور يستلزم الإجزاء]

والأصح أن الإتيان بالمأمور به يستلزم الإجزاء.

[الأمر بالأمر بشيء ليس أمراً به]

وأن الأمر بالأمر بالشيء ليس أمراً به.

[الإتيان بالمأمور يستلزم الإجزاء]

(والأصح أن الإتيان بالمأمور به) أي بالشيء على الوجه الذي أمر به (يستلزم الإجزاء) للمأتي به بناءً على أن الإجزاء: «الكفاية في سقوط الطلب»^(١). وهو الراجح كما تقدم^(٢).

وقيل: «لا يستلزمه بناءً على أنه إسقاط القضاء، لجواز أن لا يسقط المأتي به القضاء، بأن يحتاج إلى الفعل ثانياً، كما في صلاة من ظن الطهارة، ثم تبين له حدثه»^(٣).

[الأمر بالأمر بشيء ليس أمراً به]

(و)الأصح (أن الأمر) للمخاطب (بالأمر) لغيره (بالشياء) نحو ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ﴾^(٤)، (ليس أمراً) لذلك الغير (به): أي بالشياء^(٥).

وقيل: «هو أمر به، وإلا فلا فائدة فيه لغير المخاطب»^(٦).

وقد تقوم قرينة على أن غير المخاطب مأمور بذلك الشيء كما في حديث الصحيحين: «أن ابن عمر رضي الله عنهما طلق امرأته وهي حائض، فذكر ذلك عمر رضي الله عنه للنبي ﷺ فقال: مؤرء فليراجعها»^(٧).

(١) قاله الجماهير من الأئمة الأربعة وغيرهم. (فوائح الرحموت: ٦٩٣/١، الإحكام: ٣٩٢/٢).

(٢) انظر: «الإجزاء»: ١٠٥/١.

(٣) قاله القاضي عبد الجبار وأتباعه من المعتزلة. (الإحكام: ٣٩٥/٢، فوائح الرحموت: ٦٩٣/١).

(٤) سورة طه، الآية: ١٣٢.

(٥) قاله الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة. (فوائح الرحموت: ٦٨٨/١، شرح التنقيح، ص: ١٤٨،

مختصر ابن الحاجب: ٩٣/٢، المحصول: ٢٥٣/٢، الإحكام: ٤٠٢/٢، شرح الكوكب: ٦٦/٣).

(٦) قاله بعض الحنفية. (فوائح الرحموت: ٦٨٨/١).

(٧) رواه البخاري في الطلاق، باب قول الله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلْيَقُومَنَّ لِيَعْدَتِهِنَّ﴾ (٥٢٥١)،

ومسلم في الطلاق، باب تحريم طلاق الحائض بغير رضاها (٣٦٣٧)، وأبو داود في الطلاق باب =

[دُخُولُ الْأَمْرِ فِي الْمَأْمُورِ]

وَأَنَّ الْأَمَرَ بِلَفْظٍ يَتَنَاوَلُهُ دَاخِلٌ فِيهِ .

[دُخُولُ النِّيَابَةِ فِي الْمَأْمُورِ]

وَأَنَّ النِّيَابَةَ تَدْخُلُ الْمَأْمُورَ إِلَّا لِمَانِعٍ .

[دُخُولُ الْأَمْرِ فِي الْمَأْمُورِ]

(و) الْأَصَحُّ (أَنَّ الْأَمَرَ) بِالْمَدِّ (بِلَفْظٍ يَتَنَاوَلُهُ) كَمَا فِي قَوْلِ السَّيِّدِ لِعَبْدِهِ: «أَكْرَمَ مَنْ أَحْسَنَ

إِلَيْكَ»، وَقَدْ أَحْسَنَ هُوَ إِلَيْهِ، (دَاخِلٌ فِيهِ) أَيِ فِي ذَلِكَ اللَّفْظِ، لِيَتَعَلَّقَ بِهِ مَا أُمِّرَ بِهِ^(١).

وَقِيلَ: «لَا يَدْخُلُ فِيهِ، لِبُعْدِ أَنْ يُرِيدَ الْأَمْرُ نَفْسَهُ»^(٢).

وَسَيَأْتِي تَصْحِيحُهُ فِي مَبْحَثِ «الْعَامِّ» بِحَسَبِ مَا ظَهَرَ لَهُ فِي الْمَوْضِعَيْنِ^(٣).

وَقَدْ تَقُومُ قَرِينَةٌ عَلَى عَدَمِ الدَّخُولِ كَمَا فِي قَوْلِهِ لِعَبْدِهِ: «تَصَدَّقْ عَلَى مَنْ دَخَلَ دَارِي»، وَقَدْ دَخَلَهَا هُوَ.

[دُخُولُ النِّيَابَةِ فِي الْمَأْمُورِ]

(و) الْأَصَحُّ (أَنَّ النِّيَابَةَ تَدْخُلُ الْمَأْمُورَ) بِهِ مَالِيًّا كَانَ كَالزَّكَاءِ، أَوْ بَدْنِيًّا كَالْحَجِّ بِشَرْطِهِ، (إِلَّا

لِمَانِعٍ) كَمَا فِي الصَّلَاةِ^(٤).

وَقَالَتِ الْمَعْتَزَلَةُ: «لَا تَدْخُلُ الْبَدْنِيَّةُ»، لِأَنَّ الْأَمْرَ بِهِ إِنَّمَا هُوَ لِقَهْرِ النَّفْسِ وَكُسْرِهَا بِفِعْلِهِ،

= طَلَاقِ السَّنَةِ (٢١٨٠)، وَالتَّرْمِذِيُّ فِي الطَّلَاقِ وَاللِّعَانِ، بَابِ مَا جَاءَ فِي طَلَاقِ السَّنَةِ (١١٧٥)، وَالنِّسَائِيُّ فِي الطَّلَاقِ، بَابِ الطَّلَاقِ لِغَيْرِ الْعَدَةِ (٣٣٩٩)، وَابْنُ مَاجَهَ فِي الطَّلَاقِ، بَابِ طَلَاقِ السَّنَةِ (٢٠٢٢).

(١) هَذَا مَا نَقَلَهُ الصَّفِيُّ الْهِنْدِيُّ عَنِ الْأَكْثَرِينَ، وَنَوَّزَعُ فِيهِ. (التَّشْنِيفُ: ٣١١/١).

(٢) هَذَا هُوَ الصَّحِيحُ الَّذِي عَلَيْهِ الْأَكْثَرُونَ مِنَ الْأُئِمَّةِ الْأَرْبَعَةِ وَغَيْرِهِمْ.

(فَوَاتِحُ الرَّحْمُوتِ: ٦٧٣/١، التَّشْنِيفُ: ٣١١/١، غَايَةُ الْوَصُولِ، ص: ٦٦).

(٣) انْظُرْ: «الْمُتَكَلِّمُ دَاخِلٌ فِي عَمُومِ خَبَرِهِ»: ٣٦٠/١.

(٤) اتَّفَقَ الْعُلَمَاءُ عَلَى جَوَازِ دُخُولِ النِّيَابَةِ فِي الْمَأْمُورِ إِنْ كَانَ مَالِيًّا وَعَلَى وَقُوعِهِ، وَلَكِنْهُمْ اخْتَلَفُوا فِي جَوَازِهِ إِنْ كَانَ بَدْنِيًّا عَلَى مَذْهَبَيْنِ: الْأَوَّلُ: جَوَازُهُ وَوُقُوعُهُ، قَالَ أَهْلُ السَّنَةِ؛ وَالثَّانِي: عَدَمُ جَوَازِهِ، قَالَ الْمَعْتَزَلَةُ.

(الْأَشْيَاءُ وَالنَّظَائِرُ لِابْنِ نُجَيْمٍ، ص: ٣٦٤، الْإِحْكَامُ: ١٢٨/٢، الْمُسَوَّدَةُ: ٢٤/١، التَّشْنِيفُ: ٣١٢/١).

مسألة: [الأمر بشيء ليس نهياً عن ضده]

قال الشيخ، والقاضي: «الأمر النفسي بشيء معين نهى عن ضده الوجودي». وعن القاضي: «يتضمنه»، وعليه عبد الجبار، وأبو الحسين، والإمام، والآمدی.

والنباة تنافي ذلك، إلا لضرورة كما في الحج.

قلنا: «لا تنافي لما فيها من بذل المؤنة، أو تحمّل المنة».

(مسألة: [الأمر بشيء ليس نهياً عن ضده])

قال الشيخ أبو الحسن الأشعري (والقاضي) أبو بكر الباقلاني: «(الأمر النفسي بشيء معين) إيجاباً أو ندياً (نهى عن ضده الوجودي) تحريماً أو كراهة، واحداً كان الضد كضد السكون: أي التحرك، أو أكثر كضد القيام: أي القعود، وغيره».

(وعن القاضي) آخر: «أنه (يتضمنه)»^(١). وعليه أي على التضمن (عبد الجبار، وأبو الحسين، والإمام الرازي، والآمدی)^(٢).

فالأمر بـ «السكون» مثلاً - أي طلبه - متضمن للنهي عن التحرك: أي طلب الكف عنه، أو هو نفسه، بمعنى: أن الطلب واحد، هو بالنسبة إلى السكون أمر، وإلى التحرك نهى، كما يكون الشيء الواحد بالنسبة إلى شيء قريباً، وإلى آخر بعيداً.

ودليل القولين: أنه لما لم يتحقق المأمور به بدون الكف عن ضده، كان طلبه للكف، أو متضمناً لطلبه.

ولكون «النفسى» هو الطلب المستفاد من «اللفظي» ساع للمصنف نقل التضمن فيه عن الأولين^(٣) وإن كانا من المعتزلة المنكرين للكلام النفسي.

(١) وهو آخر أقوال القاضي. (التلخيص: ٤١١/١، الإحكام: ٣٩٣/٢).

(٢) وكذا عليه الحنفية والمالكية والحنابلة وأكثر الشافعية.

(تيسير التحرير: ٣٦٣/١، شرح التنقيح، ص: ١٣٥، الإحكام: ٣٩٣/٢، المحصول: ١٩٩/٢، المعتمد: ١٠٦/١، شرح الكوكب: ٥١/٣).

(٣) إشارة إلى جواب ما اعترض به الزركشي في التشنيف (٣١٤/١) والعراقي في الغيث الهامع (٢٧٢/١) على نقل المصنف مذهب الأولين (عبد الجبار وأبي الحسين) مع أنهما يُنكران الكلام النفسي كسائر المعتزلة، وإنما تكلمنا به في الأمر اللفظي (أي اللساني)؟ وحاصل الجواب: أن الأمر النفسي مفاد من الأمر اللفظي فُسِمَ باسمه مجازاً، وأُعطي حكمه. (النجوم اللوامع: ٥٠٨/١).

وقال إمام الحرمين والغزالي: «لا عينه، ولا يتضمّنه». وقيل: «أمر الوجوب يتضمّن فقط». أمّا اللفظي فليس عين النهي قطعاً، ولا يتضمّنه على الأصحّ.

(وقال إمام الحرمين والغزالي): «هو (لا عينه، ولا يتضمّنه)، والملازمة في الدليل ممنوعة لجواز أن لا يحضر الضدّ حال الأمر، فلا يكون مطلوب الكفّ به»^(١).

(وقيل: «أمر الوجوب يتضمّن فقط») أي دون أمر الندب، فلا يتضمّن النهي عن الضدّ، لأنّ الضدّ فيه لا يخرج به عن أصله من الجواز، بخلاف الضدّ في أمر الوجوب لاقتضائه الذمّ على الترك»^(٢).

واقصر على «التضمّن» كالأمدي^(٣) وإن شمل قول ابن الحاجب: «منهم من خصّ الوجوب دون الندب»^(٤) «العين» أيضاً أخذاً بالمحقق.

واحترز بقوله «معين» عن المبهّم من أشياء، فليس الأمر به بالنظر إلى ما صدّق به نهياً عن ضده منها، ولا متضمناً له قطعاً؛ وبـ «الوجودي» عن العدمي - أي ترك المأمور به - فالأمر نهياً عنه، أو يتضمّنه قطعاً.

و «التضمّن» هنا يُعبر عنه بـ «الاستلزام»^(٥) لاستلزام الكلّ للجزء.

(أمّا) الأمر (اللفظي) فليس عين النهي (اللفظي) قطعاً، ولا يتضمّنه على الأصحّ).

وقيل: «يتضمّنه، على معنى أنه إذا قيل: «اسكن» مثلاً، فكأنه قيل: «لا تتحرّك» أيضاً، لأنّه لا يتحقّق السكون بدون الكفّ عن التحريك»^(٦).

١٧٢

(١) وهو الذي استقرّ عليه القاضي، وصححه النووي، وشيخ الإسلام.

(البرهان: ١/٢٥٠، المستصفى: ١/٢١٦، التننيف: ١/٣١٣، غاية الوصول، ص: ٦٦).

(٢) قاله بعض المعتزلة. (الإحكام: ٢/٣٩٣، شرح الكوكب: ٣/٥٦).

(٣) الإحكام للآمدي: ٣/٣٩٣.

(٤) وعبارته في المختصر (٢/٨٥): «واختيار الإمام والغزالي أن الأمر بشيء معين ليس نهياً عن ضده ولا يقتضيه عقلاً... ثمّ منهم من خصّ الوجوب دون الندب».

(٥) أي فيقال: «الأمر بالشئ يستلزم النهي عن ضده»، بذلّ قوله «يتضمّن النهي عن ضده»، وتعليل الشارح بأنّ الكلّ يستلزم الجزء يوهّم أن النهي عن الضدّ جزء معنى «الأمر»، وليس مراداً للقاتل بـ «أنّ الأمر بالشئ يتضمّن النهي عن ضده»، وإنّما مراده أنّه لازم له، وعبر عنه بـ «التضمّن» تنزيلاً لما لزم الشئ منزلة الموجود في ضمنه.

(٦) قاله القاضي عبد الجبار وأبو الحسين من المعتزلة. وأمّا قدماء مشايخهم فقالوا بالأول كما قال به الإمام وجماهير الفقهاء. (الإحكام: ٢/٣٩٣، رفع الحاجب: ٢/٥٢٩، التننيف: ١/٣١٤).

[النهي عن شيء ليس أمراً بضده]

وأما النهي فقول: «أمر بالضد»، وقيل: «على الخلاف».

مسألة: [في الأمرين المتعاقبين، وغير المتعاقبين]

الأمران غير متعاقبين - أو غير متماثلين - غيران.....

[النهي عن شيء ليس أمراً بضده]

(وأما النهي) النفسي عن شيء تحريماً أو كراهةً (فقول): «هو (أمر بالضد) له إيجاباً أو ندباً قطعاً، بناءً على أن المطلوب في النهي فعل الضد»^(١).

وقيل: «لا قطعاً بناءً على أن المطلوب فيه انتفاء الفعل». حكاه ابن الحاجب^(٢) دون الأول، وتركه المصنف لقوله: «إنه لم يقف عليه في كلام غيره»^(٣).

(وقيل: «على الخلاف» في الأمر: أي «أن النهي أمر بالضد، أو يتضمنه»، أو «لا، ولا»^(٤)، أو «نهي التحريم يتضمنه دون نهي الكراهة». وتوجيههما ظاهر مما سبق.

والضد إن كان واحداً كضد التحريك فواضح، أو أكثر كضد القعود: أي القيام وغيره، فالكلام في واحد منه أياً كان.

والنهي اللفظي يقاس بالأمر اللفظي.

مسألة: [في الأمرين المتعاقبين، وغير المتعاقبين]

الأمران حال كونهما (غير متعاقبين) بأن يتراخى وروُد أحدهما عن الآخر بمُتَمَاتِلِينَ أو مُتَخَالِفِينَ، (أو متعاقبين (بغير متماثلين) بعطف أو دونه، نحو «اضرب زيداً، وأعطه درهماً»^(٥)

(١) قاله الحنفية، والمالكية، والحنابلة.

(تيسير التحرير: ١/ ٣٦٣، شرح التنقيح، ص: ١٣٥، شرح الكوكب: ٣/ ٥٤).

(٢) أي حكاه ابن الحاجب في مختصره (ص: ١٧٢) على لسان القائلين بأن النهي عن الشيء هو أمر بضده كما أن الأمر بالشيء هو نهي عن ضده.

(٣) أي قاله المصنف في رفع الحاجب عن مختصر ابن الحاجب (٢/ ٥٤١).

(٤) أي النهي ليس أمراً بالضد، ولا يستلزمه، قاله الشافعية. (غاية الوصول، ص: ٦٦).

(٥) مثال للعطف، ومثال دونه: «اضرب زيداً، أعطه درهماً». (النجوم اللوامع: ١/ ٥٠٩).

والمُتَعاقِبَانِ بِمُتَمَاتِلَيْنِ وَلَا مَانِعَ مِنَ التَّكَرَّارِ، والثَّانِي غَيْرُ مَعْطُوفٍ: قِيلَ: «مَعْمُولٌ بِهِمَا»، وَقِيلَ: «تَأْكِيدٌ»، وَقِيلَ: «بِالْوَقْفِ»؛
وَفِي الْمَعْطُوفِ التَّأْسِيسُ أَرْجَحُ، وَقِيلَ: «التَّأْكِيدُ». فَإِنْ رُجِّحَ التَّأْكِيدُ بِعَادِيٍّ قُدِّمَ، وَإِلَّا فَالْوَقْفُ.

(غيران)، فَيُعْمَلُ بِهِمَا جَزْماً^(١).

(وَالْمُتَعاقِبَانِ بِمُتَمَاتِلَيْنِ، وَلَا مَانِعَ مِنَ التَّكَرَّارِ) فِي مُتَعَلِّقَهُمَا مِنْ عَادَةٍ أَوْ غَيْرِهَا، (وَالثَّانِي غَيْرُ مَعْطُوفٍ) نَحْوُ «صَلِّ رَكَعَتَيْنِ، صَلِّ رَكَعَتَيْنِ»:

(قِيلَ: «مَعْمُولٌ بِهِمَا»)، نَظَرًا لِلأَصْلِ، أَيْ التَّأْسِيسِ^(٢).

(وَقِيلَ): «الثَّانِي (تَأْكِيدٌ) نَظَرًا لِلظَّاهِرِ»^(٣)؛

(وَقِيلَ بِالْوَقْفِ) عَنِ التَّأْسِيسِ وَالتَّأْكِيدِ لِاحْتِمَالِهِمَا^(٤).

(وَفِي الْمَعْطُوفِ التَّأْسِيسُ أَرْجَحُ) لظُهُورِ الْعَطْفِ فِيهِ^(٥).

١٧٣

(وَقِيلَ: «التَّأْكِيدُ» أَرْجَحُ لِتَمَاتِلِ الْمُتَعَلِّقَيْنِ)^(٦).

(فَإِنْ رُجِّحَ التَّأْكِيدُ) عَلَى التَّأْسِيسِ (بِعَادِيٍّ)^(٧)، وَذَلِكَ فِي غَيْرِ الْعَطْفِ، نَحْوُ «اسْقِنِي مَاءً، اسْقِنِي مَاءً»، وَ«صَلِّ رَكَعَتَيْنِ، صَلِّ الرَكَعَتَيْنِ»، فَإِنَّ الْعَادَةَ بِانْدِفَاعِ الْحَاجَةِ بِمَرَّةٍ فِي الْأَوَّلِ، وَبِالتَّعْرِيفِ فِي الثَّانِي، تُرَجِّحُ التَّأْكِيدَ، (قُدِّمَ) التَّأْكِيدُ لِرَجْحَانِهِ.

(وَإِلَّا) أَيْ وَإِنْ لَمْ يُرَجِّحِ التَّأْكِيدُ بِالْعَادِي، وَذَلِكَ فِي الْعَطْفِ، لِمُعَارَضَتِهِ لِلْعَادِي بِنَاءً عَلَى

(١) أَيْ فِي هَذِهِ السَّتَةِ (وَهِيَ: غَيْرُ مُتَعاقِبَيْنِ بِمُتَمَاتِلَيْنِ بِعَطْفٍ، غَيْرُ مُتَعاقِبَيْنِ بِمُتَمَاتِلَيْنِ بِلَا عَطْفٍ، غَيْرُ

مُتَعاقِبَيْنِ بِمُخْتَلِفَيْنِ بِعَطْفٍ، غَيْرُ مُتَعاقِبَيْنِ بِمُخْتَلِفَيْنِ بِلَا عَطْفٍ، مُتَعاقِبَانِ بِمُخْتَلِفَيْنِ بِعَطْفٍ، مُتَعاقِبَانِ

بِمُخْتَلِفَيْنِ بِلَا عَطْفٍ) عُمِلَ بِهِمَا إِجْمَاعًا. (الإحكام: ٤٠٤/٢، شرح الكوكب: ٧٢/٣).

(٢) قَالَهُ الشَّافِعِيُّ وَالحَنَابِلَةُ. (رفع الحاجب: ٥٦٥/٢، التشنيف: ٣١٥/١، شرح الكوكب: ٧٥/٣).

(٣) قَالَهُ الحَنَفِيُّ وَالمَالِكِيُّ. (فواتح الرحموت: ٦٨٩/١، شرح التنقيح، ص: ١٣٢).

(٤) قَالَهُ أَبُو الْحُسَيْنِ الْبَصْرِيُّ مِنَ الْمُعْتَزَلَةِ وَمَنْ تَبِعَهُ. (الإحكام للآمدي: ٤٠٥/٢).

(٥) قَالَهُ الحَنَفِيُّ وَالمَالِكِيُّ وَالشَّافِعِيُّ وَالحَنَابِلَةُ.

(تفسير التحرير: ٣٦٢/١، شرح التنقيح، ص: ١٣٢، التشنيف: ٣١٥/١، شرح الكوكب: ٧٥/٣).

(٦) قَالَهُ الْقَاضِي أَبُو عَلِيٍّ وَأَبُو الْفَتْحِ الْمُقَدَّسِيُّ مِنَ الْحَنَابِلَةِ. (شرح الكوكب: ٧٥/٣).

(٧) أَيْ بِأَمْرِ عَادِيٍّ يَمْنَعُ عَادَةً مِنَ التَّكَرَّارِ مِثْلُ التَّعْرِيفِ وَانْدِفَاعِ الْحَاجَةِ بِمَرَّةٍ فِي مِثَالِي الشَّارِحِ.

(النجوم اللوامع: ٥١١/١، البناي: ٦١٢/١).

[النَّهْيُ : تَعْرِيفُهُ ، وَقَضِيَّتُهُ ، وَصِيغُهُ]

النَّهْيُ : اقْتِضَاءُ كَفٍّ عَنْ فِعْلٍ ، لَا يَقُولُ : «كُفَّ» . وَقَضِيَّتُهُ الدَّوَامُ مَا لَمْ يُقَيَّدَ بِالْمَرَّةِ ، وَقِيلَ : «مُطْلَقاً» . وَتَرِدُ صِيغَتُهُ لِلتَّحْرِيمِ ، وَالْكَرَاهَةِ ،

أرجحية التأسيس، حيث لا عادي (فالوقوف) عن التأسيس والتأكيد لا ختمالهما^(١).

وإن منع من التكرار العقل نحو «اقْتُلْ زيداً، اقْتُلْ زيداً»، أو الشرع نحو «أعتق عبدك، أعتق عبدك» فالثاني تأكيد قطعاً وإن كان بعطف.

[النَّهْيُ : تَعْرِيفُهُ ، وَقَضِيَّتُهُ ، وَصِيغُهُ]

(النَّهْيُ) النَّفْسِيُّ : (اقْتِضَاءُ كَفٍّ عَنْ فِعْلٍ ، لَا يَقُولُ : «كُفَّ») وَنَحْوَهُ كـ «فَرَّ، وَدَعْ»، فَإِنْ مَا هُوَ كَذَلِكَ أَمْرٌ كَمَا تَقَدَّمَ^(٢).

وتناول الاقتضاء الجازم وغيره. ويحد أيضاً بـ «القول المُقتضي لكف الخ» كما يحد اللفظي بـ «القول الدال على ما ذكر».

ولا يُعتبر في مُسمى النهي مطلقاً علوّ، ولا استعلاءً على الأصح كالأمر.

(وقضيتُهُ الدَّوَامُ) على الكف (ما لم يُقَيَّدَ بِالْمَرَّةِ)، فَإِنْ قَيَّدَ بِهَا نَحْوُ «لَا تَسَافِرَ الْيَوْمَ»^(٣) إِذْ فِيهِ السَّفَرُ مَرَّةً مِنَ السَّفَرِ كَانَتْ قَضِيَّتُهُ^(٤).

(وقيل): «قَضِيَّتُهُ الدَّوَامُ (مُطْلَقاً)، وَالتَّقْيِيدُ بِالْمَرَّةِ يَصْرِفُهُ عَنْ قَضِيَّتِهِ».

(وَتَرِدُ صِيغَتُهُ) أَيِ «لَا تَفْعَلْ» : ١- (لِلتَّحْرِيمِ) نَحْوُ ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزَّوْجَ﴾^(٥). ٢- (وَالْكَرَاهَةِ) ﴿وَلَا

(١) قاله الجمهور من الحنفية والمالكية والشافعية وغيرهم.

(تيسير التحرير: ٣٦٢/١، مختصر ابن الحاجب، ص: ١٧٧، التشنيف: ٣١٥/١).

(٢) انظر: «تعريف الأمر»: ٣٠٤/١.

(٣) منه قوله ﷺ: «لَا تَصُومُوا يَوْمَ السَّبْتِ إِلَّا فِيمَا افْتَرَضَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ، فَإِنْ لَمْ يَجِدْ أَحَدُكُمْ إِلَّا لِعَاءَ عَيْبَةٍ أَوْ عُودَ شَجَرَةٍ فَلْيَنْصُغْهُ».

رواه الترمذي في الصوم، باب ما جاء في صوم يوم السبت (٧٤٤)، وقال: «هذا حديث حسن، ومعنى الكراهية في هذا: أَنْ يَخْتَصَّ الرَّجُلُ يَوْمَ السَّبْتِ بِصِيَامٍ، لِأَنَّ الْيَهُودَ يُعْظَمُونَ يَوْمَ السَّبْتِ».

(٤) أطلق الشيخ أبو حامد وغيره الإجماع عليه، وحكى الماوردي الاتفاق فيه عن غير واحد. (التشنيف: ٣١٧/١).

(٥) سورة الإسراء، الآية: ٣٢.

والإرشاد، والدعاء، وبيان العاقبة، والتقليل والاحتقار، واليأس .
وفي الإرادة والتحرير ما في الأمر .

تَيَمَّمُوا الْحَيْثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ ﴿١﴾ . ٣- (والإرشاد) ﴿لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ بُدِّ لَكُمْ تَسْأَلُكُمْ﴾ ﴿٢﴾ .
٤- (والدعاء) ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا﴾ ﴿٣﴾ . ٥- (وبيان العاقبة) ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ﴾ ﴿٤﴾ أي عاقبة الجهاد الحياة، لا الموت. ٦- (والتقليل والاحتقار) ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ﴾ ﴿٥﴾ أي فهو قليل حقير بخلاف ما عند الله. ومن ﴿٦﴾ اقتصر على «الاحتقار» جعله المقصود في الآية. وكتابه المصنف «التعليل» المأخوذ من البرهان بـ «العين» سبق قلم ﴿٧﴾ . ٧- (واليأس) ﴿لَا تَقْنَدُوا يَوْمَ﴾ ﴿٨﴾ .

(وفي الإرادة^(٩) والتحرير^(١٠) ما) تَقَدَّمَ (في الأمر) من الخلاف: فقيل: «لا تَدَلَّ الصيغة على الطلب، إلا إذا أُريدَ الدلالة بها عليه». والجمهور^(١١) على أنها حقيقة في التحريم. وقيل: «في الكراهة»^(١٢)؛ وقيل: «فيهما»^(١٣)؛ وقيل: «في أحدهما ولا نعرفه»^(١٤).

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٦٧.

(٢) سورة المائدة، الآية: ١٠١.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٧.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٦٩.

(٥) سورة طه، الآية: ١٣١.

(٦) كجمال الدين الإسوي في نهاية السؤل (١/٤٣٤)، وقال البدر الزركشي في التشنيف (١/٣١٧): «بل هو للتحريم».

(٧) أي أن الذي في أصله - وهو البرهان (١/١١٠) - بالقاف، لكن سها المصنف فكتبه بالقاف.

(٨) سورة التحريم، الآية: ٧.

(٩) انظر: «لا يعتبر في الأمر إرادة الدلالة باللفظ»: ٣٠٦/١.

(١٠) انظر: «الأمر المطلق للوجوب»: ٣٠٩/١.

(١١) أي من الأئمة الأربعة، فهي حقيقة في التحريم لغة عند الحنفية والشافعية، وشرعاً عند المالكية والحنابلة والظاهرية. (فواتح الرحموت: ١/٦٥٧، نشر البنود: ١/١٦٢، شرح الكوكب: ٣/٨٣).

(١٢) قاله أبو هاشم من المعتزلة. (الإحكام: ٢/٣٦٩، نهاية السؤل: ١/٣٩٧).

(١٣) قاله المرتضى من الشيعة. (تيسير التحرير: ١/٣٤١، التشنيف: ١/٣٠٣).

(١٤) قاله القاضي أبو بكر، والغزالي، والآمدي. (المستصفى: ١/٧٤٦، الإحكام: ٢/٣٦٩).

[النَّهْيُ عَنْ وَاحِدٍ وَمُتَعَدِّ]

وَقَدْ يَكُونُ عَنْ وَاحِدٍ وَمُتَعَدِّ جَمْعاً كـ «الْحَرَامِ الْمُخْتَارِ»، وَفَرَقاً كَالْتَعْلِينَ ثَلَبْسَانٍ أَوْ تَنْزَعَانٍ وَلَا يُفَرَّقُ، وَجَمِيعاً كَالزُّنَا وَالسَّرِقَةِ.

[النَّهْيُ عَنْ وَاحِدٍ وَمُتَعَدِّ]

(وقد يكون) النهي (عن واحد)، وهو ظاهر، (و) عن (متعدد جمعاً كالحرام المختار)^(١) نحو «لا تفعل هذا أو ذاك»، فعليه ترك أحدهما فقط، فلا مخالفة إلا بفعلهما، فالمحرّم جمعهما، لا فعل أحدهما فقط.

(وفرقاً كالتعلين ثلَبْسَانٍ أو تَنْزَعَانٍ، ولا يُفَرَّقُ) بينهما بلبس أو نزاع أحدهما فقط، فهو منهى عنه أخذاً من حديث الصحيحين: «لَا يَمْشِيَنَّ أَحَدُكُمْ فِي ثَغْلٍ وَاحِدَةٍ، لِيَنْعَلَهُمَا جَمِيعاً، أَوْ لِيَخْلَعَهُمَا جَمِيعاً»^(٢)،

فيصدق أتهما منهى عنهما لبساً أو نزاعاً من جهة الفرق بينهما في ذلك، لا الجمع فيه. (وجميعاً كالزُّنَا وَالسَّرِقَةِ)، فكل منهما منهى عنه، فيصدق بالنظر إليهما أن النهي عن متعدد، وإن كان يصدق بالنظر إلى كل منهما أنه عن واحد.

(١) أي لا يقتضي تحريمهما بل أحدهما فقط، قاله أهل السنة؛ وقال المعتزلة: يقتضي تحريمهما جميعاً، فيجب عليه ترك كل واحد منهما.

مثاله: قوله تعالى ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ... وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾. وما رواه البخاري (٥١٠٩) ومسلم (٣٤٢٢) عم أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لَا يُجْمَعُ بَيْنَ الْمَرْأَةِ وَعَمَّتِهَا، وَلَا بَيْنَ الْمَرْأَةِ وَخَالَتِهَا». (التشنيف: ٣١٩/١، شرح الكوكب: ٩٩/٣).

(٢) رواه البخاري في اللباس، باب يُنزع نعله اليسرى (٥٨٥٦)، ومسلم في اللباس، باب استحباب لبس النعل في اليمنى أولاً (٥٤٦٣)، وأبو داود في اللباس، باب في الانتعال (٤١٣٦)، والترمذي في اللباس، باب ما جاء في كراهية المشي في النعل الواحد (١٧٧٤).

[النَّهْيُ الْمُطْلَقُ لِلْفَسَادِ]

وَمُطْلَقُ نَهْيِ التَّحْرِيمِ - وكذا التَّنْزِيهِ فِي الْأَظْهَرِ - لِلْفَسَادِ شَرْعاً - وَقِيلَ : «لُغَةً» ؛ وَقِيلَ :

[النَّهْيُ الْمُطْلَقُ لِلْفَسَادِ]

(وَمُطْلَقُ نَهْيِ التَّحْرِيمِ)^(١) الْمُسْتَفَادُ مِنَ اللَّفْظِ ، (وكذا التَّنْزِيهِ فِي الْأَظْهَرِ لِلْفَسَادِ) أَي عَدَمُ الْإِعْتِدَادِ بِالْمَنْهِيِّ عَنْهُ إِذَا وَقَعَ (شَرْعاً) ، إِذْ لَا يُفْهَمُ ذَلِكَ مِنْ غَيْرِ الشَّرْعِ^(٢) . - (وَقِيلَ : «لُغَةً» لِفَهْمِ أَهْلِ اللُّغَةِ ذَلِكَ مِنْ مُجَرَّدِ اللَّفْظِ)^(٣) . (وَقِيلَ : «مَعْنَى» أَي مِنْ حَيْثُ الْمَعْنَى ، وَهُوَ أَنَّ الشَّيْءَ إِنَّمَا

(١) اختلف العلماء في كون مطلق النهي للفساد (البطلان) على أربعة مذاهب : المذهب الأول : أن النهي إن رجع إلى عينه أو وصف لازم للمنهى عنه اقتضى الفساد، سواء كان المنهى عنه عبادة أو معاملة أو غيرهما . وإن رجع إلى أمر خارج عنه لم يقتض الفساد، سواء كان المنهى عنه عبادة أو معاملة أو غيرهما . قاله الشافعية . المذهب الثاني : أن النهي يقتضي الفساد سواء كان النهي راجعاً إلى عين المنهى عنه أو وصف لازم له أو أمر خارج عنه أي مجاور له غير متصل اتصال الوصف . قاله المالكية والحنابلة . المذهب الثالث : النهي عن الحسي (وهو ما لا تتوقف معرفته على الشرع) إن رجع إلى عينه كالنهي عن اللواط ، أو إلى وصف لازم للمنهى عنه كالنهي عن نكاح المحارم اقتضى الفساد البطلان ، وإن رجع إلى أمر خارج عنه كالنهي عن قربان الرجل زوجته (أو أمته) الحائض اقتضى الصحة مع ثبوت الحرمة . وقد يطلق على هذه الصحة «الفساد» . والنهي عن الشرعي (وهو ما تتوقف معرفته على الشرع) إن رجع إلى عينه كبيع الملاقيع ، والصلاة بغير الطهارة اقتضى الفساد (البطلان) . وإن رجع إلى وصف لازم له كالصوم يوم العيد ، أو إلى أمر خارج عنه كالبيع وقت النداء اقتضى الصحة . وقد يطلق على هذه الصحة «الفساد» . قاله الحنفية . المذهب الرابع : أن النهي في العبادات يقتضي الفساد (البطلان) ، دون المعاملات ، قاله جماعة من الحنفية ، وجماعة من الشافعية ، وجماعة من المعتزلة . واختاره القفال ، وأبو الحسين البصري ، والكرخي ، والقاضي عبد الجبار ، وإمام الحرمين ، والغزالي والفخر الرازي . (أصول السرخسي : ٨٠ / ١ ، التقرير والتحجير : ٣٩١ / ١ ، تيسير التحرير : ٣٧٧ / ١ ، كشف الأسرار للبخاري : ٣٧٨ / ١ ، إفاضة الأنوار ، ص : ٦٢ ، نسمات الأسحار ، ص : ٦٣ ، فوائح الرحموت : ١ / ١٧٤ ، أصول البزدوي : ٣٧٧ / ١ ، الإحكام للباجي ص : ١٢٦ ، شرح التنقيح ، ص : ١٧٣ ، المنهاج للبيضاوي : ٤٣٣ / ١ ، نهاية السؤل : ٤٣٧ / ١ ، رفع الحاجب : ١١ / ٣ ، التشنيف : ٣١٨ / ١ ، غاية الوصول ، ص / ٦٨ ، الغيث الهامع : ٢٨٠ / ١ ، شرح الكوكب المنير : ٨٤ / ٣ - ٨٤) .

(٢) قاله الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة والظاهرية وغيرهم .

(تيسير التحرير : ٣٧٦ / ١ ، شرح التنقيح ، ص : ١٧٣ ، الإحكام : ٤٠٧ / ٢ ، شرح الكوكب : ٨٤ / ٣) .

(٣) وهو وجه لبعض الشافعية ، حكاه القاضي في «التقريب» . (التشنيف : ٣١٨ / ١) .

«معنى» - فِيمَا عَدَا الْمُعَامَلَاتِ مُطْلَقاً. وفيها إِنْ رَجَعَ إِلَى أَمْرٍ دَاخِلٍ - قال ابن عبد السلام: «أَوْ احْتَمَلَ رُجُوعُهُ إِلَى أَمْرٍ دَاخِلٍ» - أَوْ لَازِمٌ وَفَاقاً لِلْأَكْثَرِ .

يُنْهَى عَنْهُ إِذَا اشْتَمَلَ عَلَى مَا اقْتَضَى فُسَادُهُ^(١) . - (فيما عدا المعاملات) من عبادة وغيرها مِمَّا لَهُ ثَمَرَةٌ كَصَلَاةِ النَّفْلِ الْمَطْلُوقِ فِي الْأَوْقَاتِ الْمَكْرُوهَةِ، فَلَا تَصَحُّ كَمَا تَقَدَّمَ^(٢) عَلَى التَّحْرِيمِ، وَكَذَا التَّنْزِيهِ فِي الصَّحِيحِ، الْمُعْبَّرُ عَنْهُ هُنَا فِي جُمْلَةِ الشُّمُولِ بِـ«الْأَظْهَرِ»؛ وَكَالْوُطْءِ زِنَاً^(٣)، فَلَا يَثْبُتُ النَّسَبُ، (مطلقاً): أَي سِوَاءِ رَجْعِ النَّهْيِ فِيمَا ذُكِرَ إِلَى نَفْسِهِ^(٤) كَصَلَاةِ الْحَائِضِ وَصُومِهَا، أَمْ لَازِمُهُ كَصُومِ يَوْمِ النَّحْرِ لِلْإِعْرَاضِ بِهِ عَنْ ضِيَاغَةِ اللَّهِ تَعَالَى كَمَا تَقَدَّمَ^(٥)، وَكَالصَّلَاةِ فِي الْأَوْقَاتِ الْمَكْرُوهَةِ لِفُسَادِ الْأَوْقَاتِ اللَّازِمَةِ لَهَا بِفَعْلِهَا فِيهَا.

(وفيها) أي في المُعَامَلَاتِ (إِنْ رَجَعَ) النَّهْيُ (إِلَى أَمْرٍ دَاخِلٍ)^(٦) فِيهَا كَالنَّهْيِ عَنْ بَيْعِ الْمَلَأَقِيحِ: أَي مَا فِي الْبُطُونِ مِنَ الْأَجْنَةِ^(٧)، لَانْعَادَامِ الْمَبِيعِ، وَهُوَ رَكْنٌ مِنَ الْبَيْعِ؛ - (قال ابن عبد السلام^(٨)): «أَوْ احْتَمَلَ رُجُوعُهُ إِلَى أَمْرٍ دَاخِلٍ» فِيهَا تَغْلِيظاً لَهُ عَلَى الْخَارِجِ. - (أَوْ) رَجَعَ إِلَى أَمْرٍ (لَازِمٍ) لَهَا كَالنَّهْيِ عَنْ «بَيْعِ دَرَاهِمٍ بِدَرَاهِمِينَ» لِاشْتِمَالِهِ عَلَى الزِّيَادَةِ اللَّازِمَةِ بِالشَّرْطِ (وَفَاقاً لِلْأَكْثَرِ) مِنَ الْعُلَمَاءِ^(٩) فِي أَنَّ النَّهْيَ لِلْفُسَادِ فِيمَا ذُكِرَ.

أَمَّا فِي الْعِبَادَةِ فَلَمْ يَنْفَاذِ النَّهْيُ عَنْهُ لِأَنَّهُ يَكُونُ عِبَادَةً: أَي مَأْمُوراً بِهِ كَمَا تَقَدَّمَ فِي مَسْأَلَةٍ: «الْأَمْرُ لَا يَتَنَاوَلُ الْمَكْرُوهَ»^(١٠). وَأَمَّا فِي الْمُعَامَلَةِ فَلَا سِتْدَلَالَ الْأَوَّلَيْنِ مِنْ غَيْرِ نَكِيرٍ عَلَى

(١) قاله طائفة من الحنفية، واختاره الأمامي من الشافعية. (الإحكام: ٤٠٧/٢).

(٢) أي في مسألة: «مطلق الأمر لا يتناول المكره»: ١٥٠/١.

(٣) مثال لغير العبادة ممَّا عدا المعاملة. (النجوم اللوامع: ٥١٧/١).

(٤) أي إلى عينه كصلاة الحائض وصومها، أو جزئه كصلاة بلا ركوع. (النجوم اللوامع: ٥١٨/١).

(٥) انظر: «البتلان»: ١٠٧/١.

(٦) أي إلى عينها كبَيْعِ الحِصَاةِ، أَوْ إِلَى جِزْئِهَا كَبَيْعِ الْمَلَأَقِيحِ، أَوْ لِزِيَادَتِهَا كَبَيْعِ دَرَاهِمٍ بِدَرَاهِمِينَ.

(النجوم اللوامع: ٥١٨/١).

(٧) وهو يَبِيعُ بَاطِلٌ عِنْدَ الْأَرْبَعَةِ وَغَيْرِهِمْ.

(البحر الرائق: ٢٨٠/٥، التمهيد: ٣١٥/١٣، الروضة: ٣٩٦/٣، المغني: ١٤٦/٤).

(٨) القواعد الكبرى لابن عبد السلام: ٣٢/٢، ١٦٣.

(٩) أي من المالكية، والشافعية، والحنابلة.

(مختصر ابن الحاجب: ٩٨/٢، التشيف: ٣١٩/١، شرح الكوكب: ٩٢/٣).

(١٠) انظر: «مسألة: مطلق الأمر لا يتناول المكره»: ١٥٠/١.

وقال الغزالي والإمام: «في العبادات فقط». فإن كان لإخراج كالوضوء بمغصوب لم يُفذه عند الأكثر.

وقال أحمد: «يُفد مطلقاً، ولفظه حقيقة وإن انتفى الفساد لدليل».

فسادها بالنهي عنها. وأما في غيرها - كما تقدّم - فظاهر^(١).

(وقال الغزالي والإمام) الرازي: «للفساد (في العبادات فقط) أي دون المعاملات، فسادها بفوات ركن أو شرط عُرف من خارج عن النهي، ولا نُسلم أن الأولين استدّلوا بمجرّد النهي على فسادها، ودون غيرها كما تقدّم، فسادها من خارج أيضاً»^(٢).

(فإن كان) مطلق النهي (لخارج) عن المنهي عنه: أي غير لازم له (كالوضوء بمغصوب) لإتلاف مال الغير الحاصل بغير الوضوء أيضاً، وكالبيع وقت نداء الجمعة لتقويتها الحاصل بغير البيع أيضاً، وكالصلاة في المكان المكروه أو المغصوب كما تقدّم^(٣) (لم يُفذه) أي الفساد (عند الأكثر) من العلماء^(٤) لأن المنهي عنه في الحقيقة ذلك الخارج.

(وقال) الإمام (أحمد): «مطلق النهي (يُفد) الفساد (مطلقاً)»^(٥) أي سواء لم يكن لإخراج أو كان له، لأن ذلك مقتضاه، فيُفد الفساد في الصور المذكورة للخارج عنده^(٦)»^(٧).

قال: «ولفظه حقيقة وإن انتفى الفساد لدليل» كما في طلاق الحائض للأمر بمراجعتها كما تقدّم^(٨)، لأنه لم ينتقل عن جميع موجب الكف والفساد، فهو كالعام الذي خُصّ، فإنه حقيقة فيما بقي كما سيأتي^(٩)»^(١٠).

(١) أي غير العبادات والمعاملة ظاهر فسادها لعدم ترتب ثمرته عليه كما مرّ في مثاله. (البناني: ١/ ٦٢٠).

(٢) وبه قال أيضاً الحنفية والمحققون من أصحابنا كالقفال وإمام الحرمين، وجماعة من المعتزلة.

(تيسير التحرير: ١/ ٣٧٦، المحصول: ٢/ ٢٩١، الإحكام: ٢/ ٤٠٧، المستصفي: ٢/ ٣٦، ٤٤).

(٣) أي في مسألة: «مطلق الأمر لا يتناول المكروه»: ١/ ١٥٠.

(٤) أي من الحنفية والشافعية وغيرهم. (تيسير التحرير: ١/ ٣٧٧، التنيف: ١/ ٣٢٠).

(٥) قاله المالكية والحنابلة والظاهرية.

(الإحكام للبايجي: ١/ ١٢٦، شرح الكوكب: ٣/ ٩٤، الإحكام لابن حزم: ٣/ ٣٠٧).

(٦) انظر: شرح الكوكب المنير لابن النجار: ٣/ ٩٤.

(٧) أي الإمام أحمد رحمته الله.

(٨) في مبحث «الأمر بالأمر بشيء ليس أمراً به»: ١/ ٣١٩.

(٩) في التخصيص عند شرح قول المصنف: «والعام المخصوص مراد عمومته تناولاً لا حكماً»: ١/ ٣٦٦.

(١٠) انظر: شرح الكوكب المنير لابن النجار: ٣/ ٩٤.

وأبو حنيفة: «لا يُفِيدُ مطلقاً، نَعَمْ الْمَنْهِيُّ لِعَيْنِهِ غَيْرُ مَشْرُوعٍ، ففَسَادُهُ عَرَضِيٌّ، وَالْمَنْهِيُّ لَوْصِفِهِ يُفِيدُ الصَّحَّةَ».

(و) قال (أبو حنيفة): «مطلقُ النهي (لا يُفِيدُ) الفسادَ (مطلقاً) أي سواءً كانَ لِخَارِجٍ أم لم يكنْ له لما سيأتي في إفادته الصَّحَّةُ^(١)»^(٢)؛ قال: «نَعَمْ الْمَنْهِيُّ» عنه (لِعَيْنِهِ) كصلاة الحائض، وبيع الملايح (غيرُ مشروع، ففساده عَرَضِيٌّ) أي عَرَضُ للنهي حيث استعمل في غير المَشْرُوعِ مَجَازاً عن النهي الذي الأصلُ أنْ يُسْتَعْمَلَ فيه إخباراً عن عَدَمِهِ لانعدام محلِّه.

هذا فيما هو من جنس المشروع.

أما غيره كالزنا - بالزاني - فالنهي فيه على حاله، وفساده من خارج^(٣).

(ثُمَّ قَالَ^(٤)): «وَالْمَنْهِيُّ» عنه (لَوْصِفِهِ) كصوم يومِ النَّحْرِ للإعراضِ بِهِ عن الضيافة، وبيع درهم بدرهمين لاشتماله على الزيادة، (يُفِيدُ) النَّهْيُ فِيهِ (الصَّحَّةُ) لَهُ، لَأَنَّ النَّهْيَ عَنِ الشَّيْءِ يَسْتَدْعِي إِمْكَانَ وُجُودِهِ، وَإِلَّا لَكَانَ النَّهْيُ عَنْهُ لَغَوّاً كَقَوْلِكَ لِلْأَعْمَى: «لَا تُبْصِرَ»، فَيَصِحُّ صَوْمُ يَوْمِ النَّحْرِ عَنْ نَذْرِهِ كَمَا تَقَدَّمَ^(٥)، لَا مطلقاً لِفَسَادِهِ بَوْصِفِهِ الْإِلَازِمِ.

بِخِلَافِ الصَّلَاةِ فِي الْأَوْقَاتِ الْمَكْرُوهَةِ، فَتَصِحُّ مطلقاً، لَأَنَّ النَّهْيَ عَنْهَا لِخَارِجٍ كَمَا تَقَدَّمَ^(٦)، وَيَصِحُّ الْبَيْعُ الْمَذْكُورُ إِذَا أُسْقِطَتِ الزِّيَادَةُ، لَا مطلقاً، لِفَسَادِهِ بِهَا، وَإِنْ كَانَ يُفِيدُ بِالْقَبْضِ الْمَلِكُ الْخَبِيثُ كَمَا تَقَدَّمَ^(٧)»^(٨).

وَاحْتَرَزَ الْمُصَنِّفُ بِـ «مطلقِ النَّهْيِ» عَنِ الْمُقَيَّدِ بِـ «مَا يَدُلُّ عَلَى الْفَسَادِ أَوْ عَدَمِهِ» فَيُعْمَلُ بِهِ فِي ذَلِكَ اتِّفَاقاً.

(١) انظر: تيسير التحرير لأمر بادشاه: ٣٧٦/١.

(٢) أي قال الإمام أبو حنيفة رحمته الله.

(٣) انظر: تيسير التحرير لأمر بادشاه: ٣٧٦/١.

(٤) أي قال الإمام أبو حنيفة رحمته الله.

(٥) انظر: «البطالان»: ١٠٥/١.

(٦) في مسألة: «مطلق الأمر لا يتناول المكروه»: ١٥٠/١.

(٧) انظر: «البطالان»: ١٠٥/١.

(٨) هذا آخر كلام أبي حنيفة مع شرح المحلي. (انظر: تيسير التحرير: ٣٧٦/١).

[مَفَادُ « نَفْيِ الْقَبُولِ »]

وقيل: «إِنْ نَفَيْ عَنْهُ الْقَبُولُ»: وقيل: «بَلِ النَّفْيُ دَلِيلُ الْفَسَادِ».

[مَفَادُ « نَفْيِ الْقَبُولِ »]

(وقيل^(١)): «إِنْ نَفَيْ عَنْهُ الْقَبُولُ» أي نَفَيْهِ عن الشيء يُفِيدُ الصَّحَّةَ له، لظهور النفي في عدم الثواب، دون الاعتداد^(٢).

(وقيل: «بَلِ النَّفْيُ دَلِيلُ الْفَسَادِ» لظهوره في عدم الاعتداد^(٣).

(١) قال العبد الفقيرُ غفر الله له ولوالديه: ليس هذا من تمام أقوال المسألة السابقة كما يوهّم ظاهرُ صنيع المصنّف، بل مسألةٌ جديدةٌ لأنّ هذا نَفْيٌ وما قبله نَهْيٌ، فهو حكمٌ مستقلٌّ كما أشار إليه الشارحُ بقوله: «أَي نَفْيُهُ عَنِ الشَّيْءِ...» حيث استأنفت التقدير، وهي أَنَّ «نَفْيَ الْقَبُولِ» عن شيء هل يدلُّ على فساده أي عدم الاعتداد به أو على الصحّة مع انتفاء الثواب؟

ذكر المصنّف فيه قولين، ولم يُرجح أحدهما، وكذا الزركشي في التشنيف (٣٢٢/١) وشيخ الإسلام في «لُبِّ الْأَصُولِ» و«شرحِه» (ص: ٦٨)، ولكن ظاهرُ صنيع الشارح ترجيحُ القولِ الأولِ، والذي ظهر للعبد الفقير ترجيحُ القولِ الثاني كما يأتي، والله تعالى أعلم.

(٢) مثاله: ما رواه مسلم (٥٧٨٢): «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: مَنْ أَتَى عَرَفَا، فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ لَمْ تُقْبَلْ صَلَاتُهُ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً».

قال الإمامُ النووي رحمه الله في شرحه (٤٤٦/١٤): «وَأَمَّا عَدَمُ قَبُولِ صَلَاتِهِ فَمَعْنَاهُ: أَنَّهُ لَا ثَوَابَ لَهُ فِيهَا وَإِنْ كَانَتْ مُجَزَّةً فِي سَقُوطِ الْفَرْضِ عَنْهُ، وَلَا يَحْتَاجُ مَعَهُ إِلَى إِعَادَةٍ. وَنَظِيرُ هَذِهِ الصَّلَاةِ فِي الْأَرْضِ الْمَغْصُوبَةِ مُجَزَّةٌ مُسْقِطَةٌ لِلْقَضَاءِ، وَلَكِنْ لَا ثَوَابَ فِيهَا كَذَا قَالَ جَمَاهُورُ أَصْحَابِنَا ...»

وَلَا بُدَّ مِنْ هَذَا التَّأْوِيلِ فِي هَذَا الْحَدِيثِ فَإِنَّ الْعُلَمَاءَ مُتَّفَقُونَ عَلَى أَنَّهُ لَا يَلْزَمُ مَنْ أَتَى الْعَرَفَاتَ إِعَادَةَ صَلَاوَاتِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً»

(٣) قال العبد الفقيرُ غفر الله له ولوالديه: هذا القولُ الثاني هو الصحيحُ الراجحُ الذي لا يجوزُ العدولُ عنه إلّا لدليل خارجٍ لأمرٍ ثلاثة:

الأول: عدمُ جوازِ العدولِ عن ظاهرِ النصِّ إلّا بدليل، ولا دليل. الثاني: كثرةُ استعمالِ الشارحِ «نَفْيِ الْقَبُولِ» للفسادِ في أحاديث كثيرة منها: حديثُ أبي داود (١٧٣/١) وابن ماجه (٢١٥/١) «لَا يَقْبَلُ اللَّهُ صَلَاةَ الْحَائِضِ إِلَّا بِخِمَارٍ» وحديثُ البخاري في الوضوء (١٣٥): «لَا تُقْبَلُ صَلَاةُ مَنْ أَحْدَثَ حَتَّى يَتَوَضَّأَ». الثالث: تَمَسُّكُ الْعُلَمَاءِ بِظَاهِرِ مِثْلِ هَذِهِ النُّصُوصِ، وَعَدَمُ عَدُولِهِمْ عَنْهَا إِلَّا بِدَلِيلٍ، وَقَوْلُ النَّوَوِيِّ السَّابِقِ: «لَا بُدَّ مِنْ هَذَا التَّأْوِيلِ...» صريحٌ في هذا. ويؤيده أيضاً قولُ العراقي في الغيث الهامع=

[مَفَادُ «نَفْيِ الْإِجْزَاءِ»]

وَنَفْيِ الْإِجْزَاءِ كَنَفْيِ الْقَبُولِ . وقيل: «أَوَّلَى بِالْفَسَادِ» .

[مَفَادُ «نَفْيِ الْإِجْزَاءِ»]

(وَنَفْيِ الْإِجْزَاءِ كَنَفْيِ الْقَبُولِ) في أَنَّهُ يُفِيدُ الْفَسَادَ^(١)، أو الصَّحَّةَ، قولانِ بِنَاءٍ لِلأَوَّلِ عَلَى «أَنَّ الْإِجْزَاءَ: الْكِفَايَةُ فِي سَقُوطِ الطَّلَبِ»، وهو الرَّاجِعُ؛ وَلِلثَّانِي عَلَى «أَنَّهُ إِسْقَاطُ الْقَضَاءِ»، فَإِنَّ مَا لَا يُسْقِطُهُ بَأَنَّ يَحْتَاجَ إِلَى الْفِعْلِ ثَانِيًا قَدْ يَصَحُّ كَصَلَاةٍ فَاقِدِ الطَّهَوْرَيْنِ.

(وقيل): «هو (أَوَّلَى بِالْفَسَادِ) مِنْ نَفْيِ الْقَبُولِ لِتَبَادُرِ عَدَمِ الْاعْتِدَادِ مِنْهُ إِلَى الذَّهْنِ». وَعَلَى الْفَسَادِ فِي الْأَوَّلِ حَدِيثُ الصَّحِيحِينَ: «لَا يَتَبَلَّ اللَّهُ صَلَاةَ أَحَدِكُمْ إِذَا أَحْدَثَ حَتَّى يَتَوَضَّأَ»^(٢)،

وَفِي الثَّانِي حَدِيثُ الدَّارِقُطِيِّ وَغَيْرِهِ: «لَا تُجْزَى صَلَاةٌ لَا يَقْرَأُ الرَّجُلُ فِيهَا بِأَمِّ الْقُرْآنِ»^(٣).

= (١/٢٨٦): «الَّذِي ظَهَرَ لِي فِي كَوْنِ هَذَيْنِ الْحَدِيثَيْنِ [أَيِ حَدِيثٍ: «لَا يَقْبَلُ اللَّهُ صَلَاةَ حَائِضٍ إِلَّا بِخَمَارٍ»، وَحَدِيثٍ: «لَا يَقْبَلُ صَلَاةً مَنْ أَحْدَثَ حَتَّى يَتَوَضَّأَ»] الْمَذْكُورَيْنِ نَفْيٌ فِيهِمَا الْقَبُولُ، وَائْتَفَقَ مَعَهُ الصَّحَّةُ، وَجَاءَ فِي أَحَادِيثٍ أُخَرِ نَفْيُ الْقَبُولِ فَلَمْ يَنْتَفِ مَعَهُ الصَّحَّةُ كَصَلَاةِ شَارِبِ الْخَمْرِ، وَالْعَبْدِ الْآبِقِ، وَآتَى الْعِرَافُ: أَنَّا نَنْظُرُ فِيمَا نَفَى فِيهِ الْقَبُولُ: فَإِنْ قَارَنْتَ ذَلِكَ الْفِعْلَ مَعْصِيَةً كَالْأَحَادِيثِ الثَّلَاثَةِ الْمَذْكُورَةِ أَجْزَاءً، فَانْتِفَاءُ الْقَبُولِ أَيْ الثَّوَابِ لِأَنَّ إِثْمَ الْمَعْصِيَةِ أَحْبَطُهُ. وَإِنْ لَمْ يَقَارِنْهُ مَعْصِيَةً كَالْحَدِيثَيْنِ الْأَوَّلَيْنِ فَانْتِفَاءُ الْقَبُولِ بِسَبَبِهِ انْتِفَاءُ شَرِطٍ، وَهُوَ الطَّهَارَةُ فِي أَحَدِ الْحَدِيثَيْنِ وَسَرُّ الْعَوْرَةِ فِي الْآخَرِ، وَيَلْزَمُ مِنْ عَدَمِ الشَّرْطِ عَدَمُ الْمَشْرُوطِ. لِأَنَّ مَقَارَنَةَ الْمَعْصِيَةِ قَرِينَةٌ صَارِفَةٌ لـ «نَفْيِ الْقَبُولِ» عَنْ أَصْلِ مَعْنَاهُ، وَهُوَ الْفَسَادُ. وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ.

(١) وَالَّذِي يَظْهَرُ لِي: أَنَّ «نَفْيَ الْإِجْزَاءِ» لِلْفَسَادِ، لِأَنَّ الْإِجْزَاءَ كِفَايَةُ الْعِبَادَةِ عَنِ الطَّلَبِ، وَلِيُمَثِّلَ مَا تَقَدَّمَ فِي تَرْجِيحِ كَوْنِ «نَفْيِ الْقَبُولِ» لِلْفَسَادِ، وَاقْتِصَارِ الشَّارِحِ هُنَا وَزَكْرِيَا الْأَنْصَارِيِّ فِي غَايَةِ الْوَصُولِ (ص: ٦٩) عَلَى التَّمَثِيلِ لِلْفَسَادِ مَا يُشِيرُ تَرْجِيحَهُ أَيْضًا. وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ.

(٢) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي الْوُضُوءِ، بَابُ لَا تُقْبَلُ صَلَاةٌ بِغَيْرِ طَهْوَرٍ (١٣٥)، وَمُسْلِمٌ فِي الطَّهَارَةِ، بَابُ وَجُوبِ الطَّهَارَةِ لِلصَّلَاةِ (٥٣٦)، وَأَبُو دَاوُدَ فِي الطَّهَارَةِ، بَابُ فَرْضِ الْوُضُوءِ (٦٠)، وَالتِّرْمِذِيُّ فِي الطَّهَارَةِ، بَابُ مَا جَاءَ فِي الْوُضُوءِ مِنَ الرِّيحِ (٧٦).

(٣) رَوَاهُ ابْنُ خُزَيْمَةَ فِي صَحِيحِهِ (٤٩٠)، وَأَبُو حَنِيفَةَ فِي مُسْنَدِهِ (١/١٣٢)، رِجَالُهُ ثِقَاتٌ، وَصَحَّحَهُ ابْنُ الْقَطَّانِ، كَمَا قَالَ الْحَافِظُ فِي الْبِرَايَةِ (١/١٣٧)، وَالتَّلْخِصِ (١/٢٣١).

وَلَمْ أَجِدْهُ فِي مِظَنِّهِ مِنْ سُنَنِ الدَّارِقُطِيِّ بِاللَّفْظِ «لَا تُجْزَى»، وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ.

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

الْعَامُّ

[تعريف العام]

الْعَامُّ: لَفْظٌ يَسْتَعْرِقُ الصَّالِحَ لَهُ مِنْ غَيْرِ حَضَرٍ.

[العامُ يَشْمَلُ الصُّورَةَ النَّادِرَةَ، وَغَيْرَ الْمَقْصُودَةِ]

والصَّحِيحُ دُخُولُ النَّادِرَةِ، وَغَيْرِ الْمَقْصُودَةِ تَحْتَهُ.

[تعريف العام]

(الْعَامُّ: لَفْظٌ يَسْتَعْرِقُ الصَّالِحَ لَهُ) أَيِ يَتَنَاوَلُهُ دَفْعَةً... فَخَرَجَ بِهِ النُّكْرَةُ فِي الْإِثْبَاتِ مَفْرَدَةً، أَوْ مُثْنَةً، أَوْ مَجْمُوعَةً، أَوْ اسْمَ عَدَدٍ^(١)، لَا مِنْ حَيْثُ الْآحَادُ، فَإِنَّهَا تَتَنَاوَلُ مَا تَصْلُحُ لَهُ عَلَى سَبِيلِ الْبَدَلِ، لَا الْاسْتِعْرَاقِ نَحْوَ «أَكْرَمَ رَجُلًا»، وَ«تَصَدَّقَ بِخَمْسَةِ دِرَاهِمٍ»... (مِنْ غَيْرِ حَضَرٍ). فَخَرَجَ بِهِ اسْمُ الْعَدَدِ ١٧٩ مِنْ حَيْثُ الْآحَادُ، فَإِنَّهُ يَسْتَعْرِقُهَا بِحَضَرٍ كـ «عَشْرَةٍ»، وَمِثْلُهُ النُّكْرَةُ الْمُثْنَةُ مِنْ حَيْثُ الْآحَادُ كـ «رَجُلَيْنِ».

وَمِنْ الْعَامِ اللَّفْظُ الْمُسْتَعْمَلُ فِي حَقِيقَتَيْهِ^(٢)، أَوْ حَقِيقَتِهِ وَمَجَازِهِ، أَوْ مَجَازِيهِ عَلَى الرَّاجِحِ الْمَتَقَدِّمِ مِنْ صَحَّةِ ذَلِكَ^(٣). وَيَصْدُقُ عَلَيْهِ الْحَدُّ كَمَا يَصْدُقُ عَلَى الْمَشْتَرِكِ^(٤) الْمُسْتَعْمَلِ فِي أَفْرَادٍ مَعْنَى وَاحِدٍ، لِأَنَّهُ مَعَ قَرِينَةِ الْوَاحِدِ لَا يَصْلُحُ لِغَيْرِهِ.

[العامُ يَشْمَلُ الصُّورَةَ النَّادِرَةَ، وَغَيْرَ الْمَقْصُودَةِ]

(وَالصَّحِيحُ دُخُولُ) الصُّورَةِ (النَّادِرَةِ، وَغَيْرِ الْمَقْصُودَةِ) وَإِنْ لَمْ تَكُنْ نَادِرَةً مِنْ صُورِ الْعَامِ

(١) قَوْلُهُ: «أَوْ اسْمَ عَدَدٍ» مَعْطُوفٌ عَلَى قَوْلِهِ: «مَفْرَدَةً»، وَقَوْلُهُ: «لَا مِنْ حَيْثُ الْآحَادُ» قَيْدٌ فِي النُّكْرَةِ الْمُثْنَةِ وَالْمَجْمُوعَةِ، وَاسْمُ الْعَدَدِ، فَالنُّكْرَةُ تَتَنَاوَلُ مَا تَصْلُحُ لَهُ عَلَى سَبِيلِ الْبَدَلِ، فَالْمَفْرَدَةُ تَتَنَاوَلُ كُلَّ فَرْدٍ فَرْدٍ، - وَالْمُثْنَةُ تَتَنَاوَلُ كُلَّ اثْنَيْنِ اثْنَيْنِ، وَالْمَجْمُوعَةُ تَتَنَاوَلُ كُلَّ جَمْعٍ جَمْعٍ، وَالْخَمْسَةُ تَتَنَاوَلُ كُلَّ خَمْسَةٍ خَمْسَةٍ - تَتَنَاوَلُ بَدَلًا، لَا شُمُولًا. (البناني: ٦٢٧/١).

(٢) اِخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي أَنَّ اللَّفْظَ الْمُسْتَعْمَلُ فِي حَقِيقَتَيْهِ كـ «الْقَرَاءُ» مُرَادًا بِهِ الطَّهَرُ وَالْحَيْضُ، وَالْمُسْتَعْمَلُ فِي حَقِيقَتِهِ وَمَجَازِهِ مَعَ كـ «اللُّسُّ» مُرَادًا بِهِ الْجَسُّ بِالْيَدِ وَالْوَطْءُ، وَالْمُسْتَعْمَلُ فِي مَجَازِهِ كـ «الشَّرَاءُ» مُرَادًا بِهِ السُّوْمُ وَالشَّرَاءُ بِالْوَكِيلِ، هَلْ هُوَ مِنَ الْعَامِ أَوْ لَا؟ قَالَ الْإِمَامُ: لَا، فَلَا يَتَنَاوَلُ اللَّفْظُ الْمَذْكُورُ مَفْهُومِيَهُ مَعَ، فَلِذَا قَالَ فِي الْحَدِّ «... مَا يَصْلُحُ لَهُ بِحَسَبِ وَضْعٍ وَاحِدٍ». وَقَالَ الْمَصْنُفُ: نَعَمْ، وَلِذَا حَذَفَ مِنَ الْحَدِّ «بَوْضِعٍ وَاحِدٍ». فَعَلَى هَذَا يَتَنَاوَلُ «الْقَرَاءُ» جَمِيعَ أَنْوَاعِ الطَّهْرِ وَالْحَيْضِ، وَكَذَا الَّذِي بَعْدَهُ. (المحصول: ٢١٤/٤، مع الكاشف، البناني: ٦٢٨/٢).

(٣) انْظُرْ: «مَسْأَلَةٌ: إِطْلَاقُ الْمَشْتَرِكِ عَلَى مَعَانِيهِ مَعَ»: ٢٤١/١.

(٤) خِلَافًا لِلْإِمَامِ بِنَاءً أَنَّهُ لَا يَتَنَاوَلُ جَمِيعَ مَا يَصْلُحُ لَهُ اللَّفْظُ. (المحصول: ٢١٤/٤). فَيُرَدُّ بِأَنَّهُ مَعَ الْقَرِينَةِ =

[مَجِيءُ الْعَامِّ مَجَازاً]

وَأَنَّهُ قَدْ يَكُونُ مَجَازاً .

(تَحْتَهُ) فِي شَمُولِ الْحَكَمِ لَهْمَا نَظْراً لِلْعُمُومِ . وَقِيلَ : «لَا، نَظْراً لِلْمَقْصُودِ».

مِثَالُ النَّادِرَةِ : الْفِيلُ فِي حَدِيثِ أَبِي دَاوُدَ وَغَيْرِهِ : «لَا سَبَقَ إِلَّا فِي خُفٍّ، أَوْ حَافِرٍ، أَوْ نَضْلٍ»^(١)، فَإِنَّهُ ذُو خُفٍّ، وَالْمَسَابِقَةُ عَلَيْهِ نَادِرَةٌ، وَالْأَصْحُ جَوَازُهَا عَلَيْهِ^(٢).

وَمِثَالُ غَيْرِ الْمَقْصُودَةِ، وَتُدْرِكُ بِالْقَرِينَةِ : مَا لَوْ وَكَّلَهُ بِشَرَاءِ عَبِيدٍ فَلَانٍ، وَفِيهِمْ مَنْ يَغْتَقُّ عَلَيْهِ، وَلَمْ يَعْلَمْ بِهِ، فَالصَّحِيحُ صَحَّةُ الشَّرَاءِ أَخْذاً مِنْ مَسْأَلَةٍ : «مَا لَوْ وَكَّلَهُ بِشَرَاءِ عَبْدٍ، فَاشْتَرَى مَنْ يَغْتَقُّ عَلَيْهِ».

وَأِنْ قَامَتْ قَرِينَةٌ عَلَى قَضْدِ النَّادِرَةِ دَخَلَتْ قِطْعاً، أَوْ قَضْدِ انْتِفَاءِ صُورَةٍ لَمْ تَدْخُلْ قِطْعاً .

[مَجِيءُ الْعَامِّ مَجَازاً]

(و) الصَّحِيحُ (أَنَّهُ) أَيُّ الْعَامِّ (قَدْ يَكُونُ مَجَازاً) بِأَنْ يَقْتَرْنَ بِالْمَجَازِ أَدَاءُ عُمُومٍ، عَلَيْهِ مَا ذَكَرَ كَعَكْسِهِ الْمُعْبَّرُ بِهِ أَيْضاً نَحْوُ «جَاءَنِي الْأَسْوَدُ الرُّمَاءُ إِلَّا زَيْدًا»^(٣).

وَقِيلَ : «لَا يَكُونُ الْعَامُّ مَجَازاً، فَلَا يَكُونُ الْمَجَازُ عَامّاً، لِأَنَّ الْمَجَازَ ثَبَتَ عَلَى خِلَافِ الْأَصْلِ لِلْحَاجَةِ إِلَيْهِ، وَهِيَ تَتَدَفَّعُ فِي الْمَقْتَرَنِ بِأَدَاءِ عُمُومٍ بَعْضِ الْأَفْرَادِ، فَلَا يُرَادُّ بِهِ جَمِيعُهَا إِلَّا بِقَرِينَةٍ كَمَا فِي الْمِثَالِ السَّابِقِ مِنَ الْإِسْتِثْنَاءِ».

وَهَذَا أَيُّ أَنَّ الْمَجَازَ لَا يَغُمُّ - نَقَلَهُ الْمُصَنِّفُ^(٤) - عَنْ بَعْضِ الْحَنْفِيَّةِ - كَالْمُقْتَضِيِّ^(٥)، وَهُمْ^(٦)

= لِإِرَادَةِ أَحَدٍ مَعْنِيَّتِهِ لَا يَصْلُحُ لِآخَرٍ، فَيَكُونُ مُسْتَغْرِقاً لِجَمِيعِ مَا يَصْلُحُ لَهُ اللَّفْظُ، فَيَكُونُ عَامّاً.

(١) رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ فِي الْجِهَادِ، بَابُ فِي السَّبَقِ (٢٢١٠)، وَالنَّسَائِيُّ فِي الْخَيْلِ، بَابُ السَّبَقِ (٣٥٣٣)، وَابْنُ مَاجَةَ فِي الْجِهَادِ، بَابُ السَّبَقِ وَالرَّهَانِ (٢٧٦٩). وَهُوَ صَحِيحٌ. (خِلَاصَةُ الْبَدْرِ الْمُنِيرِ: ٤٠٥/١).

(٢) أَيُّ هُنَدَانَا، خِلَافاً لِلْحَنْبَلَةِ. (الرُّوضَةُ: ١٠/٣٥٠، الْمَغْنِي: ٩/٣٦٩).

(٣) قَالَهُ الْجَمَاهِيرُ. مِنَ الْحَنْفِيَّةِ وَالْمَالِكِيَّةِ وَالشَّافِعِيَّةِ وَالْحَنْبَلَةِ.

(كَشَفُ الْأَسْرَارِ: ١/٣٣، التَّشْنِيفُ: ١/٣٢٧، شَرْحُ الْكَوْكَبِ: ٣/١٠٣).

(٤) أَيُّ فِي مَنَعِ الْمَوَانِعِ (ص: ٥٠٧)، فَقَالَ: «زَعَمَ بَعْضُ الْحَنْفِيَّةِ أَنَّ الْمَجَازَ لَا يَغُمُّ لَصَعْفِهِ قَالَ: «فَإِنَّهُ عَلَى خِلَافِ الْأَصْلِ، فَيَقْتَصِرُ بِهِ عَلَى الْضَّرُورَةِ» كَمَا قَالَ أَصْحَابُنَا: «إِنَّ مَا تُقَيَّدُ بِالضَّرُورَةِ يُقَدَّرُ بِقَدْرِهَا»، وَهِيَ مَسْأَلَةٌ: عُمُومُ الْمُقْتَضِيِّ».

(٥) لَكِنِ الصَّحِيحُ عِنْدَهُمْ: عُمُومُ الْمَجَازِ، وَعَدَمُ عُمُومِ الْمُقْتَضِيِّ. (تَيْسِيرُ التَّحْرِيرِ: ١/٢٤١).

(٦) كَمَا فِي أَصُولِ السَّرْحِيِّ (١/١٧١)، وَكَشَفُ الْأَسْرَارِ (١/٣٣)، وَالتَّلْوِيحُ (١/٨٦).

[العُمومُ من عوارض الألفاظ]

وأنه من عوارض الألفاظ ؛ وقيل : « والمعاني » ؛

نقلوه عن بعض الشافعية بانياً عليه ما روي « لا يبيعوا الدرهم بالدرهمين ، ولا الصاع بالصاعين » أي ما يحل^(١) ذلك أي مكيل الصاع بمكيل الصاعين حيث قال^(٢) : « المراد بعض المكيل لما تقدم^(٣) . وهو المَطْعوم ، لما ثبت من أن علة الربا عندنا في غير الذهب والفضة الطعم . وعلى الأول يخصص عموم^(٤) بما أثبت عليه الطعم ، فيسقط تعلق الحنفية به في الربا في الجص ونحوه . والحديث في مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : « كُنَّا نُرْزَقُ تَمْرَ الجمع ، وَكُنَّا نَبِيعُ صَاعِينَ بِصَاعٍ ، فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ : لَا صَاعِي تَمْرٍ بِصَاعٍ ، وَلَا صَاعِي حِنْطَةٍ بِصَاعٍ ، وَلَا دِرْهَمٍ بِدِرْهَمَيْنِ »^(٥) .

[العُمومُ من عوارض الألفاظ]

(و) الصحيح (أنه) أي العموم (من عوارض الألفاظ) دون المعاني^(٦) . (قيل : والمعاني) أيضاً حقيقةً ، فكما يصدق «لفظ عام» يصدق «معنى عام» ، حقيقةً ذهنياً كان كمعنى «الإنسان»^(٧) ، أو خارجاً كمعنى «المطر» ، والخضب» لما شاع من نحو «الإنسان» يعم الرجل

- (١) يضم الحاء من الحلول ، أي ما يحل (أي يظرف) في الصاع ، وهو مكيل الصاع ، أي ما يحل في الصاع ، وفيه مجاز حيث أطلق اسم المكيل على الحال فيه . (البناني : ٦٣٢/٢) .
- (٢) أي بعض الشافعية ، وهو ظرف قوله «بانياً عليه» . (البناني : ٦٣٢/٢) .
- (٣) قبل قليل في قوله : «لأن المجاز ثبت على خلاف الأصل للحاجة...» . (البناني : ٦٣٢/٢) .
- (٤) أي على القول بعموم المجاز يخص عموم حديث أبي سعيد رضي الله عنه الذي أثبت عليه الطعم لحرمة الربا . (البناني : ٦٣٢/٢) .

- (٥) رواه مسلم في المساقاة ، باب بيع الطعام مثلاً بمثل (٤٠٦١) . ورواه أيضاً البخاري عن أبي سعيد رضي الله عنه نفسه باللفظ نفسه في البيوع ، باب بيع الخلط من التمر (٢٠٨٠) ، والنسائي في البيوع ، باب بيع التمر بالتمر متفاضلاً (٤٥٦٩) ، وابن ماجه في التجارات ، باب الصرف وما لا يجوز متفاضلاً يبدأ بيد (٢٢٥٦) .
- (٦) اتفق العلماء على أن العموم من عوارض الألفاظ حقيقةً ، واختلفوا في عروضة حقيقة للمعاني على ثلاثة مذاهب : الأول : أنه من عوارض الألفاظ حقيقةً والمعاني مجازاً ، قاله الشافعية والحنابلة ؛ الثاني : أنه من عوارض الألفاظ والمعاني حقيقةً ، قاله الحنفية والمالكية ؛ الثالث : أنه حقيقة في المعنى الذهني ، مجاز في الخارجي ، وهو بحث للصفى الهندي . (الفواتح : ٣٨٧/١ ، التيسير : ١٩٤/١ ، مختصر ابن الحاجب : ١٠١/٢ ، الإحكام : ٤١٥/٢ ، التلخيص : ٣٢٧/١ ، شرح الكوكب : ١٠٦/٣) .

(٧) هذا إشارة إلى أن الكلّي لا وجود له في الخارج ، ولا في ضمن الجزئيات لأنه لو وجد في الخارج =

وقيل: « به في الذهني ». ويقال للمعنى: « أعم », وللفظ: « عام ».

[مدلول العام كليّة]

ومدلوله كليّة - أي محكوم فيه على كل فرد - مطابقةً إثباتاً أو سلباً، لا كل، ولا كليّ.

والمرأة، وعمّ المطر والخضب، فالعموم شمول أمرٍ لمتعددٍ.

(وقيل: « به » أي بعروض العموم (في الذهني) حقيقة لوجود الشمول لمتعددٍ فيه بخلاف الخارجي، والمطر والخضب مثلاً في محلّ غيرهما في محلّ آخر، فاستعمال العموم فيه مجازي).
وعلى الأول استعماله^(١) في الذهني مجازي أيضاً، وعلى الأخيرين الحد السابق للعام من اللفظ.

(ويقال اصطلاحاً (للمعنى: « أعم » وأخصّ)، (وللفظ: « عام » وخاصّ) تفرقة بين الدال والمدلول. وخصّ المعنى بأفعل التفضيل لأنه أهم من اللفظ^(٢)).

ومنهم من يقول في المعنى: « عام - كما علم مما تقدّم^(٣) - وخاصّ^(٤) ».

فيقال لمعنى المشتركين: « عام، وأعمّ », وللفظه: « عام », ولمعنى زيد: « خاصّ وأخصّ », وللفظه: « خاصّ ».

وتركّ « الأخص والخاص » اكتفاءً بذكر مقابليهما. ولم يتركّ « ولفظ: عام » المعلوم مما تقدّم حكايةً لشقّي ما قيل ليظهر المراد.

[مدلول العام كليّة]

(ومدلوله) أي العام في التركيب من حيث الحكم عليه (كليّة - أي محكوم فيه على كل

= لأنحصر فيما وجد فيه، بل الموجود في الخارج صورةً مطابقةً لما في ذهن كما قال المحققون.

وإذا كان كل من الإنسان والمطر والخضب كلياً، فلماذا جعل الشارح الأول ذهنيّاً، والأخيرين خارجيّين؟ لوجود الفرق بينهما، وهو أنّ شمول المطر والخضب الخارجيّين للأماكن أظهر من شمول الإنسان الخارجيّ للأماكن. (البناني: ٦٣٣/٢، تقارير الشرييني: ٦٣٣/٢).

(١) أي فاستعمال العموم على القول الأول في الذهني مجازي كما أنّ استعماله في الخارجي على الأخير مجازي، والحد السابق للعام على القولين الأخيرين كائن من اللفظ. (البناني: ٦٣٤/٢).

(٢) لأنه المقصود، واللفظ وسيلة إليه. (العقد المنظوم، ص: ٢٤، التنيف: ٣٢٧/١).

(٣) أي في قول المصنف: « قيل: والمعاني... ».

(٤) وهو اختيار الكوراني في شرحه لـ « جمع الجوامع ». (شرح الكوكب: ١٠٥/١).

[دَلَالَةُ الْعَامِّ عَلَى أَفْرَادِهِ]

ودلالته على أصل المَعْنَى قطعية - وهو عن الشافعي - وعلى كل فردٍ بخصوصه ظنية، وهو عن الشافعية، وعن الحنفية: قطعية.

فرد - مطابقةً إثباتاً) خبراً أو أمراً، (أو سلباً) ^(١) نفيّاً أو نهيّاً نحو «جاء عبيدي»، و«ما خالفوا»، «فاكرمهم»، و«لا تهنهم» لأنه في قوة قضايا بتعدد أفرادهِ ^(٢) : أي جاء فلان، وجاء فلان، وهكذا فيما تقدّم الخ، وكلّ منها محكومٌ فيه على فردهِ، دالٌّ عليه مطابقةً، فما هو في قوتها محكومٌ فيه على كلِّ فردٍ فردٍ، دالٌّ عليه مطابقةً.

(لا كلُّ) أي لا محكومٌ فيه على مجموع الأفراد من حيث هو مجموعٌ، نحو «كلُّ رجلٍ في البلد يحمل الصخرة العظيمة» أي مجموعهم، وإلا لتعدّد الاستدلال به في النهي على كلِّ مفردٍ، لأنّ نهيَ المجموع يُمثّل بانتهاء بعضهم، ولم تزل العلماء يستدلون به عليه كما في ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ﴾ ^(٣) ونحوه.

(ولا كلُّي) أي ولا محكومٌ فيه على الماهية من حيث هي أي من غير نظيرٍ إلى الأفراد نحو «الرجل خيرٌ من المرأة» أي حقيقته أفضل من حقيقتها، وكثيراً ما يفضل بعض أفرادها بعض أفرادهِ، لأنّ النظر في العام إلى أفرادهِ.

[دَلَالَةُ الْعَامِّ عَلَى أَفْرَادِهِ]

(ودلالته) أي العام (على أصل المَعْنَى) من الواحد فيما هو غير جَمْع، والثلاثة أو الاثنين فيما هو جَمْع (قطعية) ^(٤) - وهو عن الشافعي رحمهُ الله - (وعلى كل فردٍ بخصوصه ظنية، وهو عن الشافعية) ^(٥) لا احتمالاً للتخصيص وإن لم يظهر مُخصّصٌ لكثرة التخصيص في العمومات.

(وعن الحنفية قطعية) للزوم معنى اللفظ له قطعاً حتى يظهر خلافه من تخصيص في العام،

(١) قاله الجماهير من الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة.

(التيسير: ١٩٣/١، شرح التنقيح، ص: ١٩٥، شرح الكوكب: ١١٢/٣).

(٢) لما نصّ عليه أئمّة النحو وغيرهم من أنّ نحو «جاء الرجال» أصله: جاء زيدٌ، وجاء عمروٌ، وهكذا، عبر بصيغة الجمع عن ذلك اختصاراً. (تقريرات الشربيني: ٦٣٥/٢).

(٣) سورة الأنعام، الآية: ١٥١.

(٤) وهذا لا خلاف فيه. (شرح الكوكب: ١١٤/٣).

(٥) وكذا المالكية والحنابلة. (نشر البُود: ١/١٧٠، البحر: ٢٦/٣، شرح الكوكب: ١١٤/٣).

[عُمومُ الأشخاصِ يَستلزمُ عُمومَ الأحوالِ، والأزمنةِ، والأمكنةِ]
وعُمومُ الأشخاصِ يَستلزمُ عُمومَ الأحوالِ والأزمنةِ، والبقاعِ، وعليه الشيخُ الإمامُ.

أو تجوزُ في الخاصِّ، أو غير ذلك^(١).

فيمتنع التخصيصُ بخبر الواحدِ، وبالقياصِ على هذا، دون الأولِ.

وإن قام دليلٌ على انتفاء التخصيصِ كالعقلِ في ﴿وَاللَّهُ يَكُلِّ شَيْءٌ عَلَيْهِمْ﴾^(٢)، ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾^(٣) كانت قطعيةً اتفاقاً.

[عُمومُ الأشخاصِ يَستلزمُ عُمومَ الأحوالِ، والأزمنةِ، والأمكنةِ]

(وعُمومُ الأشخاصِ يَستلزمُ عُمومَ الأحوالِ، والأزمنةِ، والبقاعِ)^(٤)، لأنها لا غنى للأشخاصِ عنها، فقوله تعالى: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾^(٥) أي على أيِّ حالٍ كان، وفي أيِّ زمانٍ ومكانٍ كان، وحُصِّصَ منه المحصنُ فيرجم؛ وقوله: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزَّيْفَ﴾^(٦) أي لا يقربهُ كلُّ منكم على أيِّ حالٍ كان، وفي أيِّ زمانٍ ومكانٍ كان؛ وقوله ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ﴾^(٧) أي كلَّ مشركٍ على أيِّ حالٍ كان، وفي أيِّ زمانٍ، ومكانٍ كان، وحُصِّصَ منه البعضُ كأهل الذمة. (وعليه) أي على الاستلزام (الشيخ الإمام) والذ المصنف كالإمام الرازي^(٨).

وقال القرافي^(٩) وغيره^(١٠): «العامُ في الأشخاصِ مطلقٌ في المذكوراتِ لانتفاء صيغةِ العُمومِ فيها».

فما حُصِّصَ به العامُ على الأولِ مُبينٌ للمرادِ بما أُطلقَ فيه على هذا.

(١) فواتح الرحموت: ٤٠٣/١.

(٢) سورة الحجرات، الآية: ١٦.

(٣) سورة الصف، الآية: ١.

(٤) قاله الشافعية والحنابلة وغيرهم. (التشنيف: ٣٣١/١، شرح الكوكب: ١١٥/٣).

(٥) سورة النور، الآية: ٢.

(٦) سورة الإسراء، الآية: ٣٢.

(٧) سورة التوبة، الآية: ٥.

(٨) المحصول للرازي: ١٨٩/٣.

(٩) شرح التنقيح للقرافي، ص: ٢٠٠.

(١٠) كابن قاضي الجبل من الحنابلة. (شرح الكوكب: ١١٦/٣).

مسألة: [صِيغُ الْعُمُومِ]

وكلُّ، والذي، والتي، وأيُّ، وما، ومتى، وأين، وحيثما، ونحوها

(مسألة: [صِيغُ الْعُمُومِ])

في صيغ العموم: (وكلُّ)، وقد تقدّمت^(١)، (والذي، والتي)^(٢) نحو « أكرم الذي يأتيك، والتي تأتيك » أي كلّ آتٍ، وآتية لك .

(وأيُّ، وما) الشرطيتان، والاستفهاميتان، والموصولتان، وتقدّمتا^(٣)، وأطلقهما للعلم بانتفاء العموم في غير ذلك^(٤).

(ومتى) للزمان استفهامية، أو شرطية نحو «متى تجيئي؟ متى جئتني أكرمك».

(وأين، وحيثما) للمكان شرطيتين نحو «أين - أو حيثما - كنت أتك».

وتزيد «أين» بالاستفهام نحو «أين كنت؟» .

(ونحوها) كجمع «الذي» و«التي»، وك«مَنْ» الاستفهامية، والشرطية، والموصولية،

وقد تقدّمت^(٥)، و«جميع»^(٦) نحو «جميع القوم جاؤوا» .

ونظر المصنّف فيها بأنّها إنّما تُضاف إلى معرفة، فالعموم من المضاف إليه، ولذلك ١٨٤

شطب عليها بعد أن كتبها عقب «كل» هنا .

وقوله^(٧) - كالإسنوي^(٨) : «إنَّ «أَيًّا» و«مَنْ» الموصولين لا يعمّان مثل «مررت بأبيهم

(١) أي في «مبحث الحروف»، «الثامن عشر: كل».

(٢) لهما استعمالان، أحدهما: أن يَقَعَا على شخص معهود، وهو الذي تكلم عليه النحاة؛ وثانيهما: أن يَقَعَا على كلِّ مَنْ يصلح له، وهو المراد هنا، أي عند الأصوليين. (البناني: ٦٤١/٢).

(٣) أي في مبحث «الحروف»، «الخامس: أي، ... والثالث والعشرون: ما».

(٤) كـ«أي» الواقعة صفةً لنكرة نحو «مررت برجلٍ أي رجلٍ»، أو حالاً من معرفة نحو «مررت بالعالم أي عالمٍ»؛ وكـ«ما» الواقعة نكرة موصوفة نحو «مررت بما مُعْجِبٍ لك»، أو تعجيبية نحو «ما أحسن زيدا»، فلا عموم لواحدٍ منها. (البناني: ٦٤١/٢).

(٥) أي في مبحث «الحروف»، «الخامس والعشرون: مَنْ».

(٦) قوله: «جميع» معطوف على قوله: «ك(مَنْ)». (البناني: ٦٤٢/٢).

(٧) عبارته رحمه الله في شرح المختصر (٣/٢١٠): «وأما «مَنْ» الموصولة والشرطية فتعمّان».

(٨) نهاية السؤل للإسنوي: ٤٥١/١.

للعُموم حقيقة. وقيل: «للخصوص»؛ وقيل: «مُشتركة»؛ وقيل: «بالوقف». والجمعُ المُعرَّفُ باللام - أو الإضافة - للعُموم ما لم يتحقق عهدٌ، خلافاً لأبي هاشم: «مطلقاً»، ولإمام الحرمين: «إذا احتُمِلَ معهودٌ».

قام، ومررتُ بِمَنْ قام أي بالذي قام صحيحٌ في هذا التمثيل ونحوه مما قامت فيه قرينةُ الخصوص، لا مطلقاً.

(للعُموم حقيقة) لتبادره إلى الذهن^(١).

(وقيل: «للخصوص» حقيقة أي للواحد في غير الجمع، والثلاثة - أو الاثنين - في الجمع لأنه المتيقن، والعموم مجازٌ)^(٢).

(وقيل: «مُشتركة» بين العموم والخصوص لأنها تُستعمل لكل منهما، والأصل في الاستعمال الحقيقة)^(٣). (وقيل: «بالوقف» أي لا يُدرى أهِيَ حقيقة في العموم، أم في الخصوص، أم فيهما)^(٤).

(والجمعُ المُعرَّفُ باللام) نحو ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾^(٥)، (أو الإضافة) نحو ﴿يُؤْمِكُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ﴾^(٦) (للعُموم ما لم يتحقق عهدٌ) لتبادره إلى الذهن^(٧).

(خلافاً لأبي هاشم) في نفيه العموم عنه (مطلقاً)^(٨). فهو عنده للجنس الصادق ببعض الأفراد كما في «تزوجتُ النساء»، وملكْتُ العبيد»، لأنه المُتيقن ما لم تكن قرينة على العموم كما في الآيتين.

(و) خلافاً (لإمام الحرمين) في نفيه العموم عنه (إذا احتُمِلَ معهودٌ). فهو عنده باحتمال

(١) قاله الجماهير. من الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة.

(التيسير: ١٩٥/١، مختصر ابن الحاجب: ١٠٢/٢، شرح الكوكب: ١٠٨/٣).

(٢) قاله جماعة من المعتزلة. (المعتمد: ٢٠٥/١، البحر: ١٧٠/٣).

(٣) قاله القاضي أبو بكر الباقلاني. (الإحكام: ٤٠٧/٢، البحر: ٢٠/٣).

(٤) نُقل عن أبي الحسن الأشعري. (البحر: ٢٠/٣).

(٥) سورة المؤمنون، الآية: ١.

(٦) سورة النساء، الآية: ١١.

(٧) قاله الجماهير من الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة.

(التيسير: ٢١٠/١، شرح التنقيح، ص: ١٨٠، شرح الكوكب: ١٣٠/٣).

(٨) المعتمد لأبي الحسين: ٢٤٠/١، التنيف: ٣٣٥/١.

والمُفْرَدُ الْمُحَلَّى مثله، خلافاً للإمام: «مطلقاً»، ولإمام الحرمين والغزالي: «إذا لم يكن واحده (بالتاء)»، زاد الغزالي «أو تميّز بالوحدّة».

العهد متردّد بينه وبين العموم حتى تقوم قرينة^(١).

أما إذا تحقّق عهدٌ صُرف إليه جزءاً.

وعلى العموم قيل: «أفرادهُ جُموعٌ». والأكثر^(٢): «آحادٌ في الإثبات وغيره». وعليه أئمة^(١٨٥) التفسير في استعمال القرآن: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾^(٣) أي يُثيب كلَّ حسنٍ، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾^(٤) أي كلاًّ منهم بأن يُعاقبهم؛ ﴿فَلَا تُطِيعُوا الْمُكَذِّبِينَ﴾^(٥) أي كلَّ واحدٍ منهم.

ويؤيّدُه صحّةُ استثناءِ الواحدِ منه نحو «جاء الرجالُ إلّا زيداً»، ولو كان معناه: جاء كلُّ جمعٍ من جُموع الرجالِ لم يصح إلّا أن يكون منقطعاً.

نعم، قد تقوم قرينةٌ على إرادة المَجْمُوعِ نحو «رجال البلد يحملون الصخرة العظيمة» أي مَجْمُوعهم. والأول يقول: قامت قرينةُ الآحاد في الآيات المذكورات ونحوها.

(والمُفْرَدُ الْمُحَلَّى) باللام (مثله)^(٦) أي مثلُ الجَمْعِ المُعَرَّفِ بِهَا في أنه للعموم ما لم يتحقّق عهدٌ لتبادره إلى الذهن نحو ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ﴾^(٧) أي كلَّ بيعٍ، وخصّص منه الفاسد كالربا.

(خلافاً للإمام) الرازي في نفيه العموم عنه (مطلقاً). فهو عنده للجنس الصادق ببعض الأفراد كما في «لبست الثوبَ، وشربت الماءَ»، لأنه المُتَيَقَّنُ ما لم تُقَمْ قرينةٌ على العموم كما في ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ خَسِيرٌ﴾^(٨) إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا^(٩).

(١) البرهان لإمام الحرمين: ٢٣٣/١.

(٢) أي من الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة.

(التيسير: ٢١٠/١، نشر البنود: ١٧٣/١، التشيف: ٣٣٥/١، شرح الكوكب: ١٣١/٣).

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٣٤.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ٣٢.

(٥) سورة القلم، الآية: ٨.

(٦) أي عند الجماهير من الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة.

(كشف الأسرار: ١٤/٢، الإحكام: ٤١٥/٢، شرح الكوكب: ١٣٣/٣).

(٧) سورة البقرة، الآية: ٢٧٥.

(٨) سورة العصر، الآية: ٢.

(٩) المحصول للرازي: ٣٦٧/٢.

النكرة في سياق النفي للعموم وضعاً -

(و) خلافاً (لإمام الحرمين والغزالي) في نفيهما العموم عنه (إذا لم يكن واحده بالتاء) كـ «الماء»^(١). (زاد الغزالي «أو تميز» واحده «بالوحدّة») كـ «الرجال»، إذ يُقال: «رجلٌ واحد»، فهو في ذلك للجنس الصادق بالبعض نحو «شربُ الماء»، ورأيتُ الرجلَ، ما لم تُفم قرينة على العموم نحو «الدينار خيرٌ من الدرهم» أي كل دينارٍ خيرٌ من كل درهم. ١٨٦

وكان ينبغي أن يقال: «وتمييز بالواو» بدل «أو» ليكون قيداً فيما قبله، فإن الغزالي قسم ما ليس واحده بـ «التاء» إلى ما يتمييز واحده بالوحدّة، فلا يعم، وإلى ما يتمييز بها كـ «الذهب» فيعم كـ التمييز واحده بـ «التاء» كـ «التمر» كما في حديث الصحيحين: «الذهب بالذهب رباً إلا هاء وهاء، والبر بالبر رباً إلا هاء وهاء، والشعير بالشعير رباً إلا هاء وهاء، والتمر بالتمر رباً إلا هاء وهاء»^(٢).

وكأن مراد إمام الحرمين حيث لم يُمثل إلا بما يتمييز واحده بالوحدّة ما ذكره الغزالي. أما إذا تحقق عهدٌ صرف إليه جزماً.

والمفرد المضاف إلى معرفة للعموم على الصحيح^(٣) كما قاله المصنف في «شرح المختصر»^(٤)، يعني ما لم يتحقق عهدٌ نحو ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ﴾^(٥) أي كل أمرٍ لله تعالى، وخَصَّ منه أمرُ الندبِ.

(والنكرة في سياق النفي للعموم وضعاً) بأن تَدُلَّ عليه بالمطابقة كما تقدّم^(٦) من أن الحكم في العام على كل فردٍ مطابقة^(٧).

(١) البرهان لإمام الحرمين: ٣٣٩/١، والمستصفي للغزالي: ٨٤/٢.

(٢) رواه البخاري في البيوع، باب بيع التمر بالتمر (٢١٧٠)، ومسلم في المساقاة، باب الصرف...

(٣٥٠)، وأبو داود (٣٣٤٦)، والترمذي (١٢٤٦)، والنسائي (٤٥٧٢)، وابن ماجه (٢٢٥٣).

(٣) عند المالكية والشافعية والحنابلة. (نشر البنود: ١/١٧٣، التشنيف: ١/٣٣٨، غاية

الوصول، ص: ٧١، شرح الكوكب: ١٣٦/٣).

(٤) رفع الحاجب عن مختصر ابن الحاجب للمصنف: ٨١/٣.

(٥) سورة النور، للآية: ٦٣.

(٦) انظر: «مدلول العام كلية»: ٣٣٨/١.

(٧) قاله المالكية، والشافعية، والحنابلة.

(شرح التفتيح، ص: ١٨٢، غاية الوصول، ص: ٧١، شرح الكوكب: ١٣٨/٣).

وقيل: «لُزوماً»، وعليه الشيخ الإمام، - نصّاً إن بُيِّنَتْ على الفتح، وظاهراً إن لم تُبَيَّنْ.

[مَا يَعُمُّ عُرْفاً، لَا لُغَةً]

وَقَدْ يَعُمُّ اللَّفْظُ عُرْفاً كَالْفَحْوَى،

(وقيل: «لُزوماً»^(١))، وعليه الشيخ الإمام) والد المصنف كالحنفية نظراً إلى أن النفي أولاً للماهية، ويلزمه نفي كل فرد. فيؤثر التخصيص بالنية على الأول دون الثاني.

- (نصّاً إن بُيِّنَتْ على الفتح) نحو «لا رجل في الدار»، (وظاهراً إن لم تُبَيَّنْ) نحو «ما في الدار رجل»، فيحتمل نفي الواحد فقط^(٢). ولو زيدت فيها «من» كانت نصّاً أيضاً كما تقدّم في الحروف «أن من تأتي لتتصيص العموم»^(٣).

قال إمام الحرمين: «والنكرة في سياق الشرط للعموم نحو «من يأتيني بمالٍ أجازره» فلا يختص بمالٍ»^(٤). قال المصنف: «مراده العموم البدلي، لا الشمولي»^(٥) أي بقرينة المثال. أقول: وقد تكون للشمولي نحو ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ﴾^(٦) أي كل واحد منهم.

[مَا يَعُمُّ عُرْفاً، لَا لُغَةً]

(وقد يَعُمُّ اللَّفْظُ عُرْفاً كَالْفَحْوَى) أي مفهوم الموافقة بقسميه: الأولى، والمساوي على نحو ما تقدّم^(٧)، نحو ﴿فَلَا تَقُلْ لِهَذَا أُنِي﴾^(٨)، ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى﴾^(٩)،^(١٠).

- (١) قاله الحنفية. (فوائح الرحموت: ١/٤٤٧).
- (٢) أي احتمالاً مرجوحاً، إذ الغرض أنه ظاهر في العموم. (البناني: ٢/٦٥٠).
- (٣) انظر: «الرابع والعشرون: من»: ١/٢٩٧.
- (٤) البرهان لإمام الحرمين: ١/٣٣٧.
- (٥) عبارته رحمه الله في رفع الحاجب (٣/١٦٥): «وقد قال إمام الحرمين: «إنها عامة في سياق الشرط كالنفي»، وفيه بحث يطول».
- (٦) سورة التوبة، الآية: ٦.
- (٧) انظر: «فحوى الخطاب ولحن الخطاب»: ١/١٨٧.
- (٨) سورة الإسراء، الآية: ٢٣.
- (٩) سورة النساء، الآية: ١٠.
- (١٠) قاله الجماهير من الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة.
- (التيسير: ١/٢٦٠، شرح التنقيح، ص: ١٩٠، التشنيف: ١/٣٣٩، شرح الكوكب: ٣/١٥٥).

و ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ﴾ ؛

[مَا يَعُمُّ عَقْلاً ، لَا لُغَةً]

أو عقلاً كترتيب الحكم على الوصف، وكمفهوم المخالفة.

قيل: «نقلهما العرف إلى تحريم جميع الإيذاءات والإتلافات». وإطلاق «الفحوى» على مفهوم الموافقة بقسميه خلاف^(١) ما تقدّم^(٢) «أنه للأولى منه» صحيح أيضاً، كما مشى عليه البيضاوي^(٣).

﴿وَحُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ﴾، نقله العرف من تحريم العين إلى تحريم جميع الاستمتاع المقصودة من النساء من الوطء ومقدماته^(٤). وسيأتي قول: «إنه مجمل»^(٥).

[مَا يَعُمُّ عَقْلاً ، لَا لُغَةً]

(أو عقلاً كترتيب الحكم على الوصف)، فإنه يفيد عليّة الوصف للحكم كما سيأتي في القياس^(٦)، فيفيد العموم بالعقل^(٧)، على معنى: أنه كلما وجدت العلة، وجد المعلول. مثاله: «أكرم العالم» إذا لم تُجعل اللام فيه للعموم ولا عهد. وكمفهوم المخالفة^(٨) على قول^(٩) تقدّم: «إنّ دلالة اللفظ على أنّ ما عدا المذكور

(١) قوله «خلاف» حالّ من «إطلاق»، وهو مبتدأ، وخبره «صحيح»، والضمير في «منه» لمفهوم الموافقة. (البناني: ٦٥١/١).

(٢) انظر: «فحوى الخطاب ولحن الخطاب». ١٨٧/١.

(٣) المنهاج للبيضاوي: ٣٥٧/١ (مع نهاية السؤل).

(٤) قاله الشافعية والحنابلة وغيرهم. (التشنيف: ٣٣٩/١، شرح الكوكب: ١٥٥/٣).

(٥) انظر: «بيان ما يُظنّ فيه إجمال وليس كذلك»: ٤٣٠/١.

(٦) انظر: «المسلك الثالث: الإيماء»: ٢٢٥/٢.

(٧) قاله الجماهير. (التيسير: ٢٥٩/١، مختصر ابن الحاجب: ١١٩/٢، التشنيف: ٣٤٠/١).

(٨) قاله المالكية والشافعية والحنابلة، خلافاً للحنفية فلم يقولوا به لإنكارهم مفهوم المخالفة.

(٩) التيسير: ٢٦٠/١، مختصر ابن الحاجب: ١١٩/٢، التشنيف: ٣٤٠/١، شرح الكوكب: ١٥٧/٣.

(٩) أي على قولٍ ضعيفٍ تقدّم في «مسألة: حجية المفاهيم»، والصحيح أنّ دلالة اللفظ، لا بالعقل، وعلى التقديرين ليس منطوقاً، إذ لم يوضّع اللفظ له، ولا نقله العرف إليه، وإنّما الخلاف هل دلالة اللفظ على المفهوم به أو بحكم العقل؟. (البناني: ٦٥٢/١).

والخلاف في أنه لا عموم له لفظي، وفي أن الفحوى بالعرف والمخالفة بالعقل تقدم.

بخلاف حكمه بالمعنى، المعبر عنه هنا بـ«العقل»، وهو أنه لو لم ينف المذکور الحكم عما عداه (١٨٨) لم يكن لذكره فائدة كما في حديث الصحيحين: «مطل الغني ظلم»^(١) أي بخلاف مطل غيره.

(والخلاف في أنه)^(٢) أي المفهوم مطلقاً (لا عموم له لفظي)^(٣) أي عائد إلى اللفظ والتسمية، أي هل يسمى عاماً، أو لا بناء على أن العموم من عوارض الألفاظ والمعاني أو الألفاظ فقط؟

أما من جهة المعنى فهو شامل لجميع صور ما عدا المذکور بما تقدم من عرف - وإن صار به^(٤) منطوقاً - أو عقلي.

(و) الخلاف (في أن الفحوى بالعرف)^(٥)، والمخالفة بالعقل^(٦) تقدم في مبحث «المفهوم». نبه به على أن المثاليين على قول.

ولو قال بذكر هذا: «فيهما على قول» كما قلت كان أخصر وأوضح.

(١) رواه البخاري في الحوالات، باب الحوالة، وهو يرجع في الحوالة (٢١٢٥)، ومسلم في المساقاة، باب تحريم مطل الغني (٢٩٢٤)، وأبو داود في البيوع، باب في المطل (٢٩٠٣)، والترمذي في البيوع، باب ما جاء في مطل الغني أنه ظلم (١٢٣٠)، والنسائي في البيوع، باب الحوالة (٤٦١٢)، وابن ماجه في الأحكام، باب الحوالة (٢٣٩٥).

(٢) الخلاف فيه مع الإمام الغزالي، حيث أنكر العموم للمفهوم. (المستصفي: ١١٧/٢).

(٣) قاله ابن الحجب في المختصر (١١٧/٢)، والمضد في شرحه (١١٧/٢)، وشيخ الإسلام في «لب الأصول» وشرحه (ص: ٧٢)، وغيرهم، خلافاً لابن الهمام في التحرير (٢٦٠/١) في جعله معنوياً. قال الزركشي في التشنيف (٣٤٠/١): «وإذا حُرر محل النزاع لم يتحقق خلاف، لأنه إن كان الخلاف في أن مفهومي الموافقة والمخالفة يثبت فيهما الحكم في جميع ما سوى المنطوق من الصور أو لا؟ فالحق الإثبات، وهو مراد الأكثرين، والغزالي لا يخالفهم فيه لأنه من القائلين بأن المفهوم حجة، وإن فرض في أن ثبوت الحكم فيهما بالمنطوق أو لا؟ فالحق النفي، وهو مراد الغزالي، وهم لا يخالفون فيه، ولا ثالث هاهنا يمكن فرضه محلاً للنزاع.

والحاصل: أنه نزاع يعود إلى تقسيم العام بأنه ما يستغرق في محل النطق، أو ما يستغرق في الجملة؟».

ومثله في شرح المختصر للقاضي المضد (١١٨/٢).

(٤) أي وإن صار المفهوم بسبب العرف مدلولاً عليه في محل النطق، فذلك الصيرورة لا تمنع كون الكلام في المفهوم بحسب الأصل. (البناني: ٦٥٣/١).

(٥) انظر: «دلالة الموافقة قياسية»: ١٨٩/١.

(٦) انظر: «مسألة: حجية المفاهيم»: ٢٠١/١.

[مَعْيَارُ الْعُمُومِ]

وَمَعْيَارُ الْعُمُومِ الْإِسْتِثْنَاءُ .

[الْجَمْعُ الْمُنْكَرُ لَا يَعْْمُ]

وَالْأَصَحُّ أَنَّ الْجَمْعَ الْمُنْكَرَ لَيْسَ بِعَامٍّ .

[مَعْيَارُ الْعُمُومِ]

(ومعيار العموم الاستثناء)^(١) فكل ما صحَّ الاستثناء منه ممَّا لا حصرَ فيه فهو عامٌّ للزومِ تناوله للمستثنى، وقد صحَّ الاستثناء من الجمع المعرَّف، وغيره ممَّا تقدَّم من الصَّيغِ نحو «جاء الرجال إلَّا زيداً». ومَن نفَى العموم فيها يجعلُ الاستثناء منها قرينةً على العموم.

ولم يصحَّ الاستثناء من الجمع المنكر إلَّا أن يُخصَّصَ، فيعمُّ فيما يتخصَّصُ به نحو «قام رجال كانوا في دارك إلَّا زيداً منهم»، كما نقله المصنف^(٢) عن النحاة، ويصحَّ «جاء رجال إلَّا زيداً» بالرفع على أن «إلَّا» صفةٌ بمعنى «غير» كما في ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلَهُةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾^(٣).

[الْجَمْعُ الْمُنْكَرُ لَا يَعْْمُ]

(والأصحُّ أن الجمع المنكر) في الإثبات نحو «جاء عبيدٌ لزيد» (ليس بعام)، فيُحمَلُ على أقلِّ الجمعِ ثلاثة - أو اثنين - لأنه المُتَحَقِّقُ^(٤).

١٨٩

وقيل: «إنه عامٌّ، لأنه كما يصدقُ بما ذكر بجميع الأفراد وبما بينهما، فيُحمَلُ على جميع الأفراد، ويُستثنى منه أخذاً بالأحوط ما لم يَمْنَعْ مانِعٌ كما في «رأيتُ رجالاً» فعلى أقلِّ الجمع قطعاً»^(٥).

(١) قاله الجمهور من الشافعية والحنابلة وغيرهم، وخالفهم ابنُ مالك ومَن تبعه .

(التشنيف: ٣٤١/١، شرح الكوكب: ١٥٣/٣).

(٢) الإيهام للمصنف: ١١١/٢.

(٣) سورة الأنبياء، الآية: ٢٢.

(٤) قاله الجماهير من الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة وغيرهم .

(التيسير: ٢٠٥/١، شرح التنقيح، ص: ١٩١، مختصر ابن الحاجب: ١٠٤/٢، نهاية السؤل: ١/

١٤٦، شرح الكوكب: ١٤٢/٣).

(٥) قاله أبو علي الجبائي من المعتزلة، وبعض أهل السنة. (التيسير: ٢٠٥/١، شرح الكوكب: ١٤٢/٣).

[أَقْلُ الْجَمْعِ]

وَأَنَّ أَقْلَ مُسَمَّى الْجَمْعِ ثَلَاثَةٌ ، لَا اثْنَانِ . وَأَنَّهُ يَصْدُقُ عَلَى الْوَاحِدِ مَجَازًا .

[أَقْلُ الْجَمْعِ]

(و) الأصح (أَنَّ أَقْلَ مُسَمَّى الْجَمْعِ^(١)) كـ «رجال، ومسلمين» (ثلاثة^(٢)) ، لا اثنان). وهو القول الآخر^(٣) ، وأقوى أدلته ﴿إِنْ تَوَلَّوْا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾^(٤) أي عائشة^(٥) وخفصة^(٦) ، وليس لهما إلا قلبان.

وأجيب: بأن ذلك ونحوه مجاز لتبادُر الزائد على الاثنين دونهما إلى الذهن ، والداعي إلى المجاز في الآية كراهة الجمع بين تشييتين في المضاف ومتضمنيه ، وهما كالشيء الواحد ، بخلاف نحو «جاء عبدكما».

وينبغي على الخلاف ما لو أقر - أو أوصى - ب درهم لزيد ، والأصح أنه يستحق ثلاثة^(٧).

(١) ليس محلّ الخلاف: ما هو المفهوم من لفظ «الجمع» لغةً ، وهو ضم شيء إلى آخر ، فإن ذلك في الاثنين والثلاثة وما زاد بلا خلاف . وإنما الخلاف في اللفظ المسمى بـ «الجمع» في اللغة كرجال ، ومسلمين ، ونحوهما. (التشنيف: ٣٤٢/١ ، شرح الكوكب: ٣/١٤٤).

(٢) قاله الحنفية والشافعية والحنابلة وجماعة من المعتزلة .

(فواتح الرحموت: ٤١١/١ ، الإحكام: ٣٤٥/٢ ، التشنيف: ٣٤٢/١ ، شرح الكوكب: ٣/١٤٤).

(٣) قاله المالكية ، والأستاذ أبو إسحاق والغزالي من الشافعية وجماعة من الحنابلة والظاهرية. (شرح التنقيح، ص: ٢٣٣ ، مختصر ابن الحاجب: ١٠٥/٢ ، المستصفى: ٩١/٢ ، الإحكام لابن حزم: ١/٣٩١).

(٤) سورة التحريم ، الآية: ٤.

(٥) وعائشة: هي أمنا وأم المؤمنين الصديق بنت الصديق ، الطاهرة وبنت الطاهر ، أم عبد الله ، أسلمت صغيرة بعد ثمانية عشر شخص ، تزوجها النبي ﷺ بمكة ، وهي بنت ست ، وبنى بها بالمدينة وهي بنت تسع ، وهي من أكثر الصحابة رواية ، وفقهاً ، وعلماً ، وزهداً ، وورعاً ، روى عنها خلق كثير من الصحابة والتابعين ، توفي ﷺ سنة ٥٧ هـ ودُفنت بالبقيع. (التهذيب للنووي: ٢/٦١٥).

(٦) وخفصة: هي أمنا وأم المؤمنين بنت الفاروق ، تزوجها النبي ﷺ سنة ثلاث للهجرة ، وهي من المهاجرات ، وكانت قبل النبي تحت حنيس بن حذافة البدري ، توفيت ﷺ سنة ٤٥ هـ على الأصح وهي بنت ستين ، روي له ستون حديثاً. (التهذيب للنووي: ٢/٦٠٦).

(٧) قاله الحنفية والشافعية والحنابلة. (فتح باب العناية: ١٥٣/٣ ، غاية الوصول، ص: ٧٢ ، المغني لابن قدامة: ٥/١٠١).

[ما سيق للمدح أو للذمَّ يعم]

وتعميمُ العامِّ بِمعنى «المدح، والذمَّ» إذا لم يعارضه عامٌّ آخرُ، وثالثها: يعمُّ مطلقاً.

لكن ما مثلوبه^(١) من جمع الكثرة مُخالفٌ لإطلاق الثَّحاة على: أن أقلَّه أحد عشر^(٢)، فلذلك قال المصنف: «الخلاف في جمع القلة، وشاع في العُرف إطلاق (دراهم) على (ثلاثة)»^(٣)، كما قال الصفي الهندي: «الخلاف في عموم الجمع المنكر، لا في جمع الكثرة».

(و) الأصح (أنه) أي الجمع (يصدق على الواحد مجازاً) لاستعماله فيه نحو قول الرَّجل لا مرأته وقد برزت لرجل: «أَتَبَرَّجِينَ لِلرُّجَالِ؟» لاستواء الواحد والجمع في كراهة التبرُّج له^(٤).

وقيل: «لا يصدق عليه، ولم يستعمل فيه، والجمع في هذا المثال على بابه، لأن من برزت لرجل تبرز لغيره عادة».

١٩٠

[مَا سِيقَ لِلْمَدْحِ أَوْ لِلذَّمِّ يَعْمُ]

(و) الأصح (تعميمُ العامِّ بِمعنى: المدح والذمَّ)^(٥) بأن سيق لأحدهما، (إذا لم يعارضه عامٌّ آخر) لم يسق لذلك، إذا ما سيق له لا يُنافي تعميمه، فإن عارضه العام المذكور لم يعم فيما عورض فيه جمعاً بينهما.

وقيل: «لا يعمُّ مطلقاً، لأنه لم يسق للتعميم»^(٦).

(وثالثها: «يعمُّ مطلقاً»)^(٧) كغيره، ويُنظر عند المعارضة إلى المرجح.

(١) أي لكن مقتضى ما مثلوبه، وهو على حذف المضاف. (البناني: ٦٥٧/١).

(٢) صيغ الجمع قسمان: أحدهما: جمع القلة، اتفق النحاة على أنها موضوعة للعشرة فما دونها إلى الثلاثة أو الاثنين على الخلاف؛ ثانيهما: جمع الكثرة، وهي موضوعة لما فوق العشرة اتفاقاً، فإن استعمل فيما دون العشرة كان مجازاً. (الإبهاج: ١١٤/٢، البناني: ٦٥٧/١).

(٣) الإبهاج للسبكي: ١١٤/٢.

(٤) قاله الجماهير. (التيسير: ٦٦٠/١، مختصر ابن الحاجب: ١٠٥/٢، التننيف: ٣٤٤/١، شرح الكوكب: ١٥٠/٣).

(٥) قاله الشافعية. (نهاية السؤل: ٤٦٩/١، التننيف: ٣٤٤/١، غاية الوصول، ص: ٧٣).

(٦) قاله بعض من الحنفية والمالكية والشافعية. ونسبه كثيرون إلى الإمام الشافعي، وهو خطأ كما قال الشيرازي. (الإحكام: ٤٧٥/٢، والفواتح: ٢٤٢/١، اللُّمع، ص: ١٦، شرح الكوكب: ٢٥٧/٣).

(٧) قاله الحنفية والمالكية والحنابلة واختاره الأمدي. (التيسير: ٢٥٧/١، الإحكام: ٤٨٥/٢، شرح التنقيح، ص: ٢٢١، مختصر ابن الحاجب: ١٢٨/٢، شرح الكوكب: ٢٥٤/٣).

[تعميم نفي التساوي]

وتعميم نحو « لا يستوون »؛

مثاله ولا معارض: ﴿إِنَّ الْأَثَرَارَ لَفِي نَجِيمٍ﴾ (١٣) وَإِنَّ الْفَجَارَ لَفِي حَبِيمٍ (١١)؛ ومع المعارض: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأُفْرُجِهِمْ حَافِظُونَ﴾ (٥) إِلَّا عَلَىٰ أَرْوَاحِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ (٢). فإنه وقد سبق للمدح نعم بظاهرة الأختين يملك اليمين جمعاً. وعارضه في ذلك ﴿وَأَن تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ﴾ (٣)، فإنه ولم يسبق للمدح شامل لجمعهما يملك اليمين، فحول الأول على غير ذلك بأن لم يرد تناوله له، أو أريد رُجِحَ الثاني عليه بأنه محرم.

[تعميم نفي التساوي]

(و) الأصح (تعميم نحو « لا يستوون ») من قوله تعالى ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ﴾ (٤)، ﴿لَا يَسْتَوِي أَحَبُّ النَّارِ وَأَحَبُّ الْجَنَّةِ﴾ (٥)، فهو لنفي جميع وجوه الاستواء الممكن فيها، لتضمن الفعل المنفي لمصدر منكر (٦).

وقيل: « لا نعم نظراً إلى أن الاستواء المنفي هو الاشتراك من بعض الوجوه » (٧).

وعلى التعميم يستفاد من الآية الأولى: أن الفاسق لا يلي عقد النكاح (٨).

(١) سورة الانفطار، الآية: ١٣.

(٢) سورة المؤمنون، الآية: ٥ - ٦.

(٣) سورة النساء، الآية: ٣٤.

(٤) سورة السجدة، الآية: ١٨.

(٥) سورة الحشر، الآية: ٢٠.

(٦) قاله المالكية، والشافعية، والحنابلة.

(٧) مختصر ابن الحاجب: ١١٤/٢، شرح التقيح، ص: ١٨٦، الإحكام: ٤٥٧/٢، نهاية السؤل: ١/١.

٤٦٢، شرح الكوكب: ٢٠٧/٣.

(٨) قاله الحنفية والمعتزلة، واختاره الغزالي والرازي والبيضاوي من أصحابنا.

(تيسير التحرير: ٢٥٠/١، الفواتح: ٤٥٣/١، المحصول: ٣٧٧/٢، نهاية السؤل: ٤٦٢/١).

(٨) اختلف العلماء في تولية الفاسق عقد النكاح على مذهبين:

الأول: لا يلي، قاله الحنابلة، وهو أصح الوجهين للشافعية.

الثاني: يلي قاله الحنفية والمالكية، وهو وجه لأصحابنا.

(فتح باب العناية: ٤٠/٢، الشرح الكبير: ٣٣٠/٢، الإقناع: ٤٠٩/٢، المغني: ١٧/٧).

[الفعل في سياق النفي للعموم، دون الشرط]

و«لَا أَكَلْتُ»؛ قيل: «وَأِنْ أَكَلْتُ»؛

ومن الثانية: أَنَّ الْمُسْلِمَ لَا يُقْتَلُ بِالذَّمِّ^(١). وخَالَفَ فِي الْمَسْأَلَتَيْنِ الْحَنْفِيَّةُ.

[الفعل في سياق النفي للعموم، دون الشرط]

(و) الْأَصَحُّ تَعْمِيمُ نَحْوِ («لَا أَكَلْتُ») مِنْ قَوْلِكَ: «وَاللَّهِ لَا أَكَلْتُ» فَهُوَ لِنَفْيِ جَمِيعِ الْمَأْكُولَاتِ بِنَفْيِ جَمِيعِ أَفْرَادِ الْأَكْلِ الْمُتَضَمَّنِ الْمُتَعَلِّقِ^(٢) بِهَا^(٣).

(قِيلَ: «وَأِنْ أَكَلْتُ») فَزَوْجَتِي طَالَتْ مَثَلًا، فَهُوَ لِلْمَنْعِ مِنْ جَمِيعِ الْمَأْكُولَاتِ، فَيَصْحُ تَخْصِيصُ بَعْضِهَا فِي الْمَسْأَلَتَيْنِ بِالنِّيةِ، وَيُصَدَّقُ فِي إِرَادَتِهِ^(٤).

(١) اتَّفَقَ الْعُلَمَاءُ عَلَى عَدَمِ قَتْلِ مُسْلِمٍ بِحَرْبِيٍّ، وَلَكِنْهُمْ اخْتَلَفُوا فِي قِتْلِهِ بِذَمِّيٍّ عَلَى مَذْهَبَيْنِ:
الْأَوَّلُ: لَا يُقْتَلُ لِحَدِيثِ الْبُخَارِيِّ «لَا يُقْتَلُ مُسْلِمٌ بِكَافِرٍ»، قَالَهُ الْمَالِكِيَّةُ وَالشَّافِعِيَّةُ وَالْحَنَابِلَةُ.
الثَّانِي: يُقْتَلُ، قَالَهُ الْحَنْفِيَّةُ.

(الفتح القدیر: ٢٥٦/٨، الأم: ٣٨/٦، أثر الاختلاف، ص: ٢٢٣).

(٢) قَوْلُهُ: «الْمُتَضَمِّنُ» اسْمٌ مَفْعُولٌ، نَعَتْ لـ «الْأَكْلِ» أَيِ لَتَضَمُّنٍ لِفِظٍ لَهُ لِدَلَالَةُ الْفِعْلِ عَلَى الْحَدِيثِ وَالزَّمَانِ؛

وَقَوْلُهُ: «الْمُتَعَلِّقُ» اسْمٌ فَاعِلٌ، نَعَتْ لـ «الْأَكْلِ» أَيْضًا، وَالضَّمِيرُ: «بِهَا» رَاجِعٌ لـ «الْمَأْكُولَاتِ» أَوْ لـ «أَفْرَادِ الْأَكْلِ».

ثُمَّ إِنَّ تَمَثُّلَ الْمُصَنَّفِ بِـ «لَا أَكَلْتُ، وَإِنْ أَكَلْتُ» يُفِيدُ أَنَّ الْمَسْأَلَةَ مَفْرُوضَةٌ فِي الْفِعْلِ الْمُتَعَدِّيِّ غَيْرِ الْمُقَيَّدِ بِشَيْءٍ، وَهُوَ الَّذِي ذَكَرَهُ الْغَزَالِيُّ، وَالْإِمَامُ، الرَّازِيُّ، وَالْأَمَدِيُّ، وَعَلَى هَذَا لَا يَتَنَاوَلُ الْأَفْعَالُ الْقَاصِرَةُ. وَلَكِنْ قَضِيَّةٌ صَنَعَ الْقَاضِي عَبْدُ الْوَهَّابِ الْمَالِكِيُّ فِي «الْإِفَادَةِ» وَعَدَمُ تَقْيِيدِ الشَّارِحِ الْفِعْلَ بِـ «الْمُتَعَدِّيِّ» يُفِيدَانِ عُمُومَ الْمَسْأَلَةِ فِي الْأَفْعَالِ الْمُتَعَدِّيَةِ وَالْمَقْصُورَةِ، وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ.
(الإحكام: ٤٦٠/٢، البناني: ٦٦٣/١/٢).

(٣) قَالَهُ الْجَمَاهِيرُ مِنَ الْحَنْفِيَّةِ وَالْمَالِكِيَّةِ وَالشَّافِعِيَّةِ وَالْحَنَابِلَةِ.

(الفواتح: ٤٤٧/١، مختصر ابن الحاجب: ١١٧/٢، شرح التنقيح، ص: ١٨٥، التشنيف: ١/٣٤٥، شرح الكوكب: ٢٠٥/٣).

(٤) قَالَهُ الْجَمَاهِيرُ مِنَ الْحَنْفِيَّةِ وَالْمَالِكِيَّةِ وَالشَّافِعِيَّةِ وَالْحَنَابِلَةِ.

(الفواتح: ٤٤٧/١، مختصر ابن الحاجب: ١١٧/٢، شرح التنقيح، ص: ١٨٥، التشنيف: ١/٣٤٥، شرح الكوكب: ٢٠٥/٣).

[الْمُقْتَضِي لَا عُمُومَ لَهُ]

لَا الْمُقْتَضِي ؛

وقال أبو حنيفة: «لا تعميمَ فيهما»^(١)، فلا يصح التخصيصُ بالنية، لأنَّ النفي والمنع^(٢) لحقيقة الأكل وإنْ لَزِمَ منه النفي والمنع لجميع المأكولاتِ حتى يَحْتِثَ بواحدٍ منها اتفاقاً .
وإنما عبَّرَ المصنّفُ في الثانية بـ «قيل» على خلاف تسوية ابنِ الحاجبِ^(٣) وغيره^(٤) بينهما لما فهمه من: أنَّ عمومَ النكرة في سياق الشرطِ بدليّ، كما تقدّم عنه^(٥)، وليس الأمرُ كما فهم دائماً، لما تقدّم من مَجِيئِها للشمولِ^(٦).

[الْمُقْتَضِي لَا عُمُومَ لَهُ]

(لا الْمُقْتَضِي) بكسر «الضاد»: وهو ما لا يستقيم من الكلام إلا بتقدير أحد أمورٍ يُسَمَّى مُقْتَضَى بفتح «الضاد»، فإنه لا يعمُّ جميعها لاندفاع الضرورة بأحدها، ويكون مُجْمَلًا بينها يتعيّن بالقرينة^(٧). وقيل: «يعمُّها حذراً من الإجمال»^(٨).

(١) بل قال بوجود العموم فيهما، ولكنهما غيرُ قابلين للتخصيص، قال عبد العلي الأنصاري الحنفي في الفواتح (١/٤٤٧): «(لا أكل مثلاً) أي كَلَّمَا وَرَدَ النفي على فعلٍ مُتَعَدٍّ، ولم يُذَكَّرِ المفعولُ به، ولا قَامَتْ قرينةٌ عليه بعينه (يُفِيدُ العموم) بالنظرِ إلى المأكولِ (اتفاقاً، لأنَّ انتفاء الحقيقة) إنّما يكونُ (بانتهاء جميع الأفراد. فلو نَوَى مأكولاً دونَ مأكولٍ لا يصحُّ قضاء اتفاقاً) لأنه نية خلاف الظاهر من الكلام، ... (ولا ديانة عندنا، خلافاً للشافعية)، فهذا العموم غيرُ قابلٍ للتخصيصِ عندنا، خلافاً لهم».

ولذا قال ابنُ الحاجب في المختصر (٢/١١٧): «مثلُ «لا أكلْتُ» وإنْ أكلْتُ» عامٌّ في مفعولاته، فيقبل تخصيصه، وقال أبو حنيفة رحمه الله تعالى: لا يقبلُ تخصيصاً، والله تعالى أعلم.

(٢) أي النفي في المسألة الأولى، وهي «لا أكلْتُ»، والمنع في الثانية، وهي «إنْ أكلْتُ» .
(البناني: ١/٦٦٣).

(٣) عبارته في المختصر (٢/١١٧): «مثلُ (لا أكلْتُ، وإنْ أكلْتُ) عامٌّ في مفعولاته، فيقبل تخصيصه».

(٤) كسيف الدين الآمدي في الإحكام (٢/٤٦٠).

واختاره شيخ الإسلام في «لَبِّ الأَصُول» وشرحه (ص: ٧٢).

(٥) في شرح قول المصنّف: «النكرة في سياق النفي للعموم وضعاً»، ١/٣٤٤.

(٦) في شرح قول المصنّف: «النكرة في سياق النفي للعموم وضعاً»، ١/٣٤٤.

(٧) قاله الحنفية، والشافعية، وبعضُ الحنابلة.

(فواتح الرحموت: ١/٤٤٦، التننيف: ١/٣٤٨، شرح الكوكب: ٣/١٩٩).

(٨) قاله المالكية، والحنابلة. (مختصر ابن الحاجب: ٢/١١٥، شرح الكوكب: ٣/١٩٨).

[العَطْفُ عَلَى الْعَامِّ لَا يُفِيدُ الْعُمُومَ]

وَالْعَطْفُ عَلَى الْعَامِّ ؛

مثاله : حديث مسند أخيه عاصم الآتي في مبحث « الْمُجْمَل »^(١) : « رُفِعَ عَنْ أُمَّتِي الْخَطَأُ وَالنَّسْيَانُ »^(٢) ، فلو قوَّعُهَا لَا يَسْتَقِيمُ الْكَلَامُ بِدُونِ تَقْدِيرِ « الْمَوَاحِظَةِ » ، أو « الضَّمَانِ » ، أو نحو ذلك ، فَقَدَرْنَا « الْمَوَاحِظَةَ » لِفَهْمِهَا عُرْفًا مِنْ مِثْلِهِ .

وقيل : « يُقَدَّرُ جَمِيعُهَا » .

[العَطْفُ عَلَى الْعَامِّ لَا يُفِيدُ الْعُمُومَ]

(وَالْعَطْفُ عَلَى الْعَامِّ)^(٣) ، فَإِنَّهُ لَا يَقْتَضِي الْعُمُومَ فِي الْمَعْطُوفِ .

١٩٢

وقيل : « يَقْتَضِيهِ لَوْجُوبُ مِشَارَكَةِ الْمَعْطُوفِ لِلْمَعْطُوفِ عَلَيْهِ فِي الْحُكْمِ وَالصِّفَةِ » .
قلنا : « فِي الصِّفَةِ مَمْنُوعٌ » .

مثاله : حديث أبي داود وغيره^(٤) : « لَا يُقْتَلُ مُسْلِمٌ بِكَافِرٍ ، وَلَا ذُو عَهْدٍ فِي عَهْدِهِ » :

قيل : « يَعْنِي بِكَافِرٍ ، وَخُصَّ مِنْهُ غَيْرُ الْحَرْبِيِّ بِالْإِجْمَاعِ » .

قلنا : « لَا حَاجَةَ إِلَى ذَلِكَ ، بَلْ يُقَدَّرُ بِحَرْبِيٍّ »^(٥) .

(١) انظر : « بيان ما يُظَنُّ فِيهِ إِجْمَالٌ وَلَيْسَ كَذَلِكَ » : ٤٣٢/١ .

(٢) سَبَقَ تَخْرِيجُهُ فِي « دَلَالَةِ الْاِقْتِضَاءِ وَالْإِشَارَةِ » : ١٨٦/١ .

(٣) أَيَّ أَنَّ عُمُومَ الْمَعْطُوفِ عَلَيْهِ هَلْ يَسْتَلْزِمُ عُمُومَ مَا عُطِفَ عَلَيْهِ أَوْ لَا ؟ اخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِيهِ عَلَى مَذْهَبَيْنِ :

الْأَوَّلُ : لَا يَسْتَلْزِمُ ، قَالَ الْمَالِكِيُّ وَالشَّافِعِيُّ وَالْحَنَابِلَةُ .

الثَّانِي : يَسْتَلْزِمُ ، قَالَ الْحَنَفِيُّ .

(التيسير : ٢٦١/١ ، مختصر ابن الحاجب : ١٢٠/٢ ، شرح التنقيح ، ص : ٢٢٢ ، التشنيف :

٣٤٨/١ ، شرح الكوكب : ٢٦٢/٣ .

(٤) رواه أبو داود في الديات ، باب أَيْقَادِ الْمُسْلِمِ بِالْكَافِرِ (٣٩٢٧) ، وَالنَّسَائِيُّ فِي الْقِسَامَةِ ، بَابِ الْقَوْدِ بَيْنِ

الْأَحْرَارِ وَالْمَمَالِكِ فِي النَّفْسِ (٤٥٥٣) ، وَابْنُ مَاجَةَ فِي الدِّيَاتِ ، بَابِ لَا يُقْتَلُ مُسْلِمٌ بِكَافِرٍ

(٢٦٥٠) ، وَهُوَ حَدِيثٌ صَحِيحٌ ، وَصَدْرُهُ عِنْدَ الْبُخَارِيِّ فِي الْعِلْمِ ، بَابِ كِتَابَةِ الْعِلْمِ (١٠٨) .

(٥) هَذَا تَقْدِيرُ الْجُمْهُورِ ، وَالْأَوَّلُ تَقْدِيرُ الْحَنَفِيِّ ، وَانْفَقُوا جَمِيعًا عَلَى أَنَّ الذَّمَّ لَا يُقْتَلُ بِالْحَرْبِيِّ .

(فَوَاتِحُ الرَّحْمَتِ : ٤٧٦/١ ، التَّشْنِيفُ : ٣٤٨/١ ، شَرْحُ الْكُوكَبِ : ٢٦٣/٣ ، فَيْضُ الْقَدِيرِ : ٤٥٣/٦) .

[الفِعْلُ الْمُثْبِتُ لَا يَعْْمُ]

وَالْفِعْلُ الْمُثْبِتُ ، وَنَحْوِ « كَانَ يَجْمَعُ فِي السَّفَرِ » ؛

[الفِعْلُ الْمُثْبِتُ لَا يَعْْمُ]

(والفعل المُنْبِت) بدون «كان»، (ونحو «كان يجمع في السفر») مِمَّا اقترنَ بـ«كان»، فلا يَعْْمُ أقسامه^(١). وقيل: «يعمها».

مثال الأول: حديث بلال رضي الله عنه «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ صَلَّى دَاخِلَ الْكَعْبَةِ». رواه الشيخان^(٢).

والثاني: حديث أنس رضي الله عنه: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَجْمَعُ بَيْنَ الصَّلَاتَيْنِ فِي السَّفَرِ». رواه البخاري^(٣). فلا يَعْْمُ الأوَّلُ الفَرْضَ والنفل، ولا الثاني جَمَعَ التَّحْدِثِ والتأخير، إذ لا يشهد اللفظُ بأكثر من صلاةٍ واحدة، وجمع واحد، ويستحيل وقوع الصلاة الواحدة فرضاً ونفلاً، والجمع الواحد في الوقتين.

وقيل: «يَعْمَانِ ما ذُكِرَ حكماً لِصِدْقِهِمَا بكلٍ من مُسَمَّى الصلاة والجمع».

وقد تُستعمل «كان» مع المضارع للترار كما في قوله تعالى في قصة إسماعيل عليه الصلاة والسلام ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ﴾^(٤)، وقولهم: «كان حاتم يُكرِّمُ الضيف»^(٥)، وعلى ذلك جرى العرف.

(١) قاله الجماهير من الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة.

(التيسير: ٢٤٨/١، الفواتح: ٤٦٣/١، التنيف: ٣٥٠/١، شرح الكوكب: ٢١٦/٣).

(٢) رواه البخاري في الصلاة، باب قوله تعالى ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِرِ بُرُوجِهِمْ مَسَلِّ﴾ (٣٨٣)، ومسلم في الحج، باب استحباب دخول الكعبة للحاج... (٢٣٦٣)، وأبو داود في المناسك، باب الصلاة في الكعبة (١٧٣٠)، والترمذي في الحج، باب ماجاء في الصلاة في الكعبة (٨٠٠)، وابن ماجه في المناسك، باب دخول الكعبة (٣٠٥٣). والحديث رواه الشارح بالمعنى.

(٣) رواه البخاري في تقصير الصلاة، باب الجمع في السفر بين المغرب والعشاء (١١٠٦)، ومسلم في صلاة المسافرين، باب جواز الجمع بين الصلاتين في السفر (١٦٢١)، وأبو داود في الصلاة، باب الجمع بين الصلاتين (١٢١٨).

والحديث رواه الشارح بالمعنى.

(٤) سورة مريم، الآية: ٥٥.

(٥) وحاتم: هو حاتم بن عبد الله بن سعد الطائي، الشاعر جيد الشعر، كان يُضَرَّبُ به المثل في الكرم، لشدة كرمه. (الشعر والشعراء لابن قتيبة: ٢٤١/١).

[الْمُعَلَّقُ بِعِلَّةٍ يَعُمُّ قِيَاساً]

وَلَا الْمُعَلَّقُ بِعِلَّةٍ لَفْظاً ، لَكِنْ قِيَاساً ، خِلَافاً لِزَاعِمِي ذَلِكَ .

[تَرَكُ الْأَسْتِفْصَالِ يَعُمُّ]

وَأَنْ تَرَكُ الْأَسْتِفْصَالِ يُنَزَّلُ مَنْزِلَةَ الْعُمُومِ ؛

[الْمُعَلَّقُ بِعِلَّةٍ يَعُمُّ قِيَاساً]

(ولا المعلق بعلة) فإنه لا يعمُّ كلَّ محلٍّ وُجِدَتْ فِيهِ الْعِلَّةُ (لفظاً ، لكن) يعمُّه (قياساً)^(١) .
وقيل : « يعمُّه لفظاً »^(٢) .

مثاله أن يقول الشارعُ : « حرمتُ الخمرَ لإسكارها » فلا يعمُّ كلَّ مسكرٍ لفظاً .

وقيل : « يعمُّه لذكرِ العلة ، فكأنه قال : حرمتُ المسكرَ »^(٣) .

(خِلَافاً لِزَاعِمِي ذَلِكَ) أي العموم في « الْمُقْتَضِي » وما بعده ، كما تقدَّم .

[تَرَكُ الْأَسْتِفْصَالِ يَعُمُّ]

(و) الْأَصَحُّ (أَنْ تَرَكُ الْأَسْتِفْصَالِ) فِي حِكَايَةِ الْحَالِ (يُنَزَّلُ مَنْزِلَةَ الْعُمُومِ) فِي الْمَقَالِ^(٤) .
كما في قوله ﷺ لَغِيلَانَ بْنِ سَلَمَةَ الثَّقَفِيِّ^(٥) ، وَقَدْ أَسْلَمَ عَلَى عَشْرِ نِسْوَةٍ : « أَمْسِكْ أَرْبَعاً ،

(١) قاله الجماهير من الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة .

(٢) تيسير التحرير : ٢٥٩/١ ، مُختصر ابن الحاجب : ١١٩/٢ ، التشنيف : ٣٥٠/١ ، شرح الكوكب : ١٥٥/٣ .

(٣) قاله النظام من المعتزلة ، ولا كرامة له . (فوائح الرحموت : ٤٤٥/١) .

(٤) ولم يذكروا هذا القول ، بل ذكروا بذلك : أَنَّهُ لَا يَعُمُّ لَفْظاً وَلَا قِيَاساً ، قاله الباقلاني . (الفوائح : ٤٤٥/١ ، التيسير : ٢٥٩/١ ، شرح العضد : ١١٩/٢ ، التشنيف : ٣٥٠/١ ، شرح الكوكب : ١٥٥/٣) .

(٥) قاله المالكية والشافعية والحنابلة .

(شرح التنقيح ، ص : ١٨٦ ، التشنيف : ٣٥٢/١ ، شرح الكوكب : ١٧٠/٣) .

(٥) وَغِيلَانَ : هُوَ غِيلَانُ بْنُ سَلَمَةَ بْنِ مُعَيْبٍ ، أَسْلَمَ بَعْدَ فَتْحِ الطَّائِفِ ، وَأَسْلَمَتْ مَعَهُ زَوْجَاتُهُ الْعَشْرَةُ ، وَكَانَ أَحَدَ أَشْرَافِ ثَقِيفٍ وَمُقَدَّمِيهِمْ ، وَقَدْ إِلَى كَسْرِي ، وَلَهُ مَعَهُ خَبْرٌ عَجِيبٌ ، وَكَانَ شَاعِراً مُحْسِناً ، تُوْفِيَ ﷺ فِي آخِرِ خِلَافَةِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ . (التهذيب للنووي : ٣٦٢/٢) .

[يَا أَيُّهَا النَّاسُ يَعْزُّمُ، بِخِلَافِ ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾]

وَ أَنَّ نَحْوَ ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾ لَا يَتَنَاوَلُ الْأُمَّةَ ؛ وَنَحْوُ «يَا أَيُّهَا النَّاسُ» يَشْمَلُ الرَّسُولَ ﷺ

وَفَارِقُ سَائِرَهُنَّ»^(١) ، رواه الشافعي وغيره.

فإنه صلى الله عليه وسلم لم يستفصل: هل تزوجهن معاً أو مرتباً؟ فلو لا أن الحكم يعُمُ الحالين لما أطلق الكلام لامتناع الإطلاق في موضع التفصيل المحتاج إليه.

وقيل: «لا يُتَزَلُّ منزلة العموم، بل يكون الكلام مُجَمَّلاً»^(٢).

وسياقي تأويل الحنفية «أَمْسِكْ» بـ«ابْتَدِئْ نِكَاحَ أَرْبَعٍ مِنْهُنَّ فِي الْمَعِيَةِ، وَاسْتَمِرَّ عَلَى الْأَرْبَعِ الْأَوَّلِ فِي التَّرْتِيبِ»^(٣).

[يَا أَيُّهَا النَّاسُ يَعْزُّمُ، بِخِلَافِ ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾]

(و) الأصح (أَنَّ نَحْوَ ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾ أَتَى اللَّهَ) ^(٤) ، و ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ﴾ ^(٥) (وَأَيْلَ) ^(٥) (لَا يَتَنَاوَلُ الْأُمَّةَ) ^(٦) من حيث الحكم لا اختصاص الصيغة به ﷺ.

وقيل: «يَتَنَاوَلُهُمْ، لِأَنَّ أَمْرَ الْقُدْوَةِ أَمْرٌ لِاتِّبَاعِهِ مَعَهُ عَرَفًا، كَمَا فِي أَمْرِ السُّلْطَانِ الْأَمِيرِ بَفَتْحِ بَلَدٍ أَوْ رَدِّ الْعَدُوِّ»^(٧).

وأجيب: بأن هذا فيما يتوقف الأمور به على المشاركة، وما نحن فيه ليس كذلك.

(و) الأصح أَنَّ (نَحْوُ «يَا أَيُّهَا النَّاسُ» يَشْمَلُ الرَّسُولَ ﷺ وَإِنْ اقْتَرَنَ بِ«قُلْ»)^(٨).

وقيل: «لا يشمله ﷺ مطلقاً، لأنه ورد على لسانه ﷺ للتبليغ لغيره»^(٩).

(١) رواه ابن حبان في النكاح، باب نكاح الكفار (٤١٥٧)، والشافعي في مسنده (٢٧٤/١)، والبيهقي في السنن (١٣٨٢٣، ١٨٢/٧)، وذكره الهيثمي في موارد الظمان (١٢٧٨، ٣١١/١).

(٢) قاله الحنفية. (التيسير: ٢٦٤/١، فواتح الرحموت: ٤٥١/١).

(٣) في «أقسام التأويل»: ٣٧٨/١.

(٤) سورة الأحزاب، الآية: ١.

(٥) سورة المزمل، الآية: ١.

(٦) قاله المالكية والشافعية. (مختصر ابن الحاجب: ١٢١/٢، الإحكام: ٤٦٢/٢).

(٧) قاله الحنفية والحنابلة. (التيسير: ٢٥١/١، الفواتح: ٤٣٥/١، شرح الكوكب: ٢١٨/٣).

(٨) قاله الجماهير من الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة. (التيسير: ٢٥٤/١، الفواتح: ٤٢٦/١، مختصر ابن الحاجب: ١٢٦/٢، الإحكام: ٤٧٩/٢، التنيف: ٣٥٢/١، شرح الكوكب: ٢٤٧/٣).

(٩) قاله بعض الفقهاء والمتكلمين. (الإحكام: ٤٧٩/٢، شرح العضد: ١٢٦/٢).

وإن اقترن بـ«قُلْ»، وثالثها: التفصيل؛

وأنه يعُمُّ العبد، والكافر؛ ويتناول المَوجودين، دون مَنْ بعدهم.

(وثالثها: التفصيل): إن اقترن بـ«قُلْ» فلا يشملُه ﷺ لظهوره في التبليغ، وإلا فيشمَلُه ﷺ^(١).

(و) الأصح (أنه) أي نحو «يا أيُّها الناس» (يعُمُّ العبد)^(٢).

وقيل: «لا يعُمُّه، لصرف منفعه إلى سيده شرعاً»^(٣). قلنا: في غير أوقات ضيق العبادات.

- (والكافر)^(٤). وقيل: «لا، بناءً على عدم تكليفه بالفروع»^(٥).

(ويتناول الموجودين) وقت وروده (دون مَنْ بعدهم)^(٦).

وقيل: «يتناولهم أيضاً لمساواتهم للموجودين في حكمه إجماعاً»^(٧).

قلنا: بدليل آخر، وهو مستند الإجماع، لا منه.

(١) قاله أبو بكر الصيرفي وأبو عبد الله الحلبي من أصحابنا، وزَيَّقه إمام الحرمين.

(الإحكام: ٤٧٩/٢، البرهان: ٣٦٥/١، التنقيح: ٣٥٢/١).

(٢) قاله الجماهير من الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة.

(التييسير: ٢٥٣/١، الفواتح: ٤٢٤/١، شرح التنقيح، ص: ١٩٦، مختصر ابن الحاجب: ١٢٤/٢،

الإحكام: ٤٧٧/٢، التنقيح: ٣٥٢/١، شرح الكوكب: ٢٤٢/٣).

(٣) قاله بعض المالكية وبعض الشافعية وبعض الحنابلة.

(الإحكام: ٤٧٧/٢، شرح التنقيح، ص: ١٩٦، التنقيح: ٣٥٢/١، شرح الكوكب: ٢٤٢/٣).

(٤) قاله المالكية، والشافعية، والحنابلة، ومعظم الحنفية.

(التييسير: ١٤٨/٢، شرح التنقيح، ص: ١٦٦، التنقيح: ٣٥٢/١، شرح الكوكب: ٢٤٢/٣).

(٥) قاله مشايخ سمرقند من الحنفية بناءً على عدم تكليف الكفار بالفروع الفقهية. قال الصفي الهندي:

«القاتلون بعدم دخول العبيد والكفار في لفظ «الناس» ونحوه إن زعموا أنه لا يتناولهم لغةً فكابرة،

وإن زعموا أن الرق والكفر أخرجاُهم شرعاً فباطل، لأن الإجماع: أنهم مكلفون في الجملة».

(التييسير: ٢٥٥/١، الفواتح: ٤٢٩/١، شرح العضد: ١٢٧/٢، الإحكام: ٤٨١/٢).

(٦) قاله الحنفية، والمالكية، والشافعية.

(الفواتح: ٤٢٩/١، التييسير: ٢٥٥/١، مختصر ابن الحاجب: ١٢٧/٢، الإحكام: ٤٨١/٢،

التنقيح: ٣٥٢/١).

(٧) قاله الحنابلة. (الإحكام: ٤٨١/٢، شرح الكوكب: ٢٤٩/٣).

[«مَنْ» تَشْمَلُ النِّسَاءَ، بِخِلَافِ الْجَمْعِ الْمَذْكَرِ السَّالِمِ]
وَأَنَّ «مَنْ» الشَّرْطِيَّةُ تَتَنَاوَلُ الْإِنَاثَ، وَأَنَّ جَمْعَ الْمَذْكَرِ السَّالِمِ لَا يَدْخُلُ فِيهِ النِّسَاءُ ظَاهِرًا.

[«مَنْ» تَشْمَلُ النِّسَاءَ، بِخِلَافِ الْجَمْعِ الْمَذْكَرِ السَّالِمِ]

(و) الْأَصَحُّ (أَنَّ «مَنْ» الشَّرْطِيَّةُ تَتَنَاوَلُ الْإِنَاثَ) ^(١).

وَقِيلَ: «تَخْتَصُّ بِالذَّكَورِ» ^(٢).

وَعَلَى ذَلِكَ لَوْ نَظَرْتَ امْرَأَةً فِي بَيْتِ أَجْنَبِيٍّ جَازَ رَمِيهَا عَلَى الْأَصَحِّ لِحَدِيثِ مُسْلِمٍ: «مَنْ تَطَّلَعَ فِي بَيْتِ قَوْمٍ بِغَيْرِ إِذْنِهِمْ فَقَدْ حَلَّ لَهُمْ أَنْ يَفْقُؤُوا عَيْنَهُ» ^(٣).

وَقِيلَ: «لَا يَجُوزُ، لِأَنَّ الْمَرْأَةَ لَا يُسْتَرُّ مِنْهَا».

(و) الْأَصَحُّ (أَنَّ جَمْعَ الْمَذْكَرِ السَّالِمِ) كَالْمُسْلِمِينَ (لَا يَدْخُلُ فِيهِ النِّسَاءُ ظَاهِرًا)، وَإِنَّمَا يَدْخُلْنَ بِقَرِينَةٍ تَغْلِيظًا لِلذَّكَورِ ^(٤).

وَقِيلَ: «يَدْخُلْنَ فِيهِ ظَاهِرًا، لِأَنَّهُ لَمَّا كَثُرَ فِي الشَّرْعِ مُشَارَكَتُهُنَّ لِلذَّكَورِ فِي الْأَحْكَامِ لَا يَقْصُدُ الشَّارِعُ بِخَطَابِ الذَّكَورِ قَصْرَ الْأَحْكَامِ عَلَيْهِمْ».

(١) قَالَهُ الْجَمَاهِيرُ مِنَ الْحَنْفِيَّةِ وَالْمَالِكِيَّةِ وَالشَّافِعِيَّةِ وَالْحَنَابِلَةِ. (الْفَوَاتِحُ: ١/٣٩٠، مُخْتَصَرُ ابْنِ

الْحَاجِبِ: ٢/١٢٥، الْإِحْكَامُ: ٢/٤٧٦، التَّشْنِيفُ: ١/٣٥٣، شَرْحُ الْكَوْكَبِ: ٣/٢٤٠).

(٢) عُزِّيَ إِلَى بَعْضِ الْحَنْفِيَّةِ. (شَرْحُ الْكَوْكَبِ: ٣/٢٤١).

ثُمَّ إِنَّهُ لَا فَرْقَ بَيْنَ «مَنْ» الشَّرْطِيَّةِ وَالْمَوْصُولِيَّةِ وَالِاسْتِفْهَامِيَّةِ وَإِنْ قَيَّدَهَا الْمَصْنُفُ بِالشَّرْطِيَّةِ تَبَعًا لِإِمَامِ الْحَرَمَيْنِ الَّذِي لَمْ يَذْكُرْ غَيْرَ الشَّرْطِيَّةِ فِي صَنِيعِ الْعُمُومِ، وَلِذَا أَطْلَقَهَا شَيْخُ الْإِسْلَامِ فِي «لُبِّ الْأَصُولِ»، وَنَصَّ عَلَى عَدَمِ الْفَرْقِ بَيْنَهُمَا فِي شَرْحِهِ (ص: ٧٤).

وَإِنَّهُ لَا فَرْقَ بَيْنَ «مَنْ» وَ«مَا» وَنَحْوَهُمَا مِمَّا لَا يُفَرِّقُ فِيهِ بَيْنَ الْمَذْكَرِ وَالْمُؤَنَّثِ وَإِنْ كَانَ الْعَائِدُ فِيهِ مَذْكَرًا كَمَا قَالَ الزَّرْكَشِيُّ فِي التَّشْنِيفِ (١/٣٥٤)، وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ.

(٣) رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي الْأَدَابِ، بَابُ تَحْرِيمِ النَّظَرِ فِي بَيْتِ غَيْرِهِ (٥٦٠٧)، وَأَبُو دَاوُدَ فِي الْأَدَابِ، بَابُ الْأَسْتِذَانِ (٤٥٠٤)، وَالنَّسَائِيُّ فِي الْقِسَامَةِ، بَابُ مَنْ اقْتَصَرَ وَأَخَذَ حَقَّهُ دُونَ السُّلْطَانِ (٤٧٧٧).

وَرَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٦٣٩٣) بَلْفَظٍ: «لَوْ أَنَّ امْرَأَةً أَطَّلَعَ...».

(٤) اتَّفَقَ الْعُلَمَاءُ عَلَى أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَ الْمَذْكَرِ وَالْمُؤَنَّثِ لَا يَدْخُلُ فِي الْجَمْعِ الْخَاصِّ بِالْآخِرِ كَالرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ، وَكَذَا اتَّفَقُوا أَيْضًا عَلَى دَخُولِهِمَا فِي الْجَمْعِ الَّذِي لَمْ تَظْهَرْ فِيهِ عَلَامَةُ تَذْكِيرٍ وَلَا تَأْنِيثٍ كَالنَّاسِ، وَاتَّفَقُوا أَيْضًا عَلَى عَدَمِ دَخُولِ الذَّكَورِ فِي الْجَمْعِ الَّذِي ظَهَرَ فِيهِ عَلَامَةُ التَّأْنِيثِ، =

[خِطَابُ الْوَاحِدِ، وَ«يَا أَهْلَ الْكِتَابِ» لَا يَعْْمَانُ]

وَأَنَّ خِطَابَ الْوَاحِدِ لَا يَتَعَدَّاهُ، وَقِيلَ: «يَعْمُ عَادَةً». وَأَنَّ خِطَابَ الْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ بـ«يَا أَهْلَ الْكِتَابِ» لَا يَشْمَلُ الْأُمَّةَ.

[الْمُتَكَلِّمُ دَاخِلٌ فِي عُمُومِ خَبَرِهِ]

وَأَنَّ الْمُخَاطَبَ دَاخِلٌ فِي عُمُومِ خِطَابِهِ إِنْ كَانَ خَبَرًا،

[خِطَابُ الْوَاحِدِ، وَ«يَا أَهْلَ الْكِتَابِ» لَا يَعْْمَانُ]

(و) الْأَصَحُّ (أَنَّ خِطَابَ الْوَاحِدِ) بِحَكْمٍ فِي مَسْأَلَةِ (لَا يَتَعَدَّاهُ) إِلَى غَيْرِهِ^(١).

(وَقِيلَ: «يَعْمُ» غَيْرَهُ (عَادَةً) لِجُرْيَانِ عَادَةِ النَّاسِ بِخِطَابِ الْوَاحِدِ وَإِرَادَةِ الْجَمِيعِ فِيمَا يَتَشَارَكُونَ فِيهِ»^(٢). قُلْنَا: مَجَازٌ يَحْتَاجُ إِلَى الْقَرِينَةِ.

(و) الْأَصَحُّ (أَنَّ خِطَابَ الْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ بـ«يَا أَهْلَ الْكِتَابِ») نَحْوُ قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلِبُوا فِي دِينِكُمْ﴾^(٣) (لَا يَشْمَلُ الْأُمَّةَ)^(٤).

وَقِيلَ: «يَشْمَلُهُمْ فِيمَا يَتَشَارَكُونَ فِيهِ»^(٥).

[الْمُتَكَلِّمُ دَاخِلٌ فِي عُمُومِ خَبَرِهِ]

(و) الْأَصَحُّ (أَنَّ الْمُخَاطَبَ) بِكَسْرِ «الطَّاءِ» (دَاخِلٌ فِي عُمُومِ خِطَابِهِ إِنْ كَانَ خَبَرًا) نَحْوُ

= كَالْمُسْلِمَاتِ، وَلَكِنَّهُنَّ اخْتَلَفُوا فِي دُخُولِ النِّسَاءِ فِي الْجَمْعِ الَّذِي ظَهَرَ فِيهِ عَلَامَةُ التَّذْكِيرِ كَالْمُسْلِمِينَ عَلَى مَذْهَبَيْنِ: الْأَوَّلُ: لَا يَدْخُلْنَ ظَاهِرًا، وَإِنَّمَا يَدْخُلْنَ تَبَعًا بِالْقَرِينَةِ، قَالَهُ الْحَنْفِيَّةُ وَالشَّافِعِيَّةُ. الثَّانِي: يَدْخُلْنَ ظَاهِرًا، قَالَهُ الْمَالِكِيَّةُ وَالْحَنَابِلَةُ.

(الفواتح: ٤١٨/١، شرح التنقيح، ص: ١٩٨، الإحكام: ٤٧٣/٢، شرح الكوكب: ٢٥٣/٣).

(١) قَالَهُ الْحَنْفِيَّةُ وَالْمَالِكِيَّةُ وَالشَّافِعِيَّةُ. (تيسير التحرير: ٢٥٢/١، فواتح الرحموت: ٤٣٣/١، مختصر ابن

الحاجب: ١٢٣/٢، الإحكام للآمدي: ٢٤١/٢، التننيف: ٣٥٥/١، غاية الوصول، ص: ٧٤).

(٢) قَالَهُ الْحَنَابِلَةُ جَمْعُهُ. (التيسير: ٢٥٢/١، الفواتح: ٤٣٣/١، مختصر ابن الحاجب: ١٢٣/٢،

الإحكام: ٤٧١/٢، شرح الكوكب: ٢٢٣/٣).

(٣) سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ، آيَةُ: ٦٤.

(٤) قَالَهُ الْجَمْعُ مِنَ الشَّافِعِيَّةِ وَالْحَنَابِلَةِ وَغَيْرِهِمْ. (التننيف: ٣٥٥/١، شرح الكوكب: ٢٤٥/٣).

(٥) قَالَهُ الْمُجَدِّدُ ابْنُ تَيْمِيَّةٍ مِنَ الْحَنَابِلَةِ. (المُسَوَّدَةُ، ص: ٤٧).

لا أمراً .

﴿وَاللَّهُ يَكْفُلُ شَأْنَهُ عَلَيْهِمُ﴾^(١)، وهو سبحانه وتعالى عَلِمَ بذاته وصفاته.
 (لا أمراً) كقول السيد لعبده وقد أحسن إليه: «مَنْ أَحْسَنَ إِلَيْكَ فَأَكْرَمُهُ» لِيُعَدَّ أَنْ يُرِيدَ الْأَمْرُ
 نَفْسَهُ بِخِلَافِ الْمُخْبِرِ^(٢).

وقيل: «يَدْخُلُ مطلقاً، نظراً لظاهر اللفظ»^(٣).

وقيل: «لا يَدْخُلُ مطلقاً، لِيُعَدَّ أَنْ يُرِيدَ الْمُخاطَبُ نَفْسَهُ إِلَّا بِقَرِينَةٍ»^(٤).

وقال النووي في كتاب الطلاق من «الروضة»^(٥): «إِنَّهُ الْأَصَحُّ عِنْدَ أَصْحَابِنَا فِي
 الْأَصُولِ» .

وصَحَّحَ المصنَّفُ الدخولَ في «الأمر» في «مبحثه» بِحَسَبِ مَا ظَهَرَ لَهُ فِي الْمَوْضِعَيْنِ^(٦).

= تَيْمَةُ: المسألة مفروضة في خطاب الله تعالى الوارد على لسان نبيِّنا مُحَمَّدٍ ﷺ. وأمَّا الوارد على لسان
 غيره من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فهي مسألة «شَرَعَ مَنْ قَبْلُنَا» ستأتي في الكتاب الخامس
 «الاستدلال». (التشنيف: ٣٥٦/١، شرح الكوكب: ٢٤٦/٣).

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٨٢.

(٢) قاله القاضي أبو الخطاب من الحنابلة، وعزاه ابن النجار للأكثر. (شرح الكوكب: ٢٥٣/٣).

(٣) قاله الحنفية، والمالكية، والحنابلة، واختاره البيضاوي، والإسنوي، والعضد.

(التيسير: ٢٥٦/١، الفواتح: ٤٣٢/١، شرح التنقيح، ص: ١٩٨، شرح العضد: ١٢٨/٢، نهاية

السؤل: ٤٦٩/١، شرح الكوكب: ٢٥٣/٣).

(٤) وهو رواية من الحنابلة، وقال البناني المالكي: «إِنَّهُ دَقِيقٌ» .

(حاشية البناني: ٦٧٢/١، شرح الكوكب: ٢٥٣/٣).

(٥) روضة الطالبين للنووي: ٣٤ / ٤.

(٦) أي صحَّحَ المصنَّفُ في مبحث «الأمر» أَنَّ الْأَمْرَ (أي الْمُخاطَبَ) يَدْخُلُ فِي الْأَمْرِ، فقال: «وَأَنَّ الْأَمْرَ
 يَلْفِظُ يَتَنَاوَلُهُ دَاخِلٌ فِيهِ» ، وصَحَّحَ هُنَا عَدَمَ دَخُولِهِ فِي الْأَمْرِ بِحَسَبِ مَا تَرَجَّحَ لَدَيْهِ فِي الْمَوْضِعَيْنِ،
 والله أعلم.

[نَحَوَ ﴿حُذِّ مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ يَعْْمُ]

وَأَنَّ نَحَوَ ﴿حُذِّ مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ يَقْتَضِي الْأَخْذَ مِنْ كُلِّ نَوْعٍ ، وَتَوَقَّفَ الْآمِدِيُّ .

[نَحَوَ ﴿حُذِّ مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ يَعْْمُ]

(و) الأصح (أَنَّ نَحَوَ ﴿حُذِّ مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾^(١) يَقْتَضِي الْأَخْذَ مِنْ كُلِّ نَوْعٍ)^(٢) .

وقبل : « لا ، بل يَمَثُلُ بِالْأَخْذِ مِنْ نَوْعٍ وَاحِدٍ »^(٣) .

(وتَوَقَّفَ الْآمِدِيُّ) عن تَرْجِيحِ وَاحِدٍ مِنَ الْقَوْلَيْنِ^(٤) .

وَالأَوَّلُ نَازِلٌ إِلَى أَنَّ الْمَعْنَى : « مِنْ جَمِيعِ الْأَمْوَالِ » ، وَالثَّانِي إِلَى : « أَنَّهُ مِنْ مَجْمُوعِهَا » .

(١) سورة التوبة، الآية: ١٠٣ .

(٢) قاله الشافعية والحنابلة، ونَصَّ عليه الشافعي رحمته الله . (الرسالة، ص: ١٨٦، نهاية السؤل: ١/٤٦٩،

التشنيف: ١/٣٥٧، غاية الوصول، ص: ٧٥، شرح الكوكب: ٣/٢٥٦).

(٣) قاله الحنفية والمالكية .

(التيسير: ١/٢٥٧، الفواتح: ١/٤٣٨، مختصر ابن الحاجب: ٢/١٢٨).

(٤) الظاهرُ من صنيعِ السيفِ الآمِدِيِّ الْمَيْلُ (أَيِ الْاِخْتِيَارُ) لِلثَّانِي كَمَا قَالَ أَسْتَادُنَا الْفَقِيهُ الْأَصُولِي

الْأَسْتَادُ الدُّكْتُورُ مُحَمَّدُ الرَّحِيلِي حَفَظَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي تَعْلِيْقِهِ عَلَى « شَرْحِ الْكَوْكَبِ الْمُنِيرِ » (٣/

٢٥٦) ، لِأَنَّ الْآمِدِيَّ قَالَ فِي الْإِحْكَامِ (٢/٤٨٤) بَعْدَ ذِكْرِ أُدْلَةِ الْفَرَقَيْنِ وَمُنَاقَشَتِهَا : « وَبِالْجُمْلَةِ

فَالْمَسْأَلَةُ مُحْتَمَلَةٌ ، وَمَأْخُذُ الْكَرْخِيِّ [أَيِ صَاحِبِ الْمَذْهَبِ الثَّانِي أَيْ الدُّخُولُ مُطْلَقًا] دَقِيقٌ » ،

وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ .

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

التَّخْصِصُ

[تعريف التخصيص]

التَّخْصِصُ: قصرُ العامِّ على بعضِ أفرادِهِ .

[القابلُ للتَّخْصِصِ]

والقابلُ له حُكْمٌ ثَبَتَ لِمُتَعَدِّدٍ .

[تَعْرِيفُ التَّخْصِصِ]

(التَّخْصِصُ) مصدر «خَصَّصَ» بِمَعْنَى: «خَصَّ»^(١): (قصرُ العامِّ على بعضِ أفرادِهِ).
بأنَّ لا يُرَادُ منه البعضُ الآخرُ. يَصْدُقُ هذا بالعامِّ المُرادُ به الخُصوصُ، كالعامِّ المَخْصوصِ .

وعدَلَ - كما قال^(٢) - عن قولِ ابنِ الحاجِّ: «مُسَمِّيَّاهُ»^(٣)، لأنَّ مُسَمَّى العامِّ واحدٌ، وهو كُلُّ الأفرادِ .

١٩٦

[القابلُ للتَّخْصِصِ]

(والقابلُ له) أي للتَّخْصِصِ (حُكْمٌ ثَبَتَ لِمُتَعَدِّدٍ) لَفْظاً أَوْ مَعْنَى كـ «المَفْهُومِ»^(٤)، ثَبَّهَ بِهِذِهِ عَلَى
أَنَّ المَخْصوصَ فِي الحَقِيقَةِ الحُكْمُ، وَأَنَّ المُرادَ بـ «العامِّ» هُنَا مَا هُوَ أَعَمُّ مِنَ المَحْدودِ بِمَا سَبَقَ.

فَالْمُتَعَدِّدُ لَفْظاً نَحْوُ «فَأَقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ»^(٥)، وَخُصَّ مِنْهُ الذَّمُّ وَنَحْوُهُ، وَمَعْنَى كَمَفْهُومِ
«فَلَا تَقُلْ لَمَّا أَتَى»^(٦) مِنْ سَائِرِ أَنْوَاعِ الإِيذَاءِ، وَخُصَّ مِنْهُ حَبْسُ الْوَالِدِ بِذَيْنِ الْوَلَدِ^(٧)، فَإِنَّهُ جَائِزٌ

(١) المصباح للفيومي، ص: ١٧١.

(٢) أي كما قال المصنف في رفع الحاجب: ٢٢٧/٣.

وعزاه بعضهم إلى «منع الموانع»، وهو سهوٌ، والله أعلم.

(٣) عبارته رحمه الله في المختصر (١٢٩/٢): «التَّخْصِصُ: قصرُ العامِّ على بعضِ مُسَمِّيَّاهُ».

(٤) أي المُوافِقَةُ كما مثَّلَ لَهَا الشَّارِحُ، وَالمُخَالَفَةُ كما خُصَّ مِنْ مَفْهُومِ حَدِيثِ «الثَّلَاثِينَ» الْمَاءُ الْقَلِيلُ

الْجَارِي عِنْدَ الْمَالِكِيَّةِ، وَكَالْعَلَّةِ خِلَافاً لِلْبَنَانِيِّ فِي جَعْلِ الْكَافِ اسْتِقْصَائِيَّةً، فَيَجُوزُ تَخْصِصُهَا، وَتُسَمَّى

«نَقْضُ الْعَلَّةِ»، كَمَا يَأْتِي فِي الْقِيَاسِ، وَمِثَالُهُ «الْقَرَايَا»، حَيْثُ خُصَّصَ مِنَ النِّهْيِ عَنِ بَيْعِ الرُّطْبِ بِالتَّمْرِ.

(حَاشِيَةُ الْبَنَانِيِّ: ٤/٢، تَعْلِيقَاتُ الدُّكْتُورِ الْحَمِيرِيِّ عَلَى مَنَعَ الْمَوَانِعِ، ص: ١٧٩).

(٥) سورة التوبة، الآية: ٥.

(٦) سورة الإسراء، الآية: ٢٣.

(٧) اختلف العلماء في حَبْسِ الْوَالِدِ بِذَيْنِ الْوَلَدِ عَلَى مَذْهَبَيْنِ: الْأَوَّلُ: لَا يُحْبَسُ، قَالَهُ الْحَنَفِيَّةُ وَالْمَالِكِيَّةُ =

[ما يجوزُ التَّخصيصُ إِلَيْهِ]

وَالْحَقُّ جَوَازُهُ إِلَى وَاحِدٍ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَفْظُ الْعَامِّ جَمْعاً ، وَإِلَى أَقْلٍ الْجَمْعِ إِنْ كَانَ .
 وَقِيلَ : « مطلقاً » . وَشَذَّ الْمَنْعُ مطلقاً . وَقِيلَ : « بِالْمَنْعِ إِلَّا أَنْ يَبْقَى غَيْرُ مَحْصُورٍ » .

على ما صحَّحه الغزالي^(١) وغيره^(٢) .

[ما يجوزُ التَّخصيصُ إِلَيْهِ]

(وَالْحَقُّ جَوَازُهُ) أي التخصيص (إلى واحدٍ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَفْظُ الْعَامِّ جَمْعاً) كـ «مَنْ» ،
 وَالْمُفْرَدِ الْمُحَلَّى بِالْأَلْفِ وَاللَّامِ ، و (إِلَى أَقْلٍ الْجَمْعِ) ثلاثة - أو اثْنَيْنِ - (إِنْ كَانَ) جَمْعاً
 كَالْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ^(٣) .

(وَقِيلَ) : «يجوزُ إلى واحدٍ (مطلقاً) ، نَظراً في الجمعِ إلى أَنَّ أَفْرَادَهُ أَحَادٌ كغیره»^(٤) .

(وَشَذَّ الْمَنْعُ) إلى واحدٍ (مطلقاً) ، بَأَن لا يجوزُ إِلَّا إلى أَقْلٍ الْجَمْعِ مطلقاً^(٥) .

(وَقِيلَ : «بِالْمَنْعِ إِلَّا أَنْ يَبْقَى غَيْرُ مَحْصُورٍ» ، فيجوزُ حينئذٍ»^(٦) .

= وَالشَّافِعِيَّةُ وَالْحَنَابِلَةُ ؛ الثَّانِي : يُحْبَسُ كغیره ، قَالَ الْغَزَالِيُّ وَمَنْ تَبِعَهُ . (فتح القدير : ٢٨٥ / ٧ ، الشرح
 الكبير للدردير : ٢٨١ / ٣ ، حاشية الشرواني : ٥١١ / ١٠ ، شرح الكوكب : ٣٦٧ / ٣) .

(١) الوسيط للغزالي : ١٩ / ٤ .

(٢) كالبيضاوي في المنهاج : ٤٧١ / ١ . (نهاية السؤل) .

(٣) قَالَ الْقَفَّالُ الشَّاشِي ، وَتَبِعَهُ الْمَصْنُفُ ، وَاخْتَارَهُ شَيْخُ الْإِسْلَامِ .

(التشنيف : ٣٥٩ / ١ ، القواطع : ١٨٣ / ١ ، غَايَةُ الْوَصُولِ ، ص : ٧٥) .

(٤) قَالَ الْحَنْفِيَّةُ وَالْمَالِكِيَّةُ وَالشَّافِعِيَّةُ وَالْحَنَابِلَةُ .

(التيسير : ٣٢٦ / ١ ، شرح التنقيح ، ص : ٢٢٤ ، القواطع : ١٨١ / ١ ، الفواتح : ٤٩٨ / ١ ، الإحكام : ٢ / ٢

٤٨٨ ، شرح الكوكب : ٢٧١ / ٣) .

(٥) قَالَ أَبُو بَكْرٍ الرَّازِي مِنَ الْحَنْفِيَّةِ ، وَالْمَجْدُ بْنُ تَيْمِيَّةٍ مِنَ الْحَنَابِلَةِ .

(التشنيف : ٣٦٠ / ١ ، شرح الكوكب : ٢٧٢ / ٣) .

(٦) قَالَ أَبُو الْحَسَنِ الْبَصْرِيُّ مِنَ الْمُعْتَزَلَةِ ، وَالْقَاضِي أَبُو يَعْلَى مِنَ الْحَنَابِلَةِ ، وَاخْتَارَهُ الْإِمَامُ الرَّازِي ،

وَالْبَيْضَاوِيُّ ، وَنَقَلَهُ الْأَمْدِيُّ عَنْ أَكْثَرِ الشَّافِعِيَّةِ .

(المعتمد : ٢٥٤ / ١ ، المحصول : ١٣ / ٣ ، الإحكام : ٤٨٨ / ١ ، نهاية السؤل : ٤٧١ / ١ ، شرح

الكوكب : ٢٧٢ / ٣) .

وقيل: «إلا أن يبقى قريب من مدلوله».

[دلالة العام المخصوص، والعام المراد به الخصوص]

والعام المخصوص عمومُهُ مُرادٌ تناوُلًا، لا حُكْمًا، وَالمُرَادُ بِهِ الْخُصُوصُ لَيْسَ مُرادًا، بل هو كُلِّيٌّ اسْتِعْمِلَ فِي جُزْئِيٍّ، وَمِنْ ثَمَّ كَانَ مَجَازًا قِطْعًا.

(وقيل: «إلا أن يبقى قريب من مدلوله» أي العام قبل التخصيص، فيجوز حينئذ^(١).
والأخيران مُتقاربان^(٢).)

[دلالة العام المخصوص، والعام المراد به الخصوص]

(والعام المخصوص عمومُهُ مُرادٌ تناوُلًا، لا حُكْمًا)، لَأَنَّ بَعْضَ الْأَفْرَادِ لَا يَشْمَلُهُ الْحُكْمُ
نَظَرًا لِلْمُخْصَصِ.

(و) العام (المُرَادُ بِهِ الْخُصُوصُ لَيْسَ) عُمُومُهُ (مُرَادًا) لَا حُكْمًا وَلَا تَنَاوُلًا. (بل) هو
(كُلِّيٌّ) مِنْ حَيْثُ إِنَّ لَهُ أَفْرَادًا بِحَسَبِ الْأَصْلِ (اسْتِعْمِلَ فِي جُزْئِيٍّ) أَي فَرِدَ مِنْهَا. (١٩٧)
(وَمِنْ ثَمَّ) أَي مِنْ هُنَا وَهُوَ أَنَّهُ كُلِّيٌّ اسْتِعْمِلَ فِي جُزْئِيٍّ أَي مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ (كَانَ مَجَازًا قِطْعًا)
نَظَرًا لِحَيْثِيَّةِ الْجُزْئِيَّةِ.

مثاله: قوله تعالى ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ﴾^(٣) أَي نُعَيْمُ بْنُ مَسْعُودٍ^(٤) الْأَشْجَعِيُّ لِقْيَايِهِ مَقَامٌ

(١) قاله ابنُ حُمْدَانَ مِنَ الْحَنَابِلَةِ، وَاخْتَارَهُ ابْنُ الْحَاجِبِ مِنَ الْمَالِكِيَّةِ، وَالْقَاضِي الْعَضُدُ مِنَ الشَّافِعِيَّةِ .
(شرح العضد: ١٣٠/٢، شرح الكوكب: ٢٧٣/٣).

(٢) جَعَلَهُمَا الزَّرْكَشِيُّ فِي التَّشْنِيفِ (١/٣٦٠) وَاحِدًا، وَظَاهَرُ صَنِيعِ شَيْخِ الْإِسْلَامِ مُوَافَقَتَهُ لِأَنَّهُ حَذَفَهُ مِنْ
«لُبِّ الْأَصُولِ» وَشَرَحَهُ (ص: ٧٥).

فَائِدَةٌ: مَحَلُّ الْخِلَافِ فِيمَا عَدَا «مَنْ» وَ«مَا» وَنَحْوَهُمَا، فَإِنَّهُ يَجُوزُ تَخْصِيصُهُ إِلَى الْوَاحِدِ وَفَاقًا .
(شرح التنقيح، ص: ٢٢٤، شرح الكوكب: ٢٧٣/٣).

(٣) سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ، آيَةُ: ١٧٣.

(٤) وَنُعَيْمٌ: هُوَ نُعَيْمُ بْنُ مَسْعُودِ بْنِ عَامِرِ الْغُطَفَانِيِّ الْأَشْجَعِيِّ، الصَّحَابِيُّ، أَبُو سَلَمَةَ، أَسْلَمَ فِي وَقْعَةِ
الْخَنْدَقِ، وَهُوَ الَّذِي أَوْقَعَ الْخِلَافَ بَيْنَ قُرَيْظَةَ وَغُطَفَانَ وَقُرَيْشَ يَوْمَ الْخَنْدَقِ، سَكَنَ بِالْمَدِينَةِ، تَوَفَّى ﷺ
فِي آخِرِ خِلَافَةِ عُثْمَانَ ﷺ عَلَى الْأَصَحِّ .
(التَّهْذِيبُ لِلنَّوَوِيِّ: ٤٣٠/٢).

والأَوَّلُ الْأَشْبَهُ حَقِيقَةٌ وَفَاقًا لِلشَّيْخِ الْإِمَامِ وَالْفُقَهَاءِ .
وقال الرازي: «إِنْ كَانَ الْبَاقِي غَيْرَ مُنْحَصِرٍ» . وَقَوْمٌ: «إِنْ خُصَّ بِمَا لَا يَسْتَقِيلُ» .

كثير في تشبيطه المؤمنين عن ملاقاته أَبِي سَفْيَانَ^(١) وَأَصْحَابِهِ^(٢) ؛
﴿أَمَّا يَحْسُدُونَ النَّاسَ﴾^(٣) أَي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لِجَمْعِهِ مَا فِي النَّاسِ مِنَ الْخِصَالِ الْجَمِيلَةِ .
وقيل: «النَّاسُ» فِي الْآيَةِ الْأُولَى وَفَدَّ مِنْ عَبْدِ الْقَيْسِ^(٤) ، وَفِي الثَّانِيَةِ الْعَرَبُ^(٥) .
وَتَسْمَحُ فِي قَوْلِهِ «كُلِّي» عَلَى خِلَافِ مَا قَدَّمَهُ^(٦) مِنْ «أَنَّ مَذْلُولَهُ كُلِّيَّةٌ» .

(وَالأَوَّلُ) أَي الْعَامُ الْمَخْصُوصُ^(٧) (الْأَشْبَهُ) أَنَّهُ (حَقِيقَةٌ) فِي الْبَعْضِ الْبَاقِي بَعْدَ
التَّخْصِصِ (وَفَاقًا لِلشَّيْخِ الْإِمَامِ) وَالِدِ الْمَصْنَفِ ، (وَالْفُقَهَاءِ): الْحَنَابِلَةُ^(٨) ، وَكَثِيرٌ مِنَ
الْحَنْفِيَّةِ^(٩) ، وَأَكْثَرُ الشَّافِعِيَّةِ^(١٠) ، لِأَنَّ تَنَاوُلَ اللَّفْظِ لِلْبَعْضِ الْبَاقِي فِي التَّخْصِصِ كَتَنَاوُلِهِ لَهُ بِلا
تَخْصِصٍ ، وَذَلِكَ التَّنَاوُلُ حَقِيقِيٌّ اتِّفَاقًا ، فَلْيَكُنْ هَذَا التَّنَاوُلُ حَقِيقِيًّا أَيْضًا .

(وقال) أَبُو بَكْرٍ (الْرازي)^(١١) مِنَ الْحَنْفِيَّةِ: «حَقِيقَةٌ (إِنْ كَانَ الْبَاقِي غَيْرَ مُنْحَصِرٍ) لِبَقَاءِ خَاصَّةٍ

(١) وَأَبُو سَفْيَانَ: هُوَ صَخْرُ بْنُ حَرْبٍ بْنِ أُمَيَّةَ الْقُرَشِيِّ الْأُمَوِيِّ، أَبُو سَفْيَانَ، أَسْلَمَ عَامَ الْفَتْحِ، وَكَانَ شَيْخَ
مَكَّةَ آنَذَاكَ، وَشَهِدَ حُنَيْنًا وَالطَّائِفَ وَالْيَرْمُوكَ، وَكَانَ مِنْ تُجَّارِ مَكَّةَ وَأَشْرَافِهِمْ، وَمِنْ مُؤَلِّفَةِ قُلُوبِهِمْ، ثُمَّ
حَسَنَ إِسْلَامُهُ، تُوُفِيَ بِالْمَدِينَةِ سَنَةَ ٣١ هـ عَلَى الْأَصْح. (التَّهْذِيبُ لِلنُّووي: ٥٢١/٢).

(٢) كَانَ ذَلِكَ فِي غَزْوَةِ الْخَنْدَقِ. (مَعَالِمُ التَّنْزِيلِ: ٥٤٢/١).

(٣) سُورَةُ النَّسَاءِ، الْآيَةُ: ٥٤.

(٤) قَالَهُ ابْنُ إِسْحَاقَ وَجَمَاعَةٌ مِنَ الْمَفْسَرِينَ. (مَعَالِمُ التَّنْزِيلِ: ٥٤٢/١).

(٥) قَالَهُ قَتَادَةُ، وَبِالْأَوَّلِ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٌ وَغَيْرُهُمَا مِنَ الْمَفْسَرِينَ. (تَفْسِيرُ الْقُرْطُبِيِّ: ٢٥١/٥).

(٦) فِي «مَذْلُولِ الْعَامِ مَكْلِيَّةٌ»: ٣٣٨ / ١ .

(٧) اتَّفَقَ الْعُلَمَاءُ عَلَى أَنَّ الْعَامَّ الَّذِي أُريدَ بِهِ الْخُصُوصُ مَجَازٌ، وَلَكِنْهُمْ اخْتَلَفُوا فِي الْعَامِّ الْمَخْصُوصِ هَلْ
هُوَ حَقِيقَةٌ فِي الْبَاقِي أَوْ مَجَازٌ عَلَى سَبْعَةِ مَذَاهِبٍ كَمَا ذَكَرَهُ الْمَصْنَفُ. (التَّشْنِيفُ: ٣٦١/١).

(٨) شَرْحُ الْكَوْكَبِ: ١٦٠ / ٣.

(٩) وَاخْتَارَهُ شَمْسُ الْأُمَّةِ السَّرْحَسِيُّ مِنَ الْحَنْفِيَّةِ. (التَّيْسِيرُ: ٣٠٨/١، الْفَوَاتِحُ: ٥١٢/١).

(١٠) وَاخْتَارَهُ السَّمْعَانِيُّ وَشَيْخُ الْإِسْلَامِ مِنَ الشَّافِعِيَّةِ. (الْقَوَاطِعُ: ١٧٥/١، غَايَةُ الْوُصُولِ، ص: ٧٥).

(١١) وَأَبُو بَكْرٍ الرَّازِي: هُوَ أَحْمَدُ بْنُ عَلِيٍّ، أَبُو بَكْرٍ الرَّازِيُّ الْحَنْفِيُّ، الشَّهِيرُ بِالْجِصَّاصِ، الْإِمَامُ الْعَلَامَةُ،
انْتَهَتْ إِلَيْهِ رِثَاةُ الْحَنْفِيَّةِ بِبَغْدَادَ فِي عَصْرِهِ، وَكَانَ مَشْهُورًا بِالزَّهْدِ، وَالْفَقْهِ، وَالْوَرَعِ، وَالِدِينِ، كَانَ
فَقِيهًا أَصُولِيًّا، وَلَهُ كُتُبٌ مُفِيدَةٌ مِنْهَا: أَحْكَامُ الْقُرْآنِ، شَرْحُ الْجَامِعِ لِ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ، شَرْحُ مُخْتَصَرِ
الْكَرْخِيِّ، تُوُفِيَ رَحِمَهُ اللَّهُ سَنَةَ ٣٧٠ هـ بِبَغْدَادَ. (شَذَرَاتُ الذَّهَبِ: ٧١/٣).

وإمام الحرمين: «حَقِيقَةٌ وَمَجَازٌ بِاعْتِبَارَيْنِ: تَنَاوُلُهُ، وَالِاقْتِصَارِ عَلَيْهِ». وَالْأَكْثَرُ: «مَجَازٌ مُطْلَقاً». وَقِيلَ: «إِنْ اسْتُثْنِيَ مِنْهُ». وَقِيلَ: «إِنْ خُصَّ بِغَيْرِ لَفْظٍ».

العموم وإلا فَمَجَازٌ^(١).

(وقوم): «حَقِيقَةٌ (إِنْ خُصَّ بِمَا يَسْتَقِلُّ) كَصِفَةٍ، أَوْ شَرْطٍ، أَوْ اسْتِثْنَاءٍ، لِأَنَّ مَا لَا يَسْتَقِلُّ جُزْءٌ مِنَ الْمُقَيَّدِ بِهِ، فَالْعُمُومُ بِالنَّظَرِ إِلَيْهِ فَقَدْ»^(٢).

١٩٨

(وإمام الحرمين: «حَقِيقَةٌ وَمَجَازٌ بِاعْتِبَارَيْنِ: تَنَاوُلُهُ وَالِاقْتِصَارِ عَلَيْهِ) أَيُّهُ هُوَ بِاعْتِبَارِ تَنَاوُلِ الْبَعْضِ حَقِيقَةٌ، وَبِاعْتِبَارِ الْاِقْتِصَارِ عَلَيْهِ مَجَازٌ»^(٣).

وَفِي نُسْخَةٍ «بِاعْتِبَارِي» بِلَا «نُونٍ» مُضَافاً، وَهُوَ أَحْسَنُ.

(وَالْأَكْثَرُ: «مَجَازٌ مُطْلَقاً») لِاسْتِعْمَالِهِ فِي بَعْضٍ مَا وُضِعَ لَهُ أَوَّلًا، وَالتَّنَاوُلُ لِهَذَا الْبَعْضِ حَيْثُ لَا تَخْصِيصَ إِنَّمَا كَانَ حَقِيقَةً لِمَصَاحِبِهِ لِلْبَعْضِ الْآخَرِ»^(٤).

(وَقِيلَ): «مَجَازٌ (إِنْ اسْتُثْنِيَ مِنْهُ)، لِأَنَّهُ يَتَبَيَّنُ بِالِاسْتِثْنَاءِ - الَّذِي هُوَ إِخْرَاجُ مَا دَخَلَ - أَنَّهُ أُرِيدَ بِالْمُسْتَثْنَى مِنْهُ مَا عَدَا الْمُسْتَثْنَى، بِخِلَافِ غَيْرِ الْاسْتِثْنَاءِ مِنَ الصِّفَةِ وَغَيْرِهَا، فَإِنَّهُ يَفْهَمُ ابْتِدَاءً أَنَّ الْعُمُومَ بِالنَّظَرِ إِلَيْهِ فَقَطْ»^(٥).

(١) قَالَ أَمِيرُ بَادِ شَاءَ الْحَنَفِيِّ فِي التَّيْسِيرِ (٣٠٨/١): «وَالشَّافِعِيَّةُ نَقَلُوا عَنِ الرَّازِيِّ مِنَ الْحَنَفِيَّةِ: إِنَّ كَانَ الْبَاقِي كَثْرَةً يَعْزُرُ ضَبْطُهَا فَحَقِيقَةً وَإِنْ لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ فَمَجَازٌ. وَالْحَنَفِيَّةُ نَقَلُوا عَنْهُ: إِنَّ كَانَ الْبَاقِي جَمْعاً - أَيُّ مِنْ غَيْرِ تَقْيِيدٍ سَابِقٍ - فَحَقِيقَةٌ وَإِلَّا فَمَجَازٌ».

وَقَالَ عَبْدُ الْعَلِيِّ الْحَنَفِيُّ فِي الْفَوَاتِحِ (٥١٢/١) بَعْدَ ذِكْرِ النُّقْلَيْنِ: «وَالْحَنَفِيَّةُ بِنَقْلِ مَذْهَبِهِ أَجْدَرُ، فَإِنَّهُمْ أَعَرَفُوا بِمَذْهَبٍ مَشَابِهُهُمْ، لَا سِيَّمًا مِثْلَهُ».

إِذَنْ فَالْصَّوَابُ أَنْ نَقُولَ: قَالَ أَبُو بَكْرٍ الرَّازِيُّ: إِنَّ كَانَ الْبَاقِي جَمْعاً فَهُوَ حَقِيقَةٌ وَإِلَّا فَلَا، كَمَا نَقَلَهُ عَنْهُ الْأَمَدِيُّ فِي الْإِحْكَامِ (٤٣٩/٢). وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

(٢) قَالَ أَبُو الْحُسَيْنِ الْبَصْرِيُّ مِنَ الْمُعْتَزَلَةِ، وَاخْتَارَهُ الْإِمَامُ الرَّازِيُّ مِنَ الشَّافِعِيَّةِ.

(الْمُعْتَمَدُ لِأَبِي الْحُسَيْنِ: ٢٨٢/١، الْمَحْصُولُ لِلَّرَّازِيِّ: ١٤/٣).

(٣) الْبِرْهَانُ لِإِمَامِ الْحَرَمِيِّ: ٤١٠/١.

(٤) قَالَ الْمَالِكِيُّ، وَجَمْعُهُو الْحَنَفِيَّةُ، وَأَكْثَرُ الْأَشَاعِرَةِ، وَالْمُعْتَزَلَةُ، وَكَثِيرٌ مِنَ الشَّافِعِيَّةِ، وَاخْتَارَهُ الصَّفِيُّ

الْهَنْدِيُّ، وَالْأَمَدِيُّ، وَالْبِيضَاوِيُّ، وَابْنُ الْحَاجِبِ، وَالْقَرَّافِيُّ، وَأَبُو الْخَطَّابِ الْحَنْبَلِيُّ.

(تَيْسِيرُ التَّحْرِيرِ: ٣٠٨/١، فَوَاتِحُ الرَّحْمَوِيِّ: ٥١٢/١، الْإِحْكَامُ: ٤٤٣/٢، شَرْحُ التَّنْقِيحِ، ص: ٢٢٦،

نِهَاجَةُ السُّوْلِ: ٤٨٥/١).

(٥) قَالَ الْقَاضِي عَبْدُ الْجَبَّارِ مِنَ الْمُعْتَزَلَةِ. (الْإِحْكَامُ: ٤٤٠/٢، التَّشْنِيفُ: ٣٦٢/١).

[العامُّ الْمُخَصَّصُ حُجَّةٌ]

وَالْمُخَصَّصُ قَالَ الْأَكْثَرُ : « حُجَّةٌ » ؛ وَقِيلَ : « إِنَّ خُصَّ بِمَعْنَى » ؛

(وقيل): « مجازٌ (إنَّ خُصَّ بِغَيْرِ لَفْظٍ) كالعقل، بخلاف اللفظ فالعمومُ بالنظرِ إليه فقط »^(١).

[العامُّ الْمُخَصَّصُ حُجَّةٌ]

(و) العامُّ (الْمُخَصَّصُ قَالَ الْأَكْثَرُ: « حُجَّةٌ ») مطلقاً لاستدلال الصحابة به من غير نكير^(٢).

(وقيل: « إِنَّ خُصَّ بِمَعْنَى ») نَحْوُ أَنْ يُقَالَ: « اقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ إِلَّا أَهْلَ الذِّمَّةِ »، بخلاف الْمُبْهَمِ نَحْوُ « إِلَّا بَعْضَهُمْ »، إِذَا مَا مِنْ فِرْدٍ إِلَّا وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ هُوَ الْمُخْرَجُ^(٣).
وَأُجِيبَ: بِأَنَّهُ يُعْمَلُ بِهِ إِلَى أَنْ يَبْقَى فِرْدٌ.

وما اقتضاه كلامُ الْأَمَدِيِّ^(٤) وغيره^(٥) من الاتفاقِ على أنه في الْمُبْهَمِ غيرُ حُجَّةٍ مَدْفُوعٌ بِنَقْلِ ابْنِ بَرَهَانَ وغيره الْخِلَافَ فِيهِ مَعَ تَرْجِيحِهِ أَنَّهُ حُجَّةٌ فِيهِ^(٦).

(٧) كَذَا ذَكَرَهُ مِنْ غَيْرِ عَزْوِ الْأَمَدِيِّ فِي الْإِحْكَامِ (٤٣٩/٢)، وَتَبِعَهُ ابْنُ الْحَاجِبِ فِي الْمَخْتَصَرِ (١٠٦/٢)، وَالْمَصْنَفُ هُنَا.

(٢) قَالَه ابْنُ بَرَهَانَ فِي «الْوَجِيزِ»، وَاخْتَارَهُ الْمَصْنَفُ وَالشَّارِحُ وَالزُّرْكَشِيُّ وَشَيْخُ الْإِسْلَامِ. وَنَقَلَهُ ابْنُ الْهَيْثَمِ عَنْ فَخْرِ الْإِسْلَامِ الْبَزْدَوِيِّ الْحَنْفِيِّ.

(تيسير التحرير: ٣١٣/١، التشنيف: ٣٦٢/١، غاية الوصول، ص: ٧٥).

(٣) قَالَه الْجَمَاهِيرُ مِنَ الْحَنْفِيَّةِ وَالْمَالِكِيَّةِ وَالشَّافِعِيَّةِ وَالْحَنَابِلَةِ، وَاخْتَارَهُ الرَّازِيُّ وَالْأَمَدِيُّ، وَابْنُ الْحَاجِبِ، وَالْبَيْضاوِيُّ، وَالْإِسْنَوِيُّ، وَالْعَضُدُ، وَالْقُرَافِيُّ.

(التيسير: ٣١٣/١، الفواتح: ٥٠٢/١، المحصول: ١٧/٣، الإحكام: ٤٤٣/٢، شرح العضد: ٢/٢).

(١٠٨، نهاية السؤل: ٤٨٨/١، شرح التنقيح، ص: ٢٢٧، شرح الكوكب: ١٦١/٣).

(٤) حَيْثُ قَالَ فِي الْإِحْكَامِ (٤٤٤/٢) بَعْدَ ذِكْرِ الْمَذَاهِبِ: « وَاتَّفَقَ الْكُلُّ عَلَى أَنَّ الْعَامَّ لَوْ خُصَّ تَخْصِيصاً مُجْمَلاً فَإِنَّهُ لَا يَبْقَى حُجَّةٌ ».

(٥) كَالْقُرَافِيِّ فِي شَرْحِ التَّنْقِيحِ (ص: ٢٢٨)، وَالْعَضُدُ فِي شَرْحِ الْمَخْتَصَرِ (١٠٨/٢)، وَالتَّقَاتَارَانِيُّ فِي حَاشِيَتِهِ عَلَى شَرْحِ الْعَضُدِ (١٠٨/٢)، وَالشَّرْبِينِيُّ فِي تَقْرِيرَاتِهِ (١٠/٢)، وَابْنُ النُّجَارِ فِي شَرْحِ الْكُوكَبِ (١٦٤/٣).

(٦) قَالَ الْمَصْنَفُ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي رَفْعِ الْحَاجِبِ (١١٣/٣): « أَمَّا الْمَخْصَصُ بِمُبْهَمٍ: فَتَقَلُّ جَمَاعَةُ الْإِتِّفَاقِ عَلَى أَنَّهُ لَا يُحْتَجُّ بِهِ، لِأَنَّ إِخْرَاجَ الْمَجْهُولِ مِنَ الْمَعْلُومِ يُصْبِرُ الْمَعْلُومَ مَجْهُولاً، وَهَذَا كَمَا لَوْ قَالَ: =

وقيل : «بِمُتَّصِلٍ» ؛ وقيل : «إِنْ أَنْبَأَ عَنْهُ الْعُمُومُ» ؛ وقيل : «فِي أَقْلٍ الْجَمْعِ» ؛
وقيل : «غَيْرُ حُجَّةٍ مُطْلَقًا».

(وقيل): «حجة إنْ خُصَّ (بِمُتَّصِلٍ) كالصفة لِمَا تَقَدَّمَ^(١) في أَنَّهُ حينئذٍ حقيقة من أن العموم بالنظر إليه فقط، بخلاف المُتَّصِلِ، فيجوز أن يكون قد خُصَّ به غيرُ مَا ظَهَرَ، فيشكُّ في الباقي»^(٢).
(وقيل): «هو حجة في الباقي (إنْ أَنْبَأَ عنه العموم) نحو ﴿فَأَقْضُوا الْفُسْكَانَ﴾^(٣)، فإنه يُنبئُ عن الحربي، لتبادُرِ الذَّهْنِ إليه كالذَّمِّي المَخْرَجِ؛ بخلاف ما لا يُنبئُ عنه العموم نحو ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾^(٤)، فإنه لا يُنبئُ عن السَّارِقِ لِقَدْرِ رُبْعِ دينارٍ فصاعداً من جرِّ مثله، كما لا يُنبئُ عن السَّارِقِ لغير ذلك المَخْرَجِ، إذ لا يُعرَفُ خصوصُ هذا التفصيلِ إلا من الشارع، فالباقي في نحو ذلك يُشكُّ فيه باحتمالٍ اعتبارٍ قيدٍ آخر»^(٥).
(وقيل): «هو حجة (في أَقْلٍ الْجَمْعِ) ثلاثة - أو اثنين - لأنه المُتَيَقَّنُ وما عداه مشكوكٌ فيه لاحتمالٍ أن يكون قد خُصَّ»^(٦).

وهذا مَبْنِيٌّ عَلَى قولٍ تَقَدَّمَ^(٧): «إِنَّهُ لَا يَجُوزُ التَّخْصِصُ إِلَى أَقْلٍ مِنْ أَقْلٍ الْجَمْعِ مُطْلَقًا».

= «بَعَثَكَ هَذِهِ الصَّبْرَةَ إِلَّا صَاعًا» لَا يَصُحُّ ذَلِكَ، وَعَلَى ذَلِكَ جَرَى ابْنُ السَّمْعَانِيِّ وَغَيْرُهُ مِنْ أَئِمَّتِنَا. وَقَضِيَّةٌ طَرِيقَةُ الْإِمَامِ الرَّازِيِّ جَرِيَانُ الْخِلَافِ مَعَ الْإِبْهَامِ، وَبِهِ صَرَّحَ ابْنُ بَرَهَانَ مِنْ أَئِمَّتِنَا، وَصَحَّ الْعَمَلُ بِهِ، وَالْحَالَةُ هَذِهِ، وَاعْتَلَّ بَأَنَّا إِذَا نَظَرْنَا إِلَى فَرْدٍ شَكَّكْنَا فِيهِ هَلْ هُوَ مِنَ الْمَخْرَجِ، وَالْأَصَحُّ عَدَمُهُ، فَيَقْبَى عَلَى الْأَصْلِ، وَيُعْمَلُ بِهِ إِلَى أَنْ لَا يَبْقَى فَرْدٌ. وَهَذَا مِنْهُ تَصْرِيحٌ بِالْإِضْرَابِ عَنِ التَّخْصِصِ بِالْمَبْهَمِ، وَالْإِنْسَابِ عَلَى الْعَمَلِ بِصُورَةِ الْعَامِ كُلِّهَا: الْمُخَصَّصِ وَغَيْرِهِ، وَهُوَ نَاءٌ عَنْ قَوَاعِدِ الشَّرْعِ، وَتَرْكٌ لِلدَّلِيلِ الْمُخَصَّصِ بِلا مُوجِبٍ. وَيَلْزَمُ عَلَيْهِ: أَنَّ مَنْ طَلَّقَ إِحْدَى امْرَأَتَيْهِ يَطْوَئُهُمَا جَمِيعًا، أَوْ اشْتَبَهَ عَلَيْهِ إِذَا طَاهَرٌ وَنَجَسَ يَسْتَعْمِلُهُمَا، وَلَا تَعْلَمُ أَحَدًا مِنَ الْأَصْحَابِ قَالَ بِهِ.

(١) انظر: «دلالة العام المخصوص، والعام المراد به الخصوص»: ٣٦٦/١.

(٢) قاله أبو الحسن الكرخي، وأبو عبد الله الجرجاني والبلخي من الحنفية.

(التيسير: ٣١٣/١، فواتح الرحموت: ٥٠٣/١).

(٣) سورة التوبة، الآية: ٥.

(٤) سورة المائدة، الآية: ٣٨.

(٥) قاله أبو عبد الله البصري من المعتزلة. (الإحكام: ٤٤٤/٢، شرح العضد: ١٠٨/٢).

(٦) وكذا ذكره ابن الأهمام في التحرير (٣١٣/١) وغيره من غير عزو.

(٧) أي على قولٍ ضعيفٍ تَقَدَّمَ في «ما يجوزُ التَّخْصِصُ إليه»: ٣٢٥/١.

[الْعَمَلُ بِالْعَامِّ قَبْلَ الْبَحْثِ عَنِ الْمُخْصَصِ]

وَيُتَمَسَّكُ بِالْعَامِّ فِي حَيَاةِ النَّبِيِّ ﷺ قَبْلَ الْبَحْثِ عَنِ الْمُخْصَصِ ، وَكَذَا بَعْدَ الْوَفَاةِ ،

(وقيل: «غيرُ حجةٍ مطلقاً» ، لأنه لا احتمال أن يكون قد خُصَّ بغير ما ظَهَرَ يُشَكُّ فيما يُرادُّ منه ، فلا يَتَبَيَّنُ إِلَّا بِقَرِينَةٍ^(١) .

قال المصنف: «والخلاف إن لم نقل: «إنه حقيقة» ، فإن قلنا ذلك احتجَّ به جَزْماً^(٢) .

[الْعَمَلُ بِالْعَامِّ قَبْلَ الْبَحْثِ عَنِ الْمُخْصَصِ]

(وَيُتَمَسَّكُ بِالْعَامِّ فِي حَيَاةِ النَّبِيِّ ﷺ قَبْلَ الْبَحْثِ عَنِ الْمُخْصَصِ) اتِّفَاقاً كَمَا قَالَه الْأُسْتَاذ أَبُو إِسْحَاقَ الْأَسْفَرَايِينِي ، (وَكَذَا بَعْدَ الْوَفَاةِ^(٣) . خِلَافاً لِابْنِ سُرَيْجٍ^(٤)) وَمَنْ تَبِعَهُ فِي قَوْلِهِ : «لَا يُتَمَسَّكُ بِهِ قَبْلَ الْبَحْثِ لِاحْتِمَالِ الْمُخْصَصِ» .

وَأُجِيبَ : بِأَنَّهُ الْأَصْلَ عَدَمُهُ .

وهذا الاحتمال منتفٍ في حياة النبي ﷺ لأنَّ التمسُّكَ بالعامِّ إذ ذاك^(٥) بِحَسَبِ الْوَاقِعِ فِيمَا

(١) قاله عيسى بن أبان من الحنفية ، وأبو ثور صاحب الشافعي .

(تيسير التحرير: ٣١٣/١ ، الإحكام للآمدي: ٤٤٣/٢ ، فواتح الرحموت: ٥٠٢/١) .

(٢) رفع الحاجب للمصنف: ١١٠/٣ .

(٣) اتفق العلماء على وجوب العمل بالعام وإجرائه على عموميه في حياة النبي ﷺ قبل البحث عن المخصص ، ولكنهم اختلفوا في جواز التمسُّك بالعام بعد وفاته ﷺ قبل البحث عن المخصص على مذهبتين: الأول: يجوز ، بل يجب ، قاله الحنفية ، والحنابلة ، والصيرفي من الشافعية ، واختاره الأزْمَوِيُّ ، والبيضاوي ، والمصنف ، والشارح ، والزرکشي ، وشيخ الإسلام .

والثاني: لا يجوز ، بل يجب البحث عن المخصص ، قاله المالكية ، وعامة الشافعية ، واختاره الغزالي والرازي والآمدي والعضد . (الفواتح: ٤٠٦/١ ، المستصفي: ١٥٧/٢ ، المحصول: ٢٠٨/٣ ، الإحكام: ٤٧٠/٢ ، شرح العضد: ١٦٧/٢ ، نهاية السؤل: ٤٩٠/١ ، التشنيف: ٣٦٣/١ ، غاية الوصول، ص: ٧٦ ، شرح الكوكب: ٤٥٦/٣) .

(٤) قال البدر الزرکشي في التشنيف(٣٦٣/١): «واعلم أنَّ اقتصار المصنف [يعني التاج السبكي هنا] على ابن سُرَيْجٍ تابع فيه المحصول [للرازي: ٢١/٣] ، والمنهاج [للبيضاوي: ٤٩٠/١] ، مع نهاية السؤل ، وقد حكاه الشيخ أبو حامد الأسفَرَايِينِي ، والشيخ أبو إسحاق ، وغيرهما عن عامة أصحابنا سوى الصيرفي» .

(٥) قوله «ذاك» مبتدأ خبره مَحذُوفٌ تقديره «ثابت» ، وقوله «بحسب الواقع» صفةٌ لـ «التمسُّك» ، وقوله «فيما ورد لأجله» خبرٌ «أن» من قوله «لأنَّ التمسُّك» ، وقوله «من الوقائع» بيانٌ لـ «مَا وَرَدَ» ، =

خِلَافاً لابن سُرَيْج .

وَرَدَ لِأَجْلِهِ مِنَ الْوَقَائِعِ ، وَهُوَ قَطْعِي الدُّخُولِ ، لَكِنْ عِنْدَ الْأَكْثَرِ كَمَا سَيَأْتِي ^(١) .

وَمَا نَقَلَهُ الْأَمَدِيُّ ^(٢) وَغَيْرُهُ ^(٣) مِنَ الْإِتِّفَاقِ عَلَى مَا قَالَهُ ابْنُ سُرَيْجٍ مَدْفُوعٌ بِحِكَايَةِ الْأَسْتَاذِ ^(٤) وَالشَّيْخِ أَبِي إِسْحَاقَ الشَّيْرَازِي الْخِلَافَ فِيهِ . وَعَلَيْهِ جَرَى الْإِمَامُ الرَّازِي وَغَيْرُهُ ، وَمَالَ إِلَى التَّمَسُّكِ قَبْلَ الْبَحْثِ ^(٥) ، وَاخْتَارَهُ الْبَيْضَاوِيُّ ^(٦) وَغَيْرُهُ ^(٧) ، وَتَبِعَهُمُ الْمَصْنُفُ ، وَهُوَ قَوْلُ الصَّيْرَفِيِّ ، كَمَا نَقَلَهُ عَنْهُ الْإِمَامُ الرَّازِي ^(٨) وَغَيْرُهُ ^(٩) .

وَاقْتَصَرَ الْأَمَدِيُّ ^(١٠) وَغَيْرُهُ فِي النُّقْلِ عَنِ الصَّيْرَفِيِّ عَلَى وَجُوبِ اعْتِقَادِ الْعُمومِ قَبْلَ الْبَحْثِ عَنِ الْمَخْصُصِ .

= وَحَاصِلُ الْمَعْنَى الْمَقْدَّرُ : أَنَّ احْتِمَالَ وُجُودِ الْمَخْصُصِ فِي الْعَامِ الْمُتَمَسِّكِ بِهِ فِي حَيَاتِهِ ﷺ مُتَنَفٍّ ، لِأَنَّ التَّمَسُّكَ بِالْعَامِ فِي حَالِ حَيَاتِهِ ﷺ الْوَارِدِ عَلَى سَبَبٍ خَاصٍّ إِنَّمَا هُوَ فِي ذَلِكَ السَّبَبِ الْخَاصِّ الْوَارِدِ لِأَجْلِهِ الْعَامُ ، وَهُوَ قَطْعِي الدُّخُولِ ، فَيَنْتَفِي احْتِمَالُ الْمَخْصُصِ حَيْثُ . (حَاشِيَةُ الْبَنَانِيِّ : ١٢/٢) .

(١) انظر : «العبارة بعموم اللفظ» : ٤٠٨/١ .

(٢) الإحكام للأمدى : ٤٧/٣ .

(٣) كالغزالي في المستصفى (١٥٧/٢) ، وابن الحاجب في المختصر (١٦٨/٢) ، والإسنوي في نهاية السؤل (٤٩١/١) .

(٤) أي بحكاية الأستاذ أبي إسحاق الأسفراييني . (التشنيف : ٣٦٤/١ ، الفواتح : ٤٠٦/١) .

(٥) قال جمال الدين الإسنوي في نهاية السؤل (٤٩١/١) : «هل يجوز التمسك بالعام قبل البحث عن المخصص؟ فيه مذهبان : جَوَّزَهُ الصَّيْرَفِيُّ ، وَمَنَعَهُ ابْنُ سُرَيْجٍ . هَكَذَا حَكَاهُ الْإِمَامُ [أَي الرَّازِي] وَاتَّبَاعُهُ ، وَلَمْ يُرْجَحْ شَيْئاً فِي كِتَابَيْهِ «المحصل» و «المتخب» هنا ، لَكِنَّهُ أَجَابَ عَنْ دَلِيلِ ابْنِ سُرَيْجٍ ، فِيهِ إِشْعَارٌ بِمِيلِهِ إِلَى الْجَوَازِ ، وَلِهَذَا صَرَّحَ صَاحِبُ الْحَاصِلِ [٥٣٤/١] بِأَنَّهُ الْمُخْتَارُ ، فَتَابَعَهُ الْمَصْنُفُ [بَعْنِي الْقَاضِي الْبَيْضَاوِيُّ] عَلَيْهِ ، لَكِنَّهُ [أَي الْإِمَامَ الرَّازِي] جَزَمَ بِالْمَنَعِ فِيهِ ، أَعْنِي فِي الْمَحْصُولِ [٢٠٣/٣ ، ٢٠٨] فِي أَوَاخِرِ الْكَلَامِ عَلَى تَأْخِيرِ الْبَيَانِ عَنْ وَقْتِ الْخُطَابِ» .

فَهَذَا نَصٌّ : أَنَّ مَذْهَبَ الْإِمَامِ الرَّازِي الْمَنَعُ ، وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ .

(٦) المنهاج للبيضاوي : ٤٩٠/١ . (نهاية السؤل) .

(٧) كالأرموي في الحاصل (٥٣٤/١) .

(٨) المحصول للرازي : ٢١/٣ .

(٩) كابن ألهم الحنفي في كتابه «التحرير» (٢٣٠/١) ، مع التيسير .

(١٠) عبارته في الإحكام (٤٧/٣) : «إِذَا وَرَدَ لَفْظٌ عَامٌّ بِعِبَادَةِ أَوْ بغيرِهَا قَبْلَ وَقْتِ الْعَمَلِ بِهِ قَالَ أَبُو بَكْرٍ =

ثُمَّ يَكْفِي فِي الْبَحْثِ الظَّنُّ ، خِلَافًا لِلْقَاضِي .

[الْمُخَصَّصُ الْمُتَّصِلُ]

الْمُخَصَّصُ قِسْمَانِ ، الْأَوَّلُ : الْمُتَّصِلُ ، وَهُوَ خَمْسَةٌ :

وعلى قول ابن سريج لو اقتضى العام عملاً مؤقتاً وضاق الوقت عن البحث هل يعمل بالعام احتياطاً أو لا ؟ خلاف حكاية المصنف^(١) عن حكاية ابن الصباغ^(٢) ، وذكره هنا أولاً بقوله : « وثالثها : إن ضاق الوقت » ثُمَّ تَرَكَهُ لِأَنَّهُ لَيْسَ خِلَافاً فِي أَصْلِ الْمَسْأَلَةِ .

(ثُمَّ يَكْفِي فِي الْبَحْثِ) على قول ابن سريج (الظن) بأن لا مُخَصَّصَ^(٣) .

(خِلَافاً لِلْقَاضِي) أَبِي بَكْرٍ الْبَاقِلَانِي فِي قَوْلِهِ : « لَا بُدَّ مِنَ الْقَطْعِ » ، قَالَ : « وَيَحْصُلُ بِتَكَرُّرِ النَّظَرِ وَالْبَحْثِ وَاشْتِهَارِ كَلَامِ الْأَثَمَةِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَذْكُرَ أَحَدٌ مِنْهُمْ مُخَصَّصاً » .

٢٠١

[الْمُخَصَّصُ الْمُتَّصِلُ]

(الْمُخَصَّصُ) أَيِ الْمَفِيدُ لِلتَّخْصِيصِ (قِسْمَانِ :

الْأَوَّلُ : الْمُتَّصِلُ) أَيِ مَا لَا يَسْتَقِيلُ بِنَفْسِهِ مِنَ اللَّفْظِ بِأَنْ يُقَارَنَ الْعَامُ . (وَهُوَ خَمْسَةٌ) :

= الصيرفي : « يَجِبُ اعْتِقَادُ عَمُومِهِ جُزْئاً قَبْلَ ظَهْرِ الْمَخَصَّصِ ، وَإِذَا ظَهَرَ الْمَخَصَّصُ تَغَيَّرَ ذَلِكَ الْاعْتِقَادُ » ، وَهُوَ خَطَأٌ .

والحاصل : نَقَلَ الْإِمَامُ (فِي الْمَحْصُولِ : ٢١ / ٣) وَمَنْ تَبِعَهُ عَنِ الصيرفي جَوَازَ الْعَمَلِ بِالْعَامِ قَبْلَ الْبَحْثِ عَنِ الْمَخَصَّصِ ، وَنَقَلَ عَنْهُ الْأَمَدِيُّ وَجُوبَ الْاعْتِقَادِ قَبْلَ الْبَحْثِ .
(البناني : ١٣ / ٢) .

(١) أَيِ حِكَايَةِ الْمَصْنُفِ فِي الْإِنْهَاجِ (٢ / ١٤٣) نَقْلاً عَنْ ابْنِ الصَّبَاغِ فِي كِتَابِهِ « الْعُدَّة » ، وَذَكَرَ فِيهِ وَجْهَيْنِ لِلْأَصْحَابِ ، وَلَمْ يُرْجَعْ شَيْئاً .

(٢) وَابْنُ الصَّبَاغِ : هُوَ عَبْدُ السَّيِّدِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْوَاحِدِ الشَّافِعِيِّ أَبُو نَصْرٍ ، الشَّهِيرُ بِابْنِ الصَّبَاغِ ، كَانَ فَقِيْهًا بَارِعًا أَصُولِيًّا مَاهِرًا ، ثَقَّةً حَجَّةً ، صَالِحًا وَرِعًا ، مُحَقِّقًا ، عَارِفًا بِمَذَاهِبِ الْعُلَمَاءِ ، أَلْفَ كِتَابًا كَثِيرَةً مَفِيدَةً مِنْهَا : الْكَامِلُ ، وَالْعُمْدَةُ ، تُوْفِيَ سَنَةَ ٤٧٧ هـ . (الفتح المبين : ١ / ٢٧١) .

(٣) قَالَهُ إِمَامُ الْحَرَمَيْنِ ، وَالْغَزَالِيُّ ، وَالْأَكْثَرُونَ ، وَاخْتَارَهُ الْأَمَدِيُّ ، وَابْنُ الْحَاجِبِ ، وَالْعَضُدُ .

(البرهان : ١ / ٤٠٦ ، الْمُسْتَصْفَى : ٢ / ١٥٧ ، الْإِحْكَامُ : ٣ / ٤٨ ، شَرْحُ الْعَضُدِ : ٢ / ١٦٨) .

[المُخَصَّصُ الْأَوَّلُ: الاستثناء]

الاستثناء، وهو الإخراج بـ«إلا» أو إحدى أخواتها من مُتَكَلِّمٍ وَاحِدٍ. وقيل: «مطلقاً».

[شَرْطُ الاستثناء الاتِّصَالُ]

وَيَجِبُ اتِّصَالُهُ عَادَةً، وعن ابن عباس: «إلى شهرٍ، وقيل: «سَنَةً»، وقيل: «أَبَدًا».

وعن سعيد بن جبير: «إلى أربعة أشهرٍ»؛ وعن عطاءٍ والحسن: «في المَجْلِسِ»؛

[المُخَصَّصُ الْأَوَّلُ: الاستثناء]

أحدها: (الاستثناء) بِمعنى الدال عليه، (وهو) أي الاستثناء نفسه: (الإخراج) مِنْ مُتَعَدِّدٍ (بـ«إلا» أو إحدى أخواتها) نَحْو: خلا، وعدا، وَسَوَى صادراً ذلك الإخراج مع الْمُخْرَجِ مِنْهُ (مِنْ مُتَكَلِّمٍ وَاحِدٍ. وقيل: «مطلقاً»^(١)).

فقول القائل: «إلا زيدا» عَقِبَ قولٍ غيرهِ «جاء الرجال» استثناءً على الثاني لغو على الأول.

ولو قال النبي ﷺ: «إلا أهل الذمة» عَقِبَ نُزُولِ قوله تعالى ﴿فَأَقْضُوا الشَّرَافَ﴾^(٢) كان استثناءً قطعاً، لأنه ﷺ مَبْلُغٌ عن الله تعالى وإن لَمْ يَكُنْ ذلك قرآناً.

[شَرْطُ الاستثناء الاتِّصَالُ]

(وَيَجِبُ اتِّصَالُهُ) أي الاستثناء بِمعنى الدال عليه بِالْمُسْتَثْنَى مِنْهُ (عَادَةً)، فلا يَضُرُّ انفصاله بِنَفْسٍ أو سُعَالٍ.

(وعن ابن عباس) ﷺ: «يَجُوزُ انفصاله (إلى شهرٍ)^(٣)».

وقيل: «سَنَةً»^(٤)، وقيل: «أَبَدًا»^(٥). روايات عنه.

(١) قاله القاضي أبو بكر الباقلاني في «التقريب». (التشنيف: ١/ ٢٦٥).

(٢) سورة التوبة، الآية: ٥.

(٣) نقله الآمدي في الإحكام (٢/ ٤٩٤)، وابن الحاجب في المختصر (٢/ ١٣٧)، وغيرهما.

(٤) رواه الحاكم في الأيمان والنذور (٧٨٣٣، ٤/ ٣٣٦)، وقال: «صحيح على شرط الشيخين»،

ووافقه الذهبي.

(٥) وهو ما نقله عنه الأكثرون منهم إمام الحرمين والغزالي وأبو الحسين البصري.

(البرهان: ١/ ٣٨٥، المستصفى: ٢/ ١٦٥، المعتمد: ١/ ٢١٦، نهاية السؤل: ١/ ٤٩٦).

ومُجاهد: «سَتَيْن». وقيل: «ما لَمْ يَأْخُذْ فِي كَلَامٍ آخَرَ». وقيل: «بشَرِطَ أَنْ يُنَوِّي فِي الْكَلَامِ». وقيل: «فِي كَلَامِ اللَّهِ تَعَالَى فَقَطْ».

(وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ)^(١): «يَجُوزُ انفَصَالُهُ (إِلَى أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ)»^(٢).

وَعَنْ عَطَاءٍ^(٣) وَالْحَسَنِ: «يَجُوزُ انفَصَالُهُ (فِي الْمَجْلِسِ)»^(٤).

(وَعَنْ مُجَاهِدٍ)^(٥): «يَجُوزُ انفَصَالُهُ إِلَى (سَتَيْنٍ)»^(٦).

وقيل: «يُجُوزُ انفَصَالُهُ (مَا لَمْ يَأْخُذْ فِي كَلَامٍ آخَرَ)»^(٧).

وقيل: «يَجُوزُ انفَصَالُهُ (بشَرِطَ أَنْ يُنَوِّي فِي الْكَلَامِ) لِأَنَّهُ مُرَادٌ أَوَّلًا»^(٨).

(وقيل): «يَجُوزُ انفَصَالُهُ (فِي كَلَامِ اللَّهِ تَعَالَى فَقَطْ)، لِأَنَّهُ تَعَالَى لَا يَغِيبُ عَنْهُ شَيْءٌ، فَهُوَ

مُرَادٌ لَهُ أَوَّلًا، بِخِلَافِ غَيْرِهِ»^(٩).

٢٠٢

(١) وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: هُوَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرِ بْنِ هِشَامٍ، الْكُوفِيُّ الْأَسَدِيُّ، أَبُو عَبْدِ اللَّهِ، سَمِعَ مِنْ جَمَاعَةٍ مِنْ أُمَّةِ الصَّحَابَةِ مِنْهُمْ: ابْنُ عُمَرَ، وَابْنُ عَبَّاسٍ، وَابْنُ الزُّبَيْرِ، وَأَنْسَ، كَانَ مِنْ أُمَّةِ التَّابِعِينَ وَمَقْدَمِهِمْ فِي التَّفْسِيرِ، وَالْحَدِيثِ، وَالْفَقْهِ، وَالْعِبَادَةِ، وَالْوَرَعِ، وَغَيْرِهَا مِنْ صِفَاتِ الْخَيْرِ، وَكَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَابْنُ عُمَرَ يَقُولَانِ لِلْمُسْتَفْتَى: سَلْ سَعِيدَ بْنَ جُبَيْرٍ، قَتَلَهُ الْحِجَابُ الطَّاغِيَةُ صَبْرًا وَظُلْمًا سَنَةَ ٩٥ هـ، وَلَمْ يَعِشِ الْحِجَابُ بَعْدَهُ إِلَّا أَيَّامًا. (التَّهْذِيبُ لِلنَّوَوِيِّ: ٢١٠/١).

(٢) الْكَشَافُ لِلزَّمْخَشَرِيِّ (٢/٤٨٠)، شَرْحُ الْكُوكَبِ (٣/٣٠٠).

(٣) وَعَطَاءٌ: هُوَ عَطَاءُ بْنُ أَبِي رَبِيعٍ أَبُو مُحَمَّدٍ الْمَكِّي الْقُرَشِيُّ، أَحَدُ أُمَّةِ التَّابِعِينَ وَأَكْثَرُهُمْ تَمَسُّكَاً بِالسَّنَةِ، سَمِعَ مِنَ الْعِبَادَةِ الْأَرْبَعَةِ: ابْنِ عُمَرَ، ابْنَ عَبَّاسٍ، ابْنَ الزُّبَيْرِ، ابْنَ أَبِي الْعَاصِ، وَهُوَ إِمَامٌ أَهْلِ مَكَّةَ وَمِفْتَاحُهُمْ، اتَّفَقُوا عَلَى جَلَالَتِهِ وَإِمَامَتِهِ، تَوَفَّى رَحِمَهُ اللَّهُ سَنَةَ ١١٥ هـ بِمَكَّةَ. (التَّهْذِيبُ لِلنَّوَوِيِّ: ١/٣٠٧).

(٤) وَاخْتَارَهُ الشَّيْخُ تَقِي الدِّينَ مِنَ الْحَنَابِلَةِ. (الْمُسَوَّدَةُ، ص: ١٥٢، شَرْحُ الْكُوكَبِ: ٣/٣٠١).

(٥) وَمُجَاهِدٌ: هُوَ مُجَاهِدُ بْنُ جَبْرِ (قِيلَ: جُبَيْرٌ) أَبُو الْحِجَابِ، الْإِمَامُ الْمَشْهُورُ، التَّابِعِيُّ الْجَلِيلُ، الْمَخْزُومِيُّ مَوْلَى، مِتَّفَقٌ عَلَى جَلَالَتِهِ وَإِمَامَتِهِ، سَمِعَ ابْنَ عَبَّاسٍ، وَابْنَ عُمَرَ، وَغَيْرَهُمَا، وَهُوَ إِمَامٌ فِي الْفَقْهِ، وَالتَّفْسِيرِ، وَالْحَدِيثِ، أَعْلَمُ التَّابِعِينَ بِالتَّفْسِيرِ، وَمَنَاقِبُهُ كَثِيرَةٌ مَشْهُورَةٌ، تَوَفَّى رَحِمَهُ اللَّهُ سَنَةَ ١٠١ هـ وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثٍ وَثَمَانِينَ عَلَى الْأَصَحِّ. (التَّهْذِيبُ لِلنَّوَوِيِّ: ٢/٣٩٠).

(٦) التَّشْنِيفُ (١/٣٦٧)، الْقَوَاعِدُ وَالْفَوَائِدُ (ص: ٢٥١)، الشَّرْحُ الْكُوكَبِ (٣/٢٩٨).

(٧) التَّشْنِيفُ (١/٣٦٧)، شَرْحُ الْكُوكَبِ (٣/٣٠١).

(٨) نَقَلَهُ ابْنُ الْهَيْثَمِ فِي التَّحْرِيرِ (١/٢٩٨) عَنِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ، وَرَوَى عَنْ بَعْضِ الْمَالِكِيَّةِ. (شَرْحُ الْكُوكَبِ: ٣/٣٠٠).

(٩) وَعَلَيْهِ حَمَلُ الْقَاضِي الْبَاقِلَانِيِّ كَلَامَ ابْنِ عَبَّاسٍ السَّابِقِ. (التَّشْنِيفُ: ١/٣٦٧).

[الاستثناء المنقطع]

أَمَّا الْمُنْقَطِعُ: فثالثها: «مُتَوَاطِئٌ»؛ والرابع: «مُشْتَرِكٌ»؛ والخامس: «الوقوف».

وقد ذكر المفسرون أن قوله تعالى ﴿عَبْدٌ أُولَى الْقَرْبَى﴾ نزل بعد ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾، وعبد أولى القربى (١) في المجلس (٢)، وقرأه نافع وغيره بالنصب: أي على الاستثناء، كما قرأه أبو عمرو وغيره بالرفع: أي على الصفة (٣).

والأصل فيما روي عن ابن عباس ونحوه كما روي عنه قوله تعالى ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَايٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ عَدَاً﴾ (٤) إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَادَّكَرَ بَيْنَكَ إِذَا نَسِيتَ (٥) أي إذا نسيت قول «إن شاء الله» - ومثله الاستثناء - وتذكرت فادكره، ولم يُعَيَّن وقتاً، فاختلف الآراء فيه على ما تقدم من غير تقييد بنسيان توسعاً.

فقوله ﴿وَادَّكَرَ بَيْنَكَ﴾ أي مشيئة ربك.

[الاستثناء المنقطع]

(أَمَّا) الاستثناء (المنقطع) (٥) بأن لا يكون المستثنى فيه بعض المستثنى منه عكس المتصل

(١) سورة النساء، الآية: ٩٥.

(٢) عن البراء بن العاذب رضي الله عنه قال: «لَمَّا نَزَلَتْ ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ دَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ زَيْدًا، فَكَتَبَهَا، فَجَاءَ ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ، فَشَكَا ضَرَارَتَهُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ [يعني في المجلس نفسه وهو يُمْلِي على زيد كما في رواية عند البخاري وغيره] ﴿عَبْدٌ أُولَى الْقَرْبَى﴾». رواه البخاري في التفسير، باب قوله تعالى ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٤٢٢٧)، ومسلم في الإمارة، باب سقوط فرض الجهاد في المعذورين (٣٥١٧)، وأبو داود في الجهاد، باب الرخصة في القعود في العذر (٢١٤٦)، والترمذي في الجهاد، باب ما جاء في الرخصة لأهل العذر بالقعود (١٥٩٣)، والنسائي في الجهاد، باب فضل المجاهدين على القاعدين (٣٠٤٩).

(٣) قال الشهاب البناء رحمه الله في الإتحاف (ص: ٢٤٥): «واختلف في ﴿عَبْدٌ أُولَى الْقَرْبَى﴾، فابن كثير، وأبو عمرو، وعاصم، وحمزة، ويعقوب، برفع الراء على البدل من «القاعدون»، أو الصفة له، ووافقهم اليزيدي، والحسن، والأعمش، والباقون بنصبها على الاستثناء أو الحال من (القاعدون)». ومثله: في شرح طيبة النشر لابن جزري، ص: ٢١٧.

(٤) سورة الكهف، الآية: ٢٣، ٢٤.

(٥) اختلف العلماء في صحة الاستثناء المنقطع على مذهبتين: الأولى: أنه يصح، قاله الحنفية والمالكية والشافعية وغيرهم؛ الثاني: لا يصح، قاله الحنابلة.

[المُرَادُ بـ «عَشْرَةٌ إِلَّا ثَلَاثَةٌ»]

والأصحُّ وفاقاً لابنِ الحاجب: أَنَّ المُرَادَ بـ «عَشْرَةٌ» في قولك: «عَشْرَةٌ إِلَّا ثَلَاثَةٌ»

السابقِ المنصَرَفِ إليه الاسمُ عند الإطلاقِ نحو «ما في الدار أحدٌ إِلَّا الحدَّاءُ». (فتاها) أي الأقوال: «لفظُ الاستثناء (مُتَوَاطِئٌ) فيه وفي المتصل: أي موضوعٌ للقديرِ المُشْتَرَكِ بينهما، أي المخالفةُ بـ «إِلَّا» أو إحدى أخواتها حذراً من الاشتراكِ والمجازِ الآتِيَيْنِ»^(١).

والأولُ الأصحُّ: «إنه مَجَازٌ في المنقطعِ لِتَبَادُرِ غَيْرِهِ، أي المتصلِ، إلى الذهنِ»^(٢).

والثاني: «إنه حقيقةٌ فيه كالمُتَصِلِ لَأَنَّهَا الأصلُ فِي الاستعمالِ»^(٣). ويُحَدُّ بـ «المخالفةُ المذكورة» من غير «إخراج...». وهذا القولُ ينجى قوله:

(والرابعُ: «مُشْتَرَكٌ بينهما»). فهو مَكْرَرٌ إِلَّا أَن يُرِيدَ بِالْمَطْوِيِّ الثَّانِي «أنه حقيقةٌ في المنقطعِ مَجَازٌ في المتصلِ»، ولا قائلٌ بذلك فيما علمتُ.

(والخامسُ: «الوقفُ») أي لا يَدْرِي أَهوَ حَقِيقَةٌ فِيهِمَا، أم فِي القَدْرِ المُشْتَرَكِ بَيْنَهُمَا؟^(٤).

ولَمَّا كَانَ فِي الكلامِ الاستثنائي شُبُه التناقضِ حيثُ يَبْتُئِ المُسْتَثْنَى فِي ضِمَنِ المُسْتَثْنَى مِنْهُ ثُمَّ يَنْفَى صَرِيحاً، وكان ذلك أَظْهَرَ فِي العَدَدِ لنصوصيته فِي أَحَادِهِ دَفَعَ ذلك فِي بَيَانِ المُرَادِ بِهِ بقوله:

[المُرَادُ بـ «عَشْرَةٌ إِلَّا ثَلَاثَةٌ»]

(والأصحُّ وفاقاً لابنِ الحاجبِ)^(٥) أَنَّ المُرَادَ بـ «عَشْرَةٌ» في قولك) مثلاً «لزيدِ عليّ (عَشْرَةٌ إِلَّا ثَلَاثَةٌ»^(٦) العَشْرَةُ باعتبارِ الأفرادِ) أي الآحادِ جميعها، (ثُمَّ أُخْرِجَتْ ثَلَاثَةٌ) بقوله «إِلَّا ثَلَاثَةٌ»،

= ثُمَّ اخْتَلَفَ الفَرِيقُ الأولُ (أي الجمهورُ) فِي الاستثناءِ المنقطعِ هل هو حَقِيقَةٌ أو مَجَازٌ عَلَى أَرْبَعَةِ مَذَاهِبٍ كَمَا بَيَّنَّهَا الشَّارِحُ. (الفواتح: ٥٢٣/١، مختصر ابنِ الحاجب: ١٣٢/٢، الإحكام: ٤٩٨/٢، التشنيف: ٣٦٧/١، شرح الكوكب: ٢٨٦/٣).

(١) قاله بعضُ الأصوليين. (الفواتح: ٥٢٣/١، شرح العضد: ١٣٣/٢، التشنيف: ٣٦٨/١).

(٢) قاله الحنفيةُ والمالكيةُ والشافعيةُ وغيرهم. (الفواتح: ٥٢٣/١، المحصول: ٣٠/٣، نهاية السؤل: ١/١).

٤٩٥، مختصر ابنِ الحاجب: ١٣٢/٢، التشنيف: ٣٦٨/١، غاية الوصول، ص: ٧٦).

(٣) قاله القاضي أبو بكر الباقلائي وَبُنْ جُنِّي. (إرشادُ الفحول، ص: ١٤٦).

(٤) هذا من زوائد المصنف على مختصر ابنِ الحاجب. (التشنيف: ٣٦٨/١).

(٥) مختصر ابنِ الحاجب: ١٣٤/٢.

(٦) اتفق العلماء على أَنَّ ما بعد «إِلَّا» مُخَرَّجٌ مِنْ حُكْمِ الصَدْرِ، فَاَلْمَقْرَرُ بِهِ لَيْسَ إِلَّا «سَبْعَةٌ» فِي «عَلِيٍّ» =

العشرة باعتبار الأفراد ، ثُمَّ أُخْرِجَتْ ثَلَاثَةٌ ، ثُمَّ أُسْنِدَ إِلَى الْبَاقِي تَقْدِيرًا وَإِنْ كَانَ قَبْلَهُ ذِكْرًا . وقال الأكثرُ : « الْمُرَادُ سَبْعَةٌ وَإِلَّا » قَرِينَةٌ . وقال القاضي : « (عشرة إلا ثلاثة) بإزاء اسمين : مفرد ، ومركب . »

[مَا يَجُوزُ مِنَ الْإِسْتِثْنَاءِ، وَمَا لَا يَجُوزُ]

وَلَا يَجُوزُ الْمُسْتَعْرِقُ، خِلَافًا لِشُدُوزٍ . قيل : « وَلَا الْأَكْثَرُ » ، وقيل : « وَلَا الْمُسَاوِي » ؛

(ثُمَّ أُسْنِدَ إِلَى الْبَاقِي) وهو سبعة (تقديرًا، وَإِنْ كَانَ) الإسناد (قبله) أي قبل إخراج «الثلاثة» (ذِكْرًا) ، فكأنه قال : «له علي الباقي من عشرة أُخْرِجَ منها ثلاثة» ، ليس في ذلك إلا الإثبات ، ولا نفْي أصلاً ، فلا تناقض^(١) .

(وقال الأكثرُ : «المرادُ» بـ «عشرة» فيما ذكر (سبعة وإلا ثلاثة) (قرينة) لذلك بيّنت إرادة الجزء باسم الكل مجازاً^(٢) .

(وقال القاضي) أبو بكر الباقلاني : « (عشرة إلا ثلاثة) أي معناه : (إزاء اسمين : مفرد وهو سبعة ، ومركب) وهو عشرة إلا ثلاثة »^(٣) .
ولا نفْي أيضاً على القولين ، فلا تناقض .

ووجه تصحيح الأول : أن فيه توفية بما تقدّم من أن الاستثناء إخراج بخلافهما .

[مَا يَجُوزُ مِنَ الْإِسْتِثْنَاءِ، وَمَا لَا يَجُوزُ]

(وَلَا يَجُوزُ) الْإِسْتِثْنَاءُ (الْمُسْتَعْرِقُ) بِأَنْ يَسْتَعْرِقَ الْمُسْتَثْنَى الْمُسْتَثْنَى مِنْهُ ، أَيْ لَا أَثَرُ لَهُ فِي الْحُكْمِ ، فَلَوْ قَالَ : «له علي عشرة إلا عشرة» لزمه عشرة ، (خِلَافًا لِشُدُوزٍ) .

أشار بذلك إلى ما نقله القرافي عن «المدخل» لابن طلحة : « فيمن قال لامرأته : أنت طالق ثلاثاً إلا ثلاثاً ، أنه لا يقع طلاق في أحد القولين »^(٤) . ولم يظفر بذلك من نقل الإجماع

= عشرة إلا ثلاثة ، ولكنهم في توجيه دلالة الكلام المذكور على «سبعة» . (التيسير : ٢٨٩/١) .

(١) واختاره شيخ الإسلام في «لُبِّ الْأَصُولِ» وشرحه (ص : ٧٦) .

(٢) قاله الحنفية والمالكية والحنابلة . (الفواتح : ٥٢٣/١ ، التيسير : ٢٨٩/١ ، مختصر ابن الحاجب :

١٣٤/٢ ، شرح الكوكب : ٢٨٩/٣) .

(٣) واختاره إمام الحرمين في البرهان (١/٤٠٠) .

(٤) شرح التنقيح للقرافي ، ص : ٢٤٤ .

وقيل: «إِنْ كَانَ الْعَدْدُ صَرِيحاً»؛ وقيل: «لَا يُسْتَنَى مِنَ الْعَدْدِ عَقْدٌ صَرِيحٌ»، وقيل: مطلقاً.

على امتناع المُستغْرِق^(١) كالإمام الرازي^(٢) والآمدّي^(٣).

(قيل: «ولا» يجوز (الأكثر) من الباقي نحو «له عليّ عشرة إلا ستة»، فلا يجوز، بخلاف المُساوي والأقل^(٤)).

(وقيل: «لا الأكثر» (ولا المُساوي)، بخلاف الأقل^(٥)).

(وقيل: «لا الأكثر» (إِنْ كَانَ الْعَدْدُ) فِي الْمُسْتَنَى وَالْمُسْتَنَى مِنْهُ (صريحاً) نحو ما تقدّم، بخلاف غير الصريح نحو «خُذْ الدَّرَاهِمَ إِلَّا الزِّيُوفَ»، وهي أكثر^(٦)).

كذا حُكِيَ هَذَا الْقَوْلُ فِي شَرْحِهِ^(٧) كغیره^(٨) فِي «الْأَكْثَرِ» وَإِنْ شَمَلَتِ الْعِبَارَةُ هُنَا حِكَايَتَهُ فِي «الْمُسَاوِي»^(٩).

(وقيل: «لَا يُسْتَنَى مِنَ الْعَدْدِ عَقْدٌ صَحِيحٌ» نحو «له عليّ مئة إلا عشرة»، بخلاف «إلا تسعة»^(١٠)).

(١) والذي أَرَاهُ أَنَّ الَّذِي ذَكَرَ الْإِجْمَاعَ لَمْ يَتَغَيَّرْ بِالْخِلَافِ الَّذِي ذَكَرَهُ ابْنُ طَلْحَةَ، وَفِي كَلَامِ الْمَصْنِفِ هُنَا إِشَارَةٌ إِلَيْهِ، وَقَالَ فِي رَفْعِ الْحَاجِبِ (٣/٢٥٩): «وَهَذَا غَرِيبٌ يُصَدِّمُ دَعْوَى الْإِتْفَاقِ».

(٢) الْمَحْصُولُ لِلرَّازِيِّ ٣/٣٧، وَتَبِعَهُ تَاجُ الدِّينِ الْأَرْمَوِيُّ فِي الْحَاصِلِ (١/٥٤٠)، وَسَرَّاجُ الدِّينِ الْأَرْمَوِيُّ فِي التَّحْصِيلِ (١/٣٧٦).

(٣) الْإِحْكَامُ لِلْأَمَدِيِّ ٢/٥٠١، وَتَبِعَهُ ابْنُ الْحَاجِبِ فِي الْمَخْتَصَرِ (٢/١٣٨)، وَالْعَضُدُ فِي شَرْحِ الْمَخْتَصَرِ (٢/١٣٨).

(٤) قَالَهُ الْحَنَابِلَةُ. (شرح الكوكب: ٣/٣٠٧).

(٥) قَالَهُ الْمَالِكِيَّةُ وَالْبَصْرِيُّونَ مِنَ النُّحَاةِ. (شرح التتقيح، ص: ٢٤٥، التثنيف: ١/٣٧١).

(٦) قَالَهُ الْقَاضِي أَبُو بَكْرٍ الْبَاقِلَانِيُّ آخِراً. (الفواتح: ١/٥٤١).

(٧) أَيِ حَكَى الْمَصْنِفُ هَذَا الْقَوْلَ (أَيِ مَنَعَ اسْتِثْنَاءُ الْأَكْثَرِ) إِنْ كَانَ الْعَدْدُ فِي الْمُسْتَنَى وَالْمُسْتَنَى مِنْهُ صَرِيحاً) فِي شَرْحِ الْمَنْهَاجِ (٢/١٤٨)، وَشَرْحِ الْمَخْتَصَرِ (٣/٢٦١).

(٨) أَيِ كَابِنِ الْحَاجِبِ فِي الْمَخْتَصَرِ (ص: ٢١٧).

(٩) أَيِ أَنَّ عِبَارَةَ الْمَصْنِفِ هُنَا شَامِلَةٌ لِحِكَايَةِ ذَا الْقَوْلِ فِي «الْمُسَاوِي» أَيْضاً، وَقَدْ فَرَضَ الْقَاضِي الْعَضُدُ الْقَوْلَ فِيهِمَا (أَيِ الْمُسَاوِي، وَالْأَكْثَرِ)، فَقَالَ فِي شَرْحِ الْمَخْتَصَرِ (ص: ٢١٧): «وَقِيلَ: بِمَنْوَعِهِمَا أَيِ مَنَعَ اسْتِثْنَاءَ الْمُسَاوِي وَالْأَكْثَرِ) إِذَا كَانَ الْعَدْدُ صَرِيحاً، فَيَجُوزُ «أَكْرَمُ عَشْرَةً إِلَّا أَرْبَعَةً»، وَلَا يَجُوزُ «عَشْرَةً إِلَّا خَمْسَةً» أَوْ سِتَّةً، بِخِلَافِ مَا لَمْ يَكُنِ الْعَدْدُ صَرِيحاً، فَيَجُوزُ «أَكْرَمُ بَنِي تَمِيمٍ إِلَّا الْجُهَالَ»، وَهُمْ أَلَفٌ، وَالْعَالِمُ فِيهِ وَاحِدٌ».

(١٠) قَالَهُ بَعْضُ أَهْلِ اللُّغَةِ. (الإحكام: ٢/٥٠٢).

[الاستثناء من النفي إثباتاً، وبالعكس]

و الاستثناء من النفي إثباتاً ، وبالعكس ، خلافاً لأبي حنيفة .

(وقيل): «لا يُستثنى منه (مطلقاً)»^(١)، وقوله تعالى ﴿فَلَيْتَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَيْرِيكَ عَامًا﴾^(٢) أي زمناً طويلاً، كما تقول لمن يستعجلك: «اصبر ألف سنة»، وكل قائل بحسب استقراره وفهمه.
والأصح جواز «الأكثر» مطلقاً، وعليه معظم الفقهاء^(٣)، إذ قالوا: لو قال: «له علي عشرة إلا تسعة» لزمه واحد.

[الاستثناء من النفي إثباتاً، وبالعكس]

(والاستثناء من النفي إثباتاً، وبالعكس)^(٤)، خلافاً لأبي حنيفة) فيهما^(٥).

وقيل: «في الأول فقط»، فقال^(٦): «إن المستثنى من حيث الحكم»^(٧) مسكوت عنه .

٢٠٥

(١) أي لا يُستثنى من العدد مطلقاً، قاله ابن عُصفور من النحاة. (التشنيف: ٣٧٢/١).

(٢) سورة العنكبوت، الآية: ١٤.

(٣) من الحنفية، والشافعية، وغيرهم، واختاره ابن الحاجب، والعضد، والبيضاوي، وشيخ الإسلام.

(التيسير: ٣٠٠/١، الفواتح: ٥٤١/١، شرح العضد، ص: ٢١٧، نهاية السؤل: ٤٩٧/١، التشنيف:

٣٧١/١، غاية الوصول، ص: ٧٦).

(٤) اتفق العلماء على أن «إلا» للإخراج، وأن المستثنى مُخرَجٌ، وأن كل شيء خرج من تقيض دخل في التقيض الآخر، ولكنهم اختلفوا في المستثنى هل هو مُخرَجٌ من القيام أو من الحكم بالقيام في مثل قولنا «قام القوم إلا زيداً»؟ فقال الجمهور: إنه مُخرَجٌ من القيام، فدخل في تقيضه وهو عدم القيام. وقال الحنفية: مُخرَجٌ من الحكم، فدخل في تقيضه وهو عدم الحكم، فيكون غير محكوم عليه، فيمكن أن يكون قائماً وأن لا يكون. والعرف شاهد للجمهور. (البناني: ٢٣/٢).

(٥) اختلف العلماء فيها على ثلاثة مذاهب: الأول: أن الاستثناء من النفي إثبات ومن الإثبات نفي، قاله المالكية والشافعية والحنابلة، والمحققون من الحنفية كفخر الإسلام البزدوي، وشمس الأئمة السرخسي، والقاضي أبو زيد الدبوسي، والمرغيناني. الثاني: أن الاستثناء من النفي إثبات وبالعكس إلا في الأيمان والأقارير. الثالث: أن المستثنى لا حكم له: لا نفيًا ولا إثباتًا، قاله جمهور الحنفية. (الفواتح: ٥٤٦/١، التيسير: ٢٩٤/١، الفروق: ٩٣/٢، العقد المنظوم، ص: ٦١٨، مختصر ابن

الحاجب، ص: ٢٢١، المحصول: ٣٩/٣، الإحكام: ٥١٢/٢، شرح الكوكب: ٣/٣٧٣).

(٦) قوله «فقال» معطوف على قوله «خلافاً» أي خالف أبو حنيفة فقال: ... (البناني: ٢٣/٢).

(٧) أي إثبات القيام ونفيه عن زيد في قوله «ما قام أحد إلا زيداً...». (البناني: ٢٣/٢).

[الاستثناءات المتعددة]

وَالْمُتَعَدَّةُ إِنْ تَعَاظَفَتْ فَلِلْأَوَّلِ ، وَإِلَّا فُكِّلَ لِمَا يَلِيهِ مَا لَمْ يَسْتَغْرِقْهُ .

فنحو «ما قام أحدٌ إلا زيداً» ، و«قام القومُ إلا زيداً» يدلُّ الأولُ على إثبات القيام لزيد ، والثاني على نفيه عنه .

وقال^(١) : « لا ، و «زيدٌ» مسكوتٌ عنه من حيث القيام وعدمه » .

ومبنى الخلاف على : أنَّ المُسْتَثْنَى من حيث الحُكْمُ مُخَرَّجٌ من المحكوم به - فيدخل في نقيضه من قيام أو عدمه مثلاً ، - أو مُخَرَّجٌ من الحُكْمِ ، فيدخل في نقيضه أي لا حكم ، إذ القاعدة : «أنَّ ما خرج من شيءٍ دخل في نقيضه» .

وجُعِلَ الإثبات في كلمة التوحيد يعرف الشرع ، وفي المخرج نحو «ما قام إلا زيدٌ» بالعرف العام .

[الاستثناءات المتعددة]

(و) الاستثناءات (المتعددة إِنْ تَعَاظَفَتْ فَلِلْأَوَّلِ) أي فهي عائدةٌ للأول نحو «له علي عشرةٌ إلا أربعةً ، وإلا ثلاثةً ، وإلا اثنين» فيلزمه واحدٌ فقط . (وإلا) أي وإنَّ لَمْ تَتَعَاظَفْ (فُكِّلَ) منها عائدٌ (لما يليه ما لَمْ يَسْتَغْرِقْهُ)^(٢) نحو «له علي عشرةٌ إلا خمسةً ، إلا أربعةً ، إلا ثلاثةً» فيلزمه ستةً ، لأنَّ «الثلاثة» تُخْرِجُ من «الأربعة» يبقى واحدٌ ، يُخْرِجُ من «الخمسة» تبقى أربعةً ، تُخْرِجُ من «العشرة» تبقى ستةً .

فإن استغرق كلُّ ما يليه بطل الكل .

وإن استغرق غيرُ الأولِ نحو «له علي عشرةٌ إلا اثنين ، إلا ثلاثةً ، إلا أربعةً» عادَ الكلُّ للمستثنى منه ، فيلزمه واحدٌ فقط .

وإن استغرق الأولُ نحو «له علي عشرةٌ إلا عشرةً ، إلا أربعةً» : قيل : «يلزمه عشرةٌ لبطلانِ (٢٠٦) الأول والثاني تبعاً» ، وقيل : «أربعةً اعتباراً لاستثناء الثاني من الأول» . وقيل : «ستةً اعتباراً للثاني دون الأول» .

(١) أي وقال أبو حنيفة : لا يدلُّ على ما ذكر من ثبوت القيام لزيد أو نفيه عنه في أمثال المذكور .

(البناني : ٢٣ / ٢) .

(٢) قاله الجماهير ، بل نقل فيه بعضهم الإجماع . (المحصول : ٤١ / ٣ ، نهاية السؤل : ٥٠٤ / ١ ،

التشنيف : ٣٧٤ / ١ ، غاية الوصول ، ص : ٧٧ ، شرح الكوكب : ٣ / ٣٣٧) .

[الاستثناء الوارد بعد جُمِل مُتَعاطِفَةً]

والوارد بعد جُمِل مُتَعاطِفَةً للكل؛ وقيل: «إِنْ سَبَقَ الْكُلُّ لِعَرَضٍ»؛ وقيل: «إِنْ عُطِفَ بالواو»؛ وقال أبو حنيفة والإمام: «لِلْأَخِيرَةِ»؛ وقيل: «مُشْتَرِكٌ»، وقيل: «بِالْوَقْفِ».

[الاستثناء الوارد بعد جُمِل مُتَعاطِفَةً]

(و) الاستثناء (الوارد بعد جُمِل مُتَعاطِفَةً) عائد (للكل) حيث صلح له لأنه الظاهر مطلقاً^(١).

(وقيل: «إِنْ سَبَقَ الْكُلُّ لِعَرَضٍ» واحد عاد للكل نحو «حبست داري على أعمامي، ووقفت بستانني على أخوالي، وسبلت سقايتي لجيرانني إلا أن يسافروا»، وإلا عاد للأخيرة فقط، نحو «أكرم العلماء، وحس ديارك على أقاربك، وأعتق عبيدك إلا الفسقة منهم»^(٢)).

(وقيل: «إِنْ عُطِفَ بـ«الواو»» عاد للكل بخلاف «الفاء»، و«ثم» مثلاً، فللأخيرة»^(٣). وعلى هذا الأمدي حيث فرض المسألة في العطف بـ«الواو»^(٤)).

(وقال أبو حنيفة والإمام الرازي: «لِلْأَخِيرَةِ» فقط، لأنه المتيقن»^(٥)).

(وقيل: «مُشْتَرِكٌ» بين عوده للكل وعوده للأخيرة، لاستعماله في كل منهما، والأصل في الاستعمال الحقيقة»^(٦)).

(وقيل: «بِالْوَقْفِ» أي لا يدرى ما الحقيقة منهما»^(٧)).

ويتبين المراد على الأخيرين بالقرينة.

وحيث وجدت انتفى الخلاف^(٨) كما في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا

(١) قاله المالكية والشافعية والحنابلة. (شرح التنقيح، ص: ٢٤٩، نهاية السؤل: ٥٠٥/١، التننيف: ٣٧٦/١، شرح الكوكب: ٣/٣١٣).

(٢) قاله أبو الحسين البصري المعتزلي في المعتمد: ٢٦٤/١.

(٣) نقله الرافعي في كتاب الوقف عن إمام الحرمين. (التنيف: ٣٧٦/١).

(٤) حيث قال في الإحكام (٢/٥٠٤): «الْجُمْلُ الْمُتَعاطِفَةُ بـ«الواو» إذا تَعَبَّهَا الاستثناء ...».

(٥) الفواتح: ٥٥٩/١، التيسير: ٣٠٢/١، ٣٠٥، المحصول: ٤٣/٣.

(٦) قاله الشريف المرتضى من الشيعة. (المحصول: ٤٣/٣، التننيف: ٣٧٦/١).

(٧) قاله القاضي الباقلاني، والإمام الغزالي. (المستصفى: ٢/١٧٤، المحصول: ٤٣/٣).

(٨) أي أن محل الخلاف حيث انتفت القرينة، فإذا وجدت عمل بها. وهذه القرينة: إمّا أن ترجع إلى =

وَالْوَارِدُ بَعْدَ مُفْرَدَاتٍ أُولَى بِالْكُلِّ .

ءَاخَرَ - إِلَى قَوْلِهِ - ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ﴾ ^(١)، فَإِنَّهُ عَائِدٌ إِلَى جَمِيعِ مَا تَقَدَّمَه ، قَالَ الشَّهْلِيُّ ^(٢) : «بَلَا ٢٠٧» خِلَافٍ ؛ وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ - إِلَى قَوْلِهِ - ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾ ^(٣)، فَإِنَّهُ عَائِدٌ إِلَى الْجَمِيعِ ، قَالَ ابْنُ السَّمْعَانِيِّ : «إِجْمَاعاً» ^(٤) ؛

وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً﴾ - إِلَى قَوْلِهِ - ﴿إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا﴾ ^(٥)، فَإِنَّهُ عَائِدٌ إِلَى الْآخِرَةِ أَيْ الدِّيَّةِ دُونَ الْكَفَّارَةِ قَطْعاً .

أَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿وَالَّذِينَ يَزِينُونَ لِحُجَّتِهِمْ ثَمَنًا يَبْذُرُونَ﴾ - إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى - ﴿إِلَّا الَّذِينَ

= الْجُمْلَةُ الْأُولَى كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْأَحْزَابِ (الآيَةِ ٥٢) ﴿لَا يَحِلُّ لَكَ الْإِنْسَاءُ مِنْ بَعْدِ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بَيْنَ مَنْ أَنْفَجَ وَلَوْ أَعْجَبَكَ خُسْئُهُ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ﴾ ، فَ «مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ» يَعُودُ إِلَى «النِّسَاءِ» ، لَا إِلَى «الزَّوْجِ» لِأَنَّ زَوْجَتَهُ ﷺ لَا تَكُونُ مِلْكَ يَمِينِهِ . وَإِنَّمَا أَنْ تَرْجِعَ إِلَى الْآخِرَةِ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً﴾ .

وَإِنَّمَا أَنْ تَرْجِعَ إِلَى الْجَمِيعِ كَمَا فِي الْآيَةِ الْأُولَى وَالثَّانِيَةِ اللَّتَيْنِ ذَكَرَهُمَا الشَّارِحُ .

(١) سُورَةُ الْفُرْقَانِ ، الْآيَةُ ٦٨ - ٧٠ ، وَالْآيَةُ كَامِلَةٌ : ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٧٠﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْكُتُوبُ وَيُضَاعَفْ وَتُضَاعَفْ فِيهِ مَسَاكِينُ ﴿٧١﴾ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٧٢﴾﴾ .

(٢) وَالشَّهْلِيُّ : هُوَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَحْمَدَ الْخَثْعَمِيُّ الْأَنْدَلُسِيُّ الْمَالِكِيُّ الضَّرِيرُ ، أَبُو الْقَاسِمِ ، الْحَافِظُ الْعَلَامَةُ ، الْأَدِيبُ النَّحْوِيُّ ، الْمُفَسِّرُ ، كَانَ إِمَامًا فِي اللُّغَةِ ، عَارِفًا بِالنَّسَابِ ، عَالِمًا بِعِلْمِ الْكَلَامِ وَأَصُولِ الْفَقْهِ وَالتَّارِيخِ ، لَهُ مَوْلاَتٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا : الرُّوضُ الْأَنْفُ ، نَتَائِجُ الْأَفْكَارِ ، مَبْهَمَاتُ الْقُرْآنِ ، تَوْفِي رَحِمَهُ اللَّهُ سَنَةَ ٥٨١ هـ بِمَرَاكَشَ . (شذرات الذهب : ٤ / ٤٧١) .

(٣) سُورَةُ الْمَائِدَةِ ، الْآيَةُ ٣٣ - ٣٤ ، وَالْآيَةُ كَامِلَةٌ : ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْرَأُوا عَلَيْهِمْ فَاصْلَحُوا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾ .

(٤) قَوَاطِعُ الْأَدَلَّةِ لِلْسَّمْعَانِيِّ : ٢١٨ / ١ .

(٥) سُورَةُ النِّسَاءِ ، الْآيَةُ ٩٢ ، وَالْآيَةُ كَامِلَةٌ : ﴿وَمَا كَانَ لِلْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَقْتُلُوا مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَّةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِيهِ إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا فَإِنْ كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُمْ مُؤْمِنٌ فَنَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَّةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِيهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامٌ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٩٢﴾﴾ .

[دلالة القرآن]

أَمَّا الْقُرْآنُ بَيْنَ الْجُمْلَتَيْنِ لَفْظاً فَلَا يَقْتَضِي التَّسْوِيَةَ فِي غَيْرِ الْمَذْكُورِ حَتْمًا، خِلَافًا لِأَبِي يُوسُفَ وَالْمُزْنِي.

تَابُوا^(١)، فَإِنَّهُ عَائِدٌ إِلَى الْأَخِيرَةِ غَيْرُ عَائِدٍ إِلَى الْأُولَى - أي الجلد - قطعاً، لَأَنَّهُ حَقٌّ أَدْمِيٌّ، فَلَا يَسْقُطُ بِالتَّوْبَةِ، وَفِي عَوْدِهِ إِلَى الثَّانِيَةِ - أي عدم قبول الشهادة - الخلاف ؟ فعندنا : نعم^(٢)، وعند أبي حنيفة : لا^(٣).

(و) الاستثناء (الوارد بعد مفردات) نحو «تَصَدَّقْ عَلَى الْفُقَرَاءِ، وَالْمَسَاكِينِ، وَأَبْنَاءِ السَّبِيلِ إِلَّا الْفَسَقَةَ مِنْهُمْ» (أُولَى بِالْكُلِّ) أي بَعُودِهِ لِلْكُلِّ مِنَ الْوَارِدِ بَعْدَ الْجُمْلِ لِعَدَمِ اسْتِقْلَالِ الْمَفْرَدَاتِ^(٤).

[دلالة القرآن]

(أَمَّا الْقُرْآنُ بَيْنَ الْجُمْلَتَيْنِ لَفْظاً)^(٥) بَأَنْ تُعْطَفَ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى (فَلَا يَقْتَضِي التَّسْوِيَةَ) بَيْنَهُمَا (فِي غَيْرِ الْمَذْكُورِ حُكْمًا) أي فِيمَا لَمْ يُذَكَّرْ مِنَ الْحُكْمِ الْمَعْلُومِ لِإِحْدَاهُمَا مِنْ خَارِجٍ^(٦). (خِلَافًا لِأَبِي يُوسُفَ)^(٧) مِنَ الْحَنْفِيَّةِ (وَالْمُزْنِي)^(٨) مِمَّا فِي قَوْلِهِمَا : « يَقْتَضِي التَّسْوِيَةَ فِي ذَلِكَ ».

(١) سورة النور، الآية : ٤ - ٥، والآية كاملة : ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَالْمُذَكَّرُ ثَمَنَيْنِ جَلْدَةً وَلَا يَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةٌ أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ۝ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۝﴾.

(٢) أي عند الشافعية، وكذا عند المالكية، والحنابلة، والظاهرية . (الأم : ٢١٤/٦، بداية المجتهد : ٤٤٣/٢، المغني لابن قدامة : ٢٦٣/١٠، المحلى لابن حزم : ٤١/٧).

(٣) الهداية للمرغيناني : ١٦/٢، ١٢٢/٣.

(٤) ولذا اقتضى كلام جماعة الاتفاق في المفردات كما قال الزركشي. (التشنيف : ٣٧٧/١).

(٥) صورة المسألة : أَنْ يُجْمَعَ بَيْنَ شَيْئَيْنِ فِي الْأَمْرِ أَوِ النَّهْيِ، ثُمَّ يُبَيَّنُ حُكْمُ أَحَدِهِمَا، فَيَسْتَدَلُّ بِالْقُرْآنِ عَلَى ثُبُوتِ ذَلِكَ الْحُكْمِ لِلْآخَرِ أَيْضًا. (التشنيف : ٣٧٨/١).

(٦) قاله الجماهير من الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة. (أصول السرخسي : ٢٧٣/١، غاية الوصول، ص : ٧٧، المسودة، ص : ١٤٠).

(٧) وأبو يوسف : هو يعقوب بن إبراهيم بن حبيب الأنصاري أبو يوسف، قاضي القضاة، الحنفي، أخذ الفقه عن أبي حنيفة، المجتهد المطلق، تخرج به الأئمة، وله كتب نفيسة منها : الخراج، والسير الكبير، توفي رحمه الله سنة ١٨٢ هـ. (الفتح المبين : ١٠٨/١).

(٨) والمُزْنِي : هو إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل المُزْنِي البصري، أبو إبراهيم، صاحب الشافعي، كان =

[الْمُخَصَّصُ الثَّانِي : الشَّرْطُ]

الثاني: الشرط، وهو ما يَلْزَمُ من عَدَمِهِ العَدَمُ، ولا يَلْزَمُ من وُجُودِهِ وُجُودٌ، ولا عَدَمٌ لِدَايَتِهِ .

مثاله: حديث أبي داود: « لا يَبُولُ أَحَدُكُمْ فِي الْمَاءِ الدَّائِمِ، وَلَا يَغْتَسِلُ فِيهِ مِنَ الْجَنَائِذِ »^(١)، فالبول فيه يُنَجِّسُهُ بِشَرْطِهِ كما هو معلوم، وذلك حكمة النهي.

قال أبو يوسف: «فكذا الاغتسال فيه للقران بينهما»، ووافقه أصحابه في الحكم للدليل غير ٢٠٨ القران، وخالفه الْمُزْنِي فِيهِ لِمَا يُرْجَعُ عَلَى «القران» فِي أَنَّ الْمَاءَ الْمُسْتَعْمَلَ فِي الْحَدِيثِ طَاهِرٌ، لَا نَجَسٌ، وَيَكْفِي فِي حِكْمَةِ النَّهْيِ ذَهَابُ الطَّهَوْرِيَّةِ.

[الْمُخَصَّصُ الثَّانِي : الشَّرْطُ]

(الثاني) من الْمُخَصَّصَاتِ الْمُتَّصِلَةِ: (الشرط) بِمَعْنَى صِيغَتِهِ . (وهو) أي الشرط نفسه: (ما يَلْزَمُ من عَدَمِهِ العَدَمُ، ولا يَلْزَمُ من وُجُودِهِ وُجُودٌ ولا عَدَمٌ لِدَايَتِهِ).

احْتَرَزَ بِالْقَيْدِ الْأَوَّلِ من «الْمَانِعِ»، فَإِنَّهُ لَا يَلْزَمُ من عَدَمِهِ شَيْءٌ؛ وبِالْثَّانِي من «السَّبَبِ»، فَإِنَّهُ يَلْزَمُ من وُجُودِهِ الوجود؛ وبِالْثَّلَاثِ من مقارنة الشرط للسبب، فيَلْزَمُ الوجود كوجود الحول الذي هو شرط لوجوب الزكاة مع النصاب الذي هو سبب للوجوب، ومن مُقَارِنَتِهِ لِلْمَانِعِ كَالَّذِينَ عَلَى الْقَوْلِ: بَأَنَّهُ مَانِعٌ من وُجُوبِ الزَّكَاةِ، فيَلْزَمُ العَدَمُ، فَلَزُومُ الوجود والعَدَمِ فِي ذَلِكَ لوجود السَّبَبِ وَالْمَانِعِ، لَا لِذَاتِ الشَّرْطِ.

ثُمَّ هُوَ عَقْلِيٌّ كَالْحَيَاةِ لِلْعِلْمِ، وَشَرْعِيٌّ كَالطَّهَارَةِ لِلصَّلَاةِ، وَعَادِيٌّ كَنَضْبِ السَّلَامِ لِصُعُودِ السَّطْحِ، وَلُفُوقِيٍّ، وَهُوَ الْمُخَصَّصُ، كَمَا فِي «أَكْرَمِ بَنِي تَمِيمٍ إِنْ جَاوَا» أَيِ الْجَائِنِينَ مِنْهُمْ، فَيَنْعَدِمُ الْإِكْرَامُ الْمَأْمُورُ بِهِ بِانْعِدَامِ الْمَجِيءِ، وَيُوجَدُ بِوُجُودِهِ إِذَا امْتَثَلَ الْأَمْرُ.

= إِمَاماً وَرِعاً، زَاهِداً، مُجَابِبَ الدَّعْوَةِ، مُعَظِّماً بَيْنَ أَصْحَابِ الشَّافِعِيِّ، لَهُ مَوْلَفَاتٌ نَفِيسَةٌ مِنْهَا: الْمَبْسُوطُ، وَالْمَنْثُورُ، وَالْمَخْتَصَرُ، تَوْفِي رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى سَنَةَ ٢٦٤ هـ، دُفِنَ بِالْقَرَفَةِ بِالْقُرْبِ مِنَ الشَّافِعِيِّ . (طبقات الإسوي: ١/ ٢٨).

(١) رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ فِي الطَّهَارَةِ، بَابُ الْبَوْلِ فِي الْمَاءِ الرَّائِدِ (٦٤)، وَأَخْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ (٨٢٠٢).
وَرَوَاهُ بَلْفِظٍ قَرِيبٍ مِنْهُ جَدًّا الْبُخَارِيُّ فِي الْوُضُوءِ، بَابُ الْبَوْلِ فِي الْمَاءِ الدَّائِمِ (٢٣٢)، وَمُسْلِمٌ فِي الطَّهَارَةِ، بَابُ النَّهْيِ عَنِ الْاِغْتِسَالِ فِي الْمَاءِ الرَّائِدِ (٤٤٦)، وَالنَّسَائِيُّ فِي الطَّهَارَةِ، بَابُ الْمَاءِ الدَّائِمِ (٥٨).

وهو كالاستثناء اتصلاً. وأولى بالعود إلى الكلّ على الأصح. ويجوز إخراج الأكثر منه وفقاً.

(وهو) أي الشرط المخصّص (كالاستثناء اتصلاً) ففي وجوبه الخلاف المتقدم على الأصحّ الآتي^(١) لما تقدّم من أنّ أصله^(٢) في «إن شاء الله» وهو صيغة شرط. وقيل: «يجب اتصال الشرط اتفاقاً»^(٣). وعليه اقتصر المصنف في «شرح المنهاج» حيث قال: «لا نعلم في ذلك نزاعاً»^(٤).

(وأولى) من الاستثناء (بالعود إلى الكلّ) أي كلّ الجمل المتقدّمة عليه نحو «أكرم بني تميم، وأحسن إلى ربيعة، واخلف على مضر إن جاؤوك» (على الأصح)^(٥). وقيل: «يعود إلى الكلّ اتفاقاً»، والفرق: أنّ الشرط له صدر الكلام فهو مقدّم تقديرًا، بخلاف الاستثناء.

وضُعبف بأنه إنّما يتقدّم على المقيّد به فقط.

(ويجوز إخراج الأكثر به وفقاً)^(٦) نحو «أكرم بني تميم إن كانوا علماء» ويكون جُهلهم

(١) أي فيه الخلاف على الأصحّ المذكور، ومقابل الأصحّ هو قوله: «يجب اتصال الشرط اتفاقاً». (البناني: ٣٣/٢).

(٢) أي لما تقدّم في الاستثناء أنّ أصل الخلاف في وجوب اتصال الاستثناء (وهو خلاف ابن عباس ومن معه) في «إن شاء الله». وقوله: «في إن شاء الله» خبر «أن»، وقوله: «وهو» أي إن شاء الله. (البناني: ٣٣/٢).

(٣) وكذا بالتفريض قال أيضاً شيخ الإسلام في غاية الوصول (ص: ٧٧)، ولكن جزم به الزركشي في التشنيف (٣٧٩/١)، فقال: «يجب اتصال الشرط بالكلام بالاتفاق، وكلام المصنف [يعني التاج السبكي هنا] قد يؤيّم أنّه يجري فيه خلاف الاستثناء، ولا يُعرف ذلك». وكذا جزم بالاتفاق الإمام الرازي في المحصول (٦٢/٣)، والقرافي في شرح التنقيح (ص: ٢١٤).

(٤) الإيهاج للمصنف: ١٦٠/٢.

(٥) قاله الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة.

(الفواتح: ٥٧٩/١)، مختصر ابن الحاجب، ص: ٢٢٤، شرح التنقيح، ص: ٢٦٤، الإحكام:

٥١٥/٢، رفع الحاجب: ٢٩٦/٣، التشنيف: ٣٧٩/١، شرح الكوكب: ٣٤٥/٣.

وهناك مذهب آخران: أحدهما: أنّه يرجع إلى الجملة الأخيرة فقط، قاله بعض الأدباء؛

ثانيهما: الوقف كما في الاستثناء، قاله الإمام الرازي. (المحصول: ٦٢/٣).

(٦) وكذا نقل الاتفاق في الإمام الرازي في المحصول (٦٢/٣)، والقرافي في شرح التنقيح (ص: ٢٦٢).

[المُخَصَّصُ الثَّالِثُ: الصِّفَةُ]

الثالث: الصِّفَةُ، كالاستثناء في العود ولو تَقَدَّمتْ ، أمَّا المُتَوَسِّطَةُ فَاَلْمُخْتَارُ اختِصَّاصُهُ بِمَا وَلِيَّتُهُ .

أكثر، بخلاف الاستثناء، ففي إخراج الأكثر به خلاف تقدّم^(١) .
وفي حكاية الوفاق تَسْمُحُ لِمَا قَدَّمَهُ^(٢) من القول بـ«أنّه لا بُدَّ أَنْ يَبْقَى قَرِيبٌ مِنْ مَدْلُولِ الْعَامِّ»^(٣)، إلّا أَنْ يُرِيدَ وفاقٌ مَنْ خَالَفَ فِي الاستثناء فقط.

[المُخَصَّصُ الثَّالِثُ: الصِّفَةُ]

(الثالث) من المخصّصات المتّصلة: (الصِّفَةُ) نحو «أكرم بني تميم الفقهاء»، خرج بالفقهاء غيرهم. وهي (كالاستثناء في العود)^(٤)، فتعود إلى كلّ المتعلّد على الأصح (ولو تقدّمت)^(٥) نحو «وقفت على أولادي، وأولادهم المحتاجين»، و«وقفت على محتاجي أولادي وأولادهم»، فيعود الوصف في الأول إلى الأولاد مع أولادهم، وفي الثاني إلى أولاد الأولاد مع الأولاد.

وقيل: «لَا»^(٦).

(أمّا المُتَوَسِّطَةُ) نحو «وقفت على أولادي المحتاجين وأولادهم» قال المصنّف بعد قوله: {٢١٠} «لا نعلم فيه نقلاً»: (فَاَلْمُخْتَارُ اختِصَّاصُهَا بِمَا وَلِيَّتُهُ)^(٧).

(١) انظر: «ما يجوز من الاستثناء وما لا يجوز»: ٣٧٨/١ .

(٢) انظر: «ما يجوز التخصيص إليه»: ٣٦٥/١ .

(٣) وهو قول ابن حمدان من الحنابلة، وابن الحاجب من المالكية، والعضد من الشافعية .

(شرح العضد: ١٣٠/٢ ، شرح الكوكب: ٢٧٣/٣).

(٤) وكذا في صحّة إخراج الأكثر بها كما قال شيخ الإسلام في غاية الوصول (ص: ٧٨) .

(٥) قاله المالكية، والشافعية، والحنابلة .

(مختصر ابن الحاجب، ص: ٢٢٥، الإحكام: ٥١٦/٢، شرح الكوكب: ٣٤٨/٣).

(٦) أي لا يعود إلى الكل، بل إلى الأخير، قاله الحنفية. (الفواتح: ٥٨٢/١، التيسير: ٢٨٢/١).

(٧) عبارته رحمه الله في رفع الحاجب (٢٩٨/٣): «وأمّا المتوسطة مثل «وقفت على أولادي المحتاجين وأولادهم» فلا نعرف فيها نقلاً، ويظهر اختصاصها بما وليته. ويدلّ له ما نقل الرافعي والنوي في أوائل «الآيمان» [الروضة: ٥/١١] عن ابن كُجّ، وسكتنا عليه: «أنّه لو قال: «عبدني حرّ إن شاء الله، وأمراتي طالق»، ونوى صرف الاستثناء إليهما صحّ». فإنّ مفهومه أنّه إذا لم ينو لا يحتمل الاستثناء=

[المُخَصَّصُ الرَّابِعُ: الغَايَةُ]

الرَّابِعُ: الغَايَةُ، كالاستثناء في العَوْدِ. والمرادُ غَايَةُ تَقَدُّمِهَا عُمُومَ يَشْمَلُهَا لو لَمْ تَأْتِ، مثلُ ﴿حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ﴾. وأمَّا مثلُ ﴿حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾ فلتحقيقِ العُمُومِ، وكذا «قَطَعْتُ أَصَابِعَهُ مِنَ الْخِنْصِرِ إِلَى الْبَنْصِرِ».

وَيَحْتَمَلُ أَنْ يُقَالَ: «تَعَوَّدُ إِلَى مَا وَلِيَهَا أَيْضًا»^(١).

[المُخَصَّصُ الرَّابِعُ: الغَايَةُ]

(الرابع) من المَخَصَّصَاتِ المتصلة: (الغاية) نحو «أَكْرَمَ بَنِي تَمِيمٍ إِلَى أَنْ يَعْصُوا»، خَرَجَ حَالٌ عَصِيَانِهِمْ، فَلَا يُكْرَمُونَ فِيهِ.

وهي (كالاستثناء في العود)^(٢)، فتعودُ إِلَى كُلِّ مَا تَقَدَّمَهَا عَلَى الْأَصَحِّ^(٣) نَحْوُ «أَكْرَمَ بَنِي تَمِيمٍ، وَأَحْسَنَ إِلَى رَبِيعَةٍ، وَتَعَطَّفَ عَلَى مُضَرٍّ إِلَى أَنْ يَرَحِلُوا».

(والمرادُ) بِالْغَايَةِ (غَايَةُ تَقَدُّمِهَا عُمُومَ يَشْمَلُهَا لو لَمْ تَأْتِ. مثلُ) مَا تَقَدَّمَ، ومثلُ قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿فَنَبِّئْهُمُ الْذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ - إِلَى قَوْلِهِ - ﴿حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ﴾^(٤)، فَإِنَّهَا لو لَمْ تَأْتِ لَفَاتَلْنَاهُمْ أَعْطُوا الْجِزْيَةَ أَمْ لَا.

(وَأَمَّا مِثْلُ) قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿سَأَلْتُهُمْ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾^(٥) مِنْ غَايَةِ لَمْ يَشْمَلْهَا عُمُومُ مَا

= عَلَيْهِمَا، وَإِذَا كَانَ هَذَا فِي الشَّرْطِ الَّذِي لَهُ صَدْرُ الْكَلَامِ - وَقَالَ بَعُودُهُ إِلَى الْجَمِيعِ بَعْضُ مَنْ لَا يَقُولُ بَعُودَ الْإِسْتِثْنَاءِ وَالصِّفَةِ إِلَى الْجَمِيعِ - فَلَأَنْ يَكُونَ فِي الصِّفَةِ بِطَرِيقِ أَوَّلَى، وَحُكْمُ الْإِسْتِثْنَاءِ حُكْمُ الصِّفَةِ، وَكَذَلِكَ الشَّرْطُ، بَلْ أَوَّلَى.

(١) اختاره شيخ الإسلام في غاية الوصول (ص: ٧٨)، وقال: «يَعُودُ الْوَصْفُ لِلْكَلِّ عَلَى الْأَصْلِ فِي اشْتِرَاكِ الْمُتَعَاظِفَاتِ، وَلَأَنَّ الْمُتَوَسِّطَةَ بِالنِّسْبَةِ لِمَا وَلَيْتَهُ مُتَأَخِّرَةٌ، وَلِمَا وَلَيْتَهُ مُتَقَدِّمَةٌ، بَلْ قِيلَ: إِنْ عَوْدَهَا إِلَيْهِمَا أَوَّلَى مِمَّا إِذَا تَقَدَّمَتْهُمَا».

(٢) وكذا في صحة إخراج الأكثر بها كما قال شيخ الإسلام في غاية الوصول (ص: ٧٨).

(٣) أي عند المالكية والشافعية والحنابلة. وأمَّا عند الحنفية فتعودُ إِلَى الْآخِرِ فَقَطْ. (الفواتح: ١/٥٨١).

(٤) التيسير: ١/٢٨٣، مختصر ابن الحاجب، ص: ٢٢٥، التنزيل: ١/٣٨١، شرح الكوكب: ٣/٣٥٠.

(٥) ﴿فَنَبِّئْهُمُ الْذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُؤْمِنُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِإِنَّ الْحَقَّ مِنَ الذِّكْرِ أَوْثَرُ أَلَيْسَ كَتَبَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾. التوبة: ٢٩.

(٥) سورة القدر، الآية: ٥.

[الْمُخَصَّصُ الْخَامِسُ : بَدَلُ الْبَعْضِ]

الخامسُ : بَدَلُ الْبَعْضِ مِنَ الْكُلِّ ، وَلَمْ يَذْكُرْهُ الْأَكْثَرُونَ ، وَصَوَّبَهُمُ الشَّيْخُ الْإِمَامُ .

قَبْلَهَا ، فَإِنَّ طُلُوعَ الْفَجْرِ لَيْسَ مِنَ اللَّيْلَةِ حَتَّى تَشْمَلَ ، (فَلِتَحْقِيقِ الْعُمُومِ) ^(١) فِيمَا قَبْلَهَا كَعُمُومِ اللَّيْلَةِ لِأَجْزَائِهَا فِي الْآيَةِ ، لَا لِلتَّخْصِصِ .

(وَكَذَا) قَوْلُهُمْ : (قَطَعْتُ أَصَابِعَهُ مِنَ الْخِنْصِرِ إِلَى الْبَنْصِرِ) بِكَسْرِ أَوَّلِهَا وَثَالِثِهَا ، فَإِنَّ الْغَايَةَ فِيهِ لِتَحْقِيقِ الْعُمُومِ ؛ أَيِ أَصَابِعُهُ جَمِيعُهَا ، بِأَنْ قَطَعَ مَا عَدَا الْمَذْكُورَيْنِ بَيْنَ قَطْعَيْهِمَا . وَأَوْضَحُ مِنْ ذَلِكَ «مِنَ الْخِنْصِرِ إِلَى الْإِبْهَامِ» كَمَا عَبَّرَ بِهِ فِي شَرْحِي الْمَخْتَصَرِ ^(٢) وَالْمِنْهَاجِ ^(٣) . وَعَدَلَ عَنْهُ إِلَى مَا هُنَا لِمَا فِيهِ مِنَ السَّجْعِ مَعَ الْبَلَاغَةِ الْمُحَوِّجِ ^(٤) إِلَى التَّدْقِيقِ فِي فَهْمِ الْمُرَادِ . وَذَكَرَ الْمِثَالَيْنِ لِأَنَّ الْغَايَةَ فِي الثَّانِي ^(٥) مِنَ الْمَعْنَى ، بِخِلَافِهَا فِي الْأَوَّلِ .

[الْمُخَصَّصُ الْخَامِسُ : بَدَلُ الْبَعْضِ]

(الخامس) من المخصّصات المتصلة: (بَدَلُ الْبَعْضِ مِنَ الْكُلِّ) ^(٦) كَمَا ذَكَرَهُ ابْنُ الْحَاجِبِ ^(٧) نَحْوُ «أَكْرِمَ النَّاسَ الْعُلَمَاءَ» . (وَلَمْ يَذْكُرْهُ الْأَكْثَرُونَ ، وَصَوَّبَهُمُ الشَّيْخُ الْإِمَامُ) ^(٨) وَالَّذِي

(١) قَالَهُ الشَّافِعِيُّ وَالْحَنَابِلَةُ وَغَيْرُهُمْ .

(رَفَعَ الْحَاجِبُ : ٣/ ٣٠٠ ، التَّشْنِيفُ : ١/ ٢٨٢ ، شَرْحُ الْكَوْكَبِ : ٣/ ٣٥٣) .

(٢) أَيِ كَمَا عَبَّرَ الْمَصْنُفُ فِي شَرْحِ الْمَخْتَصَرِ (٣/ ٣٠٠) .

(٣) أَيِ كَمَا عَبَّرَ بِهِ الْمَصْنُفُ فِي شَرْحِ الْمِنْهَاجِ (٢/ ١٦٣) .

(٤) «الْمُحَوِّجُ» بِالْجَرِّ نَعْتُ لـ «الْبَلَاغَةِ» بِاعْتِبَارِ تَأْوِيلِ الْمِطَابَقَةِ بِالْكَوْنِ مُطْلَقًا وَفِي الدَّاعِغَاتِيَّةِ : «الْمُحَوِّجَةُ» .

وَهُوَ لَا يَحْتَاجُ إِلَى تَأْوِيلٍ . (الْبَنَانِيُّ : ٢/ ٣٦) .

(٥) الْمُرَادُ بِهِ «الثَّانِي» قَوْلُهُ «قَطَعْتُ أَصَابِعَهُ مِنَ الْخِنْصِرِ إِلَى الْبَنْصِرِ» ، وَالْمُرَادُ بِهِ «الْأَوَّلُ» قَوْلُهُ تَعَالَى «وَحَتَّى

مَطْلَعِ الْقَبْرِ» . (الْبَنَانِيُّ : ٢/ ٣٦) .

(٦) وَزَادَ شَيْخُ الْإِسْلَامُ «بَدَلُ الْإِسْتِمَالِ» ، فَقَالَ فِي غَايَةِ الْوُصُولِ (ص : ٧٨) : «أَوْ «بَدَلُ اسْتِمَالٍ» كَمَا نَقَلَهُ

مَعَ مَا قَبْلَهُ [أَيِ بَدَلُ الْبَعْضِ] الْبِرْمَاوِيُّ عَنْ أَبِي حَيَّانٍ عَنِ الشَّافِعِيِّ كـ «أَعْجَبَنِي زَيْدٌ عِلْمُهُ» ، وَهُوَ مِنْ

زِيَادَتِي [أَيِ عَلَى التَّاجِ السَّبْكِيِّ هُنَا] لِأَنَّ يُقَالُ : إِنَّهُ يَرْجِعُ إِلَى مَا قَبْلَهُ تَجَوُّزًا .

(٧) قَالَ بِصَحَّةِ التَّخْصِصِ بِـ «بَدَلِ الْبَعْضِ مِنَ الْكُلِّ» الْحَنْفِيُّ وَالْمَالِكِيُّ وَالشَّافِعِيُّ وَالْحَنَابِلَةُ .

(الْفَوَاتِحُ : ١/ ٥٨٣ ، التَّسْيِيرُ : ١/ ٢٨٢ ، مَخْتَصَرُ ابْنِ الْحَاجِبِ : ٢/ ١٣٢ ، غَايَةُ الْوُصُولِ ، ص : ٧٨ ، شَرْحُ

الْكَوْكَبِ : ٣/ ٣٥٤) .

(٨) وَتَبِعَهُ الشَّارِحُ هُنَا ، وَالزَّرْكَشِيُّ فِي التَّشْنِيفِ (١/ ٣٨٢) .

[التَّخْصِصُ بِالْحِسِّ، وَالْعَقْلِ]

القسمُ الثاني: الْمُتَفَصِّلُ. يَجُوزُ التَّخْصِصُ بِالْحِسِّ، وَالْعَقْلِ، خِلَافاً لِشُدُوزِ وَمَنْعِ الشَّافِعِيِّ تَسْمِيَّتَهُ تَخْصِصاً. وَهُوَ لَفْظِيٌّ.

المصنف، لأنَّ المُبَدَّلَ منه في نية الطرح، فلا تَحَقُّقٌ فِيهِ لِمَحَلٍ يُخْرَجُ مِنْهُ، فلا تَخْصِصَ بِهِ^(١).

[التَّخْصِصُ بِالْحِسِّ، وَالْعَقْلِ]

(القسمُ الثاني) من المخصَّصِ: (الْمُتَفَصِّلُ) أي ما يَسْتَقِلُّ بِنَفْسِهِ من لفظ، أو غيره، وبدأ بالغير لقلته فقال:

(وَيَجُوزُ التَّخْصِصُ بِالْحِسِّ) كما في قوله تعالى في الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ عَلَى عَادٍ ﴿تُدْمِرُ كُلَّ شَيْءٍ﴾^(٢) أي تُهْلِكُهُ، فَإِنَّا نُدْرِكُ بِالْحِسِّ أَيِ الْمُشَاهَدَةِ ما لا تَدْمِيرَ فِيهِ كَالسَّمَاءِ.

(والعقل)^(٣) كما في قوله تعالى ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾^(٤)، فَإِنَّا نُدْرِكُ بِالْعَقْلِ ضرورةً أَنَّهُ تعالى ليس خالقاً لِنَفْسِهِ.

(خِلَافاً لِشُدُوزِ) من الناسِ في مَنَعِهِمُ التَّخْصِصَ بِالْعَقْلِ قائلين: «إِنَّ ما نَفَى الْعَقْلُ حَكَمَ الْعَامِ عَنْهُ لَمْ يَتَنَاوَلْهُ الْعَامُ، لَأَنَّهُ لَا تَصِحُّ إِرَادَتُهُ».

(وَمَنْعِ الشَّافِعِيِّ) رحمته الله (تَسْمِيَّتَهُ تَخْصِصاً)^(٥) نظراً إِلَى أَنَّ ما تُخْصِّصُ بِالْعَقْلِ لَا تَصِحُّ إِرَادَتُهُ بِالْحُكْمِ.

(١) وَجِبَابُ عَنْهُ: بِأَنَّ كَوْنَهُ فِي نِيَةِ الطَّرْحِ قَوْلٌ، وَالْأَكْثَرُ عَلَى خِلَافِهِ، وَالنَّحْوِيُّونَ: لَمْ يُرِيدُوا الْغَاءَ، وَإِنَّمَا أَرَادُوا أَنَّ الْبَدَلَ قَائِمٌ بِنَفْسِهِ، وَلَيْسَ مُبَيَّنّاً لِلأَوَّلِ كَتَبِينَ النِّعَةِ. (غاية الوصول، ص: ٧٨).
وبأنَّ الَّذِي عَلَيْهِ الْمُحَقِّقُونَ كَالزَّمْخَشَرِيِّ: أَنَّ الْمُبَدَّلَ مِنْهُ فِي غَيْرِ بَدَلِ الْغَلْطِ لَيْسَ فِي حُكْمِ الْمُهْذَرِّ، بَلْ هُوَ لِلتَّمْهِيدِ وَالتَّوْطِئَةِ، وَلِإِقَادَةِ بِمَجْمُوعِهَا فَضْلَ تَأْكِيدِ وَتَبْيِينِ لَا يَكُونُ فِي الْإِفْرَادِ.
تيسير التحرير: ٢٨٢/١.

(٢) سورة الأحقاف، الآية: ٢٥.

(٣) قاله الجماهير، بل ادَّعى الشيخ أبو حامد فِيهِ إِجْمَاعاً.

(الإحكام: ٥١٧/٢، شرح التنقيح، ص: ٢٠٢، مختصر ابن الحاجب، ص: ٢٢٥، الفواتح: ١/

٤٨١، التيسير: ٢٧٣/١، التشنيف: ٣٨٣/١، نهاية السؤل: ٥١٩/١، رفع الحاجب: ٣٠٣/٣).

(٤) سورة الزمر، الآية: ٦٢.

(٥) الرسالة للإمام الشافعي، ص: ٥٣.

[تَخْصِيصُ الْكِتَابِ بِالْكِتَابِ]

وَالْأَصَحُّ جَوَازُ تَخْصِيصِ الْكِتَابِ بِهِ ؛

(وهو) أي الخلاف (لفظي) أي عائد إلى اللفظ والتسمية^(١) ، للاتفاق على الرجوع إلى العقل فيما نفي عنه حكم العام ، هل يُسمَّى نفيه لذلك تخصيصاً ؟ فعندنا : نعم ، وعندهم : لا . ويأتي مثل ذلك في التخصيص بالحس^(٢) .

[تَخْصِيصُ الْكِتَابِ بِالْكِتَابِ]

٢١٢

(وَالْأَصَحُّ جَوَازُ تَخْصِيصِ الْكِتَابِ بِهِ) أي بالكتاب^(٣) .

وقيل : « لا لقوله تعالى ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ »^(٤) ، فَوَضَّ الْبَيَانُ إِلَى رَسُولِهِ ﷺ ، والتخصيص بيان فلا يحصل إلا بقوله^(٥) .

وَلَنَا الْوَقُوعُ كَتَخْصِيصِ قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ ﴾^(٦) الشايل لأولات الأحمال بقوله تعالى ﴿ وَأُولَئِكَ الْأَحْمَالُ أَجْلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ﴾^(٧) .

فَإِنْ قَالَ الْمَانِعُ : « يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ التَّخْصِيصُ بِغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ السَّنَةِ ».

قلنا : الأصلُ عدمه ، وبيانُ الرسولِ يصدق بالبيان بما نزل عليه من القرآن ، وقد قال تعالى ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ ﴾^(٨) .

(١) قاله الإمام الرازي في المحصول (٧٣/٣) ، والأصفهاني في الكاشف (٤٩٩/٤) ، والمصنف في رفع الحاجب (٣٠٣/٣) .

(٢) ولذا لم يُفرِّد بالذكر ابنُ الحاجب في المختصر (ص : ٢٢٥) ، بل اكتفى بذكر العقل ، وتبعه القاضي العضد في شرح المختصر (ص : ٢٢٥) ، وشيخ الإسلام في غاية الوصول (ص : ٧٨) .

(٣) قاله الجماهير من الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة .

(الفواتح : ٥٨٥/١) مختصر ابن الحاجب ، ص : ٢٢٦ ، المحصول : ٧٧/٣ ، الإحكام : ٥٢٠/٢ ،

شرح التنقيح ، ص : ٢٠٢ ، رفع الحاجب : ٣٠٤/٣ ، شرح الكوكب : ٣٥٩/٣ .

(٤) سورة النحل ، الآية : ٤٤ .

(٥) قاله بعض الظاهرية . (المحصول : ٧٧/٣ ، شرح الكوكب : ٣٦٠/٣) .

(٦) سورة البقرة ، الآية : ٢٢٨ .

(٧) سورة الطلاق ، الآية : ٤ .

(٨) سورة النحل ، الآية : ٨٩ .

[تَخْصِيصُ السُّنَّةِ بِهَا ، وَبِالْكِتَابِ]

وَالسُّنَّةُ بِهَا ، وَبِالْكِتَابِ ؛

[تَخْصِيصُ السُّنَّةِ بِهَا ، وَبِالْكِتَابِ]

(وَالسُّنَّةُ بِهَا) أَي بِالسُّنَّةِ^(١) .

وقيل : «لَا» ، لقوله تعالى ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾^(٢) ، فَقَصَّرَ بَيَانَهُ عَلَى الْقُرْآنِ^(٣) .

لَنَا : الْوَقُوعُ كَتَخْصِيصِ حَدِيثِ الصَّحِيحَيْنِ : «فِيمَا سَقَتْ السَّمَاءُ الْعُشْرُ»^(٤) بِحَدِيثَيْهِمَا : «لَيْسَ فِيمَا دُونَ خَمْسَةِ أَوْسُقٍ صَدَقَةٌ»^(٥) .

(و) السُّنَّةُ (بِالْكِتَابِ)^(٦) .

وقيل : «لَا» ، لقوله تعالى ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾^(٧) جَعَلَهُ مُبَيِّنًا لِلْقُرْآنِ ، فَلَا يَكُونُ الْقُرْآنُ مُبَيِّنًا لِلْسُّنَّةِ^(٨) .

(١) قاله الجماهير من الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة. (الفواتح: ١/٥٩٤، مختصر ابن الحاجب، ص: ٢٢٧، شرح التنقيح، ص: ٢٠٦، الإحكام: ٢/٥٢٣، التشنيف: ١/٣٨٤، شرح الكوكب: ٣/٣٥٩، رفع الحاجب: ٣/٣١٣).

(٢) سورة النحل، الآية: ٨٩.

(٣) قاله داود الظاهري ومن تبعه. (رفع الحاجب: ٣/٣١٢، شرح الكوكب: ٣/٣٦٦).

(٤) رواه البخاري في الزكاة، باب العُشْرُ فِيمَا يُسْقَى مِنْ مَاءِ السَّمَاءِ (١٤٨٣)، ومسلم في الزكاة، باب مَا فِيهِ الْعُشْرُ أَوْ نَصْفُ الْعُشْرِ (٢٢٦٩)، وأبو داود في الزكاة، باب صَدَقَةُ الزَّرْعِ (١٥٩٧)، والترمذي في الزكاة، باب مَا جَاءَ فِي الصَّدَقَةِ فِيمَا يُسْقَى بِالْأَنْهَرِ وَغَيْرِهِ (٦٤٠)، والنسائي في الزكاة، باب مَا يُوْجِبُ الْعُشْرَ (٢٤٨٨)، وابن ماجه في الزكاة، باب صَدَقَةُ الزَّرْعِ وَالْثَمَارِ (١٨١٦ - ١٨١٨).

(٥) رواه البخاري في الزكاة، باب مَا أُدِّيَ زَكَاتُهُ لَيْسَ بِكُنْزٍ (١٤٠٥)، ومسلم في الزكاة، باب لَيْسَ فِيمَا دُونَ خَمْسَةِ أَوْسُقٍ صَدَقَةٌ (٢٢٦٠)، وأبو داود في الزكاة، باب مَا تَجِبُ فِيهِ الزَّكَاةُ (١٥٥٨)، والترمذي في الزكاة، باب مَا جَاءَ فِي صَدَقَةِ الزَّرْعِ وَالْثَمَرِ وَالْحَبُوبِ (٦٢٦)، والنسائي في الزكاة، باب زَكَاةُ الثَّمَرِ (٢٤٨٢)، وابن ماجه في الزكاة، باب مَا تَجِبُ فِيهِ الزَّكَاةُ مِنَ الْأَمْوَالِ (١٧٩٣).

(٦) قاله الجماهير من الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة. (الفواتح: ١/٥٩٤، مختصر ابن الحاجب، ص: ٢٢٧، الإحكام: ٢/٥٢٤، رفع الحاجب: ٣/٣١٣، شرح الكوكب: ٣/٣٥٩).

(٧) سورة النحل، الآية: ٤٤.

(٨) قاله القفال الشاشي من الشافعية، قال الزركشي في التشنيف (١/٣٨٥): «وَحَاصِلُ مَذْهَبِ الْقِفَالِ أَنَّهُ يَجْعَلُ السُّنَّةَ عَامًّا أُرِيدَ بِهِ الْخُصُوصُ، لَا عَامًّا مَخْصُوصًا».

[تَخْصِيصُ الْكِتَابِ بِالسَّنَةِ]

والكتابُ بِالمُتَوَاتِرَةِ؛ وكذا بِخَبَرِ الْوَاحِدِ عِنْدَ الْجُمْهُورِ؛ وثالثُها:

قلنا: لَا مَانِعَ مِنْ ذَلِكَ لِأَنَّهُمَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ تَعَالَى قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾^(١)، وَيَدُلُّ عَلَى الْجَوَازِ^(٢) قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾^(٣) وَإِنْ خُصَّ مِنْ عُمُومِهِ مَا خُصَّ بِغَيْرِ الْقُرْآنِ .

[تَخْصِيصُ الْكِتَابِ بِالسَّنَةِ]

(والكتابُ بِالمُتَوَاتِرَةِ)^(٤) .

وقيل: «لَا يَجُوزُ بِالسَّنَةِ الْمُتَوَاتِرَةِ الْفَعْلِيَّةِ، بِنَاءً عَلَى الْقَوْلِ الْآتِي: إِنَّ فَعَلَ الرَّسُولَ ﷺ لَا يُخَصِّصُ»^(٥) .

(وكذا) يَجُوزُ تَخْصِيصُ الْكِتَابِ (بِخَبَرِ الْوَاحِدِ عِنْدَ الْجُمْهُورِ)^(٦) مطلقاً.

وقيل: «لا، مطلقاً، وإلَّا لُتْرِكَ الْقَطْعِيُّ بِالظَّنِّي»^(٧) .

قلنا: مَحَلُّ التَّخْصِيصِ دَلَالَةُ الْعَامِّ، وَهِيَ ظَنِيَّةٌ، وَالْعَمَلُ بِالظَّنِّيِّنِ أَوَّلَى مِنْ الْإِعْزَاءِ أَحَدِهِمَا .

(١) سورة النجم، الآية: ٣ .

(٢) وَيَدُلُّ عَلَى الْوُقُوعِ تَخْصِيصُ حَدِيثِ السَّنَةِ: «أَمَرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ...» بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿حَتَّى يَعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾؛ وَتَخْصِيصُ حَدِيثِ أَبِي دَاوُدَ (٢٤٧٥) وَالتِّرْمِذِيِّ (١٤٠٠) وَقَالَ: «حَسَنٌ غَرِيبٌ» وَابْنُ مَاجَهَ (٣٢٠٧) وَأَحْمَدُ (٢٠٨٩٧): «مَا قُطِعَ مِنَ الْبَهِيمَةِ وَهِيَ حَيَّةٌ فَهَوَّ مَيْتٌ» بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمِنْ أَمْوَالِهِمَا وَأَوْبَارِهَا وَأَسْعَارِهَا﴾. (البناني: ٤٠/٢، شرح الكوكب: ٣/٣٦٣).

(٣) سورة النحل، الآية: ٨٩ .

(٤) قَالَ الْأَمْدِيُّ فِي الْإِحْكَامِ (٥٢٥/٢): «فَلَمْ أَعْرِفْ فِيهِ خِلَافاً»، وَقَالَ الزَّرْكَشِيُّ فِي التَّشْنِيفِ (٣٨٥/١) بَعْدَ كَلَامِ الْأَمْدِيِّ السَّابِقِ: «وَصَرَّحَ الْهِنْدِيُّ بِالْإِجْمَاعِ، وَمِنْهُمْ مَنْ حَكَى خِلَافاً فِي السَّنَةِ الْفَعْلِيَّةِ» .

(٥) انظر: «التخصيص بفعله ﷺ»، وتقريره: ٣٩٨/١ .

(٦) أَيِ الْمَالِكِيَّةِ وَالشَّافِعِيَّةِ، وَالْحَنَابِلَةِ، وَنَقَلَهُ الْأَمْدِيُّ، وَالرَّازِيُّ، وَابْنُ الْحَاجِبِ، وَالْعَضْدُ، وَالزَّرْكَشِيُّ، وَالشُّوْكَانِيُّ عَنِ الْأُئِمَّةِ الْأَرْبَعَةِ. (المحصول: ٨٥/٣، الإحكام: ٥٢٥/٢، مختصر ابن الحاجب، ص: ٢٢٨، البحر: ٣/٣٦٤، شرح العضد، ص: ٢٢٨، رفع الحاجب: ٣/٣١٣، التشنيف: ١/٣٨٥، إرشاد الفحول: ١/٤٤٩) .

(٧) قَالَه عَامَّةُ الْحَنْفِيَّةِ . (كشف الأسرار للنسفي: ١/١٦٥، نور الأنوار: ١/١٦٣، أصول الفقه للجصاص: ١/١٥٥، الفوائد: ١/٥٩٥) .

«إِنْ خُصَّ بِقَاطِعٍ»؛ وعندي: «عكسه»؛ وقال الكرخي: «بِمُنْفَصِلٍ»؛ وتوقف القاضي.

(وثالثها) قاله ابن أبان^(١): «يَجُوزُ (إِنْ خُصَّ بِقَاطِعٍ) كَالْعَقْلِ لضعف دلالته حينئذٍ، بخلاف ما لم يُخَصَّ، أو خُصَّ بظني»^(٢).

وهذا مبني على قول تقدم^(٣): «إِنْ مَا خُصَّ بِاللَفْظِ حَقِيقَةً».

قال المصنف: (وعندي عكسه)^(٤) أي ينبغي أن يقال حيث فرق بين القطعي والظني: «يَجُوزُ إِنْ خُصَّ بظني، لأنَّ المخرج بالقطعي لما لم تصح إرادته كأنَّ العام لم يتناولهُ، فيلحق بما لم يُخَصَّ».

(وقال الكرخي): «يَجُوزُ إِنْ خُصَّ (بِمُنْفَصِلٍ)^(٥) قطعي أو ظني لضعف دلالته حينئذٍ بخلاف ما لم يُخَصَّ أو خُصَّ بمتصل، فالعموم في المتصل بالنظر إليه فقط». وهذا مبني على قول تقدم^(٦): «إِنَّ الْمُخَصَّصَ بِمَا لَا يَسْتَقِلُّ حَقِيقَةً».

(وتوقف القاضي) أبو بكر الباقلاني عن القول بالجواز، وعدمه^(٧).

لنا: الوقوع كتخصيص قوله تعالى ﴿يُؤْيِيكُمُ اللَّهُ فِي بَيْتِهِ الْمُقَدَّسِ﴾^(٨) الشامل للولد الكافر بحديث الصحيحين: «لَا يَرِثُ الْمُسْلِمُ الْكَافِرَ، وَلَا الْكَافِرُ الْمُسْلِمَ»^(٩).

(١) وابن أبان: هو عيسى بن أبان بن صدقة أبو موسى الحنفي، كان من أصحاب الحديث، ثم غلب عليه الرأي، تفقه على محمد بن الحسن، كان مليحاً حافظاً للحديث، تولى قضاء العسكر، ثم قضاء البصرة، وكان أفقه قضاة البصرة، وأزكى شباب بغداد، ومن كتبه: إثبات القياس، خبر الواحد، توفي رحمه الله سنة ٢٢١هـ بالبصرة. (التهذيب للنووي: ٣٥٨/٢، الجواهر المضية: ٤٠١/١).

(٢) المحصول: ٨٥/٣، الإحكام: ٥٢٥/٢.

(٣) أي على قول ضعيف تقدم في «دلالة العام المخصوص...»: ٣٢٦/١.

(٤) قال الزركشي في التنيف (٣٨٦/١): «هذا الاحتمال من تفقه المصنف ولم يقل به أحد»، ثم وجهه بما لخصه الشارح هنا.

(٥) المحصول: ٨٥/٣، الإحكام: ٥٢٥/٢، التنيف: ٣٨٦/١.

(٦) أي على قول ضعيف تقدم في «دلالة العام المخصوص...»: ٣٢٦/١.

(٧) المحصول: ٨٥/٣، الإحكام: ٥٢٥/٢، التنيف: ٣٨٦/١.

(٨) سورة النساء، الآية: ١١.

(٩) رواه البخاري في الفرائض، باب لا يرث المسلم الكافر... (٦٧٦٤)، ومسلم في الفرائض، باب لا يرث المسلم الكافر... (٤١١٦)، وأبو داود في الفرائض، باب هل يرث المسلم الكافر (٢٩٠٩)، =

[التَّخْصِصُ بِالْقِيَاسِ]

وبالقياس، خلافاً للإمام: « مطلقاً »، وللجُبَّائِي: « إِنْ كَانَ خَفِيًّا »؛

وَيَأْتِي الْخِلَافُ فِي تَخْصِصِ الْمَتَوَاتِرَةِ بِخَبَرِ الْوَاحِدِ كَمَا يُؤْخَذُ مِنْ كَلَامِ الْقَاضِي ٢١٤ الْبَاقِلَانِي، ثُمَّ الْبِضَاوِي ^(١) زِيَادَةً عَلَى إِمَامِهِ ^(٢).

[التَّخْصِصُ بِالْقِيَاسِ]

(و) يَجُوزُ التَّخْصِصُ لِكِتَابٍ أَوْ سَنَةٍ (بِالْقِيَاسِ) الْمُسْتَنَدِ إِلَى نَصِّ خَاصٍّ، وَلَوْ كَانَ خَبَرٌ وَاحِدٌ ^(٣).

(خِلَافاً لِلْإِمَامِ) الرَّازِي فِي مَنْعِهِ ذَلِكَ (مُطْلَقاً)، بَعْدَ أَنْ جَوَّزَهُ حَدَرَأً مِنْ تَقْدِيمِ الْقِيَاسِ عَلَى النَّصِّ الَّذِي هُوَ أَصْلٌ لَهُ فِي الْجُمْلَةِ ^(٤).

(وَلِلْجُبَّائِي) أَبِي عَلِيٍّ فِي مَنْعِهِ ذَلِكَ (إِنْ كَانَ) الْقِيَاسُ (خَفِيًّا) لِضَعْفِهِ، بِخِلَافِ الْجَلِيِّ وَسَيَّاتِيَانِ ^(٥).

= وَالتَّرْمِذِيُّ فِي الْفَرَائِضِ، بَابُ إِبْطَالِ الْمِيرَاثِ بَيْنَ الْمُسْلِمِ وَالْكَافِرِ (٢١٠٨)، وَابْنُ مَاجَةٍ فِي الْفَرَائِضِ، بَابُ مِيرَاثِ أَهْلِ الْإِسْلَامِ مِنْ أَهْلِ الشَّرْكَ (٢٧٢٩).

(١) حَيْثُ فَرَضَ الْمَسْأَلَةَ فِيهِمَا، فَقَالَ فِي الْمَنْهَاجِ (١/٥٢٥)، نِهَایَةُ السُّوْلِ: «يَجُوزُ تَخْصِصُ الْكِتَابِ وَالسَّنَةِ الْمَتَوَاتِرَةِ بِخَبَرِ الْوَاحِدِ، وَمَنْعُهُ قَوْمٌ، وَابْنُ أَبَانَ فِيمَا لَمْ يُخَصَّصْ بِمَقْطُوعٍ، وَالْكَرْخِيُّ بِمَنْفَعِلٍ».

(٢) أَيْ الْإِمَامُ الرَّازِيُّ حَيْثُ لَمْ يَذْكُرْ «السَّنَةَ الْمَتَوَاتِرَةَ»، فَقَالَ فِي الْمَحْصُولِ (٣/٨٥): «يَجُوزُ تَخْصِصُ الْكِتَابِ بِخَبَرِ الْوَاحِدِ عِنْدَنَا»، وَمِثْلُهُ فِي الْإِحْكَامِ لِلْأَمْدِيِّ (٢/٥٢٥)، وَالْمَخْتَصَرُ لِابْنِ الْحَاجِبِ (ص: ٢٢٨)، وَشَرْحُ الْمَخْتَصَرِ لِلْعُضْدِ (ص: ٢٢٨).

(٣) قَالَ الْجَمَاهِيرُ مِنَ الْحَنْفِيَّةِ وَالْمَالِكِيَّةِ وَالشَّافِعِيَّةِ وَالْحَنَابِلَةِ.

(الْفَوَاتِحُ: ١/٦١٤، التَّيْسِيرُ: ١/٣٢١، مَخْتَصَرُ ابْنِ الْحَاجِبِ، ص: ٢٣٣، شَرْحُ التَّنْقِيحِ، ص: ٢٠٣، الْمَحْصُولُ: ٣/٩٥، الْإِحْكَامُ: ٢/٥٣٦، شَرْحُ الْكَوْكَبِ: ٣/٣٧٧).

(٤) قَالَ الزَّرْكَاشِيُّ فِي التَّنْشِيفِ (١/٣٨٧): «وَاخْتَارَهُ الْإِمَامُ الرَّازِيُّ فِي «الْمَعَالِمِ»، لَكِنَّهُ فِي الْمَحْصُولِ [٣/٩٦] اخْتَارَ الْجَوَّازَ، وَاسْتَدَلَّ لِتَرْجِيحِهِ، فَيَكُونُ لَهُ فِي الْمَسْأَلَةِ رَأْيَانٌ؛ فَلَا يَصِحُّ الْجَزْمُ عَنْهُ بِأَحَدِهِمَا إِلَّا إِذَا عُلِمَ الْمَتَأَخَّرُ».

قَوْلُ الشَّارِحِ «بَعْدَ أَنْ جَوَّزَهُ» صَرِيحٌ فِي أَنَّ الْمَنْعَ مَتَأَخَّرَ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

(٥) فِي «أَقْسَامِ الْقِيَاسِ بِاعْتِبَارِ الْقُرَّةِ»: ٢/٣٠٨.

ولابن أبان: «إِنْ لَمْ يُخَصَّ مطلقاً»؛ ولقوم: «إِنْ لَمْ يَكُنْ أصلُهُ مُخَصَّصاً مِنَ العموم»؛ وللكرخي: «إِنْ لَمْ يُخَصَّ بِمُنْفَصِلٍ». وتوقف إمام الحرمين.

وهذا التفصيل منقول عن ابن سريج^(١)، والمنقول عن الجبائي المنع مطلقاً^(٢)، وقد مشى المصنف على ذلك في شرحه^(٣).

(و) لابن أبان: «إِنْ لَمْ يُخَصَّ مطلقاً»، بخلاف ما خصص، فيجوز لضعف دلالة حيث^(٤). وقد أطلق الجواز هنا، وقيد في خبر الواحد بـ«القاطع» كما تقدم^(٥)، لأن القياس عنده أقوى من خبر الواحد ما لم يكن راويه فقيهاً.

(و) خلافاً (لقوم) في منيعهم (إِنْ لَمْ يَكُنْ أصلُهُ) أي أصل القياس وهو المقيس عليه (مُخَصَّصاً) بفتح الصاد (من العموم) أي مُخَرَّجاً منه بِنَصِّ بَأَنْ لَمْ يُخَصَّ، أو خُصَّ منه غير أصل القياس، بخلاف أصله، فكأن التخصيص بنصه^(٦).

(وللكرخي) في عنقه (إِنْ لَمْ يُخَصَّ بِمُنْفَصِلٍ) بَأَنْ لَمْ يُخَصَّ أو خُصَّ بِمُتَصِلٍ، بخلاف المُنفَصِلِ لضعف دلالة العام حيث^(٧).

(وتوقف إمام الحرمين) عن القول بالجواز وعدمه^(٨).

(١) نقله عنه الإمام الرازي في المحصول (٩٦/٣)، والآمدي في الإحكام (٥٣٦/٢)، وابن الحاجب في المختصر (ص: ٢٣٣)، والعَضُد في شرح المختصر (ص: ٢٣٣)، والفواتح (٦١٥/١)، والإسنوي في نهاية السؤل (٥٢٩/١)، والزرکشي في التثنيف (٣٨٧/١)، وابن النجار في شرح الكوكب (٣/٣٧٨).

(٢) كما في المحصول (٩٦/٣)، والإحكام (٥٣٦/٢)، مختصر ابن الحاجب (ص: ٢٣٣)، شرح العضد (ص: ٢٣٣)، نهاية السؤل (٥٢٩/١)، البحر (٣٧٠/٣)، والفواتح (٦١٥/١).

وبه قال الظاهرية. (المُحَلَّى لابن حزم: ٥٦/١).

(٣) أي في شرح المنهاج (١٧٦/٢)، وشرح المختصر (٣٥٦/٣).

(٤) وبه قال الحنفية. (الفواتح: ٦١٤/١، التيسير: ٣٢٢/١).

(٥) انظر: «تخصيص الكتاب بالسنة»: ٣٩٣/١.

(٦) كذا ذكره ابن الحاجب في المختصر (ص: ٢٣٣)، وتبعه العضد في شرحه (ص: ٢٣٣)، والمصنف في شرح المختصر (٣٥٧/٣) وهنا، ولم يذكره الإمام والآمدي. والله أعلم.

(٧) المحصول: ٩٦/٣، الإحكام: ٥٣٧/٢، نهاية السؤل: ٥٢٩/١، التثنيف: ٣٨٧/١.

(٨) وكذا القاضي أبو بكر الباقلاني. (المحصول: ٩٦/٣، الإحكام: ٥٣٦/٢، مختصر ابن الحاجب، ص: ٢٣٣، التثنيف: ٣٨٧/١).

[التَّخْصِصُ بِالْمَفْهُومِ]

وبالْفُحْوَى ، وكذا دَلِيلُ الْخُطَابِ فِي الْأَرْجَحِ .

لَنَا : أَنَّ إِعْمَالَ الدَّلِيلَيْنِ أَوَّلَى مِنْ إِلْغَاءِ أَحَدِهِمَا ، وَقَدْ خُصَّ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾^(١) الْأُمَّةُ ، فَعَلِيهَا نَصْفُ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿فَإِذَا أَكْمَلْتُمْ فَتَنُوا﴾^(٢) ، وَالْعَبْدُ بِالْقِيَاسِ عَلَى الْأُمَّةِ فِي النِّصْفِ أَيْضًا^(٣) .

[التَّخْصِصُ بِالْمَفْهُومِ]

(و) يَجُوزُ التَّخْصِصُ (بِالْفُحْوَى) أَي مَفْهُومِ الْمُوَافَقَةِ وَإِنْ قُلْنَا : « الدَّلَالَةُ عَلَيْهِ قِيَاسِيَّةٌ » ، كَأَنْ يُقَالَ : « مَنْ أَسَاءَ إِلَيْكَ فَعَاقِبُهُ » ، ثُمَّ يُقَالَ : « إِنْ أَسَاءَ إِلَيْكَ زَيْدٌ فَلَا تُقَلِّ لَهُ أَفْ »^(٤) .

(وكذا دَلِيلُ الْخُطَابِ) أَي مَفْهُومِ الْمَخَالَفَةِ يَجُوزُ التَّخْصِصُ بِهِ (فِي الْأَرْجَحِ)^(٥) .

وَقِيلَ : « لَا ، لِأَنَّ دَلَالََةَ الْعَامِ عَلَى مَا دَلَّ عَلَيْهِ الْمَفْهُومُ بِالْمَنْطُوقِ ، وَهُوَ مُقَدَّمٌ عَلَى الْمَفْهُومِ »^(٦) .

وُجِبَ أَنْ الْمُقَدَّمُ عَلَيْهِ مَنْطُوقٌ خَاصٌّ ، لَا مَا هُوَ مِنْ أَفْرَادِ الْعَامِ ، فَالْمَفْهُومُ مُقَدَّمٌ عَلَيْهِ ، لِأَنَّ إِعْمَالَ الدَّلِيلَيْنِ أَوَّلَى مِنْ إِلْغَاءِ أَحَدِهِمَا .

وَقَدْ خُصَّ حَدِيثُ ابْنِ مَاجَةَ وَغَيْرِهِ : «الْمَاءُ لَا يُنَجِّسُهُ شَيْءٌ ، إِلَّا مَا غَلَبَ عَلَى رِيحِهِ وَطَعْمِهِ»

(١) سورة النور، الآية: ٢ .

(٢) سورة النساء، الآية: ٢٥ .

(٣) اتفق العلماء على أَنَّ حَدَّ الْأُمَّةِ الْمُزَوَّجَةِ إِذَا ثَبَتَ زَنَاهَا نَصْفُ الْحَدِّ (أَي خَمْسُونَ جَلْدَةً) لِنَصِّ آيَةِ الْكَرِيمَةِ ، وَلَكِنَّهُمْ اخْتَلَفُوا فِي حَدِّ الْعَبْدِ الْمُحْصَنِ إِذَا ثَبَتَ زَنَاهُ عَلَى مَذْهَبَيْنِ : الْأَوَّلُ : أَنَّ عَلَيْهِ نَصْفُ الْحَدِّ (خَمْسُونَ جَلْدَةً) قِيَاسًا عَلَى الْأُمَّةِ ، قَالَ الْحَنْفِيُّ وَالْمَالِكِيُّ وَالشَّافِعِيُّ وَالْحَنَابِلَةُ .

الثَّانِي : أَنَّ عَلَيْهِ الْحَدَّ الْكَامِلَ (مِائَةَ جَلْدَةٍ) ، قَالَ الظَّاهِرِيُّ . (فتح القدير: ٢٠/٥ ، الشرح الكبير: ٦/٣١٤ ، تحفة المحتاج: ١١/٤١٤ ، المغني: ١٢/١٩٢ ، المحلى: ١١/٢٣٧) .

(٤) أَي بِاتِّفَاقِ الْقَائِلِينَ بِمَفْهُومِ الْمُوَافَقَةِ . (الإحكام: ٢/٥٢٩ ، رفع الحاجب: ٣/٣٣٦) .

(٥) أَي بِاتِّفَاقِ الْقَائِلِينَ بِمَفْهُومِ الْمَخَالَفَةِ ، وَهُمْ الْمَالِكِيُّ وَالشَّافِعِيُّ وَالْحَنَابِلَةُ . (مختصر ابن الحاجب، ص: ٢٢٩ ، رفع الحاجب: ٣/٣٣٦ ، نهایة السؤل: ١/٥٣٢ ، شرح الكوكب: ٣/٣٨٨) .

(٦) قَالَهُ الْحَنْفِيُّ وَالظَّاهِرِيُّ . (كشف الأسرار للبخاري: ٢/٢٥٣ ، الفوائد: ١/٦٠٣ ، التيسير: ١/٣١٦ ،

الإحكام لابن حزم: ٧/٨٨٧) .

[التَّخْصِيصُ بِفَعْلِهِ ﷺ ، وَتَقْرِيرِهِ]

وبفعله عليه السَّلامُ ، وَتَقْرِيرِهِ فِي الْأَصَحِّ .

وَلَوْ نَهَيْتُهُ^(١) بِمَفْهُومِ حَدِيثِ ابْنِ مَاجَةَ وَغَيْرِهِ : « إِذَا بَلَغَ الْمَاءُ قُلَّتَيْنِ لَمْ يَحْمِلِ الْخَبَثَ »^(٢) .

[التَّخْصِيصُ بِفَعْلِهِ ﷺ ، وَتَقْرِيرِهِ]

(و) يَجُوزُ التَّخْصِيصُ (بِفَعْلِهِ عَلَيْهِ) الصَّلَاةُ وَ(السَّلَامُ ، وَتَقْرِيرُهُ فِي الْأَصَحِّ) فِيهِمَا^(٣) كما لو قال : «الْوَصَالُ حَرَامٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ» ، ثُمَّ فَعَلَهُ ، أَوْ أَقَرَّ مَنْ فَعَلَهُ .

وَقِيلَ : « لَا يُخَصِّصَانِ ، بَلْ يَنْسَخَانِ حُكْمَ الْعَامِ ، لِأَنَّ الْأَصْلَ تَسَاوِي النَّاسِ فِي الْحُكْمِ »^(٤) .

وَأُجِيبَ أَنَّ التَّخْصِيصَ أَوْلَى مِنَ النَّسْخِ لِمَا فِيهِ مِنْ إِعْمَالِ الدَّلِيلَيْنِ .

٢١٦

(١) رواه ابن ماجه في الطهارة ، باب الحياض (٥٢١) ، وقال البوصيري في زوائده (٢٩٦/١) : « هذا إسناده فيه ابن رشد ، وهو ضعيف ، واختلف عليه مع ضعفه » ، والطبراني في الكبير (١٠٤/٨) ، والطارقطني في الطهارة (٤٢) ، والبيهقي في الطهارة (٢٥٩/١) ، وقال الحافظ الهيثمي في المجمع (٥٠١/١) : « وفيه رشدين بن سعد ، وهو ضعيف » .

وقال الحافظ ابن حجر في بلوغ المرام (ص : ١٠) : « ضعفه أبو حاتم » .

(٢) رواه ابن حبان في الطهارة ، باب المياہ (١٢٤٩) ، والحاكم في الطهارة (١٣٢ / ١) ، وقال : « صحيح على شرط الشيخين » ، ووافقه الذهبي ، وابن خزيمة في الوضوء ، باب ذكر الماء الذي لا ينجس والذي ينجس (٩٢) ، وأبو داود في الطهارة باب ما ينجس الماء (٦٣) ، والنسائي في الطهارة باب التوقيف في الماء (٤٦ / ١) .

وأما حكم الماء : فقد اختلف العلماء في نجاسة الماء بملاقاة نجس على مذهبين : الأول : أن الماء القليل ينجس بمجرد ملاقاة النجاسة ، وأما الكثير فلا ينجس إلا إذا تغير أحد أوصافه الثلاثة : الطعم ، الريح ، اللون ، قاله الحنفية والشافعية والحنابلة ؛ الثاني : أن الماء لا ينجس إلا إذا تغير أحد أوصافه الثلاثة سواء كان قليلاً أو كثيراً ، قاله المالكية . (حاشية ابن عابدين : ٢٩٦ / ١ ، الشرح الكبير : ١ / ٥٨ ، الهداية : ١ / ١٥٤ ، تحفة المحتاج : ١ / ١٣٦ ، المغني : ١ / ٣٤) .

وقد وافق الحنفية الجمهور من حيث الحكم وإن خالفهم من حيث المأخذ ، وقد بينت ذلك مفصلاً في رسالتي : « أثر اختلاف العلماء في دلالة العام في الفروع » .

(٣) قاله الجماهير من الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة .

(الفوائد : ١ / ٦٠٥ ، ٦٠٦ ، مختصر ابن الحاجب ، ص : ٢٣٠ ، شرح التنقيح ، ص : ٢١١ ، الإحكام :

٢ / ٥٣٠ ، ٥٣٢ ، نهاية السؤل : ١ / ٥٣٥ ، شرح الكوكب : ٣ / ٣٧١) .

(٤) خالف في الأول الكرخي ومن تبعه ، وفي الثاني طائفة شاذة . (الإحكام : ٢ / ٥٣٠ ، ٥٣٢ ، =

[عَطَفُ الْعَامِّ عَلَى الْخَاصِّ لَا يُخَصِّصُ]

وَالْأَصَحُّ أَنَّ عَطَفَ الْعَامِّ عَلَى الْخَاصِّ لَا يُخَصِّصُ ؛

[عَطَفُ الْعَامِّ عَلَى الْخَاصِّ لَا يُخَصِّصُ]

(وَالْأَصَحُّ أَنَّ عَطَفَ الْعَامِّ عَلَى الْخَاصِّ)، وَعَكْسُهُ ^(١) الْمَشْهُورُ، (لَا يُخَصِّصُ) الْعَامُّ ^(٢).

وقيل: «يُخَصِّصُهُ أَي يَقْصُرُهُ عَلَى ذَلِكَ الْعَامِّ لَوْجُوبِ الْإِشْتِرَاكِ بَيْنَ الْمَعْطُوفِ وَالْمَعْطُوفِ عَلَيْهِ فِي الْحُكْمِ وَصِفَتِهِ» ^(٣). قلنا: فِي الصِّفَةِ مَمْنُوعٌ.

مثالُ العكس: حديثُ أَبِي دَاوُدَ وَغَيْرِهِ: «لَا يُقْتَلُ مُسْلِمٌ بِكَافِرٍ، وَلَا ذُو عَهْدٍ فِي عَهْدِهِ» ^(٤) يعني بكافرٍ حَرْبِيٍّ لِلْإِجْمَاعِ عَلَى قِتْلِهِ بِغَيْرِ الْحَرْبِيِّ.

فقال الحنفي: «يَقْدَرُ «الْحَرْبِيُّ» فِي الْمَعْطُوفِ عَلَيْهِ لَوْجُوبُ الْإِشْتِرَاكِ بَيْنَ الْمَعْطُوفَيْنِ فِي صِفَةِ الْحُكْمِ». فَلَا يُنَافِي مَا قَالَ بِهِ مَنْ قَتَلَ الْمُسْلِمَ بِالذِّمِّيِّ ^(٥).

ومثالُ الأول: أَنْ يُقَالَ: «لَا يُقْتَلُ الذِّمِّيُّ بِكَافِرٍ، وَلَا الْمُسْلِمُ بِكَافِرٍ» فالمرادُ بِالْكَافِرِ الْأَوَّلِ الْحَرْبِيِّ.

فيقول «الحنفي»: وَالْمَرَادُ بِالْكَافِرِ الثَّانِي الْحَرْبِيُّ أَيْضاً لَوْجُوبِ الْإِشْتِرَاكِ الْمَذْكُورِ.

وقد تقدَّم ^(٦) التَّمْثِيلُ بِالْحَدِيثِ لِمَسْأَلَةِ: «أَنَّ الْعَطْفَ عَلَى الْعَامِّ لَا يَقْتَضِي الْعُمُومَ فِي الْمَعْطُوفِ عَلَى الْأَصَحِّ».

= الْمَحْصُولُ: ٨١/٣ - ٨٣، شرح الكوكب: ٣٧١/٣ - ٣٧٣).

(١) أي وعكسه (وهو: العطف على العام لا يُفِيدُ الْعُمُومَ) الْمَشْهُورُ بِالْخِلَافِ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْحَنْفِيَّةِ. (البناني: ٤٨/٢).

(٢) قاله المالكية والشافعية والحنابلة. (مختصر ابن الحاجب: ١٢٠/٢، شرح التنقيح، ص: ٢٢٢، نهاية السؤل: ٥٤٥/١، التشنيف: ٣٩١/١، شرح الكوكب: ٢٦٢/٣).

(٣) قاله الحنفية. (التيسير: ٢٦١/١).

(٤) سَبَقَ تَخْرِيجُهُ فِي «الْعَطْفِ عَلَى الْعَامِّ لَا يُفِيدُ الْعُمُومَ»: ٣٥٤/١.

(٥) اتفق العلماء على أَنَّ الْمُسْلِمَ وَالذِّمِّيَّ لَا يُقْتَلَانِ بِالْحَرْبِيِّ، وَاخْتَلَفُوا فِي قِتْلِ الْمُسْلِمِ بِالذِّمِّيِّ عَلَى مَذْهَبَيْنِ، الْأَوَّلُ الصَّحِيحُ: لَا يُقْتَلُ، قاله المالكية، والشافعية، والحنابلة؛ الثَّانِي: يُقْتَلُ، قاله الحنفية.

(فتح القدير: ٢٥٦/٨، شرح الزرقاني: ٢٥١/٤، مغني المحتاج: ٢٤/٤، المغني: ٦٥٣/٧).

(٦) فِي «الْعَطْفِ عَلَى الْعَامِّ لَا يُفِيدُ الْعُمُومَ»: ٣٥٤/١.

[رُجُوعُ الضَّمِيرِ إِلَى بَعْضِ الْعَامِّ لَا يُخَصِّصُ]

وَرُجُوعُ الضَّمِيرِ إِلَى الْبَعْضِ ؛

[مَذْهَبُ الرَّائِي لَا يُخَصِّصُ]

وَمَذْهَبُ الرَّائِي وَلَوْ صَحَابِيًّا ؛

[رُجُوعُ الضَّمِيرِ إِلَى بَعْضِ الْعَامِّ لَا يُخَصِّصُ]

(و) الْأَصَحُّ أَنَّ (رُجُوعَ الضَّمِيرِ إِلَى الْبَعْضِ) أَي بَعْضِ الْعَامِّ لَا يُخَصِّصُهُ^(١).وقيل: « يُخَصِّصُهُ: أَي يَقْصُرُهُ عَلَى ذَلِكَ الْبَعْضِ حَذَرًا مِنْ مُخَالَفَةِ الضَّمِيرِ لِمَرْجِعِهِ »^(٢).
وأجيب: بأنه لا مَحْذُورَ فِي الْمُخَالَفَةِ لِقَرِينَةٍ.مثاله: قوله تعالى ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَرْجِعْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ﴾^(٣) مع قوله بعده ﴿وَيُعَوِّلُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ﴾^(٤)،
فضمير «يُعَوِّلُهُنَّ» لـ «الرَّجَعِيَّاتِ»، ويشمل قوله «وَالْمُطَلَّقَاتُ» معهنَّ الْبَوَائِنَ .
وقيل: « لا ، وَيُوَخِّذُ حُكْمَ الْبَوَائِنِ مِنْ دَلِيلٍ آخَرَ ».

٢١٧

[مَذْهَبُ الرَّائِي لَا يُخَصِّصُ]

(و) الْأَصَحُّ أَنَّ (مَذْهَبَ الرَّائِي) لِلْعَامِّ بِخِلَافِهِ لَا يُخَصِّصُهُ (وَلَوْ) كَانَ (صَحَابِيًّا)^(٥).
وقيل: « يُخَصِّصُهُ مطلقاً »^(٦).وقيل: « إِنْ كَانَ صَحَابِيًّا »^(٧).

وقيل: « إِنْ مَذْهَبُ الصَّحَابِيِّ غَيْرَ الرَّائِي لِلْعَامِّ بِخِلَافِهِ يُخَصِّصُهُ أَيْضاً، أَي يَقْصُرُهُ عَلَى مَا

(١) قاله المالكية والشافعية والحنابلة وكثير من الحنفية. (الإحكام: ٥٣٥/٢، مختصر ابن الحاجب، ص: ٢٣٠، شرح التنقيح، ص: ٢١٨، التشنيف: ٣٩١/١، شرح الكوكب: ٣٨٩/٣).

(٢) قاله الحنفية. (التيسير: ٣٢٠/١، الفواتح: ٦١١/١).

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٢٨.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٢٢٨.

(٥) قاله المالكية والشافعية. (العقد، ص: ٧٣٣، الإحكام للباقي، ص: ١٧٦، مختصر ابن الحاجب، ص: ٢٣٠، المستصفى: ١٥٧/٢، المحصول: ١٢٦/٣، الإحكام: ٥٣٣/٢، رفع الحاجب: ٣٤٢/٣).

(٦) قاله بعض الأصوليين. (التشنيف: ٣٩٢/١).

(٧) قاله الحنفية والحنابلة. (الفواتح: ٦٠٨/١، شرح الكوكب: ٣٧٥/٣).

عَدَا مَحَلَّ الْمُخَالَفَةِ، لَأَنَّهَا إِنَّمَا تَصُدَّرُ عَنْ دَلِيلٍ»^(١).

قلنا: فِي ظَنِّ الْمُخَالَفِ، لَا فِي نَفْسِ الْأَمْرِ، وَلَيْسَ لغيرِهِ اتِّبَاعُهُ، لِأَنَّ الْمُجْتَهِدَ لَا يُقْلَدُ مُجْتَهِدًا كَمَا سَيَأْتِي^(٢).

مثاله: حَدِيثُ الْبَخَارِيِّ مِنْ رِوَايَةِ ابْنِ عَبَّاسٍ: «مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ»^(٣) مَعَ قَوْلِهِ - إِنْ ثَبَّتَ عَنْهُ^(٤) - : «إِنَّ الْمُرْتَدَّةَ لَا تُقْتَلُ»^(٥).

وَيَحْتَمِلُ أَنَّهُ كَانَ يَرَى أَنَّ «مَنْ» الشَّرْطِيَّةَ لَا تَتَنَاوَلُ الْمُؤَنَّثَ، كَمَا هُوَ قَوْلٌ تَقَدَّمَ^(٦).

(١) وَلَمْ يَذْكُرْ هَذَا الْقَوْلُ فِي الْمَحْصُولِ: ١٢٦/٣، الْإِحْكَامُ: ٥٣٣/٢، الْفَوَاتِحُ: ٦٠٨/١، مُخْتَصَرُ ابْنِ الْحَاجِبِ، ص: ٢٣٠، التَّشْنِيفُ: ٣٩٢/١، شَرْحُ الْكَوْكَبِ: ٣٧٥/٣، شَرْحُ التَّنْقِيحِ، ص: ٢١٩.

(٢) فِي كِتَابِ «الْاجْتِهَادِ».

(٣) رَوَاهُ الْبَخَارِيُّ فِي اسْتِثْنَاءِ الْمُرْتَدِّينَ وَالْمُعَانِدِينَ وَقِتَالِهِمْ، بَابُ حُكْمِ الْمُرْتَدِّ وَالْمُرْتَدَّةِ وَاسْتِثْنَاءِهِمْ (٦٠٢٢)، وَأَبُو دَاوُدَ فِي الْحُدُودِ، بَابُ الْحُكْمِ فِيمَنْ ارْتَدَّ (٤٣٥١)، وَالتِّرْمِذِيُّ فِي الْحُدُودِ، بَابُ مَا جَاءَ فِي الْمُرْتَدِّ (١٤٥٨)، وَالنَّسَائِيُّ فِي تَحْرِيمِ الدَّمِّ، بَابُ الْحُكْمِ فِي الْمُرْتَدِّ (١٠٥/٧)، وَابْنُ مَاجَهٍ فِي الْحُدُودِ، بَابُ الْمُرْتَدِّ عَنْ دِينِهِ (٢٥٣٥).

(٤) قَالَ الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي الْأَمِّ (كِتَابُ الْحُدُودِ، خِلَافُ بَعْضِ النَّاسِ فِي الْمُرْتَدِّ وَالْمُرْتَدَّةِ، ٧/٤١٧): «وَخَالَفْنَا بَعْضَ النَّاسِ فِي غَيْرِ مَا خَالَفْنَا فِيهِ بَعْضُ أَصْحَابِنَا مِنَ الْمُرْتَدِّ وَالْمُرْتَدَّةِ، فَقَالَ: إِذَا ارْتَدَّتِ الْحُرَّةُ عَنِ الْإِسْلَامِ حُبِسَتْ وَلَمْ تُقْتَلْ، وَكَانَتْ حُجَّتُهُ مَا رَوَاهُ عَنْ عَاصِمٍ عَنْ أَبِي رَزِينٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَحِمَهُمَا فِي الْمَرْأَةِ الْمُرْتَدَّةِ: «تَحْبَسُ وَلَا تُقْتَلُ».

وَكَلِمَتِي بَعْضٌ مِنْ يَذْهَبُ هَذَا الْمَذْهَبُ وَبِحَضْرَتِنَا جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ بِالْحَدِيثِ، فَسَأَلْنَاهُمْ عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ، فَمَا عَلِمْتُ وَاحِدًا مِنْهُمْ سَكَتَ عَنْ أَنْ قَالَ: «هَذَا خَطَأٌ، وَالَّذِي رَوَى هَذَا لَيْسَ مِنْهُمْ يَثْبُتُ أَهْلُ الْعِلْمِ حَدِيثُهُ». فَقُلْتُ لَهُ: قَدْ سَمِعْتُ مَا قَالَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ لَا شَكَّ فِي عِلْمِهِمْ بِحَدِيثِكَ».

(٥) رَوَاهُ الدَّارِقُطْنِيُّ فِي الْحُدُودِ (٣١٨٦، ٣١٨٧، ٩٢/٣) مِنْ قَوْلِهِ، وَرَوَاهُ بِطَرِيقِ عَبْدِ اللَّهِ الْجَزْرِيِّ عَنْ عَفَّانَ عَنْ شُعْبَةَ... عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ مَرْفُوعًا، وَلَيْسَ بِشَيْءٍ، عَبْدِ اللَّهِ الْجَزْرِيُّ كَذَّابٌ كَانَ يَضَعُ الْحَدِيثَ عَلَى عَفَّانَ وَغَيْرِهِ، وَلَمْ يَرَوْهُ شُعْبَةُ. (سُنَنِ الطَّارِقُطْنِيِّ: ٩٢/٣، الْمَنَارُ الْمَنِيفُ، ص: ١٣٥، نَقْلُ الْمَنْقُولِ، ص: ١٢٦، كَشَفُ الْخِفَاءِ: ٥٦٨/٢). أَمَّا الْحُكْمُ الْفَقْهِيُّ: اتَّفَقَ الْعُلَمَاءُ عَلَى قَتْلِ الْبَالِغِ الْعَاقِلِ إِذَا ارْتَدَّ عَنْ دِينِهِ - وَالْعِيَازُ بِاللَّهِ - وَلَمْ يَرْجَعْ، وَاخْتَلَفُوا فِي قَتْلِ الْمَرْأَةِ الْبَالِغَةِ الْعَاقِلَةِ إِذَا ارْتَدَّتْ عَلَى مَذْهَبَيْنِ: الْأَوَّلُ الصَّحِيحُ: تُقْتَلُ، قَالَهُ الْمَالِكِيُّ، وَالشَّافِعِيُّ، وَالْحَنَابِلَةُ. الثَّانِي: لَا تُقْتَلُ، قَالَهُ الْحَنَفِيُّ.

(فَتْحُ الْقَدِيرِ: ٣١١/٥، الشَّرْحُ الْكَبِيرُ: ٢٨٦/٦، تَحْفَةُ الْمُحْتَاجِ: ٣٨٦/١١، الْمَغْنِي: ١٠١/١٢).

(٦) أَيُّ قَوْلٍ ضَعِيفٌ تَقَدَّمَ فِي «مَنْ تَشْمَلُ النِّسَاءُ»، بِخِلَافِ جَمْعِ الْمَذْكَرِ السَّالِمِ: ٣٥٩/١.

[ذَكَرَ بَعْضُ أَفْرَادِ الْعَامِّ لَا يُخَصَّصُ]

وَذَكَرَ بَعْضُ أَفْرَادِ الْعَامِّ لَا يُخَصَّصُ .

[ذَكَرَ بَعْضُ أَفْرَادِ الْعَامِّ لَا يُخَصَّصُ]

(و) الْأَصْحَحُ أَنَّ (ذَكَرَ بَعْضُ أَفْرَادِ الْعَامِّ) بِحُكْمِ الْعَامِّ (لَا يُخَصَّصُ) الْعَامِّ^(١) .

وقيل : « يُخَصَّصُهُ ، أي يقصره على ذلك البعض بمفهوميهِ ، إذ لا فائدة لذكره إلا ذلك »^(٢) .

قلنا : مفهوم « اللَّقَبِ » ليس بحجة ، وفائدة ذكر البعض نفْيُ احتمالِ تخصيصه من العام .

مثاله : حديث الترمذي وغيره « أَيَّمَا إِهَابٍ دُبِعَ فَقَدْ طَهَّرَ »^(٣) مع حديث مسلم « أَنَّهُ ﷺ مَرَّ بِشَاةٍ مَيْتَةٍ ، فَقَالَ : هَلَّا أَخَذْتُمْ إِهَابَهَا ، فَدَبَّغْتُمُوهُ ، فَانْتَفَعْتُمْ بِهِ ؟ فَقَالُوا : إِنَّهَا مَيْتَةٌ . فَقَالَ : إِنَّمَا حَرُمَ أَكْلُهَا »^(٤) .

وروى مسلم^(٥) الأول بلفظ : « إِذَا دُبِعَ الْإِهَابُ فَقَدْ طَهَّرَ » ، والبخاري الثاني بلفظ : « هَلَّا اسْتَمْتَعْتُمْ بِإِهَابِهَا... الخ »^(٦) ، ولمسلم نحوه .

٢١٨

(١) قاله الجماهير من الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة .

(التيسير: ٣١٩/١ ، الفواتح: ٦١٠/١ ، شرح التنقيح، ص: ٢١٩ ، المحصول: ١٢٩/٣ ، الإحكام: ٢/

٥٣٤ ، نهاية السؤل: ٥٤٣/١ ، التشيف: ٣٩٣/١ ، شرح الكوكب: ٣٨٦/٣) .

(٢) قاله أبو ثور من أصحاب الشافعي. (المحصول: ١٢٩/٣ ، الإحكام: ٥٣٤/٢) .

(٣) رواه أبو داود في اللباس ، باب في أهَاب الميته (٤١٢٣) ، والترمذي في اللباس ، باب ما جاء في

جلود الميته إذا دُبِغَت (١٧٢٨) ، وقال : « حسن صحيح » ، والنسائي في الفرع والعتيرة ، باب جلود

الميته (٤٢٥٢) ، وابن ماجه في اللباس ، باب لبس جلود الميته إذا دُبِغَت (٣٦١٠) .

(٤) رواه مسلم في الحيض ، باب طهارة جلود الميته بالدباغ (٨٠٤) ، وأبو داود في اللباس ، باب في

أهَب الميته (٤١٢٠) ، والترمذي في اللباس ، باب ما جاء في جلود الميته... (١٧٢٩) ، والنسائي في

الفرع والعتيرة ، باب جلود الميته (٤٢٤٦) وابن ماجه في اللباس ، باب لبس جلود الميته... (٣٦١٠) .

(٥) رواه مسلم في الحيض ، باب طهارة جلود الميته بالدباغ (٨١٠) .

(٦) رواه البخاري في البيوع ، باب جلود الميته قبل أن تُدَبِّغَ (١٢٢١) .

[العادة المقررة، أو المجمع عليها تُخصّص]

وأنّ العادة بترك بعض الأمور تُخصّص إن أقرّها النبي ﷺ ، أو الإجماع ؛

[العادة بتناول بعض العام لا يُخصّص]

وأنّ العام لا يقصر على المعتاد، ولا على ما وراءه، بل تُطرح له العادة السابقة؛

[العادة المقررة، أو المجمع عليها تُخصّص]

(و) الأصح (أنّ العادة بترك بعض الأمور) به، أو بفعل بعض المنهي عنه بصيغة العام (تُخصّص) العام أي تقصره على ما عدا المترك أو المفعول (إن أقرّها النبي ﷺ) بأن كانت في زمانه وعلم بها ولم ينكرها، (أو الإجماع) بأن فعلها الناس من غير إنكار عليهم، والمُخصّص في الحقيقة التقرير أو الإجماع الفعلي . بخلاف ما ليست كذلك، كأن لم تكن في زمانه عليه الصلاة والسلام، أو لم يجمعوا عليها، لأنّ فعل الناس ليس بحجة في الشرع .

وهذا توسط للإمام الرازي^(١) ومن تبعه بين إطلاق بعضهم التخصيص نظراً إلى أنّها إجماع فعلي^(٢)، وبعضهم عدّه نظراً إلى أنّ فعل الناس ليس بحجة^(٣).

[العادة بتناول بعض العام لا يُخصّص]

(و) الأصح (أنّ العام لا يقصر على المعتاد، ولا على ما وراءه) أي وراء المعتاد. (بل) تُطرح له أي للعام في الثاني (العادة السابقة) عليه، فيجري على عمومها في القسمين^(٥).
وقيل: «يقصر على ما ذكر»^(٦).

الأول: كما لو كان عادتهم تناول البرّ، ثمّ نهي عن بيع الطعام بجنبيه متفاضلاً. فقيل: يقصر «الطعام» على البرّ المعتاد.

(١) المحصول: ١٣١/٣ .

(٢) كالبيضاوي في المنهاج (١/٥٣٣) والمصنف هنا، والزرکشي في التشنيف (١/٣٩٤) .

(٣) قاله الحنفية والمالكية. (الفواتح: ١/٥٨٤، التيسير: ١/٣١٧) .

(٤) قاله الحنابلة. (شرح الكوكب: ٣/٣٨٧) .

(٥) قاله المالكية والشافعية والحنابلة. (مختصر ابن الحاجب، ص: ٢٣١، الإحكام: ٢/٥٣٤، رفع

الحاجب: ٣/٣٤٥، التشنيف: ١/٣٩٤، شرح الكوكب: ٣/٣٩) .

(٦) قاله الحنفية. (التيسير: ١/٣١٧، الفواتح: ١/٥٨٤) .

[حِكَايَةُ الْحَالِ لَا تَعْمُ]

وَأَنَّ نَحْوَ « قَضَى بِالشُّفْعَةِ لِلجَّارِ » لَا يَعْمُ وَفَاقًا لِلْأَكْثَرِ .

والثاني : كما لو كان عَادَتُهُمْ بَيْعَ الْبُرِّ بِالْبُرِّ مُتَفَاضِلًا ، ثُمَّ نَهَى عَنْ بَيْعِ الطَّعَامِ بِجَنْسِهِ مُتَفَاضِلًا ، فَقِيلَ : يُقْصَرُ الطَّعَامُ عَلَى غَيْرِ الْبُرِّ الْمُعْتَادِ .
والأصحُّ : لَا ، فِيهِمَا .

[حِكَايَةُ الْحَالِ لَا تَعْمُ]

(و) الْأَصْحُ (أَنَّ نَحْوَ) قَوْلِ الصَّحَابِيِّ : « أَنَّهُ ﷺ (قَضَى بِالشُّفْعَةِ لِلجَّارِ) » ، قَالَ الْمُصَنِّفُ كَغَيْرِهِ ^(١) مِنَ الْمُحَدِّثِينَ : « هُوَ لَفْظٌ لَا يُعْرَفُ ، وَيَقْرُبُ مِنْهُ مَا رَوَاهُ النَّسَائِيُّ عَنِ الْحَسَنِ قَالَ : « قَضَى النَّبِيُّ ﷺ بِالْجَوَارِ » ^(٢) ، وَهُوَ مُرْسَلٌ ^(٣) ، (لَا يَعْمُ) كُلُّ جَارٍ وَنَحْوِهِ (وَفَاقًا لِلْأَكْثَرِ) ^(٤) .
وقيل : « يَعْمُ ذَلِكَ ، لِأَنَّ قَائِلَهُ عَدْلٌ عَارِفٌ بِاللُّغَةِ وَالْمَعْنَى ، فَلَوْ لَا ظُهُورُ عُمُومِ الْحُكْمِ مِمَّا صَدَرَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ لَمْ يَأْتِ هُوَ فِي الْحِكَايَةِ لَهُ بِلَفْظِ عَامٍ كَالْجَارِ » ^(٥) .

- (١) كَالْحَافِظِ ابْنِ كَثِيرٍ ، حَيْثُ قَالَ فِي تَحْفَةِ الطَّالِبِ (ص : ٢٧٨) : « فَلَمْ أَرْ هَذَا اللَّفْظَ فِي شَيْءٍ مِنْ كُتُبِ السَّنَةِ » .
- (٢) رَوَاهُ النَّسَائِيُّ فِي الْبَيْعِ ، بَابُ ذِكْرِ الشُّفْعَةِ (٧/٣٢١) بِلَفْظِ « قَضَى النَّبِيُّ ﷺ بِالشُّفْعَةِ وَالْجَوَارِ » ، وَابِيهَيْهِ فِي السَّنَنِ (١١/١٠٦) ، وَالتَّطَبُّعِيُّ فِي الْكَبِيرِ (٧/١٩٣) ، كُلِّهِمْ عَنِ الْحَسَنِ عَنْ سَمُرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مَرْفُوعًا . وَكَذَا رَوَاهُ أَحْمَدُ (٧٨٩) عَنْ رَجُلٍ عَنْ عَلِيٍّ وَابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا .
- (٣) اِخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي سَمَاعِ الْحَسَنِ مِنْ سَمُرَةَ غَيْرَ حَدِيثِ الْعَقِيقَةِ عَلَى مَذْهَبَيْنِ : الْأَوَّلُ : أَنَّهُ سَمِعَ مِنْهُ ، قَالَ التِّرْمِذِيُّ فِي السَّنَنِ (٥/١٩٦) : « سَمِعْتُ الْحَسْنَ مِنْ سَمُرَةَ صَحِيحٌ ، هَكَذَا قَالَ عَلِيُّ بْنُ الْمَدِينِيِّ وَغَيْرُهُ » ؛ الثَّانِي : أَنَّهُ لَمْ يَسْمَعْ مِنْهُ ، إِنَّمَا هُوَ كِتَابٌ ، عَزَاهُ الْمُنْذَرِيُّ (تَحْفَةُ الْأَحْوَزِيِّ : ٤/٥٠٨) ، وَابِيهَيْهِ (٨/٣٥) إِلَى الْأَكْثَرِ ، وَاخْتَارَاهُ . وَبَنَاءً عَلَى الثَّانِي قَالَ الْمُصَنِّفُ : « وَهُوَ مُرْسَلٌ » ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ .
- (٤) رَفَعَ الْحَاجِبُ لِلْمُصَنِّفِ : ١٧٢/٣ .
- (٥) قَالَ الشَّافِعِيُّ . وَالْمُصَنِّفُ تَابَعَ فِي الْعَزْوِ لِلْأَكْثَرِ لِلْأَمْدِيِّ ، وَاکْتَفَى فِي شَرْحِ الْمَخْتَصَرِ عَلَى عَزْوِهِ إِلَى الشَّافِعِيِّ . (الْمَحْصُولُ : ٢/٣٩٣ ، الْإِحْكَامُ : ٢/٤٦٤ ، نِهَايَةُ السُّؤْلِ : ١/٤٦٧ ، رَفَعَ الْحَاجِبُ : ٣/١٧٢ ، غَايَةُ الْوُصُولِ ، ص : ٨٠) .
- (٥) قَالَ الْحَنْفِيَّةُ ، وَالْمَالِكِيَّةُ ، وَالْحَنَابِلَةُ . (الْفَوَاتِحُ : ١/٤٦٥ ، التَّيْسِيرُ : ١/٢٩ ، مَخْتَصَرُ ابْنِ الْحَاجِبِ ، ص : ١٩٨ ، شَرْحُ الْكُوكَبِ : ٣/٢٣١) .

اتَّفَقَ الْعُلَمَاءُ إِلَّا أَبَا بَكْرَ الْأَصَمَّ عَلَى ثُبُوتِ الشُّفْعَةِ لِلشَّرِيكِ فِيمَا يَقْبَلُ الْقِسْمَةَ ، وَلَكِنْهُمْ اِخْتَلَفُوا فِي ثُبُوتِهَا لِلجَّارِ عَلَى مَذْهَبَيْنِ : الْأَوَّلُ : لَا تَثْبُتُ ، قَالَهُ الْمَالِكِيَّةُ وَالشَّافِعِيَّةُ وَالْحَنَابِلَةُ . الثَّانِي : تَثْبُتُ ، قَالَهُ =

مسألة: [جواب السائل]

جواب السائل غير المستقل دونه تابع للسؤال في عموميه .

قلنا: ظهور عموم الحكم بحسب ظنه، ولا يلزمنا اتباعه في ذلك .

ونحو «قضى الخ» قول أبي هريرة رضي الله عنه: «أن النبي ﷺ نهى عن بيع الغرر» رواه مسلم^(١) .
ف قيل: يعم كل غرر^(٢) .

(مسألة: [جواب السائل])

جواب السائل غير المستقل دونه أي دون السؤال (تابع للسؤال في عموميه) وخصوصيه^(٣) .

العموم: كحديث الترمذي وغيره: «أن النبي ﷺ سئل عن بيع الرطب بالتمر؟ فقال: أينقص الرطب إذا ييس؟ قالوا: نعم، قال: فلا إذن»^(٤) . فيعم كل بيع للرطب بالتمر.

والخصوص: كما لو قال للنبي ﷺ قائل: توشأت من ماء البحر، فقال: يُجزئك، فلا يعم غيره .

= الحنفية. (الهدية: ١٧٢/٤، الشرح الكبير: ٤٧٣/٣، مغني المحتاج: ٤٠٢/٢، الروض المربع، ص: ٣٦٨، نيل الأوطار: ٣٣١/٥).

(١) رواه مسلم في البيوع، باب بطلان بيع الحصة... (٣٧٨٧)، وأبو داود في البيوع والإجازات، باب بيع الغرر (٣٣٧٦)، والترمذي في البيوع، باب ما جاء في كراهية بيع الغرر (١٢٣٠)، والنسائي في البيوع، باب بيع الحصة (٤٥٣٠)، وابن ماجه في البيوع، باب النهي عن بيع الحصة (٢١٩٣).
اتفق العلماء على بطلان البيع الذي فيه غرر فاحش كبيع الأجنه في البطون، كما اتفقوا على صحة البيع الذي فيه غرر حقيق كبيع الحبة المحشوة، ولكنهم اختلفوا في بعض البيوع كبيع العين الغائبة لاختلاف نظرهم، فبعضهم يرى أن الغرر حقيق يصحح البيع، والآخر يرى أن الغرر فاحش فيبطل البيع. (شرح مسلم للنووي: ٣٩٦/١٠).

(٢) قاله الحنفية، والمالكية، والحنابلة .

(التيسير: ٢٤٩/١، مختصر ابن الحاجب، ص: ١٩٨، شرح الكوكب: ٢٣١/٣).

(٣) أي وفاقاً. (التيسير: ٢٦٣/١، الفواتح: ٤٥٥/١، مختصر ابن الحاجب، ص: ١٩٠).

(٤) رواه أبو داود في البيوع، باب في التمر بالتمر (٢٩١٥)، والترمذي - واللفظ له - في البيوع، باب ما جاء في النهي عن المحاقلة والمزابنة (١١٤٦)، وقال: «حسن صحيح»، والنسائي في البيوع، باب شراء التمر بالرطب (٤٤٦٩)، وابن ماجه في التجارات، باب بيع الرطب بالتمر (٢٢٥٥).

والمُسْتَقْلُ الْأَخْصُ جائز إذا أمكنت معرفة الْمَسْكُوتِ ؛ وَالْمُسَاوِي واضح ؛ وَالْعَامُّ على سبب خاصٍ مُعْتَبَرٌ عُمُومُهُ عِنْدَ الْأَكْثَرِ

٢٢٠

(والمستقل^(١)) دون السؤال (الأخص) منه (جائز إذا أمكنت معرفة المسكوت) منه كأن يقول النبي ﷺ: «مَنْ جَامِعٌ فِي نَهَارِ رَمَضَانَ فَعَلِيهِ كَفَارَةٌ كَالْمُظَاهِرِ»، في جواب: مَنْ أَفْطَرَ فِي نَهَارِ رَمَضَانَ مَاذَا عَلَيْهِ؟ فَيَفْهَمُ مِنْ قَوْلِهِ: «جَامِعٌ» أَنَّ الْإِفْطَارَ بغيرِ الْجَمَاعِ لَا كَفَارَةَ فِيهِ. فإذا لَمْ تُمَكِّنْ مَعْرِفَةَ الْمَسْكُوتِ مِنَ الْجَوَابِ فَلَا يَجُوزُ لِتَأْخِيرِ الْبَيَانِ عَنْ وَقْتِ الْحَاجَةِ.

(والمساوي واضح) كأن يقال: «مَنْ جَامِعٌ فِي نَهَارِ رَمَضَانَ فَعَلِيهِ كَفَارَةٌ كَالْمُظَاهِرِ» في جواب: مَا عَلَى مَنْ جَامِعٌ فِي نَهَارِ رَمَضَانَ؟

وَكأنْ يَقَالَ لِمَنْ قَالَ: جَامِعٌ فِي نَهَارِ رَمَضَانَ مَاذَا عَلَيَّ؟: «عَلَيْكَ كَفَارَةٌ كَالْمُظَاهِرِ».

وَالْأَعْمُ ذَكَرَهُ فِي قَوْلِهِ: (وَالْعَامُّ) الْوَارِدُ (على سببٍ خاصٍ) فِي سَوَالٍ أَوْ غَيْرِهِ (مُعْتَبَرٌ عُمُومُهُ عِنْدَ الْأَكْثَرِ) نَظراً لظَاهِرِ اللَّفْظِ.

وقيل: «هو مقصورٌ على السببِ لوروده فيه».

مثاله: حديثُ الترمذي وغيره عن أبي سعيد^(٢) الخدري «قيل: يا رسول الله، أَمْ نَتَوَضَّأُ مِنْ بَثْرِ بُضَاعَةٍ، وَهِيَ بَثْرٌ يُلْقَى فِيهَا الْحَيْضُ وَلُحُومُ الْكِلَابِ وَالتَّنِينُ؟ فَقَالَ ﷺ: إِنَّ الْمَاءَ طَهُورٌ، لَا يَنْجَسُهُ شَيْءٌ»^(٣) أَي مِمَّا ذَكَرَ، وَغَيْرِهِ.

(١) الجواب المستقل إن كان أخص من السؤال فلا يجوز تعدية حكمه إلى غيره وفقاً.

وإن كان مساوياً للسؤال في عموميه أو خصوصيه تابع الجواب السؤال وفقاً أيضاً.

وإن كان أعم من السؤال اختلفوا فيه، فقال الجماهير: هو على عموميه؛ وقال أبو ثور، والمُزْنِي، والقفال: هو مقصورٌ على السبب. (التيسير: ١/٢٦٤، الإحكام: ٢/٤٤٨، الفواتح: ١/٤٥٥، مختصر ابن الحاجب، ص: ١٩٠، التشنيف: ١/٣٩٧، شرح الكوكب: ٣/١٧٤).

(٢) وأبو سعيد: هو سعد بن مالك بن سنان أبو سعيد الأنصاري الخزرجي الخدري، استُصْغِرَ يَوْمَ أُحُدٍ، واستشهد أبوه في أحد، غزا مع النبي ﷺ ثَلاثي عَشْرَ غَزْوَةً، كان من فقهاء الصحابة وفضلائهم البارعين، بايع رسول الله ﷺ على أن لا تأخذه في الله لومة لائم، روي له ألف حديث، توفي بالمدينة سنة: ٦٤ هـ، ودُفِنَ بالبقيع. (التهذيب للنووي: ٢/٥١٨).

(٣) رَوَاهُ الترمذي في الطهارة، باب ما جاء أنَّ الْمَاءَ لَا يَنْجَسُهُ شَيْءٌ (٦١)، وقال: «حسن»، وأبو داود في الطهارة، باب ما جاء في بثر بضاعة (٦١)، والنسائي في المياه، باب ذكر بثر بضاعة (٣٢٤). وصححه أحمد وابن معين وغيرهما. (التلخي الحبير: ١/١٨، تحفة الأحوذى: ١/١٨١).

فَإِنْ كَانَتْ قَرِينَةُ التَّعْمِيمِ فَأَجْدَرُ .

وقيل : «مِمَّا ذَكَرَ، وهو ساكتٌ عن غيره» .

(فَإِنْ كَانَتْ) أي وَجَدَتْ (قَرِينَةُ التَّعْمِيمِ فَأَجْدَرُ) أي أَوْلَى بِاعتبارِ العمومِ مِمَّا لَوْ لَمْ تُكُنْ .

مثاله : قوله تعالى ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾^(١)، وسَبَبُ نزوله^(٢) - على ما قيل

- رجلٌ سَرَقَ رداءً صفوان^(٣)، فذَكَرُ «السَّارِقَةُ» قَرِينَةً عَلَى أَنَّهُ لَمْ يُرَدِّ بِ«السَّارِقِ» ذَلِكَ الرَّجُلَ ٢٢١ فقط .

وقوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ بِأَمْرِكُمْ أَنْ تُوَدُّوا الْأُمْنِيَّتَ إِلَىٰ آهْلِهَا﴾^(٤)، نَزَلَ كَمَا قَالَ الْمُسْفِرُونَ فِي شَأْنِ مِفْتَاحِ الْكَعْبَةِ لَمَّا أَخَذَهُ عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ مِنْ عَثْمَانَ بْنِ طَلْحَةَ^(٥) قَهْرًا بِأَمْرِ النَّبِيِّ ﷺ يَوْمَ الْفَتْحِ لِيُصَلِّيَ فِيهَا، فَصَلَّى فِيهَا رَكَعَتَيْنِ، وَخَرَجَ، فَسَأَلَهُ الْعَبَّاسُ^(٦) ﷺ الْمِفْتَاحَ لِيَضُمَّ السَّدَانَةَ إِلَى السَّقَايَةِ، فَنَزَلَتِ الْآيَةُ، فَرَدَّ عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْمِفْتَاحَ بِأَمْرِ النَّبِيِّ ﷺ لَهُ بِذَلِكَ، فَتَعَجَّبَ عَثْمَانُ مِنْ ذَلِكَ، فَقَرَأَ لَهُ عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْآيَةَ، فَجَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَاسْلَمَ^(٧)، فِذَكَرُ «الْأَمَانَاتِ» بِالْجَمْعِ قَرِينَةً عَلَى إِرَادَةِ الْعُمومِ.

(١) سورة المائدة، الآية : ٣٨ .

(٢) ذكره الحافظ ابن حجر في الفتح : ١٠٨/١٢ .

(٣) وَصَفْوَانُ : هو صفوان بن أمية بن خلف القرشي الجمحي المكي، أسلم بعد أن شهد حنيناً مع النبي ﷺ كافرًا، وكان من المؤلفة ثُمَّ حسن إسلامه، وشهد اليرموك، توفي ﷺ سنة ٣٦ هـ على الأصح . (التهذيب للنووي : ٢٣٧/١) .

(٤) سورة النساء، الآية : ٥٨ .

(٥) وعثمان بن طلحة : هو عثمان بن طلحة بن أبي طلحة العبدي، أسلم مع الخالد في هدنة الحديبية، شهد فتح مكة، دفع رسول الله ﷺ مفتاح الكعبة إليه وإلى ابن عمه شيبه بن عثمان، توفي ﷺ بمكة سنة ٤٢ هـ على الأصح . (التهذيب للنووي : ٢٩٦/١) .

(٦) وَالْعَبَّاسُ : هو العباس بن عبد المطلب عم رسول الله ﷺ وكان أسنَّ منه بستين، كان رثياً جليلاً في القرش قبل الإسلام، وكان إليه عمارة المسجد الحرام والسقاية، خرج إلى البدر مكرهاً، وأسر، وفدى نفسه وابني عمه : عقيلًا ونوفلًا، أسلم عقبه، شهد الحنين، وثبت حين انهزم الناس، كان رسول الله ﷺ يُكرمه ويعظمه، وكان وصولاً لأرحامه، ذا رأيٍ وعقلٍ، جواداً، توفي ﷺ سنة ٣٢ هـ . (التهذيب للنووي : ٢٤٤/١) .

(٧) ثَبَابُ النُّقُولِ لِلْسُّيُوطِيِّ، ص : ١٢٧ .

[العبرة بعموم اللفظ، لا بخصوص السبب]

وصورة السبب قطعية الدخول عند الأكثر، فلا تُخصَّصُ بالاجتهاد. وقال الشيخ .

[العبرة بعموم اللفظ، لا بخصوص السبب]

(وصورة السبب) التي وردَ عليها العام (قطعية الدخول) فيه (عند الأكثر) من العلماء لوروده فيها، (فلا تُخصَّصُ) منه (بالاجتهاد) ^(١).

وقال الشيخ الإمام) والد المصنف كغيره: «هي (ظنية) كغيرها، فيجوز إخراجها منه بالاجتهاد كما لزم من قول أبي حنيفة: «إنَّ ولدَ الأمة المُستَفَرَّشة يُلْحَقُ سَيِّدُهَا ما لم يُقرَّ به، نظراً إلى أنَّ الأصل في اللحاق الإقرار» ^(٢) إخراجُه ^(٣) من حديث الصحيحين وغيرهما: «الولدُ لِلْفَرَّاشِ» الوارد في ابنِ أُمِّ زَمْعَةَ ^(٤) المختصم فيه عبدُ بنِ زَمْعَةَ ^(٥) وسعدُ بنُ أبي وقاص ^(٦)، وقد قال ﷺ: «هُوَ لَكَ يَا عَبْدُ بنِ زَمْعَةَ» ^(٧)، وفي رواية أبي داود «هُوَ أَخُوكَ يَا عَبْدُ».

(١) قاله الحنفية، والمالكية، والشافعية، والحنابلة. (الفواتح: ٤٥٨/١، التيسير: ٢٦٧/١، مختصر ابن

الحاجب، ص: ١٩٠، الإحكام: ٤٥٠/٢، رفع الحاجب: ١٢٨/٣، التنيف: ٣٩٨/١).

(٢) الفواتح: ٤٥٨/١، التيسير: ٢٦٥/١.

(٣) قوله «إخراجه» فاعلُ «لزم». (البناني: ٦٠/٢).

قال أمير باد شاه في التيسير (٢٦٥/١): «والتحقيق أنَّ أبا حنيفة لم يُخرج نوعَ السبب، لأنَّ الأُمَّة ما لم تُصِرْ أمٌ ولَدَ عنده ليست بفراش، فالأُمَّة الموطوءة التي لم يثبت نسبٌ وليدها بغير دعوة السيد ليست بفراش عنده، والإخراجُ فرغُ الدخول».

(٤) وابن أُمِّ زَمْعَةَ: هو عبد الرحمن بن زمعة بن قيس القرشي العامري الصحابي ﷺ، وهو ابن وليدة زمعة، وهو أخو سودة بنت زمعة أم المؤمنين ﷺ. (التهذيب للنووي: ٢٧٦/١).

(٥) وَعَبْدُ بنِ زَمْعَةَ: هو عبد بن زمعة بن قيس القرشي العامري الصحابي ﷺ، أمُّه عاتكة بنت الأحنف، وهو أخو سودة أم المؤمنين لأبيها، وكان شريفاً من سادات الصحابة. (التهذيب للنووي: ٢٨٨/١).

(٦) وسعدُ بن أبي وقاص: هو سعدُ بن مالك بن وهب، أبو إسحاق، أحد العشرة المبشرين بالجنة، وأحد أصحاب الشورى الستة، أسلم قديماً بعد أربعة وهو ابن سبع عشرة سنة، وهو أول من رمى سهماً في الإسلام في سبيل الله، شهد مع النبي ﷺ المشاهد كلها، وكان مُجَابَ الدعوة، وكان يُسمَّى فارسَ الإسلام، قهرَ الفرس وكسرى، بنى الكوفة ووليَ العراق، وبالجملَة مناقبه لا تُحصى ﷺ، توفي سنة ٥٥هـ. (التهذيب للنووي: ٢٠٨/١).

(٧) رواه البخاري في الحدود، باب للعهر الحجر (٦٨١٧)، ومسلم في الرضاع، باب الولد للفراش... (٣٥٩٨)، وأبو داود في الطلاق، باب الولد للفراش (٢٢٧٣)، والترمذي في الرضاع، باب ما جاء =

الإمام: «ظنية». قال: «ويقرب منها خاص في القرآن تلاه في الرسم عام للمناسبة».

(قال) والد المصنف أيضاً: «(ويقرب منها) أي من صورة السبب حتى يكون قطعي الدخول أو ظنيّه (خاص في القرآن تلاه في الرسم) أي رسم القرآن بمعنى: وضعه مواضعه وإن لم يتلّه في التزول (عام للمناسبة) بين التالي والمتلو كما في قوله تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ وَأَطِيعُونَ﴾^(١).

فإنه - كما قال أهل التفسير - إشارة إلى كعب بن الأشرف ونحوه من علماء اليهود لما قدموا مكة، وشاهدوا قتلى بدر، حرّضوا المشركين على الأخذ بشأريهم، ومُحاربة النبي ﷺ، فسألوهم: من أهدى سبيلاً محمد وأصحابه أم نحن؟

فقالوا: أنتم، مع علمهم بما في كتابهم من نعت النبي ﷺ المنطبق عليه، وأخذ المواقف^(٢) عليهم: أن لا يكتموا، فكان ذلك أمانة لازمة لهم، ولم يؤدوها حيث قالوا للكفار: أنتم أهدى سبيلاً حسداً للنبي ﷺ^(٣).

وقد تضمنت الآية مع هذا القول التوعد عليه المفيد للأمر بمقابلته المشتمل على أداء الأمانة التي هي بيان صفة النبي ﷺ بإفادته أنه الموصوف في كتابهم، وذلك مناسبت لقوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾^(٤).

فهذه عام في كل أمانة، وذلك خاص بأمانة هي بيان صفة النبي ﷺ بالطريق السابق، والعام تالي للخاص في الرسم مُتراخ عنه في التزول بست سنين مدة ما بين بدر في رمضان من السنة الثانية والفتح في رمضان من الثامنة.

وإنما قال: «ويقرب منها كذا» لأنه لم يرد العام بسببه بخلافها.

= أن الولد للفراش (١١٥٧)، والنسائي في الطلاق، باب إلحاق الولد بالفراش... (٣٤٨٤)، وابن ماجه في النكاح، باب الولد للفراش وللعاشر الحجر (٢٠٠٤).

(١) سورة النساء، الآية: ٥١، والآية كاملة: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ وَأَطِيعُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَتُّؤَالَهُ أَهْدَىٰ مِنَ الْغَيِّ مَأْمُونًا سَبِيلًا﴾^(١).

(٢) قوله «وأخذ المواقف» مجرور بالعطف على قوله «من نعت النبي ﷺ». (البناني: ٨٠/٢).

(٣) كُباب القول للسيوطي، ص: ١٤٩، أسباب النزول لنيسابوري، ص: ١١٤.

(٤) سورة النساء، الآية: ٥٨.

مسألة: [تعارضُ العامِّ والخاصِّ]

إن تأخَّرَ الخاصُّ عن العملِ نَسَخَ العامُّ ، وإلَّا خَصَّصَ . وقيل : «إنَّ تَقَارَنًا تَعَارَضًا في قدرِ الخاصِّ كالتَّصْنِينِ» . وقال الحنفية وإمامُ الحرمين : «العامُّ الْمُتَأَخَّرُ ناسخٌ ،

(مسألة: [تعارضُ العامِّ والخاصِّ])

إن تأخَّرَ الخاصُّ عن العملِ (بالعامِّ المُعارِضِ له أي عن وقته (نسخَ) الخاصُّ (العامِّ) بالنسبة لِمَا تَعَارَضَا فيه .

(وإلَّا) بأن تأخَّرَ الخاصُّ عن الخطابِ بالعامِّ دونَ العملِ ، أو تأخَّرَ العامُّ عن الخاصِّ مطلقاً ، أو تَقَارَنَا بأن عَقَّبَ أحدهما الآخرَ ، أو جهَلَ تاريخُهما (خَصَّصَ) الخاصُّ العامَّ^(١) .

(وقيل : «إنَّ تَقَارَنًا تَعَارَضًا في قدرِ الخاصِّ كالتَّصْنِينِ) أي كالمختلفين بالنصوصية بأن يكونا خاصَّين ، فيحتاجُ العملُ بالخاصِّ إلى مُرجِّحٍ له «^(٢) .

قلنا : الخاصُّ أقوى من العامِّ في الدلالة على ذلك البعض ، لأنه يجوزُ أن لا يُرادَ من العامِّ بخلافِ الخاصِّ فلا حاجة إلى مُرجِّحٍ له .

(وقالت الحنفية وإمامُ الحرمين : «العامُّ الْمُتَأَخَّرُ» عن الخاصِّ (ناسخٌ) له كعكسه بجامعِ التأخيرِ»^(٣) .

قلنا : الفرقُ أن العملَ بالخاصِّ المتأخِّرِ لا يلغي العامِّ بخلافِ العكس ، والخاصُّ أقوى من العامِّ في الدلالة ، فوجبَ تقديمه عليه .

(١) قاله المالكية والشافعية والحنابلة . (مختصر ابن الحاجب : ١٤٢/٢ ، القواطع : ١٩٨/١ ، التشنيف : ٤٠٠/١ ، شرح الكوكب : ٣٨٢/٣) .

(٢) قاله بعض أهل الظاهر ، واختاره القاضي الباقلاني . (القواطع : ١٩٩/١) .

(٣) والحاصل عندهم أربع حالات : الأولى : أن يُجهَلَ التاريخُ ، فلا يُعلَمُ تأخُّرُ أحدهما عن الآخرِ ، فيثبتُ التعارضُ فيما تناولا ، فيعمد إلى الترجيح ، فإن لم يُمكن الترجيحُ التوقفُ .

الثانية : أن يُعلَمَ التاريخُ ويكونُ أحدهما مُقارناً للآخرِ في التَّوَلُّوْلِ إن كانا من القرآن ، أو الورود إن كانا من الحديث ، فيُخَصَّصُ الخاصُّ العامِّ .

الثالثة : أن يُعلَمَ التاريخُ ، ويكونُ الخاصُّ متأخراً في التَّوَلُّوْلِ أو الورود ، فينسَخُ الخاصُّ العامِّ في قدرِ ما تناولا .

الرابعة : أن يُعلَمَ التاريخُ ، ويكونَ العامُّ متأخراً في التَّوَلُّوْلِ أو الورود ، فينسَخُ العمُّ الخاصُّ .

(التلويح : ٤١/١ ، الفواتح : ٤٨٥/١ ، أثر الاختلاف للشيخ العلامة الأستاذ الخن ، ص : ٢١٥) .

فَإِنْ جُهِلَ فَالْوَقْفُ، أَوْ التَّسَاقُطُ .

وإن كان عاماً من وجهٍ فالترجيحُ . وقالت الحنفيةُ : « المتأخرُ ناسخٌ » .

قالوا : « (فَإِنْ جُهِلَ) التاريخُ بينهما (فالوقفُ) عن العملِ بواحدٍ منهما ، (أَوْ التَّسَاقُطُ) ٢٢٤ » لهما .

قولانٍ لهما متقاربانِ لاحتمالِ كلٍ منهما عندهم لأن يكونَ منسوخاً باحتمالِ تقدُّمه على الآخرِ .

مثالُ العامِ : ﴿ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ ﴾ ^(١) ، والخاصُّ أن يقال : « لَا تَقْتُلُوا أَهْلَ الذِّمَّةِ » .

(وإن كان) كلُّ منهما (عاماً من وجهٍ) خاصاً من وجهٍ (فالترجيحُ) بينهما من خارجٍ لتعادُلِهِما تقارُّناً أو تأخُّرَ أحدهما ^(٢) .

(وقالت الحنفيةُ : « المتأخرُ ناسخٌ » للمتقدم ^(٣) .

مثالُ ذلك : حديثُ البخاري : « مَنْ بَدَّلَ دِيْنَهُ فَاقْتُلُوهُ » ^(٤) ، وحديثُ الصحيحين : « أَنَّهُ ﷺ نَهَى عَنْ قَتْلِ النِّسَاءِ » ^(٥) .

فالأولُ عامٌّ في الرجالِ والنساءِ ، خاصٌّ بأهلِ الردةِ ، والثاني خاصٌّ بالنساءِ عامٌّ في الحُرِّيَّاتِ والمُؤْتَدَّاتِ .

(١) سورة التوبة، الآية : ٥ .

(٢) قاله المالكية، والشافعية، والحنابلة. (شرح التنقيح، ص : ٩٦، التشنيف : ٤٠١/١، غاية الوصول، ص : ٨١، شرح الكوكب : ٣/٣٨٥) .

(٣) كذا عزاه المصنف للحنفية، وقال الزركشي في التشنيف (٤٠١/١) : « وما حكاه [أي المصنف هنا] عن الحنفية من أنَّ المتأخر هو الناسخُ، فهو قياسٌ ما سبق عنهم في التي قبلها، لكن لم أجده صريحاً في هذه المسألة » .

ولذا قال ابنُ التجار في شرح الكوكب (٣/٣٨٥) : « وحكي عن الحنفية : المتأخر منهما ناسخٌ » .

(٤) سبق تخريجه في « مذهب الراوي لا يُخصَّصُ » : ٤٠١/١ .

(٥) رَوَاهُ البخاري في الجهاد والسير، باب قتل النساء في الحرب (٢٧٩٢)، ومسلم في الجهاد، باب تحريم قتل النساء والصبيان في الحرب (٣٢٨٠)، وأبو داود في الجهاد، باب في قتل النساء (٢٢٩٨)، والترمذي في السير، باب ما جاء في النهي عن قتل النساء والصبيان (١٤٩٤)، وابن ماجه في الجهاد، باب الغارة وقتل النساء والصبيان (٢٨٣١) .

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

المطلق والمقيّد

المطلق والمقيد

[تعريف المطلق]

المُطْلَق: الدالُّ على الماهية بلا قيد. وزعم الأمدي وابن الحاجب: «دلالته على الوحدّة الشائعة»، حيث توهُّما النكرة.

(المطلق والمقيد)

أي هذا مبحثهما (المطلق: الدالُّ على الماهية بلا قيد) من وحدّة أو غيرها^(١).

(وزعم الأمدي وابن الحاجب: دلالته أي دلالة المسمى بـ «المطلق» من الأمثلة الآتية ونحوها (على الوحدّة الشائعة حيث) عرفاه بما يأتي عنهما، (توهُّما النكرة) أي وقع في وَهْمهما، أي في ذهنهما: أنه هي، لأنها دالة على الوحدّة الشائعة، حيث لم تُخرج عن الأصل من الأفراد إلى التثنية أو الجمع. والمطلق عندهما كذلك أيضاً، إذ عرفه الأول^(٢) بـ «النكرة في سياق الإثبات»، والثاني^(٣) بـ «ما دلَّ على شائع في جنسه».

٢٢٥

وخرج الدالُّ على شائع في نوعه نحو «رقبة مؤمنة».

قال المصنف: «وعلى الفرق بين المطلق والنكرة أسلوب المنطقيين، والأصوليين، وكذا الفقهاء حيث اختلفوا فيمن قال لا مرأته: «إن كان حملك ذكراً فأنت طالق» فكان ذكرين:

قبل: لا تطلق نظراً للتكثير المُشعر بالتوحيد^(٤). وقيل: تطلق حملاً على الجنس^(٥)»^(٦).

(١) قاله الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة. (الفواتح: ٦٢١/١، نشر البنود، ص: ٢١٥، رفع الحاجب: ٣٦٦/٣، شرح الكوكب: ٣٩٢/٣).

(٢) أي الأمدي في الإحكام: ٥/٣.

(٣) أي ابن الحاجب في مختصره، ص: ٢٣٥.

(٤) قال الشيخ أبو محمد الجويني: لا يقع شيء، لأنه لتكثير الواحد، فلا يُسمّى ذلك ذكراً. كذا نقل عنه الغزالي في كتاب الطلاق من الوسيط (٣/٣٠٠)، ونقل الوقوع عن القاضي الحسين، ولم يرجع شيئاً، ولكنه قال في الوصايا من الوسيط (٣/٥٩): «ولو قال: إن كان حملها غلاماً فأعطوه كذا، فولدت غلامين لم يستحق شيئاً، فإن الصيغة للتوحيد في النكرة». فدلَّ أنه مع الجويني، والله أعلم.

(٥) وهو الأصح. (التحفة: ١٠/١٩٨، ومغني المحتاج: ٣/٤٠).

(٦) تيمّة قوله في رفع الحاجب (٣/٣٦٦): «فانظر كيف تردّد الفقهاء هنا في المطلق والنكرة حتى إن ألحق بالنكرة كان للوحدّة، وإن ألحق بالمطلق كان لأعم منها، فدلَّ على أنهم يقرّون».

وَمِنْ ثَمَّ قَالَا : « الْأَمْرُ بِمُطْلَقِ الْمَاهِيَةِ أَمْرٌ بِجُزْئِيٍّ ». وَلَيْسَ بِشَيْءٍ . وَقِيلَ : « بَكُلِّ جُزْئِيٍّ » ؛ وَقِيلَ : « إِذَنْ » .

وَمِنْ هُنَا يُعْلَمُ : أَنَّ اللَّفْظَ فِي الْمَطْلُوقِ وَالتَّكْرَرِ وَاحِدٌ ، وَأَنَّ الْفَرْقَ بَيْنَهُمَا بِالْإِعْتِبَارِ ، إِنْ اُعْتُبِرَ فِي اللَّفْظِ دَلَالَتُهُ عَلَى الْمَاهِيَةِ بِلا قَيْدٍ سُمِّيَ مُطْلَقًا ، وَاسْمُ جِنْسٍ أَيْضًا كَمَا تَقَدَّمَ^(١) ؛ أَوْ مَعَ قَيْدِ الْوَحْدَةِ الشَّائِعَةِ سُمِّيَ تَكْرَرًا .

وَالْأَمْدِي وَابْنُ الْحَاجِبِ يُتَكَرَّرُ الْأَوَّلُ فِي مُسَمًّى « الْمُطْلُوقِ » مِنْ أُمْلِيَةِ الْآتِيَةِ وَنَحْوِهَا ، وَيَجْعَلَانِهِ الثَّانِي . فَيَدُلُّ عِنْدَهُمَا عَلَى الْوَحْدَةِ الشَّائِعَةِ ، وَعِنْدَ غَيْرِهِمَا عَلَى الْمَاهِيَةِ بِلا قَيْدٍ ، وَالْوَحْدَةُ ضَرُورِيَّةٌ ، إِذْ لَا وَجُودَ لِلْمَاهِيَةِ الْمَطْلُوبَةِ بِأَقْلٍ مِنْ وَاحِدٍ ، وَالْأَوَّلُ مُوَافِقٌ لِكَلَامِ أَهْلِ الْعَرَبِيَّةِ ، وَالتَّسْمِيَةُ عَلَيْهِ بِـ « الْمَطْلُوقِ » لِمُقَابَلَةِ « الْمُقَيَّدِ » .

وَعُدُولُ الْمُصَنِّفِ فِي النِّقْلِ عَنِ الْأَمْدِيِّ وَابْنِ الْحَاجِبِ عَمَّا قَلَاهُ مِنَ التَّعْرِيفِ إِلَى لَزِمِهِ السَّابِقِ لِيَبْنِيَ عَلَيْهِ قَوْلَهُ وَإِنْ لَمْ يَتَعَرَّضَا لِلْبِنَاءِ :

(وَمِنْ ثَمَّ) أَيُّ مِنْ هُنَا ، وَهُوَ مَا زَعَمَاهُ مِنْ دَلَالَةِ الْمَطْلُوقِ عَلَى الْمَاهِيَةِ الشَّائِعَةِ أَيُّ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ (قَالَا) : « الْأَمْرُ بِمُطْلَقِ الْمَاهِيَةِ » كَالضَّرْبِ مِنْ غَيْرِ قَيْدٍ (أَمْرٌ بِجُزْئِيٍّ) مِنْ جُزْئِيَّاتِهَا كَالضَّرْبِ بَسَوِطٍ ، أَوْ عَصَا ، أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ ، لِأَنَّ الْمَقْصُودَ الْوُجُودَ وَلَا وَجُودَ لِلْمَاهِيَةِ ، وَإِنَّمَا تَوْجَدُ جُزْئِيَّاتُهَا ، فَيَكُونُ الْأَمْرُ بِهَا أَمْرًا بِجُزْئِيٍّ لَهَا^(٢) .

(وَلَيْسَ) قَوْلُهُمَا ذَلِكَ (بِشَيْءٍ) لَوْجُودِ الْمَاهِيَةِ بِوُجُودِ جُزْئِيَّاتِهَا ، لِأَنَّهَا جُزْءٌ ، وَجُزْءُ الْمَوْجُودِ مَوْجُودٌ .

(وَقِيلَ) : « أَمْرٌ (بَكُلِّ جُزْئِيٍّ) لَهَا لِإِسْعَارِ عَدَمِ التَّقْيِيدِ بِالتَّعْمِيمِ »^(٣) .

(وَقِيلَ) : « إِذَنْ فِيهِ » أَيُّ فِي كُلِّ جُزْئِيٍّ أَنْ يَفْعَلَ ، وَيَخْرُجُ عَنِ الْعَهْدَةِ بِوَاحِدٍ^(٤) .

(١) انظر : « الْعَلَمُ ، وَعَلَمُ الشَّخْصِ ، وَعَلَمُ الْجِنْسِ ، وَاسْمُ الْجِنْسِ » : ٢٢٥ / ١ .

(٢) الإحكام للأمدى : ٣ / ٥ ، مختصر ابن الحاجب : ٢ / ١٥٥ .

(٣) نقله الزركشي في التشنيف (١ / ٤٠٤) عن الإمام الرازي .

(٤) وهو احتمالٌ لصفي الدين الهندي . (البناني : ٧٣ / ٢) .

قال الزركشي في التشنيف (١ / ٤٠٤) : « وَالْحَقُّ أَنَّ الْمَاهِيَةَ مِنْ حَيْثُ هِيَ لَا تَسْتَلْزِمُ التَّعَدُّدَ وَلَا الْوَحْدَةَ ، بَلْ هِيَ صَالِحَةٌ لِأَنَّ يَعْرضُهَا كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا » .

مسألة: [حَمْلُ الْمُطْلَقِ عَلَى الْمُقَيَّدِ]

الْمُطْلَقُ وَالْمُقَيَّدُ كَالْعَامِّ وَالْخَاصِّ. وَأَنْهُمَا إِنْ اتَّحَدَ حُكْمُهُمَا وَمُوجِبُهُمَا وَكَانَا مُثَبِّتَيْنِ

(مسألة: [حَمْلُ الْمُطْلَقِ عَلَى الْمُقَيَّدِ])

الْمُطْلَقُ وَالْمُقَيَّدُ كَالْعَامِّ وَالْخَاصِّ) فَمَا جاز تَخْصِيصُ الْعَامِّ بِهِ يَجُوزُ تَقْيِيدُ الْمُطْلَقِ بِهِ، مَا لَا فَلَا^(١). فَيَجُوزُ تَقْيِيدُ الْكِتَابِ بِالْكِتَابِ وَبِالسَّنَةِ؛ وَالسَّنَةِ بِالسَّنَةِ وَبِالْكِتَابِ؛ وَتَقْيِيدُهُمَا بِالْقِيَاسِ؛ وَالمفهومين؛ وفعل النبي ﷺ، وتقريره.

بخلاف مذهب الراوي، وذكر بعض جزئيات المطلق على الأصح في الجميع.
(و) يَزِيدُ «الْمُطْلَقُ وَالْمُقَيَّدُ»^(٢) (أَنْهُمَا إِنْ اتَّحَدَ حُكْمُهُمَا وَمُوجِبُهُمَا) بِكسْرِ «الجيم» أي سَبَبُهُمَا، (وكانا مُثَبِّتَيْنِ)^(٣) كَأَنْ يُقَالَ فِي كِفَارَةِ الظَّهَارِ: «أَعْتَقَ رَقَبَةً»، «أَعْتَقَ رَقَبَةً مُؤَمَّنَةً»، (وَتَأَخَّرَ الْمُقَيَّدُ عَنْ وَقْتِ الْعَمَلِ بِالْمُطْلَقِ فَهُوَ) أَيِ الْمُقَيَّدُ (نَاسِخٌ) لِلْمُطْلَقِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى صَدَقِهِ بغير المُقَيَّدِ.

(وَأَلَّا) بِأَنْ تَأَخَّرَ عَنْ وَقْتِ الْخُطَابِ بِالْمُطْلَقِ دُونَ الْعَمَلِ، أَوْ تَأَخَّرَ الْمُطْلَقُ عَنِ الْمُقَيَّدِ مُطْلَقًا،
أَوْ تَقَارَنَا، أَوْ جُهِلَ تَارِيخُهُمَا (حُمِلَ الْمُطْلَقُ عَلَيْهِ) أَيِ عَلَى الْمُقَيَّدِ جَمْعًا بَيْنَ الدَّلِيلَيْنِ^(٤).
(وَقِيلَ: «الْمُقَيَّدُ نَاسِخٌ» لِلْمُطْلَقِ (إِنْ تَأَخَّرَ) عَنْ وَقْتِ الْخُطَابِ بِهِ كَمَا لَوْ تَأَخَّرَ عَنْ وَقْتِ الْعَمَلِ بِهِ بِجَامِعِ التَّأَخُّرِ^(٥)).

(وَقِيلَ: «يُحْمَلُ الْمُقَيَّدُ عَلَى الْمُطْلَقِ» بِأَنْ يُلْغَى الْقَيْدُ لِأَنَّ ذِكْرَ الْمُقَيَّدِ ذِكْرٌ لجزئي من

(١) قاله المالكية والشافعية والحنابلة وغيرهم. (الإحكام للباقي، ص: ١٩٠، نشر البنود: ٢١٦/١،
التشنيف: ٤٠٤/١، شرح الكوكب: ٣/٣٩٥).

(٢) حَمْلُ «الْمُطْلَقِ عَلَى الْمُقَيَّدِ» عَلَى أَرْبَعَةِ أَقْسَامٍ، الْأَوَّلُ: أَنْ يَتَّحِدَ حُكْمُهُمَا وَمُوجِبُهُمَا، وَلَهُ ثَلَاثُ
حَالَاتٍ، الْأَوَّلَى: أَنْ يَكُونَ مُثَبِّتَيْنِ، الثَّانِيَةُ: أَنْ يَكُونَا مُنْفِيَيْنِ، الثَّالِثَةُ: أَنْ يَكُونَ أَحَدُهُمَا مُثَبِّتًا وَالْآخَرُ
مُنْفِيًا. وَالْقِسْمُ الثَّانِي: أَنْ يَتَّحِدَ حُكْمُهُمَا وَيَخْتَلَفَ مُوجِبُهُمَا. وَالْقِسْمُ الثَّالِثُ: أَنْ يَخْتَلَفَ حُكْمُهُمَا
وَيَتَّحِدَ مُوجِبُهُمَا. وَالْقِسْمُ الرَّابِعُ: أَنْ يَخْتَلَفَ حُكْمُهُمَا وَمُوجِبُهُمَا. (التشنيف: ٤٠٤/١).

(٣) هَذِهِ هِيَ الْحَالَةُ الْأَوَّلَى مِنَ الْقِسْمِ الْأَوَّلِ، وَهِيَ أَنْ يَتَّحِدَ حُكْمُهُمَا وَمُوجِبُهُمَا وَيَكُونَا مُثَبِّتَيْنِ، فَلِنْ تَأَخَّرَ
الْمُقَيَّدُ عَنْ وَقْتِ الْعَمَلِ بِالْمُطْلَقِ فَهُوَ نَاسِخٌ لِلْمُطْلَقِ، وَإِلَّا اخْتَلَفُوا فِيهِ كَمَا ذَكَرَ الْمُصَنِّفُ.

(٤) قَالَ الْجَمَاهِيرُ، بَلْ نَقَلَ فِيهِ جَمْعٌ مِنْهُمْ الْأَمْدِي الْإِتْفَاقَ. (الفَوَاتِحُ: ٦٢٤/١، مُخْتَصَرُ ابْنِ الْحَاجِبِ،
ص: ٢٣٥، الْإِحْكَامُ: ٦/٣، التَّشْنِيفُ: ٤٠٤/١، شَرْحُ الْكَوْكَبِ: ٣/٣٩٦).

(٥) قَالَ بَعْضُ الْأَصُولِيِّينَ. (شَرْحُ الْكَوْكَبِ: ٣/٣٩٩).

وتأخَّرَ الْمُقَيَّدُ عَنْ وَقْتِ الْعَمَلِ بِالْمُطْلَقِ فَهُوَ نَاسِخٌ، وَإِلَّا حُمِلَ الْمُطْلَقُ عَلَيْهِ. وَقِيلَ: «الْمُقَيَّدُ نَاسِخٌ إِنْ تَأَخَّرَ»؛ وَقِيلَ: «يُحْمَلُ الْمُقَيَّدُ عَلَى الْمُطْلَقِ». وَإِنْ كَانَا مَنْفِيَيْنِ فَقَائِلُ الْمَفْهُومِ يُقَيِّدُهُ بِهِ. وَهِيَ خَاصَّةٌ وَعَامَّةٌ. وَإِنْ كَانَ أَحَدُهُمَا أَمْرًا وَالْآخَرُ نَهْيًا فَالْمُطْلَقُ مُقَيَّدٌ

المطلق، فلا يُقَيِّدُهُ، كما أَنَّ ذِكْرَ فَرْدٍ مِنَ الْعَامِ لَا يُخَصِّصُهُ»^(١).

قلنا: الفرقُ بينهما أَنَّ مفهومَ القيدِ حجةٌ، بخلافِ مفهومِ «اللَّقْبِ» الذي ذَكَرُ فَرْدٍ مِنَ الْعَامِ مِنْهُ كَمَا تَقَدَّمَ^(٢).

(وَإِنْ كَانَا مَنْفِيَيْنِ)^(٣) يَعْنِي غَيْرَ مُثَبِّتَيْنِ، أَوْ مَنْهِيَيْنِ نَحْوَ «لَا يُجْزِي عَتَقُ مَكَاتِبٍ»، «لَا يُجْزِي عَتَقُ مَكَاتِبٍ كَافِرٍ»، «لَا تُعْتَقُ مَكَاتِبًا»، «لَا تُعْتَقُ مَكَاتِبًا كَافِرًا»، (فَقَائِلُ الْمَفْهُومِ) أَيْ الْقَائِلُ بِحُجَّةِ مَفْهُومِ الْمَخَالَفَةِ - وَهُوَ الرَّاجِحُ - (يُقَيِّدُهُ بِهِ) أَيْ يُقَيِّدُ الْمُطْلَقَ بِالْمُقَيَّدِ فِي ذَلِكَ. (وَهِيَ) أَيْ الْمَسْأَلَةُ حِينَئِذٍ (خَاصَّةٌ وَعَامَّةٌ) لِعُمُومِ الْمُطْلَقِ فِي سِيَاقِ النَّفْيِ.

وَنَافِي الْمَفْهُومِ يُلْغِي الْقَيْدَ، وَيُجْرِي الْمُطْلَقَ عَلَى إِطْلَاقِهِ.

(وَإِنْ كَانَ أَحَدُهُمَا أَمْرًا وَالْآخَرُ نَهْيًا)^(٤) نَحْوَ «أُعْتِقَ رَقَبَةً»، «لَا تَعْتَقُ رَقَبَةً كَافِرَةً»، أَوْ «أُعْتِقَ رَقَبَةً مُؤَمَّنَةً»، «لَا تَعْتَقُ رَقَبَةً»، (فَالْمُطْلَقُ مُقَيَّدٌ بِضِدِّ الصِّفَةِ) فِي الْمُقَيَّدَةِ لِيَجْتَمَعَ، فَالْمُطْلَقُ فِي الْمَثَالِ الْأَوَّلِ مُقَيَّدٌ بِالْإِيمَانِ، وَفِي الثَّانِي مُقَيَّدٌ بِالْكُفْرِ.

(وَإِنْ اخْتَلَفَ السَّبَبُ)^(٥) مَعَ اتِّحَادِ الْحُكْمِ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى فِي كَفَارَةِ الظَّهَارِ ﴿فَتَحْرِيرُ

(١) حُكِيَ عَنْ بَعْضِ الْحَنْفِيَّةِ وَبَعْضِ الْمَالِكِيَّةِ. (شرح الكوكب: ٣/ ٣٩٧).

(٢) فِي مَسْأَلَةٍ: «حُجَّةُ الْمَفَاهِيمِ»: ١/ ٢٠١.

(٣) هَذِهِ هِيَ الْحَالَةُ الثَّانِيَّةُ مِنَ الْقِسْمِ الْأَوَّلِ، وَهِيَ أَنْ يَتَّحِدَ حُكْمُهُمَا وَمَوْجِبُهُمَا، وَيَكُونَا مَنْفِيَيْنِ فَيُعْمَلُ بِهِمَا وَفَاقًا. أَمَّا الْقَائِلُونَ بِالْمَفْهُومِ (الْمَالِكِيَّةُ وَالشَّافِعِيَّةُ وَالْحَنَابِلَةُ) يَحْمِلُونَ الْمُطْلَقَ عَلَى الْمُقَيَّدِ، فَلَا يُجْزِي الْمُكَاتِبُ الْكَافِرِ. وَأَمَّا بُفَاءُ الْمَفْهُومِ (الْحَنْفِيَّةُ) لَا يَحْمِلُونَ أَحَدَهُمَا عَلَى الْآخَرِ لِامْكَانِ الْعَمَلِ بِهِمَا لِعَدَمِ التَّعَارُضِ بَيْنَهُمَا، فَلَا يُجْزِي الْمَكَاتِبُ الْكَافِرِ وَغَيْرُهُ. (الفواتح: ١/ ٦٢٣، مختصر ابن الحاجب، ص: ٢٣٥، الإحكام: ٧/ ٣، التشنيف: ١/ ٤٠٥، شرح الكوكب: ٣/ ٣٩٩).

(٤) هَذِهِ هِيَ الْحَالَةُ الثَّالِثَةُ مِنَ الْقِسْمِ الْأَوَّلِ، وَهِيَ أَنْ يَتَّحِدَ حُكْمُهُمَا وَمَوْجِبُهُمَا، وَيَكُونُ أَحَدُهُمَا مُثَبِّتًا وَالْآخَرُ مَنْفِيًّا، وَالْحَمْلُ هُنَا ضَرُورِيٌّ لِاسْتِحَالَةِ إِعْتَاقِ الرَّقَبَةِ الْكَافِرَةِ، لَا مِنْ حَيْثُ حَمَلَ الْمُطْلَقَ عَلَى الْمُقَيَّدِ. (التشنيف: ١/ ٤٠٥، شرح الكوكب: ٣/ ٤٠١).

(٥) هَذَا هُوَ الْقِسْمُ الثَّانِي، وَهُوَ أَنْ يَتَّحِدَ حُكْمُهُمَا وَيَخْتَلِفَ مَوْجِبُهُمَا، فَاخْتَلَفُوا فِي حَمْلِ الْمُطْلَقِ عَلَى الْمُقَيَّدِ عَلَى مَذْهَبَيْنِ، فَالْجَمْعُ عَلَى الْحَمْلِ، ثُمَّ اخْتَلَفُوا فِي الْحَمْلِ، هَلْ هُوَ لَفْظًا أَوْ قِيَاسًا.

بِضِدِّ الصُّفَةِ . وَإِنْ اختلفَ السَّبَبُ فقال أبو حنيفة: «لَا يُحْمَلُ»؛ وقيل: «يُحْمَلُ لفظاً»؛ وقال الشافعي: «قياساً» .

وإن اتَّحَدَ الْمُوجِبُ واختلفَ حُكْمُهُمَا.....

رَقَبَةٌ^(١)، وفي كفارة القتل ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ﴾^(٢)، (فقال أبو حنيفة: «لَا يُحْمَلُ») ٢٢٨ المطلق على المقيد في ذلك، لاختلاف السبب، فبقي المطلق على إطلاقه^(٣) .

(وقيل: «يُحْمَلُ» عليه (لفظاً) أي بمجرد ورود اللفظ المقيد من غير حاجة إلى جامع^(٤) .

(وقال الشافعي رحمته الله): «يُحْمَلُ عليه (قياساً) فلا بُدَّ من جامع بينهما، وهو في المثال المذكور حرمة سببهما: أي الظهار والقتل»^(٥) .

(وإن اتَّحَدَ الْمُوجِبُ) فيهما (واختلف حُكْمُهُمَا)^(٦) كما في قوله تعالى في التَّيْسِ ﴿فَأَمْسُوْهُمَا﴾

(١) سورة المجادلة ، الآية : ٣ ، والآية كاملة: ﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ يَنْ قَبْلَ أَنْ يَتَمَآسَا ذَلِكَ ثُوغُلَاتٌ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ .

(٢) سورة النساء، الآية: ٩٢، الآية كاملة: ﴿وَمَا كَانَتْ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَاً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَاً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَّةٌ مُسْلَمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا فَإِنْ كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَّةٌ مُسْلَمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامٌ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ .

(٣) قاله الحنفية والمالكية. (الفواتح: ١/ ٦٣١، شرح التنقيح، ص: ٢٦٧) .

(٤) قال الزركشي في التنقيح (١/ ٤٠٦): «هو الذي عليه جمهور أصحابنا، وقاله الماوردي والرواني في باب القضاء: إنه ظاهر مذهب الشافعي رحمته الله» .

وقال القاضي العضد في شرح المختصر (ص: ٢٣٧): «وقد روى شذوذ من الشافعية عن الشافعي:

أنه يحمل المطلق على المقيد من غير جامع، لأن كلام الله واحد، وبعضه يُفسر بعضاً، وليس بسديد» .

(٥) قاله الشافعي وأحمد وأصحابهما، واختاره الرازي والآمدني وابن الحاجب والبضاوي والعضد

والإسنوي وشيخ الإسلام. (المحصول: ٣/ ١٤٤، الإحكام: ٣/ ٧، مختصر ابن الحاجب، ص:

٢٣٥، نهاية السؤل: ١/ ٥٥٣، غاية الوصول، ص: ٨٢، شرح الكوكب: ٣/ ٤٠٢) .

(٦) هذا هو القسم الثالث، وهو أن يختلف حكمهما ويتحد موجبهما، نقل الأمدني وابن الحاجب هنا

الاتفاق على عدم حمل المطلق على المقيد، لكن جمهور الشافعية على الحمل.

وأما القسم الرابع: وهو أن يختلف حكمهما وموجبهما جميعاً، وذلك كإطلاق «اليد» في قوله تعالى

﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾ مع تقيدها بـ «المرقي» في قوله تعالى «يَتَأْتِيَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا

قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ»، فالحكم في الآية الأولى القطع وفي الثانية =

فَعَلَى الْخِلَافِ .

وَالْمُقَيَّدُ بِمُتَنَافِسِينَ يَسْتَغْنِي عَنْهُمَا إِنْ لَمْ

يُجُوهَكُمْ وَأَيِّدِيكُمْ^(١) ، وفي الوضوء ﴿فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ﴾^(٢) ؛

والموجبُ لهما الحدثُ ، واختلافُ الحكم من مسح المَطلَقِ وغسلِ المُقَيَّدِ بـ «المَرَافِقِ» واضحٌ ، (فعلى الخلاف) من أنه لا يُحْمَلُ المَطلَقُ على المُقَيَّدِ^(٣) ، أو يُحْمَلُ عليه لفظاً ، أو قياساً ، وهو الراجحُ^(٤) ، والجامعُ بينهما في المثال المذكور اشتراكهما في سببِ حُكْمِهما .

(وَالْمُقَيَّدُ) في موضعين (بِمُتَنَافِسِينَ) وقد أُطلق في موضع كما في قوله تعالى في قضاء أيام رمضان ﴿فَمِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾^(٥) وفي كفارة الظهار ﴿فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ﴾^(٦) ، وفي

= الفِئْلُ ، والموجبُ (أي السببُ) في الأولى السَّرَقَةُ ، وفي الثانية الحدثُ . فلا يُحْمَلُ المَطلَقُ على المُقَيَّدِ وفاقاً . (الفواتح : ٦٢١/١ ، الإحكام : ٦/٣ ، مختصر ابن الحاجب ، ص : ٢٣٥ ، التنصيف : ٤٠٦/١ ، غاية الوصول ، ص : ٨٢ ، شرح العضد ، ص : ٢٣٥ ، شرح الكوكب : ٣/٣٩٥) .

(١) سورة النساء ، الآية : ٤٣ ، والآية كاملة : ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَءُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا شُكْرًا حَتَّى تَقْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَسْتُمْ الْأُنثَىٰ فَلَمْ يُحْدِثْ فَمَا يَمْشِي صَبِيحًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوْهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ .

(٢) سورة المائدة ، الآية : ٦ ، والآية كاملة : ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْكُمُيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَأَطْفِئُوا نَارَ مَرْحَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَسْتُمْ الْأُنثَىٰ فَلَمْ يُحْدِثْ فَمَا يَمْشِي صَبِيحًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوْهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ .

(٣) قاله الحنفية ، والمالكية ، والحنابلة . (الفواتح : ٦٢١/١ ، مختصر ابن الحاجب ، ص : ٢٣٥ ، شرح الكوكب : ٣/٣٩٥) .

(٤) قاله الشافعية . (التنصيف : ٤٠٧/١ ، غاية الوصول ، ص : ٨٢) .

(٥) سورة البقرة ، الآية : ١٨٥ ، والآية كاملة : ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَمِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعَمَلَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَلَكُمْ تَنْكُرَاتٌ ﴿١٨٥﴾﴾ .

(٦) والآية كاملة : ﴿فَمَنْ لَمْ يَحِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَنْ يَتَنَاسَّ فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَاطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَلِكَ لِيُذَكِّرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ۖ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢١٧﴾﴾ . المجادلة : ٤ .

يَكُنْ أَوْلَى بِأَحَدِهِمَا قِيَاسًا.

صوم التمتع ﴿فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ﴾^(١) (يَسْتَغْنِي) فيما أطلق فيه (عنهما إن لم يكن أولى بأحدهما من الآخر قياساً) كما في المثال المذكور، بأن يبقى على إطلاقه، لامتناع تقييده بهما لتنافيهما، وبواحد منهما لانتفاء مرجحه، فلا يجب في قضاء رمضان تتابع ولا تفريق^(٢).

أما إذا كان أولى بالتقييد بأحدهما من الآخر من حيث القياس، كأن وجد الجامع بينه وبين مقيده دون الآخر قيد به، بناء على الراجح من أن الحمل قياسي^(٣).
فإن قيل: «لفظي»^(٤) فلا.

(١) سورة البقرة، الآية: ١٩٦، والآية كاملة: ﴿وَأَيُّهَا الْحَجَّ وَالْمَرَّةُ لِلَّهِ فَإِنْ أَحْسَرْتُمْ مَا اسْتَخَسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِفُوا بِرُءُوسِكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسْكِ فَإِذَا أَمِنْتُمْ مَنِ تَمَنَّ بِالْمَرَّةِ إِلَى الْحَجِّ مَا اسْتَخَسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ذَلِكَ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرًا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢١٦﴾﴾.

(٢) أي عند الجماهير من الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة.
(فتح باب العناية: ٥٨٥/١، الشرح الكبير: ٥٢٦/١، مغني المحتاج: ٥٩٠/١، الروض المربع، ص: ٢١٦).

(٣) قاله المالكية والشافعية والحنابلة.
(شرح التفتيح، ص: ٢٦٩، التشنيف: ٤٠٧/١، غاية الوصول، ص: ٨٣، شرح الكوكب: ٤٠٣/٣).
(٤) قاله الماوردي والرويانى، واختاره الزركشي في التشنيف (٤٠٦/١).

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

الظاهر والمؤول

الظاهر والمؤول

الظاهر: ما دلَّ دلالة ظنية. والتأويل: حمل الظاهر على المحتمل المرجوح.

[أقسام التأويل]

فإن حملَ لدليلٍ فصحيح، أو لما يُظنُّ دليلاً ففايد، أو لا شيءٍ فلعيب.
ومن البعيد: تأويلُ «أمسك» على «ابتدئ»،

(الظاهر والمؤول)

أي هذا مبحثهما: (الظاهر: ما دلَّ) على المعنى (دلالة ظنية) أي راجحة، فيحتمل غير ذلك المعنى مرجوحاً كـ «الأسد» راجح في الحيوان المفترس، مرجوح في الرجل الشجاع؛ «والغائط» راجح في الخارج المستنذر للعرف، مرجوح في المكان المطمئن الموضوع له لغة أولاً. وخرج النص كـ «زيد» لأن دلالة قطعية.

(والتأويل: حملُ الظاهر على المحتمل المرجوح).

[أقسام التأويل]

فإن حُمِلَ عليه (لدليلٍ فصحيح، أو لما يُظنُّ دليلاً)، وليس بدليل في الواقع ففايد، أو لا شيءٍ فلعيب، لا تأويل) هذا كله ظاهر.

ثم التأويل قريب يترجح على الظاهر بأدنى دليل نحو «إذا قُنتم إلى الصلوة»^(١) أي عَزَمْتُمْ على القيام إليها.

وبعيد لا يترجح على الظاهر إلا بأقوى منه. وذكر المصنف منه كثيراً، فقال:

(ومن البعيد: تأويلُ «أمسك» أزيعاً) (على «ابتدئ»)، أي تأويلُ الحنفية^(٢) قوله ﷺ لغيلان بن سلمة الثقفي ﷺ وقد أسلم على عشر نسوة: «أمسك أربعاً، وفارق سائرهن»^(٣) رواه الشافعي ﷺ وغيره على «ابتدئ» نكاح أربع منهن فيما إذا كان نكحهن معاً «لبطلانه كالمسلم،

(١) سورة المائدة، الآية: ٦.

(٢) فتح باب العناية: ٧٨/٢.

(٣) سبق تخريجه في «ترك الاستفصال يعم»: ٣٥٦/١.

و «سِتِّينَ مِسْكِينًا» عَلَى «سِتِّينَ مُدًّا» ؛ و «أَيُّمَا امْرَأَةٍ نَكَحَتْ نَفْسَهَا»

بِخِلَافِ نِكَاحِهِنَّ مُرْتَبَأًا فِيمَسِكُ الْأَرْبَعُ الْأَوَائِلَ^(١).

ووجهه بعده: أَنَّ المخاطَبَ قَرِيبٌ عَهْدٌ بِالْإِسْلَامِ لَمْ يُسَبِّقْ لَهُ بَيَانُ شُرُوطِ النِّكَاحِ مَعَ حَاجَتِهِ إِلَى ذَلِكَ، وَلَمْ يُنْقَلْ تَجْدِيدُ نِكَاحٍ مِنْهُ، وَلَا مِنْ غَيْرِهِ مَعَ كَثَرَتِهِمْ، وَتَوَفُّرِ دَوَاعِي حَمَلَةِ الشَّرِيعَةِ عَلَى نَقْلِهِ لَوْ وَقَعَ.

(و) من البعيد: تأويلهم («سِتَيْنِ مِسْكِينًا») من قوله تعالى ﴿فَإِطْعَامُ سِتَيْنِ مِسْكِينًا﴾ (٢)
(على «سِتَيْنِ مُدًّا») بأن يُقَدَّر مُضَافٌ، أي طعام سِتَيْنِ مِسْكِينًا، وهو سِتْوَن مُدًّا، فَيَجُوزُ إعطاؤه
لِمِسْكِينٍ واحدٍ في سِتِّينَ يَوْمًا، كَمَا يَجُوزُ إعطاؤه لِسِتِّينِ مِسْكِينًا فِي يَوْمٍ واحدٍ، لَأَنَّ الْقَصْدَ
بِإِعْطَائِهِ دَفْعَ الْحَاجَّةِ، وَدَفْعُ حَاجَةِ الْوَاحِدِ كَذَلِكِ حَاجَةُ السِّتِّينِ فِي يَوْمٍ واحدٍ (٣).

ووجهُ بعده: أنه اعتبر فيه ما لم يُذكر من المُضاف ، وألغى ما ذُكر من عددِ المساكينِ الظاهرِ قصده لِمُفضل الجماعةِ وبركتهم وتظاهر قلوبهم على الدعاء للمُحسين.

(و) من البعيد: تأويلهم حديث أبي داود وغيره: «أَيُّمَا امْرَأَةٍ نَكَحَتْ نَفْسَهَا» بِغَيْرِ إِذْنٍ وَلِيَّهَا فَنِكَاحُهَا بَاطِلٌ^(٤)، وفي رواية البيهقي: «فَإِنْ أَصَابَهَا فَلَهَا مَهْرٌ مِثْلُهَا بِمَا أَصَابَ

(١) فتح باب العناية لعلّ القاري: ٧٨/٢.

وَأَمَّا عِنْدَ الْجُمْهُورِ مِنَ الْمَالِكِيَّةِ وَالشَّافِعِيَّةِ وَالْحَنَابِلَةِ فَهُوَ مُخَيَّرٌ، يَخْتَارُ مَنْ شَاءَ مِنْهُمْ سَوَاءً تَزَوَّجَهُنَّ مَعًا أَوْ مَرْتَبًا. (الشرح الكبير لأحمد الدردير: ٢/ ٢٧١، مغني المحتاج: ٣/ ٢٥١، المغني لابن قدامة: ٧/ ٤٣٦).

[illegible]

(٣) الهداية للمرغيناني: ٢٢/٢.

أما الجمهور من المالكية والشافعية والحنابلة قالوا بوجوب إطعام ستين مسكيناً .

(شرح الزرقاني: ٢/ ٢٣٠، مغني المحتاج: ١/ ٤٤٥، كشف القناع: ٢/ ٢٣٧، المغني: ٨/ ٢٤).

(٤) رواه أبو داود في النكاح، باب في الولي (٢٠٨٣)، والترمذي في النكاح، باب ما جاء لا نكاح بلا ولي

(١١٠٢)، وابن ماجه في النكاح، باب لا نكاح إلا بولي (١٨٧٩)، والحاكم في النكاح (١٦٨/٢)،

وقال: «صحيح على شرط الشيخين، ... وقد ثبت بروايات الأئمة الأثبات سماع الرواة بعضهم من بعض،

فلا تُعَلَّلْ هذه الروايات بحديث ابن عُليَّة وسؤاله ابن جريج عنه ، وقوله : «إني سألت الزهري عنه فلم

يعرفه»، فقد ينسى الحافظ الحديث بعد أن حدّث به، وقد فعله غيرُ واحدٍ من حفاظ الحديث»، وابنُ

جبان في النكاح (٣٨٤/٩)، وقال مثل قول المحاكم السابق، وبمثله قال الذهبي في التلخيص (١٦٨/٢). =

على الصغيرة ، والأمة ، والمكاتبية ؛

منها»^(١) (على الصغيرة والأمة والمكاتبية) أي حمّله أولاً بعضهم على الصغيرة لصحة تزويج الكبيرة نفسها عندهم^(٢) كسائر تصرفاتها ، فاعترض بأن الصغيرة ليست امرأة في حكم اللسان . فحمّله بعض آخر على الأمة ، فاعترض بقوله : «فلها مهر مثلها» فإن مهر الأمة ليسيدها . فحمّله بعض متأخريهم على المكاتبية فإن المهر لها .

= وقال الحافظ ابن حجر في التلخيص (١٥٧/٣) : «وليس أحد يقول فيه هذه الزيادة غير ابن عُلَيَّة [وهو إسماعيل بن إبراهيم ثقة حافظ. التقريب: ١٢٨/١] ، وأعل ابن حبان وابن عدي وابن عبد البر والحاكم وغيرهم الحكاية عن ابن جريج ، وأجابوا عنها على تقدير الصحة بأنه لا يلزم من نسيان الزهري له أن يكون سليمان بن موسى وهم فيه» .

قال العبد الفقير غفر الله له ولوالديه : والجواب على تقدير الصحة وفي صحتها نظر كما أشار إليه الحفاظ ، قال أبو عيسى الترمذي في سننه (١١٠٢) عقب الحديث : «قال ابن جريج [وهو عبد الملك بن عبد العزيز ثقة فقيه فاضل ، كان يدلّس ويُرسل. التقريب: ٣٨٥/٢] : ثم لقيت الزهري فسألته فأنكره . فضعّفوا هذا الحديث من أجل هذا ، وذكر عن يحيى بن معين أنه قال : لم يذكر هذا الحرف عن ابن جريد إلا إسماعيل بن إبراهيم ، وسماع إسماعيل بن إبراهيم عن ابن جريج ليس بذلك ، إنما صحّح كتبه على كتب عبد المجيد بن عبد العزيز [صدوق يخطئ. التقريب: ٣٧٩/٢] وما سمع [أي إسماعيل. تحفة الأحوذى: ١٧٤/٤] من ابن جريج ، وضعّف يحيى رواية إسماعيل بن إبراهيم عم ابن جريج» . فعلم أنّ الحديث صحيح متناً وسنداً كما قال الحفاظ ، ومع ذلك قال الشيخ شعيب الأرناؤوط في تخريج أحاديث صحيح ابن حبان (٣٨٤/٩) : «إسناده حسن» ، سليمان بن موسى الأموي أعلم أهل الشام ، بعد مكحول ، وهو صدوق حسن الحديث ، وقال ابن معين : هو ثقة في الزهري ، وباقي رجاله ثقات .
تعمّين الشيخ للحديث غير مرضي لأن سليمان هذا وإن كان صدوقاً في عامة حديثه إلا أنه ثقة في حديث الزهري كما قال ابن معين ، وحديث الثقة صحيح ، ورواية سليمان هنا عن الزهري ، ولذا صحّح الحافظ هذا الحديث في التلخيص (١٥٧/٣) مع قوله في التقريب (٢٦١٦) : «صدوق» ، لقول ابن معين : «ثقة في الزهري» (التهذيب : ٤٢٦ / ٢) .

وأما قول الترمذي في سننه عقب الحديث : «حسن» فيجاب عنه أنّ الترمذي كثيراً ما يقول على الحديث «حسن» على طريقة المتقدين ، أي حسن الاحتجاج ، وهو كثير في سننه ، انظر على سبيل المثال (٢٢٢٨ ، ٢٣١٠ ، ٢٢٤٠ ، ٢٤٥٢ ، ٢٥١٢ ، ٢٥٤٦ ، ٢٥٧٨ ، ٢٥٩٤ ، ٢٦٤٦) .

(١) السنن الكبرى للبيهقي: ١٠٥/٧ . بل رواه أبو داود في النكاح ، باب في الولي (٢٠٨٣) ، والترمذي في

النكاح ، باب ما جاء لانكاح إلا بولي (١١٠٢) ، وابن ماجه في النكاح ، باب لانكاح إلا بولي (١٨٧٩) .

(٢) اختلف العلماء في تزويج المرأة نفسها أو غيرها على مذهبتين : الأول : لا يصح ، قاله المالكية ، والشافعية ، والحنابلة . والثاني : يصح ، ولويها حق الاعتراض إن لم يكن الزوج كفاءً ، قاله الحنفية =

و « لا صِيَامَ لِمَنْ لَمْ يُبَيِّتْ » على القضاء والنذر ؛ و « ذَكَاءُ الْجَنِينِ ذَكَاءُ أُمِّهِ »

ووجه بعده على كل: أنه قصر للعام المؤكّد عمومته بـ « ما » على صورة نادرة مع ظهور قصد الشارع عمومته، بأن تُمنع المرأة مطلقاً من استقلالها بالنكاح الذي لا يليق بمحاسن العادات استقلالها به .

(و) من البعيد: تأويلهم حديث « لا صِيَامَ لِمَنْ لَمْ يُبَيِّتْ » أي الصيام من الليل رواه أبو داود وغيره بلفظ: « مَنْ لَمْ يُبَيِّتِ الصِّيَامَ مِنَ اللَّيْلِ فَلَا صِيَامَ لَهُ »^(١) (على القضاء والنذر) لصحة غيرهما بنية من النهار عندهم^(٢).

ووجه بعده: أنه قصر للعام النصّ في العموم على نادر لنُدرة القضاء والنذر بالنسبة إلى الصوم المكلف به في أصل الشرع .

(و) من البعيد: تأويل أبي حنيفة حديث ابن حبان وغيره^(٣) « ذَكَاءُ الْجَنِينِ ذَكَاءُ أُمِّهِ »

= (فتح باب العناية: ٣٠/٢، فتح القدير: ٣٩٤/٢، الشرح الكبير: ٢٢٠/٢، بداية المجتهد: ٨/٢، مغني المحتاج: ١٤٨/٣، المغني: ٤٨١/٩).

(١) رواه أبو داود في الصوم، باب النية في الصوم (٢٠٩٨)، والترمذي في الصوم، باب ما جاء لا صِيَامَ لِمَنْ لَمْ يَعِزْ مِنَ اللَّيْلِ (٧٣٠)، وقال: « روي عن ابن عمر من قوله وهو أصح »، والنسائي في الصيام، باب ذكر اختلاف الناقلين لخبر حفصة (٢٢٩٢)، وابن خزيمة في الصوم، باب إيجاب الإجماع على الصوم الواجب (١٩٣٣)، والدارقطني في الصيام (١٧٢/٢)، وقال: « كلهم عن حفصة مرفوعاً، ولكن اختلفوا في رفعه ووقفه ».

قال الحافظ في التلخيص (٤٠٧/٢): « اختلف الأئمة في رفعه ووقفه، فقال ابن أبي حاتم عن أبيه: لا أدري أيهما أصح، لكن الوقف أشبه، وقال أبو داود: لا يصح رفعه، وقال الترمذي: الموقوف أصح، ونقل في العلل عن البخاري أنه قال: هو خطأ وهو حديث فيه اضطراب، والصحيح عن ابن عمر موقوف، وقال النسائي [في الكبرى: ١١٧/٢]: والصواب عندي موقوف، ولم يصح رفعه. وصحح ابن حزم رفعه لكونه زيادة ثقة، وتبعه الشوكاني والمباركفوري .

(نيل الأوطار: ٢٣٢/٢، تحفة الأحوذى: ٣٦٩/٣).

(٢) اتفق العلماء على وجوب النية في الصوم ولكنهم اختلفوا في وجوب تبينها على مذهبين:

الأول: وجوب تبينها في الفرض، قاله المالكية والشافعية والحنابلة؛

الثاني: وجوب تبينها في القضاء والنذر دون غيرهما، قاله الحنفية. (فتح باب العناية: ٥٦١/١،

مواهب الجليل: ٤١٨/٢، مغني المحتاج: ٥٧١/١، الروض المربع، ص: ٢٠٨).

(٣) رواه ابن حبان في الذبائح (٥٨٨٩)، والحاكم في الأطعمة (٧١٠٩)، وقال: « صحيح على شرط =

على التشبيه ؛

بالرفع والنصب (على التشبيه) أي مثل ذكاتها، أو كذكاتها، فيكون المراد بـ«الجنين» الحيّ لِحُرْمَةِ الْمَيِّتِ عنده^(١)، وأحلّه صاحبه^(٢) كالشافعي.

ووجه بعده: ما فيه من التقدير المُستغنى عنه، أمّا على رواية الرفع - وهي المحفوظة كما قاله

الخطابي^(٣) وغيره^(٤) من حَمَلَةِ الحديث - فبأن يُعَرَّبَ «ذَكَاءُ الْجَنِينِ» خبراً لِمَا بعده أي ذَكَاءُ أُمِّ الْجَنِينِ ٢٣٢ ذَكَاءُ له، يدلُّ عليه روايةُ البيهقي: «ذَكَاءُ الْجَنِينِ فِي ذَكَاءِ أُمِّهِ»^(٥)، وفي رواية «بَذَكَاءِ أُمِّهِ»^(٦).

وأمّا على رواية النصب^(٧) إن ثبت فبأن يُجعلَ على الظرفية كما في «جئتكَ طلوعَ الشمس» أي وقتَ طلوعِها. والمعنى: ذَكَاءُ الْجَنِينِ حاصلةٌ وقتَ ذَكَاءِ أُمِّهِ، وهو موافقٌ لمعنى رواية الرفع الذي ذكرناه، فيكون المراد «الجنين الميت»، وأنَّ ذَكَاءَ أُمِّهِ التي أحلتها أحلته تبعاً لها، يؤيدُ ذلك ما في بعض طرق الحديث من قول السائلين: «يا رسولَ الله، إِنَّا نَنْحَرُ الْإِبِلَ، وَنَذْبِخُ الْبَقَرِ، وَالشَّاةَ، فَنَجِدُ فِي بُطُونِهَا الْجَنِينَ أَفْنَلْقِيهِ، أَمْ نَأْكُلُهُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: كُلُوهُ إِنْ شِئْتُمْ، فَإِنَّ ذَكَاءَهُ ذَكَاءُ أُمِّهِ»^(٨)، فظاهرٌ أنَّ سؤالهم عن الميت، لأنه محلُّ شكِّ، بخلافِ الحيِّ المُمكنِ

= مسلم، ووافقه الذهبي، وأبو داود في الضحايا، باب ما جاء في ذكاة الجنين (٢٤٤٥)، والترمذي في الصيد، باب ما جاء في ذكاة الجنين (١٣٩٦)، وقال: «حسن صحيح»، وابن ماجه في الذبائح، باب ذكاة الجنين ذكاة أُمِّهِ (٣١٩٩).

وهو حديث صحيح. (النصب الراية للزيلعي: ٢٨٩/٤، الدراية في تخريج أحاديث الهداية لابن حجر: ٢٠٨/٢، خلاصة بدر المنير: ٤٠٠/٢).

(١) أي عند أبي حنيفة. (الهداية: ٦٧/٤). وليس له سلف فيه. (الإجماع، ص: ٤١).

(٢) أي وأحلّه صاحباً أبي حنيفة: أبو يوسف ومحمد كما أحله مالك والشافعي وأحمد وأصحابهم. (الهداية: ٦٧/٤، شرح الزرقاني: ١١١/٣، مغني المحتاج: ٣٠٧/٤، كشف القناع: ٢٠٩/٦).

(٣) لم أجده في غريبه ومعالم السنن، ولعله في غيرهما من كتبه.

(٤) كابن الأثير في النهاية في غريب الحديث: ١٦٤/٢.

(٥) السنن الكبرى للبيهقي: ٣٣٥/٩.

(٦) كذا ذكره أيضاً الشوكاني في نيل الأوطار: ٢٣/٩، والمباركفوري في تحفة الأحوذى: ٤٣/٥.

(٧) قال الزيلعي في نصب الراية (١٩١/٤): «قال المنذري في مُختصره: وقد روى هذا الحديث بعضهم

لغرضٍ له «ذَكَاءُ الْجَنِينِ ذَكَاءُ أُمِّهِ» بنصب «ذَكَاءُ» الثانية، لتوجبَ ابتداءَ الذكاة فيه إذا خرج، ولا يكفي بذكاة أُمِّهِ، وليس بشيء، وإنَّما هو بالرفع كما هو المُحفوظُ عن أئمة هذا الشأن».

(٨) وهي رواية أبي داود في الضحايا، باب ما جاء في ذكاة الجنين (٢٤٤٥) وابن ماجه في الذبائح، باب ذكاة الجنين بذكاة أُمِّهِ (٣١٩٩).

و ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَتُ﴾ على بيان المَصْرِفِ ؛ و «مَنْ مَلَكَ ذَا رَحِمٍ» على الأصول

الذبيح، فمن المعلوم أنه لا يحل إلا بالتذكية، فيكون الجواب عن الميِّت ليطابق السؤال .

(و) من البعيد : تأويلهم كمالك قوله تعالى : ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ﴾ ^(١) (على بيان المَصْرِفِ) أي محل الصرف ^(٢) بدليل ما قبله ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَتِ﴾ ^(٣) ذمهم الله تعالى على تعرضهم لها لخلوهم عن أهليتها، ثم بين أهلها بقوله ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ﴾ أي هي لهذه الأصناف دون غيرهم، وليس المراد دون بعضهم أيضاً، فيكفي الصرف لأي صنف منهم ^(٤).

٢٣٣

ووجه بُعد: ما فيه من صرف اللفظ عن ظاهره من استيعاب الأصناف لغير مناف له ، إذ بيان المَصْرِفِ لا ينافيه، فليكونا مراديين ، فلا يكفي الصرف لبعض الأصناف إلا إذا فُقد الباقي للضرورة حيث ^(٥).

(و) من البعيد: تأويل بعض أصحابنا حديث السنن الأربعة : «مَنْ مَلَكَ ذَا رَحِمٍ» محرم فهو حر ^(٦) وفي رواية النسائي وابن ماجه : «عَتَقَ عَلَيْهِ» ^(٧) (على الأصول والفروع) لما تقرر عندنا من أنه إنما يعتق بمجرد الملك ما ذكر ^(٨).

ووجه بُعد: ما فيه من صرف العام عن العموم لغير صارف.

(١) والآية كاملة: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَنَمِ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَنَّ السَّبِيلَ قَرِيبٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلَيْهِ حَكِيمٌ﴾ (التوبة: ٦).

(٢) قاله الحنفية والمالكية. (فتح باب العناية: ١/ ٥٣٥، تفسير القرطبي: ٨/ ١٦٧).

(٣) سورة التوبة، الآية: ٥٨، والآية كاملة: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْتَعْطُونَ﴾.

(٤) قاله الحنفية والمالكية .

(فتح باب العناية لعللي القاري: ١/ ٥٣٥، الهداية: ١/ ١١٢، تفسير القرطبي: ٨/ ١٦٧).

(٥) قاله الشافعية والحنابلة. (تحفة المحتاج: ٨/ ٧٠٠، كشاف القناع: ٢/ ١٦٦).

(٦) رواه أبو داود في العتق، باب فيمن ملك ذَا رَحِمٍ محرم (٣٤٤٠)، والترمذي في الأحكام، باب ما جاء فيمن ملك ذَا رَحِمٍ (١٢٨٦)، وابن ماجه في الأحكام، باب من ملك ذَا رَحِمٍ محرم فهو حر (٢٥١٥)، وأحمد في مسنده (١٩٣٠٨).

(٧) رواه النسائي في الكبرى في العتق (٤٨٩٦)، وقال: «روي هذا الحديث عن ضمرة، وهو حديث منكر». ولم أجده بهذا اللفظ في سنن ابن ماجه، والله أعلم.

(٨) قال النووي في شرح مسلم (٣٩٢/١٠): «اختلف العلماء في عتق الأقارب إذا ملكوا، فقال أهل

الظاهر: لا يعتق أحد منهم بمجرد الملك سواء الوالد والولد، وغيرهما، بل لا بد من إنشاء عتق، ... =

والفروع ؛

وتوجيه ما تقرّر: أنّ نفي العتق عن غير الأصول والفروع للأصل المعقول، وهو أنه لا عتق بدون إعتاق، خولف هذا الأصل في الأصول لحديث مسلم: «لا يُجْزَى وَلَدٌ عَنْ وَالِدِهِ إِلَّا أَنْ يَجِدَهُ مَمْلُوكًا فَيَشْتَرِيهِ فَيُعْتِقَهُ»^(١) أي بالشراء من غير حاجة إلى صيغة الإعتاق .

وفي الفروع لقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢﴾﴾^(٢) دلّ على نفي اجتماع الولدية والعبدية.

والحديث قال النسائي: «منكر»^(٣)، والترمذي: «لَا يُتَابَعُ ضَمْرَةٌ»^(٤) عليه، وهو خطأ عند أهل الحديث^(٥). نعم رواه الأربعة من غير طريق ضمرة أيضاً وصححه الحاكم^(٦)، وقال الترمذي: «العمل عليه عند أهل العلم»^(٧). فنحتاج نحن^(٨) حينئذ إلى بيان مخصّص له، بخلاف الحنفية^(٩). وقد يقال: يُخصّصه القياس على النفقة، فإنّها لا تجب عندنا لغير الأصول والفروع .

= وقال الجماهير: يحصل العتق في الآباء والأمهات والأجداد والجداث وإن علوا وعلون، وفي الأنبياء والبنات وأولادهم الذكور والإناث وإن سفلوا بمجرّد الملك سواء المسلم والكافر، والقريب والبعيد، والوارث وغير الوارث ...

واختلفوا فيما وراء عموديّ النسب، فقال الشافعي وأصحابه: لا يعتق غيرهما، وهي رواية عن مالك؛ وقال أبو حنيفة: يعتق جميع ذوي الأرحام المحرمة، وهي أيضاً رواية عن مالك.

(١) رواه مسلم في العتق، باب فضل عتق الوالد (٣٧٧٨)، والترمذي في البر والصلة، باب ما جاء في حق الوالدين (١٩٠٦)، وأبو داود في الأدب، باب بر الوالدين (٥١٣٧)، وابن ماجه في الأدب، باب بر الوالدين (٣٦٥٧).

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٢٦ .

(٣) السنن الكبرى للنسائي (٤٨٩٦) .

(٤) وضمرّة: هو ضمّر بن ربيعة الفلسطيني، صدوق يهيم قليلاً، قاله في التفرير (١٥١/٢). وقال القاري في فتح باب العناية (٢/٢١٧): «وضّع الحديث بانفراد ضمرة به عن سفيان، وصحّحه عبد الحق، وقال: ضمّر ثقة، وإذا أسند الحديث ثقة لا يضرّ انفراد، ولا إرسال من أرسله، ولا وقف من وقّعه. وصوّب ابن القطان كلامه».

(٥) سنن الترمذي: ٦/ ١٠٠. (مع عارضة الأحوذ).

(٦) المستدرک في العتق (٢/٢٣٣)، ووافقه الذهبي.

(٧) سنن الترمذي: ٦/ ١٠٠ (مع عارضة الأحوذ).

(٨) أي الشافعية.

(٩) وكذا المالكية والحنابلة. (فتح باب العناية: ٢/٢١٨، الروض المربع، ص: ٤٣٣).

و « السارق يسرق البيضة » على الحديد ؛ و « بلائ يشفع الأذان » على « أن يجعله شفعا لأذان ابن أم مكتوم » .

(« والسارق »^(١) يسرق البيضة) أي ومن البعيد تأويل يحيى بن أكثم^(٢)، وغيره حديث الصحيحين : « لعن الله السارق يسرق البيضة ، فتقطع يده ، ويسرق الحبل ، فتقطع يده »^(٣) (على بيضة (الحديد) أي التي فوق رأس المقاتل ، وعلى حبل السفينة ، ليوافق أحاديث اعتبار النصاب في القطع .

وجه بعده : ما فيه من صرف اللفظ عما يتبادر منه من بيضة الدجاجة ، والحبل المعهود غالباً ، المؤيد^(٤) إرادته بالتوبيخ باللعين ، لجريان عرف الناس بتوبيخ سارق القليل ، دون الكثير . وترتيب القطع على سرقة ذلك لجبرها إلى سرقة غيرها مما تقطع فيه ، وهذا قريب .

(و« بلائ يشفع الأذان ») أي ومن البعيد تأويل بعض السلف حديث أنس رضي الله عنه في الصحيحين : « أمر بلائ - أي أمره رسول الله ﷺ كما في النسائي - أن يشفع الأذان ويوتر الإقامة »^(٥) (على « أن يجعله شفعا لأذان ابن أم مكتوم رضي الله عنه ») بأن يؤذن قبله للصبح من الليل كما هو الواقع ، ولا يزيد على إقامته ، حمله على ذلك ما قاله من أفراد كلمات الأذان .

وجه بعده : ما فيه من صرف اللفظ عما يتبادر منه من تشية كلمات الأذان وإفراد كلمات الإقامة - أي المعظم فيهما - المؤيد إرادته بما في رواية أنس رضي الله عنه في الصحيحين أيضاً من زيادة « إلا الإقامة »^(٦) أي كلماتها ، فإنها تُثنى .

(١) قوله « والسارق » وما عطف عليه بالرفع استئناف ، ولهذا غير الشارح الأسلوب حيث لم يقدر « ومن البعيد » بين العاطف والمعطوف كما في الذي قبله . (البناني : ٨٧ / ٢) .

(٢) ويحيى بن أكثم : هو يحيى بن محمد التميمي أبو محمد الأسدي المروزي ، فقيه أصولي ، مجتهد ، وله كتب قيمة منها : التنبيه في الفقه ، توفي رحمه الله سنة ٢٤٢ هـ . (تاريخ بغداد : ٢٠٤ / ١٤) .

(٣) رواه البخاري في الحدود ، باب لعن السارق... (٦٢٨٥) ، ومسلم في الحدود ، باب حد السارق ونصاؤها (٤٣٨٥) ، والنسائي (٤٧٩٠) ، وابن ماجه (٢٥٧٣) .

(٤) قوله « المؤيد » في الموضعين بالجر نعت لـ « ما يتبادر » . (البناني : ٨٧ / ٢) .

(٥) رواه البخاري في الأذان ، باب الإقامة واحدة... (٥٧٢) ، ومسلم في الصلاة ، باب الأمر بشفع الأذان... (٥٦٩) ، وأبو داود (٤٢٨) ، والترمذي (١٧٨) ، وابن ماجه (٧٢٢) .

(٦) رواه البخاري في الأذان ، باب الأذان مثنى ومثنى (٥٧٠) ، ومسلم في الصلاة ، باب الأمر بشفع الأذان وإيتار الإقامة (٥٦٩) ، وأبو داود في الصلاة ، باب في الإقامة (٤٢٨) .

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

المُجْمَلُ والمُبَيَّنُ

[تَعْرِيفُ الْمُجْمَلِ]

الْمُجْمَلُ: مَا لَمْ تَتَضَحَّ دَلَالَتُهُ .

[بَيَانُ مَا يُظَنُّ فِيهِ إِجْمَالٌ ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ]

فَلَا إِجْمَالٌ فِي آيَةِ السَّرْقَةِ ؛

[تَعْرِيفُ الْمُجْمَلِ]

٢٣٥

(الْمُجْمَلُ: مَا لَمْ تَتَضَحَّ دَلَالَتُهُ) مِنْ قَوْلٍ ، أَوْ فِعْلٍ^(١) . وَخَرَجَ الْمُهْمَلُ ، إِذْ لَا دَلَالَةَ لَهُ ، وَالْمُبَيَّنُّ لَا تَضَاحَ دَلَالَتِهِ .

[بَيَانُ مَا يُظَنُّ فِيهِ إِجْمَالٌ ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ]

(فَلَا إِجْمَالٌ فِي آيَةِ السَّرْقَةِ) ، وَهِيَ ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾^(٢) لَا فِي الْيَدِ ، وَلَا فِي الْقَطْعِ^(٣) .

وَخَالَفَ بَعْضُ الْحَنْفِيَّةِ^(٤) قَالَ : « لَأَنَّ الْيَدَ تُطْلَقُ عَلَى الْغُضْوِ إِلَى الْكُوعِ ، وَإِلَى الْمَنْكِبِ ، وَالْقَطْعُ يُطْلَقُ عَلَى الْإِبَانَةِ ، وَعَلَى الْجَرْحِ ، يَقَالُ لِمَنْ جَرَحَ يَدَهُ بِالسَّكِينِ : قَطَعَهَا ، وَلَا ظَهْوَرٌ لَوَاحِدٍ مِنْ ذَلِكَ ، وَإِبَانَةُ الشَّارِعِ مِنَ الْكُوعِ مُبَيَّنٌّ لَذَلِكَ »^(٥) .

قُلْنَا : لَا نُسَلِّمُ عَدَمَ الظَّهْوَرِ لَوَاحِدٍ مِنْ ذَلِكَ ، فَإِنَّ «الْيَدَ» ظَاهِرٌ فِي الْغُضْوِ إِلَى الْمَنْكِبِ ، وَالْقَطْعُ ظَاهِرٌ فِي الْإِبَانَةِ ، وَإِبَانَةُ الشَّارِعِ مِنَ الْكُوعِ^(٦) مُبَيَّنٌّ : أَنَّ الْمُرَادَ مِنَ الْكُلِّ ذَلِكَ الْبَعْضُ .

(١) كَقِيَامِهِ ﷺ مِنَ الرُّكْعَةِ الثَّانِيَةِ بِلَا تَشْهِيدٍ لِاحْتِمَالِهِ الْعَمَدَ وَالسَّهْوَ . (غَايَةُ الْوَصُولِ ، ص : ٨٤) .

(٢) سُورَةُ الْمَائِدَةِ ، آيَةُ : ٣٨ .

(٣) قَالَهُ الْجَمَاهِيرُ مِنَ الْحَنْفِيَّةِ وَالْمَالِكِيَّةِ وَالشَّافِعِيَّةِ وَالْحَنَابِلَةِ . (الْفَوَاتِحُ : ٣٩ / ٢ ، مُخْتَصَرُ ابْنِ الْحَاجِبِ ،

ص : ٢٤٠ ، الْإِحْكَامُ : ١٩ / ٣ ، الْمَحْصُولُ : ١٧١ / ٣ ، التَّشْنِيفُ : ٤١٤ / ١) .

(٤) فَوَاتِحُ الرَّحْمَوْتِ : ٣٩ / ٢ .

(٥) قَالَ الْعُصْدُ فِي شَرْحِ الْمَخْتَصَرِ (ص : ٢٤٠) : «لَا إِجْمَالٌ فِيهَا عِنْدَ الْجُمْهُورِ خِلَافًا لَشَرْذِمَةٍ» .

(٦) رَوَى الدَّارِقُطْنِيُّ فِي الْحُدُودِ وَالذِّيَّاتِ (٣٤٣٠ ، ١٤٢ / ٣) عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ ، قَالَ :

«كَانَ صَفْوَانُ بْنُ أُمَيَّةَ بْنِ خَلْفٍ نَائِمًا فِي الْمَسْجِدِ ثِيَابُهُ تَحْتَ رَأْسِهِ ، فَجَاءَ سَارِقٌ فَأَخَذَهَا ، فَأَثَرَبَهُ النَّبِيُّ ﷺ ، فَأَقَرَّ السَّارِقُ ، فَأَمَرَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يُقَطَّعَ ، فَقَالَ صَفْوَانُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَيقُطَّعُ رَجُلٌ مِنَ الْعَرَبِ فِي

ثَوْبِي؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : أَفَلَا كَانَ هَذَا قَبْلَ أَنْ تَجِيءَ بِهِ؟ ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : اشْفَعُوا مَا لَمْ يَتَّصِلْ =

وَنَحْوُ ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ﴾ ؛ ﴿وَأَمْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ﴾ ؛

(وَنَحْوُ ^(١) ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ﴾ ^(٢)) كـ ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَلْيَتُهُ﴾ ^(٣) أي لَا إجمال فيه ^(٤) .

وخالف الكرخي وبعض أصحابنا ^(٥) قالوا: «إسناد التحريم إلى العين لَا يصح، لأنه إنما يتعلّق بالفعل فلا بدّ من تقديره، وهو مُحْتَمِلٌ لأُمُورٍ لَا حاجة إلى جميعها، وَلَا مُرْجَحٌ لبعضها، فكان مُجْمَلًا» .

قلنا: المُرجّح موجودٌ، وهو العُرفُ، فإنّه قاضٍ بأنّ المُراد في الأوّل تحرّم الاستمتاع بوطء ونحوه، وفي الثاني تحرّم الأكل ونحوه .

٢٣٦

(﴿وَأَمْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ﴾ ^(٦)) لَا إجمال فيه ^(٧) .

وخالف بعض الحنفية ^(٨) قال: «لتردّده بين مسح الكلّ والبعض، ومسح الشارع الناصية ^(٩) مُبيّنٌ لذلك» .

= إلى الوالي، فإذا أوصل إلى الوالي فعفا، فلا عفا الله عنه، ثم أمر بقطعه من المفصل» .

وهو حسن لغيره، يأتي تخريجه مفصلاً في «أفعال النبي ﷺ»: ١١/٢ .

(١) قوله «وَنَحْوُ ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ﴾» جعله الشارح مع ما عطف عليه مرفوعاً بالابتداء، فقدّر له خبراً، ولو جعله مجزئاً لصحّ ولم يحتج إلى تقدير ذلك. (البناني: ٨٩/٢).

(٢) سورة النساء، الآية: ٢٣ .

(٣) سورة المائدة، الآية: ٣ .

(٤) قاله الجماهير من الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة. (التيسير: ١٦٦/١، شرح التنقيح، ص:

٢٧٥، مختصر ابن الحاجب، ص: ٢٣٨، الإحكام: ١٢/٣، رفع الحاجب: ٣٨٤/٣، شرح

الكوكب: ٤١٩/٣).

(٥) وكذا بعض الحنابلة، وجماعة من المعتزلة. (الفواتح: ٣٣/٢، شرح العضد، ص: ٢٣٨،

الإحكام: ١٢/٣، التثنيف: ٤١٤/١، شرح الكوكب: ٤٢٠/٣).

(٦) سورة المائدة، الآية: ٦، وسبقت الآية كاملةً (ص: ٤٤٠).

(٧) قاله الجماهير من الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة. (التيسير: ١٦٧/١، الفواتح: ٣٥/٢،

مختصر ابن الحاجب، ص: ٢٣٨، الإحكام: ١٤/٣، المحصول: ١٦٤/٣، رفع الحاجب: ٣/

٣٨٦، شرح الكوكب: ٤٢٣/٣).

(٨) الفواتح: ٣٥/٢، التيسير: ١٦٧/١.

(٩) عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ تَوَضَّأَ، فَمَسَحَ نَاصِيَتَهُ وَعِمَامَتَهُ وَعَلَى الْخُفَّيْنِ» .

« لَا نِكَاحَ إِلَّا بِوَلِيِّ » ، « رُفِعَ عَنْ أُمَّتِي الْخَطَأُ » ؛

قلنا: لَا نُسَلِّمُ تَرَدُّدَهُ بَيْنَ ذَلِكَ، وَإِنَّمَا هُوَ لِمُطْلَقِ الْمَسْحِ الصَّادِقِ بِأَقْلٍ مَا يُطْلَقُ عَلَيْهِ الْأَسْمُ وَبِغَيْرِهِ، وَمَسْحُ الشَّارِعِ النَّاصِيَةِ مِنْ ذَلِكَ.

(« لَا نِكَاحَ إِلَّا بِوَلِيِّ ») صَحَّحَهُ التِّرْمِذِيُّ وَغَيْرُهُ^(١) لَا إِجْمَالَ فِيهِ^(٢).

وَخَالَفَ الْقَاضِي أَبُو بَكْرٍ الْبَاقِلَانِيُّ فَقَالَ: « لَا يَصِحُّ النَّفْيُ لِنِكَاحِ بَدُونِ وَلِيِّيٍّ مَعَ وُجُودِهِ حَسًّا، فَلَا بُدَّ مِنْ تَقْدِيرِ شَيْءٍ، وَهُوَ مُتَرَدِّدٌ بَيْنَ الصَّحَّةِ وَالْكَمَالِ، وَلَا مُرْجَّحٌ لِوَاحِدٍ مِنْهَا، فَكَانَ مُجْمَلًا »^(٣).

قلنا: عَلَى تَقْدِيرِ تَسْلِيمِ مَا ذَكَرَ الْمُرْجَّحُ لِنَفْيِ الصَّحَّةِ مَوْجُودًا، وَهُوَ قُرْبُهُ مِنْ نَفْيِ الذَّاتِ، فَإِنَّ مَا انْتَفَتَ صَحَّتُهُ لَا يُعْتَدُّ بِهِ، فَيَكُونُ كَالْمَعْدُومِ، بِخِلَافِ مَا انْتَفَى كِمَالُهُ فَقَدْ يُعْتَدُّ بِهِ.

(« رُفِعَ عَنْ أُمَّتِي الْخَطَأُ ») وَالنَّسْيَانُ، وَمَا اسْتَكْرَهُوا عَلَيْهِ^(٤) لَا إِجْمَالَ فِيهِ^(٥).

وَخَالَفَ الْبَصْرِيَّانِ: أَبُو الْحُسَيْنِ، وَأَبُو عَبْدِ اللَّهِ، وَبَعْضُ الْحَنْفِيَّةِ قَالُوا: « لَا يَصِحُّ رُفْعُ الْمَذْكُورَاتِ مَعَ وُجُودِهَا حَسًّا، فَلَا بُدَّ مِنْ تَقْدِيرِ شَيْءٍ، وَهُوَ مُتَرَدِّدٌ بَيْنَ أُمُورٍ لَا حَاجَةَ إِلَى

رواه أبو داود في الطهارة، باب المسح على الخفين (١٢٩)، والترمذي في الطهارة، باب ما جاء في المسح على العمامة (١٠٠)، وقال: « حسن صحيح »، والنسائي في الطهارة، باب المسح على العمامة مع الناصية (١٠٦).

(١) رواه ابن حبان في النكاح، باب الولي (٤٠٧٥)، والحاكم في النكاح (٢٧١١)، بطريق عديدة، ثم قال: « هذه الأسانيد كلها صحيحة »، ووافقه الذهبي، وأبو داود في النكاح، باب الولي (١٧٨٥)، والترمذي في النكاح، باب ما جاء لا نكاح إلا بولي (١٠٢٠)، وقال: « حسن »، وابن ماجه في النكاح، باب لا نكاح إلا بولي (١٨٨٠).

(٢) قاله الجماهير من الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة.

(التيسير: ١٦٩/١، مختصر ابن الحاجب، ص: ٢٣٨، شرح التنقيح، ص: ٢٧٦، المحصول: ٣/ ١٦٦، الإحكام: ١٦/٣، رفع الحاجب: ٣/٣٨٦، شرح الكوكب: ٣/٤٢٩).

(٣) قال الآمدي في الإحكام (١٧/٣): « فمذهب الكل أنه لا إجمال فيه، خلافاً للقاضي أبي بكر الباقلاني، وأبي عبد الله البصري ».

(٤) سبق تخريجه في «دلالة الاقتضاء»: ١٨٦/١.

(٥) قاله الجماهير من الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة. (التيسير: ١٦٩/١، الفواتح: ٣٨/٢، مختصر ابن الحاجب، ص: ٢٣٩، شرح التنقيح، ص: ٢٧٦، المحصول: ٣/١٧٢، الإحكام: ٣/ ١٥، رفع الحاجب: ٣/٣٨٩).

« لَا صَلَاةَ إِلَّا بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ » لوضوح دلالة الكل. وخالف قوم.

[بَيَانُ مَا فِيهِ الْإِجْمَالُ]

وإنما الإجمال في مثل: القرء؛ والنور؛ والجسم؛ ومثل «المُختار» لتردده بين الفاعل والمفعول؛ وقوله «أَوْ يَعْقُوا الَّذِي يَدِيهِ عَقْدَةُ النِّكَاحِ»؛ «إِلَّا مَا يَتَلَى عَلَيْكُمْ»؛

جميعها، ولا مُرَجَّحَ لِيَعِضُهَا، فكان مُجْمَلًا^(١).

قلنا: المُرَجَّحُ موجودٌ، وهو العُرفُ، فإنه يَقْضِي بَأَنَّ الْمُرَادَ مِنْهُ رَفْعُ الْمُؤَاخَذَةِ، والحديث بهذا اللفظ رواه الحافظ أبو القاسم التميمي المعروف بأخي عاصم في مسنده، والبيهقي في «الخلافيات»، ورواه ابن ماجه وغيره بلفظ «إِنَّ اللَّهَ وَضَعَ...» إلى آخر ما تَقَدَّمَ^(٢).

٢٣٧

«لَا صَلَاةَ إِلَّا بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ» لَا إِجْمَالُ فِيهِ^(٣). وخالف القاضي أبو بكر الباقلاني^(٤)، والكلام فيه كما تَقَدَّمَ في «لَا نِكَاحَ إِلَّا بِوَلِيِّ». والحديث في الصحيحين بلفظ «لَا صَلَاةَ لِمَنْ لَمْ يَقْرَأْ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ»^(٥). (لوضوح دلالة الكل) كما تَقَدَّمَ بيانه. (وخالف قوم) في الجميع كما تَقَدَّمَ بيانه.

[بَيَانُ مَا فِيهِ الْإِجْمَالُ]

وإنما الإجمال في مثل: القرء) مُتَرَدِّدٌ بَيْنَ الطَّهْرِ وَالْحَيْضِ لاشتراكه^(٦) بينهما؛ (والنور)

(١) المحصول: ١٧٢/٣، الإحكام: ١٥/٣، التيسير: ١٦٩/١.

(٢) سنن ابن ماجه، كتاب الطلاق، باب طلاق المكره والناسي (٢٠٤٥).

(٣) قاله الجماهير من الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة. (التيسير: ١٦٩/١، مختصر ابن الحاجب، ص: ٢٣٩، شرح التنقيح، ص: ٢٧٦، المحصول: ١٦٦/٣، الإحكام: ١٦/٣، رفع الحاجب: ٣٩٠/٣، شرح الكوكب: ٤٢٩/٣).

(٤) قال الأمدى في الإحكام (١٧/٣): «مذهب الكل أنه لا إجمال فيه خلافاً للقاضي أبي بكر الباقلاني وأبي عبد الله البصري».

(٥) رواه البخاري في الأذان، باب وجوب القراءة للإمام والمأموم... (٧٥٦)، ومسلم في الصلاة، باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة (٨٧٢)، وأبو داود في الصلاة، باب في ترك القراءة في صلاته بفاتحة الكتاب (٨٢٢)، والترمذي في الصلاة، باب ما جاء أنه لا صلاة إلا بفاتحة الكتاب (٢٤٧)، والنسائي في الافتتاح، باب إيجاب قراءة فاتحة الكتاب في الصلاة (٩١٠)، وابن ماجه في إقامة الصلاة والسنة فيها، باب القراءة خلف الإمام (٨٣٧).

(٦) اتفق العلماء على استعمال «القرء» في الشرع واللغة بمعنى الطهر والحيض، ولكنهم اختلفوا في=

﴿وَمَا يَسْكُم تَأْوِيلُهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَمَنَّا بِهِ﴾؛ وقوله عليه السلام: «لَا يَمْنَعُ أَحَدُكُمْ جَارَهُ أَنْ يَضَعَ خَشْبَةً فِي جِدَارِهِ»؛

صالح للعقل ونور الشمس لتشابهيهما بوجه. (وَالْجِسْم) صالح للسماء والأرض لتماميهما.

(ومثل «المختار» لتردده بين الفاعل والمفعول) بإعلاله بقلب يائه المكسورة أو المفتوحة ألفاً.

(وقوله) تعالى: ﴿أَوْ يَفْعُوا الَّذِي يَدْعُو عُقْدَةُ الْكَأَجِ﴾^(١)، لتردده بين الزوج والولي،

وقد حمّله الشافعي رحمته^(٢) على الزوج، ومالك رحمته على الولي^(٣) لما قام عندهما.

(﴿إِلَّا مَا يَتْلُ عَلَيْكُمْ﴾^(٤) للجهل بمعناه قبل نزول مبيّنه أي ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَلَيْتُهُ﴾^(٥)

ويسري الإجمال إلى المستثنى منه أي ﴿أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْتَمِرِ﴾^(٦).

(﴿وَمَا يَسْكُم تَأْوِيلُهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَمَنَّا بِهِ﴾^(٧) لتردد لفظ «الراسخون»

بين العطف والابتداء، وحمّله الجمهور على الابتداء لما قام عندهم، وعليه ما قدّمه المصنف في مسألة «حدوث الموضوعات اللغوية» من «أنّ المُتشابه ما استأثر الله بعلمه».

= المراد منه في قوله تعالى ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَرْصِدْنَ أَنْفُسَهُنَّ تَخَوِّفْنَ فَرُوسَهُنَّ﴾ على مذهبيّن: الأول: أنّه ظهر، قاله

المالكية والشافعية والحنابلة؛ الثاني: أنه حيض، قاله الحنفية. (أثر الاختلاف، ص: ٧٢).

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٣٧، والآية كاملة: ﴿وَلَمَّا طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً

فَصِفْ مَا قَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَفْعُوكَ أَوْ يَفْعُوا الَّذِي يَدْعُو عُقْدَةُ الْكَأَجِ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبَ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنْسُوا

الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٧﴾».

(٢) أي حمّله على الزوج أبو حنيفة والشافعي وأحمد وأصحابهم.

(٣) أحكام القرآن للجصاص: ١/ ٤٤٠، الفواتح: ٢/ ٢٢، أحكام القرآن للشافعي: ١/ ٢٠٠، كشاف

القناع: ٥/ ١٦١، شرح الكوكب: ٣/ ٤١٦.

(٤) أحكام القرآن لابن العربي: ١/ ٢٢٢، نشر البنود: ١/ ٢٧٦.

(٥) سورة المائدة، الآية: ١، والآية كاملة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْتَمِرِ إِلَّا مَا

يَتْلُ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مَحِلِّ الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴿١﴾».

(٦) سورة المائدة، الآية: ٣، والآية كاملة: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَلَيْتُهُ وَأَلَدُّمُ وَلَحْمُ الْخَنَازِيرِ وَمَا أُوْهِلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ

وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوْدَةُ وَالْمَرْدِيَّةُ وَالنَّطِيْعَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَمِ

ذَلِكُمْ فَسَوْءَ الْيَوْمِ يَسَّرَ الْيَوْمَ لَكُمْ دِينَكُمْ فَلا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوُا الْيَوْمَ أَكَلَتْ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَّتْ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي

وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣﴾».

(٧) سورة المائدة، الآية: ١.

(٨) سورة آل عمران، الآية: ٧.

وقولك : « زيد طيبٌ ماهرٌ » ؛ « الثلاثة : زوجٌ وفرْدٌ » .

(وقوله عليه) الصلاة (والسلام) فيما رواه الشيخان وغيرهما^(١) « لا يَمْنَعُ أَحَدُكُمْ جَارَهُ أَنْ يَضَعَ خَشْبَةً فِي جِدَارِهِ » لتردّد ضمير «جداره» بين عوده إلى «الجار» وإلى «الأحد» . وتردّد الشافعي في المنع لذلك ، والجديد المنع^(٢) لحديث خطبة حجة الوداع : « لا يَحِلُّ لِمَرِيٍّ مِنْ مَالِ أَخِيهِ إِلَّا مَا أَعْطَاهُ عَنْ طِيبِ نَفْسٍ »^(٣) ، رواه الحاكم بإسنادٍ على شرط الشيخين في معظمه ، وكلٌّ منهما مُنفرداً في بعضه . و «خَشْبَةٌ» في الأقلّ روي بالإنفراد مُتَوَّنًا ، والأكثر بالجمع مُضَافًا^(٤) .

(وقولك : «زيد طيبٌ ماهرٌ»)^(٥) لتردّد «ماهر» بين رجوعه إلى «طيب» وإلى «زيد»^(٦) ،

(١) رواه البخاري في المظالم ، باب لا يَمْنَعُ جَارٌ جَارَهُ أَنْ يَغْرِزَ خَشْبَةً فِي جِدَارِهِ (٢٤٦٣) ومسلم في المساقاة ، باب غرز الخشبة في جدار الجار (٤١٠٦) ، وأبو داود في الأقضية ، باب أبواب من القضاء (٣٦٣٤) ، والترمذي في الأحكام ، باب ما جاء في الرجل يضع على حائط جاره خشبةً (١٣٥٣) ، وابن ماجه في الأحكام ، باب الرجل يضع خشبةً على جدار جاره (٢٣٣٥) .

(٢) أي أنّ لصاحب الجدار أن يَمْنَعُ جَارَهُ مِنْ وَضْعِ الخَشْبَةِ ، لكن يُنْذَبُ لَهُ تَمَكُّيْنُ الجارِ مِنْ وَضْعِهِ ، قاله الحنفية والمالكية والشافعية ؛ وقال الحنابلة : يَجِبُ عَلَيْهِ تَمَكُّيْنُ الجارِ مِنْ وَضْعِهِ ، ولا يجوزُ منعه . (الإشراف للقاضي عبد الوهاب : ١٨/٢ ، شرح مسلم للنووي : ٤٩/١١ ، نهاية المحتاج : ٣٩٣/٤ ، المغني : ٢٢٠/٥ ، شرح الكوكب : ٤١٧/٣) .

(٣) رواه الحاكم في العلم (٣١٨) ، وقال : « وقد احتجّ البخاري بأحاديث عكرمة ، واحتجّ مسلمٌ بأبي أُويس ، وسائر رواته متفقٌ عليهم ، وهذا الحديث لخطبة النبي ﷺ متفقٌ على إخراجِهِ في الصحيح » ، ويمثله قال الذهبي في التلخيص (١٧١/١) ، ورواه البيهقي في السنن (٩٦/٦) ، والدارقطني في السنن (٢٥/٣) ، وقال الزيلعي في نصب الراية (١٦٩/٤) ، وابن حجر في الدراية (٢٠١/٢) : «إسناده جيد» .

(٤) قال الإمام النووي رحمه الله في شرح مسلم (٤٨/١١) : «قال القاضي عياض : رويناه قولهُ «خشبة» في صحيح مسلم وغيره من الأصول والمصنفات «خشبة» بالإنفراد ، و«خشبة» بالجمع . قال : وقال الطحاوي عن روح بن القُرَج : سألتُ أبا زيدَ والحِثَّ بْنَ مَسْكِينٍ ويونس بن عبد الأعلى عنه ؟ فقالوا كلهم : خشبةٌ بالتثنية على الأفراد ؛ قال عبد الغني بن سعد : كل الناس يقولونه بالجمع ، إلّا الطحاوي» .

(٥) قاله الجماهير من الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة . (الفواتح : ٣٣/٢ ، مختصر ابن الحاجب ، ص : ٢٣٧ ، الإحكام : ١١/٣ ، رفع الحاجب : ٣٨٠/٣ ، التشتيف : ٤١٨/١ ، شرح الكوكب : ٤١٧/٣) .

(٦) قياسٌ ما اختاره الشافعي فيما قبله من رجوع ضمير «جداره» إلى «الجار» لقربه ، ورجوع «ماهر» إلى «طيب» . (البناني : ٩٤/٢) .

[الْمُجْمَلُ وَاقِعٌ]

والأصحُّ وقوعه في الكتابِ والسُّنَّةِ ؛

ويختلف المعنى باعتبارهما .

(«الثلاثة زوج وفرد») لتردُّد «الثلاثة» فيه بين جميع أجزائها^(١) وجميع صفاتها وإن تعيَّن الأولُ نظراً إلى صدق المتكلم به، إذ حمَّله على الثاني يوجبُ كذبَه^(٢) .

[الْمُجْمَلُ وَاقِعٌ]

والأصحُّ وقوعه أي المَجْمَلِ (في الكتابِ والسُّنَّةِ)^(٣) للأمثلة السابقة منهما .ونفاؤه داود^(٤) .

ويمكن أن يفصل^(٥) عنها: بأنَّ الأولَ^(٦) ظاهرٌ في الزَّوجِ لأنَّه المالكُ للنكاحِ ؛ والثاني مقترِنٌ بِمفسِّره ؛ والثالث هو ظاهرٌ في الابتداء ؛ والرابع ظاهرٌ في عودِه إلى «الأحد»، لأنَّه مَحَطُّ الكلام .

(١) أي مجموع أجزائها، وأجزاؤها: واحد، واثنان، وكذا القول في قوله «وجميع صفاتها» أي مجموع صفاتها، وصفاتها: زوج وفرد، فيحتمل أن يكون التقدير: أجزاء الثلاثة واحد واثنان، وأن يكون: صفات الثلاثة زوج وفرد، فالأول باعتبار أجزائها، والثاني باعتبار صفاتها. (البناني: ٩٥/٢).

(٢) لأنَّ الشيء الواحد لا يتصف بصفتين تقيضين. (البناني: ٩٥/٢) .

(٣) قاله الجماهير من الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة.

(شرح التنقيح، ص: ٢٨٠، المحصول: ١٥٨/٣، التشنيف: ٤١٥/١، إرشاد الفحول، ص: ١٦٨،

شرح الكوكب: ٤١٥/٣) .

(٤) أي منع وقوعه في الكتابِ والسُّنَّةِ داود ومن تبعه .

(المحصول: ١٥٨/٣، التشنيف: ٤١٥/١، شرح الكوكب: ٤١٥/٣) .

(٥) هذا جواب سؤال تقديره: كيف يُنكر داود المُجْمَلُ مع الأمثلة السابقة من الكتاب والسنة ؟ فأجاب بأنَّه يُمكن أن يُجاب عنها بما ذكر. (البناني: ٩٥/٢) .

(٦) المراد بـ «الأول» قوله تعالى ﴿أَوْ يَقُولُوا آلَیْهِ عِقْدَةٌ إِلَکَّجْ﴾، وبـ «الثاني» قوله تعالى ﴿إِلَّا مَا بَقِيَ

عَلَيْكُمْ﴾، وبـ «الثالث» قوله تعالى ﴿وَالرَّسُخُونَ فِي الْأَعْلَامِ﴾، وبـ «الرابع» الحديث «لا يَمْنَعُ أَحَدُكُمْ

جاره». (البناني: ٩٥/٢) .

[الْمُسَمَّى الشَّرْعِيُّ مُقَدَّمٌ عَلَى غَيْرِهِ]

وَأَنَّ الْمُسَمَّى الشَّرْعِيَّ أَوْضَحُ مِنَ اللَّغْوِيِّ - وَقَدْ تَقَدَّمَ - فَإِنْ تَعَدَّرَ حَقِيقَةً فَيُرَدُّ إِلَيْهِ بِتَجَوُّزٍ، أَوْ مُجْمَلٌ، أَوْ يُحْمَلُ عَلَى اللَّغْوِيِّ، أَقْوَالٌ .

[الْمُسَمَّى الشَّرْعِيُّ مُقَدَّمٌ عَلَى غَيْرِهِ]

(و) الْأَصَحُّ (أَنَّ الْمُسَمَّى الشَّرْعِيَّ) لِلْفِظِ (أَوْضَحُ مِنْ) الْمُسَمَّى (اللَّغْوِيِّ) لَهُ فِي عُرْفِ الشَّرْعِ، لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَعَثَ لِبَيَانِ الشَّرْعِيَّاتِ، فَيُحْمَلُ عَلَى الشَّرْعِيِّ.

٢٣٩

وَقِيلَ: «لَا فِي النَّهْيِ»^(١) فَقَالَ الْغَزَالِيُّ: «هُوَ مُجْمَلٌ. وَالْأَمْدِيُّ»^(٢): يُحْمَلُ عَلَى اللَّغْوِيِّ. (وَقَدْ تَقَدَّمَ) ذَلِكَ فِي مَسْأَلَةٍ: «الْفِظُ إِمَّا حَقِيقَةً، أَوْ مَجَازًا»^(٣)، وَذَكَرَ هُنَا تَوِطُّةً لِقَوْلِهِ: (فَإِنْ تَعَدَّرَ) الْمُسَمَّى الشَّرْعِيُّ لِلْفِظِ (حَقِيقَةً فَيُرَدُّ إِلَيْهِ بِتَجَوُّزٍ) مُحَافَظَةً عَلَى الشَّرْعِيِّ مَا أَمَكُنَ^(٤)؛ (أَوْ) هُوَ (مُجْمَلٌ)، لِتَرَدُّدِهِ بَيْنَ الْمَجَازِ الشَّرْعِيِّ وَالْمُسَمَّى اللَّغْوِيِّ^(٥)؛ (أَوْ يُحْمَلُ عَلَى اللَّغْوِيِّ) تَقْدِيمًا لِلْحَقِيقَةِ عَلَى الْمَجَازِ^(٦). (أَقْوَالٌ) اخْتَارَ مِنْهَا الْمُصَنِّفُ فِي «شَرْحِ الْمُخْتَصَرِ»^(٧) كَفَيْهِ^(٨) الْأَوَّلَ.

(١) اتَّفَقَ الْجَمَاهِيرُ مِنَ الْأَثَمَةِ الْأَرْبَعَةِ وَغَيْرِهِمْ عَلَى أَنَّ «الْمُسَمَّى الشَّرْعِيَّ» مُقَدَّمٌ فِي خُطَابِ الشَّارِعِ عَلَى «الْمُسَمَّى اللَّغْوِيِّ» فِي الْإِبْطَاتِ، وَاخْتَلَفُوا فِي النَّفْيِ (أَيِ وَالنَّهْيِ)، فَذَهَبَ الْجَمَاهِيرُ إِلَى تَقْدِيمِ «الْمُسَمَّى الشَّرْعِيِّ» عَلَى «الْمُسَمَّى اللَّغْوِيِّ»، وَذَهَبَ جَمْعٌ أَجْلُهُمُ الْإِمَامُ الْغَزَالِيُّ إِلَى أَنَّ الْفِظَ فِي النَّفْيِ (أَيِ وَالنَّهْيِ) يَصِيرُ مُجْمَلًا، بِخِلَافِهِ فِي الْإِبْطَاتِ. (الْمُسْتَصْفَى: ١/ ٦٩١، الْإِحْكَامُ: ٣/ ٢١).

(٢) عِبَارَةُ الشَّارِحِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى صَرِيحَةٌ فِي أَنَّ الَّذِينَ قَالُوا: «إِنَّ لَفْظَ الشَّارِعِ الْمُرْتَدِّ بَيْنَ «الْمُسَمَّى الشَّرْعِيِّ» وَ«الْمُسَمَّى اللَّغْوِيِّ» لَا يُحْمَلُ عَلَى الشَّرْعِيِّ، فَذَهَبَ الْغَزَالِيُّ إِلَى أَنَّ الْفِظَ مُجْمَلٌ، وَالْأَمْدِيُّ إِلَى تَقْدِيمِ «اللَّغْوِيِّ»، كَمَا سَبَقَ فِي «مَحْمَلِ الْفِظِ». وَلَيْسَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ، فَإِنَّ الْأَمْدِي صَرَّحَ فِي الْإِحْكَامِ (٣/ ٢١، ٢٣) عَلَى تَقْدِيمِ «الشَّرْعِيِّ» هُنَا وَتَقْدِيمِ «اللَّغْوِيِّ» هُنَاكَ، فَلْيَتَّبِعْهُ. وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ.

(٣) انْظُرْ: «الْحَقِيقَةُ وَأَقْسَامُهَا» ١/ ٢٤٧، وَ«مَحْمَلُ الْفِظِ»: ١/ ٢٦٧.

(٤) قَالَهُ الْجَمَاهِيرُ مِنَ الْحَنْفِيَّةِ وَالْمَالِكِيَّةِ وَالشَّافِعِيَّةِ وَالْحَنَابِلَةِ.

(التَّيْسِيرُ: ١/ ١٧٣، الْإِحْكَامُ: ٣/ ٢١، مُخْتَصَرُ ابْنِ الْحَاجِبِ، ص: ٢٤١، رَفَعَ الْحَاجِبُ: ٣/ ٤٠٣،

التَّشْنِيفُ: ١/ ٤٢٠، غَايَةُ الْوُصُولِ، ص: ٨٥، شَرْحُ الْكُوكَبِ: ٣/ ٤٣٢).

(٥) قَالَهُ الْغَزَالِيُّ فِي الْمُسْتَصْفَى: ١/ ٦٩١.

(٦) هَذَا الْقَوْلُ لَمْ يَحْكِهِ الْأَمْدِيُّ وَلَا ابْنُ الْحَاجِبِ وَلَا ابْنُ النِّجَارِ، وَلَمْ أَجِدْ مَنْ ذَكَرَهُ قَبْلَ الْمُصَنِّفِ، وَقَالَ الزَّرْكَشِيُّ: «وَلَمْ يَحْكِ ابْنُ الْحَاجِبِ فِيهِ الْقَوْلَ بِالْحَمْلِ عَلَى اللَّغْوِيِّ»، وَكَأَنَّهُ يُشِيرُ إِلَى عَدَمِ الْوُجُودِ. (الْإِحْكَامُ: ٣/ ٢١، شَرْحُ الْمُخْتَصَرِ لِلْعُضْدِ، ص: ٢٤١، التَّشْنِيفُ: ١/ ٤٢٠، شَرْحُ الْكُوكَبِ: ٣/ ٤٣٢).

(٧) أَيِ اخْتَارَ الْمُصَنِّفُ فِي شَرْحِ الْمُخْتَصَرِ (٣/ ٤٠٣) الْقَوْلَ الْأَوَّلَ.

(٨) كَالْقَاضِي الْعُضْدِ فِي شَرْحِ الْمُخْتَصَرِ (ص: ٢٤١).

[حُكْمُ الْمُسْتَعْمَلِ لِمَعْنَى تَارَةً، وَلِمَعْنَيْنِ تَارَةً أُخْرَى]

وَالْمُخْتَارُ : أَنَّ اللَّفْظَ الْمُسْتَعْمَلُ لِمَعْنَى تَارَةً ، وَلِمَعْنَيْنِ ، لَيْسَ ذَلِكَ الْمَعْنَى أَحَدُهُمَا ، مُجْمَلٌ .

فَإِنْ كَانَ أَحَدُهُمَا فَيُعْمَلُ بِهِ ، وَيُوقَفُ الْآخَرُ .

مثاله: حديث الترمذي وغيره: «الطَّوْفُ بِالْبَيْتِ صَلَاةٌ، إِلَّا أَنْ اللَّهَ أَحَلَّ فِيهِ الْكَلَامَ»^(١) تعذر فيه مُسَمَّى «الصلاة» شرعاً، فَيُرَدُّ إِلَيْهِ بِتَجَوُّزٍ بِأَنْ يُقَالَ: كالصلاة في اعتبار الطهارة والنية ونحوهما^(٢)؛ أَوْ يُحْمَلُ عَلَى الْمُسَمَّى اللَّغَوِيِّ، وَهُوَ الدَّعَاءُ بِخَيْرٍ لاشْتِمَالِ الطَّوْفِ عَلَيْهِ، فَلَا يُعْتَبَرُ فِيهِ مَا ذُكِرَ^(٣)؛ أَوْ هُوَ مُجْمَلٌ لِتَرُدِّهِ بَيْنَ الْأَمْرَيْنِ.

[حُكْمُ الْمُسْتَعْمَلِ لِمَعْنَى تَارَةً، وَلِمَعْنَيْنِ تَارَةً أُخْرَى]

(وَالْمُخْتَارُ أَنَّ اللَّفْظَ^(٤) الْمُسْتَعْمَلُ لِمَعْنَى تَارَةً ، وَلِمَعْنَيْنِ لَيْسَ ذَلِكَ الْمَعْنَى أَحَدُهُمَا) تَارَةً أُخْرَى عَلَى السَّوَاءِ، وَقَدْ أُطْلِقَ، (مُجْمَلٌ) لِتَرُدِّهِ بَيْنَ الْمَعْنَى وَالْمَعْنَيْنِ.
وقيل: «يَتَرَجَّحُ الْمَعْنَيَانِ، لِأَنَّهُ أَكْثَرُ فَائِدَةً» .

(فَإِنْ كَانَ) ذَلِكَ الْمَعْنَى (أَحَدُهُمَا فَيُعْمَلُ بِهِ) جِزْماً لَوْجُودِهِ فِي الْإِسْتِعْمَالَيْنِ ، (وَيُوقَفُ الْآخَرُ) لِلتَّرُدِّ فِيهِ .

(١) رواه ابنُ حُرَيْمَةَ فِي الْحَجِّ (٣٨٣٦)، وَالْحَاكِمُ فِي التَّفْسِيرِ (٣٠٥٦)، وَقَالَ: «صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ، وَإِنَّمَا يُعْرَفُ عَنْ عَطَاءِ بْنِ السَّائِبِ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ»، وَوَافَقَهُ الذَّهَبِيُّ، وَفِي الْمَنَاسِكِ أَيْضاً (١٦٨٧)، وَقَالَ: «صَحِيحُ الْإِسْنَادِ، وَقَدْ أَوْقَفَهُ جَمَاعَةٌ»، وَوَافَقَهُ الذَّهَبِيُّ، وَالتِّرْمِذِيُّ فِي الْحَجِّ، بَابُ مَا جَاءَ فِي الْكَلَامِ فِي الطَّوْفِ (٩٦٠)، وَقَالَ: «لَقَدْ رَوَى هَذَا الْحَدِيثُ وَقَوْلاً، وَلَا نَعْرِفُهُ مَرْفُوعاً إِلَّا مِنْ حَدِيثِ عَطَاءِ بْنِ السَّائِبِ، وَالْعَمَلُ عَلَى هَذَا عِنْدَ أَكْثَرِ أَهْلِ الْعِلْمِ»، وَالنَّسَائِيُّ فِي الْمَنَاسِكِ، بَابُ إِبَاحَةِ الْكَلَامِ فِي الطَّوْفِ (٢٩٢٢).

اختلف العلماء في رفع هذا الحديث ووقفه، رجَّح النسائي، والبيهقي، وابنُ الصلاح، والنووي، والمنذري وقفه. (نصب الراية: ٥٧/٣، التلخيص الحبير: ١٢٩/١).

(٢) قاله المالكية والشافعية والحنابلة، وصاحبُ أبي حنيفة: أبو يوسف، ومحمد. (فتح باب العناية: ١/٦١٤، جامع الأمهات، ص: ١٩٢، مغني المحتاج: ٧٠٦/١، منتهى الإرادات: ٢٠٠/١).

(٣) قاله أبو حنيفة، وعليه الفتوى عند الحنفية. (فتح باب العناية: ١/٦١٤).

(٤) اللَّفْظُ الْمُسْتَعْمَلُ فِي الْمَعْنَيْنِ إِمَّا أَنْ يَظْهَرَ كَوْنُهُ حَقِيقَةً فِيهِمَا كـ «الْعَيْنِ، وَالْجَوْنِ»، فَهُوَ مُشْتَرَكٌ؛ وَإِمَّا أَنْ يَظْهَرَ كَوْنُهُ فِي أَحَدِهِمَا حَقِيقَةً وَالْآخَرِ مَجَازاً كـ «الْأَسَدِ» حَقِيقَةً فِي الْحَيَوَانَ الْمَفْتَرَسِ، وَمَجَازاً فِي الرَّجُلِ الشَّجَاعِ، فَهَذَا لَا خِلَافَ فِيهِمَا؛ وَإِمَّا أَنْ لَا يَظْهَرُ شَيْءٌ مِنْهُمَا فَاخْتَلَفُوا فِيهِ عَلَى ثَلَاثَةِ

٢٤٠

وقيل: «يُعمل به أيضاً، لأنه أكثر فائدة».

والتقييد بقوله «ليس الخ» مما ظهر له كما قال^(١)، والظاهر أنه مرادهم أيضاً.

مثال الأول: حديث مسلم: «لَا يَنْكِحُ الْمُحْرِمُ، وَلَا يُنْكَحُ»^(٢) بناءً على أن «النكاح» مُشْتَرَكٌ بَيْنَ الْعَقْدِ وَالْوَطْءِ، فَإِنَّهُ إِنْ حُمِلَ عَلَى «الْوَطْءِ» اسْتُفِيدَ مِنْهُ مَعْنَى وَاحِدٌ، وَهُوَ أَنَّ الْمُحْرِمَ لَا يَطْأُ وَلَا يُوطَأُ: أَي لَا يُمَكِّنُ غَيْرَهُ مِنْ وَطْئِهِ؛ وَإِنْ حُمِلَ عَلَى «الْعَقْدِ» اسْتُفِيدَ مِنْهُ مَعْنَانِ بَيْنَهُمَا قَدْرٌ مُشْتَرَكٌ، وَهُوَ أَنَّ الْمُحْرِمَ لَا يَعْقِدُ لِنَفْسِهِ وَلَا يَعْقِدُ لِغَيْرِهِ^(٣).

ومثال الثاني: حديث مسلم «الْثِيْبُ أَحَقُّ بِنَفْسِهَا مِنْ وَلِيِّهَا»^(٤) أي بَأَن تَعْقِدَ لِنَفْسِهَا أَوْ تَأْذَنَ لِوَلِيِّهَا، فَيَعْقِدَ لَهَا وَلَا يُجْبِرُهَا، وَقَدْ قَالَ بِعَقْدِهَا لِنَفْسِهَا^(٥) أَبُو حَنِيفَةَ وَكَذَلِكَ بَعْضُ أَصْحَابِنَا، لَكِنْ إِذَا كَانَتْ فِي مَكَانٍ لَا وَلِيَّ فِيهِ وَلَا حَاكِمَ، وَنَقَلَهُ يُونُسُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى^(٦) عَنِ الشَّافِعِيِّ رحمته الله.

= مذاهب: الأول: أنه مُجْمَلٌ، قاله الحنفية والمالكية والحنابلة؛ الثاني: أنه يُحْمَلُ عَلَى الْمَعْنَيْنِ كَالْمُشْتَرَكِ، حَكَاهُ الْأَمَدِيُّ عَنِ الْأَكْثَرِ، وَاخْتَارَهُ؛ الثالث: التفصيلُ الَّذِي اخْتَارَهُ الْمُصَنِّفُ، وَتَبِعَهُ الزَّرْكَشِيُّ وَالشَّارِحُ وَشَيْخُ الْإِسْلَامِ. (الفواتح: ٤٠/٢، مختصر ابن الحاجب، ص: ٢٤١، المستصفى: ٦٩١/١، الإحكام: ٢٠/٣، شرح العضد، ص: ٢٤١، التشنيف: ٤٢٠/١، غاية الوصول، ص: ٨٥، شرح الكوكب: ٤٣١/٣).

(١) أي كما قال المصنف في رفع الحاجب للمصنف: ٣٩٧/٣.

(٢) رواه مسلم في النكاح، باب تحريم نكاح المحرم... (٣٤٣٢)، وأبو داود في المناسك، باب المحرم يتزوج (١٨٤١)، والترمذي في الحج، باب ما جاء في كراهية تزويج المحرم (٨٤٠)، والنسائي في المناسك، باب النهي عن نكاح المحرم (٣٢٧٥)، وابن ماجه في النكاح، باب المحرم يتزوج (١٩٦٦).

(٣) قاله المالكية والشافعية والحنابلة، وقال الحنفية: يصح.

(فتح باب العناية: ٢٠/٢، شرح مسلم: ١٧٩/٩، الروض المربع، ص: ٢٣٦).

(٤) رواه مسلم في النكاح، باب استئذان الثيب بالنكاح والبكر تستأذن (٣٤٦٢)، وأبو داود في النكاح، باب في الثيب (٢٠٩٨)، والترمذي في النكاح، باب ما جاء في استثمار البكر والثيب (١١٠٨)، والنسائي في النكاح، باب استئذان البكر في نفسها (٣٢٦٠)، وابن ماجه في النكاح، باب استثمار البكر والثيب (١٨٧٠).

(٥) سبقت مسألة «تزويج المرأة نفسها أو غيرها» في «أقسام التأويل»: ٤٢٣/١.

(٦) ويونس بن عبد الأعلى: هو يونس بن عبد الأعلى بن ميسرة، المصري، صاحب الشافعي، الإمام، روى له مسلم في صحيحه، وأكثر رواياته عنه، واتفقوا على توثيقه وجلالته، قال النسائي: هو ثقة، وأحد رواة النصوص الجديدة عن الشافعي، توفي رحمه الله سنة ٢٦٤ هـ، وهو ابن أربع وتسعين.

(التهذيب للنووي: ٤٦١/٢، الطبقات للإسني: ٢٧/١).

- (١) البيانُ يَكُونُ بالقولِ وفاقاً، وكذا بالفعلِ عند الجماهيرِ مِنَ الأئمةِ الأربعِ وغيرهم إلا مَنْ شذَّ. (التيسير: ١٧٥/٣، الفواتح: ٤٥/٢، مختصر ابن الحاجب، ص: ٢٤٣، شرح التنقيح، ص: ٢٨١، الإحكام: ٢٥/٣، المحصول: ١٨٠/٣، رفع الحاجب: ٤١٥/٣، شرح الكوكب: ٤٤٢/٣).
- (٢) عن سلمان بن بُريدة عن أبيه رضي الله عنه قال: «أَتَى النَّبِيَّ ﷺ رَجُلٌ، فَسَأَلَهُ عَنْ مَوَاقِيتِ الصَّلَاةِ؟ فَقَالَ ﷺ: أَفِيمَ مَعْتَنًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ، فَأَمْرٌ بِلَا لَأَ، فَأَقَامَ حِينَ طَلَعَ الْفَجْرُ، ثُمَّ أَمْرُهُ فَأَقَامَ حِينَ زَالَتْ الشَّمْسُ فَصَلَّى الظُّهْرَ، ثُمَّ أَمْرُهُ فَأَقَامَ فَصَلَّى الْعَصْرَ وَالشَّمْسُ بِيضَاءَ مُرْتَفَعَةٍ، ثُمَّ أَمْرُهُ بِالْمَغْرِبِ حِينَ وَقَعَ حَاجِبُ الشَّمْسِ، ثُمَّ أَمْرُهُ بِالْعِشَاءِ فَأَقَامَ حِينَ غَابَ الشَّفَقُ، ثُمَّ أَمْرُهُ مِنَ الْغَدَقَتِ بِالْفَجْرِ، ثُمَّ أَمْرُهُ بِالظُّهْرِ فَأَبْرَدَ وَأَنْعَمَ أَنْ يَبْرُدَ ثُمَّ أَمْرُهُ بِالْعَصْرِ فَأَقَامَ وَالشَّمْسُ آخِرَ وَقْتِهَا فَوْقَ مَا كَانَتْ، ثُمَّ أَمْرُهُ فَأَخَّرَ الْمَغْرِبَ إِلَى قَبِيلِ أَنْ يَغِيبَ الشَّفَقُ، ثُمَّ أَمْرُهُ بِالْعِشَاءِ فَأَقَامَ حِينَ ذَهَبَ ثُلُثُ اللَّيْلِ، ثُمَّ قَالَ: أَيْنَ السَّائِلُ عَنْ مَوَاقِيتِ الصَّلَاةِ؟ فَقَالَ الرَّجُلُ: أَنَا، فَقَالَ ﷺ: مَوَاقِيتُ الصَّلَاةِ كَمَا بَيْنَ هَذَيْنِ». رواه أبو داود في الصلاة، باب في المواقيت (٣٩٥)، والترمذي في الصلاة، باب ما جاء في مواقيت الصلاة عن النبي ﷺ (١٥٢)، وقال: «حَسَنٌ غَرِيبٌ صَحِيحٌ»، وابن ماجه في الصلاة، باب مواقيت الصلاة (٦٦٧).

وَأَنَّ الْمَظْنُونُ يُبَيِّنُ الْمَعْلُومَ؛ وَأَنَّ الْمُتَقَدَّمَ وَإِنْ جَهِلْنَا عَيْنَهُ مِنَ الْقَوْلِ أَوْ الْفِعْلِ هُوَ الْبَيَانُ .

٢٤١

(و) الْأَصَحُّ (أَنَّ الْمَظْنُونُ يُبَيِّنُ الْمَعْلُومَ) ^(١) .

وقيل: «لَا ، لَأَنَّهُ دُونَهُ ، فَكَيْفَ يُجْعَلُ فِي مَحَلِّهِ حَتَّى كَأَنَّهُ الْمَذْكُورُ بِدَلِّهِ» ^(٢) .

قلنا: لوضوحه .

(و) الْأَصَحُّ (أَنَّ الْمُتَقَدَّمَ، وَإِنْ جَهِلْنَا عَيْنَهُ، مِنَ الْقَوْلِ أَوْ الْفِعْلِ) ^(٣) الْمُتَبَيِّنُ فِي الْبَيَانِ (هُوَ الْبَيَانُ) أَيُّ الْمُبَيِّنِ، وَالْآخِرُ تَأَكِيدٌ لَهُ وَإِنْ كَانَ دُونَهُ فِي الْقُوَّةِ .

وقيل: «إِنْ كَانَ كَذَلِكَ فَهُوَ الْبَيَانُ، لِأَنَّ الشَّيْءَ لَا يُؤَكِّدُ بِمَا هُوَ دُونَهُ» .

قلنا: هَذَا فِي التَّأَكِيدِ بغيرِ الْمُسْتَقِلِّ، أَمَّا بِالْمُسْتَقِلِّ فَلَا، أَلَا تَرَى أَنَّ الْجُمْلَةَ تُؤَكِّدُ بِجُمْلَةٍ دُونَهَا .

(وَإِنْ لَمْ يَتَّفَقِ الْبَيَّانَانِ) ^(٤): الْقَوْلُ وَالْعَمَلُ - كَانَ زَادَ الْفِعْلُ عَلَى مُقْتَضَى الْقَوْلِ (كَمَا لَوْ

(١) قَالَ الْحَنَفِيُّ وَالْمَالِكِيُّ وَالشَّافِعِيُّ وَالْحَنَابِلَةُ .

(التيسير: ١٧٤/٣، الفواتح: ٤٧/٢، شرح التنقيح، ص: ٢٨١، المحصول: ١٨٤/٣، الإحكام:

٢٨/٣، التشنيف: ٤٢٣/١، شرح الكوكب: ٤٥٠/٣) .

(٢) ثُمَّ اخْتَلَفَ هَؤُلَاءِ عَلَى ثَلَاثَةِ مَذَاهِبٍ: الْأَوَّلُ: يَجِبُ أَنْ يَكُونَ أَقْوَى، قَالَ ابْنُ الْحَاجِبِ، وَحَكَاهُ

الْقَاضِي الْعِضْدُ عَنْ الْأَكْثَرِ؛ الثَّانِي: يَجِبُ أَنْ يَكُونَ مُسَاوِيًا، قَالَ الْكَرْخِيُّ؛ الثَّالِثُ: إِنْ كَانَ الْمُبَيِّنُ مُجْمَلًا جَازَ أَنْ يَكُونَ أَدْنَى مِنْهُ، وَإِنْ كَانَ عَامًّا أَوْ مُطْلَقًا وَجِبَ أَنْ يَكُونَ أَقْوَى مِنْهُ دَلَالَةً، قَالَ الْأَمَدِيُّ .

(الإحكام: ٢٩/٣، شرح المختصر للعضد، ص: ٢٤٤، المحصول: ١٨٤/٣) .

(٣) إِذَا وَرَدَ بَعْدَ الْمُجْمَلِ قَوْلٌ وَفِعْلٌ صَادِرَانِ مِنَ الشَّارِعِ، وَكُلٌّ مِنْهُمَا صَالِحٌ لِلْبَيَانِ، فَلَهُ حَالَتَانِ:

الْحَالَةُ الْأُولَى: أَنْ يَتَّفَقَ الْقَوْلُ وَالْفِعْلُ فِي الْبَيَانِ، بَأَنْ لَا يَكُونَ بَيْنَهُمَا تَنَافٍ، وَإِلَيْهِ أَشَارَ الْمَصْنِفُ

بِقَوْلِهِ «وَأَنَّ الْمُتَقَدَّمَ ... أَوْ الْفِعْلَ»، وَلِهَذَا الْحَالَةُ قِسْمَانِ:

أَحَدُهُمَا: أَنْ يُعْلَمَ الْمُتَقَدَّمُ مِنَ الْفِعْلِ وَالْقَوْلِ، فَالْمُتَقَدَّمُ بَيَانٌ، وَالْمَتَأَخِّرُ تَأَكِيدٌ لَهُ وَفَاقًا .

ثَانِيَهُمَا: أَنْ يُجْهَلَ الْمُتَقَدَّمُ مِنْهُمَا فَاخْتَلَفُوا فِيهِ عَلَى مَذْهَبَيْنِ: الْأَوَّلُ: فَلَا يَقْضَى عَلَى وَاحِدٍ بَعِيْنَهُ بِأَنَّهُ

مُبَيِّنٌ، بَلْ يَقْضَى بِحَصُولِ الْبَيَانِ بِأَحَدِهِمَا، وَهُوَ الْأَوَّلُ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ، وَالْآخِرُ مُؤَكِّدٌ لَهُ، قَالَ الْحَنَفِيُّ

وَالْمَالِكِيُّ وَالشَّافِعِيُّ وَالْحَنَابِلَةُ .

الثَّانِي: التَّفْصِيلُ: إِنْ كَانَا مُسَاوِيَيْنِ فَأَحَدُهُمَا مُبَيِّنٌ وَالْآخَرُ مُؤَكِّدٌ مِنْ غَيْرِ تَعْيِينٍ، وَإِنْ كَانَ أَحَدُهُمَا

أَقْوَى فِي الدَّلَالَةِ فَالْمَرْجُوحُ مُبَيِّنٌ وَالرَّاجِحُ مُؤَكِّدٌ، فَيَقْضَى بِتَقْدِيمِ الْمَرْجُوحِ لِعَدَمِ جَوَازِ تَأَكِيدِ الضَّعِيفِ

لِلْقَوِيِّ، قَالَ الْأَمَدِيُّ . (التيسير: ١٧٦/٣، الفواتح: ٤٦/٢، المجصول: ١٨٢/٣، الإحكام: ٣/

٢٧، شرح العضد، ص: ٢٤٤، التشنيف: ٤٢٣/١، غَايَةُ الْوَصُولِ، ص: ٨٦، شرح الكوكب: ٣/

٤٤٨، مختصر ابن الحاجب، ص: ٢٤٤) .

(٤) هَذِهِ الْحَالَةُ الثَّانِيَّةُ، وَهِيَ أَنْ لَا يَتَّفَقَ الْبَيَّانَانِ، وَلَهَا أَيْضًا قِسْمَانِ: أَحَدُهُمَا: أَنْ يَزِيدَ الْفِعْلُ عَلَى مُقْتَضَى =

وإن لم يتفق البيانان - كما لو طاف بعد الحج طوافين، وأمر بواحد - فالقول، وفعله ندب أو واجب، متقدماً أو متأخراً. وقال أبو الحسين: «المتقدم».

طاف (بعد) نزول آية (الحج) المستملة على الطواف^(١) (طوافين)^(٢)، وأمر بواحد^(٣) - فالقول أي فالبيان القول؛ (وفعله) الطواف الزائد على مقتضى قوله (ندب أو واجب) في حقه، دون أمته (متقدماً) كان القول على الفعل، (أو متأخراً) عنه جمعاً بين الدليلين.

(وقال أبو الحسين) البصري: «البيان هو (المتقدم) منهما، كما في قسم اتفاقهما، أي فإن كان المتقدم القول فحكم الفعل كما سبق^(٤)، أو الفعل فالقول ناسخ للزائد منه».

قلنا: عدم النسخ بما قلناه أولى.

= القول (وهو ما ذكره المصنف)، اختلف العلماء فيه على ثلاثة مذاهب: الأول: أن القول هو البيان سواء تقدم أو تأخر، قاله الحنفية، والمالكية، والشافعية، والحنابلة؛ الثاني: أن المتقدم هو البيان، فإن تقدم القول فالفعل واجب أو ندب في حقه، أو الفعل فالقول ناسخ للزائد منه، قاله أبو الحسين البصري؛ الثالث: التفصيل، إن تقدم القول فالزائد من الفعل ندب في حقه، أو الفعل فالزائد من الفعل واجب في حقه دون أمته، وإن جهل الأمر فيقدر تقدم القول، قاله السيف الأمدي.

(التيسير: ١٧٦/٣، الفواتح: ٤٧/٢، مختصر ابن الحاجب، ص: ٢٤٤، شرح التنقيح، ص: ٤٤٩، المحصول: ١٨٢/٣، الإحكام: ٢٨/٣، التشنيف: ٤٢٣/١، شرح الكوكب: ٤٤٩/٣، المعتمد: ٣٤٠/١).

(١) كما في قوله تعالى: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِيكُ مِنْ كُلِّ فِجٍّ عَمِيقٍ ۖ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ فِي أَنْبَاءِ مَعْلُومَاتٍ عَلَيْهِمْ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَاكْلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا أَمْرَ الْفَقِيرِ ۝﴾ ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلِيُوفُوا نَّذْرَهُمْ وَلِيَطُوفُوا بِالْبَيْتِ الْعَرَبِيِّ ۝﴾ (سورة الحج، الآية: ٢٧، ٢٨، ٢٩).

(٢) أي بأن كان رسول الله ﷺ قارناً، فطاف طوافين، وسعى سعيين. رواه البيهقي (٣٢٨/٤)، والدارقطني (٢٥٨/٢) بطريق ضعفها الدارقطني.

وبوجوب طوافين وسعيين على القارن قال الحنفية.

(فتح باب العناية: ٦٧٨/١، تحفة الأحوذى: ٦١٨/٤).

(٣) كقوله ﷺ: «مَنْ أَحْرَمَ بِالْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ أَجْرَاهُ طَوَّافٌ وَاحِدٌ وَسَعْيٌ وَاحِدٌ عَنْهُمَا حَتَّى يَحِلَّ مِنْهُمَا جَمِيعاً» رواه ابن حبان في الحج (٣٩١٦)، والترمذي في الحج، باب ما جاء أن القارن يطوف طوافاً واحداً (٩٤٨)، وقال: «حسن صحيح غريب»، وقد رواه غير واحد عن عبيد الله بن عمر ولم يرفعه، وهو أصح، وابن ماجه في المناسك، باب طواف القارن (٢٩٧٥).

وباكتفاء الطواف الواحد والسعي الواحد للقارن قال المالكية، والشافعية، والحنابلة.

(فتح باب العناية: ٦٧٨/١، تحفة الأحوذى: ٦١٩/٤).

(٤) أي في قول المتن: «وفعله ندب أو واجب في حقه، دون أمته». (البناني: ١٠٥/٢).

مسألة: [تأخير البيان]

تأخير البيان عن وقت الفعل غير واقع وإن جاز . وإلى وقته واقع عند الجمهور

ولو نقص الفعل عن مقتضى القول^(١) - كأن طاف واحداً، وأمر باثنين - فقياس ما تقدم^(٢٤٢) لنا: أن البيان القول - ونقص الفعل عنه تخفيف في حقه ﷺ - تأخر الفعل أو تقدم .
وقياس ما تقدم لأبي الحسين: أن البيان المتقدم، فإن كان القول فحكم الفعل كما سبق^(٢)، أو الفعل فما زاده القول عليه مطلوب بالقول .

مسألة: [تأخير البيان]

تأخير البيان (لِمَجْمَلٍ أو ظاهر لم يُرد ظاهره بقرينة ما سيأتي (عن وقت الفعل غير واقع وإن جاز) وقوعه عند أئمتنا الْمُجَوِّزِينَ تكليف ما لا يُطاق.
وقوله «الفعل» أحسن - كما قال^(٣) - من قول غيره^(٤) «الحاجة»، لأنها كما قال الأستاذ أبو إسحاق الأُسْفرَايِينِي لاثقة بالمعتزلة القائلين بـ «أن للمؤمنين حاجة إلى التكليف لِيَسْتَحِقُّوا الثواب بالامثال».

(و) تأخير البيان عن وقت الخطاب (إلى وقته) أي الفعل جائز (واقع عند الجمهور)^(٥) سواء كان للمُبَيَّنِ ظاهراً (وهو غير المُجْمَلِ : كعام يُبَيَّنُ تخصيصه، ومطلق يُبَيَّنُ تقييده، ودال على حكم يُبَيَّنُ نسخته؛ (أم لا) وهو المُجْمَلُ كمشترك يُبَيَّنُ أحد معنييه مثلاً، ومتواطئ يُبَيَّنُ أحد ما صدقاه مثلاً .

وقيل: «يَمْتَنَعُ تأخيرُه مطلقاً، لاختلاله بفهم المراد عند الخطاب»^(٦) .

- (١) هذا هو القسم الثاني من الحالة الثانية .
- (٢) أي من أنه تخفيف. (البناني: ١٠٥/٢) .
- (٣) أي المصنف في منع الموانع، ص: ١٨٣، ورفع الحاجب: ٤٢٢/٣ .
- (٤) كالغزالي في المستصفى (١/٦٩٩)، والآمدني في الإحكام (٣/٣٠)، وابن الحاجب في المختصر (ص: ٢٤٤)، والعضد في شرح المختصر (ص: ٢٤٥) .
- (٥) من الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة. (التيسير: ١٧٤/٣، الفواتح: ٤٩/٢، شرح التنقيح، ص: ٢٨٢، مختصر ابن الحاجب، ص: ٢٤٤، المحصول: ٢١٨/٣، الإحكام: ٣٠/٣، رفع الحاجب: ٤٢٢/٣، التنيف: ٤٢٤/١، شرح الكوكب: ٤٥٣/٣) .
- (٦) قاله الظاهرية وجمع من الحنفية والشافعية والحنابلة، والمعتزلة. (المستصفى: ١/٦٩٩، الإحكام: ٣٠/٣، التنيف: ٤٢٥/١، شرح الكوكب: ٤٥٣/٣) .

سواءً كَانَ لِلْمُبَيِّنِ ظَاهِرٌ أَمْ لَا . وَثَالُثُهَا : « يَمْتَنِعُ فِي غَيْرِ الْمُجْمَلِ ، وَهُوَ مَا لَهُ ظَاهِرٌ » .
 وَرَابِعُهَا : « يَمْتَنِعُ تَأْخِيرُ الْبَيَانِ الْإِجْمَالِي فِيمَا لَهُ ظَاهِرٌ ، بِخِلَافِ الْمُشْتَرَكِ وَالْمُتَوَاطِي » .
 وَخَامِسُهَا : « يَمْتَنِعُ فِي غَيْرِ النَّسْخِ » ؛ وَقِيلَ : « يَجُوزُ تَأْخِيرُ النَّسْخِ اتِّفَاقًا » . وَسَادِسُهَا :
 « لَا يَجُوزُ تَأْخِيرُ بَعْضٍ دُونَ بَعْضٍ » .

(وِثَالُثُهَا) أَيِ الْأَقْوَالِ : « (يَمْتَنِعُ) التَّأْخِيرُ (فِي غَيْرِ الْمُجْمَلِ ، وَهُوَ مَا لَهُ ظَاهِرٌ) لِإِقْبَاعِهِ
 الْمُخَاطَبَ فِي فَهْمِ غَيْرِ الْمُرَادِ ، بِخِلَافِهِ فِي الْمُجْمَلِ » ^(١) .

(وَرَابِعُهَا : « يَمْتَنِعُ تَأْخِيرُ الْبَيَانِ الْإِجْمَالِي فِيمَا لَهُ ظَاهِرٌ) مِثْلُ : هَذَا الْعَامُّ مُخْصُوصٌ ،
 وَهَذَا الْمُطْلَقُ مَقِيدٌ ، وَهَذَا الْحُكْمُ مَنْسُوخٌ بِدَلِيلٍ ، لَوْجُودِ الْمَحْذُورِ قَبْلَهُ فِي تَأْخِيرِ الْإِجْمَالِي ،
 دُونَ التَّفْصِيلِي لِمُقَارَنَةِ الْإِجْمَالِي . (بِخِلَافِ الْمُشْتَرَكِ ، وَالْمُتَوَاطِي) مِمَّا لَيْسَ لَهُ ظَاهِرٌ ،
 فَيَجُوزُ تَأْخِيرُ بَيَانِهِمَا الْإِجْمَالِي كَالْتَفْصِيلِي ، كَأَن يُقَالَ : الْمُرَادُ أَحَدُ الْمَعْنَيْنِ مِثْلًا فِي الْمُشْتَرَكِ ،
 وَأَحَدُ الْمَاصِطَاتِ فِي الْمُتَوَاطِي ، لَانْتِفَاءِ الْمَحْذُورِ السَّابِقِ » ^(٢) .

(وَخَامِسُهَا) : « يَمْتَنِعُ التَّأْخِيرُ (فِي غَيْرِ النَّسْخِ) ، لِإِخْلَالِهِ بِفَهْمِ الْمُرَادِ مِنَ اللَّفْظِ ، بِخِلَافِ
 النَّسْخِ ، لِأَنَّهُ رَفَعَ لِلْحُكْمِ ، أَوْ بَيَانًا لَانْتِهَاءِ أَمْدِهِ كَمَا سَيَأْتِي » ^(٣) .

(وَقِيلَ : « يَجُوزُ تَأْخِيرُ الْبَيَانِ فِي (النَّسْخِ اتِّفَاقًا) ، لَانْتِفَاءِ الْإِخْلَالِ بِالفَهْمِ عَنْهُ لِمَا ذُكِرَ » ^(٤) .

(وَسَادِسُهَا : « لَا يَجُوزُ تَأْخِيرُ بَعْضٍ مِنْ الْبَيَانِ ، (دُونَ بَعْضٍ) ، لِأَنَّ تَأْخِيرَ الْبَعْضِ يُوقِعُ
 الْمُخَاطَبَ فِي فَهْمٍ أَنَّ الْمُقَدَّمَ جَمِيعُ الْبَيَانِ ، وَهُوَ غَيْرُ الْمُرَادِ » ^(٥) .

وَهَذَا مُفَرَّغٌ عَلَى الْجَوَازِ فِي الْكُلِّ ^(٦) ، أَيِ قِيلَ عَلَيْهِ : لَا يَجُوزُ فِي الْبَعْضِ لِمَا ذُكِرَ .

(١) قَالَه الْكَرْخِي ، وَابْنُ سُرَيْجٍ ، وَابْنُ أَبِي هُرَيْرَةَ ، وَابْنُ الْقَطَّانِ ، وَأَبُو الْحَسَنِ الْأَشْعَرِيُّ ، وَالْأَصْطَخَرِيُّ ، وَابْنُ
 الشَّافِعِيَّةِ ، وَجَمَعَ مِنَ الْمَالِكِيَّةِ . (الْإِحْكَامُ : ٣٠ / ٣ ، التَّشْنِيفُ : ٤٢٥ / ١) .

(٢) قَالَه أَبُو الْحَسَنِ الْبَصْرِيُّ مِنَ الْمَعْتَزِلَةِ . (الْمَعْتَمِدُ : ٣٤٢ / ١ ، الْإِحْكَامُ : ٣٠ / ٣) .

(٣) قَالَه أَبُو عَلِيٍّ الْجُبَّائِيُّ وَابْنُهُ الْقَاضِي عَبْدُ الْجَبَّارِ مِنَ الْمَعْتَزِلَةِ . (الْإِحْكَامُ : ٣٠ / ٣) .

(٤) قَالَ الزَّرْكَشِيُّ فِي التَّشْنِيفِ (٤٢٦ / ١) بَعْدَ ذِكْرِ هَذَا الْمَذْهَبِ : « ظَهَرَ بِهَذَا السِّيَاقُ أَنَّ النَّسْخَ مِنْ مَحَلِّ
 الْخِلَافِ ، لَكِنْ قِضِيَةُ كَلَامِ الْقَاضِي ، وَإِمَامِ الْحَرَمَيْنِ ، وَالْغَزَالِيِّ : أَنَّهُ يَجُوزُ تَأْخِيرُ النَّسْخِ بَلَا خِلَافٍ ،
 وَالْخِلَافُ فِيمَا عَدَاهُ » .

(٥) قَالَه بَعْضُ الْأَوْصُولِيِّينَ . (الْإِحْكَامُ : ٣٠ / ٣ ، اللَّمَعُ ، ص : ٥٤) .

(٦) أَيِ أَنَّ هَذَا الْقَوْلَ مُفَرَّغٌ عَلَى عَدَمِ جَوَازِ التَّنْزِيحِ فِي الْبَيَانِ الَّذِي قَالَه جَمَاعَةٌ ، لِأَنَّ اقْتِصَارَهُ عَلَى الْبَعْضِ
 يُوْهِمُ أَنَّ الْبَاقِي لَيْسَ بِبَيَانٍ ، وَالصَّحِيحُ جَوَازُهُ ، لِأَنَّ الشَّارِعَ يُبَيِّنُ مَا تَدْعُو الْحَاجَةُ إِلَيْهِ ، لِأَنَّهُ ﷺ لَمَّا =

[تأخير التبليغ إلى وقت العمل]

وعلى المَنع المختار: أَنَّهُ يَجُوزُ لِلرَّسُولِ ﷺ تَأْخِيرُ التَّبْلِيغِ إِلَى وَقْتِ الْحَاجَةِ .

والأصح الجواز والوقوع، ومِمَّا يَدُلُّ عَلَى الْوُقُوعِ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسُهُمْ﴾^(١)، فَإِنَّهُ عَامٌّ فِيمَا يَغْنَمُ مُخْصُوصٌ بِحَدِيثِ الصَّحِيحِينَ: «مَنْ قَتَلَ قَتِيلًا لَهُ عَلَيْهِ يَبْنَةُ فَلَهُ سَلْبُهُ»^(٢)، وَهُوَ مُتَأَخِّرٌ عَنْ نُزُولِ الْآيَةِ، لِنَقْلِ أَهْلِ الْحَدِيثِ كَمَا قَالَ الْمَصْنَفُ: «إِنَّهُ كَانَ فِي غَزْوَةِ حُنَيْنٍ»^(٣)، وَإِنَّ الْآيَةَ قَبْلَهُ غَزْوَةُ بَدْرٍ»^(٤).

٢٤٤

وقوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾^(٥)، فَإِنَّهَا مُطْلَقَةٌ، ثُمَّ بَيَّنَّ تَقْيِيدَهَا بِمَا فِي أَجْوِبَةِ أَسْئَلَتِهِمْ، وَفِيهِ تَأْخِيرٌ بَعْضِ الْبَيَانِ عَنْ بَعْضٍ أَيْضًا.

وقوله تعالى حكاية عن الخليل عليه الصلاة والسلام ﴿يَتَوَقَّأُ إِلَى آثَرِ فِي الْمَنَارِ إِلَى أَذْبَحَكَ﴾^(٦)، فَإِنَّهُ يَدُلُّ عَلَى الْأَمْرِ بِذَبْحِ ابْنِهِ، ثُمَّ بَيَّنَّ نَسْخَهُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿وَقَدْ يَتَنَّهُ يَذْبَحُ عَظِيمٌ﴾^(٧).

[تأخير التبليغ إلى وقت العمل]

(وعلى المَنع) من التأخير (المختار: أَنَّهُ يَجُوزُ لِلرَّسُولِ ﷺ تَأْخِيرُ التَّبْلِيغِ) لِمَا أُوجِي

= سئل عن الاستطاعة في الحج قال: «زاد وراحلة» (رواه الترمذي في الحج، باب ما جاء في إيجاب الحج بالزاد والراحلة (٧٢١)، وقال: «حسن، والعمل عليه عند أهل العلم»)، ولم يتعرض لأمن الطريق في ذلك الوقت وإن كان شرطاً. أي فالجمهور الذين أجازوا تأخير البيان اختلفوا: يجوز تأخير الكل فقط، أو الكل والبعض؟ والثاني أصح. (شرح العضد، ص: ٢٤٩، التنيف: ٤٢٦/١).

(١) والآية كاملة: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسُهُمْ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَآلِ بْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ مَأْمُونَةً بِاللهِ وَمَا أَرْزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّلَافِ الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾. (سورة الأنفال، الآية: ٤١).

(٢) رواه البخاري في فرض الخمس، باب من لم يخمس الأسلاب (٣١٤٢)، ومسلم في المغازي، باب استحقاق القاتل سلب القتل (٤٥٤٣)، وأبو داود في الجهاد، باب السلب يعطى القاتل (٢٧١٧)، والترمذي في السير (١٥٦٢)، وابن ماجه في الجهاد (٢٨٣٧).

(٣) كما هو صريح في رواية البخاري (٤٣٢١)، ومسلم (٤٥٤٣)، وغيرهما.

(٤) رفع الحاجب للمصنف: ٤٣٨/٣.

(٥) سورة البقرة، الآية: ٦٧.

(٦) والآية كاملة: ﴿ثُمَّ بَلَغَ مِنْهُمَا مَعَهُ السَّعْيَ فَمَا يَتَّبِعُ إِلَّا إِلَى آثَرِ فِي الْمَنَارِ إِلَى أَذْبَحَكَ فَأَنْظِرْ مَاذَا تَرْتَبِطُ قَالَ يَتَّبِعُ أَفْعَلُ مَا تُؤْمَرُ سَجِدَ فَإِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾. (الصافات: ١٠٢).

(٧) سورة الصافات، الآية: ١٠٧.

[الجَهْلُ بِالْمُخْصَصِ]

وَأَنَّهُ يَجُوزُ أَنْ لَا يَعْلَمَ الْمَوْجُودُ بِالْمُخْصَصِ ، وَلَا بِأَنَّهُ مُخْصَصٌ .

إليه من قرآن أو غيره (إلى) وقت (الحاجة) إليه لانتفاء المحذور السابق عنه^(١) .

وقيل: «لَا يَجُوزُ لِقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿يَكَايُنْهَا أُرْسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾»^(٢) أي على الفور ، لأنَّ وجوب التبليغ معلوم بالعقل ضرورة ، فلا فائدة للأمر به إلاَّ الفور»^(٣) .

قلنا: تأييد العقل بالنقل.

وكلام الإمام الرازي^(٤) والآمدی^(٥) يقتضي المنع في القرآن قطعاً ، لأنَّه مُتَعَبَّدٌ بتلاوته ، ولم يُؤَخَّرْ ﷺ تبليغه ، بخلاف غيره لما عُلِمَ من أنَّه كان يُسأل عن الحكم ، فيُجيب تارة ممَّا عنده ، ويقف أخرى إلى أن ينزل الوحي.

[الجَهْلُ بِالْمُخْصَصِ]

(و) المختار على المنع أيضاً (أَنَّهُ يَجُوزُ أَنْ لَا يَعْلَمَ) الْمُكَلَّفُ^(٦) (الموجود) عند وجود المُخْصَصِ (بِالْمُخْصَصِ ، وَلَا بِأَنَّهُ مُخْصَصٌ)^(٧) أي يَجُوزُ أَنْ لَا يَعْلَمَ بِذَاتِ الْمُخْصَصِ ، وَلَا بوصف أَنَّهُ مُخْصَصٌ مع علمه بذاته ، كأن يكون المُخْصَصُ له عقلاً ، بأنَّ لَا يُسَبِّبُ الله له العلم بذلك.

(١) قاله الجماهير من الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة. (التيسير: ١٧٦/٣ ، الفواتح: ٤٩/٢ ، مختصر ابن الحاجب، ص: ٢٤٨ ، شرح التنقيح، ص: ٢٨٥ ، الإحكام: ٤٤/٣ ، المحصول: ٣/٢١٨ ، رفع الحاجب: ٤٤١/٣ ، التشيف: ٤٢٧/١ ، شرح الكوكب: ٤٥٣/٣) .

(٢) سورة المائدة، الآية: ٦٧ .

(٣) قاله بعض الأصوليين. (المحصول: ٢١٨/٣ ، الإحكام: ٤٤/٣ ، شرح الكوكب: ٤٥٣/٣) .

(٤) المحصول للرازي: ٢١٨/٣ .

(٥) الإحكام للآمدی: ٤٥/٣ .

(٦) أي أن لا يعلم كل المكلفين ، بل يعلم البعض دون البعض ، فهو من باب سلب العموم ، لا من عموم السلب ، كما يدل عليه جواب الشارح الآتي : «قلنا : المحذور تأخير البيان ...» (البناني: ١١١/٢) .

(٧) إذا جَوَّزْنَا تأخير البيان إلى وقت فعله كما قال الجماهير فجواز إسماع المكلف بالعام أو المطلق دون إسماعه بالمُخْصَصِ أو المقيّد أجدر ، لأنَّه أسهل من عدم البيان . أمَّا على منع تأخير البيان فقد اختلفوا فيه على مذهبتين : الأولى : جواز إسماع العام من لم يعرف الدليل المُخْصَصَ له سواء كان المُخْصَصُ سمعياً أو عقلياً ، قاله الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة ؛ الثاني : عدم الجواز إذا كان المُخْصَصُ

وقيل : « لا يجوز ذلك في المخصص السمي ، لما فيه من تأخير إعلانه بالبيان »^(١) .
قلنا : المحذور تأخير البيان ، وهو متف هنا ، وعدم علم المكلف بالمخصص بأن لم
يبحث عنه تقصير منه .

أما العقلي فاتفقوا على جواز أن يسمع الله المكلف العام من غير أن يعلمه أن في العقل ما
يخصه وكولا إلى نظره .

وقد وقع أن بعض الصحابة لم يسمع المخصص السمي إلا بعد حين ، منهم : فاطمة بنت
رسول الله ﷺ طلبت ميراثها مما تركه رسول الله ﷺ لعموم قوله تعالى : ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي
أَوْلَادِكُمْ﴾^(٢) ، فاحتج عليها أبو بكر رضي الله عنه بما رواه لها من قوله ﷺ : « لا نورث ما
تركناه صدقة »^(٣) أخرجه الشيخان ؛

ومنهم عمر رضي الله عنه لم يسمع مخصص المجوس من قوله تعالى ﴿فَأَقْضُوا الشَّرْكَاءَ﴾^(٤)
حيث ذكرهم ، فقال : « لا أدري كيف أصنع ؟ أي فيهم ، فروى له عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قوله ﷺ :
« سئوا فيهم سنة أهل الكتاب »^(٥) . رواه الشافعي رضي الله عنه . وروى البخاري « أن عمر لم يأخذ الجزية من
المجوس ، حتى شهد عبد الرحمن بن عوف : أن رسول الله ﷺ أخذها من مجوس هجر »^(٦) .

= سمياً ، قاله أبو علي الجبائي . (الفواتح : ٥١/٢ ، مختصر ابن الحاجب ، ص : ٢٤٨ ، الإحكام :
٤٥٣ ، التنقيح : ٤٢٧/١ ، شرح التنقيح ، ص : ٢٨٦ ، شرح الكوكب : ٤٥٥/٣) .

(١) قاله أبو علي الجبائي وأبو هزبل من المعتزلة . (الإحكام : ٤٥/٣ ، وشرح العضد ، ص : ٢٤٨) .

(٢) سورة النساء ، الآية : ١١ .

(٣) رواه البخاري في الفرائض ، باب قول النبي ﷺ : « لا نورث ما تركناه صدقة » (٦٧٢٥) ، ومسلم في
المغازي ، باب قول النبي ﷺ : « لا نورث ما تركناه صدقة » (٤٥٥٥) ، وأبو داود في الخراج والإمارة ،
باب وصايا رسول الله ﷺ في الأموال (٢٩٦٨) ، والنسائي في قسم الفء ، باب : ١ (٤١٥٢) .

(٤) سورة التوبة ، الآية : ٥ .

(٥) رواه الشافعي في مسنده (ص : ٢٠٩) ، والبيهقي في السنن (١٨٩/٩) ، ومالك في الموطأ ، باب
جزية أهل الكتاب والمجوس (٦١٦) ، وابن أبي شيبة في المصنف (٤٣٥/٢) ، وعبد الرزاق في
المصنف (١٠٠٢٥) . وقال الحافظ في الفتح (٢٦١/٦) : « وهو منقطع مع ثقة رجاله » .

(٦) رواه البخاري في الجزية ، باب الجزية والمودعة مع أهل الحرب (٢٩٢٣) ، وأبو داود في الخراج
والإمارة ، باب في أخذ الجزية من المجوس (٢٦٤٦) ، والترمذي في السير ، باب ما جاء في أخذ
الجزية من المجوس (١٥١٢) .

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

النَّسْخُ

[تعريف النسخ]

النسخ: اختلف في أنه رفع أو بيان. والمختار: رفع الحكم الشرعي بخطاب.

[النسخ بالعقل]

فلا نسخ بالعقل، وقول الإمام: « من سقط رجلاه نسيح غسلهما » مدخول.

[تعريف النسخ]

(النسخ اختلف في أنه رفع) للحكم، (أو بيان)^(١) لانتهاؤ أمدِه؟ (والمختار): الأول (٢٤٦) لشموله النسخ قبل التمكن، وسيأتي جوازه على الصحيح^(٢). والمراد من الأول: أنه (رفع الحكم الشرعي) أي من حيث تعلّقه بالفعل (بخطاب)^(٣).

فخرج بـ «الشرعي» أي المأخوذ من الشرع رفع الإباحة الأصلية أي المأخوذة من العقل؛ وبـ «خطاب» الرفع بالموت، والجنون، والغفلة، وكذا بالعقل، والإجماع، وذكرهما ليُبَيَّن على ما فيهما بقوله:

[النسخ بالعقل]

(فلا نسخ بالعقل)^(٤). وقول الإمام (الرازي)^(٥): « (من سقط رجلاه نسيح غسلهما) في طهارته » (مدخول) أي فيه دخل، أي عيب حيث جعل رفع وجوب الغسل بالعقل لسقوط محلّه نسخاً، فإنه مُخالفٌ للاصطلاح، وكأنّه توسّع فيه.

(١) قاله الحنفية، والأستاذ أبو إسحاق الأسفراييني من الشافعية.

(كشف الأسرار: ٢٣٤/٣، المحصول: ٢٨٧/٣).

(٢) انظر: «النسخ قبل التمكن»: ٤٥٢/١.

(٣) قاله المالكية والشافعية والحنابلة. (مختصر ابن الحاجب، ص: ٢٦٧، شرح التنقيح، ص: ٣١٦،

الإحكام: ٥١٩/٢، رفع الحاجب: ٢٧/٤، التننيف: ٤٢٨/١، شرح الكوكب: ٥٢٦/٣).

(٤) قاله الجماهير من الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة. (كشف الأسرار: ٢٣٤/٣، شرح التنقيح،

ص: ٣١٦، الإحكام: ٥١٩/٢، شرح الكوكب: ٥٦٩/٣، التننيف: ٤٢٩/١).

(٥) المحصول للرازي: ٧٤/٣.

[النَّسْخُ بِالْإِجْمَاعِ]

ولا بالإجماع ، ومُخَالَفَتُهُمْ تَتَضَمَّنُ نَاسِخًا .

[نَسْخُ بَعْضِ الْقُرْآنِ]

وَيَجُوزُ عَلَى الصَّحِيحِ نَسْخُ بَعْضِ الْقُرْآنِ تِلَاوَةً وَحُكْمًا ، أَوْ أَحَدَهُمَا فَقَطْ .

[النَّسْخُ بِالْإِجْمَاعِ]

(ولَا) نَسْخَ (بِالإجماع)، لَأنَّهُ إِنَّمَا يَنْعَقِدُ بَعْدَ وَفَاتِهِ ﷺ كَمَا سَيَأْتِي ^(١) ، إِذْ فِي حَيَاتِهِ الْحُجَّةُ فِي قَوْلِهِ دُونَهُمْ ، وَلَا نَسْخَ بَعْدَ وَفَاتِهِ ﷺ . (و) لَكِنْ (مُخَالَفَتُهُمْ) أَيِ الْمُجْمَعِينَ لِلنَّصِّ فِيمَا دَلَّ عَلَيْهِ (تَتَضَمَّنُ نَاسِخًا) لَهُ ^(٢) ، وَهُوَ مُسْتَدُّ إِجْمَاعِهِمْ .

[نَسْخُ بَعْضِ الْقُرْآنِ]

(وَيَجُوزُ عَلَى الصَّحِيحِ نَسْخُ بَعْضِ الْقُرْآنِ تِلَاوَةً وَحُكْمًا ، أَوْ أَحَدَهُمَا فَقَطْ) ^(٣) .

وَقِيلَ : « لَا يَجُوزُ نَسْخُ بَعْضِهِ كَكُلِّهِ الْمُجْمَعِ عَلَيْهِ » ^(٤) .

وَقِيلَ : « لَا يَجُوزُ فِي الْبَعْضِ نَسْخُ التِّلَاوَةِ ، دُونَ الْحُكْمِ ، وَالْعَكْسُ ، لِأَنَّ الْحُكْمَ مَدْلُولُ

اللفظ ، فَإِذَا قُدِّرَ انْتِفَاءُ أَحَدِهِمَا لَزِمَ انْتِفَاءُ الْآخَرِ » . ٢٤٧

(١) انظر : «الإجماع لا ينعقد في حياته ﷺ» : ١٣٦/٢ .

(٢) قاله الجماهير من الأئمة الأربعة وغيرهم ، خلافاً لبعض المعتزلة وعيسى بن أبان من الحنفية . (الفواتح :

٨١/٢ ، مختصر ابن الحاجب ، ص : ٢٨١ ، شرح التنقيح ، ص : ٣١٤ ، الإحكام : ١٤٥/٣ ، نهاية

السؤل : ٦٠٨/١ ، رفع الحاجب : ١٠٠/٤ ، التننيف : ٤٢٩/١ ، شرح الكوكب : ٥٧٠/٣) .

(٣) اتفق العلماء على امتناع نسخ جميع القرآن ، وعلى جواز نسخ التلاوة والحكم معاً ، وكذا اتفق

الجماهير على جواز نسخ أحدهما دون الآخر ، إلّا طائفة شاذة من المعتزلة منعوا نسخ أحدهما دون

الآخر . (المحصول : ١٢٨/٣ ، الإحكام : ١٢٨/٣ ، رفع الحاجب : ٦٩/٤ ، التننيف : ٤٣٠/١ ،

شرح الكوكب : ٥٥٣/٣ ، الفواتح : ١٢٨/٢ ، شرح التنقيح ، ص : ٣٠٩) .

(٤) هذا ما فيه الشارح من ظاهر عبارة المصنف هنا ، وكذا من ظاهر عبارة ابن الحاجب في المختصر

(ص : ٢٧٦) حيث قال : « الجمهور على جواز نسخ التلاوة دون الحكم ، وبالعكس ، ونسخهما معاً » ،

ولكنه غير مقصود للمصنف وإن تبع الشارح شيخ الإسلام في غاية الوصول (ص : ٨٧) ، إذ لا خلاف

في جواز نسخ بعض القرآن تلاوةً وحكماً معاً كما قال المصنف في «شرح المختصر» (٦٩/٤) تعقيباً

لكلام ابن الحاجب هذا ، والله أعلم .

قلنا: إنما يلزم إذا رُعي وصف الدلالة، وما نحن فيه لم يُراعَ فيه ذلك، فإن بقاء الحكم دون اللفظ ليس بوصف كونه مدلولاً له، وإنما هو مدلول لما دلَّ على بقاءه، وانتفاء الحكم دون اللفظ ليس كونه مدلولاً له، فإن دلالة عليه وضعية لا تزول، وإنما يرفع الناسخ العمل به.

وقد وقع الأقسام الثلاثة، روى مسلم عن عائشة رضي الله عنها: «كان فيما أنزل عشر رَضَعَات معلومات، فتُسَخَّن بِخَمْسِ مَعْلُومَاتٍ»^(١)، فهذا منسوخ التلاوة والحكم.

وروى الشافعي وغيره عن عمر رضي الله عنه: «لَوْ لَا أَنْ يَقُولَ النَّاسُ: زَادَ عُمَرُ فِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى، لَكُنْتُهَا: الشَّيْخُ وَالشَّيْخَةُ إِذَا زَيَّا فَا رَجُمُوهُمَا الْبَتَّةَ، فَإِنَّا قَدْ قَرَأْنَاهَا»^(٢)،

فهذا منسوخ التلاوة دون الحكم لأمر رضي الله عنه بِرَجْمِ الْمُحْصَنِينَ^(٣)، رواه الشيخان، وهما المراد به «الشيخ والشيخة».

(١) رواه مسلم في الرضاع، باب التحريم بخمس الرضعات (٣٥٨٢)، وأبو داود في النكاح، باب هل يُحرم دون خمس رضعات (٢٠٦٢)، والترمذي في الرضاع، باب لا تُحرَّم المصَّة والمصتان (١١٥٠)، والنسائي في النكاح، باب القدر الذي يُحرم من الرضاعة (٣٣٠٧)، وابن ماجه في النكاح، باب رضاع الكبير (١٩٤٤).

الحكم الفقهي: اختلف العلماء في القدر الذي يثبت به حكم الرضاع على مذهبين: الأول: يثبت برضعة واحدة، قاله الجمهور؛ الثاني: لا يثبت بأقل من خمس رضعات، قاله الشافعية. (شرح مسلم للنووي: ١٠/٢٧٢).

(٢) رواه الشافعي في مسنده (١/١٦٣)، ومالك في الحدود، باب ما جاء في الرجم (١٥٠٦)، والنسائي في الكبرى في الحدود، باب تثبيت الرجم (٧١٥٦)، وقال: «لَا أَعْلَمُ أَنَّ أَحَدًا ذَكَرَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ «الشَّيْخَ وَالشَّيْخَةَ» غَيْرَ سَفِيَّانَ، وَرَبْنِي أَنَّهُ وَهْمٌ»، وابن ماجه في الحدود، باب الرجم (٢٥٥٣)، والبيهقي في السنن (٨/٢١١).

ورواه عن أبي بن كعب بطريق عاصم بن أبي النجود (وهو صدوق له أوهام، حجة في القراءة، التقريب: ٢/١٦٥) ابن حبان في الحدود (٤٢٢٨)، والحاكم في التفسير (٢/٤٥٠)، وقال «صحيح الإسناد».

(٣) أحدهما: ماعز بن مالك، رواه البخاري في المحاربين، باب سؤال الإمام المُقرَّ هل أحصنت؟ (٦٨٢٥)، ومسلم في الحدود، باب من اعترف على نفسه بالزنا (٤٤٠٣)، وأبو داود في الحدود، باب رجم ماعز بن مالك (٤٤٣١)، والترمذي في الحدود، باب ما جاء في درء الحد عن المعتز إذا رجع (١٤٢٩)، والنسائي في الجنائز، باب ترك الصلاة على المرجوم (١٩٥٥).

[النَّسْخُ قَبْلَ التَّمَكُّنِ]

وَنَسَخَ الْفِعْلُ قَبْلَ التَّمَكُّنِ ؛

ومسوخ الحكم دون التلاوة كثير ، منه قوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَّعًا إِلَى الْحَوْلِ﴾ ^(١) ، فنسخ بقوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَرِيضَنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ ^(٢) ، لتأخيره في النزول عن الأول - كما قال أهل التفسير - وإن تقدّمه في التلاوة .

[النَّسْخُ قَبْلَ التَّمَكُّنِ]

(و) يَجُوزُ عَلَى الصَّحِيحِ (نَسَخَ الْفِعْلُ قَبْلَ التَّمَكُّنِ) مِنْهُ ، بِأَنْ لَمْ يَدْخُلْ وَقْتُهُ ، أَوْ دَخَلَ وَلَمْ

يَمُضِ مِنْهُ مَا يَسْعُهُ ^(٣) .

٢٤٨

وقيل : «لَا يَجُوزُ لِعَدَمِ اسْتِقْرَارِ التَّكْلِيفِ» ^(٤) .

قلنا : يكفي للنسخ وجود أصل التكليف ، فينقطع به ، وقد وقع النسخ قبل التمكن في قصة الذبيح ، فإن الخليل أمر بذبح ابنه عليهما الصلاة والسلام لقوله تعالى حكاية عنه ﴿يَبْنِيْٓ اِيۡنِىۡ اَرۡىۡ فِىۡ الْاَمۡتَارِ اِنِّىۡ اَذۡبَحُكَ﴾ ^(٥) ، ثُمَّ نَسَخَ ذَبْحَهُ قَبْلَ التَّمَكُّنِ مِنْهُ لِقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿وَفَدَيْنَهُ بِذَنۡبِىۡ عَظِيۡمٍ﴾ [الصافات، الآية : ١٠٧] .

واحتمال أن يكون النسخ فيه بعد التمكن خلاف للظاهر من حال الأنبياء في امتثال الأمر من مبادرتهم إلى فعل المأمور به وإن كان موسعاً .

= وثانيهما : المرأة الغامدية عليها السلام ، رواه مسلم في الحدود ، باب من اعترف على نفسه بالزنا (٤٤٠٧) ، وأبو داود في الحدود ، باب المرأة التي أمر النبي ﷺ برفعها من جبهينة (٤٤٤٢) ، والترمذي في الحدود ، باب تربص الرجم بالحبل حتى تضع (١٤٣٥) ، والنسائي في الجنائز ، باب الصلاة على المرحوم (١٩٥٦) .

(١) سورة البقرة، الآية : ٢٤٠ .

(٢) سورة البقرة، الآية : ٢٣٤ .

(٣) قاله الجماهير من الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة . (الفواتح : ١١٠/٢) ، مختصر ابن الحاجب ، ص : ٢٧٣ ، شرح التنقيح ، ص : ٣٠٦ ، المحصول : ٣/٣١٢ ، الإحكام : ١١٥/٣ ، نهاية السؤل : ١/٥٩٣ ، شرح الكوكب : ٣/٥٣١) .

(٤) قاله المعتزلة ، وأبو الكرخي ، وأبو منصور الماتريدي ، وأبو زيد الدبوسي ، والجصاص من الحنفية ، وأبو بكر الصيرفي من الشافعية . (الفواتح : ١١٠/٢) ، المحصول : ٣/٣١٢ ، الإحكام : ١١٥/٣) .

(٥) سورة الصافات ، الآية : ١٠٢ ، وقد سبق ذكر الآية كاملة في مسألة «تأخير البيان» ، ص : ٤٧٠ .

[النَّسْخُ بِالْقُرْآنِ]

وَالنَّسْخُ بِقُرْآنٍ لِقُرْآنٍ ، وَسُنَّةٍ ؛

[النَّسْخُ بِالسُّنَّةِ]

وَبِالسُّنَّةِ لِلْقُرْآنِ ؛

[النَّسْخُ بِالْقُرْآنِ]

(و) يَجُوزُ عَلَى الصَّحِيحِ (النَّسْخُ بِقُرْآنٍ لِقُرْآنٍ ، وَسُنَّةٍ)^(١) .

وقيل: «لَا يَجُوزُ نَسْخُ السُّنَّةِ بِالْقُرْآنِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾»^(٢) ، جعله مبيِّناً للقرآن، فلا يكون القرآن مبيِّناً للسنة .

قلنا: لا مانع من ذلك، لأنهما من عند الله تعالى ﴿وَمَا يَطِئُ عَنِ الْمَوْتِ﴾^(٣) ، ويدل على الجواز قوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾^(٤) وإنْ خَصَّ من عمومِهِ مَا نُسَخَ من غير القرآن.

[النَّسْخُ بِالسُّنَّةِ]

(و) يَجُوزُ عَلَى الصَّحِيحِ النَّسْخُ (بِالسُّنَّةِ) مُتَوَاتِرَةً أَوْ آحَاداً (لِلْقُرْآنِ)^(٥) .

وقيل: «لَا يَجُوزُ لِقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبْدِلَهُ مِنْ رَبِّكَ نَفْسًا﴾»^(٦) ، والنسخ بالسنة تبديل منه^(٧) .

(١) اتفق العلماء على جواز نسخ القرآن بالقرآن ووقوعه، وكذا اتفقوا على جواز نسخ السنة بالقرآن ووقوعه. (الفواتح: ١٣٧/٢، مختصر ابن الحاجب، ص: ٢٧٨، شرح التنقيح، ص: ٣١١، المحصول: ٣٤٠/٣، الإحكام: ١٣٥/٣، نهاية السؤل: ٦٠٣/١، شرح الكوكب: ٥٥٩/٣).

(٢) سورة النحل، الآية: ١٤٤ .

(٣) سورة النجم، الآية: ٣ .

(٤) سورة النحل، الآية: ٨٩ .

(٥) قاله الجماهير من الأئمة الأربعة وغيرهم، والمسألة مفروضة في الجواز العقلي كما قال الزركشي.

(الفواتح: ١٣٥/٢، شرح التنقيح، ص: ٣١١، مختصر ابن الحاجب، ص: ٢٨٠، الإحكام: ٣/١٣٢، نهاية السؤل: ٦٠٦/١، التنقيح: ٤٣٢/١، شرح الكوكب: ٥٥٣/٣).

(٦) سورة يونس، الآية: ١٥ .

(٧) قاله بعض الأصوليين، وهو قول شاذ ساقط. (الإحكام: ١٣٢/٣، التنقيح: ٤٣١/١).

وقيل: «يَمْتَنِعُ بِالْأَحَادِ». وَالْحَقُّ لَمْ يَقَعْ إِلَّا بِالْمُتَوَاتِرَةِ.

قلنا: ليس تبديلاً من تلقاء نفسه، ﴿وَمَا يَتَّبِعُ عَنِ الْمَوْتِ﴾^(١)، ويدلُّ على الجوازِ قوله تعالى ﴿لَشَيْئَيْنِ لِلنَّاسِ مَا نَزَّلَ إِلَيْهِمْ﴾^(٢).

(وقيل: «يَمْتَنِعُ» نسخُ القرآنِ (بِالْأَحَادِ)، لأنَّ القرآنَ مقطوعٌ، والآحادُ مظنونٌ^(٣).) قلنا: محلُّ النسخِ الحكمُ ودلالَةُ القرآنِ عليه ظنيةٌ.

(وَالْحَقُّ لَمْ يَقَعْ) نسخُ القرآنِ (إِلَّا بِالْمُتَوَاتِرَةِ)^(٤).

وقيل: «وَقَعَ بِالْأَحَادِ» كحديثِ الترمذي وغيره: «لَا وَصِيَّةَ لِرَّوَاثِ»^(٥)، فإنه ناسخٌ لقوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةَ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ﴾^(٦)^(٧).

(١) النجم، الآية: ٣.

(٢) سورة النحل، الآية: ٤٤.

(٣) قاله بعضُ العلماء، وهو قولٌ شاذٌّ ساقط. (الإحكام: ١٣٢/٣، التنقيح: ٤٣١/١).

(٤) قاله الجماهير من الأئمة الأربعة وغيرهم. (الفواتح: ١٣٩/٢، مختصر ابن الحاجب، ص: ٢٧٨،

شرح التنقيح، ص: ٣١١، المحصول: ٣٤٧/٣، الإحكام: ١٣٢/٣، القواطع: ٤٥٠: ١، نهاية

السؤل: ٦٠٦/١، التنقيح: ٤٣٢/١، غاية الوصول، ص: ٨٨، شرح الكوكب: ٥٦٢/٣).

(٥) رواه أبو داود في الوصايا، باب لا وصية للوارث (٢٨٧٠)، والترمذي في الوصايا، باب لا وصية

للوارث (٢١٢٠)، وقال: «حسن صحيح»، والنسائي في الوصايا، باب إبطال الوصية للوارث

(٣٦٤١)، وابن ماجه في الوصايا، باب لا وصية للوارث (٢٧١٣).

وقال الزيلعي في نصب الراية (٤٩٧/٦): «رُوي من حديث أبي أمامة، ومن حديث عمرو بن خارجه، ومن

حديث أنس، ومن حديث ابن عباس، ومن حديث عبد الله بن عمرو، ومن حديث جابر، ومن حديث زيد بن

أرقم والبراء، ومن حديث علي بن أبي طالب، ومن حديث خارجه بن عمرو الجمحي... فحديث أبي أمامة

أخرج أبو داود والترمذي وابن ماجه عن إسماعيل بن عياش مرفوعاً، قال أحمد والبخاري وجماعة من

الحفاظ: ما رواه إسماعيل بن عياش عن الشاميين صحيحٌ، وهذا ما رواه عن شامي ثقة».

وزاد ابنُ الحجر في الفتح (٣٦٧/٣): «ولا يخلو إسنادهُ كلُّ منها عن مقالٍ، لكن مجموعها يقتضي أنَّ

للحديث أصلاً، بل جنح الشافعي في الأم [٣٢٠/٨] إلى أنَّ هذا المتن متواتر، فقال: وجدنا أهل

الفتيا، ومن حفظنا عنهم من أهل العلم بالمغازي من قرش وغيرهم لا يختلفون في أنَّ النبي ﷺ قال

عام الفتح: «لَا وَصِيَّةَ لِلرَّوَاثِ»، ويؤثرون عن حفظه عنه بمن لقوه من أهل العلم، فكان نقلُ كافة

عن كافة، فهو أقوى من نقل واحد».

(٦) سورة البقرة، الآية: ١٨٠.

(٧) قاله الظاهرية، ورواية عن الإمام أحمد، واختاره الطوفي، وأبو الخطاب، وابن عقيل من الحنابلة، =

قال الشافعي: «وحيث وقع بالسنة فمعها قرآن، أو بالقرآن فمعها سنة عاضدة يُبين توافق الكتاب والسنة».

قلنا: لا نسلّم عدم تواتر ذلك ونحوه للمجتهدين الحاكمين بالنسخ لقربهم من زمان النبي ﷺ. (قال الشافعي) ﷺ: «(حيث وقع) نسخ القرآن (بالسنة فمعها قرآن) عاضد لها يُبين توافق الكتاب والسنة، (أو) نسخ السنة (بالقرآن فمعها سنة عاضدة) له (يُبين توافق الكتاب والسنة)».

هذا فهمه المصنف من قول الشافعي ﷺ في «الرسالة»: «لا ينسخ كتاب الله إلا كتابه»^(١)، ثم قال: «وهكذا سنة رسول الله ﷺ لا ينسخها إلا سنته. ولو أحدث الله تعالى في أمر سنّ فيه غير ما سنّ فيه ﷺ، لسنّ رسول الله ﷺ ما أحدث الله تعالى حتى يُبين للناس أن له سنة ناسخة لسنّته»^(٢) أي موافقة للكتاب الناسخ لها، إذ لا شك في موافقته له، كما في نسخ التوجّه في الصلاة إلى بيت المقدس الثابت بفعله ﷺ بقوله تعالى ﴿قُولِ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾^(٣)، وقد فعله ﷺ.

وهذا القسم^(٤) ظاهر في الفهم والوجود، والأول^(٥) محمول عليه في الفهم، محتاج إلى بيان وجوده، ويكون المراد من صدر كلام الشافعي: أنه لم يقع نسخ الكتاب إلا بالكتاب وإن كان ثم سنة ناسخة له، ولا نسخ السنة إلا بالسنة وإن كان ثم كتاب ناسخ لها، أي لم يقع النسخ لكل منهما بالآخر، إلا ومعه مثل المنسوخ عاضد له.

= والباجي من المالكية، وقيد بزم النبي ﷺ، وانتصر له ابن حزم. (الإحكام للباجي، ص: ٣٥٨، شرح التنقيح للقرافي، ص: ٣١١، الإحكام للأمدى: ١٣٢/٣، الإحكام لابن حزم: ٤٧٧/٤، شرح الكوكب: ٦٥٣/٣).

(١) الرسالة للشافعي، ص: ١٠٧.

(٢) الرسالة للشافعي، ص: ١٠٨.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٤٩.

(٤) أي نسخ السنة بالقرآن ظاهر من كلام الإمام الشافعي.

وقوله «والوجود» أي الوقوع، أي وقع نسخ السنة بالقرآن مع العاضد للناسخ من السنة كما في نسخ استقبال بيت المقدس الذي مثل به الشارح. (البناني: ١٢٠/٢).

(٥) أي نسخ القرآن بالسنة محمول (أي مقيس) على نسخ السنة بالقرآن في الفهم، بأن يفهم منه أنه أراد أن القرآن لا ينسخ إلا ومعها عاضد من القرآن، كما لا تنسخ السنة بالكتاب إلا ومعها عاضد من القرآن، أي لو أحدث رسول الله ﷺ في أمر غير ما أحدث الله فيه لأحدث الله فيه ما أحدث رسول الله ﷺ حتى يُبين للناس أن له قرآناً ناسخاً لكتابه. (البناني: ١٢٠/٢).

ولَمْ يُبَالِ المصنّف في هذا الذي فهمه وحكاه عنه بكونه خلاف ما حكاه غيره من الأصحاب عنه من «أنه لا تُنسخ السنة بالكتاب في أحد القولين»^(١)، ولا الكتاب بالسنة، قيل: «جزمًا»^(٢)، وقيل: «في أحد القولين»^(٣)، ثُمَّ اختلفوا هل ذلك بالسمع فلم يقع^(٤)، أو بالعقل^(٥) فلم يُجْز؟ وقال بكل منهما بعض^(٦)، وبعض استعظم ذلك منه لوقوع نسخ كل منهما بالآخر كما تقدّم، وما فهمه المصنّف عنه دافع لمحل الاستعظام.

وسكت عن نسخ السنة بالسنة للعلم به من نسخ القرآن بالقرآن، فيجوز نسخ المتواترة بمثلها، والآحاد بمثلها وبالمتواترة، وكذا المتواترة بالآحاد على الصحيح كما تقدّم في نسخ القرآن بالآحاد^(٧).

ومن نسخ السنة بالسنة: نسخ حديث مسلم: «أنه ﷺ قيل له: الرجل يفجّل عن امرأته،

(١) قال الشيخ أبو إسحاق الشيرازي في اللّمع (ص: ٥٩): «وأما نسخ السنة بالقرآن ففيه قولان: أحدهما: لا يجوز، لأن الله تعالى جعل السنة بياناً للقرآن؛ ... ثانيهما: أنه يجوز، وهو الصحيح، لأن القرآن أقوى من السنة فإذا جاز بالسنة فلا أن يجوز بالقرآن أولى». انظر القواطع: ٤٥٦/١.

(٢) قاله الشيخ أبو إسحاق في اللّمع (ص: ٥٩)، والسماعي في القواطع (١/٤٥٠).

(٣) هذا ما فهمه الشارح من كلام البيضاوي في «المنهاج»، قال الإسنوي في شرح المنهاج (١/٦٠٤): «وكلام المصنّف [أي البيضاوي] مشعر بأن للإمام الشافعي في المسألتين قولان، وهو غير معروف، ولذا لم يذكر الشيرازي والسماعي والرازي والأمدي للإمام إلا قولاً واحداً. (اللّمع، ص: ٥٩، القواطع: ٤٥٠/١، المحصول: ٣/٣٤٧، الإحكام: ٣/١٣٨).

(٤) قاله ابن سريج. (القواطع: ٤٥٠/١).

(٥) قاله أبو حامد الأسفراييني. (القواطع: ٤٥٠/١).

(٦) وقال السماعي بمنعه شرعاً وعقلاً جميعاً. (القواطع: ٤٥٠/١).

(٧) اتفق العلماء على جواز نسخ السنة المتواترة بالمتواترة منها، وعلى جواز نسخ الآحاد بالمتواترة منها، وعلى جواز نسخ الآحاد بالآحاد، ولكنهم اختلفوا في وقوع نسخ السنة المتواترة بالآحاد على مذهبين: الأول: عدم الوقوع، قاله الجماهير من الأئمة الأربعة وغيرهم؛ الثاني: الوقوع، قاله الظاهرية، وهو رواية عن أحمد، واختاره أبو الخطاب، وابن عقيل، والطوفي من الحنابلة، والباقي من المالكية، والمصنّف والشارح وشيخ الإسلام من الشافعية. (الفواتح: ٢/١٣٥، شرح التنقيح، ص: ٣١١، الإحكام للباقي، ص: ٣٥٧، الإحكام للأمدي: ٣/١٣٢، المحصول: ٣/٣٢١، الإحكام لابن حزم: ٤/٤٧٧، نهاية السؤل: ١/٦٠٦، غاية الوصول، ص: ٨٨، شرح الكوكب: ٣/٥٦٢).

وَلَمْ يُمِنْ مَا ذَا يَجِبُ عَلَيْهِ ؟ فَقَالَ : إِنَّمَا الْمَاءُ مِنَ الْمَاءِ ^(١) بِحَدِيثِ الصَّحِيحَيْنِ : «إِذَا جَلَسَ بَيْنَ شُعْبَيْهِمَا الْأَرْبَعِ ، ثُمَّ جَهَدَهَا فَقَدْ وَجِبَ الْغُسْلُ» ^(٢) . زَادَ مُسْلِمٌ فِي رِوَايَةٍ : «وَأَنْ لَمْ يُنْزَلْ» ^(٣) . لِتَأْخُرَ هَذَا عَنِ الْأَوَّلِ ، لِمَا رَوَى أَبُو دَاوُدَ وَغَيْرُهُ عَنْ أَبِي بِنِ كَعْبٍ ^(٤) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : «أَنَّ الْفُتْيَا الَّتِي كَانُوا يَقُولُونَ : الْمَاءُ مِنَ الْمَاءِ رُخْصَةً رَخَّصَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي أَوَّلِ الْإِسْلَامِ ، ثُمَّ أَمَرَ بِالْغُسْلِ بَعْدَهَا» ^(٥) .

وَمِنْ نَسْخِ الْقُرْآنِ بِالْقُرْآنِ : مَا تَقَدَّمَ ^(٦) مِنْ نَسْخِ قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿مَتَّعْنَا إِلَى الْآخِرِ﴾ ^(٧) بِقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿وَأَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ ^(٨) .

(١) رواه مسلم في الحيض ، باب إنما الماء من الماء (٧٧٣) ، وأبو داود في الطهارة ، باب الإكسال (٢١٧) ، وابن ماجه في الطهارة ، باب الماء من الماء (٦٠٦) .

ورواه البخاري بلفظ قريب جداً في الغسل ، باب غسل ما يُصِيب من فرج المرأة (٢٩٢) .

(٢) رواه البخاري في الغسل ، باب إذا التقى الختانان (٢٩١) ، ومسلم في الحيض ، باب نسخ «الماء من الماء»... (٧٨١) ، وأبو داود في الطهارة ، باب في الإكسال (٢١٦) ، والنسائي في الطهارة ، باب وجوب الغسل إذا التقى الختانان (١٩١) ، وابن ماجه في الطهارة ، باب ما جاء إذا التقى الختانان (٦١٠) .

(٣) رواه مسلم في الحيض ، باب نسخ «الماء من الماء» (٢٨٢) .

(٤) وأبي : هو أبي بن كعب بن قيس السيد القارئ ، الصحابي الخزرجي النجاري المدني ، كناه رسول الله ﷺ أبا المُنْذِر ، وكناه عمرُ أبا الطُّفَيْل ، شهد العقبة الثانية والبدْر وما بعده من المشاهد مع رسول الله ﷺ ، وابنه الطفيل من التابعين ، وفي الصحيحين : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَرَأَ عَلَيْهِ ﴿لَوْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ بِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى لَهُ ، وَفِي التِّرْمِذِيِّ «أَقْرَأَ أُمِّي أَبِي» ، وَكَانَ عَمْرُ يُسَمِّيهِ سَيِّدَ الْمَلَمِينَ ، مَاتَ ﷺ سَنَةَ ٣٠ هـ بِالْمَدِينَةِ ، وَدُفِنَ بِهَا . (التهذيب للنووي : ١/١٢١) .

(٥) رواه أبو داود في الطهارة ، باب في الإكسال (٢١١) ، والتِّرْمِذِيُّ في الطهارة ، باب ما جاء في أَنَّ الْمَاءَ مِنَ الْمَاءِ (١١١) ، وَقَالَ : «حَسَنٌ صَحِيحٌ» ، وَابْنُ مَاجَةٍ في الطهارة ، باب ما جاء في وجوب الغسل إذا التقى الختانان (٦٠٩) .

(٦) انظر : «نسخ بعض القرآن» : ١/ ٤٥٠ .

(٧) سورة البقرة ، الآية : ٢٤٠ .

(٨) سورة البقرة ، الآية : ٢٣٤ .

[النَّسْخُ بِالْقِيَاسِ]

وبالقياس؛ وثالثها: «إِنْ كَانَ جَلِيًّا»؛ والرابع: «إِنْ كَانَ فِي زَمَنِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ،
والعلة منصوصة».

[نَسْخُ الْقِيَاسِ]

وَنَسْخُ الْقِيَاسِ فِي زَمَنِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

[النَّسْخُ بِالْقِيَاسِ]

(و) يَجُوزُ عَلَى الصَّحِيحِ النَّسْخُ لِلنَّصِّ (بالقياس)^(١) لاستناده إلى النص، فكأنه الناسخ .
وقيل: «لَا يَجُوزُ حَذْرًا مِنْ تَقْدِيمِ الْقِيَاسِ عَلَى النَّصِّ الَّذِي هُوَ أَصْلٌ لَهُ فِي الْجُمْلَةِ»^(٢) .
(وثالثها): «يَجُوزُ (إِنْ كَانَ) الْقِيَاسُ (جَلِيًّا)، بِخِلَافِ الْخَفِيِّ لضعفه»^(٣) .
(والرابع): «يَجُوزُ (إِنْ كَانَ) الْقِيَاسُ (فِي زَمَنِهِ عَلَيْهِ) الصَّلَاةُ وَ (السَّلَامُ، وَالْعِلَّةُ مَنْصُوصَةٌ)،
بِخِلَافِ مَا عَلَنَهُ مُسْتَنْبَطَةٌ لضعفه، وما وُجِدَ بَعْدَ زَمَنِ النَّبِيِّ ﷺ لانتفاء النسخ حينئذ»^(٤) .
قلنا: تَبَيَّنَ بِهِ أَنَّ مُخَالَفَهُ كَانَ مَنْسُوخًا .

[نَسْخُ الْقِيَاسِ]

(و) يَجُوزُ عَلَى الصَّحِيحِ (نَسْخُ الْقِيَاسِ) الْمَوْجُودِ (فِي زَمَنِهِ عَلَيْهِ) الصَّلَاةُ وَ (السَّلَامُ)
بِنَصِّ أَوْ قِيَاسٍ^(٥) .
وقيل: «لَا يَجُوزُ نَسْخُهُ، لِأَنَّهُ مُسْتَنْدٌ إِلَى نَصٍّ فِيدُومٌ بِدَوَامِهِ»^(٦) .

(١) قاله المصنف، وتبعه الشارح .

(٢) قاله الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة، وهو المذهب المنصوص للشافعي وبه قال جماهير أصحابه، واختاره الشيرازي، والسمعاني، والرازي، والياقلائي، والزركشي، وشيخ الإسلام. (الفوائد: ١٩٩/٢، مختصر ابن الحاجب، ص: ٢٨٢، اللمع، ص: ٦٠، لمحصل: ٣/٣٦٠، التثنية: ٤٣٣/١، غاية الوصول، ص: ٨٩، شرح الكوكب: ٣/٥٧١) .

(٣) قاله أبو القاسم الأنماطي من الشافعية. (الإحكام: ١٤٨/٣) .

(٤) قاله الآمدي، وابنُ الحاجب، والعضد. (الإحكام: ١٤٨/٣، شرح العضد، ص: ٢٨٢) .

(٥) قاله الشافعية وأبو الخطاب وابنُ عقيل من الحنابلة. (المحصل: ٣/٣٥٨، التثنية: ٤٣٤/١) .

(٦) قاله الحنفية والمالكية والحنابلة. (الفوائد: ١٥٠/٢، الإحكام: ١٤٧/٣، مختصر ابن الحاجب، ص:

٢٨٢، شرح الكوكب: ٣/٣٧١) .

وشرط ناسخه: إن كان قياساً أن يكون أجلى وفقاً للإمام، وخلافاً للامدي.

[نسخ الفحوى، والنسخ به]

ونسخ الفحوى دون أصله كعكسه على الصحيح؛

قلنا: لا نسلّم لزوم دوامه كما لا يلزم دوام حكم النص بأن ينسخ.

(وشرط ناسخه: إن كان قياساً أن يكون أجلى) منه (وفقاً للإمام)^(١) الرازي، (وخلافاً للامدي)^(٢) في اكتفائه بالمساوي، فلا يكفي الأدون جزماً لانتفاء المقاومة، ولا المساوي لانتفاء المرجح.

ويجوز أن يقول الامدي: تأخر نصّه مرجح، إذ لا بُدّ من تأخر نصّ القياس الناسخ عن نصّ القياس المنسوخ به، وعن النصّ المنسوخ، كما لا يخفى.

٢٥٢

[نسخ الفحوى، والنسخ به]

(و) يجوز (نسخ الفحوى) أي مفهوم الموافقة بقسميه: الأولى، والمساوي، (دون أصله) أي المنطوق، (كعكسه) أي نسخ أصل الفحوى دونّه (على الصحيح) فيهما، لأنّ الفحوى وأصله مدلولان متغايران، فجاز نسخ كل منهما وخذه كنسخ تحريم ضرب الوالدين، دون تحريم التأفيف، والعكس^(٣).

وقيل: «لا فيهما»، لأنّ الفحوى لازم لأصله، فلا يُنسخ واحد منهما بدون الآخر، لمنافاة ذلك للزوم بينهما^(٤).

وقيل: - واختاره ابن الحاجب^(٥) - «يَمْتَنِعُ الأولُ لامتناع بقاء الملزوم مع نفي اللازم، بخلاف الثاني، لجواز بقاء اللازم مع نفي الملزوم».

(١) المحصول للرازي: ٣/ ٣٥٨. وتبعه البيضاوي، والإسنوي. (نهاية السؤل: ١/ ٦١٠).

(٢) بل وفقاً للامدي أيضاً، حيث قال في الإحكام (٣/ ١٤٨): «وإن كان [أي المنسوخ بالقياس] قياساً فلا بُدّ وأن يكون القياس الثاني راجحاً على الأول»، فلا يكون راجحاً إلا إذا كان أجلى منه، والله تعالى أعلم.

(٣) قاله الجماهير من الحنفية والشافعية والمالكية والحنابلة.

(٤) الفواتح: ٢/ ١٥٥، شرح التنقيح، ص: ٣١٥، التشيف: ١/ ٤٣٥، شرح الكوكب: ٣/ ٥٧٦.

(٥) قاله بعض الأصوليين. (الفواتح: ٢/ ١٥٥، شرح العضد، ص: ٢٨٣).

(٥) وبه قال أيضاً أبو الحسن البصري من المعتزلة، وابن قاضي الجبل من الحنابلة، والعضد من الشافعية. (شرح العضد، ص: ٢٨٣، المعتمد: ١/ ٤٣٧، شرح الكوكب: ٣/ ٥٧٦).

وَالنَّسْخُ بِهِ . وَالْأَكْثَرُ أَنَّ نَسْخَ أَحَدِهِمَا يَسْتَلْزِمُ الْآخَرَ .

ولقوة جواز الثاني أتى به المصنف بكاف التشبيه دون واو العطف، لكن يؤخذ مما سيأتي^(١) حكاية قول بعكس الثالث.

أَمَّا نَسْخُ الْفَحْوَى مَعَ أَصْلِهِ فَيَجُوزُ اتِّفَاقًا .

(و) يَجُوزُ (النَّسْخُ بِهِ) أَيِ الْفَحْوَى، قَالَ الْإِمَامُ الرَّازِي وَالْأَمَدِيُّ: «اتِّفَاقًا»^(٢).

وحكى الشيخ أبو إسحاق الشيرازي^(٣) - كما قال المصنف^(٤) - الْمَنْعَ بِهِ بِنَاءً عَلَى أَنَّهُ قِيَاسٌ، وَأَنَّ الْقِيَاسَ لَا يَكُونُ نَاسِخًا.

(وَالْأَكْثَرُ أَنَّ نَسْخَ أَحَدِهِمَا) أَيِ الْفَحْوَى وَأَصْلُهُ أَيًّا كَانَ (يَسْتَلْزِمُ الْآخَرَ) أَيِ نَسْخِهِ، لِأَنَّ الْفَحْوَى لَا زِمَ لِأَصْلِهِ وَتَابِعٍ لَهُ، وَرَفْعُ اللَّازِمِ يَسْتَلْزِمُ رَفْعَ الْمَلْزُومِ، وَرَفْعُ الْمَتَّبِعِ يَسْتَلْزِمُ رَفْعَ التَّابِعِ^(٥).
وَقِيلَ: «لَا يَسْتَلْزِمُ وَاحِدٌ مِنْهُمَا الْآخَرَ، لِأَنَّ رَفْعَ التَّابِعِ لَا يَسْتَلْزِمُ رَفْعَ الْمَتَّبِعِ، وَرَفْعَ الْمَلْزُومِ لَا يَسْتَلْزِمُ رَفْعَ اللَّازِمِ»^(٦).

وَقِيلَ: «نَسْخُ الْفَحْوَى لَا يَسْتَلْزِمُ نَظْرًا إِلَى أَنَّهُ تَابِعٌ، بِخِلَافِ نَسْخِ الْأَصْلِ».

وَقِيلَ: «نَسْخُ الْأَصْلِ لَا يَسْتَلْزِمُ نَظْرًا إِلَى أَنَّهُ مَلْزُومٌ، بِخِلَافِ نَسْخِ الْفَحْوَى»^(٧).

٢٥٣

وَاعْلَمْ أَنَّ اسْتِلْزَامَ نَسْخِ كُلِّ مِنْهُمَا لِلْآخَرِ يُنَافِي مَا صَحَّحَهُ مِنْ جَوَازِ نَسْخِ كُلِّ مِنْهُمَا دُونَ الْآخَرِ، فَإِنَّ الْاِمْتِنَاعَ مَبْنِيٍّ عَلَى الْاِسْتِلْزَامِ، وَالْجَوَازُ مَبْنِيٌّ عَلَى عَدَمِهِ، وَقَدْ اقْتَصَرَ ابْنُ الْحَاجِبِ^(٨) عَلَى

(١) أي في شرح قول المصنف: «والأكثر على أن نسخ أحدهما يستلزم الآخر».

(٢) المحصول للرازي: ٣/ ٣٦١، والإحكام للأمدى: ٣/ ١٤٩.

وبه قال أيضاً القرافي في شرح التنقيح، ص: ٣١٥.

(٣) عبارته رحمه الله في اللمع (ص: ٦٠): «وأما النسخ بفحوى الخطاب - وهو التنبية - فلا يجوز، لأنه قياس، ومن أصحابنا من قال بجواز النسخ به، لأنه كالطقي».

(٤) عبارته رحمه الله في رفع الحاجب (٤/ ١٠٦): «وادّعى الإمام والأمدى الاتفاق عليه، وليس بجيد، فالخلاف موجود، نقله أبو إسحاق الشيرازي، وأبو المظفر ابن السمعاني وغيرهما بناءً على أن الفحوى قياس، والقياس لا يكون ناسخاً».

(٥) واختاره البيضاوي وشيخ الإسلام. (نهاية السؤل: ١/ ٦١١، غاية الوصول، ص: ٨٨).

(٦) قاله بعض العلماء. (التشنيف: ١/ ٤٣٦).

(٧) قاله بعض العلماء. (التشنيف: ١/ ٤٣٦).

(٨) عبارته رحمه الله في المختصر (ص: ٢٨٣): «المختار جواز نسخ أصل الفحوى دونّه، وامتناع نسخ»

[نَسْخُ لَحْنِ الْخِطَابِ ، وَالنَّسْخُ بِهِ]

و نَسْخُ الْمُخَالَفَةِ وَإِنْ تَجَرَّدَتْ عَنْ أَصْلِهَا ، لَا الْأَصْلُ دُونَهَا فِي الْأَظْهَرِ ،

الجَوَازِ مع مُقَابِلِهِ ، والْبَيْضَاوِي على الاستلزام^(١) ، وَجَمَعَ الْمُصَنِّفُ بَيْنَهُمَا . كَأَنَّهُ مَأْخُوذٌ مِنْ قَوْلِ الْأَمَدِيِّ : « اختلفوا في جَوَازِ نَسْخِ الْأَصْلِ دُونَ الْفَحْوَى ، وَالْفَحْوَى دُونَ الْأَصْلِ ، غَيْرَ أَنَّ الْأَكْثَرَ عَلَى أَنَّ نَسْخَ الْأَصْلِ يُفِيدُ نَسْخَ الْفَحْوَى . . . الخ »^(٢) الْمُشْتَمِلِ عَلَى الْعَكْسِ أَيْضًا ، فَكَأَنَّهُ سَرَى إِلَى ذَهَنِ الْمُصَنِّفِ مِنْ غَيْرِ تَأَمُّلٍ : أَنَّ الْخِلَافَ الثَّانِي مُفَرَّغٌ عَلَى الْجَوَازِ مِنَ الْأَوَّلِ ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ ، بَلْ هُوَ بَيَانٌ لِمَا خِذَ الْأَوَّلِ الْمُفِيدُ : أَنَّ الْأَكْثَرَ عَلَى الْامْتِنَاعِ^(٣) ، فَلْيَتَأَمَّلْ .

[نَسْخُ لَحْنِ الْخِطَابِ ، وَالنَّسْخُ بِهِ]

(و) يَجُوزُ (نَسْخُ الْمُخَالَفَةِ وَإِنْ تَجَرَّدَتْ عَنْ أَصْلِهَا) أَيِ يَجُوزُ نَسْخُهَا مَعَ أَصْلِهَا وَبِدُونِهِ .

(لَا) نَسْخُ (الْأَصْلِ دُونَهَا) أَيِ فَلَا يَجُوزُ (فِي الْأَظْهَرِ)^(٤) كَمَا قَالَ الصَّفِيُّ الْهِنْدِيُّ^(٥) مِنْ اِحْتِمَالَيْنِ لَهُ ، لِأَنَّهَا تَابِعَةٌ لَهُ ، فَتَرْفَعُ بَارْتِفَاعِهِ ، وَلَا يَرْتَفِعُ هُوَ بَارْتِفَاعِهَا .

وَقِيلَ : « يَجُوزُ ، وَتَبَعِيَّتُهَا لَهُ مِنْ حَيْثُ دَلَالَةُ اللَّفْظِ عَلَيْهَا مَعَهُ ، لَا مِنْ حَيْثُ ذَاتُهُ »^(٦) .

مِثَالُ نَسْخِهَا دُونَهُ : مَا تَقَدَّمَ^(٧) مِنْ نَسْخِ حَدِيثٍ : « إِنَّمَا الْمَاءُ مِنَ الْمَاءِ » ، فَإِنَّ الْمَنْسُوخَ ٢٥٤ مَفْهُومُهُ ، وَهُوَ أَنَّ لَا غُسْلَ عِنْدَ عَدَمِ الْإِنْزَالِ .

وَمِثَالُ نَسْخِهَا مَعَهُ : أَنْ يُنْسَخَ وَجُوبُ الزَّكَاةِ فِي السَّائِمَةِ ، وَنَفْيُهُ فِي الْمَعْلُوفَةِ الدَّالِّ عَلَيْهِمَا

= الْفَحْوَى دُونَ أَصْلِهِ ، ... لَنَا : أَنَّ جَوَازَ التَّأْفِيفِ بَعْدَ تَحْرِيمِهِ لَا يَسْتَلْزِمُ جَوَازَ الضَّرْبِ ، وَبِقَاءَ تَحْرِيمِهِ يَسْتَلْزِمُ تَحْرِيمَ الضَّرْبِ » .

(١) عِبَارَتُهُ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي الْمَنْهَاجِ (١/٦١١) ، مَعَ نِهَايَةِ السُّوْلِ : « نَسْخُ الْأَصْلِ يَسْتَلْزِمُ نَسْخَ الْفَحْوَى ، وَبِالْعَكْسِ ، لِأَنَّ نَفْيَ الْإِلْزَامِ يَسْتَلْزِمُ نَفْيَ مَلْزُومِهِ » .

(٢) الْإِحْكَامُ لِلْأَمَدِيِّ : ١٤٩/٣ .

(٣) نَقَلَهُ ابْنُ النِّجَارِ فِي شَرْحِ الْكَوْكَبِ (٣/٥٧٨) وَاعْتَمَدَهُ .

(٤) عِنْدَ الْمَالِكِيَّةِ وَالشَّافِعِيَّةِ وَالْحَنَابِلَةِ . (نَشْرُ الْبُنُودِ : ١/٢٤٠ ، اللَّمْعُ ، ص : ٦٠ ، التَّشْنِيفُ : ١/٤٣٦ ، غَايَةُ

الْوَصُولُ ، ص : ٨٩ ، شَرْحُ الْكَوْكَبِ : ٣/٥٧٨) .

(٥) التَّشْنِيفُ : ١/٤٣٦ .

(٦) وَهُوَ وَجْهٌ لِلْحَنَابِلَةِ ، وَاخْتَارَهُ الْقَاضِي أَبُو يَعْلَى مِنْهُمْ . (شَرْحُ الْكَوْكَبِ : ٣/٥٧٩) .

(٧) فِي «النَّسْخِ بِالسَّنَةِ» : ١/٤٥٣ .

ولَا النَّسْخُ بِهَا .

[نَسْخُ الْإِنْشَاء]

وَنَسْخُ الْإِنْشَاءِ وَلَوْ بَلْفِظِ الْقَضَاءِ، أَوِ الْخَبَرِ،

الحديث السابق في «المفهوم»^(١)، وَيَرْجَعُ الْأَمْرُ فِي الْمَعْلُوفَةِ إِلَى مَا كَانَ قَبْلُ، مِمَّا دَلَّ عَلَيْهِ الدَّلِيلُ الْعَامُّ بَعْدَ الشَّرْعِ مِنْ تَحْرِيمٍ لِلْفِعْلِ إِنْ كَانَ مُضَرَّةً أَوْ إِبَاحَةً لَهُ إِنْ كَانَ مُنْفَعَةً، كَمَا يَرْجَعُ فِي السَّائِمَةِ إِلَى مَا تَقَدَّمَ فِي مَسْأَلَةٍ: «إِذَا نَسَخَ الْوَجُوبُ بَقِيَ الْجَوَازُ... الخ»^(٢).

(ولا) يَجُوزُ (النَّسْخُ بِهَا) أَيِ بِالْمُخَالَفَةِ^(٣) - كَمَا قَالَ ابْنُ السَّمْعَانِيِّ - لضعفها عن مُقَاوَمَةِ النَّصِّ^(٤). وَقَالَ الشَّيْخُ أَبُو إِسْحَاقَ الشِّيرَازِيُّ: «الصَّحِيحُ الْجَوَازُ، لِأَنَّهَا فِي مَعْنَى النَّطْقِ»^(٥).

[نَسْخُ الْإِنْشَاءِ]

(و) يَجُوزُ (نَسْخُ الْإِنْشَاءِ وَلَوْ) كَانَ (بَلْفِظِ الْقَضَاءِ)^(٦).

وْخَالَفَ بَعْضُهُمْ فِيهِ لِقَوْلِهِ: «إِنَّ «الْقَضَاءَ» إِنَّمَا يُسْتَعْمَلُ فِيمَا لَا يَتَغَيَّرُ نَحْوُ ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِلَٰهًا﴾^(٧) أَيْ أَمْرًا»^(٨).

(أَوْ) بَلْفِظِ (الْخَبَرِ) نَحْوُ ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَرَیَصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾^(٩) أَيْ لِيَتَرَبَّصْنَ

(١) وهو حديث البخاري (١٣٦٢) وغيره: «وَفِي صَدَقَةِ الْغَنَمِ فِي سَائِمَتِهَا إِذَا كَانَتْ أَرْبَعِينَ إِلَى مِائَةٍ وَعِشْرِينَ شَاةً،...» سبق تخريجه في «أنواع مفهوم المخالفة»: ١٩٧/١.

(٢) انظر: «إِذَا نُسِخَ الْوَجُوبُ بَقِيَ الْجَوَازُ»: ١٣٤/١.

(٣) قاله المالكية، والشافعية، والحنابلة.

(نشر البنود: ١/٢٤٠، غاية الوصول، ص: ٨٩، شرح الكوكب: ٣/٥٨٠).

(٤) القواطع لابن السمعاني: ١/٤٢٥.

(٥) اللُّمَعُ للشِّيرَازِيِّ، ص: ٦٠.

(٦) قاله الجماهير من الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة.

(الفواتح: ٢/١٢١، شرح التنقيح، ص: ٣٠٩، المحصول: ٣/٣٢٥، الإحكام: ٣/١٣٠،

التشنيف: ١/٤٣٨، شرح الكوكب: ٣/٥٣٨).

(٧) سورة الإسراء، الآية: ٢٣.

(٨) قاله أبو علي الجبائي وأبو هاشم من المعتزلة. (المحصول: ٣/٣٢٥).

(٩) سورة البقرة، الآية: ٢٢٨.

أو قِيْدَ بالتأييد وغيره، مثلُ « صوموا أبداً » ، « صوموا حتماً » ، وكذا « الصوم واجبٌ مُستَمِرٌّ أبداً » إذا قاله إنشاءً ، خلافاً لابن الحاجب .

بأنفسهن^(١) .

وخالفَ الدَّقَاقُ في ذلك نظراً إلى اللفظ .

(أو قِيْدَ بالتأييد وغيره، مثلُ: « صوموا أبداً » ، « صوموا حتماً »)^(٢) .

وقيل: « لا » ، لِمَنَافَةِ النسخِ للتأييد والتحتيم^(٣) .

قلنا: لا نُسلِّمُ ذلك، ويتبيَّنُ بورودِ الناسخِ أنَّ المُرادَ: افعلوا إلى وجوده ، كما يُقالُ: «لازِمٌ غريمتك أبداً» أي إلى أن يُعطيَ الحقُّ .

وأشارَ المُصنِّفُ بـ « لو » إلى الخلافِ الذي ذكرناه^(٤) .

(وكذا «الصَّومُ واجبٌ مستمرٌّ أبداً» إذا قاله إنشاءً) فَإِنَّهُ يَجُوزُ نَسْخُهُ^(٥) .

(خلافاً لابن الحاجب) في منعه النسخَ دونَ ما قبله من «صوموا أبداً»^(٦) .

والفرقُ بـ «أنَّ التأييدَ فيما قبله قِيْدٌ للفعلِ ، وفيه قِيْدٌ للوجوبِ والاستمرارِ» لا أثرَ له .

ولَمْ يُصَرِّحْ غيرُهُ بما قاله ، وكأنَّه فَهَمَ من كلامهم أَنَّهُ ليس من محلِّ الخلافِ .

وتقييدُ المُصنِّفِ له بـ «الإِنشاء» هو مُرادُه^(٧) وإنْ لَمْ يُصَرِّحْ به لذكرِهِ منعِ نسخِ الخبرِ بعد ذلك .

(١) قاله الجماهير من الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة. (الفواتح: ١٢١/٢ ، شرح التنقيح، ص: ٣٠٩ ، التشنيف: ٤٣٨/١ ، غاية الوصول، ص: ٨٩ ، شرح الكوكب المنير: ٥٣٨/٣) .

(٢) قاله الجماهير من الأئمة الأربعة وغيرهم. (الفواتح: ١٢١/٢ ، مختصر ابن الحاجب، ص: ٢٧٤ ، غاية الوصول، ص: ٨٩ ، التشنيف: ٤٣٧/١ ، شرح الكوكب: ٥٣٩/٣) .

(٣) قاله بعضُ الحنفية وبعضُ المتكلمين. (الفواتح: ١٢١/٢ ، شرح الكوكب: ٥٤٠/٣) .

(٤) قال المُصنِّفُ في منعِ الموانع (ص: ٢٩١): «وَنَحْنُ أَبْدَأُ نُشِيرُ [أي في جمعِ الجوامع] بلفظِ «لو» إلى خلافٍ، فَإِنْ قَوِيَ أَوْ تَحَقَّقَ صَرَحْنَا بِهِ، وَإِلَّا أَكْتَفَيْنَا بِهَذِهِ الْإِشَارَةِ» .

(٥) قاله الشافعية والحنابلة. (التشنيف: ٤٣٧/١ ، شرح الكوكب: ٥٤٠/٣) .

(٦) وبه قال أيضاً الحنفية. (الفواتح: ١٢١/٢ ، مختصر ابن الحاجب، ص: ٢٧٤) .

(٧) أي مرادُ ابنِ الحاجبِ لذكرِهِ «مَنَعَ نسخِ الخبرِ» بعد «نسخِ الإنشاء» ، وعبارته في المختصر (ص: ٢٧٣ ، ٢٧٤): «الجمهورُ على جوازِ نسخِ مثلِ «صوموا أبداً» ، بخلافِ «الصَّومُ واجبٌ مُستَمِرٌّ أبداً» ، ... المختارُ: جَوَازُ نَسْخِ التَكْلِيفِ بِالْإِخْبَارِ بِنَقِيضِهِ ، خِلَافاً لِلْمَعْتَزِلَةِ» .

وأما نسخُ مدلولِ خبرٍ لا يتغيرُ فباطِلٌ ، والمتغيرُ كإيمانٍ زيدٍ وكغيرِهِ مثلهُ ، خلافاً لبعضِ المعتزلةِ .

[نَسْخُ الْإِخْبَارِ]

وَنَسْخُ الْإِخْبَارِ بِإِجَابِ الْإِخْبَارِ بِنَقِيضِهِ ؛ لَا الْخَبْرَ . وَقِيلَ : « يَجُوزُ إِنْ كَانَ عَنْ مُسْتَقْبَلٍ » .

[نَسْخُ الْإِخْبَارِ]

(و) يَجُوزُ (نَسْخُ) إِجَابِ (الْإِخْبَارِ) بِشَيْءٍ (بِلِإِجَابِ الْإِخْبَارِ بِنَقِيضِهِ)^(١) كَأَنْ يُوجِبَ الْإِخْبَارُ بِقِيَامِ زَيْدٍ ، ثُمَّ بَعْدَ قِيَامِهِ قَبْلَ الْإِخْبَارِ بِقِيَامِهِ لِجَوَازِ أَنْ يَتَغَيَّرَ حَالُهُ مِنَ الْقِيَامِ إِلَى عَدَمِهِ . فَإِنْ كَانَ الْمُخْبَرُ بِهِ مِمَّا لَا يَتَغَيَّرُ كَحُدُوثِ الْعَالَمِ فَمَنْعَتِ الْمَعْتَزَلَةُ مَا ذُكِرَ فِيهِ ، لِأَنَّهُ تَكْلِيفٌ بِالْكَذِبِ ، فَيَنْزَعُ الْبَارِي عَنْهُ .

قلنا : قد يدعو إلى الكذب غرضٌ صحيحٌ ، فَلَا يَكُونُ التَّكْلِيفُ بِهِ نَقْصًا ، وَقَدْ ذَكَرَ الْفُقَهَاءُ أَمَاكِينَ يَجِبُ فِيهَا الْكَذِبُ ، مِنْهَا : إِذَا طَالَبَهُ ظَالِمٌ بِالْوَدِيعَةِ أَوْ بِمَظْلُومٍ خَبَأَهُ وَجِبَ عَلَيْهِ إِنْكَارُ ذَلِكَ ، وَجَازَ لَهُ الْحَلْفُ عَلَيْهِ ، وَإِذَا أَكْرَهَ عَلَى الْكَذِبِ وَجِبَ .

(لا) نَسْخُ (الْخَبْرِ) أَيِ مَدْلُولِهِ^(٢) ، فَلَا يَجُوزُ إِنْ كَانَ مِمَّا يَتَغَيَّرُ ، لِأَنَّهُ يُوْهِمُ الْكَذِبَ ، أَيِ يَوْقَعُ فِي الْوَهْمِ ، أَيِ الذَّهْنِ ، حَيْثُ يُخْبَرُ بِالشَّيْءِ ، ثُمَّ بِنَقِيضِهِ ، وَذَلِكَ مُحَالٌ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى^(٣) .

(وَقِيلَ) فِي الْمُنْتَغِيرِ : « (يَجُوزُ إِنْ كَانَ عَنْ مُسْتَقْبَلٍ) لِجَوَازِ الْمَحْوِ لِلَّهِ تَعَالَى فِيمَا يُقَدَّرُ ،

(١) نَسْخُ الْخَبْرِ قِسْمَانِ : الْأَوَّلُ : نَسْخُ إِجَابِ الْخَبْرِ أَيِ إِيقَاعِهِ ، بَأَنْ يُكْلَفْنَا الشَّارِعُ بِالْإِخْبَارِ بِشَيْءٍ ثُمَّ يُكْلَفْنَا بِنَهْيِهِ عَنْهُ ، فَهُوَ جَائِزٌ بِاتِّفَاقِ الْقَائِلِينَ بِجَوَازِ النِّسْخِ سِوَاءَ كَانَ الْخَبْرُ مَاضِيًّا أَوْ مُسْتَقْبَلًا ، وَسِوَاءَ كَانَ مِمَّا يَتَغَيَّرُ كَالْإِخْبَارِ بِإِيْمَانِ زَيْدٍ وَكَفَرِهِ أَوْ لَا كَالْإِخْبَارِ بِوُجُودِ اللَّهِ ، لَكِنْهُمْ اخْتَلَفُوا فِي جَوَازِ نَسْخِ مَا كُتِبْنَا بِالْإِخْبَارِ عَمَّا لَا يَتَغَيَّرُ ، فَأَجَازَهُ الْمَالِكِيَّةُ وَالشَّافِعِيَّةُ وَالْحَنَابِلَةُ ، وَمَنَعَهُ الْحَنَفِيَّةُ . (الْفَوَاتِحُ : ١٣٢/٢) ، شَرْحُ التَّنْقِيحِ ، ص : ٣٠٩ ، شَرْحُ الْعُضْدِ ، ص : ٢٧٧ ، شَرْحُ الْكَوْكَبِ : ٥٤١/٣ .

(٢) هَذَا هُوَ الْقِسْمُ الثَّانِي : وَهُوَ نَسْخُ مَدْلُولِ الْخَبْرِ ، وَهَذَا الْمَدْلُولُ إمَّا أَنْ يَكُونَ مِمَّا لَا يَتَغَيَّرُ كَمَدْلُولِ الْخَبْرِ بِحُدُوثِ الْعَالَمِ ، فَنَسْخُهُ مُحَالٌ ، أَوْ مِمَّا يَتَغَيَّرُ سِوَاءَ كَانَ مَاضِيًّا كَالْإِخْبَارِ بِإِيْمَانِ زَيْدٍ وَعَدَمِهِ ، أَوْ مُسْتَقْبَلًا ، وَسِوَاءَ كَانَ وَعْدًا أَوْ وَعِيدًا أَوْ حَكْمًا شَرْعِيًّا فَاخْتَلَفُوا فِيهِ عَلَى ثَلَاثَةِ مَذَاهِبٍ كَمَا ذَكَرَ الشَّارِحُ . (الْفَوَاتِحُ : ١٣٣/٢) ، الْإِحْكَامُ : ١٣١/٣ ، نِهَايَةُ السُّوْلِ : ٦٠١/١ ، شَرْحُ الْكَوْكَبِ : ٥٤٣/٣ .

(٣) قَالَ الْجَمَاهِيرُ مِنَ الْحَنَفِيَّةِ وَالْمَالِكِيَّةِ وَالشَّافِعِيَّةِ وَالْحَنَابِلَةِ . (الْفَوَاتِحُ : ١٣٢/٢) ، مُخْتَصَرُ ابْنِ الْحَاجِبِ ، ص : ٢٧٧ ، رَفْعُ الْحَاجِبِ : ٧٥/٤ ، التَّشْنِيفُ : ٤٣٧/١ ، تَحْفَةُ الْمَسْئُولِ : ٣٩٩/٣ ، شَرْحُ الْكَوْكَبِ : ٥٤٣/٣ .

[أنواع النسخ]

وَيَجُوزُ النَّسْخُ بِبَدَلٍ أَثْقَلَ ،

قال تعالى: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُنْثِتُ﴾^(١)، والإخبارُ يتبعه، بخلاف الخبرِ عن ماضٍ.

وعلى هذا القول البيضاوي^(٢).

وقيل: «يَجُوزُ عَنِ الْمَاضِي أَيْضاً، لِحُجُوزِ أَنْ يَقُولَ اللَّهُ تَعَالَى: لَبِثَ نُوحٌ فِي قَوْمِهِ أَلْفَ سَنَةٍ، ثُمَّ يَقُولُ: ﴿كَانَتْ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾^(٣)». وعلى هذا القول الإمام الرازي^(٤)، والآمدي^(٥).

وَكأنَّه سقط من مُبَيَّنَةِ الْمُصَنَّفِ لفظُهُ «وَقِيلَ» بَعْدَ «يَجُوزُ» الْمُفِيدِ مَا قَبْلَهَا حِينَئِذٍ لِحِكَايَةِ.

[أنواع النسخ]

(وَيَجُوزُ النَّسْخُ بِدَلٍّ أَثْقَلَ)^(٦) .

وقال بعض المعتزلة: «لَا، إِذْ لَا مَصْلَحَةً فِي الْإِنْتِقَالِ مِنْ سَهْلٍ إِلَى عُسْرٍ».

قلنا: لا نُسلمُ ذلك بعد تسليم رعاية المصلحة وقد وقع كنسح التخيير بين صوم رمضان

(١) سورة الرعد، الآية: ٣٥.

(٢) المنهاج لليضاوى : ٥٩٨/١ (مع نهاية السؤل).

(٣) سورة العنكبوت، الآية: ١٤ .

(٤) المحصول للرازی: ٣/٣٢٥.

(٥) وبه قال أيضاً أبو عبد الله البصري ، والقاضي عبد الجبار ، وأبو الحسين البصري من المعتزلة .

(المعتمد: ٤١٩/١، الإحكام للآمدي: ١٣١/٣).

(٦) النسخُ إمّا أن يكونَ ببدلٍ أو بلا بدلٍ ، فالأول على ثلاثة أنواع: أحدها: النسخُ ببدلٍ أخفّ كنسخِ عدهِ الوفاة بالحول بأربعة أشهر وعشرًا ، وهو جائزٌ اتفاقًا.

وثانيها: النسخ ببدل مساو كنسخ استقبال بيت المقدس باستقبال الكعبة، وهو أيضاً جائز اتفاقاً.

ثالثها: النسجُ ببدلِ أنقلَ كنسخ التخيير بين الصوم والفدية بتعيين الصوم، اختلف العلماء فيه على مذهبين: الأول: أنه جائزٌ وواقعٌ، قاله الجماهير من الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة. الثاني: أنه غيرُ جائز ولا واقِع، قاله ابنُ داود من الظاهرية، وبعضُ المعتزلة.

وأما الثاني وهو النسخُ بلا بَدَلٍ فاختلفوا فيه أيضاً على مذهبين: أحدهما: الجواز، قاله الجماهير من الحنفية والمالكية والشافعية، والحنابلة؛ ثانيهما: عدمُ الجواز، قاله الممثلة. (الفواتح: ١٢٣/٢، شرح التنقيح، ص: ٣٠٨، مختصر ابن الحاجب، ص: ٢٧٥، المحصول: ٣١٩/٣، الإحكام: ٣/

وَبِلَا بَدَلٍ، لَكِنْ لَمْ يَقَعْ وَفَاقًا لِلشَّافِعِيِّ .

والفدية بتعني الصوم كما قال الله تعالى ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ﴾ ^(١).

(و) يجوزُ النسخُ (بلا بدلٍ) .

وقال بعضُ المعتزلة: « لا ، إذْ لا مصلحةٌ في ذلك » . قلنا : لا نُسلمُ ذلك .

(لكنْ لَمْ يَقَعْ وَفَاقًا لِلشَّافِعِيِّ) ﷺ ^(٢) .

(١) قال تعالى في سورة البقرة (الآية: ١٨٣ - ١٨٥): ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى

الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ شَهْرَ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾

اختلف العلماء في هذه الآية هل هي منسوخة بقوله تعالى ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ أو لا على مذهبين: المذهب الأول: أنه منسوخة، قاله الجماهير من الصحابة والتابعين ومن بعدهم، مُستدلّين بما رواه البخاري (٢٣١٥) ومسلم (٢٦٨٠) عن سلمة بن الأكوع ﷺ قال: «لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ كَانَ مَنْ أَرَادَ أَنْ يُفْطِرَ يُفْطِرُ وَفَتْدِي حَتَّى نَزَلَتْ الْآيَةُ الَّتِي بَعْدَهَا فَتَسَخَّرَتْهَا» .

وعنه أيضاً عند مسلم (٢٦٨١): «كُنَّا فِي رَمَضَانَ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَنْ شَاءَ صَامَ، وَمَنْ شَاءَ أَفْطَرَ فَافْتَدَى بِطَعَامٍ مِسْكِينٍ حَتَّى نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾» .

ثم اختلف هؤلاء في بقاء شيء غير منسوخ من الآية، فذهب الحنفية والشافعية والحنابلة إلى أن وجوب الإطعام باقٍ على من لم يُطَقِ الصومَ لكبرٍ أو غيره؛ وذهب المالكية والظاهرية إلى أن الإطعام أيضاً منسوخ، فليس على من لم يُطَقِ الصومَ إطعام، لكن يُستحبُّ له.

المذهب الثاني: أن الآية غير منسوخة، وأنها نزلت في الشيخ الكبير والمريض اللذين لا يقدران على الصوم، يُفْطِرَانِ وَيُطْعِمَانِ عَنْ كُلِّ يَوْمٍ مَسْكِينًا.

(تفسير القرطبي: ٢/٢٩٠، تفسير ابن كثير: ١/١٨٧، حاشية الصاوي: ١/١١٠، شرح مسلم للنووي: ٨/٢٦٢، فتح الباري: ٨/٢٩، معالم السنن: ٢/٧٥، عون المعبود: ٦/٣٠٦، روح المعاني: ٢/٨٩، تحفة المحتاج: ٤/٦٠٦، الهداية: ٢/٤٨٦، شرح الزرقاني: ٢/٢٥٥، شرح مختصر أبي داود لابن قيم: ٦/٣٠٥).

(٢) عبارته ﷺ في الرسالة (ص: ١٠٩): «وَلَيْسَ يُسَخَّرُ فَرْضُ أَبَدًا إِلَّا أُثْبِتَ مَكَانَهُ فَرْضٌ كَمَا تُسَخَّرُ قَبْلَةُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، فَأُثْبِتَ مَكَانَهَا الْكَعْبَةُ» .

مسألة: [وُقُوعُ النَّسْخِ]

النَّسْخُ وَقَعَ عِنْدَ كُلِّ الْمُسْلِمِينَ ، وَسَمَّاهُ أَبُو مُسْلِمٍ تَخْصِيصاً ، فَقِيلَ : «خَالَفَ» .

وقيل : «وقع كنسخ وجوب تقديم الصدقة على مُنَاجَاةِ النَّبِيِّ ﷺ ﴿إِذَا نَجَّيْتُمُ الرَّسُولَ﴾»^(١) ،
إِذْ لَا بَدَلَ لُوجُوبِهِ ، فَرَجَعَ الْأَمْرُ إِلَى مَا كَانَ قَبْلَهُ وَمِمَّا دَلَّ عَلَيْهِ الدَّلِيلُ الْعَامُّ مِنْ تَحْرِيمِ لِلْفِعْلِ إِنْ
كَانَ مَضَرَّةً ، أَوْ إِبَاحَةً لَهُ إِنْ كَانَ مُنْفَعَةً»^(٢) .

قلنا : لَا نُسَلِّمُ أَنَّهُ لَا بَدَلَ لِلْجُوب ، بَلْ بَدَلُهُ الْجَوَازُ الصَّادِقُ هُنَا بِالْإِبَاحَةِ وَالِاسْتِحْبَابِ .

(مسألة: [وُقُوعُ النَّسْخِ])

النَّسْخُ وَقَعَ عِنْدَ كُلِّ الْمُسْلِمِينَ ، وَخَالَفَ الْيَهُودُ غَيْرَ الْعِيسَوِيَّةِ : بَعْضُهُمْ^(٣) فِي الْجَوَازِ ،
وَبَعْضُهُمْ^(٤) فِي الْوُقُوعِ . وَاعْتَرَفَ بِهِمَا الْعِيسَوِيُّ ، وَهُمْ أَصْحَابُ أَبِي عِيسَى الْأَصْفَهَانِيِّ ،
الْمُعْتَرِفُونَ بِعِثَةِ نَبِيِّنَا عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ ، لَكِنْ إِلَى بَنِي إِسْمَاعِيلَ خَاصَّةً ، وَهُمْ الْعَرَبُ^(٥) .

(وَسَمَّاهُ أَبُو مُسْلِمٍ الْأَصْفَهَانِيُّ^(٦) مِنَ الْمَعْتَزَلَةِ (تَخْصِيصاً) ، لِأَنَّهُ قَصَرَ لِلْحُكْمِ عَلَى بَعْضِ
الْأَزْمَانِ ، فَهُوَ تَخْصِيصٌ فِي الْأَزْمَانِ كَالْتَخْصِيصِ فِي الْأَشْخَاصِ .

(فَقِيلَ : «خَالَفَ») فِي وَجُوبِهِ حَيْثُ لَمْ يَذْكُرْهُ بِاسْمِهِ الْمَشْهُورِ»^(٧) .

(١) وَالْآيَةُ كَامِلَةٌ : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَجَّيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ جُودِكُمْ صَدَقَةٌ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْيَرُ فَإِنْ لَمْ
تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ . (المجادلة، الآية : ١٢) .

(٢) قَالَهُ الْحَنْفِيُّ وَالْمَالِكِيُّ وَالْحَنَابِلَةُ ، وَاخْتَارَهُ الرَّازِيُّ وَالْأَمَدِيُّ .

(الفواتح : ١٢٣/٢ ، شرح التنقيح ، ص : ٣٠٨ ، مختصر ابن الحاجب ، ص : ٢٧٥ ، الإحكام : ٣/١٢٤ ، المحصول : ٣٢٠ ، شرح الكوكب : ٥٤٧/٣) .

(٣) هُمُ الشَّعْمُونِيُّ لِعَنَهُمُ اللَّهُ ، نَسَبَهُ إِلَى شَعْمُونَ بْنِ يَعْقُوبَ . (الإحكام : ١٠٦/٣) .

(٤) وَهُمْ الْعَنَانِيُّونَ لِعَنَهُمُ اللَّهُ ، نَسَبَهُ إِلَى عَنَانَ بْنِ دَاوُدَ ، يَصْدُقُونَ عِيسَى ﷺ ، يَتَعَبَّدُونَ بِالتَّوْرَةِ ، وَلَا يَعْتَرِفُونَ
بِمُوسَى ﷺ . (الْمِلَلُ وَالنَّحَلُ : ٢١٥/١ ، الإحكام : ١٠٦/٣) .

(٥) الْمِلَلُ وَالنَّحَلُ لِلشَّهْرِسْتَانِيِّ : ٢١٥/١ .

(٦) وَأَبُو مُسْلِمٍ : هُوَ مُحَمَّدُ بْنُ بَحْرٍ أَبُو مُسْلِمٍ الْأَصْفَهَانِيُّ الْمَعْتَزَلِيُّ ، كَانَ كَاتِباً بَلِيغاً مُتَكَلِّماً جَدَلِيّاً ، وَأَشْهُرُ
كُتُبِهِ : جَامِعُ التَّأْوِيلِ ، وَالنَّاسِخُ وَالْمَنْسُوخُ ، مَاتَ سَنَةَ ٣٢٢ هـ . (طبقات المعتزلة ، ص : ٢٩٩) .

(٧) قَالَ الْأَمَدِيُّ فِي الْإِحْكَامِ (١٠٦/٣) : «وَقَدْ اتَّفَقَ أَهْلُ الشَّرَائِعِ عَلَى جَوَازِ النَّسْخِ عَقْلاً وَوُقُوعِهِ شَرْعاً ،

وَلَمْ يُخَالَفْ فِي ذَلِكَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ سِوَى أَبِي مُسْلِمٍ الْأَصْفَهَانِيِّ ، فَإِنَّهُ مَنَعَ مِنْ ذَلِكَ شَرْعاً ، وَجَوَّزَهُ
عَقْلاً» . وَمِثْلُهُ فِي شَرْحِ الْعُضْدِ (ص : ٢٧٢) ، وَشَرْحِ الْكُوكَبِ (٣/٥٣٥) .

فَالْحُلْفُ لَفْظِيٌّ .

[نَسْخُ حُكْمِ الْأَصْلِ]

وَالْمُخْتَارُ أَنَّ نَسْخَ حُكْمِ الْأَصْلِ لَا يَبْقَى مَعَهُ حُكْمُ الْفَرْعِ ؛

(فَالْحُلْفُ) الذي حكاها الأمدى^(١) وغيره^(٢) عنه من نفيه وقوعه (لفظي) لما تقدّم من تسميته تخصيصاً الذي فهمه المصنّف عنه المتضمن لاعترافيه به، إذ لا يليق به إنكاره، كيف وشريعة نبينا ﷺ مخالفة في كثير لشريعة من قبله، فهي عنده مُغْيَاةٌ إلى مجيء شريعته ﷺ ؛ وكذا منسوخ فيها مغياً عنده في علم الله تعالى إلى ورود ناسخه كالمغْيَاة في اللفظ، فنشأ من هنا تسميته النسخ تخصيصاً، وصحّ أنّه لم يُخالَف في وقوعه أحدٌ من المسلمين^(٣).

[نَسْخُ حُكْمِ الْأَصْلِ]

(والمختار: أن نسخ حكم الأصل لا يبقى معه حكم الفرع) لانتفاء العلة التي ثبتت بها بانتفاء حكم الأصل^(٤).

وقالت الحنفية: «يَبْقَى، لأنّ القياس مُظْهِرٌ لَهُ، لَا مُبْتَدَأٌ»^(٥).

وسلّم^(٦) في قوله: «لَا يَبْقَى» من التسمّح في قول بعضهم «نسخ لحكم الفرع».

(١) الإحكام الأمدي: ١٠٦/٣.

(٢) كابن الحاجب في المختصر (ص: ٢٧٢).

(٣) هذا ما قاله المصنّف في رفع الحاجب (٤٦/٤)، لخصه الشارح هنا.

(٤) قاله الجماهير من الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة. (الفواتح: ١٥٣/٢، مختصر ابن

الحاجب، ص: ٢٨٣، شرح الكوكب: ٥٧٣/٣).

(٥) عزّا المصنّف هذا القول إلى الحنفية في رفع الحاجب (١٠٨/٤)، وتبعه الزركشي في التشنيف (١/

٤٤١)، والشارح هنا وشيخ الإسلام في غاية الوصول (ص: ٩٠)، وهو خطأ، والصواب: «بعض

الحنفية» كما قال الأمدى في الإحكام (١٥١/٣)، إذ جمهور الحنفية على عدم بقاء حكم الفرع مع

نسخ الأصل، وهو المعتمد عندهم. قال عبد العلي الأنصاري الحنفي في الفواتح (١٥٣/٢): «إذا

نسخ حكم الأصل للقياس لا يبقى حكم الفرع الثابت بالقياس على هذا الأصل...»

وقيل: يبقى حكم الفرع عند انتساح حكم الأصل، ونسب إلى الحنفية، ولم تثبت هذه النسبة.

(٦) أي المصنّف، وهو تابع لابن الحاجب في المختصر (ص: ٢٨٧) التابع للأمدى في الإحكام (٣/

١٥١)، كما تبعه القاضي العضد من الشافعية في شرح المختصر (ص: ٢٨٧)، والرهوني من

المالكية في تحفة المسؤول (٤٢٥/٣).

[نَسْخُ كُلِّ الْأَحْكَامِ]

وَأَنَّ كُلَّ حُكْمٍ شَرْعِيٍّ يَقْبَلُ النَّسْخَ . وَمَنْعَ الْغَزَالِيِّ نَسْخَ جَمِيعِ التَّكْلِيفِ ، وَالْمُعْتَزِلَةُ
نَسْخَ وَجُوبِ الْمَعْرِفَةِ . وَالْإِجْمَاعُ عَلَى عَدَمِ الْوُقُوعِ .

[نَسْخُ كُلِّ الْأَحْكَامِ]

(و) الْمُخْتَارُ (أَنَّ كُلَّ حُكْمٍ شَرْعِيٍّ يَقْبَلُ النَّسْخَ) ، فَيَجُوزُ نَسْخُ كُلِّ الْأَحْكَامِ ، وَبَعْضُهَا أَيْ
بَعْضُهَا كَانَ^(١) .

(وَمَنْعَ الْغَزَالِيِّ) كَالْمُعْتَزِلَةِ (نَسْخَ جَمِيعِ التَّكْلِيفِ) لِتَوْقُفِ الْعِلْمِ بِذَلِكَ الْمَقْصُودِ مِنْهُ بِتَقْدِيرِ
وُقُوعِهِ عَلَى مَعْرِفَةِ النَّسْخِ وَالنَّاسِخِ ، وَهِيَ مِنَ التَّكْلِيفِ ، وَلَا يَتَأْتَى نَسْخُهَا^(٢) .

قُلْنَا: مَسَلَّمَ ذَلِكَ ، لَكِنْ بِحُصُولِهَا يَنْتَهِي التَّكْلِيفُ بِهَا ، فَيَصْدُقُ أَنَّهُ لَمْ يَبْقَ تَكْلِيفٌ ، وَهُوَ
الْقَصْدُ بِنَسْخِ جَمِيعِ التَّكْلِيفِ ، فَلَا نِزَاعَ فِي الْمَعْنَى .

(و) مَنَعَتْ (الْمُعْتَزِلَةُ نَسْخَ وَجُوبِ الْمَعْرِفَةِ) أَيِ مَعْرِفَةِ اللَّهِ تَعَالَى ، لِأَنَّهَا عِنْدَهُمْ حَسَنَةٌ
لذَاتِهَا لَا تَتَغَيَّرُ بِتَغْيِيرِ الزَّمَانِ ، فَلَا يَقْبَلُ حُكْمُهَا النَّسْخَ^(٣) .

قُلْنَا: الْحُسْنُ الذَّاتِيُّ بَاطِلٌ .

(وَالْإِجْمَاعُ عَلَى عَدَمِ الْوُقُوعِ) لِمَا ذَكَرَ مِنْ نَسْخِ جَمِيعِ التَّكْلِيفِ وَوَجُوبِ الْمَعْرِفَةِ^(٤) .

(١) قَالَهُ الْمَالِكِيَّةُ وَالشَّافِعِيَّةُ .

(مَخْتَصَرُ ابْنِ الْحَاجِبِ، ص: ٢٨٧، غَايَةُ الْوَصُولِ، ص: ٩٠).

(٢) الْمُسْتَصْفَى لِلْغَزَالِيِّ: ١/١٢٢ .

(٣) وَبِهِ قَالَ أَيْضاً الْحَنْفِيَّةُ وَالْحَنَابِلَةُ .

(الْفَوَاتِحُ: ٢/١١٩، الْإِحْكَامُ: ٣/١٦٢، شَرْحُ الْعُضْدِ، ص: ٢٨٧، شَرْحُ الْكَوْكَبِ: ٣/٥٨٦) .

(٤) وَبِهِ قَالَ ابْنُ النُّجَارِ فِي شَرْحِ الْكَوْكَبِ (٣/٥٨٧) .

[وقت ثبوت النَّاسخ]

والمُختارُ: أنَّ النَّاسخَ قبلَ تَبليغِهِ ﷺ الأُمَّةَ لَا يَثْبُتُ في حَقِّهِمْ؛ وقيل: «يَثْبُتُ بِمَعْنَى الاستقرارِ في الذِّمَّةِ، لا الامْتِثَالِ».

[الزِّيَادَةُ عَلَى النَّصِّ]

أَمَّا الزِّيَادَةُ عَلَى النَّصِّ

[وقت ثبوت النَّاسخ]

(والمختارُ أنَّ النَّاسخَ قبلَ تَبليغِهِ ﷺ الأُمَّةَ لَا يَثْبُتُ في حَقِّهِمْ) ^(١) لعدمِ عليهم به ^(٢).

(وقيل: «يَثْبُتُ بِمَعْنَى: الاستقرار في الذِّمَّةِ، لا بِمَعْنَى: (الامتثال) كالتَّائِمِ وَقَتَ الصَّلَاةِ، وبعدَ التَّبليغِ يَثْبُتُ في حَقِّ مَنْ بَلَغَهُ وَمَنْ لَمْ يَبْلُغْهُ وَمَنْ تَمَكَّنَ مِنْ عِلْمِهِ، فَإِنْ لَمْ يَتَمَكَّنْ فَعَلَى الْخِلَافِ» ^(٣)).

[الزِّيَادَةُ عَلَى النَّصِّ]

(أَمَّا الزِّيَادَةُ عَلَى النَّصِّ) كزيادة ركعة، أو ركوع، أو صفة في رقية الكفارة كالإيمان، أو جلدات

(١) ومن ذلك حديث البخاري (في الإيمان، باب الصلاة من الإيمان، ٤٠) وغيره عن البراء رضي الله عنه: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ أَوَّلَ مَا قَدِمَ الْمَدِينَةَ نَزَلَ عَلَى أَجْدَادِهِ - أَوْ قَالَ: أَخْوَالِهِ - مِنَ الْأَنْصَارِ، وَأَنَّهُ صَلَّى قَبْلَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ سِتَّةَ عَشَرَ شَهْرًا - أَوْ سَبْعَةَ عَشَرَ شَهْرًا - وَكَانَ يُعْجِبُهُ أَنْ تَكُونَ قَبْلَتُهُ قَبْلَ الْبَيْتِ، وَأَنَّهُ صَلَّى أَوَّلَ صَلَاةٍ صَلَاةً صَلَاةَ الْعَصْرِ، وَصَلَّى مَعَهُ قَوْمٌ، فَخَرَجَ رَجُلٌ مِمَّنْ صَلَّى مَعَهُ فَمَرَّ عَلَى أَهْلِ مَسْجِدٍ وَهُمْ رَاكِعُونَ، فَقَالَ: أَشْهَدُ بِاللَّهِ لَقَدْ صَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَبْلَ مَكَّةَ فَدَارُوا كَمَا هُمْ قَبْلَ الْبَيْتِ».

(٢) اتفق العلماء على أَنَّ النَّاسخَ إِذَا كَانَ مَعَ جَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمْ يَنْزِلْ بِهِ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ بَعْدَ لَمْ يَثْبُتْ لَهُ حُكْمٌ فِي حَقِّ الْمَكْلُفِينَ، بَلْ هُمْ فِي التَّكْلِيفِ بِالْحُكْمِ الْأَوَّلِ عَلَى مَا كَانُوا عَلَيْهِ قَبْلَ إِقَاءِ النَّاسِخِ إِلَى جَبْرِيلَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَإِنَّمَا الْخِلَافُ فِيمَا إِذَا وَدَّ النَّاسِخُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَلَمْ يُبْلَغِ الْأُمَّةَ بَعْدَ هَلْ يَتَحَقَّقُ بِذَلِكَ النَّسْخُ فِي حَقِّهِمْ أَوْ لَا؟ عَلَى مَذْهَبَيْنِ:

الأول: لَا يَثْبُتُ، قَالَه الْجَمَاهِيرُ مِنَ الْحَنَفِيَّةِ وَالْمَالِكِيَّةِ وَالشَّافِعِيَّةِ وَالْحَنَابِلَةِ.

الثاني: يَثْبُتُ، قَالَه بَعْضُ الشَّافِعِيَّةِ.

(الفواتح: ١٥٨/٢، مختصر ابن الحاجب، ص: ٢٨٤، الإحكام: ١٥٢/٣، التشنيف: ٤٤٢/١، غاية

الوصول، ص: ٩٠، شرح الكوكب: ٥٨١/٣).

(٣) أي فعلى الخلاف في تكليف الإنسان قبل بعثة الرسل، أثبتته المعتزلة، ونفاه أهل السنة، والله أعلم.

فَلَيْسَتْ بِنَسْخٍ ، خِلَافاً لِلْحَنْفِيَّةِ . وَمَثَارُهُ : هَلْ رَفَعَتْ ؟

فِي جِلْدٍ حَدٍّ^(١) (فَلَيْسَتْ بِنَسْخٍ) لِلْمَزِيدِ عَلَيْهِ^(٢) . (خِلَافاً لِلْحَنْفِيَّةِ) فِي قَوْلِهِمْ : «إِنَّهَا نَسْخٌ»^(٣) .
(وَمَثَارُهُ) أَيِ الْمَحَلِّ الَّذِي ثَارَ مِنْهُ الْخِلَافُ مَا يُقَالُ : (هَلْ رَفَعْتَ) أَيِ الزِّيَادَةُ حَكْماً
شَرْعِيّاً؟ فَعِنْدُنَا : لَا ، فَلَيْسَتْ بِنَسْخٍ ؛
وَعِنْدَهُمْ : نَعَمْ ، نَظَرْنَا إِلَى أَنَّ الْأَمْرَ بِمَا دُونَهَا اقْتَضَى تَرْكَهَا فَهِيَ رَافِعَةٌ لِذَلِكَ الْمُقْتَضِي^(٤) .
قُلْنَا : لَا نُسَلِّمُ اقْتِضَاءَهُ تَرْكَهَا ، وَالْمُقْتَضِي لِلتَّرْكِ غَيْرُهُ .

وَبَنَوْا عَلَى ذَلِكَ : أَنَّهُ لَا يُعْمَلُ بِأَخْبَارِ الْآحَادِ فِي زِيَادَتِهَا عَلَى الْقُرْآنِ : كَزِيَادَةِ التَّغْرِيبِ^(٥)
عَلَى الْجَلِيدِ الثَّابِتَةِ بِحَدِيثِ الصَّحِيحَيْنِ : « الْبِكْرُ بِالْبِكْرِ جَلْدُ مِائَةٍ وَتَغْرِيبُ عَامٍ »^(٦) ؛
وَزِيَادَةِ اعْتِبَارِ « الشَّاهِدِ وَالْيَمِينِ »^(٧) عَلَى « الرَّجُلَيْنِ ، وَالرَّجُلِ وَالْمَرَأَتَيْنِ » الثَّابِتَةِ بِحَدِيثِ

(١) اتَّفَقَ الْعُلَمَاءُ عَلَى أَنَّ الزِّيَادَةَ إِذَا كَانَتْ عِبَادَةً مُسْتَقِلَّةً بِنَفْسِهَا عَنِ الْعِبَادَةِ الْمَزِيدَةِ عَلَيْهَا كَزِيَادَةِ صَلَاةٍ
سَادِسَةٍ مِثْلًا لَيْسَتْ بِنَسْخٍ ، إِلَّا مَا نُقِلَ عَنْ بَعْضِ الْعِرَاقِيِّينَ أَنَّهَا نَسْخٌ ، وَلَكِنْهُمْ اخْتَلَفُوا فِي زِيَادَةِ عِبَادَةٍ
غَيْرِ مُسْتَقِلَّةٍ بِنَفْسِهَا كَزِيَادَةِ التَّغْرِيبِ فِي حَدِّ الزِّنَا ، وَكَزِيَادَةِ الرُّكُوعِ فِي صَلَاةِ الْكُوفِيِّينَ ، عَلَى مَذَاهِبِ .
(الْفَوَاتِحُ : ١٦٢/٢ ، الْإِحْكَامُ : ١٥٤ ، شَرْحُ الْعَصْدِ : ص : ٢٨٤) .

(٢) قَالَهُ الْمَالِكِيَّةُ وَالشَّافِعِيَّةُ وَالْحَنَابِلَةُ . (شَرْحُ التَّنْقِيحِ ، ص : ٣١٧ ، مُخْتَصَرُ ابْنِ الْحَاجِبِ ، ص : ٢٨٤ ،
الْإِحْكَامُ : ١٥٤/٣ ، غَايَةُ الْوُصُولِ ، ص : ٩٠ ، شَرْحُ الْكُوكَبِ : ٥٨١/٣) .

(٣) أَصُولُ السَّرْحِصِيِّ : ٨٢/٢ ، كَشَفُ الْأَسْرَارِ لِلْبُخَارِيِّ : ١٩٣/٣ ، الْفَوَاتِحُ : ١٦٢/٢ .

(٤) أَصُولُ السَّرْحِصِيِّ : ٨٢/٢ ، الْفَوَاتِحُ : ١٦٤/٢ .

(٥) أَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ عَلَى وَجُوبِ جِلْدِ مِئَةٍ عَلَى الزَّانِي الْبَكْرُ الْخُرَّ رَجُلًا أَوْ امْرَأَةً ، وَعَلَى وَجُوبِ الرِّجْمِ عَلَيْهَا
إِنْ كَانَ مُحْصَنًا ، وَلَكِنْهُمْ اخْتَلَفُوا فِي وَجُوبِ التَّغْرِيبِ عَلَى الْبَكْرِ مَعَ الْجَلْدِ عَلَى ثَلَاثَةِ مَذَاهِبٍ :
الْأَوَّلُ : يَجِبُ مُطْلَقًا ، وَهُوَ جُزْءٌ مِنَ الْحَدِّ ، قَالَهُ الشَّافِعِيَّةُ وَالْحَنَابِلَةُ ؛ الثَّانِي : لَا يَجِبُ مُطْلَقًا ، بَلْ هُوَ
تَعْزِيزٌ مُوَكَّلٌ إِلَى اجْتِهَادِ الْإِمَامِ ، قَالَهُ الْحَنْفِيَّةُ ؛ الثَّلَاثُ : يَجِبُ عَلَى الرَّجُلِ دُونَ الْمَرْأَةِ ، قَالَهُ الْمَالِكِيَّةُ .
(فَتْحُ الْقَدِيرِ : ١٣٤/٧ ، كِفَايَةُ الطَّالِبِ : ٨٧٠/٢ ، شَرْحُ مُسْلِمٍ : ١٨٩/١١ ، الْمَغْنِي : ١٦٧/٨) .

(٦) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي الْحُدُودِ ، بَابُ الْإِعْتِرَافِ بِالزِّنَا (٣٦٢٦) ، وَمُسْلِمٌ فِي الْحُدُودِ ، بَابُ مَنْ اعْتَرَفَ عَلَى
نَفْسِهِ بِالزِّنَا (٣٢١٠) ، وَأَبُو دَاوُدَ فِي الْحُدُودِ ، بَابُ فِي الرِّجْمِ (٣٨٣٤) ، وَالتِّرْمِذِيُّ فِي الْحُدُودِ ، بَابُ مَا
جَاءَ فِي الرِّجْمِ عَلَى الثَّيْبِ (١٤٣٤) ، وَالنَّسَائِيُّ فِي الْحُدُودِ ، بَابُ الرِّجْمِ (٤٤١٦) ، وَابْنُ مَاجَةَ فِي
الْحُدُودِ ، بَابُ حَدِّ الزِّنَا (٢٥٥٠) .

(٧) اخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي جَوَازِ الْقَضَاءِ بِشَاهِدٍ وَيَمِينٍ فِي الْأَمْوَالِ عَلَى مَذَهَبَيْنِ : الْأَوَّلُ : الْجَوَازُ ، قَالَهُ
الْمَالِكِيَّةُ وَالشَّافِعِيَّةُ وَالْحَنَابِلَةُ ؛ وَالثَّانِي : عَدَمُ الْجَوَازِ ، قَالَهُ الْحَنْفِيَّةُ .

(كَشَفُ الْأَسْرَارِ : ٧٣٢/٣ ، شَرْحُ مُسْلِمٍ : ٢٣١/١٢ ، الْمَغْنِي : ١٥٢/٩) .

وإلى المأخذِ عودُ الأقوالِ الْمُفْصَلَةِ ، والفروعِ الْمُبَيَّنَةِ .

[النَّقْصُ مِنَ النَّصِّ]

وكذا الْخِلَافُ فِي جُزْءِ الْعِبَادَةِ ، أَوْ شَرْطِهَا .

مسلم وأبي داود وغيره: «أنه ﷺ قَضَى بِالشَّاهِدِ وَالْيَمِينِ»^(١) بناءً على أَنَّ الْمُتَوَاتَرَ لَا يُنْسَخُ بِالْأَحَادِ .

(وإلى المأخذِ) الْمَذْكُورِ (عودُ الأقوالِ الْمُفْصَلَةِ والفروعِ الْمُبَيَّنَةِ) أي التي بيَّنها العلماءُ حاكمين أَنَّ الزيادةَ فيها نسخٌ أَوْ لَا؟ منها ما تقدَّم من زيادةِ التَّغْرِيبِ، والشَّاهِدِ وَالْيَمِينِ.

ومن الأقوالِ الْمُفْصَلَةِ: أَنَّ الزيادةَ إِنْ غَيَّرَتِ الْمَزِيدَ عَلَيْهِ بِحَيْثُ لَوْ اقْتَصَرَ عَلَيْهِ وَجِبَ اسْتِنَافُهُ كزيادةِ رَكْعَةٍ فِي الْمَغْرِبِ مثلاً فهي نسخٌ ، وإلَّا كزيادةِ التَّغْرِيبِ فِي حَدِّ الزَّنَا فَلَا^(٢) .

ومنها: إِنْ الزيادةَ إِنْ اتَّصَلَتْ بِالْمَزِيدِ عَلَيْهِ اتَّصَالَ اتِّحَادِ كزيادةِ رَكْعَتَيْنِ فِي الصَّبْحِ فهي نسخٌ، وإلَّا كزيادةِ عَشْرِينَ جَلْدَةً فِي حَدِّ الْقَذْفِ فَلَا^(٣) .

[النَّقْصُ مِنَ النَّصِّ]

(وكذا الْخِلَافُ فِي) نَقْصِ (جُزْءِ الْعِبَادَةِ، أَوْ شَرْطِهَا) كَنَقْصِ رَكْعَةٍ، أَوْ نَقْصِ الْوُضُوءِ هَلْ هُوَ نَسْخٌ لَهَا ؟ فَقِيلَ: نَعَمْ إِلَى ذَلِكَ الناقصِ لِجَوَازِهِ ، أَوْ وُجُوبِهِ بَعْدَ تَحْرِيمِهِ^(٤) .

وَقَالَ الْجُمْهُورُ مِنَ الشَّافِعِيَّةِ: «لَا ، وَالنَّسْخُ لِلْجُزْءِ، أَوْ الشَّرْطِ فَقَطْ، لِأَنَّهُ الَّذِي يُتْرَكُ»^(٥) .
وَقِيلَ: «نَقْصُ الْجُزْءِ نَسْخٌ، بِخِلَافِ نَقْصِ الشَّرْطِ»^(٦) .

(١) رواه مسلم في الأفضية، باب القضاء باليمين والشاهد (٤٤٤٧)، وأبو داود في الأفضية، باب

القضاء باليمين والشاهد (٣٦٠٨)، والترمذي في الأفضية، باب ما جاء في اليمين مع الشاهد

(١٢٦٤)، وابن ماجه في الأحكام، باب القضاء بالشاهد واليمين (٢٣٧٠) .

(٢) قاله القاضي عبد الجبار من المعتزلة. (الإحكام: ١٥٥/٣، الفواتح: ١٦٢/٢) .

(٣) قاله الغزالي في المستصفى: ٣٤٨/١ .

(٤) قاله الحنفية. (الفواتح: ١٦٧/٢) .

(٥) قاله المالكية والشافعية والحنابلة. (شرح التنقيح، ص: ٣٢٠، الإحكام: ١٦٠/٣، التشنيف: ١/

٤٤٣، شرح الكوكب: ٥٨٤/٣) .

(٦) قاله القاضي عبد الجبار من المعتزلة. (الإحكام: ١٦٠/٣) .

خَاتِمَةُ لِلنَّسْخِ [فِي مَعْرِفَةِ النَّاسِخِ]

يَتَعَيَّنُ النَّاسِخُ بِتَأْخُرِهِ . وطريقُ الْعِلْمِ بِتَأْخُرِهِ : الإِجْمَاعُ ؛ أو قَوْلُهُ ﷺ : « هذا ناسِخٌ » ، أو « بعدَ ذاك » ، أو « كنتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ كَذَا فافْعَلُوهُ » ؛ أو النَّصُّ عَلَى خِلَافِ الْأَوَّلِ ؛ أو قَوْلُ الرَّاوِي : « هذا سابقٌ » .

وَلَا فَرْقَ بَيْنَ مُتَّصِلِهِ وَمُنْفَصِلِهِ كَالِاسْتِقْبَالِ ، وَالْوَضْعِ «^(١)» .

وَقِيلَ : « نَقْصُ الْمُتَفَصِّلِ لَيْسَ بِنَسْخٍ اتِّفَاقًا »^(٢) .

(خَاتِمَةُ لِلنَّسْخِ [فِي مَعْرِفَةِ النَّاسِخِ]

(يَتَعَيَّنُ النَّاسِخُ) لِلشَّيْءِ (بِتَأْخُرِهِ) عَنْهُ . (وَطَرِيقُ الْعِلْمِ بِتَأْخُرِهِ :

١- الإِجْمَاعُ) بَأَن يُجْمِعُوا عَلَى أَنَّهُ مُتَأَخِّرٌ لِمَا قَامَ عِنْدَهُمْ عَلَى تَأْخُرِهِ^(٣) .

٢- (أو قَوْلُهُ ﷺ : « هذا ناسِخٌ » لذلك) ، (أو) « هذا (بعدَ ذاك) » ، أو « كنتُ نَهَيْتُ عَنْ كَذَا فافْعَلُوهُ »^(٤) كحديث مسلم : « كنتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ فزُورُوهَا »^(٥) .

٣- (أو النَّصُّ عَلَى خِلَافِ الْأَوَّلِ) أَي أَن يُذَكَّرَ الشَّيْءُ عَلَى خِلَافِ مَا ذَكَرَهُ فِيهِ أَوَّلًا .

٤- (أو قَوْلُ الرَّاوِي : « هذا سابقٌ » على ذلك)^(٦) ، فيكون ذلك مُتَأَخِّرًا .

(١) قاله السمعاني في القواطع (٤٤٩/١) ، وتبعه الزركشي في التشنيف (٤٤٣/١) ، والشارح هنا .

(٢) قاله المجدد ابن تيمية في المسوِّدة (ص : ٢١٣) ، والصفى الهندي من الشافعية كما قال الزركشي في التشنيف (٤٤٣/١) ، واختاره ابن النجار في شرح الكوكب (٥٨٥/٣) .

(٣) قاله الجماهير من الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة .

(الفواتح : ١٦٩/٢) ، مختصر ابن الحاجب ، ص : ٢٧٩ ، الإحكام : ١٦٣/٣ ، التشنيف : ٤٤٥/١ ، شرح الكوكب : ٥٦٥/٣) .

(٤) قاله الجماهير من الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة .

(الفواتح : ١٦٩/٢) ، مختصر ابن الحاجب ، ص : ٢٧٩ ، شرح الكوكب : ٥٦٥/٣) .

(٥) رواه مسلم في الجنائز ، باب استئذان النبي ﷺ في زيارة قبر أمه (١٦٢٣) ، وأبو داود في الجنائز ، باب في زيارة القبور (٢٨١٦) ، والترمذي في الجنائز ، باب ما جاء في الرخصة في زيارة القبور (٩٧٤) ، وابن ماجه في الجنائز ، باب ما جاء في زيارة القبور (١٥٦٠) .

(٦) قاله الجماهير من الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة .

(الفواتح : ١٦٩/٢ ، الإحكام : ١٦٣/٣ ، شرح الكوكب : ٥٦٦/٣) .

ولَا أَثَرَ لِمُوَافَقَةِ أَحَدِ النَّصِّينِ لِلأَصْلِ ، وَثُبُوتِ إِحْدَى الْآيَتَيْنِ فِي الْمُصْحَفِ بَعْدَ الأُخْرَى ، وَتَأْخُرِ إِسْلَامُ الرَّاوي ، وَقَوْلُهُ : « هَذَا نَاسِخٌ » ،

(ولا أَثَرَ لِمُوَافَقَةِ أَحَدِ النَّصِّينِ لِلأَصْلِ) أي البراءة الأصلية في أَنْ يَكُونَ مُتَأَخِّراً عَنِ الْمُخَالَفِ لَهَا^(١) .

خِلَافاً لِمَنْ زَعَمَ ذَلِكَ نَظْراً إِلَى أَنَّ الأَصْلَ مُخَالَفَةُ الشَّرْعِ لَهَا فَيَكُونُ الْمُخَالَفُ هُوَ السَّابِقُ عَلَى المُوَافِقِ^(٢) .

قلنا : لَا يَلْزَمُ ذَلِكَ لَجَوَازِ العَكْسِ .

(وَثُبُوتِ إِحْدَى الْآيَتَيْنِ فِي الْمُصْحَفِ بَعْدَ الأُخْرَى) أي لَا أَثَرَ لَهُ فِي تَأْخُرِ نُزُولِهَا^(٣) .

خِلَافاً لِمَنْ زَعَمَهُ نَظْراً إِلَى أَنَّ الأَصْلَ مُوَافَقَةُ الوَضْعِ لِلنُّزُولِ^(٤) .

قلنا : لَكِنَّهُ غَيْرُ لَازِمٍ لَجَوَازِ المُخَالَفَةِ كَمَا تَقَدَّمَ فِي آيَةِ عِدَّةِ الوَفَاةِ^(٥) .

(وَتَأْخُرِ إِسْلَامُ الرَّاوي) أي لَا أَثَرَ لَهُ فِي تَأْخُرِ مَرُوبِيهِ عَمَّا رَوَاهُ مُتَقَدِّمُ الإِسْلَامِ عَلَيْهِ^(٦) .

خِلَافاً لِمَنْ زَعَمَ ذَلِكَ نَظْراً إِلَى أَنَّهُ الظَّاهِرُ^(٧) .

قلنا : لَكِنَّهُ عَلَى تَقْدِيرِ تَسْلِيمِهِ غَيْرُ لَازِمٍ لَجَوَازِ العَكْسِ^١ .

٢٦١

(وَقَوْلُهُ) أي الرَّاوي : « (هَذَا نَاسِخٌ) » أي لَا أَثَرَ لِقَوْلِهِ فِي ثُبُوتِ النِّسْخِ بِهِ^(٨) .

(١) قاله المالكية والشافعية والحنابلة .

(مختصر ابن الحاجب، ص: ٢٧٩، الإحكام: ١٦٣/٣، شرح الكوكب: ٥٦٩/٣) .

(٢) قاله الحنفية. (الفواتح: ١٧١/٢) .

(٣) قاله الجماهير من الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة .

(مختصر ابن الحاجب، ص: ٢٧٩، الإحكام: ١٦٣/٢، شرح الكوكب: ٥٦٨/٣) .

(٤) قاله بعض العلماء. (التشنيف: ٤٤٥/١) .

(٥) انظر : «نسخ بعض القرآن»: ٤٥٠/١ .

(٦) قاله الجماهير من الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة .

(الفواتح: ١٧١/٢، مختصر ابن الحاجب، ص: ٢٧٩، شرح الكوكب: ٥٦٩/٣) .

(٧) قاله بعض العلماء. (الإحكام: ١٦٣/٣، التشنيف: ٤٤٥/١، شرح العضد، ص: ٢٧٩) .

(٨) قاله المالكية، واختاره المصنف، والشارح وشيخ الإسلام .

(مختصر ابن الحاجب، ص: ٢٧٩، غاية الوصول، ص: ٩١) .

لا «الناسخ» ، خلافاً لزاعميها .

خلافاً لِمَنْ زعمه نظراً إلى أنه لِعِدالته لا يقول ذلك إلا إذا ثبتَّ عنده^(١).

قلنا : ثبوته عنده يجوز أن يكونَ باجتهادٍ لا يُوافقُ عليه .

هـ- (لا «الناسخ») أي لا قول الراوي : « هذا الناسخ » لما علم أنه منسوخٌ ولم يعلم ناسخه ، فإنَّ له أثراً في تعيين الناسخ^(٢) .

(خلافاً لزاعميها) أي زاعمي الآثارِ لما عدا الأخير^(٣) ، وقد تقدَّم بيانُ ذلك .



(١) قاله الحنفية والشافعية والحنابلة.

(الفواتح: ١٦٩/٢، التشنيف: ١/٤٤٥، شرح الكوكب: ٣/٥٦٦).

(٢) قاله الحنفية والشافعية والحنابلة.

(الفواتح: ١٦٩/٢، التشنيف: ١/٤٤٥، شرح الكوكب: ٣/٥٦٦).

(٣) ويصلح للترجيح كُلُّ ما اختلف في كونه علامة للنسخ كما يأتي في المرجحات .

فهرس الموضوعات

قسم الدراسة

٧	المقدمة
٨	سبب اختيار البحث
١٢	النسب العلمي للكتاب
٢٤	وصف النسخ المعتمدة في التحقيق
٢٦	المنهج المتبع في التحقيق
٢٩	باب في ترجمة السبكي والمحلي
٣٠	الفصل الأول في ترجمة التاج السبكي
٣١	البحث الأول في اسم السبكي ، ونسبه ، ولقبه ، وكنيته
٣٣	البحث الثاني في مولد السبكي ، ونشأته ، ووفاته
٣٨	البحث الثالث في شيوخ السبكي وتلاميذه
٤٥	البحث الرابع في مؤلفات السبكي
٥٠	الفصل الثاني في ترجمة المحلي
٥١	البحث الأول في اسم المحلي ، ونسبه ، ولقبه ، وكنيته
٥٢	البحث الثاني في مولد المحلي ، ونشأته ، ووفاته
٥٥	البحث الثالث في شيوخ المحلي وتلاميذه
٦٢	البحث الرابع في مؤلفات المحلي

قسم التحقيق

٦٦	مقدمة الشارح
٦٦	تعريف الحمد
٦٦	سبب اختيار الحمدلة بالجملة الفعلية
٦٩	تعريف النبي ، والرسول
٧٠	التعريف بآل النبي ﷺ
٧٢	التعريف بالطائفة الناجية
٧٤	تعريف القاعدة ، والفرق
٧٥	مصادر « جمع الجوامع »
٧٥	ينحصر « جمع الجوامع » في تسعة أمور
٧٦	١ - المقدمات
٧٦	٢ - الكتاب الأول في القرآن ، ومباحث الأقوال
٧٦	٣ - الكتاب الثاني في السنة
٧٦	٤ - الكتاب الثالث في الإجماع
٧٦	٥ - الكتاب الرابع في القياس

- ٦ - الكتاب الخامس في الاستدلال ٧٦
 ٧ - الكتاب السادس في التعادل والتراجيح ٧٦
 ٨ - الكتاب السابع في الاجتهاد ، وما يتبعه ٧٦
 ٩ - خاتمة في مبادئ التصوف ٧٦

المُقَدِّمَات

- تعريف أصول الفقه ٧٨ ، ٨٠
 تعريف الأصولي ٨٠
 تعريف الفقه ٨٣
 تعريف الفقيه ٨١
 تَعْرِيفُ الْحُكْمِ الشَّرْعِيِّ ٨٥
 لَا حُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ ٨٧
 تَعْرِيفُ الْحُسْنِ وَالْقَبْحِ ٨٧
 شُكْرُ الْمُتَنِيمِ ٨٨
 انْتِفَاءُ الْحُكْمِ قَبْلَ وُرُودِ الشَّرْعِ ٨٩
 تَكْلِيفُ الْغَافِلِ ، وَالْمُلْجَأِ ، وَالْمَكْرَهِ ٩٢
 تَعْلُقُ الْأَمْرِ بِالْمَعْدُومِ ٩٤
 أقسام الحكم التكليفي : ٩٤
 ١- الإيجاب ٩٤
 ٢- النّذب ٩٤
 ٣- التحريم ٩٤
 ٤- الكراهة ٩٥
 ٥- خلاف الأولى ٩٥
 ٦- الإباحة ٩٧
 الحكمُ الوُضْعِي ٩٧
 الْفَرَضُ وَالْوَاجِبُ مُتَرَادِفَانِ ٩٩
 أَسْمَاءُ الْمُنْدُوبِ ١٠٠
 لا يجب المُنْدُوبُ بالشروع فيه ١٠١
 أقسام الحكم الوضعي : ١٠٢
 ١- السبب ١٠٢
 ٢- الشرط ١٠٣
 ٣- المانع ١٠٣
 ٤- الصحة ١٠٤
 ٥- الأجزاء ١٠٥
 الأجزاء خاص بالمطلوب ١٠٦

١٠٧.....	٦- الفساد ، والبطلان
١٠٨.....	٧- الأداء (والمؤدى ، والوقت)
١٠٩.....	٨- القضاء، والمقضي
١١٢.....	٩- الإعادة
١١٣.....	١٠- الرخصة
١١٥.....	١١- العزيمة
١١٦.....	الدليل (والنظر، والفكر)
١١٨.....	العلم عقب النظر مكتسب
١١٩.....	تعريف الحد
١٢١.....	الكلام في الأزل خطاب متنوع
١٢٢.....	تعريف النظر
١٢٢.....	تعريف التصور و التصديق
١٢٣.....	أقسام التصديق :
١٢٣.....	١- العلم
١٢٣.....	٢- الاعتقاد
١٢٤.....	٣- الظن
١٢٤.....	٤- الوهم
١٢٤.....	٥- الشك
١٢٥.....	هل يحد العلم
١٢٦.....	العلم لا يتفاوت
١٢٧.....	تعريف الجهل
١٢٨.....	تعريف النسيو (والنسيان)
١٢٨.....	مسألة : في الفعل الحسن والقبيح
١٣٠.....	جائز الترك ليس بواجب
١٣١.....	المندوب مأمور غير مكلف به
١٣٢.....	التكليف
١٣٣.....	المباح مأمور غير مكلف به
١٣٤.....	الإباحة حكم شرعي
١٣٣.....	المباح ليس جنساً للواجب
١٣٤.....	إذا نسخ الوجوب بقي الجواز
١٣٥.....	مسألة : الواجب المخير
١٣٨.....	الحرام المخير
١٣٩.....	مسألة : فرض الكفاية
١٤٠.....	فرض العين خير من فرض الكفاية

- ١٤١..... هَلْ يَتَعَلَّقُ فَرَضُ الْكِفَايَةِ بِالْكُلِّ أَوْ بِالْبَعْضِ ؟
- ١٤٢..... تَعَيَّنَ فَرَضُ الْكِفَايَةِ بِالشَّرُوعِ
- ١٤٣..... سُنَّةُ الْكِفَايَةِ
- ١٤٤..... مسألة : الْوَاجِبُ الْمُوسَّعُ
- ١٤٦..... حُكْمُ الْعَزْمِ عَلَى الْفِعْلِ فِي الْوَاجِبِ الْمُوسَّعِ
- ١٤٧..... مسألة : مَا لَا يَتِمُّ الْوَاجِبُ إِلَّا بِهِ
- ١٤٩..... ما لا يتم ترك محرم إلا به واجب
- ١٥٠..... مسألة : مُطْلَقُ الْأَمْرِ لَا يَتَنَاوَلُ الْمَكْرُوهَ
- ١٥٢..... الواحد ذو الوجهين يكون مأموراً ومنهياً
- ١٥٠..... حُكْمُ الصَّلَاةِ فِي الْأَوْقَاتِ الْمَكْرُوهَةِ
- ١٥٢..... حُكْمُ الصَّلَاةِ فِي الْمَغْضُوبِ
- ١٥٣..... حُكْمُ الْخَارِجِ مِنَ الْمَغْضُوبِ
- ١٥٤..... حُكْمُ السَّاقِطِ عَلَى جَرِيحٍ فَيَقْتُلُهُ
- ١٥٦..... مسألة : التَّكْلِيفُ بِالْمُحَالِ
- ١٥٨..... مسألة : حُضُورُ الشَّرْطِ الشَّرْعِيِّ لَا يَشْتَرِطُ فِي التَّكْلِيفِ
- ١٥٨..... تَكْلِيفُ الْكُفَّارِ بِفُرُوعِ الشَّرِيعَةِ
- ١٦١..... مسألة : لَا تَكْلِيفَ إِلَّا بِفِعْلٍ
- ١٦٢..... وَفَتْ تَعَلَّقَ الْأَمْرُ بِالْفِعْلِ
- ١٦٣..... مسألة : صِحَّةُ التَّكْلِيفِ بِمَا عَلِمَ الْأَمْرُ انْتِفَاءً شَرْطِهِ
- ١٦٦..... خَاتِمَةٌ فِي تَعَلُّقِ الْحُكْمِ بِالْأَمْرَيْنِ

الْكِتَابُ الْأَوَّلُ فِي الْكِتَابِ ، وَمَبَاحِثُ الْأَقْوَالِ

- ١٦٩..... تَعْرِيفُ الْقُرْآنِ
- ١٧٠..... الْبِسْمَلَةُ آيَةٌ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ
- ١٧١..... الْقِرَاءَةُ الشَّاذَّةُ لَيْسَتْ مِنَ الْقُرْآنِ
- ١٧٦..... تَعْرِيفُ الْقِرَاءَةِ الشَّاذَّةِ
- ١٧٦..... لَا تَجُوزُ الْقِرَاءَةُ بِالشَّاذِ
- ١٧٨..... الْقِرَاءَةُ الشَّاذَّةُ تَجْرِي مَجْرَى خَيْرِ الْوَاحِدِ
- ١٧٢..... الْقِرَاءَاتُ السَّبْعُ مُتَوَاتِرَةٌ
- ١٧٦..... الْقِرَاءَاتُ الْعَشْرُ مُتَوَاتِرَةٌ
- ١٧٩..... لَا وَجُودَ لِمَا لَا مَعْنَى لَهُ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ
- ١٨٠..... لَا يَجُوزُ بَقَاءُ مُجْمَلٍ لَمْ يُبَيَّنْ
- ١٨١..... الْأَدْلَةُ النَّقْلِيَّةُ قَدْ تُفِيدُ الْيَقِينَ
- ١٨٢..... بَابُ الْمَنْطُوقِ وَالْمَفْهُومِ

١٨٣	تَعْرِيفُ الْمُنْطَوِي
١٨٣	أقسام المنطوي
١٨٣	١- النص
١٨٣	٢- الظاهر
١٨٤	تَعْرِيفُ الْمُفْرَدِ وَالْمُرَكَّبِ
١٨٤	٣- دَلَالَةُ الْمُطَابَقَةِ
١٨٤	٤- دَلَالَةُ التَّضَامَنِ
١٨٤	٥- دَلَالَةُ الْإِلْتِزَامِ
١٨٥	٦- دَلَالَةُ الْاِقْتِضَاءِ
١٨٦	٧- دَلَالَةُ الْإِشَارَةِ
١٨٧	تَعْرِيفُ الْمَفْهُومِ
١٨٧	مَفْهُومُ الْمُوَافَقَةِ
١٨٧	١- فحوى الخطاب
١٨٧	٢- لحن الخطاب
١٨٩	دَلَالَةُ مَفْهُومِ الْمُوَافَقَةِ قِيَاسِيَةً
١٩١	مَفْهُومُ الْمُخَالَفَةِ وَشَرْطُهُ
١٩٤	لَا يَمْنَعُ قِيَاسُ الْمُسْكُوتِ عَلَى الْمُنْطَوِي
١٩٦	أنواع مفهوم المخالفة
١٩٨	١ - مفهوم الصفة:
١٩٨	أ- مفهوم العلة
١٩٨	ب - مفهوم الظرف
١٩٩	ج - مفهوم الحال
١٩٩	د - مفهوم العدد
١٩٩	٢ - مفهوم الشرط
١٩٩	٣ - مفهوم الغاية
٢٠٠	٤ - مفهوم الحصر
٢٠٠	أعلى أنواع الحصر
٢٠١	مسألة : حجية المفاهيم
٢٠٦	مسألة : ترتيب المفاهيم
٢٠٨	مسألة : إفادة « إِنَّمَا » الْحَصْرَ
٢١٢	مسائل اللُّغَةِ
٢١٣	مسألة : تعريف اللغة ، وطرق معرفتها
٢١٤	أقسام اللفظ باعتبار مدلوله
٢١٥	وضع اللفظ
٢١٦	لَا يُشْتَرَطُ فِي الْوَضْعِ مُنَاسَبَةُ اللَّفْظِ لِلْمَعْنَى

- اللفظ موضوع للمعنى الخارجي ٢١٧
- هَلْ لِكُلِّ مَعْنَى لَفْظٌ ؟ ٢١٨
- تَعْرِيفُ الْمُحْكَمِ وَالْمُتَشَابِه ٢١٨
- اللفظ الشائع لا يوضع لمعنى خفي ٢١٩
- مسألة : اللغات توقيفية ٢١٩
- مسألة : ثبوت اللغة بالقياس ٢٢١
- مسألة : أقسام اللفظ باعتبار وحدة معناه وتعددّه ٢٢٣
- ١- الجزئي ٢٢٣
- ٢- الكلي ٢٢٣
- ٣- المشكك ٢٢٤
- ٤- المتباين ٢٢٤
- ٥- المترادف ٢٢٤
- ٦- المشترك ٢٢٥
- ٧- الحقيقة ٢٢٥
- ٨- المجاز ٢٢٥
- العَلَمُ : ٢٢٥
- ١- علم الشخص ٢٢٥
- ٢- علم الجنس ٢٢٦
- ٣- اسم الجنس ٢٢٦
- مسألة : الاشتقاق ٢٢٨
- الْمُسْتَقْدُ قَدْ يَطْرُدُ وَقَدْ يَحْتَصُّ ٢٣٠
- مَنْ لَمْ يَقَمْ بِهِ وَصِفَ لَمْ يَجُزْ أَنْ يُسْتَقَّ لَهُ مِنْهُ اسْمٌ ٢٣٠
- اسْمُ الْفَاعِلِ حَقِيقَةٌ بِإِغْتِيَارِ الْحَالِ ٢٣٢
- لَيْسَ فِي الْمُسْتَقْدِ إِشْعَارٌ بِخُصُوصِيَّةِ الدَّاتِ ٢٣٦
- مسألة : أحكام المترادف ٢٣٦
- التَّابِعُ يُقِيدُ التَّقْوِيَّةَ ٢٣٨
- هَلْ يُمَكِّنُ إِقَامَةُ كُلٍّ مِنَ الْمُتَرَادِفَيْنِ مَكَانَ الْآخَرِ ؟ ٢٣٨
- مسألة : أحكام المشترك ٢٤٠
- مسألة : إطلاق المشترك على معنيتين معاً ٢٤١
- اِخْتِلَافٌ فِي جَمْعِ الْمُشْتَرَكِ بِإِغْتِيَارِ مَعْنِيهِ ٢٤٣
- جواز إرادة الحقيقة والمجاز من اللفظ معاً ٢٤٤
- إرادة المجازين معاً ٢٤٥
- الحَقِيقَةُ وَالْمَجَازُ ٢٤٦
- تَعْرِيفُ الْحَقِيقَةِ ٢٤٧

٢٤٧	أقسام الحقيقة :
٢٤٧	١- الحقيقة اللغوية
٢٤٧	٢- الحقيقة العرفية
٢٤٧	٣- الحقيقة الشرعية
٢٤٩	تعريف المجاز
٢٥١	وقوع المجاز
٢٥٢	أسباب العدول إلى المجاز
٢٥٣	المجاز ليس غالياً على اللغات
٢٥٤	المسائل العشرة في تعارض ما يخل بالفهم
٢٥٩	أنواع المجاز
٢٦١	أقسام المجاز
٢٦٣	علامات المجاز
٢٦٤	يُشترط لصحة المجاز الثقل عن العرب
٢٦٥	مسألة : الممرَّب
٢٦٦	مسألة : أقسام اللفظ من حيث الاستعمال
٢٦٧	محمل اللفظ (حقيقة شرعية مقدمة على غيرها)
٢٦٨	تعارض المجاز الراجح والحقيقة المرجوحة
٢٦٩	ثبوت حكم يمكن مراداً من الخطاب مجازاً لا يدل على أنه المراد من الخطاب
٢٧١	مسألة : الكناية
٢٧١	التعريض
٢٧٣	الحزوف
٢٧٤	١ - إذن
٢٧٤	٢ - إن
٢٧٥	٣ - أو
٢٧٥	٤ - أي
٢٧٦	٥ - أي
٢٧٦	٦ - إذ
٢٧٨	٧ - إذا
٢٧٩	٨ - الباء
٢٨٠	٩ - بل
٢٨١	١٠ - بيد
٢٨٢	١١ - ثم
٢٨٣	١٢ - حتى
٢٨٣	١٣ - رب

٢٨٤.....	١٤ - عَلَى
٢٨٥.....	١٥ - الْقَاءُ
٢٨٦.....	١٦ - فِي
٢٨٧.....	١٧ - كَيْ
٢٨٧.....	١٨ - كُلَّ
٢٨٧.....	١٩ - اللَّامُ
٢٨٩.....	٢٠ - نَوْلًا
٢٩٠.....	٢١ - لَوْ
٢٩٥.....	٢٢ - لَنْ
٢٩٦.....	٢٣ - مَا
٢٩٧.....	٢٤ - مِنْ
٢٩٨.....	٢٥ - مَنَ
٢٩٩.....	٢٦ - هَلْ
٣٠٠.....	٢٧ - الْوَاوُ
٣٠٢.....	الأمر
٣٠٣.....	« أ ، م ، ر » حقيقة في القول
٣٠٤.....	تعريف الأمر
٣٠٥.....	لا يُشْتَرَطُ فِي الْأَمْرِ الْعُلُوُّ وَالْإِسْتِعْلَاءُ
٣٠٦.....	لا يعتبر في الأمر إرادة الدلالة باللفظ
٣٠٦.....	الأمر غير الإرادة
٣٠٦.....	مسألة: الْقَائِلُونَ بِالنَّفْسِي اخْتَلَفُوا هَلْ لِلْأَمْرِ صِغَةُ تَخْصُّهُ ؟
٣٠٧.....	معاني الأمر
٣٠٩.....	الأمر المطلق للوجوب
٣١٢.....	اعتقاد الوجوب في الأمر
٣١٢.....	الأمر بعد الحظر للإباحة
٣١٢.....	الأمر بعد الاستئذان
٣١٥.....	النهى بعد الوجوب للحظر
٣١٥.....	مسألة : الأمر لا يقتضي المَرَّةَ ، ولا التَّكَرَّارَ
٣١٧.....	الأمر لا يقتضي الفورَ ، ولا التراخي
٣١٨.....	مسألة : الأمر لا يستلزم القضاء
٣١٩.....	الإتيان بالمأمور يستلزم الإجزاء
٣١٩.....	الأمر بالأمر بالشئ ليس أمراً به
٣٢٠.....	دخول الأمر في المأمور به
٣٢٠.....	دخول النيابة في المأمور

- ٣٢١..... مسألة : الأمرُ بِالشَّيْءِ نَهْيٌ عَنْ ضِدِّهِ
- ٣٢٣..... النهي عن الشيء ليس أمراً بضده
- ٣٢٣..... مسألة : الأمران متعاقيين ، وَغَيْرُ مُتَعَاقِيَيْنِ
- ٣٢٥..... النَّهْيُ
- ٣٢٥..... تَعْرِيفُ النَّهْيِ ، وَقَضِيَّتُهُ ، وَصِيغُهُ
- ٣٢٧..... النهي عن واحد ، وعن متعدد
- ٣٢٨..... النهي المطلق للفساد
- ٣٣٢..... مفاد « نفي القبول
- ٣٣٣..... مفاد « نفي الإجزاء »
- ٣٣٤..... مباحث العام
- ٣٣٥..... تعريف العام
- ٣٣٥..... العام يشمل الصورة النادرة ، وَغَيْرَ المقصودة
- ٣٣٦..... مجيء العام مجازاً
- ٣٣٧..... العُمومُ مِنْ عَوَارِضِ الْأَقْلَاطِ
- ٣٣٨..... مَذْلُوعُ الْعَامِّ كَلِيَّةٌ
- ٣٣٩..... دلالة العام على أفرادهِ
- ٣٤٠..... عموم الأشخاص يستلزم عموم الأحوال ، والأزمنة ، والأمكنة
- ٣٤١..... مسألة : صِيغُ الْعُمُومِ
- ٣٤٥..... اللفظ قد يعم عرفاً كالفحوى
- ٣٤٦..... اللفظ قد يعم عقلاً كالمفهوم
- ٣٤٨..... مِغْيَارُ الْعُمُومِ
- ٣٤٨..... الْجَمْعُ الْمُتَكَرِّرُ لَا يعم
- ٣٤٩..... أَقْلُ الْجَمْعِ
- ٣٥٠..... ما سيق للمذبح أو للذم يعم
- ٣٥١..... تعميم نفي التساوي
- ٣٥٢..... الْفِعْلُ الْمُتَعَدِي فِي سِيَاقِ النَّهْيِ لِلْعُمومِ
- ٣٥٣..... الْمُقْتَضِي لَا يُقَيَّدُ الْعُمُومُ
- ٣٥٤..... الْعَظْفُ عَلَى الْعَامِّ لَا يُقَيَّدُ الْعُمومِ
- ٣٥٥..... الفعل المثبت لا يعم
- ٣٥٥..... نحو «كان يفعل كذا» لا يعم
- ٣٥٦..... الْمُعْلَقُ بِعِلَّةٍ يعم قياساً
- ٣٥٦..... تَرَكُّ الْأَسْتِفْصَالِ يعم
- ٣٥٧..... « يَا أَيُّهَا النَّبِي » لا يتناول الأمة
- ٣٥٧..... « يَا أَيُّهَا النَّاس » يتناول الرسول ﷺ ، والعبد ، والكافر

٣٥٩.....	« مَنْ » الشرطية تشمل النساء
٣٥٩.....	جَمْعُ الْمُذَكَّرِ السَّالِمِ لا يتناول النساء
٣٦٠.....	خِطَابُ الْوَاحِدِ لا يعم
٣٦٠.....	« يَا أَهْلَ الْكِتَابِ » لا يشمل الأمة
٣٦٠.....	الْمُتَكَلِّمُ دَاخِلٌ فِي عُمُومِ خِطَابِهِ
٣٦١.....	نحو ﴿ وَخُذْ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾ يعم
٣٦٣.....	مباحث التخصيص
٣٦٤.....	تعريف التَّخْصِصِ
٣٦٤.....	القابل للتخصيص
٣٦٥.....	الغَايَةُ الَّتِي يَنْتَهِي إِلَيْهَا التَّخْصِصُ
٣٦٦.....	دلالة الْعَامِّ الْمُخْصُوصِ ، وَالْعَامِّ الْمُرَادِ بِهِ الْخُصُوصُ
٣٦٩.....	العام المخصوص حجة
٣٧١.....	التَّمَسُّكُ بِالْعَامِّ قَبْلَ الْبَحْثِ عَنِ الْمُخْصَصِ
٣٧٣.....	المخصص على قسمين :
٣٧٣.....	الأول المتصل ، وهو خمسة :
٣٧٤.....	١ - الاستثناء ، وشرطه
٣٧٦.....	الاستثناء المنقطع
٣٧٧.....	تَقْرِيرُ دِلَالَةِ الْإِسْتِثْنَاءِ
٣٧٨.....	الاستثناء المُسْتَفْرَقُ ، والأكثر ، والمساوي ، والأدون
٣٨٠.....	الاستثناء مِنَ النَّفْيِ إِبْطَاتٌ ، وَبِالْعَكْسِ
٣٨١.....	الاستثناءات المتعددة
٣٨٢.....	الاستثناء الْوَارِدُ بَعْدَ الْجُمْلِ الْمُتَعَاظِفَةِ
٣٨٤.....	دلالة الاقتران
٣٨٥.....	٢ - الشَّرْطُ
٣٨٧.....	٣ - الصِّفَةُ
٣٨٨.....	٤ - الغاية
٣٨٩.....	٥ - بدل البعض
٣٩٠.....	الثاني الْمُتَفَصِّلُ ، وهو عشرة :
٣٩٠.....	١ - التَّخْصِصُ بِالْحِسِّ
٣٩٠.....	٢ - التَّخْصِصُ بِالْعَقْلِ
٣٩١.....	٣ - تَخْصِصُ الْكِتَابِ بِالْكِتَابِ
٣٩٢.....	٤ - تخصيص السنة بالسنة
٣٩٢.....	٥ - تخصيص السنة بالكتاب
٣٩٣.....	٦ - تَخْصِصُ الْكِتَابِ بِالسُّنَّةِ
٣٩٥.....	٧ - تَخْصِصُ الْكِتَابِ بِالْقِيَاسِ

- ٨ - تَخْصِصُ السُّنَّةِ بِالْقِيَاسِ ٣٩٥
- ٩ - التَّخْصِصُ بِالْمُتَهَوِّمِ : الْمُوَافَقَةُ وَالْمُخَالَفَةُ ٣٩٧
- ١٠ - التَّخْصِصُ بِفِعْلِ النَّبِيِّ ﷺ وَتَقْرِيرِهِ ٣٩٨
- عطفُ العام على الخاص لا يُخصَّص ٣٩٩
- رجوعُ الضمير إلى بعض العام لا يُخصَّص ٤٠٠
- مذهبُ الراوي لا يُخصَّص ٤٠٠
- دُكِّرَ بَعْضُ أَفْرَادِ النَّاسِ لَا يُخَصَّص ٤٠٢
- العادةُ المقررةُ أو المجمعُ عليها تُخَصَّص ٤٠٣
- العادة بتناول بعض العام لا يُخصَّص ٤٠٣
- حكايةُ الحال لا تَم ٤٠٤
- مسألة : جَوَابُ السَّائِلِ ٤٠٥
- الْعَبْرَةُ بِعُمُومِ اللَّفْظِ لَا بِخُصُوصِ السَّبَبِ ٤٠٨
- تَعَارُضُ الْعَامِّ وَالْخَاصِّ ٤١٠
- الْمُطْلَقُ وَالْمُقَيَّدُ ٤١٢
- تعريف المطلق ٤١٣
- مسألة : حَمْلُ الْمُطْلَقِ عَلَى الْمُقَيَّدِ ٤١٥
- الظَّاهِرُ وَالْمَوْوُولُ ٤٢٠
- تعريف الظاهر ٤٢١
- تعريف المؤول ٤٢١
- أقسام التأويل ٤٢١
- بعض الأمثلة للتأويل البعيد ٤٢١
- الْمُجْمَلُ وَالْمُبَيَّنُ ٤٢٩
- تعريف المُجْمَل ٤٣٠
- بيانُ ما يُظَنُّ فِيهِ إِجْمَالٌ ، وَلَيْسَ فِيهِ إِجْمَالٌ : ٤٣٠
- لا إجمال في آية السرقة ٤٣٠
- لا إجمال في ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَمْهَاتُكُمْ﴾ ٤٣١
- لا إجمال في ﴿وَأَسْكُوا بُرُؤِيَكُمْ﴾ ٤٣١
- لا إجمال في « لا نكاح إلا بولي » ٤٣٢
- لا إجمال في « رفع عن أمتي الخطأ » ٤٣٢
- لا إجمال في « لا صلاة إلا بفاتحة الكتاب » ٤٣٣
- بيانُ ما فيه إجمالٌ ٤٣٣
- المجمل واقع في الكتاب والسنة ٤٣٦
- المسمى الشرعي مقدم على غيره ٤٣٧
- حكمُ المستعملِ لمعنى تارة ، ولمعنيين تارة أخرى ٤٣٨

٤٣٩	تعريف البَيَانُ
٤٤٠	بيانُ ما يكون به بيانٌ
٤٤٣	مسألة : تأخيرُ البَيَانِ
٤٤٥	جواز تأخير التبليغ إلى وقت العمل
٤٤٦	الجهلُ بالمخصص
٤٤٨	النَّسْخُ
٤٤٩	تعريف النسخ
٤٤٩	لَا نَسْخَ بِالْعَقْلِ
٤٥٠	لَا نَسْخَ بِالْإِجْمَاعِ
٤٥٠	نسخ بعض القرآن
٤٥٢	نَسْخُ الْفِعْلِ قَبْلَ التَّمَكُّنِ
٤٥٣	نَسْخُ الْقُرْآنِ بِالْقُرْآنِ
٤٥٣	نسخ السنة بالقرآن
٤٥٣	نسخ القرآن بالسنة
٤٥٨	نَسْخُ النَّصِّ بِالْقِيَاسِ
٤٥٨	نَسْخُ الْقِيَاسِ
٤٥٩	نَسْخُ الْفَحْوَى، وَالنَّسْخُ بِهِ
٤٦١	نَسْخُ مَفْهُومِ الْمُخَالَفَةِ، وَالنَّسْخُ بِهِ
٤٦٢	نسخ الإنشاء
٤٦٢	مَا وَرَدَ بِلَفْظِ التَّأْيِيدِ
٤٦٤	نَسْخُ الْإِخْبَارِ
٤٦٥	أنواع النَّسْخِ
٤٦٧	مسألة : وَقُوعُ النَّسْخِ
٤٦٨	نسخ حكم الأصل
٤٦٩	نسخ كل الأحكام
٤٧٠	وقتُ ثبوت الناسخ
٤٧٠	الزِّيَادَةُ عَلَى النَّصِّ
٤٧٢	النقص عن النص
٤٧٣	خاتمة في معرفة الناسخ
٤٧٧	فهرس الموضوعات



رَفْعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس